

ديوان
الخباز و دي

محمود سامي بسا زودي باشا

٤ - ١

دار الفؤاد بيوت

ديوان البشارودي

محمود سامي البشارودي باشا

٤ / ١

حقيقه وضبطه وشرحه

محمد شفيق معروف

علي الجارم

دار العروة - بيروت

ديوان الڳارودي

جُقوق الطبع مَحفوظة

١٩٩٨

يطلب من دار الوحدة - بيروت
كورنيش المزرعة - بناية ريشيرا سنتر

تلفون: ٨١٨٤٠٥ - ٨١٨٤٠٦

ص. ب: ١٤٦٢٨٤ / برقيا، الوحدة

تقديم ديوان البارودي

شعر الباروديّ حياته ، فكلّ قصيدة في ديوانه صورة لحالة نفسية من حالات هذا الشاعر الملهم . والديوان في مجموعه صورة للعصر الذي عاش فيه ، وللبيئة التي أحاطت به ، وللنهضة المتوتّبة في الحياة حوله ، وللثورة التي تمخّضت عنها تلك النهضة ، وللنكسة التي أصابت النهضة والثورة كليهما ، والتي نقلت الشاعر من وطنه إلى منفاه ليقيم به سبعة عشر عاماً وبعض عام ، يستأثر الشعر بها جميعاً . وقد اختار الباروديّ في أثناء نفيه أجود ما قيل من الشعر في العصر العباسيّ ، وقال أجود مما اختار ، فبعث الشعر العربيّ خلقاً جديداً . وشعر المنفى كشعر الشباب وشعر الكهولة صورة صادقة لهذه الحياة التي أراد لها القدر أن تكون نغماً من الأنغام ؛ تسموبها النشوة إلى ذروة السرور والطرب حيناً ، ويدفعها الطموح إلى مضطرب الثورة والمثل الأعلى حيناً آخر ، ثم تصقلها السنّ ويصقلها النفي ، فإذا الحكمة والحنين والحبّ تبعث إلى هذا النغم سكينته تسموبه على المألوف من ألحان الحياة ؛ لا يغيّر من ذلك ما يدفعه النفي إلى نفس الشاعر من ألم تترجم عنه صيحات ثائرة تعيد أمام أذهاننا صورة من نزوات شبابه وثورة كهولته .

أما وديوان الباروديّ حياته ، فلا بدّ في تقديمه من وصف هذه الحياة ، ومن تصوير البيئة التي عاش فيها . وليس يتسع التقديم للإفاضة في الوصف والتصوير ؛ فلتتناول من جوانب هذه الحياة ، ومن نواحي هذه البيئة ، ما يجلّي أماننا الحالات النفسية التي أملت على الشاعر شعره . وسنرى أنّ هذا الوصف كثيراً ما يوضح أغراض الشاعر ، فيعيننا على

إدراكها كاملة ، ويجلو لنا العمل العظيم الذي أتمه البارودي ، فبعث به الشعر العربي واللغة العربية ، ومهد لنا من ألوان المتاع بهما ، والانتفاع بتراثهما ، ما يرفع ذكره في الخالدين .

- ١ -

ولد محمود سامي البارودي بمصر لأبوين من الجراكسة في السابع والعشرين من شهر رجب سنة ١٢٥٥ هجرية (١٨٣٩ ميلادية) . وكان أبوه حسن حسني (بك) البارودي من أمراء المدفعية ، ثم صار مديراً للبربر وذنقته في عهد المغفور له محمد علي (باشا) والي مصر . وكان عبد الله (بك) الجركسي جدّه لأبيه . أما لقبه « البارودي » فنسبة إلى بلدة إيتاي البارود إحدى بلاد مديرية البحيرة ؛ ذلك أن أحد أجداده الأمير مراداً البارودي بن يوسف شاويش ، كان ملتزماً لها ، وكان كل ملتزم ينسب في ذلك العهد إلى التزامه .

وكان أجداد البارودي يرقون بنسبهم إلى حكام مصر المماليك . وكان الشاعر شديد الاعتداد بهذا النسب في شعره وفي كل أعماله ، فكان له فيه أثر قوي في جميع أدوار حياته ، وفي المصير الذي انتهى إليه .

ولقد حُرِم البارودي العطف الأبوي منذ نعومة أظفاره . مات أبوه بدنقلة وهو في السابعة من عمره ، فكفله بعض أهله وضمّوه إليهم . وقد تلقى في بيتهم دراسته الأولى من الثامنة إلى الثانية عشرة من عمره ، ثم التحق بالمدرسة الحربية مع أمثاله من الجراكسة والترک وأبناء الطبقة الحاكمة . فقد كانت الجندية مظهر السيادة والعزة ، ومن ثم كان لزاماً على أبناء هذه الطبقة أن يتعلّموا فنونها لينهضوا بالمناصب الرئيسية للدولة . هذا إلى أن مصر كانت يومئذ في أوج النشاط الذي بثّه فيها محمد علي ، والذي كان الجيش أسّه

وقوامه .

وخرج البارودي من المدرسة الحربية في أخريات سنة ١٢٧١ هجرية (١٨٥٤ ميلادية) ، وهو في السادسة عشرة من عمره . ولسوء حظّه وحسن حظّ الأدب كانت ولاية مصر قد آلت حينئذ إلى عباس الأوّل ثم إلى سعيد . وكان عباس قد عدل عن الخطة التي بدأها محمد علي حين رأى الدولة العثمانية تنظر إلى جيش مصر بعين الريبة والقلق . لذا تعطلت النهضة التي كانت متصلة بالجيش في الصناعة والتعليم ، وبدأ يخيم على مصر جو من الركود وإن دأبت الروح المصرية في توثبها بعد الذي رأته من قوتها على غزو الشعوب وغزو المملكة العثمانية نفسها .

وأطلّ عهد سعيد ، وخرج « الباشجاويش » محمود سامي البارودي من المدرسة الحربية في هذا الجوّ الراكد ، تستجّن في حناياه أسباب اليقظة والقلق . ماذا تراه يصنع ؟ لقد سُرح الجيش ، وأقفرت ميادين القتال من ألوية مصر ، وقُسير هو وأمثاله من رجال السيف على عيش الخمول والدعة . وكان أكثر هؤلاء رجالاً صغار الأحلام لم يلبثوا أن اطمأنوا إلى سكينتهم ، وسكنوا إلى خمولهم . ولعلّ كثيراً منهم قد سرّهم البعد عن مواطن القتال وخطره ، وطاب لهم عيش الدعة والتنادر بفارغ القول وهراء النميمة والنفاق . فأما هذا الشاب الذي لم يخض بعدُ غمار الحياة والذي يجري في عروقه دم الإمارة والمجد ، فقد أحسّ ثورة الشباب تهزه هزاً عنيفاً . تطلّع إلى الماضي القريب ، وذكر مسيرة الأعلام المصرية إلى بلاد العرب وإلى سوريا وإلى الأناضول ، فتمنّى لو أنه نعم بنعيم هؤلاء الغزاة وشاركهم في سرّاتهم وضرّاتهم . وتطلّع إلى ما قبل هذا الماضي ، فارتسمت أمامه صورة أجداده المماليك يحكمون على ضفاف الوادي ، فحنّ إلى عهدهم ، وتمنّى لو كان معهم . والمني حلم مسعد ما أتصل بمستقبل يرجو الإنسان فيه مجدداً وسلطاناً . لكنّها ألم لاذع حين يطلب إلينا الماضي أن نحققها فإذا المستقبل أماننا

مظلم عبوس .

كيف يتسلى الشاب عن هذا الألم؟ ألا سبيل إلى ميادين يخلقها ، وحروب يخوض غمارها مع الخائضين؟ إن العرب أجدادنا الأولين - والعربي جد لكل من تكلم العربية - قد سجلوا في شعرهم وقائع الحرب ، وصوروا ميادينها ، وبلغوا من قوة تصويرهم أن أجروا فيها حياة لا تبلى ، حياة لا تعرف الركود ولا الضعف ولا الاستكانة . فليرجع الشاب إلى ديوان الحماسة ، وقرأ الشعراء الذين يطوون الزمن أمام بصائرنا ، ويجعلوننا ، على بعد ما بيننا وبينهم ، نسمع قعقة السلاح ، ونرى نزال الأبطال ، ونشترك معهم في المعركة بقلوبنا وأرواحنا ، وإن لم نشترك فيها بدروعنا وسيوفنا .

اندفع الشاب يقرأ الشعر العربي القديم ، فتخزن ذاكرته القوية منه كل ما طاب لها أذكاره . وألقى البارودي في هذا الشعر روعة وجمالاً يأخذان باللب ، ويحزنان اللسان إلى القول . وهذا الشعر لا يقف عند الحروب والميادين وما تخلعه على الأبطال من مجد ، بل يتناول الحياة كلها : جدّها وهزلها ، حلوها ومرّها . ففيه الغزل والوصف والحكمة ، وكل ما يطعم الإنسان أن يجده فيه ، وأنت كلما ازددت إمعاناً في قراءته وتدقيقاً في معانيه ، انفسحت لك آماده ، فازددت به متاعاً ، ويحفظه تعلقاً .

وتحرّكت نفس الشاب لقول الشعر بعد أن توفّر على مطالعته واستظهاره . لكن أي شعر يقول؟ وإلى أي الأغراض ينزع؟ أفيمدح؟ ولكن من؟ ولماذا؟ أفيدعو؟ ولكن من؟ وإلى أي شيء؟ وهل بين الأغراض أنبل مما يجول بنفسه من آمال وآلام؟ أليس هو البارودي ، سليل المماليك ، الطموح إلى المجد وإلى الفخر بماض مؤثّل! والدم الذي يجري في عروقه ، وإن فقد أباه طفلاً وعاش يتيماً ، يسموبه على أمثاله من أرباب السيف جميعاً ، بل يسموبه على كل من في المملكة ، ويجعله وحده الجدير بأن يكون غرض شعره .

هذه النزعة في شعر البارودي بدت منذ شبابه ، ومنذ بدأ قريضه يستقرّ لتحفظه الأجيال . والقصيدة التي رثى بها أباه وهو في العشرين من سنه تصرّح بهذا المعنى واضحاً جلياً ، فهو يقول فيها إنه فرد بين أنداده ، لا نظير له فيهم . وهو يكرر هذا المعنى في كل شعره طول حياته . وإيمانه بتفوقه هو الذي سماه به إلى الذروة من مناصب الدولة ، كما أنه هو الذي انتهى به إلى النفي ، وبشعره إلى الخلود .

ولقد رضي البارودي عن شعره منذ قاله ؛ إذ رآه صورة نفسه ، وما تصبو إليه من مجد . لذلك لم ينصرف عنه حين عبّره أبناء طائفته أنه يحاكي النظامين الذين يلتمسون عطف حاكم أو عطاء أمير . وكيف يسمع لهم ، أم كيف يطيعهم وهو يقول الشعر سموّاً بأغراضه عن أن تصاغ إلا في أجمل اللفظ وأروع العبارة ! ولقد سبقه من الأمراء في الدول العربية شعراء مجيدون خلّد الدهر شعرهم ، وأثبت التاريخ في أمجد صحفه أسماءهم . كان ابن المعتزّ شاعراً ، وكان الشريف الرضيّ شاعراً ، وكان أبو فراس شاعراً ، وكان امرؤ القيس قبل هؤلاء جميعاً شاعراً . ولقد قرأ البارودي شعرهم جميعاً فطرب له واهتزّ لروعته . أفلم يقرأ من يعبرونه مثل ما قرأ ؟ وما ذنبه إذا قعد بهم جهلهم عن المتاع بجمال الشعر ، وقعدت بهم قرائحهم عن صوغ مثله ! وهو في هذا المعنى يقول :

تكلّمت كالماضين قبلي بما جرح به عادة الإنسان أن يتكلّما
فلا يعتمدني بالإساءة غافل فلا بدّ لابن الأيك أن يترنّما

كانت دولة الشعر ناشئة إذ ذاك . فكان عبد الله فكري ومحمود صفوت الساعاتي وعبد الله نديم وقليلون غيرهم يقولونه في أغراض شتى . لكن البارودي الناشئ كان من طراز غير هؤلاء جميعاً . كان غيرهم بنسبه ، وبتفكيره ، ويمثله الأعلى في الحياة ، ثم كان غيرهم بموهبته في الشعر . فهو لم يتعلّم النحو والصرف والعروض والقوافي ، وهو لم

يقول الشعرىبتغى بقوله مأرباً . إنما سجع به لأنه في سليقته ، ولا بد لابن الأيك أن يترنم ، وسجع به على عادة الأمراء الشعراء من قبله ليخلق من بحوره ميادين لمجد يعوضه ممافات سيفه في ميادين القتال ، بعد أن ردت الأقدار سيف مصر إلى غمده .

على أنه رأى الجوّ المحيط به لا يتسع لتحليقه ولا لطموحه . ولعلّه رأى كذلك أن هذا الشعر العربىّ الذي اتّصلت أنغامه بروحه قد يضيق على سعته عمّا تصبو إليه روحه . لذلك سافر إلى الأستانة عاصمة الدولة ، والتحق بوزارة الخارجية ، وتعلّم اللغتين التركىّة والفارسية ، وعكف على آدابهما ، فاستظهر شعرهما وتغنّى بأوزانه ، ودعته سليقة الشاعر إلى القول فقال بالتركية وبالفارسية ، كما قال من قبل بالعربية .

على أن السليقة العربية كانت أصيلة في نفسه ، فلم يفتأ طوال السنين التي أقامها على ضفاف البسفور يقرأ دواوين الشعراء الأمويين والعباسيين ويدرسها ويستظهر منها ما يطيب له استظهاره . فلما كانت سنة ١٢٧٩ هجرية (١٨٦٣ ميلادية) سافر إسماعيل (باشا) بعد أن تولّى أريكة مصر يرفع إلى متبوعه الأعظم بالأستانة آي الشكر على ولايته ، وألحق سامى البارودىّ بالحاشية التي صحبتته في أثناء مقامه بدار الخلافة ، فتوسّم إسماعيل فيه النجابة والطموح ، فعاد به إلى مصر في شهر رمضان من تلك السنة .

- ٢ -

عاد البارودىّ إلى مصر في الرابعة والعشرين من سنّه يبدأ صفحة جديدة من حياته . فقد عقد إسماعيل العزم على أن يعيد مصر سيرتها في عهد جدّه . فيجب أن يكون لها جيش قوىّ وأعلام خفاقة ، ويجب أن تعود إلى نهضتها في العلم والصناعة ، بل يجب أن تتطلّع إليها أنظار العالم كلّه إعجاباً بها وتقرباً إليها . ويجب لذلك أن تنقل كلّ ما في أوروبا من أسباب الحضارة ، وأن تسير في ذلك بخطى جبّارة تجعل هذا العاهل المصلح يرى

بعينه ثمرة سياسته ومجهوده .

ورقي البارودي في رتبته العسكرية أول ما نزل مصر وعين على قيادة فرقتين من الفرسان (Les Gardes) ففتح رقيه آفاقاً من الحياة أمامه جعل عابستها يبسم له . وزاد في ابتسامها أنه لم يلبث في منصبه الجديد إلا قليلاً ، ثم أوفد إلى فرنسا مع جماعة من ضباط العسكرية المصرية حيث شهدوا مناورات الجيش الفرنسي السنوية ، ومن هناك سافروا إلى لندن ، فشهدوا من الأعمال العسكرية ما زادهم بها علماً .

وعادوا جميعاً إلى مصر ، فإذا الحظ يلقي البارودي مفتوح الذراعين ليضمه إليه ، فيرقى به في سنة إلى رتبة « القائمقام » في فرسان الحرس (Les Gardes) ، ثم إلى رتبة « أميرالاي » ليتسلم قيادة الفيلق الرابع من عسكر الحرس الخاص . أي شيء هذا إلا أنه المجد الذي طمح إليه صبياً ، فلما لم تيسر له أسبابه هجر مصر إلى الأستانة . أما وقد بدأ الدهر يعرف له مكانه ، ويهتئ له أسباب العظمة طائعاً مختاراً ، بل مغتبطاً مسروراً ، فقد بدأت الأمور تطمئن والعدل يعود إلى مصر .

أفان لهذا الشاب أن يستقر ؟ كلاً ! فقد شبت الثورة في جزيرة أقيطش (كريت) على الدولة العثمانية بعد أربعة أشهر من تسلمه تلك القيادة . وكانت سياسة إسماعيل ترمي إلى مجاملة الخليفة ومعاونته ليلبغ الغاية من أغراضه . لذلك أرسل جنداً يعاون قوات جلالته على قمع تلك الثورة ، ثم كان البارودي « رئيس ياور حرب » في هذا الجند . ما كان أسعده يوم عين ، وما كان أشده سعادة يوم سافر ! لقد شعر بسيفه يهتز في قرابه ، ويده تمسك مقبض هذا السيف لتضرب به الثائرين ، ورأى مجد الجندي يتجلى أمامه وهو واقف على السفينة يلقي على الموج المصطخب نظراته الهادئة المطمئنة . فلما رست به السفينة على شاطئ الجزيرة الثائرة خف يتقدم رفاقه ، مسرّحاً بصره في الأودية

والوهاد حوله ، مشوقاً أي شوق للقاء الذين خرجوا على الولاء للدولة وتنبؤوا عن طاعة السلطان .

وأحسن البارودي البلاء في الحرب ، فأنعم عليه السلطان بالوسام العثماني من الدرجة الرابعة . لكن إنعام البارودي علينا وعلى نفسه كان أعظم من كل وسام . ففي هذه الحرب قال نونيته التي مطلعها :

أخذ الكرى بمعاهد الأجفان وهفا السرى بأعنة الفرسان
كما قال أبياته التي استهلها بقوله :

ولما تداعى القوم واشتبك القنا ودارت كما تهوى على قطبها الحرب
من يومئذ بدأت الأنظار تتطلع إلى البارودي الشاعر تطلع إعجاب وإكبار . لقد ترنم هذا الشاب بأنغام في الشعر لم يألفها أهل زمانه . فهم إنما ألفوا الشعر تجارة ومرزقاً ، كان محمود صفوت الساعاتي ، أسلم معاصريه ديباجة وأقومهم عبارة ، لا يقول إلا ليمدح أمراء الحجاز أحياناً ، وولاية مصر وساداتها أحياناً أخرى ، يبتغي عطاءهم ، ويرجو إحسانهم ، وكان ما يعرض في شعر هؤلاء المعاصرين من حكمة أو فخر قولاً معاداً ، سبقهم إليه غيرهم في ديباجة أمتن ولفظ أكرم . وكانوا جميعاً متأثرين بشعر المتأخرين ، فكانت المحسنات البديعية عندهم كل شيء ، وكانت معانيهم في جملتها مطروقة متداولة . أما هذه القفزة التي قفزها البارودي فما بها إلى مكان الفحول من الشعراء الأولين في الجاهلية والعصور الأولى من الإسلام ، فقد أثارت عجب الناس واستثارت إعجابهم . وحق للناس أن يعجبوا . فهذا الشاب الشاعر الملهم هو الرسول الذي بعثته العناية لينفخ في الشعر العربي روحاً تنشره من الجذث الذي انطوى عليه القرون الطوال ، وليمهد السبيل من بعده لأبناء مذهبه : شوقي ، وحافظ وإسماعيل صبري ، ومن سار

سيرتهم ونسج نسجهم .

ما الجديد الذي استرعى الأسماع في شعر البارودي؟ أهو الأسلوب الجزل والديباجة البدوية اللذان تجلياً في كثير منه؟ لكن أسلوب الساعاتي وديباجته كانا لا يخلوان من جزالة وبداعة، وقد نزع جميع الشعراء إبان هذه النهضة الأولى ذلك المنزع، فإن فاقهم البارودي، وسما عليهم، فلا جديد في تفوقه. إنما الجديد الذي استرعى الأسماع لشعره، ودعا إلى الإعجاب به، هو نزوعه إلى تصوير الواقع كما هو في بساطة وسلاسة وقوة، دون اعتماد على محسنات اللفظ البديعية من جناس وطباق ونحوهما، ودون إغراب في الخيال، إن أثار العجب لم يثر الإعجاب.

وفي شعر البارودي ظاهرة لعله لم يفتن لها أول الأمر أحد. فهو قد اعتمد في تصويره الواقع على حاسة النظر أكثر من اعتماده على سواها. وأنت إذ تقرأ قصيدتيه اللتين أثبتنا مطلعيهما عن حرب أقریطش ترى تصوير المرثيات واضحاً فيهما كلّ الوضوح، وترى هذا التصوير سهلاً لا تعمل فيه. فهو في القصيدة الأولى يصور الليل الضارب بجراحه فوق الربي والمتالع، لا تستبين العين في ظلماته غير الضوء المنبعث من أسنة الحراب، وغير التماع سيوف الثائرين المختفين في جنح الظلام، فإذا أصبح الصبح رأيت هذه الجبال انقلبت أسنة وأعنة لكثرة العدو الجاثم فوقها، ورأيت الماء أحمر قانياً لكثرة ما يختلط به من دم القتلى.

وتستطيع أن ترجع إلى القصيدة الثانية في هذا الجزء من الديوان لترى صورة الحرب دائرة الرحي، والخيل ماثجة من الكرّ والفرّ صدورهما، والأرض دائرة بالأبطال كأنهم سكارى من وقع الهول، والشاعر يرى هذا كله ثم يقول:

صبرت لها حتى تجلّت سماؤها وإني صبور إن ألم بي الخطبُ

وتصوير المنظور صفة بارزة في شعر البارودي كله . وذلك شأنه بخاصة في ما لم ينزع فيه إلى تقليد المتقدمين . بل لقد كان هذا التصوير الروائي للمنظورات يغالبه وهو يقلد . وبائيته المشهورة التي قالها في صباه معارضاً قصيدة الشريف الرضي « لغير العلا مني القلى والتجنب » ، والتي مطلعها :

سواي بتحنان الأغاريد يطرب وغيري باللذات يلهو ويعجب
فيها من هذا التصوير شيء غير قليل .

وأنت ترى التصوير واقعياً في غير تقليد في بائيته التي مطلعها :
أين أيام لذتي وشبابي أتراها تعود بعد الذهاب
وهو يصف في هذه القصيدة مشهداً لمصر تراه أعيننا كما رآه هو ، ويصفه وصفاً قوياً يجعله حياً ناطقاً ، كله النشاط والحركة . ولقد قال هذه القصيدة وهو منفي في سرنديب بأسف فيها لذهاب الشباب ، ويحن إلى وطنه ، فإذا الوطن صورة منظورة أمامه يرسمها رسم مصور بارع .

ولقد قوت البيئة التي عاش فيها البارودي هذا الجانب التصويري من شاعريته . فهو مذ عاد من أقریطش بعد قمع ثورتها ، قد أقام اثنتي عشرة سنة كاملة بعيداً عن ميادين القتال عين أثناءها ياوراً (بمعية) الخديوي إسماعيل ، ثم رئيس الياورية ، ثم اصطفاه الخديوي كاتم سره الخاص ، ثم سافر في رحلتين قصيرتين إلى الأستانة في مهمة سياسية تتصل بفتنة الهرسك ، ثم بفتنة البلقان والجبل الأسود .

في هذه السنوات الاثنتي عشرة كانت مصر ميدان حياة ونشاط قل نظيرهما في أمة من الأمم . نهض بها إسماعيل بعد النكسة التي أصابتها في عهد سلفيه سعيد وعباس الأول ، نهضة هي أدنى إلى الثورة منها إلى النشاط . أراد لها أن تقف مع الأمم الأوروبية

في صفّ الحضارة ، وأن تكاتفها في الوجود الدولي . وهذه الأمم قد بلغت مكانتها في أجيال متعاقبة بذلت أثناءها جهوداً جبارة لتبلغ ما بلغته . فليضاعف أبو الأشبال الجهود ، وليجعل الزمن رهن أمره ، وليدفع مصر متضافرة معه ، قوية بقوّته ، ليصل في سنوات إلى ما وصلت إليه أوروبا في تلك الأجيال . وماذا ينقصه أو ينقص مصر لتحقيق هذه المعجزة ؟ العزم ! الذكاء ! الهمة ! البأس ! هذا كله موفور فيه وفي مصر . وكلّ ما عليه أن يتجنّب ما وقع فيه جدّه الأكبر فلا يناصر الدولة العثمانية العداوة ، فينجو من تألّب أوروبا عليه . فأما المال فالحصول عليه يسير . فمصر غنية ، وقناة السويس التي تشقّ خلالها ستزيدها ثراءً ، وتجعلها مركز الحياة في العالم . ذلك ما يؤكّده ديلسيس ، وذلك ما لا سبيل إلى الريب فيه . فلتقترض مصر المال لتحقيق بنهضتها المعجزة التي تبهر العالم . ومصر الناهضة الفتية القوية قديرة على أداء ديونها وعلى مضاعفة ثروتها .

وأول ما مرّ بخاطر إسماعيل أن تضارع عاصمته عاصمة نابليون الثالث ، وأن تكون القاهرة باريس الشرق . ولم تك إلا سنوات حتى قامت القصور شاهقة على شاطئ النيل بين الجزيرة والروضة : روضة المقياس . لكن إسماعيل كان أبعد نظراً وأعمق ذكاءً من أن يكتفي بهذه المظاهر . فلتفتح المدارس ، ولتمد السكك الحديدية ، وليعمّ النشاط المعمّر أنحاء الدولة جميعاً ، ولتضارع حكومة مصر شركة قناة السويس في الجدّ والمثابرة ، وليكن افتتاح القناة بين البحرين الأبيض والأحمر مشهداً فذاً في تاريخ العالم كلّه ، تقع فيه أعين الملوك والساسة على مصر المتحضرة الناهضة بعبء الحضارة كنهوض فرنسا وإنجلترا بعبيها ، وعلى إسماعيل ملك مصر ذي الأيد قائماً في آبهة من السلطان تذيوي أمامها آبهة أصحاب العروش في الدول الأوروبية كلّها .

وقد رأيت البارودي في معية إسماعيل ورأيته أمين سرّه . والبارودي شابّ شاعر قويّ الحسّ طموح إلى العلا ، ابتسم له الحظّ فقرّبه من صاحب العرش ، وجعل الحياة

وسرّها ونعمتها في ملكه وطوع يده .. ماذا يصنع ؟ أقام بحلوان ، وأرّخى لشبابه ولهوى الشباب العنان ، فعرف الشراب ومجالسه ، والغواني وفتنتهنّ ، والطرب بالموسيقى وبالغناء ، وقال في هذه الأغراض جميعاً ، فما تكاد قصيدة من قصائده تخلو منها . لكنك في حلّ من أن تسأل : أأمن في الحبّ وخضع لسلطانه ؟ أو بلغ من إدمان الشراب وحياة اللهو ما بلغ الماجنون ؟ أم كان شعره في الغزل وفي الخمر شعر محاكاة أكثر منه تحدّثاً عن غرام صادق أخذ بمجامع قلبه ، وعن إغراق في اللهو والخمر وولعٍ بهما ؟ أحسبنا في حلّ من القول بأنه كان مقلّداً في غزله وفي خمرياته ، وأنّ هوى نفسه كان إلى شيءٍ غير المرأة وغير الخمر ، وأنّ حديثه عن الخمر وعن المرأة إنّما كان تقدمة إلى الفخر والوصف والسياسة وغيرها من الأغراض التي يريد القول فيها ، وأنه في هذه التقدمة كان ينسج على غرار الأقدمين .

وما أكثر ما نسج الباروديّ على غرارهم ! فهو طالما راضٍ القول معارضاً الفحول الأولين ، محاولاً أن يبيّزهم في ديباجته وفي قوّة معانيه . وقد وُفق للتفوّق عليهم في أحيان ، وقصّر عن مداهم في أحيان أخرى . وكثيراً ما كان ينتقل في معارضاته من بيئته المصرية الحديثة إلى بيئة بدوية جاهلية أو بيئة إسلامية بالشام أو بالعراق في عهد بني أمية أو بني العباس ، ثم كان يجعل الغزل واللهو بالخمر والنساء ، والحماسة والفخر ، أغراضاً له في القصيدة الواحدة على طراز من حمل نفسه على معارضتهم . وكانت ذاكرته القوية تواتيه في ما يعارضهم فيه حتى تخاله أحدهم ، ويختلط عليك الأمر إذا أردت أن تميز بين شعره وشعرهم . ومن كانت هذه حاله لم يكن غزله ولم يكن لهوه صادريّن عن عاطفة ألهبها الحبّ أو حرّكتها الخمر بمقدار ما حرّكها الحرص على التفوّق في حلبة الفحول الأولين .

وأنت تراه يذكر في الحبّ ما تكاد تظنه حكاية حال ، كقصيدته عن غرامه بغادة

حلوان . وإنما لنميل إلى القول بأن هذا الغرام لا يزيد على صورة تخيلها الشاعر ، وأقصى ما يذهب إليه الظن أنها صورة رأها في ليلة أنس فأعجبتة فخلع عليها من شعره معاني الغرام ، وإن لم يملكه حب ، ولم يغم بنفسه غرام . فالقصيدة التي تقص هذه الحكاية تبدأ بالخمير والحديث عنها ، ثم تروي حديث هذا الغرام لتنتقل منه إلى الفخر بقومه الذين يدفعون عنه مصارع هواه ، فهم :

رجال أولو بأس شديد ونجدة فقولهم قول وفعلهم فعل
إذا غضبوا ردوا إلى الأفق شمسه وسال بدفأع القنا الحزن والسهل

وأنت ترى تداول هذه الصور في الكثير من قصائد شبابه : خمير ، وغزل ، وفخر . ولا ريب في أنه كان يحس ما يقوله في هذه الأغراض جميعاً . لكن الذي لا ريب فيه كذلك أن الحب لم يفتن يوماً لبه ، وأن الخمير لم تذهب يوماً بعقله . فأما الفخر فكان يعبر عن إمانته الخفية وآماله المكظومة .

أقام يقول الشعر في هذه الأغراض وفي ما يتصل بها ، متنقلاً بين حلوان والجزيرة ، سعيداً بمقامه إلى جانب إسماعيل ، مطمئناً إلى حظّه بمصر ، اثنتي عشرة سنة كاملة . وكما اختزنت ذاكرته الشعر صدر شبابه فقد اختزنت في هذه السنوات المتعاقبة من صور مصر ما زاده حباً لها وتعلقاً بها ، وما جعله يتحدث في شعره عنها ، ويصف بديع مناظرها وصفاً لم يسبقه إليه أحد . وصف نهرها الفياض أبا الخير والنعمة ، ووصف مزارعها الفسيحة تتراعى أمام النظر إلى حدود الأفق ، ووصف آثارها الفرعونية على نحو لعله أحدث ما جدّد الشعر في عهده . وصف هذا كله مستقلاً بوصفه حيناً ، جاعلاً منه بعض موضوعه في قصيدة من القصائد حيناً آخر ، مستمتعاً به في الحالين ، مسبقاً عليه من روعة شعره ثوباً يزيد جمالاً ، ويزيد المصري له حباً ، وبه تعلقاً .

فلما كانت سنة ١٢٩٤ هجرية (١٨٧٨ ميلادية) أعلنت روسيا الحرب على تركيا ، وأرسل إسماعيل جيشاً يعاون متبوعه الأعظم . وسافر الباروديّ مع الجيش ، واشترك في الحرب ، وكوفئ عن مواقفه فيها بإنعام الخليفة عليه برتبة أمير اللواء وبنيشان الشرف (الميداليا) وبالوسام المجيديّ من الدرجة الثالثة .

ولم تصرفه ميادين القتال عن قول الشعر ، بل لقد بعث منها إلى مصر من عيون شعره ماجرى بعضه مجرى الأمثال . ومن ذا الذي لا يحفظ قوله :

إذا نحن سرنا صرّح الشرّ باسمه وصاح القنا بالموت واستقتل الجند
وفي هذه الفترة أضاف الباروديّ الحنينَ إلى الوطن إلى أغراض شعره . فهذا الحنين الذي لم يكن بادياً أيام أقریطش قد بدأ في حرب البلقان يظهر قوياً ، كما ترى في أبيات هذه القصيدة بل في مطلعها :

هو البينُ حتى لا سلامٌ ولا ردُّ ولا نظرةٌ يقضي بها حقُّه الوجدُ
وظلّ تصوير المنظور واضحاً في هذا الطور وضوحه في أطوار شعر الباروديّ جميعاً ، بل ظلّ يزداد قوة ووضوحاً ، وتزداد فيه الحركة والحياة بنوع خاصّ . فالباروديّ إذ كان يسجّل الصور في شعره لم يكن يسجلها في صمتها وسكيتها على ما يولع به عشاق الطبيعة الصامتة ، بل في نشاطها وتحركها ، حتى يرسم أمامك فيض الحياة في كلّ ما تقع عليه عينه ، وما تحيط به باصرته .

- ٣ -

عاد الباروديّ من حرب البلقان وقد أدرك الأربعين ، وبلغ من الرتب العسكرية أسماها ، فعين مديراً للشرقية ، فمحافظةً للعاصمة . وبينما هو في هذا المنصب ترك

إسماعيل حكم مصر بعد تدخل الدول الأجنبية في شؤونها ، فكان ذلك نذيراً بتجهّم الحظّ لبلاده ، وللشاعر الفحل الذي شدا بجمالها وتغنّى بمجدها .

لكن النهضة التي بثّها إسماعيل في مصر ، تركت في نفس الشعب أثراً لا يسهل التغافل عنه أو القضاء عليه . يستطيع السلطان العثماني أن يصدر فرماناً بتولية توفيق ، ويستطيع إسماعيل أن يغادر بلاده إلى إيطاليا ، ويستطيع توفيق أن يجلس على عرش أبيه ، ذلك كلّه يسير ، لأنّه يصدر بأوامر رسمية ، وينفذ طوعاً لهذه الأوامر . لكن النبات الذي وضعت بذرتة في التربة المصرية من عهد محمد علي ، والذي تعهده إسماعيل بعنايته ، وبذل الجهد والمال لتقويته ، لا يمكن أن تنزعه الأوامر ، أو يذهب به تغيير الجالس على العرش . فكان طبيعياً أن تثير هذه الأحداث عواطف الشعب المصري على التدخل الأجنبي ، وأن تلهب في النفوس شرارة القومية ، وأن تدفعها إلى التثبث بالشورى وبالحكم النيابي وسيلة لإقامة العدل ومتابعة الإصلاح .

وزاد ارتقاء توفيق عرش مصر رجاء الشعب في بلوغ هذه المطالب ، فازداد بها تشبثاً . ذلك أن توفيقاً كان متصلاً بالسيد جمال الدين الأفغاني وبالشيخ محمد عبده وبالدعاة إلى الإصلاح وإلى الشورى . على أنه لم يلبث حين آل إليه الأمر أن أعاد المراقبة الثنائية ، وأصدر قانون التصفية ، وخاصم الحكم النيابي ، وأعاد السلطة المطلقة . وهو لم يفعل ذلك تمرّداً منه على المبادئ التي قال من قبل بها ، وإنما فعله ضعفاً أمام التدخل الأجنبي الذي ازداد في عهده على ما كان في عهد أبيه ، فكان للأجانب في الواقع زمام الأمر ، وإن أرادت المظاهر الرسمية أن يكون توفيق الممسك بهذا الزمام .

وكان سامي البارودي من أنصار الحركة القومية ومن المقربين لذلك إلى توفيق في الزمن الأخير من عهد أبيه والفترة الأولى من عهده . ولقربه منه عيّنه مديراً للأوقاف ،

فأصلح فيها ما وسعه الإصلاح . على أن أطراد التدخل الأجنبي ومقاومته لفكرة الحكومة
النيابية في مصر حال دون ما يحتاج إليه الإصلاح من هدوء واستقرار . وقد أحس
المستنيرون من المصريين بأن عليهم واجباً لأنفسهم ولبلادهم أن يقاوموا تيار هذا
التدخل ، وكان المستنيرون يومئذ هم رجال الجيش كما سبق القول . لذلك انتقلت حركة
المطالبة بالشورى والإصلاح من أيدي المدنيين إلى أيدي العسكريين .

آذن هذا الانتقال بإثارة مشكلة جديدة لم تكن بادية للعيان في عهد إسماعيل ، على
رغم ما كان من نشاطها في أثناء استخفافها . تلك حركة المصريين في الجيش . فقد كان
رؤساء الجيش من الجراكسة والترك ، ولم يكن يرقى إلى الصفوف الأولى من المصريين
أحد . وكان هؤلاء الرؤساء على جانب عظيم من الغطرسة والبطش . أما ومصر تريد أن
يكون أمرها لبنيتها ولا تريد للأجنبي سلطاناً ، فمن الحق أن تكون رئاسة الجيش
للمصريين ، وألا يكون لهؤلاء الرؤساء الأجانب ما لهم من سلطان .

لم تكن هذه الفكرة واضحة في النفس المصرية هذا الوضوح في عهد إسماعيل ،
ولا أول حكم توفيق . ولعلّ التدخل الأجنبي هو وحده صاحب الفضل في تحريكها
وإظهارها من بعد بجلاء وقوة . وإنما كانت الشكوى قبل ظهورها مقصورة على طلب
العدل ورفع الظلم . لذلك كان محمود سامي البارودي ، وهو جركسي كغيره من
الجراكسة ، محبوباً من المصريين محبباً لهم ، بل كان موضع رجاء العسكريين منهم في
رفع الحيف النازل بهم . وكيف لا يحبّه المصريون جميعاً وقد تغنى بحب مصر ما تغنى ،
وقد وصف من جمال مصر ما لم يسبقه أحد إليه ، وقد صور هذا الجمال في دقة تدلّ على
إخلاصه وصدق محبته ! .

فلما ثار العسكريون المصريون بناظر الحربية عثمان رفقي فاستقال ، أسند توفيق

هذه الوزارة إلى البارودي مع ديوان الأوقاف .

على أن إسراع توفيق إلى الاتعاض بالحوادث وإذعانه للتدخل الأوروبي وظهوره بتأييد الحكم المطلق أوقف البارودي موقف الحيرة : أَيْظَلُّ عَلَى وِلايَةِ لِساحِبِ العرش ، أم على وفاته للشعب الذي اختصه بمحبته . ورأى رياض (باشا) ، رئيس الوزارة يومئذ ، إيثار البارودي للشعب ، فدسّ عليه عند توفيق ، فاضطره إلى الاستقالة من الأوقاف والحربية ، ودفعه إلى اعتزال الحياة السياسية والعيش بعيداً عن جو القلق والاضطراب .

رأى توفيق حركة الجيش تكبر ، فنحى رياضاً وأسند الوزارة إلى شريف (باشا) ولم يقبل البارودي العود إلى الحكم حتى ألحّ عليه توفيق وأقسم له أن ليس في نفسه منه شيء . واستقال شريف فاضطرّ البارودي أن يؤلف الوزارة ، بعد أن أصبح زمام الأمر في مصر إلى الضباط الذين يعدّون الجراكسة أجانب كغيرهم من الأجانب .

وكان البارودي يرجو أن يتلافى هذه الحركة ، وأن يصل بحسن رأيه إلى إقامة العدل والإصلاح في مصر على أساس من مبادئ الثورة السلمية التي انتشرت دعايتها في البلاد ، لكن الأمور سارت على غير هواه ، واندفع الضباط يفكّرون في خلع توفيق . وقد نازعته نفسه يومئذ إلى مكان المجد وتحركت فيها أسباب الاعتداد بمكان أجداده المماليك الذين حكموا مصر . وقصيدته التي مطلعها :

قلدت جيد المعالي حلية الغزل
وقلت في الجد ما أغنى عن الهزل

لا تبرئه من هذا التفكير وإن ذكر في الديوان أنها قيلت في عهد إسماعيل . لكنه رأى إنكلترا وفرنسا تتدخلان وتبعثان بمدكرتهما المشتركة إلى الحكومة المصرية ، فأحسّ الخطر ،

ورأى أن لا طاقة لمصر بمواجهة هذا الموقف . ولقد حاول أن يتخلّص منه بالاعتزال في مزارعه ، وذلك بعد أن نصح للعرايين ، وصارحهم برأيه . لكن اندفاعه في حركة الضباط من بداءتها حال بينه وبين التخلّص منهم ، فلم يكن له بدٌّ من أن يسير معهم ، وأن يربط حظّه بحظّهم .

وهذا الموقف الذي وقفه الباروديّ هو الذي جعله لا يبرز في الصفّ الأوّل من صفوف الثورة العرابية ، ولا يتولّى زعامتها . ولو أنه كان مؤمناً بها إيمان عرابي وأصحابه لكان الطبيعيّ أن يتقدّمهم وأن يدعو بدعائهم . فهو قد اشترك في حروب أقریطش والروسيا وأبلى فيهما بلاءً يجعله أقدر ضباط الثورة جميعاً على قيادتها . وهو قد كان - لا ريب - أكثرهم ذكاءً وأعلامهم ثقافة وأعرفهم بشؤون الحياة الدولية . أما وقد سائرهم إذعانا لحكم الأحوال فقد رجع إلى الصفّ الثاني من صفوف الثورة . فلمّا أخفقت وحوكم زعماءها حكم عليه معهم ، لأنّه شجّعهم أوّل أمرهم ، ولأنّه لم يتنصّل عنهم حين لجؤا في عصيانهم .

ونُفي مع زملائه زعماء الثورة إلى سيلان فأقام بها سبعة عشر عاماً وبعض عام . ولقد أقاموا جميعاً في كولومبو سبعة أعوام عاف الباروديّ خلالها بيثتهم إذ دبت الشحنة بينهم وانقلب كلُّ يلقي على زملائه تبعه ما حلّ به . ولم يكن ذلك ديدن الباروديّ ولا كان من خلاله . لذلك انتقل إلى كِندي حيث قضى عشرة أعوام آخر تعلّم خلالها الإنجليزية ، وعلم بعض أهل كِندي الدين الإسلامي واللغة العربية ، واستطاع أن يتسلّى ، وإن لم يسأل يوماً وطنه وأهله ومجده .

لمن يبث شكواه أو يعلن أساه؟! لا خير في اصطفاء زملائه وكلّهم طائر اللب مروع القلب . ولا خير في التحدّث إلى أهل البلاد ، وقلّ منهم من يفهم حديثه ، وأقلّ من ذلك

من يعرف قصته . لا معين له على الشكوى إذأ إلا ربُّة الشعر ، فليشركها معه ، وليترنم وإياها بهمومه ، وليستن بها على التصبر إن لم يجد إلى الصبر الوسيلة ، وليتخذ منها رسوله إلى النائين عنه بمصر ممن يذكرونه ، ويتحسرون على مصابه حسرة على الشعر أن يقسوه القدر كل هذه القسوة .

وكانت ربُّة الشعر نعم العزاء . مدّت إليه قيثارتها ، وألهمته أبلغ آياتها يوقعها عليها ليصعد في أنغامها كربة نفسه وهم قلبه . يراجعه الحنين إلى الوطن فيشكو النوى ويصور الوطن أروع صورة في أروع عبارة ، ويشور على الحنين وعلى الوطن فيلعن مصر ، ويهجو ناسها ، ويحز الأسي في نفسه فيتوجع ، وتراجعه جركسيته ، ويشور في عروقه دم الممالك ، فيعود إلى الفخر ، وتبلغه الأنباء بوفاة الأهل والأصدقاء ، فيرثي ويبكي ويسلم أمره إلى الله ، وينخرط في الأسي وفي الألم ، فيتخذ الزهد ملجأ من أساه ومن ألمه ، ويقصر الزهد فلا يأسوجراح نفسه ، فيثور ويبلغ بالثورة أقصى الحدود ، ويشعر بذهاب الشباب وبالأجل المكتوب في الغربة والنأي عن الإخوان والأهل فيستسلم للقضاء . وربُّة الشعر في هذه الحالات جميعاً مُسلمةٌ إليه نفسها ، مُسْلِسةٌ له قيادها ، مادةٌ إليه قيثارتها ، تلهمه وتقول معه ، وتعينه في هذا المنفى على أن يعيد إلى الشعر العربي جِدَّةً لا تبلى ، ويجعل من آلامه وحسراته وثوراته وحنينه وضعفه وبكائه أداةً هذه الجِدَّة ، ومصدرَ هذا البعث ، بعد أن ظلت اللغة السليمة والأدب الرفيع ملتفين في أكفانهما قرابة ألف عام .

ونحن نحاول اليوم أن نتلمس الجديد في شعر البارودي ، ونقصد بالجديد ما أبدع من أغراض لم تكن مطروقة في عهد الأولين ممن بعث لغتهم وشعرهم ، وما كانت ذاتيته قوية واضحة فيه ، وما يتصل بالحاضر ممَّا جعله الشعر الأوروبي أغراضه ، فيأخذ بالبابنا ما في ديوانه من الشعر السياسي ، ومن وصف الطبيعة المصرية والآثار المصرية والحياة

المصرية . أما ما خلا ذلك فلم يعدّ الباروديّ فيه مقاصد المتقدّمين من شعراء العرب ، ولم يعدّ أوزانهم وقوافيهم وأغراضهم . لم يفكّر في الملاحم الكبرى كما فكّر هوميروس في الإلياذة ، ولا فكّر في المسرحيات الشعرية كما فكّر شكسبير في مسرحيّاته ، وكما فكّر دانتي في الكوميديا الإلهية . وهو في الحقّ لم يتّجه بالشعر العربيّ غير وجهة الأقدمين الذين عارضهم ، وراض القول على مثالهم ، وإن كان من الحقّ كذلك أنه لم يفتنّ فيهم ، ولم يقصر همّه على النقل عنهم ، بل بدت شخصيته بارزة في شعره ، وبدا شعره مرآة بيئته وزمانه . فلو أنه عاصر الأقدمين ، وعاش بينهم لكان له ما للأخطل وللفرزدق ولأبي فراس ولبشار من ذاتية يمتاز بها عن غيره ، ويقف بها في الصفّ الأوّل من هؤلاء الأقران المبرزين .

لكن يجب أن نعدّل هذا الرأي إذا أردنا أن نبلغ النصفّة حين البحث عن الجديد في شعر الباروديّ ، وأن نقول إن هذا الشعر كان في عصره جديداً كله . كانت محاكاته الأقدمين جديدة ، وكانت معارضته إياهم جديدة ، وكانت رياضته القول على مثالهم جديدة . فقد هوى الشعر العربيّ قبله إلى درك من الانحلال جعله بالنسبة إلينا نسياً منسياً ، وجعلنا نكاد نسقط من حسابنا هذا الألف الذي انقضى من السنين بين الشعر العربيّ بدء انحلاله ، وبين هذا الشاعر الذي بعث الشعر العربيّ إلى الحياة من جديد . ونحن جميعاً مقلّدون في أكثر ما نعرض له من شؤون الحياة : مقلّدون في الفنّ والأدب والشعر والعلم لأنها من شؤون الحياة . وإنما نجدد بقدر في حدود ما يصلح فساد الماضي ، ويضيف إلى الصالح منه ما يزيد حياته بريقاً وما يزيده على الحياة قوّة . فإذا كان الباروديّ قد بعث الشعر العربيّ واللغة العربية من مرقدتهما وردّ إليهما حياة ذوت وذبلت قروناً متعاقبة ، فعمله هذا خلق لا ريب فيه ، وهو في عصره جديد كلّّه ، وهو جدير لهذا أن يتسّم ذروة المجد ، وأن يجلس بين الخالدين .

وإذا كان لم يعرف وحدة الغرض في القصيدة الواحدة كما نفهمها اليوم ، وكما يفهمها أهل الغرب ، وكان ينتقل من الغزل إلى المدح إلى الفخر إلى الحماسة إلى الحكمة ، كما كان يفعل البحريّ وأبو تمام والمنتبي وغيرهم من كبار الشعراء ، فذلك لأنّ رسالته لم تكن تجديد الشعر العربيّ في حياته المتدفقة الفياضة ، بل كانت بعث الشعر العربيّ من مرقدّه ، وتمزيق الأكفان التي احتوته مئات السنين . وما وُفق له الباروديّ من هذا البعث لا يزال حتى اليوم أعظم تجديد تمّ في حياة الشعر العربيّ منذ نهض الباروديّ به ، لا يُقرن إليه إلا ما وُفق له شوقي حين وضع مسرحياته الشعرية الخالدة : مجنون ليلي ، ومصراع كليوبترا ، وما إليهما .

ولعلك لا تعثر في شعر الباروديّ على فلسفة ظاهرة ، ولقد تعثر فيه على زلات غير قليلة في اللغة كما يريد المتزمتون ، وقد يقع له أحياناً أن يسيء الانتقال من غرض إلى غرض ، أو أن تضمّ القصيدة الواحدة من قصائده أبياتاً بالغة غاية القوة والجزالة ، وأخرى متخاذلة منحلّة ، أو ضعيفة النسج نابية في استعمال بعض المفردات ، وقد تراه متناقضاً في القصيدة الواحدة : زاهداً في أولها مسلماً أمره للمقادير ، ثائراً في آخرها مالتاً ماضغيه فخراً بنسبه وفعاله وشجاعته وشعره ، كما تراه يغرب في اللفظ حين يعارض الأقدمين ، ثم لا يمنعه ذلك من أن يسيخ بعض الألفاظ العامية التي تابها المعجمات ويثور بهارجالها ، لكنك تجد له العذر عن ذلك كلّ حين ترجعه إلى أسبابه ، وتجد له عذراً أبلغ حين تذكر أن العبقرية التي تحلّق بصاحبها في سموات تتعلّق بها القلوب والعقول في إعجاب وتقدير ، هي التي تستبيح ما يؤاخذ الناس المجيدين به ، وما يحذر هؤلاء المجيدون الوقوع فيه ، لأنهم لا يجدون عوضاً عنه في سمو صاحب الموهبة بعبقريته إلى حيث لا يلحقه أحد .

وللباروديّ مع ذلك عذره عن كثير من هذه المآخذ التي يتغاضى عنها كثيرون ويرون بعضها ضعيفاً وبعضها يشوبه الخطأ . فعذره عن أخطائه اللغوية هو عذر الفحول الأولين

من كبار الشعراء الذين يستشهد بهم في كل خروج على قواعد اللغة . فهم لم يكونوا يتقيدون بها وقد كانت حديثة الوضع في عهدهم ، وكانت أقوالهم حجة لذاتها . وهذا عذر ناهض للبارودي ، وهو كما رأيت لم يتعلم النحو والصرف والعروض والقوافي ، وهو قد قال الشعر طوعاً لموهبته ، بعد أن قرأ الشعراء الأولين وحفظ عنهم كل ما اطمأن إليه من أقوالهم ، وأنت لذلك تستطيع أن تقول إنه عاصرهم وعاش معهم . فلم يكن أبناء زمانه من المصريين يعرفون اللغة العربية ، وإنما كانوا يتحدثون بلغة أخرى هي العامية . فحياة البارودي المتصلة باللغة العربية كانت بين الشعراء الجاهليين وشعراء العصرين الأموي والعباسي . من ثم صارت لغتهم لغته ، وصارت سليقة له كما كانت سليقة لهم ، فكان يقولها ويتصرف فيها كما كانوا يقولونها ويتصرفون فيها . فإذا هو سما بسليقته في اللغة كما سموا ، ولم يتقيد بما يتقيد به غيره من قواعد ما فلا تثريب عليه ، ولا شيء في ذلك يؤاخذ به ، وإن وجب التنبيه إليه .

أما ما يقال عن سرقات البارودي فلا ينهض مأخذاً عليه . وهو قد أسلف العذر عن محاكاة الأقدمين ، إذ نص في تقديم بعض قصائده على أنها معارضة لقصيدة قديمة معروفة ، أو أنها رياضة للقول على طريقة العرب . هذا إلى أن رسالة البارودي في الشعر كانت رسالة بعث كما قدمنا . وقد اتهم الفحول من الشعراء الأقدمين قبله بالسرقة ، فاعتذر رواتهم وأنصارهم عنهم بأن ما نسب إليهم من ذلك إنما هو من توارد الخواطر ، «كما يقع الحافر على الحافر» على حد تعبيرهم . والبارودي أبلغ عذراً ، فقد كان محفوظه من الشعر القديم ضخماً ، وكان شعره هو ضخماً كذلك ، وأنت تصادف في ديوانه أبياتاً له مذكورة في أكثر من قصيدة ، فلا عجب إذا ظن بيتاً محفوظاً لغيره بعض ما قاله فأدمجه في قصيدة من القصائد على أنه له .

والحق أن البارودي ما كان بحاجة إلى السرقة وعبقريته الشعرية ما عرفت ، وديوانه

تربو فيه القصائد على المئات ، والأبيات على الألوف ، وما ينسب إليه أنه نقله عن الأقدمين قليل ، كقوله :

عليّ طلاب العزّ من مستقرّه ولا ذنب لي إن عارضتني المقاديرُ

وهو صورة في لفظه ومعناه من قول أبي فراس :

عليّ طلابُ العزّ من مستقرّه ولا ذنبَ لي إن حاربتني المطالب

وهذا التطابق البين على قلّته في شعر الباروديّ قد أُخذ غيره من الفحول بمثله . وإنما يفسّره أنّ روح الباروديّ متّصلة بالأقدمين كلّ الاتّصال . وما قاله في الحكمة وكثير مما قاله في الفخر ليس إلاّ ترديداً لما قالوا ، لأنه لم تكن له فلسفة خاصّة كما قدّمنا ، ولأنّه كان يبعث معاني الأقدمين كما كان يبعث لغتهم .

وأنا لا أسيغ تسمية هذا البعث سرقة . والشعراء والكتاب في كلّ أمة وعصر يتداولون المعاني بينهم ، ثم يمتاز المبرز منهم بسطوع معانيه وقوتها ، وبوضوح شخصيته في أغراضه وأسلوبه . وللباروديّ من هذا التبريز حظٌّ قلّ نظيره ، وأنت لا تجد هذا التبريز في قصائد المديح القليلة التي قالها ، لأنه قال هذه القصائد مجاملة ، أو نزولاً على حكم الأحوال ، فلم تكن متّصلة بنفسه ولا صادرة عن وجدانه الأبّي المتعالي بفضلته ومجده على كلّ من سواه . أمّا في الإباء ، وفي الفخر ، وفي الحنين ، وفي الرثاء ، وفي وصف الوقائع ووصف الطبيعة ، فقد سما الباروديّ إلى حيث لا يلحقه إلاّ الأقلّون من أكبر الشعراء فحولة ، وأكثرهم تبريزاً .

ويرجع تبريزه في هذه الأغراض إلى أنه كان يعبرّ بها تعبيراً صادقاً عمّا تنطوي عليه جوانحه ويتردّد في أعماق قلبه ، أو عمّا شارك بنفسه فيه ، وكان له منه نصيب يرضاه . وهذا سرّ قوته في وصف الحرب ووقائعها ، وسرّ دقّته في التصوير السياسيّ لحال بلاده ،

وهو السر في عظمة ما قال في المنفى من مختلف ضروب الشعر في مختلف الأغراض ، وفي تفرده بالقول في أغراض لم يعرفها معاصروه ، لأنه لم يكن من طرازهم نسباً ولا ثقافة ولا طموحاً في الحياة . فهو قد رأى من بهجة الدنيا ومن صروف الأحداث ومن عبرة المنفى ما لم يروا ، وهو قد قال الشعر مخلصاً للشعر ، محبباً إياه ، لا يبتغي به إلا رضا نفسه ورضا الفن ، مؤمناً بأنه وسيلته إلى الخلود في ضمير الأجيال .

وهذا الإيمان بالشعر هو الذي جعله يتوفر عليه في المنفى ويجعله بغية الحياة فيه . فلقد أيس من العود إلى الوطن ، إذ أبت عليه نفسه أن يضعف فيسترحم كما فعل زملاؤه . بل إن له في هذه الفترة لأبياتاً ثائرة لا تقل عنفاً عن أشد الثورات المسلحة . وليس طبيعياً أن يكون هذا الشعر الثائر وسيلة للعفوعه . من ذلك قوله :

فحتم نسري في دياجير محنة	يضيق بها عن صحبة السيف غمده
إذا المرء لم يدفع يد الجور إن سطت	عليه فلا يأسف إذا ضاع مجده
عفاء على الدنيا إذا المرء لم يعش	بها بطلاً يحمي الحقيقة شدّه
وإني أمرؤ لا أستكين لصوله	وإن شدّ ساقي دون مسعاي قدّه

بل لقد كانت هذه الأبيات وأمثالها أدنى إلى إثارة حفيظة الإنجليز وحفيظة صاحب العرش في مصر عليه . وما كان زهده وإسلامه أمره الله ليمحو أثرها ، أولينها حجة على أنه ضعف ، فتاب عما قدّم ، وندم على ما انطوت عليه نفسه من حبّ المجد وطلابه . وطال به النفي سبعة عشر عاماً كان قول الشعر ، كما كان اختيار أجود ما قاله الأقدمون ، سلوته فيها . فلما تقدّمت به السنّ ، وطال به النوى ، وتخطّف الموت في أثناء ذلك ابنته وزوجه وأصحابه ، بدأ بصره يضعف ، وصحته تضمحلّ ، ونذر الفناء تدبّ إليه . هنالك رأى أولو الأمر أن يعود المنفيون من سيلان إلى بلادهم . وعاد البارودي مهيض الجناح

محطماً ليس فيه « غير أشلاء همة في ثياب » . لكنه عاد يحمل معه كتاب الخلود الذي لا يبلى . ذلك هو ديوان شعره الذي تقدمه للقراء .

وللأقدار سخرية يالها من سخرية ! فهذا الرجل الذي بعث العربية في أفصح لفظ وأمتن ديباجة ، وخلع عليها من الجلال والجمال مارداً إليها كل قوتها وكل بلاغتها ، قد عفا عنه خديوي مصر بأمر كريم هذا نصه :

« بناءً على الإنهاء المرفوع لنا من محمود سامي بالتماس الإحسان عليه بالتمتع بالحقوق الوطنية قد اقتضت مكارمنا منح المومي إليه التمتع بالحقوق الوطنية . وعلى ذلك فيجوز له من الآن امتلاك أي ملك من أي نوع كان في الأقطار المصرية بطريق الإرث أو الهبة أو البيع أو بأي طريقة كانت الذي كان محروماً منه بمقتضى الأمر العالي الصادر في ١٤ من ديسمبر سنة ١٨٨٢ (٣٠ من صفر سنة ١٣٠٠) وأصدرنا هذا لعطوفتكم لإجراء مقتضاه » .

عباس حلمي

وتاريخ هذا الأمر ١٨ من المحرم سنة ١٣١٨ (١٧ من مايو سنة ١٩٠٠) .
فلما صدر هذا الأمر وردته السفينة إلى وطنه ، كان أول ما قاله إثر عودته قصيدته التي مطلعها :

أبابل رأي العين أم هذه مصر فإني أرى فيها عيوناً هي السحر
ونزل البارودي مصر ، فكانت أوبته إليها عيداً نشر البشر في عالم الأدب كله .
أصبح منزله ندوة الأدباء والشعراء وذوي المكانة ، يأنسون إليه ويأنس إليهم ، ويستمتعون بحديثه ، ويرى في مجالستهم ما يأسو الجراح التي أدمت قلبه سنوات النفي الطوال . فإذا خلا إلى نفسه رتب مختاراته ، وعني بتنقيح ديوانه يريد إعدادهما للطبع . ولقد بذل في

ذلك مجهوداً يدلّ على حبه شعره وإيمانه به . وأصول الديوان تشهد بهذا المجهود . فأنت ترى الأبيات التي حذفها من بعض القصائد ، والأبيات الأخرى التي غيرها كلها أو بعضها ، شهيدة على صدق إيمانه بأن العبقرية مجهود متّصل في سبيل الكمال .

وقضى في مصر أربع سنوات ذهب أثناءها ما بقي من بصره ، فإذا ربح الوطن ووفاء بنيه يعزّيانه عن نور البصر ، وعن كل ما في الحياة . فلما كانت الأيام الأخيرة من شهر ديسمبر سنة ١٩٠٤ (السادس من شوال سنة ١٣٢٢) لبي داعي ربّه تاركاً لمصر وللعالم العربيّ هذا التراث الذي لا يبلى ، ولا يعدو عليه الموت ، ولا يجني عليه النسيان .

لبي نداء ربّه ولم يكن قد طبع المختارات ولا الديوان ، فتولّت أرملة التي تزوّجها بسرنديب طبع المختارات وطبع الجزءين الأوّل والثاني من الديوان (إلى آخر قافية اللام) .

وحسب الباروديّ ديوانه آية لمجده وتراثاً للأجيال بعده . فهذا الديوان تمثال عبقرية خالدة ، وهو باق لذلك بقاء الأبد أيّاً كان الشاعر الذي ينسب إليه . فما بالك وهو صورة صادقة لحياة صاحبه ! . . . أو تستطيع الفنون مجتمعة أن تقيم تمثالاً يخلّد من هذا الشاعر الملهم ما يخلّده شعره النابض بالحياة وأنغامها ، والذي بعث العربية خلقاً جديداً ؟
أدع الجواب لأرباب الفنّ ولقرّاء الديوان .

محمد حسين هيكل

شكر

أمدنا السيد « أشرف البارودي » بن « محمود سامي البارودي باشا » بالأصل المخطوط لديوان شعر والده . واهتم بإحياء ذلك التراث الأدبي « محمود فهمي النقراشي باشا » و « جعفر ولي باشا » من الوزراء السابقين لوزارة المعارف (التربية والتعليم) . وقدّمه ببحثٍ قيّم الكاتب الصحفي والوزير الأديب الدكتور « محمد حسين هيكل باشا » ، فكان حقاً علينا أن ننوّه بهم ، ونشكر لهم ، ثم لكلّ من له أثر صالح في إظهار هذا الديوان .

شارحا الديوان

مقدّمة الديوان

قال الفقيرُ إلى رَحْمَةِ اللهِ تَعَالَى مُحَمَّدُ الْبَارُودِيُّ :

اللَّهُمَّ إِنِّي أَحْمَدُكَ عَلَى مَا هَدَيْتَ ، وَأَشْكُرُكَ عَلَى جَزِيلِ مَا أَسَدَيْتَ ، وَأَسْتَعِينُكَ
عَلَى رِعَايَةِ مَا أَسْبَغْتَ مِنَ النُّعْمِ ، وَأَسْتَهْدِيكَ لِشُكْرِ مَا أَثَبْتَ مِنَ الدَّعْمِ ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ
عَثْرَاتِ اللُّسَانِ ، وَغَفَلَاتِ الْجَنَانِ ، كَمَا أَعُوذُ بِكَ مِنْ غَدَرَاتِ الزَّمَانِ ، وَبَغَاتِ
الْحَدَثَانِ ، وَأَسْأَلُكَ اللُّطْفَ فِيمَا قَضَيْتَ ، وَالْمَعُونَةَ عَلَى مَا أَمْضَيْتَ ، وَأَسْتَغْفِرُكَ مِنْ قَوْلِ
يَعْقُبُهُ النَّدَمُ ، أَوْ فِعْلِ تَزَلُّ بِهِ الْقَدَمُ ، فَأَنْتَ الثِّقَةُ لِمَنْ تَوَكَّلَ عَلَيْكَ ، وَالْعِصْمَةُ لِمَنْ فَوَّضَ
أَمْرَهُ إِلَيْكَ ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُكَ الْأَمِينُ ، وَشَفِيعُكَ الضَّمِينُ ، الَّذِي بَعَثْتَهُ بِالنُّورِ
الْبَاهِرِ ، وَالْبُرْهَانِ الْقَاهِرِ ، فَقَامَ بِالْحَقِّ صَادِعًا ، وَلِلضَّلَالَةِ رَادِعًا ، حَتَّى ثَبَتَ الدِّينُ ،
وَوَضَعَ الْيَقِينَ ، اللَّهُمَّ فَصَلِّ عَلَيْهِ مَا أَشْرَقَ النُّجْمُ ، وَأَوْرَقَ الشَّجَرُ وَالنَّجْمُ^(١) ، وَعَلَى آلِهِ
بُدُورِ الْمَحَافِلِ ، وَأَصْحَابِهِ صُدُورِ الْجَحَافِلِ ، صَلَاةً يَهْتَرُّ لَهَا الْفَلَكَ ، وَيَتَنَزَّلُ بِرِضْوَانِهَا
الْمَلَكُ ، وَاحْشُرْنَا فِي زُمْرَتِهِمْ مَعَ الْقَوْمِ الْفَائِزِينَ ، وَلَا تَجْعَلْنَا مِنَ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا
الضَّالِّينَ ، آمِينَ .

وبعدُ فإنَّ الشُّعْرَ لَمَعَةٌ خَيَالِيَّةٌ يَتَأَلَّقُ وَمِيضُهَا فِي سَمَاوَةِ الْفِكْرِ ، فَتَنْبَعِثُ أَشِعَّتُهَا إِلَى

(١) النجم من النبات: ما لا يقوم على ساق.

صَحِيفَةِ الْقَلْبِ ، فَيَفِيضُ بِأَلَايِهَا نُورًا يَتَّصِلُ خَيْطُهُ بِأَسَلَةِ (٢) اللِّسَانِ ، فَيَنْفُثُ بِاللَّوَانِ مِنَ الْحِكْمَةِ يَنْبَلِجُ بِهَا الْحَالِكُ ، وَيَهْتَدِي بِدَلِيلِهَا السَّالِكُ ، وَخَيْرُ الْكَلَامِ مَا ائْتَلَفَتْ الْفَاطَةُ ، وَائْتَلَقَتْ مَعَانِيهِ ، وَكَانَ قَرِيبَ الْمَأْخِذِ ، بَعِيدَ الْمَرَمَى ، سَلِيمًا مِنْ وَصْمَةِ التَّكْلِيفِ ، بَرِيثًا مِنْ عَشْوَةِ التَّعْسُفِ ، غَنِيًّا عَنْ مُرَاجَعَةِ الْفِكْرَةِ ، فَهَذِهِ صِفَةُ الشَّعْرِ الْجَيِّدِ ، فَمَنْ آتَاهُ اللَّهُ مِنْهُ حِظًّا ، وَكَانَ كَرِيمَ الشَّمَائِلِ ، طَاهِرَ النَّفْسِ ، فَقَدْ مَلَكَ أَعِنَّةَ الْقُلُوبِ ، وَنَالَ مَوْدَةَ النَّفُوسِ ، وَصَارَ بَيْنَ قَوْمِهِ كَالْغُرَّةِ فِي الْجَوَادِ الْأَذْهَمِ ، وَالبَدْرِ فِي الظَّلَامِ الْأَيْهَمِ (٣) ، وَلَوْ لَمْ يَكُنْ مِنْ حَسَنَاتِ الشَّعْرِ الْحَكِيمِ إِلَّا تَهْدِيْبُ النَّفُوسِ ، وَتَدْرِيْبُ الْأَفْهَامِ ، وَتَنْبِيْهُ الْخَوَاطِرِ إِلَى مَكَارِمِ الْأَخْلَاقِ ، لَكَانَ قَدْ بَلَغَ الْغَايَةَ الَّتِي لَيْسَ وِرَاءَهَا لِذِي رَغْبَةٍ مَسْرُوحٌ ، وَارْتَبَاءً (٤) الصَّهْوَةَ الَّتِي لَيْسَ دُونَهَا لِذِي هِمَّةٍ مَطْمَحٌ ، وَمِنْ عَجَائِبِهِ تَنَافُسُ النَّاسِ فِيهِ ، وَتَغَايُرُ الطَّبَاعِ عَلَيْهِ ، وَصَغُورُ الْأَسْمَاعِ إِلَيْهِ ، كَأَنَّمَا هُوَ مَخْلُوقٌ مِنْ كُلِّ نَفْسٍ ، أَوْ مَطْبُوعٌ فِي كُلِّ قَلْبٍ ، فَإِنَّكَ تَرَى الْأُمَّمَ عَلَى اخْتِلَافِ السِّيْتِهِمْ ، وَتَبَايُنِ اخْتِلَافِهِمْ ، وَتَعَدُّدِ مَشَارِبِهِمْ ، لِهَجِينِ بِهِ ، عَاكِفِينَ عَلَيْهِ ، لَا يَخْلُو مِنْهُ جِيلٌ دُونَ جِيلٍ ، وَلَا يَخْتَصُّ بِهِ قَبِيلٌ دُونَ قَبِيلٍ ، وَلَا غَرَوٌ ، فَإِنَّهُ مَعْرُضُ الصِّفَاتِ ، وَمَتَجَرُّ الْكَمَالَاتِ ، وَلَقَدْ سَمِعَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ) قَوْلَ زُهَيْرِ بْنِ أَبِي سُلَيْمٍ :

فَإِنَّ الْحَقَّ مَقْطَعُهُ ثَلَاثٌ يَمِينٌ أَوْ نِفَارٌ أَوْ جَلَاءٌ

فَجَعَلَ يَعْجَبُ مِنْ مَعْرِفَتِهِ بِمَقَاطِعِ الْحِكْمَةِ وَتَفْصِيلِهَا .

وَلِلشَّعْرِ رُتْبَةٌ لَا يَجْهَلُهَا إِلَّا مَنْ جَفَا طَبْعُهُ ، وَنَبَأَ عَنْ قَبُولِ الْحِكْمَةِ سَمْعُهُ ، فَهُوَ حَلِيَّةٌ

يَزْدَانُ بِجَمَالِهَا الْعَاطِلُ ، وَعُودَةٌ لَا يَتَطَّرَقُ إِلَيْهَا الْبَاطِلُ .

(٢) أسلة اللسان : طرفه .

(٣) الأيهم : الصعب الشديد الحال الذي لا يهتدى فيه .

(٤) ارتبأ : علا وأشرف .

وَلَقَدْ كُنْتُ فِي رَيْعَانِ الْفُتُورَةِ ، وَأَنْدِفَاعِ الْقَرِيحَةِ بَتِيَارِ الْقُوَّةِ ، أَلْهَجُ بِهِ لَهَجَ الْحَمَامِ
بِهَدِيدِهِ ، وَأَنْسُ بِهِ أَنْسَ الْعَدِيلِ بَعْدِيلِهِ ، لَا تَذُرُّعًا إِلَى وَجْهِ أَنْتَوِيهِ ، وَلَا تَطْلُعًا إِلَى غُنْمِ
أَحْتَوِيهِ ، وَإِنَّمَا هِيَ أَغْرَاضٌ حَرَّكَتَنِي ، وَإِبَاءٌ جَمَعَ بِي ، وَغَرَامٌ سَالَ عَلَى قَلْبِي ، فَلَمْ
أَتَمَّاكَ أَنْ أَهْبْتُ ، فَحَرَّكَتُ بِهِ جَرَسِي ، أَوْهَتَفْتُ فَسَرَّيْتُ بِهِ عَنْ نَفْسِي ، كَمَا قُلْتُ :

تَكَلَّمْتُ كَالْمَاضِينَ قَبْلِي بِمَا جَرَتْ بِهِ عَادَةُ الْإِنْسَانِ أَنْ يَتَكَلَّمَ
فَلَا يَعْتَمِدُنِي بِالْإِسَاءَةِ غَافِلٌ فَلَا بُدَّ لِابْنِ الْأَيْكِ أَنْ يَتَرَنَّمَا

وَقَدْ يَقِفُ النَّاطِرُ فِي دِيوَانِي هَذَا عَلَى أَبِياتٍ قُلْتُهَا فِي شَكْوَى الزَّمَانِ ، فَيُظَنُّ بِي سُوءًا
مِنْ غَيْرِ رَوِيَّةٍ يُجِيلُهَا ، وَلَا عِذْرَةَ يَسْتَبِينُهَا ، فَإِنِّي إِذَا ذَكَرْتُ الدَّهْرَ فَإِنَّمَا أَقْصِدُ بِهِ الْعَالَمَ
الْأَرْضِيَّ لِكَوْنِهِ فِيهِ ، مِنْ قَبِيلِ ذِكْرِ الشَّيْءِ بِاسْمِ غَيْرِهِ لِمُجَاوَرَتِهِ إِيَّاهُ ، كَقَوْلِهِ تَعَالَى :
﴿ وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ ﴾^(٥) أَيِ أَهْلِ الْقَرْيَةِ ، وَكَمَا قَالَ أَبُو كَبِيرٍ عَامِرُ ابْنِ حُلَيْسٍ الْهُدَلِيُّ :

عَجِبْتُ لِسَعْيِ الدَّهْرِ بَيْنِي وَبَيْنَهَا فَلَمَّا انْقَضَى مَا بَيْنَنَا سَكَنَ الدَّهْرُ
فَإِنَّهُ أَرَادَ بِسَعْيِ الدَّهْرِ سَعْيَ أَهْلِ الدَّهْرِ بِالنَّمَائِمِ وَالْوَشَايَاتِ ، فَلَمَّا انْقَضَى مَا كَانَ
بَيْنَهُمَا مِنَ الْوَصْلِ ، سَكَنُوا وَتَرَكَوا السَّعَايَةَ ، وَلِهَذَا أَمْثَلَهُ كَثِيرَةٌ .

لَا أَقُولُ ذَلِكَ تَبَرُّؤًا مِنَ الْوَهْمِ ، وَلَا اعْتِمَادًا عَلَى صِحَّةِ الْفَهْمِ ، فَإِنَّ الْمَرْءَ وَإِنْ كَثُرَ
إِحْسَانُهُ ، لَا يَسْلَمُ مِنَ الزَّلَّةِ لِلسَّانِ ، وَقَلَّ مَنْ تَوَعَّلَ فِي حَرَاجَاتِ الْقَرِيضِ ، فَفَجَأَ قَبْلَ أَنْ
يَغْصَّ بِالْجَرِيضِ^(٦) ، وَلَقَدْ ذَكَرْتُ مَرَّةً قَوْلَ أَبِي الْمِنْهَالِ بْنِ بَقِيلَةَ الْأَكْبَرِ^(٧) .

وَإِنَّمَا الشُّعْرُ لُبُّ الْمَرْءِ يَعْرِضُهُ عَلَى الْمَجَالِسِ إِنْ كَيْسًا وَإِنْ حَمِيمًا

(٥) الآية ٨٢ من سورة يوسف .

(٦) الجريض : الريق . والمراد بقوله : « قبل أن يغص بالجريض » ، قبل أن يصيبه التقصير والعي .

(٧) اسمه بقيلة الأكبر أبو المنهال : شاعر أشجعي إسلامي ، كان في زمن عمر بن الخطاب .

وإن أشعر بيت أنت قائله بيت يُقال إذا أنشدته صدقا

ثم عرض لي قول الحطيئة (٨) :

الشعرُ صعبٌ وطويلٌ سلّمه إذا ارتقى فيه الذي لا يعلمه
زلت به إلى الحضيض قدمه والشعرُ لا يستطيعه من يظلمه
يريد أن يعرّبه فيعجمه

فَعَزَمْتُ عَلَى الإِقْصَارِ قَبْلَ الإِحْصَارِ (٩) تَفَادِيًا مِنْ خَطَا رُبَّمَا عَرَضَ أَوْ نَاقِدٌ رُبَّمَا
اعْتَرَضَ ، بَيِّدَ أَنِّي رَاجَعْتُ المَخِيلَةَ لِأَسْبَرُ هَذِهِ الدَّخِيلَةَ ، عَالِمًا أَنَّ لِلنَّفْسِ طَفْرَةً ، وَلِلْوَهْمِ
عِنْدَ التَّوَجُّسِ نَفْرَةً ، فَاشْفَقْتُ مِنْ هَذَا العَزْمِ ، بَعْدَ الإِضْرَارِ وَالجَزْمِ ، وَلَسْتُ بِأَوَّلِ مَنْ
عَدَلَ عَنِ رَأْيِهِ ، وَثَابَ عَنِ مُتَابَعَةِ وَايِهِ (١٠) ، فَهَذَا عُمَرُ بْنُ أَبِي رَبِيعَةَ ، لَمْ يُطَقْ أَنْ يُغَالِبَ
الطَّبِيعَةَ ، وَقَدْ كَانَ رَكِبَ مِنْ قُحْمَةٍ (١١) اليمِينِ عَقَبَةً ، أَلَّا يَلُوكَ بَيْتًا إِلَّا أَعْتَقَ رَقَبَةً ، فَلَمْ
يَلْبَثْ أَنْ هَاجَ بِهِ الحَنِينُ ، وَعَلِقَ بِمَدَارِجِ أَنْفَاسِهِ الأَيْنِ ، فَقَالَ كَلِمَتَهُ الَّتِي أَوَّلَهَا :

تَقُولُ وَلَيْدَتِي لَمَّا رَأَيْتَنِي طَرِبْتُ وَكُنْتُ قَدْ أَقْصَرْتُ حِينَا
ثُمَّ أَعْتَقَ لِكُلِّ بَيْتٍ عَبْدًا ، وَلَمْ يَجِدْ مِنَ المَقَالِ بُدًّا ، وَلَا بَدَعَ فِلائِنْسَانَ فُتُونُ
بِشْعَرِهِ ، وَوَلُوعُ بِنَاتِ فِكْرِهِ ، وَلَوْلَا ذَلِكَ مَا دَوَّنَ النَّاسُ أَشْعَارَهُمْ ، وَلَا اتَّخَذُوا حِلِيَةَ الأَدَبِ
شِعَارَهُمْ ، كَيْفَ لَا ؟ وَبِقَاءِ الذُّكْرَةِ حَيَاةُ الأَبَدِ ، وَحُبُّ الخُلُودِ أَطْمَعُ لُقْمَانَ فِي لُبْدِ (١٢) ،

(٨) هو أبو مليكة جرول الحطيئة العبسي : من فحول المخضرمين عمر طويلاً ، ومات سنة ٥٩ هـ .

(٩) الإحصار : العي والعجز .

(١٠) الوأي : الوعد الذي يوثقه المرء على نفسه .

(١١) القحمة : الأمر الشاق .

(١٢) لبد : آخر نسور لقمان ، ظن أنه لبد أي أقام وخلد فلا يموت . ولقمان هذا رجل مؤمن من قوم

وإني وإن لم أكن من فرسان هذه الغارة ، ولا من رماة الحدق^(١٣) في مثل هذه القارة^(١٤) ، فالتخلق بأخلاق الكرام محمّدة ، والتعلق بأذيال الخمول مفسدة ، ولله در من قال :

عَلِيَّ السَّعْيُ فِي طَلَبِ الْمَعَالِي وَلَيْسَ عَلَيَّ إِذْرَاكُ الْمَرَامِ
وَاللَّهِ أَسْأَلُ أَنْ يُلْهِمَنِي الصُّوَابَ ، وَلَا يَحْرِمَنِي الثُّوَابَ ، إِنَّهُ أَكْرَمُ مَسْئُولٍ ، وَأَفْضَلُ
مَأْمُولٍ ، آمِينَ .

عاد قيل إنه عمّر طويلاً، واختار أن يبقى في الدنيا بقاء سبعة أنسر، كلما هلك نسر خلفه نسر آخر، وكان لبد آخر هذه النسور، فكان لقمان يطعم في خلود ذلك النسر ليبقى حياً ببقائه .
(١٣) الحدق: جمع حدقة (بفتحتين)، وهي من العين سوادها الأعظم . ورماة الحدق هم المهرة في النضال .
(١٤) القارة: الأرض ذات الحجارة السود ، وقوم رماة من العرب .

قافية الهزمة

قال في النسيب :

صِلَّةُ الْخَيْالِ عَلَى الْبِعَادِ لِقَاءُ
يَا هَاجِرِي مِنْ غَيْرِ ذَنْبٍ فِي الْهَوَى
أَغْرَيْتَ لِحَظِّكَ بِالْفُؤَادِ فَشَفَّهُ
هِيَ نَظْرَةٌ فَاْمُنُّنْ عَلَيَّ بِأُخْتِهَا
أَنَا مِنْكَ مَطْوِيٌّ الْفُؤَادِ عَلَى جَوَى
لَا أَنْتَ تَرْحَمُنِي وَلَا نَارُ الْهَوَى
فَانظُرْ إِلَيَّ تَجِدْ خَيْالَةَ صُورَةٍ
رَقَّتْ لِي الْوَرَقَاءُ فِي عَذْبَاتِهَا
لَوْ كَانَ يَمْلِكُ عَيْنِي الْإِغْفَاءُ^(١)
مَهْلًا فَهَجْرُكَ وَالْمَنْوُنُ سَوَاءُ
وَمِنَ الْعُيُونِ عَلَى النَّفُوسِ بَلَاءُ^(٢)
فَالْخَمْرُ مِنَ أَلْمِ الْخُمَارِ شِفَاءُ^(٣)
لَوْ لَا الدُّمُوعُ ذَكَتَ بِهِ الْحَوْبَاءُ^(٤)
تَخْبُو وَلَا لِلنَّفْسِ عَنْكَ عَزَاءُ
لَمْ يَبْقَ فِيهَا لِلْحَيَاةِ ذَمَاءُ^(٥)
وَبَكَتْ عَلَيَّ بِدَمْعِهَا الْأَنْدَاءُ^(٦)

(١) يريد بالخيال: طيف الحبيب.

(٢) أغريت: أولعت. واللحظ: النظر بمؤخر العين، والمراد النظرة الفاتنة الساحرة. وشفه: هزله وآلمه. والبلاء: الفتنة والعذاب.

(٣) الخمار: ما يصيب المخمور من الصداق وأذى الخمر.

(٤) ذكت: اشتعلت وتوقدت واحترقت، والمراد هلكت. والحوباء: النفس.

(٥) الخيالة: الطيف والصورة. والذماء: الحركة وبقية النفس.

(٦) الورقاء: الحمامة في لونها بياض إلى سواد. والعذبات: الأغصان. والأنداء: جمع ندى وهو المطر.

وَتَحَدَّثْتُ رُسُلَ النَّسِيمِ بِلَوْعَتِي
 كَلَفٍ تَنَاقَلُهُ الْحَمَامُ عَنِ الصَّبَا
 فَبِقَلْبِ كُلِّ فَتَى غَرَامٌ كَامِنٌ
 فَدَعِ التَّكْهُنَ يَا طَبِيبُ فَإِنَّمَا
 أَلَمُ الصَّبَابَةِ لَذَّةٌ تَحْيَا بِهَا
 وَبِمُهْجَتِي رَشِيئَةٌ مِنْ دُونِهَا
 هَيْفَاءُ مَالٍ بِهَا النَّعِيمُ فَخَطُوهَا
 تَرْنُوبًا حُورًا لَوْ تَمَكَّنَ لِحُظُّهُ
 حَكَمَ الْجَمَالَ لَهَا بِمَا تَخْتَارُهُ
 غَضِبْتُ عَلَيَّ وَمَا جَنَيْتُ وَرُبُّمَا
 طَافَ الْوُشَاةُ بِهَا فَكَانَ لِقَوْلِهِمْ
 لَوْلَا النَّمِيمَةُ لَمْ يَقَعْ بَيْنَ أَمْرِي
 أَشَقِيقَةَ الْقَمَرَيْنِ أَيُّ وَسِيلَةَ

فَلِكُلِّ غُضْنٍ نَحْوَهَا إِضْفَاءُ
 فَصَبْتُ إِلَيْهِ الْغَيْدُ وَالشُّعْرَاءُ^(٧)
 وَبِعِطْفِ كُلِّ مَلِيحَةٍ خِيَلَاءُ
 دَائِي الْهَوَى وَلِكُلِّ نَفْسٍ دَاءُ
 نَفْسِي وَدَائِي لَوْ عَلِمْتَ دَوَاءُ
 أُسْدٌ لَهَا قَصَبُ الرِّمَاحِ أَبَاءُ^(٨)
 دُونَ الْقَطَاةِ وَنُطْقُهَا إِيمَاءُ^(٩)
 مِنْ صَخْرَةٍ لَأَرْفُضَ مِنْهَا الْمَاءُ^(١٠)
 فَتَحَكَّمْتُ فِي النَّاسِ كَيْفَ تَشَاءُ
 حَمَلَ الْمَشُوقُ الذَّنْبَ وَهُوَ بَرَاءُ
 فِي مِسْمَعَيْهَا رَنَّةٌ وَحُدَاءُ^(١١)
 وَأَخِيهِ مِنْ بَعْدِ الْوِدَادِ عِدَاءُ^(١٢)
 تُذْنِي إِلَيْكَ فَلَيْسَ لِي شَفَعَاءُ^(١٣)

(٧) الصبا: الريح تهب من مطلع الشمس عند العرب، وهي أحب الرياح إلى العرب. والغيد:

جمع غيداء، وهي المرأة الناعمة المثنية لينا.

(٨) رشيئة: نسبة إلى الرشا وهو الظبي، أي الغزال إذا قوي ومشى مع أمه، وتشبه به الحسناء في

جمال العينين والجيد والرشاقة ولطف الحركة. والأباء: الأجمة.

(٩) القطاة: واحدة القطا، وهو نوع من الحمام.

(١٠) أحور: صفة من الحور (بفتحتين) وهو شدة بياض العين في شدة سوادها. وارفض: خرج

وترشش.

(١١) الوشاة: جمع واش، وهو من يسعى بالفساد والتفرقة بين الناس. والحداء: غناء الحادي،

المراد أنها تأثرت بقول الوشاة.

(١٢) النميمة: السعاية والوشاية والإفساد.

(١٣) القمران: الشمس والقمر.

جُودِي عَلَيَّ وَلَوْ بَوَعْدِ كَاذِبٍ
 وَثَقِي بِكَيْتَمَانِ الْحَدِيثِ فَإِنَّمَا
 لَا تَرْهَبِي قَوْلَ الْوُشَاةِ فَإِنَّهُمْ
 زَعْمُوكِ شَمْسًا لَا تَلُوحُ بِظُلْمَةٍ
 فَعَلَامَ تَخْشِينَ الزِّيَارَةَ بَعْدَمَا
 هِيَ زَلَّةٌ فِي الرَّأْيِ مِنْهُمْ أَعْقَبْتَ
 كَيْدُ الْغَيْبِيِّ مَسَاءَةً لِضَمِيرِهِ
 وَالنَّاسُ أَشْبَاهُ وَلَكِنْ فَرَّقْتَ
 وَالنَّفْسُ إِنْ صَلَحَتْ زَكَتْ وَإِذَا خَلَتْ
 لَوْلَمْ يَكُنْ بَيْنَ الرَّجَالِ تَفَاوُتٌ
 وَلَقَدْ بَلَّوْتُ النَّاسَ فِي أَطْوَارِهِمْ
 فَإِذَا الْمَوَدَّةُ خَلَّةٌ مَكْدُوبَةٌ
 كَيْفَ الْوُثُوقُ بِذِمَّةٍ مِنْ صَاحِبٍ
 لَوْ كَانَ فِي الدُّنْيَا وَدَادُ صَادِقٌ
 فَانْقُضْ يَدَيْكَ مِنَ الزَّمَانِ وَأَهْلِهِ

وقال يمدح الخديوي « عباس حلمي باشا الثاني » ، ويشكره على ما أولاه من حسن

(١٤) اليد: النعمة والصنيعة. وبيضاء: ظاهرة مشهورة.

(١٥) الازديار: الزيارة. والشطر الثاني مطلع قصيدة أبي الطيب المتنبى.

(١٦) زكت: استقامت أمورها، وصلحت أحوالها.

(١٧) بلوت الناس: خبرتهم. والإبلاء: مصدر أبليته، بمعنى بلوته وامتحنته.

(١٨) الخلة: الخصلة. ورياء: نفاق.

(١٩) بين الخلتين: بين الصديقتين.

الرُّضَا ، وَذَلِكَ بَعْدَ عَوْدَتِهِ مِنْ « سَرَنْدِيبَ » سَنَةَ سَبْعَ عَشْرَةَ وَثَلَاثِمِائَةَ وَأَلْفٍ هَجْرِيَّةً
(١٣١٧ هـ أو آخر سنة ١٨٩٩ م) :

عَبَّاسُ يَا خَيْرَ الْمُلُوكِ عَدَالَةً وَأَجَلَ مَنْ نَطَقَ أَمْرًا بِثَنَائِهِ
أَوْلَيْتَنِي مِنْكَ الرُّضَا وَجَلَوْتَ لِي وَجْهًا قَرَأْتُ الْبِشْرَ فِي أَثْنَائِهِ
فَأَسْلَمَ لِمُلْكِكَ أَنْتَ بَدْرُ سَرِيرِهِ وَعِمَادُ قُوَّتِهِ وَنَصْرُ لَوَائِهِ
يَأْيُهَا الصَّادِي إِلَى نَيْلِ الْمُنَى رَدَّ بَحْرَ سُدَّتِهِ تَفْزُ بِوَلَائِهِ^(١)
هُوَ ذَلِكَ الْمَلِكُ الَّذِي وَرِثَ الْعُلَا عَنْ نَفْسِهِ شَرَفًا وَعَنْ آبَائِهِ
الْعَدْلُ مِنَ أَخْلَاقِهِ وَالْعِلْمُ مِنَ أَوْصَافِهِ وَالْحِلْمُ مِنَ أَسْمَائِهِ
لَا غَرَوْا أَنْ جَمَعَ الْمَحَامِدَ يَافِعًا وَسَمَا بِهَيْمَتِهِ عَلَى نُظَرَائِهِ
فَالْعَيْنُ وَهِيَ صَغِيرَةٌ فِي حَجْمِهَا تَسْعُ الْفَضَاءَ بِأَرْضِهِ وَسَمَائِهِ
وقال يَهْنُئُهُ بِوَلَدِهِ الْأَمِيرِ « مُحَمَّدِ عَبْدِ الْقَادِرِ » سَنَةَ تِسْعَ عَشْرَةَ وَثَلَاثِمِائَةَ وَأَلْفٍ
هَجْرِيَّةً (١٣١٩ هـ - ١٩٠١ م) :

أَهْلَالُ أَرْضٍ أَمْ هِلَالُ سَمَاءٍ شَمِلَ الزَّمَانَ وَأَهْلُهُ بِضِيَاءٍ ؟
بَدَرَتْ لَوَامِعُ مِنْهُ شَقٌّ وَمِيضُهَا حُجْبَ الظَّلَامِ فَمَاجَ فِي الْأَاءِ
وَبَدَتْ أَسْرَتُهُ فَكَانَتْ غُرَّةً لِلْمُلْكِ فَوْقَ أَسْرَةِ الْجَوَازِ^(١)
نُورٌ تَوَلَّدَ بَيْنَ بَدْرِ طَالِعٍ فِي أَوْجِ عِزَّتِهِ وَشَمْسٍ عِلَاءِ
أَكْرِمٍ بِطَلْعَتِهِ هِلَالًا لَمْ يَنْزَلْ يَعْنُو إِلَيْهِ هِلَالٌ كُلُّ لَوَاءِ^(٢)

(١) الصادي : العطشان . والسدة : باب الدار أو فناؤها ، والمراد قصره الشبيه بالبحر .
(١) الأسرة : خطوط الجبهة ، ومحاسن الوجه ، مفردا سرار . والجوزاء : برج من بروج السماء .
والمراد بأسرة الجوزاء : منازلها في السماء . وهذا كناية عن الرفعة والعلاء .

(٢) يعنو : يخضع .

هُوَ مَوْلِدُ عَمِّ (الْكِنَانَةَ) نُورُهُ
لَيْسَتْ بِهِ الدُّنْيَا جَمَالَ شَبَابِهَا
فَاهِنًا « بَعْبِدِ الْقَادِرِ » الشُّهُمِ الَّذِي
وَاسَعَدَ بِهِ وَأَخِيهِ يَا ابْنَ مُحَمَّدٍ
وَلَسَوْفَ تَنْجُمُ أَنْجُمَ عَلَوِيَّةٍ
مِنْهَا صُدُورٌ مَحَافِلٍ وَجَحَافِلٍ
وَيَوَارِقُ تَنْهَلُ فِينَا بِالنَّدَى
وَكَاثِنِي بِكَ بَيْنَهُمْ مُتَرْفِعًا
فَانْعَمْ بِعِزِّكَ يَا مَلِيكَ وَلَا تَزَلْ
لَا زِلْتَ مَعْمُورِ الْفِنَاءِ مُهِنًا

وقال يذكر أياماً مضت له بالجيزة :

غَادِ النَّدَى بِالْجِيزَةِ الْفِيحَاءِ
وَالْمَخِ بِطَرْفِكَ مَا وَحْتَهُ يَدُ الصَّبَا
مِنْ كُلِّ حَرْفٍ فِيهِ مَعْنَى صَبْوَةٍ
وَاحِدُ الصُّبُوحِ بِنَعْمَةِ الْوَرَقَاءِ (١)
فَوْقَ الْغَدِيرِ تَجِدُ حُرُوفَ هِجَاءِ (٢)
تَتَلَوُّ بِهِ الْوَرَقَاءُ لَحْنَ غِنَاءِ

(٣) الكنانة (في الأصل): جعبة السهام، والمراد بها مصر.

(٤) تنجم: تطلع. وتجلو: تكشف وتوضح.

(٥) الجحافل: جمع جحفل، وهو الجيش. والأقضية: جمع قضاء، وهو الحكم. والمراد بيوم اللقاء: يوم الحرب.

(٦) الخضراء: السماء.

(٧) مقاليد: جمع مقلد، وهو المفتاح.

(١) الفيحاء: الواسعة. والصبوح: الخمر تشرب في الصباح. والورقاء: الحمامة في لونها بياض إلى سواد.

(٢) وحته: كتبه. والصبأ: الريح تهب من مطلع الشمس.

مَيْدَانُ سَبَقَ لِلْخَلَاعَةِ أَشْرَقَتْ فِيهِ الْكُمَيْتُ بِغُرَّةٍ غَرَاءٍ^(٣)
حَمْرَاءُ دَارَ بِهَا الْحَبَابُ كَانَهَا شَفَقُ بَدَتْ فِيهِ نُجُومُ سَمَاءٍ^(٤)
هِيَ كَالْأَشْعَةِ غَيْرَ أَنَّ ضِيَاءَهَا مِنْ ذَاتِهَا لَا مِنْ تُقُوبِ ضِيَاءِ
وَإِذَا رَجَعْتَ إِلَى الْيَقِينِ فَإِنَّهَا نَارٌ تَحَلَّلُ جِسْمُهَا فِي مَاءِ
تَجْرِي فَتَفْعَلُ بِالْعُقُولِ كُؤُوسُهَا مَا تَفْعَلُ الْأَلْحَاطُ بِالْأَحْشَاءِ
خَفِيَتْ عَلَى الْأَحْقَابِ فَهِيَ ذَخِيرَةٌ مِنْ عَهْدِ آدَمَ أُودِعَتْ بِوِعَاءٍ^(٥)
مَحَقَّ الْفَنَاءِ وَجُودَهَا فَتَزَايَلَتْ إِلَّا نَسِيمًا شَفَّ عَنْ حَوْبَاءٍ^(٦)
هِيَ جَمْرَةُ الْفُرْسِ الَّتِي سَجَدَتْ لَهَا أَمْلاكَهَا فِي سَالِفِ الْأَنْاءِ^(٧)
فَانْهَضُ إِلَى شُرْبِ الصُّبُوحِ فَقَدْ بَدَا شَيْبُ الصَّبَاحِ بِلِمَّةِ الظُّلْمَاءِ^(٨)
وَتَرَنَّمتُ فِي وَكْرِهَا سَحْرِيَّةٌ تُغْنِي الْمَقَامَةَ عَنْ صَفِيرِ النَّاءِ^(٩)
وَرَقَاءُ تَسْجَعُ فِي سَمَاوَةِ أَيَكَةِ مَوْشِيَّةِ الْعَذَبَاتِ بِالْأَنْدَاءِ^(١٠)

(٣) الكميت: الخمر فيها سواد وحمرة. والغرة: بياض في جبهة الفرس، والمراد الرغوة. وغراء: بيضاء مشرقة.

(٤) الحباب: الفقاقيع التي تطفو على الشراب.

(٥) الأحقاب: جمع حقب، وهو الدهر أو السنة. والذخيرة: ما يختاره الإنسان ويدخره لوقت الحاجة. والمعنى أنها معتقة جيدة.

(٦) تزايلت: تفرقت. والحوباء: النفس، ويراد بها (هنا): جوهر الخمر وقد رق وصفا.

(٧) يريد بجمرة الفرس: نارهم التي كانوا يعبدونها. والأناء: الأزمان.

(٨) الصبوح: الخمر تشرب في الصباح.

(٩) السحرية: طائر يغرد في السحر (قبيل الصبح). والمقامة: القوم. والناء: الناي، من آلات الطرب والغناء.

(١٠) ورقاء: حمامة رمادية اللون. وتسجع: تهدل، وتردد الصوت. والسماوة: السماء. والأيغة: شجرة ملتفة الأغصان، كثيرة الفروع. وموشية: مرقومة منقوشة مزينة. والعذبات: الأغصان.

والأنداء: جمع ندى، وهو البلل والمطر الخفيف.

تَبْكِي الْهَدِيلَ وَمَا رَأَتْهُ فَيَا لَهَا
قَدْ أَشْبَهْتَنِي فِي الْهَوَى لَكُنْهَا
مَالَ النَّسِيمِ بِهَا وَمَالَ بِي الْأَسَى
أَنَا يَا حَمَامَةً مِنْكَ أَعْلَمُ بِالْهَوَى
إِنِّي أَمْرُؤُ مَلَكِ الْوَدَادِ قِيَادَتِي
لَا أَسْتَرِيحُ إِلَى السُّلُوءِ وَلَوْ جَنَى
لَا ذِمَّتِي رَهْنُ الْفِكَاكِ وَلَا يَدِي
لَكِنِّي غَرَضٌ لَأَسْهُمِ حَاسِدٍ
مِنْ غَيْرِ مَا ذَنْبٍ جَنَيْتُ وَإِنَّمَا
تَعِسْتَ مُقَارَنَةَ اللَّئِيمِ فَإِنَّهَا
أَنَا فِي زَمَانٍ غَادِرٍ وَمَعَاشِرٍ
أَعْدَاءُ غَيْبٍ لَيْسَ يَسْلَمُ صَاحِبُ
أَقْبَحَ بِهِمْ قَوْمًا بَلَوْتُ إِخَاءَهُمْ
قَدْ أَضْبَحُوا لِلدَّهْرِ سُبَّةً نَاقِمٍ
وَأَشَدُّ مَا يَلْقَى الْفَتَى فِي دَهْرِهِ

مِنْ ذُكْرَةٍ عَرَضَتْ بِغَيْرِ لِقَاءِ (١١)
لَمْ تَحْكِنِي فِي لَوْعَتِي وَيُكَاثِي
إِشْتَانَ بَيْنَ نَعِيمِهَا وَشَقَائِي
فَدَعِيَ الْحَنِينَ فَلَسْتُ مِنْ أَكْفَائِي
وَجَرَى عَلَى صِدْقِ الْعُهُودِ وَفَائِي
خَلِّي عَلَيَّ وَلَا أَشِينُ وَلَائِي
تُلْقِي أَرْمَةَ عِفَّتِي وَحَبَائِي
وَارِي الْجَوَانِحَ مِنْ لَهَبِ عِدَائِي (١٢)
بُغْضُ الْفَضِيلَةِ شِيمَةُ الْجُهْلَاءِ
شَرَقُ النُّفُوسِ وَمِحْنَةُ الْكُرَمَاءِ (١٣)
يَتَلَوْنُونَ تَلَوْنَ الْجِرْبَاءِ
مِنْهُمْ وَإِخْوَةٌ مَحْضَرٍ وَرِخَاءِ (١٤)
فَبَلَوْتُ أَقْبَحَ ذِمَّةٍ وَإِخَاءِ (١٥)
فِي كُلِّ مَصْدَرٍ مِحْنَةٌ وَبَلَاءِ (١٦)
فَقَدْ الْكِرَامِ وَصُحْبَةُ اللَّؤْمَاءِ

(١١) الهديل (في ما تزعم العرب): جَدَّ لِلْحَمَامِ مَاتَ عَطْشًا، أَوْ ضَيْعَةً، أَوْ صَادَهُ جَارِحٌ مِنَ الطَّيْرِ
فَمَا مِنْ حَمَامَةٍ إِلَّا وَهِيَ تَبْكِي عَلَيْهِ. وَالذِّكْرَةُ: اسْمٌ مِنْ ذَكَرَتِ الشَّيْءَ بَعْدَ النِّسْيَانِ.

(١٢) وار: متقد. والجوانح: الضلوع تحت الترائب مما يلي الصدر.

(١٣) مقارنة اللئيم: مصاحبته.

(١٤) أعداء غيب: يتناولون الغائب بأسباب العداوة.

(١٥) بلوت: خبرت وامتحننت. والذمة: العهد والأمان.

(١٦) السببة: من يكثر الناس سببه. وناقم: كاره ساخط. والمحنة والبلاء: البلوى والشر والعذاب.

شَقِيَ ابْنُ آدَمَ فِي الزَّمَانِ بِعَقْلِهِ إِنَّ الْفَضِيلَةَ آفَةٌ الْعُقْلَاءِ (١٧)

وقال يَصِفُ أَيَّامَ الْخَرِيفِ :

تَوَازَنَ الصَّيْفُ وَالشِّتَاءُ
وَاضْطَلَحَتْ بَعْدَ طُولِ عَثْبٍ
فَلَا اضْطِحَارٌ وَلَا اِكْتِنَانٌ
تَبْتَهِجُ الْعَيْنُ فِي رِيَاضٍ
مَنَابِتُ زَرْعِهَا بِهِيجٌ
لِلطَّيْرِ فِي أَيِّهَا هَدِيلٌ
تَوَارَتْ الشَّمْسُ عَنْ ذَرَاهَا
فَالصُّبْحُ وَالظُّهْرُ وَالْعَشَايَا
فَلَا ضَبَابٌ وَلَا غَمَامٌ
فَقُمْ بِنَا نَغْتَنِمُ شَبَاباً
وَاعْتَدَلَ الصُّبْحُ وَالْمَسَاءُ (١)
بَيْنَهُمَا الْأَرْضُ وَالسَّمَاءُ
وَلَا ابْتِرَادٌ وَلَا اضْطِلَاءُ (٢)
أَنْضَرَهَا الْمَاءُ وَالْهَوَاءُ
وَعَيْضَةٌ مَاؤُهَا رَوَاءُ (٣)
وَلِلصَّبَا بَيْنَهَا مُكَاءُ (٤)
وَشَبٌّ مِنْ زَهْرِهَا سَنَاءُ (٥)
وَالْوَهْنُ مِنْ لَيْلِهَا سَوَاءُ (٦)
وَلَا ظَلَامٌ وَلَا ضِيَاءُ
وَلَذَّةٌ بَعْدَهَا فَنَاءُ

(١٧) الأفة: عرض يفسد ما يصيبه، وهي العاهة. والمراد بالفضيلة: فضيلة العقل، أو هي الفضل والخير مطلقاً.

- (١) يريد بالصبح والمساء: النهار والليل، فهما يعتدلان في أيام الخريف.
- (٢) يريد بالاضطحار: الخروج إلى الفضاء الواسع هرباً من الحر. ويريد بالاكتنان: الاستتار بالمنازل والسياب الثقيلة ونحوها اتقاء البرد الشديد. والابتعاد: مصدر ابتعد الإنسان الماء، أي صبّه على جسمه بارداً، أو شربه كذلك ليبرد كبده. والاضطلاء: الاستدفاء.
- (٣) العيضة: الأجمة، وهي الشجر الملتف الكثير. وماء رواء: كثير مروٍ.
- (٤) الأيك: الشجر الكثير الملتف، الواحدة أيكة. والهديل: صوت الحمام وسجعه. والصبأ: الريح تهبّ من جهة الشرق. ومكأ: صفير.
- (٥) ذراها: شجرها، والذرى (في الأصل): كل ما يستدري به الإنسان، أي يستتر ويستظل.
- (٦) الوهن: نصف الليل، أو حين يدبر. والمعنى: أن جوها معتدل في جميع ساعات اليوم.

ولا تُطَلُّ فِكْرَةَ التَّمَنِّيِ فَإِنَّهُ الْحُكْمُ وَالْقَضَاءُ
يُرِيدُ كُلُّ أَمْرٍ مِنْهُ (وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ)

وقال يَصِفُ مَنْزِلًا نَزَلَهُ فِي بَعْضِ نَوَاحِي « قَنْدِيَّة » بِجَزِيرَةِ « أَقْرِيطَش » :

وَحَمِيلَةٌ بَكَرَتْ سَمَاوَةً أَيَكِيهَا	تَحْمِي الْهَجِيرَ عَنِ النَّفُوسِ وَتَذْرَأُ ^(١)
تَسْتَنُّ فِيهَا الرِّيحُ بَيْنَ مَنَابِتِ	خَضْرَاءَ يَغْشَاهَا الْجَبَانُ فَيَجْرُؤُ ^(٢)
تَسْتَوْقِفُ الْأَبْصَارَ فِي غُذْرَانِهَا	صُورَ تَزُولُ مَعَ النَّسِيمِ وَتَطْرَأُ
يَنْسَى بِهَا الْمَوْتُورُ مَا فِي نَفْسِهِ	طَرَبًا وَيَنْزِلُهَا السَّقِيمُ فَيِيرَأُ ^(٣)
فَالْوُرُقُ تَهْتَفُ وَالرَّبَّارِبُ تَرْتَعِي	وَالْعَيْنُ تَبْغَمُ وَالْبَلَابِلُ تَضْرَأُ ^(٤)
فَنَبَاتُهَا عَمَّا يَعِيبُ مَنْزَةَ	وَهَوَاؤُهَا مِمَّا يَشِينُ مُبْرَأُ
شَجْرَاءَ تَسْلُكُهَا السَّمُومُ فَتَغْتَدِي	رَهَوًا وَيَسْكُنُهَا الْهَجِيرُ فَيَمْرَأُ ^(٥)
فَتَحَ الرِّيعُ بِهَا مَدَارِسَ بَهْجَةٍ	لِلْعَيْنِ فِيهَا بَهْجَةٌ لَا تَضْرَأُ ^(٦)
فَالرِّيحُ تَكْتُبُ وَالْغَدِيرُ صَحِيفَةً	وَالسُّحْبُ تَنْقُطُ وَالْحَمَائِمُ تَقْرَأُ

(١) الخميطة: الشجر المجتمع الكثيف، أو العوضع الكثير الشجر. والسماوة: السماء. والأيك: الشجر الكثير الملتف، الواحدة أيكة.

(٢) تستن: تقبل وتدبر. ويغشاها: يجيئها.

(٣) يريد بالموتور: الحزين، أو المغيظ المحنق.

(٤) الورق: جمع ورقاء، وهي الحمامة في لونها بياض إلى سواد. والربارب: جمع ربرب: وهو القطيع من بقر الوحش. وترتعي: ترعى وتسرح. والعين: بقر الوحش والظباء ونحوها. وتبغم: مضارع بغمت الظبية: أي صاحت إلى ولدها بأرخم ما يكون من صوتها. وتضراً: تصيح.

(٥) شجراً: كثيرة الشجر. والسوموم: الريح الحارة. وتغتدي: تصير. رهواً: معتدلة لطيفة. والهجير: شدة الحر. ويمراً: يعتدل ويحسن.

(٦) تضراً: تخفى.

صُورٌ تَدُلُّ عَلَى حَكِيمٍ صَانِعٍ وَاللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَبْرَأُ^(٧)
وقال :

أَلَا عَاطِنِيهَا بِنْتٌ كَرَمٍ تَزَوَّجَتْ
أَتَتْ حِقَبٌ مِنْ دُونِهَا فَتَهَدَمَتْ
إِذَا اتَّقَدَتْ فِي الْكَأْسِ خِلَتْ وَمِيضَهَا
فَهَاتِ وَخُذْ وَاشْرَبْ وَدُرٌّ وَاسْقِ وَارْتَجِعْ
وَدَعْنِي مِنْ ذِكْرِ الْوَقَارِ فَإِنِّي
فَمَا الْعَيْشُ إِلَّا سَاعَةٌ سَوْفَ تَنْقُضِي
وَلَا تَحْسَبَنَّ الْمَرْءَ يَبْقَى مُخْلِداً
أَبِي آدَمُ بَاعَ الْجِنَانَ بِحَبَّةِ
عَلَى نَعْمَاتِ الْعُودِ بَابِنِ سَمَاءِ^(١)
سِوَى رَدْعِ لَوْنٍ أَوْ رَفِيفِ ذَمَاءِ^(٢)
عَلَى وَتَرَاتِ الْكَفِّ نَضَحَ دِمَاءِ^(٣)
إِلَى الدَّوْرِ مِنْ بَدءِ عَلَى النُّدْمَاءِ
عَلَى سَرَفٍ مِنْ بَغْضَةِ الْحَلْمَاءِ^(٤)
وَذَا الدَّهْرُ فِينَا مُوَلِّعٌ بِرِمَاءِ^(٥)
فَمَا النُّقْصُ إِلَّا بَعْدَ كُلِّ نَمَاءِ
وَبِعْتُ أَنَا الدُّنْيَا بِجَرَعَةِ مَاءِ

وقال :

لَكَ رُوحِي فَاصْنَعْ بِهَا مَا تَشَاءُ
لَا تَكِلْنِي إِلَى الصُّدُودِ فَحَسْبِي
فَهِيَ مِنِّي لِنَاطِرِيكَ فِدَاءُ
لَوْعَةٌ لَا تُقْلِحُهَا الْأَحْشَاءُ

(٧) يبرأ: يخلق.

(١) عاطنيها: أي الخمر، والمعاطاة: الإعطاء والمناولة. وكني ببنت الكرم عن الخمر. وتزوجت: خلطت. وكني بابن السماء عن الماء. يقول: اسقني على نعومات العود خمراً مزجت بالماء.
(٢) الحقب: جمع حقة وهي السنة. ويريد بردع اللون: أثره وبقيته. والرفيف: النضارة والبريق. والذماء: البقية.

(٣) وترات: جمع وتر، وهي جليدة بين كل إصبعين.

(٤) السرف: خلاف الاعتدال. والبغضة: البغضاء، وهي شدة البغض والكرهية.

(٥) الرماء: مصدر راميته مرامة ورماء. يقول: ليست الحياة إلا ساعة ثم تنتهي، وهذا الدهر مغرم برمي الأحياء وإهلاكهم

أنا والله مُنذُ غِبْتُ غَلِيلٌ لَيْسَ لِي غَيْرَ أَنْ أَرَكَ دَوَاءً
كَيْفَ أُرَوِي غَلِيلَ قَلْبِي وَلَمْ يَبْ قَى لِعَيْنِي مِنْ بَعْدِ هَجْرِكَ مَاءٌ
فَتَرَفَّقَ بِمُهْجَةٍ شَفَّهَا الْوَجْهَ دُ وَعَيْنِ أَخْنَى عَلَيْهَا الْبُكَاءُ^(١)
أنا راضٍ بِنَظْرَةٍ مِنْكَ تَشْفِي بَرَحَ قَلْبٍ هَاجَتْ بِهِ الْأَدْوَاءُ^(٢)
نَظْرَةً رُبَّمَا أَمَاتَتْ وَأَحْيَتْ وَمِنَ الْخَمْرِ عِلَّةٌ وَشِفَاءٌ
لَا تَخْلُ نَمَّةَ الْوُشَاةِ صَلاحاً فَهِيَ دَاءٌ تَدْوِي بِهِ الْحَوْبَاءُ^(٣)
وَمِنَ النَّاسِ مَنْ تَرَاهُ سَلِيماً وَبِهِ لِلْحُقُودِ دَاءٌ عِيَاءُ^(٤)
فَاحْذَرِ النَّاسَ مَا اسْتَطَعْتَ فَإِنَّ الذِّ سَاسَ إِلَّا أَقْلَهُمْ أَعْدَاءُ
وَاخْتَبِرْنِي تَجِدْ صَدِيقاً حَمِيماً لَمْ تُغَيِّرْ وَدَادَةَ الْأَهْوَاءِ
صَادِقاً فِي الَّذِي يَقُولُ وَإِنْ ضَا قَتَ عَلَيْهِ بِرُحْبِهَا الدَّهْنَاءُ^(٥)

وقال وقد نظمت قول أعرابي في صديق له :

« صَفِرَتْ^(١) عِيَابُ^(٢) الْوُدِّ بَيْنِي وَبَيْنَهُ بَعْدَ امْتَلَائِهَا وَاكْفَهَرَتْ^(٣) وَجُوهٌ كَانَتْ بِمَائِهَا^(٤) » :

لَقَدْ صَفِرَتْ عِيَابُ الْوُدِّ بَيْنِي وَيَبْنَ أَحِبَّتِي بَعْدَ امْتِلَاءِ

(١) شفها: أضعفها. وأخنى عليها: أهلكها، والمراد أضعف بصرها، وذهب بمائها.

(٢) البرح: المشقة والشدة. والأدواء: جمع داء.

(٣) النم: رفع الحديث إشاعة له وإفساداً، وتزيين الكلام بالكذب. والنمة: اسم مرة منه. والوشاة: جمع واش، وهو من يسعى بالفساد والتفرقة بين الناس. وتدوى: تمرض. والحوباء: النفس.

(٤) الحقود: جمع حقد، وهو الضغن، والانطواء على العداوة والبغضاء. وداء عياء: لا يبرأ منه.

(٥) رحبها: سعتها. والدهناء: الفلاة، وهي الأرض الواسعة المقفرة.

(١) صفرت: خلت.

(٢) يراد بالعياب (هنا): الصدور والقلوب، واحدتها عيبة.

(٣) اكفهرت: عبست واغبرت.

(٤) بمائها: برونقها وبشاشتها.

وَعَادَتْ أَوْجُهُ الْمَعْرُوفِ سُوداً وَكَانَتْ مِنْ نَضَارَتِهَا بِمَاءٍ

وقال عند ورود نعي ابنته إليه ولم يستطع البكاء من غلبة الحزن عليه (★) :

فَزِعْتُ إِلَى الدُّمُوعِ فَلَمْ تُجِيبْنِي وَفَقَدُ الدَّمْعِ عِنْدَ الحُزْنِ دَاءٌ^(١)
وما قُصِرْتُ فِي جَزَعٍ وَلَكِنْ إِذَا غَلَبَ الْأَسَى ذَهَبَ البُكَاءُ

وقال يرثي صديقه « عبد الله باشا فكري » * رَحِمَهُ اللهُ :

أَلَا بِأَبِي مَنْ كَانَ نُوراً مُجَسِّداً يَفِيضُ عَلَيْنَا بِالنَّعِيمِ رِوَاؤُهُ^(١)
ثَوَى بُرْهَةً فِي الْأَرْضِ حَتَّى إِذَا قَضَى لُبَانَتَهُ مِنْهَا دَعَتْهُ سَمَاؤُهُ^(٢)
وَمَا كَانَ إِلَّا كَوَكْباً حَلَّ بِالثَّرَى لَوَقَّتْ فَلَمَّا تَمَّ شَالَ ضِيَاؤُهُ^(٣)
نَضَا عَنْهُ أَثْوَابَ الْفَنَاءِ وَرَفَرَفَتْ إِلَى الْفَلَكَ الْأَعْلَى بِهِ مُضَوَاؤُهُ^(٤)
فَأُضْبِحَ فِي لُجٍّ مِنَ النُّورِ سَابِحاً سَوَاحِلُهُ مَجْهُولَةٌ وَفَضَاؤُهُ^(٥)

(★) في سنة ١٨٨٥ توفيت بمصر زوجة البارودي «عديلة يكن» عن سبعة وثلاثين عاماً، ونُعيَتْ إليه في منفاه، فرثاها بقصيدة دالية من عيون شعره في سبعة وستين بيتاً. وبعدها بقليل نُعيَتْ إليه ابنتهما «ستيرة»، فلم يزد في رثائها على هذين البيتين.

(١) فزعت إليه: لجأت إليه عند الفزع.

(★) عبد الله باشا فكري: كاتب شاعر أديب، كان من حاشية سعيد باشا ثم إسماعيل باشا، وقد تقلب في جملة مناصب، آخرها نظارة المعارف في وزارة البارودي سنة ١٢٩٩ هـ (١٨٨٢ م)، وكانت وفاته سنة ١٣٠٧ هـ (١٨٨٩ م). وفي بعض أوراق البارودي ما يدل على أن هذه القصيدة قيلت أولاً في رثاء السيد جمال الدين الحسيني، ثم تحولت إلى رثاء فكري باشا.

(١) ماء رواء: كثير، للوارد فيه ري. والرُواء: حسن المنظر.

(٢) ثوى: أقام. واللبانة: الحاجة تدعو إليها الهمة لا الفاقة.

(٣) تم: أي الوقت. المراد أنه انتقل إلى العالم العلوي.

(٤) نضا: جرّد. والمضواء: التقدم. والمعنى أنه ترك حياة الفناء والزوال، وصعد مسرعاً إلى عالم الخلد والبقاء.

(٥) اللجج: معظم الماء، على تشبيهه بالنور بالبحر اللجج.

تَجَرَّدَ مِنْ غَمْدِ الْحَوَادِثِ نَاصِعاً
فَإِنْ يَكُ وَلَى فَهُوَ بَاقٍ بِأَفْقِهِ
وَلَوْ لَا اعْتِقَادِي أَنَّهُ فِي حَظِيرَةِ
عَلَيْكَ سَلَامٌ مِنْ فُؤَادِ نَزَا بِهِ

وقال يهجو :

وَصَاحِبِ كَهْمُومِ النَّفْسِ مُعْتَرِضِ
إِنْ قَالَ خَيْرًا فَعَنْ سَهْوِ أَلَمٍ بِهِ
لَا يَفْعَلُ الشُّوْءَ إِلَّا بَعْدَ مَقْدَرَةٍ
عَاشَرْتُهُ حِقْبَةً مِنْ غَيْرِ سَابِقَةٍ
يَبْغِي رِضَايَ وَقَدْ أُوْدَى بِرُمْتِهِ
لَا بَارَكَ اللَّهُ فِيهِ حَيْثُ كَانَ وَلَا
مَا بَيْنَ تَرْقُوعَةٍ مِنِّْي وَأَحْشَاءِ (١)
أَوْ قَالَ شَرًّا فَعَنْ قَضْدٍ وَإِمْضَاءِ
وَلَا يُكْفِكِفُ إِلَّا بَعْدَ إِيْدَاءِ (٢)
فَكَانَ أَقْتَلَ مِنْ دَاءٍ لِحَوْبَاءِ (٣)
وَكَيْفَ يَحْيَا صَرِيحٌ بَعْدَ إِيْدَاءِ؟ (٤)
جَزَاهُ عَنْ فِعْلِهِ إِلَّا بِأَسْوَاءِ (٥)

(٦) الغمد: جفن السيف وغلافه الذي يخبأ فيه. وأثر السيف: فرنده، وهو جوهره ووشيه ورونقه. ومضاؤه: حدته وسرعة قطعه.

(٧) القدس: الطهر، ومنه قيل للجنة حظيرة القدس. واستيلاء الماء على العين: ذهاب بصرها من شدة الحزن وكثرة البكاء.

(٨) نزا: طمع ووثب. والنزاع: الاشتياق.

(١) الترقوة: العظم الذي في أعلى الصدر، بين ثغرة النحر والعاتق من الجانبين، وهما ترقوتان. والأحشاء: جمع حشا، وهو المعى، وما اشتملت عليه الضلوع، وما حواه الجوف.

(٢) يكفكف: يمنع، ويكف.

(٣) الحوباء: النفس.

(٤) أودى برمته: أي فنى الرضا كله بجملته، فلم يبق منه شيء. والصريع: المصروع، أي المطروح على الأرض. والمراد الهالك، أي لن يحيا الهالك بعد هلاكه.

(٥) الأسواء: جمع سوء، وهو اسم جامع لكل آفة وداء.

قافية الالف المقصورة

وقال وقد استقال من وزارة الجهادية والبحرية ووزارة الأوقاف ، وسافر إلى ضيعة بناحية « قريقة » بالدقهلية ، وذلك سنة ثمان وتسعين ومائتين وألف هجرية (١٢٩٨ هـ - ١٨٨١ م) (★)

هَجَرْتُ « ظُلُومٌ » وَهَجَرُهَا صِلَةُ الْأَسَى
جَزَعْتُ لِرَاعِيَةِ الْمَشِيبِ وَمَا دَرْتُ
وَلَوْتُ بِوَعْدِكَ بَعْدَ طُولِ ضَمَانِهِ
لَيْتَ الشُّبَابَ لَنَا يَعُودُ بِطَيْبِهِ
وَالشُّيْبُ أَكْمَلُ صَاحِبٍ لَوْ أَنَّهُ
فَمَتَى تَجُودُ عَلَيَّ الْمُتَيْمِ بِاللُّقَى؟ (١)
أَنَّ الْمَشِيبَ لَهَيْبُ نِيرَانِ الْجَوَى (٢)
وَمِنَ الْوُعُودِ خِلَابَةٌ مَا تُقْتَضَى (٣)
وَمِنَ السَّفَاهِ طِلَابُ عُمَرٍ قَدْ مَضَى (٤)
يَبْقَى وَلَكِنْ لَا سَبِيلَ إِلَى الْبَقَا (٥)

(★) وفي ٢٥ من رمضان سنة ١٢٩٨ هـ (٢ من أغسطس سنة ١٨٨١ م) استقال البارودي من وزارتي الجهادية والأوقاف لما أحس أن الخديوي قد أساء به ظناً، واستمع للوشايات التي تتهمه بمساعدة الضباط الساخطين الثائرين.

(١) ظلوم: اسم محبوبته. والمتيم: الذي ذلله العشق وعبده.

(٢) راعية المشيب: أوائله. والجوى: الحرقه وشدة الوجد.

(٣) لوت بالوعد: أخلفته. وخلاية: خدعة. واقتضى دينه: أخذه. والمعنى أن وعدها ككثير من وعود الحسان ليس له وفاء.

(٤) السفاه: الجهل، ونقص العقل.

(٥) يشير بالشطرنج الأول إلى ما يلزم الشيب عادة من الوقار والمهابة والرزانة والاستقامة ورجاحة العقل وكثرة التجارب ونحو ذلك.

والدَّهْرُ مَدْرَجَةٌ الْخُطُوبِ فَمَنْ يَعِشْ
فَاذْهَبْ بِنَفْسِكَ عَنْ مُتَابَعَةِ الصُّبَا
الْيَوْمَ أَنْ لِسَابِقٍ أَنْ يَحْتَدِي
وَلَقَدْ عَلَوْتُ سِرَاةَ أَذْهَمَ لَوْ جَرَى
يَطْوِي الْمَدَى طَيِّ السَّجَلِّ وَيَهْتَدِي
يَجْرِي عَلَى عَجَلٍ فَلَا يَشْكُو الْوَجَى
لَا الْوُخْدُ مِنْهُ وَلَا الرَّسِيمُ وَلَا يُرَى
رِيَانٌ مِلاًءٌ ضُلُوعِهِ لَكِنَّهُ
مَا زَالَ يَنْهَجُ فِي الْمَسِيرِ طَرَائِقاً
حَتَّى وَصَلَتْ إِلَى جَنَابٍ أَفِيحٍ

يَهْرَمُ وَمَنْ يَهْرَمَ يَعِثُ فِيهِ الْبَلَى (٦)
وَارْجِعْ لِجَلْمِكَ فَالْأُمُورُ إِلَى أَنْتِهَا
طَلَّقَ الرَّهَانَ وَمُغْمِدٌ أَنْ يُتَّضَى (٧)
فِي شَأُوهِ بَرْقٌ تَعَثَّرَ أَوْ كَبَا (٨)
فِي كُلِّ مَهْمَةٍ يَضِلُّ بِهَا الْقَطَا (٩)
مَدَّ النَّهَارَ وَلَا يَمَلُّ مِنَ السُّرَى (١٠)
يَمْشِي الْعِرْضَنَةَ أَوْ يَسِيرُ الْهَيْدَبِي (١١)
يَشْكُو بِزَفْرَتِهِ لَهِيأً فِي الْحَشَا
تَدْعُ الْجِيَادَ مُقَيَّدَاتٍ بِالْوَجَى (١٢)
زَاهِي النَّبَاتِ بَعِيدِ أَعْمَاقِ الثَّرَى (١٣)

- (٦) مدرجة: ممر وطريق. والخطوب: جمع خطب وهو الأمر الشديد ينزل بالإنسان.
(٧) آن: حان، أي جاء أينه. السابق: الفرس المجلى في الحلبة. ويريد بطلق الرهان: أنه أرخى له العنان للفوز في الرهان. ويتضي: يسل، أي يخرج من غمده.
(٨) السراة: أعلى كل شيء. والأدهم: الفرس الأسود، ويريد به قطار سكة الحديد. والشأو: الأمد والغاية. وكبا: انكب على وجهه وسقط.
(٩) المدى: الغاية. والسجل: الكتاب. والمهمة: المفازة البعيدة. والقطا: ضرب من الحمام يضرب المثل بهدايته.
(١٠) الوجى: الحفا، وهورقة القدم والحافر من كثرة السير. والسرى: سير عامة الليل.
(١١) الوخد: سعة الخطو، أو أن يرمي البعير بقوائمه كمشي النعام. والرسيم: سير للإبل قريب من الهرولة، دون الجري. ويمشي العرضنة: أي في مشيته بغي من نشاطه، فالعرضنة: نوع من السير يمتاز بالخفة والسرعة والنشاط. والهيديبي: مشي للخيل فيه جد.
(١٢) ينهج الطريق: يسلكه، ويسير فيه. يقول: إن هذا القطار يسلك على الدوام طرقاً شاقة طويلة، لو سلكتها كرام الخيل لقيدها الحفا.
والمعنى: أنها لا تستطيع سلوك هذه الطرق، ولا تقوى على مثل ما يقوى عليه القطار.
(١٣) جناب أفيح: ناحية واسعة.

تَسْتَنُّ فِيهِ الْعَيْنُ بَيْنَ مَنَابِتِ
مُلْتَفِّ أَفْنَانِ الْحَدَائِقِ لَوْ سَرَتْ
فَتُرَابُهُ نَفْسُ الْعَبِيرِ وَنَبْتُهُ
فَإِذَا شَمِمَتْ وَجَدَتْ أَطِيبَ نَفْحَةٍ
وَالْقُطْنُ بَيْنَ مُلَوِّزٍ وَمُنَوِّرٍ
فَكَأَنَّ عَاقِدَهُ كُرَاتُ زُمْرُدٍ
دَبَّتْ بِهِ رُوحُ الْحَيَاةِ فَلَوَّوْهَتْ
فَأُصُولُهُ الدُّكْنَاءُ تَسْبِخُ فِي الثَّرَى
لَمْ يَسْرِ فِيهِ الطَّرْفُ مَذْهَبَ فِكْرَةٍ
هَذَا لَعَمْرُ أَبِيكَ دَاعِيَةُ الرِّضَا

طَابَتْ مَغَارِسُهَا وَجَنَاتٍ رَوَا^(١٤)
فِيهَا السَّمُومُ لَشَابَهَتْ رِيحَ الصَّبَا^(١٥)
سَرَقُ الْحَرِيرِ وَمَاؤُهُ فَلَقُ الضُّحَى^(١٦)
وَإِذَا التَّفَّتْ رَأَيْتَ أَحْسَنَ مَا يُرَى
كَالْغَادَةِ إِزْدَانَتْ بِأَنْوَاعِ الْحُلَى
وَكَأَنَّ زَاهِرَهُ كَوَاكِبُ فِي الرُّوَا^(١٧)
عَنْهُ الْقَيْوُدُ مِنَ الْجَدَاوِلِ قَدْ مَشَى^(١٨)
وَفُرُوعُهُ الْخَضْرَاءُ تَلْعَبُ فِي الْهَوَا
مَحْدُودَةٌ إِلَّا تَرَاجَعَ بِالْمُنَى^(١٩)
وَسَلَامَةُ الْعُقْبَى وَمِفْتَاحُ الْغِنَى^(٢٠)

(١٤) تستن: تعدو مقبلة مدبرة في نشاط.

(١٥) الأفنان: الأغصان. والسموم: الريح الحارة. والصبأ: ریح تهبّ عند العرب من مطلع الشمس، وهي أطيب الرياح، وأحبها إليهم.
(١٦) سرق الحرير: أجود أنواعه، أو شققه، أي قطعه المشقوقه، الواحدة سرقة. والفلق: ضوء الصبح.

(١٧) يريد بالعائد: ما انعقد من اللوز قبل أن يتفتح. والزمرد: حجر أخضر اللون، شديد الخضرة، شفاف، واحده زُمُرْدَةٌ. وزاهر: أبيض مضيء مشرق، صفة من زهر السراج والقمر والوجه، أي تلالأ، ويريد بالزاهر المتفتح من القطن. والروا: أصله الرواء بالمد، وهو حسن المنظر.
(١٨) وهت: ضعفت وانفكت. جعل الجداول وقنوات الماء التي تحيط بنبات القطن قيوداً، وقال: إن روح الحياة قد سرت فيه، ولو انفكت عنه هذه القيود لمشى.

(١٩) معنى «لم يسر فيه الطرف مذهب فكرة محدودة»: لم تجل العين في هذا النبات مقدار جولة الفكرة المحدودة، والمراد اللمحة، والبرهة اليسيرة، والمدة القصيرة. والمنى: جمع منية وهي الأمنية، أي الشيء الذي يريده الإنسان، ويقدر حصوله.
(٢٠) العقبي: العاقبة، وجزاء الأمور.

فَعَلَامَ أَجْهَدُ فِي الْمَطَالِبِ بِإِذْلًا
نَفْسِي وَهَذَا لِلْمَطَالِبِ مُنْتَهَى
فَالْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي وَهَبَ الْعُلَا
وَسَرَّ الْأَذَى عَنِّي فَأَبْصَرْتُ الْهُدَى

قافية الباء

قال في صباهُ يروضُ القولَ ، ويذكرُ الطردَ (★) :

سِوَايَ بِتَحَنَانِ الْأَغَارِيدِ يَطْرَبُ وَغَيْرِي بِاللَّذَاتِ يَلْهُو وَيُعْجَبُ (١)
وَمَا أَنَا مِمَّنْ تَأْسِرُ الْخَمْرُ لَبَّهُ وَيَمْلِكُ سَمْعِيهِ الْيِرَاعُ الْمُثَقَّبُ (٢)
وَلَكِنْ أَحْوَهُمْ إِذَا مَا تَرَجَّحَتْ بِهِ سَوْرَةٌ نَحْوَ الْعُلَا رَاحَ يَدَابُ (٣)
نَفَى النَّوْمَ عَنْ عَيْنَيْهِ نَفْسُ أَبِيَّةُ لَهَا بَيْنَ أَطْرَافِ الْأَسِنَّةِ مَطْلَبُ (٤)
بَعِيدُ مَنَاطِ الْهَمِّ فَالْغَرْبُ مَشْرِقُ إِذَا مَا رَمَى عَيْنَيْهِ وَالشَّرْقُ مَغْرِبُ (٥)
لَهُ غُدَوَاتٌ يَتَّبِعُ الْوَحْشُ ظِلَّهَا وَتَغْدُو عَلَى آثَارِهَا الطَّيْرُ تَنْعَبُ (٦)

(★) في بعض ما كتب عن البارودي أنه نظم هذه القصيدة سنة ١٨٦٣ وهو في الرابعة والعشرين، بعد انتقاله من ديوان الخديوي إسماعيل (إدارة المكاتبات باللغة التركية بين مصر والأستانة) إلى الجيش. وما لبث أن أرسل مع طائفة مختارة من الضباط سنة ١٢٨٠ هـ (١٨٦٣ م) إلى فرنسا، ثم إلى إنجلترا للإفادة من خبرة ضباط هذين الجيشين، ودراسة النظم العسكرية فيهما. وفي إنجلترا دعاهم أحد نبلاء الإنجليز إلى رياضة في الريف الإنجليزي على ظهور الخيل لمزاولة الصيد.

- (١) أغرد الطائر إغراداً: رفع صوته وطرّب، أي رجعه ومده.
- (٢) اللب: العقل. واليراع: جمع يراعة، وهي القصة. والمراد باليراع المثقب: المزمار.
- (٣) الهم: العزيمة والإرادة القوية.
- (٤) الأسنة: جمع سنان، وهو نصل الرمح.
- (٥) بعيد مناظ الهم: أي أن إرادته وعزمه لا يتعلقان إلا بالأمر البعيدة، والمقاصد العالية الشريفة.
- (٦) الغدوات: جمع غدوة، وهي السير في الصباح. وتنعب: تصيح وتصوت.

هَمَامَةٌ نَفْسٌ أَصْغَرَتْ كُلَّ مَأْرَبٍ فَكَالَّفَتِ الْأَيَّامَ مَا لَيْسَ يُوَهَّبُ (٧)
وَمَنْ تَكُنِ الْعَلِيَاءُ هِمَّةَ نَفْسِهِ فَكُلُّ الَّذِي يَلْقَاهُ فِيهَا مُحَبَّبُ
إِذَا أَنَا لَمْ أُعْطِ الْمَكَارِمَ حَقَّهَا فَلَا عَزْزِي خَالٌ وَلَا ضَمْنِي أَبُ (٨)
وَلَا حَمَلْتُ دِرْعِي كُمَيْتُ طِمْرَةٌ وَلَا دَارَ فِي كَفِّي سِنَانٌ مُذْرَبُ (٩)
خُلِقْتُ عَيْوِفًا لَا أَرَى لِابْنِ حُرَّةٍ لَدَيَّ يَدًا أُغْضِي لَهَا حِينَ يَغْضَبُ (١٠)
فَلَسْتُ لِأَمْرٍ لَمْ يَكُنْ مُتَوَقَّعًا وَلَسْتُ عَلَى شَيْءٍ مَضَى أَتَعْتَبُ (١١)
أَسِيرٌ عَلَى نَهْجٍ يَرَى النَّاسُ غَيْرَهُ لِكُلِّ أَمْرٍ فِي مَا يُحَاوِلُ مَذْهَبُ
وَإِنِّي إِذَا مَا الشُّكُّ أَظْلَمَ لَيْلُهُ وَأَمْسَتْ بِهِ الْأَحْلَامُ حَيْرِي تَشَعَّبُ (١٢)
صَدَعْتُ حِفَافِي طُرَّتِيهِ بِكَوَكِبٍ مِنَ الرَّأْيِ لَا يَخْفَى عَلَيْهِ الْمُغَيَّبُ (١٣)
وَبَحْرٍ مِنَ الْهَيْجَاءِ خُضْتُ عُبابَهُ وَلَا عَاصِمٌ إِلَّا الصَّفِيحُ الْمُشْطَبُ (١٤)
تَظَلُّ بِهِ حُمْرُ الْمَنَايَا وَسُودُهَا حَوَاسِرَ فِي الْوَانِهَاتِ تَتَقَلَّبُ (١٥)

(٧) يريد بالهمامة: قوة العزم. وفسرت الهمامة بأنها اهتمام النفس بالأمر، وقصدها إليه، واعتناؤها به، وذلك إذا أنست عدم الاقتدار إن لم تتوجه إليه بكلياتها. والمأرب: الحاجة والمطلب.

(٨) عزني: قواني.

(٩) الدرع: لبوس من حلق الحديد يلبسه المحارب، ويريد به نفسه. والكميت من الخيل: ما كان بين الأسود والأحمر، يستوي فيه المذكر والمؤنث. والظمرة: الفرس العالية الطويلة القوائم الخفيفة. والسنان: نصل الرمح. ومذرب: حاد ماض.

(١٠) عيوفاً: صفة من عاف الرجل الطعام والشراب يعافه، أي كرهه، فلم يأكله، ولم يشربه، والمراد أنه أبقى النفس. واليد: النعمة والإحسان. وأغضى: أسكت.

(١١) أتعتب: أغضب.

(١٢) الأحلام: جمع حلم، وهو الأناة والعقل. وتشعب: تفرق.

(١٣) صدعت: شققت. وحفافاه: جانباه، مثني حفاف وهو الجانب. والظرة: الشعر الذي تصفئه الجارية على جبهتها. والمعنى: أنه يزيل خفاء الشك برأيه الثاقب السديد.

(١٤) الهيجاء: الحرب. والعباب: الموج. والعاصم: الحافظ الواقي. والصفيح: السيف العريض. وسيف مشطب: فيه شطب، وهي طرائق السيف.

(١٥) حواسر: منكشفات.

تَوَسَّطْتُهُ وَالْخَيْلُ بِالْخَيْلِ تَلْتَقِي
فَمَا زِلْتُ حَتَّى بَيْنَ الْكُرْمِ مَوْقِفِي
لَدُنْ غُدْوَةٍ حَتَّى أَتَى اللَّيْلُ وَالْتَقَى
كَذَلِكَ دَأْبِي فِي الْمِرَاسِ وَإِنِّي
وَفِتْيَانٍ لَهْوٍ قَدْ دَعَوْتُ وَلِلْكَرَى
إِلَى مَرْبَعٍ يَجْرِي النَّسِيمُ خِلَالَهُ
فَلَمْ يَمْضِ أَنْ جَاءُوا مُلَبِّينَ دَعْوَتِي
بِخَيْلٍ كَأَرَامِ الصَّرِيمِ وَرَاءَهَا
مِنَ السَّلَاءِ لَا يَأْكُلْنَ زَادًا سِوَى الَّذِي

- (١٦) الظبا: جمع ظبة، وهي حد السيف والسنان ونحوهما. والهام: جمع هامة، وهي الرأس.
- (١٧) كَرَّ الفارس كَرًّا: إذا فَرَّ للجولان، ثم عاد للقتال.
- (١٨) لدن غدوة: من أول النهار. والغيب: الظلمة والليل. والنقع: الغبار. والساطع: المرتفع.
- (١٩) الدأب: الشأن والعادة. والمراس: الشدة. والغى: الضلال. والمراد بالتصابي: الميل إلى الصبا واللهو.
- (٢٠) الكرى: النعاس. والخباء: شبه الخيمة، يعمل من الوبر أو الصوف، وينصب على عمودين أو ثلاثة. والأهداب: جمع هدب، وهو ما نبت من الشعر على أشفار العيون. ومطنب: مشدود بالأطناب، وهي حبال الأخبية.
- (٢١) المربع: الموضع يرتبع القوم فيه، أي يقيمون به زمن الربيع. والنشر: الرائحة الطيبة. والخزامى: بقلة طيبة الرائحة لها نور كنور البنفسج.
- (٢٢) الربرب: القطيع من بقر الوحش.
- (٢٣) الأرام: مقلوب آرام، جمع رثم وهو الظبي الخالص البياض. والصريم: الرملة المنصرمة، أي المنقطعة من الرمال. وضوار: جمع ضار، وهو الكلب الذي ضرى بالصيد، أي لزمه، وأولع به، واعتاده. وسلوق: قرية باليمن، أو بلد بطرف إرمينية تنسب إليهما الكلاب. وعاطل: غير مطوق. وملبب: مطوق.
- (٢٤) ضرسه: عَضَهُ عَضًا شَدِيدًا، وضرَس السبع فريسته: إذا مضغ لحمها ولم يتلعه. والمراد بالتضريس هنا: أخذ الكلب الفريسة بأسنانه بعد صيدها.

تَرَى كُلَّ مُحَمَّرٍ الْحَمَالِيقِ فَاغْرِ
يَكَادُ يَفُوتُ الْبَرْقَ شَدًّا إِذَا انْبَرَتْ
فَمِلْنَا إِلَى وَادٍ كَانَ تِلَاعَهُ
تُرَاحُ بِهِ الْأَمَالُ بَعْدَ كَلَالِهَا
فَيِينَا نَرُودُ الْأَرْضَ بِالْعَيْنِ إِذْ رَأَى
فَقَمْنَا إِلَى خَيْلٍ كَانَ مُتُونَهَا
فَلَمَّا انْتَهَيْنَا حَيْثُ أَخْبَرَ أَطْلِقَتْ
فَمَا كَانَ إِلَّا لَفْتَةُ الْجِيدِ أَنْ غَلَتْ
وَقُلْنَا لِسَاقِينَا أَدْرَهَا فَإِنَّمَا
فَقَامَ إِلَى رَاقُودٍ خَمْرٍ كَأَنَّهُ
يَمُجُّ سُلَافًا فِي إِنَاءٍ كَأَنَّهُ

(٢٥) الحماليق: جمع حملاق، أو حَمْلُوق، وهو ما غَطَّته الأَجْفَانُ من بياض مقلَّة العين. والمراد
بمحمر الحماليق: كلب الصيد. واحمرار حماليقه: كناية عن شدة بأسه، وعظم بطشه. ولا
يألو: لا يقصِّر. وتنصَّب الشيء: اتضع. والمراد أنه لا يألم ولا يضعف ولا يتوقف.
(٢٦) شَدًّا: عدوًّا وجريًّا. بنات الماء: الطيور المائية.
(٢٧) التلاع: جمع تلعة، وهي ما ارتفع من الأرض. والعصب: برد يصبغ غزله ثم ينسج.
وموشى: منقوش. والحبائك: خطوط الثوب وطرائقه. ومذهب: دخل الذهب في نسجه.
(٢٨) كلالها: تعبها وإعيائها. والحجا: العقل.
(٢٩) نرود الأرض بالعين: نجول فيها بعيوننا. وربيتنا: طليعتنا ورائدنا. وسريًّا: قطعاً من الظباء.
(٣٠) الخوط: الغصن الناعم. والضيمران: ريحان البر، أو الريحان الفارسي. والتشذيب:
الإصلاح، ونزع ما على الشجر من الأغصان.
(٣١) البزاة: جمع باز، وهو ضرب من الصقور. والمقاود: جمع مقود، وهو حبل في العنق للقياد.
(٣٢) انفصَّ مارب: انتهت حاجتنا.
(٣٣) قصارى الشيء: غايته وآخره. والتشعب: التفرق.
(٣٤) الراقود: الدن الكبير العميق.
(٣٥) يمج: يخرج ويرمي. وسلافًا: خمرًا. واستقلته: حملته ورفعته.

فَلَمْ نَأَلْ أَنْ دَارَتْ بِنَا الْأَرْضُ دَوْرَةً
إِلَى أَنْ تَوَلَّى الْيَوْمُ إِلَّا أَقْلَهُ
فَرُحْنَا نَجْرُ الدَّيْلَ تَيْهًا لِمَنْزِلِ
مَسَارِحِ سِكِّيرٍ وَمَرِيضُ فَاتِكِ
فَلَمَّا رَأْنَا صَاحِبَ الدَّارِ أَشْرَقَتْ
وَقَالَ انزِلُوا يَا بَارَكَ اللَّهُ فِيكُمْ
وَرَاخَ إِلَى دَنْ تَكَامَلَ سِنُهُ
فَمَا زَالَ حَتَّى اسْتَلَّ مِنْهُ سَبِيكَةً
يَحُومُ عَلَيْهَا الطَّيْرُ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ
فِيَا حُسْنَ ذَاكَ الْيَوْمِ لَوْ كَانَ بَاقِيًا
يَسُودُ الْفَتَى مَا لَا يَكُونُ طَمَاعَةً
وَلَوْ عَلِمَ الْإِنْسَانُ مَا فِيهِ نَفْعُهُ
وَلَكِنَّهَا الْأَقْدَارُ تَجْرِي بِحُكْمِهَا
نَظُنُّ بِنَا قَادِرُونَ وَأَنَا
فَرَحْمَةُ رَبِّ الْعَالَمِينَ عَلَى أَمْرِي

وَحَتَّى رَأَيْنَا الْأَفْقَ يَنْأَى وَيَقْرُبُ
وَقَدْ كَادَتِ الشَّمْسُ الْمُنِيرَةَ تَغْرُبُ
بِهِ لِأَخِ اللَّذَاتِ وَاللَّهُو مَلْعَبُ (٣٦)
وَمُخْدَعُ أَكْوَابٍ بِهِ الْخَمْرُ تُسَكَّبُ (٣٧)
أَسَارِيرُهُ زَهْوًا وَجَاءَ يُرْحَبُ
فَعِنْدِي لَكُمْ مَا تَشْتَهُونَ وَأَطِيبُ
وَشَيْبَ فَوْدِيهِ مِنَ الدَّهْرِ أَحْقَبُ (٣٨)
مِنَ الْخَمْرِ تَطْفُوفِي الْإِنَاءِ وَتَرْسُبُ
وَيَسْرِي عَلَيْهَا الطَّارِقُ الْمُتَأَوَّبُ (٣٩)
وَيَا طِيبَ هَذَا اللَّيْلِ لَوْ دَامَ طِيبُ
وَلَمْ يَدِرْ أَنَّ الدَّهْرَ بِالنَّاسِ قَلْبُ
لَأَبْصَرَ مَا يَأْتِي وَمَا يَتَجَنَّبُ
عَلَيْنَا وَأَمْرُ الْغَيْبِ سِرٌّ مُحَجَّبُ
نُقَادُ كَمَا قَيْدَ الْجَنِيْبِ وَنُصْحَبُ (٤٠)
أَصَابَ هُدَاهُ أَوْ دَرَى كَيْفَ يَذْهَبُ

(٣٦) التيه: الصلف والكبرياء.

(٣٧) المسارح: جمع مسرح، وهو المرعى، والمراد مطلق المكان. والمريض: المأوى. وفاتك: باطش قاتل. والمخدع: خزانة، أو بيت صغير يحرز فيه الشيء.

(٣٨) الفود: معظم شعر اللمة مما يلي الأذن. والأحقب: جمع حقب، وهو السنة أو أكثر.

(٣٩) ويسري عليها: يسير على ضوئها. والطارق: إذا جاء ليلاً. والمتأوب: كالطارق.

(٤٠) الجنيب: الفرس تقوده إلى جنبك.

وقال يهنئُهُ « الخديوي إسماعيل باشا » بولاية مصر سنة تسع وسبعين ومائتين وألف

هجرية (١٢٧٩ هـ - ١٨٦٣ م) (★) :

طَرِبَ الْفُؤَادُ وَكَانَ غَيْرَ طَرُوبٍ وَالْمَرءُ رَهْنٌ بِشَاشَةٍ وَقُطُوبٍ
وَرَدَ الْبَشِيرُ فَقُلْتُ مِنْ سَرَفِ الْمُنَى أَعِدِ الْحَدِيثَ عَلَيَّ فَهُوَ حَسِيبي (١)
خَبِرٌ جَلًّا صَدًّا الْقُلُوبِ فَلَمْ يَدْعُ فِيهَا مَجَالٌ تَحْفُزُ لِوَجِيبِ (٢)
ضَرَحَ الْقَدَى كَقَمِيصِ « يُوسُفَ » عِنْدَمَا وَرَدَ الْبَشِيرُ بِهِ إِلَيَّ « يَعْقُوبِ » (٣)
فَلْتَهَنَ مِضْرُ وَأَهْلُهَا بِسَلَامَةٍ جَاءَتْ لَهَا بِالْأَمْنِ بَعْدَ خُطُوبِ (٤)
بِالْمَاجِدِ الْمَنُوبِ بَلْ بِالْأَرْوَاعِ أَلِ مَشْبُوبٍ بَلْ بِالْأَبْلَجِ الْمَعْصُوبِ (٥)
رَبِّ الْعُلَا وَالْمَجِدِ (إِسْمَاعِيلِ) مَنْ وَضَحَتْ بِهِ الْأَيَّامُ بَعْدَ شُحُوبِ
وَرَدَ الْبِلَادَ وَلَيْلُهَا مُتْرَاكِبٌ فَأُضَاءَهَا كَالْكُوكِبِ الْمَشْبُوبِ (٦)

(★) سافر الخديوي إسماعيل إلى الآستانة على أثر اعتلائه عرش مصر، ليرفع إلى السلطان عبد العزيز فروض الشكر والولاء. وفي شهر رمضان سنة ١٢٧٩ هـ (فبراير سنة ١٨٦٣ م) عاد البارودي من الآستانة إلى مصر في حاشية الخديوي. وعلى أثر هذه العودة نظم هذه القصيدة، وهو في الرابعة والعشرين.

(١) السرف: مجاوزة الحد. وحسيبي: كافي. والمعنى أنه لما بشر بولاية الخديوي «إسماعيل» رأى أن هذه البشرية قد حققت أعظم آماله وأبعد أمانيه، ولهذا تملكه الفرح، واستخفه الطرب.

(٢) تحفز: تهيؤ. ووجيب القلب: رجفانه واضطرابه.

(٣) ضرحه: دفعه ونحاه. والقدى: ما يسقط في العين وفي الشراب، والمراد به هنا: كل ما يسبب الألم.

(٤) الخطوب: جمع خطب، وهو الأمر الشديد ينزل بالناس.

(٥) المنسوب: ذو النسب. والأروع: من يعجبك بحسنه وجهارة منظره أو بشجاعته. والمشبوب: الحس الوجه. والبُلجة: الضوء ونقاوة ما بين الحاجبين. ويقال للرجل الطلق الوجه ذي الكرم والمعروف: أبلج. والمعصوب: المتوج.

(٦) ليل متراكب: ظلماته بعضها فوق بعض. والمشبوب: المتقد.

بِرَوِيَّةٍ تَجْلُو الصُّوَابَ وَعَزْمَةٍ
 مَلِكٌ تَرَفَّعَ أَنْ تَكُونَ صِفَاتُهُ
 ذَوْ هَيْبَةٍ تَكْفِيهِ سَوْقَ جُنُودِهِ
 نَمَّتْ شَمَائِلُهُ عَلَى أَعْرَاقِهِ
 أَكْنِي بِزَهْرِ الرَّوْضِ عَنْ أَخْلَاقِهِ
 وَأَقُولُ إِنَّ الْبَرْقَ يَحْكِي بِشَرِّهِ
 فَالْخِصْبُ فِي الدُّنْيَا عَلامَةٌ عَدْلِهِ
 أَجْرَى نَسِيمِ الْأَمْنِ بَعْدَ رُكُودِهِ
 وَأَعَادَ مِضْرًا إِلَى جَمَالِ شَبَابِهَا
 فَتَنَعَّمَتْ مِنْ فَيْضِهِ فِي غِبْطَةٍ
 وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ رَحْمَةً أُمَّةً
 فَلَقَدْ مَلَكَتْ زَمَانَهَا وَسَقَيْتَهَا

ومعنى هذا البيت والذي قبله: أن البلاد سعدت بولاية الممدوح وحكمه، فصلحت أحوالها، واستقامت أمورها.

(٧) اللهزم: السنان القاطع. والمذروب: المحذ المسنون.

(٨) الشمائل: الأخلاق، مفردا شمال. والأعراق: جمع عرق، وهو الأصل. والأريج: توهج ريح الطيب.

(٩) الكناية: أن تتكلم بشيء وتريد به غيره. والنشر: الرائحة الطيبة.

(١٠) المزن: جمع مزنة، وهي السحابة. وخبلة: إذا خدعه.

(١١) الغيث: المطر.

(١٢) ركوده: سكونه. ونضب الماء نضوباً: غار في الأرض.

(١٣) الزمام: المقود، وهو الحبل الذي تقاد به الدابة. والصدى: العطش. والدنوب: الدلو العظيمة المملأى ماء.

فَعَدَّتْ وَمَا فِي الْأَرْضِ أَحْسَنُ بُقْعَةً
يَسْتَنْ فِيهَا النَّيْلُ بَيْنَ حَدَائِقِ
وَتَرَى السِّفِينَ يَجُولُ فَوْقَ سَرَاتِهِ
مِنْ كُلِّ رَاقِصَةٍ عَلَى نَقْرِ الصَّبَا
مَلَكَتْ أَزْمَتَهَا الرِّيَّاحُ فَسَيَّرُهَا
فَإِذَا أَطَلَّتْ عِنَانَهَا وَقَفَتْ وَإِنْ
فَانَعَمَ بِخَيْرِ وِلَايَةٍ وَلَا كَهَا
مَا آتَرُوكَ لَهَا بِغَيْرِ رَوِيَّةٍ
فَاسْمَعْ مَقَالََةَ صَادِقٍ لَمْ يَنْتَسِبْ
أَوْلَيْتَهُ خَيْرًا فَقَامَ بِشُكْرِهِ
فَاعْطِطْ عَلَيْهِ تَجِدْ سَلِيلَ كَرَامَةٍ

مِنْهَا لِمُزْدَرَعٍ وَلَا لِكَسُوبٍ (١٤)
غُلْبٍ وَرَفَافِ النَّبَاتِ خَصِيبٍ (١٥)
زَفِّ الرُّثَالِ تَمَطَّرَتْ بِسُهُوبٍ (١٦)
تَخْتَالُ بَيْنَ شَمَائِلٍ وَجُنُوبٍ (١٧)
ضَرْبَانِ بَيْنَ تَحْفِزٍ وَدَيْبِ
أَقْصَرْتَهُ سَارَتْ بِغَيْرِ لُغُوبٍ (١٨)
رَبُّ الْعِبَادِ بِرَعْمٍ كُلِّ رَقِيبٍ (١٩)
بَلْ لِاعْتِصَامِهِمْ بِخَيْرِ لَيْبِ
لِسَوَاكَ فِي أَدْبٍ وَلَا تَهْذِيبِ
وَالشُّكْرُ لِلْإِحْسَانِ خَيْرٌ ضَرْبٍ (٢٠)
أَهْلًا لِحُسْنِ الْأَهْلِ وَالتَّرْجِيبِ

(١٤) المزدرع: الزارع. والكسوب: طالب الرزق.

(١٥) يستن: يجري ويضطرب. وغلب: جمع غلباء، وهي الحديقة المتكاثفة. ورف النبات يرف، وله وريف ورفيف: هو أن يهتز نضارة وتلألؤاً.

يقول: إن النيل يجري بين حدائق متكاثفة، وواد خصيب نضير النبات.

(١٦) السراة: أعلى كل شيء. والزف: الإسراع، أي يسرع إسراع الرثال. والرثال: أولاد النعام. مفردة رأل ورألة. وتمطرت: ذهبت مسرعة. والسهوب: جمع سهب، وهو المستوى من الأرض في سهولة. سهوب الفلاة: نواحيها التي لا مسلك فيها.

(١٧) الصبا: الريح تهب من مطلع الشمس. ونقرها: نفخها وتصويتها. والشماثل: جمع شمال وهي الريح التي تهب من ناحية يسارك وأنت متجه إلى الشرق. والجنوب: الريح المقابلة للشمال.

(١٨) العنان في الأصل: سير اللجام الذي تمسك به الدابة، والمراد بإطالة العنان إرخاء حبل الشراع للسفينة. واللغوب: الإعياء والضعف والتعب.

(١٩) الرقيب: المراقب، ومراده العدو.

(٢٠) الضريب: المثل.

يُنْبِيكَ ظَاهِرُهُ بِوُدِّ ضَمِيرِهِ وَالْوَجْهَ وَسَمَةَ مُخْلِصٍ وَمُرِيبٍ (٢١)
وَأَلَيْكَ مِنْ حَوْكِ اللُّسَانِ حَبِيرَةً يُغْنِيكَ رَوْنَقُهَا عَنِ التَّشْيِيبِ (٢٢)
حَضْرِيَّةَ الأَنْسَابِ إِلَّا أَنَّهَا بَدْوِيَّةٌ فِي الطَّبَعِ وَالتَّرْكِيبِ
وَلَعَتْ بِمَنْطِقِهَا النُّفُوسُ غَرَابَةً وَالنَّفْسُ مُوَلَّعَةٌ بِكُلِّ غَرِيبِ
أَرْسَلْتَهَا مَثَلًا بِمَدْحِكَ فِي الْوَرَى وَالسَّهْمُ مَنْسُوبٌ لِكُلِّ مُصِيبِ (٢٣)
كَلِمٌ أَثَرْتُ بِهَا جَوَادَ بَرَاعَةٍ لَا يُقْتَنَى فِي الحُضْرِ وَالتَّقْرِيبِ (٢٤)
تَرَكَ « الْوَلِيدَ » مُلْتَمًا بِغُبَارِهِ وَمَضَى فَكَفَكَفَ مِنْ عِنَانِ « حَبِيبِ » (٢٥)
فَاسْتَجَلَّهَا تَلَمَّحٌ خِلَالِكَ بَيْنَهَا فِي وَشِيٍّ بُرْدٍ لِلْكَلامِ قَشِيبِ (٢٦)
كَزَجَاجَةِ التَّصْوِيرِ شَفَّتْ فَاجْتَلَّتْ مِنْ وَصْفِهِ مَا كَانَ غَيْرَ قَرِيبِ (٢٧)
لَا زِلْتِ فِي فَلَكِ المَعَالِي كَوَكْبًا تُهْدِي الضُّيَاءَ لِأَعْيُنِ وَقُلُوبِ

(٢١) يريد بالوسمة: العلامة. والمريب: المتهم في إخلاصه.

(٢٢) الحوك: النسج. والحبيرة: الجديدة الموشاة من الثياب. وشبب الشاعر قصيدته: حسنها وزينها بذكر النساء.

(٢٣) الورى: الخلق، والناس.

(٢٤) البراعة: الغلب والتفوق، أو هي البراعة: بمعنى القلم. والكلام على التشبيه: أي يراعة كالجواد السباق. ولا يقتني: لا يتبع. والحضر: ارتفاع الفرس في عدوه كالإحضار، أو هو عدو ذو وثب. والتقريب: ضرب من العدو، أو أن يرفع الفرس يديه معاً، ويضعهما معاً.

(٢٥) الوليد: هو أبو عبادة بن عبيد البحرني الطائي المتوفى سنة ٢٨٤ هـ. وكفكف: دفع وصرف. وحبيب بن أوس الطائي: هو أبو تمام الشاعر النابغة المشهور المتوفى سنة ٢٣١ هـ. والمراد: أن هذه القصيدة فاقت بشرف موضوعها، وجمال نسجها، شعر هذين الشعارين المشهورين.

(٢٦) استجلها: انظر إليها. وخلالك: خصالك. ووشيت الثوب وشياً: رقمته ونقشته. والبرد: الثوب. وقشيب: جديد.

(٢٧) شفت: صفت فحكت ما وراءها. واجتلت من وصفه... الخ: أي عرضت وصفه مجلواً باهراً. والضمير في وصفه يعود على التصوير بمعنى الشيء المصور أو يعود على الممدوح.

وقال يذكر أيام الشباب :

أعد يا دهر أيام الشباب
 زمان كلما لاحت بفكري
 مضى عني وغادر بي ولوعاً
 وكيف تلذ بعد الشيب نفسي
 أصد عن النعيم صدود عجز
 وما في الدهر خير من حياة
 في الله كم لي من ليل
 إذ النعماء وارفة علينا
 نطير مع السرور إذا انتشينا
 فغدوتنا وروحتنا سواء
 وربت روضة ملنا إليها
 وأين من الصبا ذك الطلاب؟^(١)
 مخايله بكيت لفرط ما بي^(٢)
 تولد منه حزني واكتسابي^(٣)
 وفي اللذات إن سنحت عذابي
 وأظهر سلوة والقلب صابي^(٤)
 يكون قوامها روح الشباب
 به سلفت وأيام عذاب^(٥)
 ومرعى اللهو مخضر الجناب^(٦)
 بأجنحة الخلاعة والتصابي^(٧)
 لعاب في لعاب في لعاب^(٨)
 وقرن الشمس تبري الإهاب^(٩)

(١) الدرك : اللحاق . والطلاب : ما تطلبه من غيرك ، يتمنى أن يعيد إليه الدهر أيام الشباب .

(٢) المخايل : جمع مخيلة وهي ما يتخيل . والمراد بمخايل زمان الشباب : ذكرياته وصوره .

(٣) الولوع : اسم من ولع بالشيء ، أي علق به ، وأغرى .

(٤) صاب : مائل ، أي مال إلى الجهل والفتوة .

(٥) سلفت : مضت .

(٦) وارفة : متسعة طويلة ممتدة . والجناب : الناحية .

(٧) الخلاعة : الاستهتار . والتصابي : الميل إلى دواعي الصبا وجهل الفتوة ، والتصابي أيضاً :

الشوق وتوقان النفس إلى شهواتها .

(٨) الغدوة : السير في أول النهار . والروحة : العودة آخر النهار . والمعنى : أن سيرنا متشابه في

المرح واللهو واللعب ، وأوقاتنا كلها في هذا سواء .

(٩) قرن الشمس : أول شعاعها . والتبر : الذهب قبل أن يصاغ ويضرب . والإهاب : الجلد .

نَمَتْ أَدْوَاهُهَا وَسَمَتْ فَكَانَتْ عَلَى السَّاحَاتِ أَمْثَالَ الْقِيَابِ (١٠)
 فَزَهْرُ غُصُونِهَا طَلَقُ الْمُحْيَا وَجَدُولُ مَائِهَا عَذْبُ الرُّضَابِ (١١)
 كَانَ غُصُونُهَا غِيْدُ تَهَادَى مِنَ الزَّهْرِ الْمُنْمَقِ فِي ثِيَابِ (١٢)
 سَقَّتْهَا السُّحْبُ رِيْقَهَا فَمَالَتْ كَمَا مَالَ النَّزِيْفُ مِنَ الشَّرَابِ (١٣)
 فَسَبَّحَ طَيْرُهَا سُكْرًا وَأَثْنَتْ بِأَلْسِنَةِ النَّبَاتِ عَلَى السَّحَابِ
 وَيَوْمَ نَاعِمِ الطَّرْفَيْنِ نَادٍ عَلِيلِ الْجَوْهَلْهَالِ الرَّبَابِ (١٤)
 سَبَقَتْ بِهِ الشُّرُوقَ إِلَى التَّصَابِي بُكُورًا قَبْلَ تَنْعَابِ الْغُرَابِ (١٥)
 وَسُقَّتْ مَعَ الْغُوَاةِ كُمَيْتَ لَهْوٍ جَمُوحًا لَا تَلِينُ عَلَى الْجِدَابِ (١٦)
 إِذَا أَلْجَمْتَهَا بِأَلْمَاءٍ قَرَّتْ وَدَارَ بِجِيْدِهَا لَبَبُ الْحَبَابِ (١٧)
 مُورِدَةٌ إِذَا اتَّقَدَتْ بِكَفِّ جَلَّتْهَا لِأَشِعَّةٍ فِي خِضَابِ (١٨)
 هُوَ الْعَصْرُ الَّذِي دَارَتْ عَلَيْنَا بِهِ اللَّذَاتُ وَاضِعَةَ النَّقَابِ (١٩)

- (١٠) الأدواح: جمع دوح، والدوح جمع دوحه، وهي الشجرة العظيمة.
- (١١) الرضاب: الريق المرشوف. وماء عذب الرضاب: أي سائغ طيب هنيء.
- (١٢) الغيد: جمع غيداء، وهي المرأة الممتثية لينا. والمنمق: المحسن المزين.
- (١٣) الريق: الخالص، وريق السحب: ماؤها العذب النقي. والنزيف: السكران. ويريد بالشراب الخمر.
- (١٤) ناد: بليل الهواء. وهلهال: رقيق. والرباب: السحاب الأبيض، واحدته ربابة.
- (١٥) التصابي: الانهماك في دواعي الصبا، وجهل الفتوة. وتنعاب: صياح.
- (١٦) المراد بالغواة: الندامى. والكميت: الفرس لونها أحمر قانيء، ويريد بها الخمر. وجموحاً: صفة من جمع الفرس. ولا تلين على الجذاب: تأكيد لمعنى الجموح.
- (١٧) ألجمتها بالماء: المراد مزجتها به. وقرت: استقرت وسكنت. واللبب: موضع القلادة من العنق، وقد أطلقه هنا على القلادة نفسها. والحباب: نفاخات الشراب، أي الفقاقيع التي تعلقها، واسمها اليعاليل.
- (١٨) جلتها: أوضحتها وكشفتها. والخضاب: ما يختضب به، كالحناء ونحوه.
- (١٩) النقاب: ما تغطي به المرأة وجهها. ووضعت خمارها أو نقابها: خلعتة، وكشفت عن وجهها. ووضع النقاب هنا: كناية عن الخلاعة، وترك الحياء، وركوب الهوى، والتمادي في اللذات.

نُجَاهِرُ بِالْغَرَامِ وَلَا نُبَالِي
 فَيَا لَكَ مِنْ زَمَانٍ عِشْتُ فِيهِ
 إِذَا ذَكَرْتَهُ نَفْسِي أَبْصَرْتَهُ
 تَحَوَّلَ ظِلُّهُ عَنِّي وَأَذْكَى
 كَذَاكَ الدَّهْرُ مَلَأَ خَلُوبُ
 فَلَا تَرَكْنُ إِلَيْهِ فَكُلُّ شَيْءٍ
 وَعِشْ فَرْدًا فَمَا فِي النَّاسِ خِلٌ
 حَلَبْتُ الدَّهْرَ أَشْطَرَهُ مَلِيًّا
 فَمَا أَبْصَرْتُ فِي الإِخْوَانِ نَدْبًا
 وَلَكِنَّا نَعَاشِرُ مَنْ لَقِينَا
 وَنَنْطِقُ بِالصَّوَابِ وَلَا نُحَاطِي (٢٠)
 نَدِيمَ الرَّاحِ وَالْهَيْفِ الْكَعَابِ (٢١)
 كَأَنِّي مِنْهُ أَنْظَرُ فِي كِتَابِ
 بِقَلْبِي لَوْعَةً مِثْلَ الشُّهَابِ (٢٢)
 يَغُرُّ أَخَا الطَّمَاعَةِ بِالْكَذَابِ (٢٣)
 تَرَاهُ بِهِ يَتَوَلَّى إِلَى ذَهَابِ
 يَسُرُّكَ فِي بَعَادٍ وَأَقْتِرَابِ
 وَذُقْتُ العَيْشَ مِنْ أَرِيٍّ وَصَابِ (٢٤)
 يَجِلُّ عَنِ المَلَامَةِ وَالْعِتَابِ (٢٥)
 عَلَى حُكْمِ المُرُوءَةِ وَالتَّغَابِي (٢٦)

وَقَالَ وَهُوَ بِسَرْنَدِيْبٍ يَتَشَوَّقُ إِلَى مِصْرَ ، وَيُرْتِي صَدِيقِيهِ : الأَسْتَاذَ الشَّيْخَ حُسَيْنًا
 المَرْصَفِيَّ ، وَعَبَدَ اللّٰهَ بِأَشَا فِكْرِي * :

أَيَّنَ أَيَّامُ لَذَّتِي وَشَبَابِي ؟
 أَرَاهَا تَعُودُ بَعْدَ الذَّهَابِ ؟

- (٢٠) نحابي : نسامح ونجامل .
- (٢١) الراح : الخمر . والهياف : جمع هيفاء ، وهي المرأة الضامرة البطن والخاصرة . والكعاب : جمع كاعب ، وهي الجارية نهد ثديها ، أي ظهر وبرز .
- (٢٢) أذكى : أشعل وأوقد . واللوعة : حرقه في القلب ، وألم من حبّ أو همّ ونحوه . والشهاب : شعلة من نار ساطعة .
- (٢٣) ملاق : خداع . وخلوب : خادع . ويغرّ : يخدع . والطماعة : الطمع .
- (٢٤) حلبت الدهر أشطره : مرّ به خيره وشره . وملياً : أي زماناً طويلاً . والأرى : العسل . والصاب : شجر مرّ ، الواحدة صابة . والمراد بأرى العيش وصابه : حلو الحياة ومرّها .
- (٢٥) الندب : الخفيف في الحاجة ، والظريف والنجيب .
- (٢٦) التغابي : التغافل .
- (*) توفي عبد الله باشا فكري ، والشيخ حسين المرصفي سنة ١٣٠٧ هـ .

ذَاكَ عَهْدٌ مَضَى وَأَبْعَدُ شَيْءٍ
 فَأَدِيرَا عَلَيَّ ذِكْرَاهُ إِنِّي
 كُلُّ شَيْءٍ يَسْأَلُوهُ ذُو اللَّبِّ إِلَّا
 لَيْتَ شِعْرِي مَتَى أَرَى رَوْضَةَ الْمَنَدِ
 حَيْثُ تَجْرِي السَّفِينُ مُسْتَبَقَاتٍ
 قَدْ أَحَاطَتْ بِشَاطِئِهِ قُصُورُ
 مَلْعَبٍ تَسْرَحُ النُّوَاطِرُ مِنْهُ
 كُلَّمَا شَافَهُ النَّسِيمُ ثَرَاهُ
 ذَاكَ مَرْعَى أَنَسِي وَمَلْعَبُ لَهْوِي
 لَسْتُ أَنْسَاهُ مَا حَيَّيْتُ وَحَاشَا
 لَيْسَ يَرْعَى حَقُّ الْوَدَادِ وَلَا يَذُ
 فَلَيْتُنْ زَالَ فَاشْتِيَاقِي إِلَيْهِ
 يَا نَدِيمِي مِنْ « سَرْنَدِيبَ » كُفَّا

أَنْ يَرُدَّ الزَّمَانَ عَهْدَ التَّصَابِي (١)
 مِنْذُ فَارَقْتُهُ شَدِيدُ الْمُصَابِ
 مَاضِي اللَّهْوِ فِي زَمَانِ الشَّبَابِ
 يَلِ ذَاتَ النَّخِيلِ وَالْأَعْنَابِ (٢)
 فَوْقَ نَهْرٍ مِثْلَ اللَّجِينِ الْمُذَابِ (٣)
 مُشْرِقَاتٌ يَلْحَنُ مِثْلَ الْقِيَابِ
 بَيْنَ أَفْنَانِ جَنَّةٍ وَشَعَابِ (٤)
 عَادَ مِنْهُ بِنَفْحَةٍ كَالْمَلَابِ (٥)
 وَجَنَى صَبُوتِي وَمَغْنَى صِحَابِي (٦)
 أَنْ تَرَانِي لِعَهْدِهِ غَيْرَ صَابِي (٧)
 كُرُّ عَهْدًا إِلَّا كَرِيمُ النَّصَابِ (٨)
 مِثْلَ قَوْلِي بَاقٍ عَلَى الْأَحْقَابِ (٩)
 عَنْ مَلَامِي وَخَلْيَانِي لِمَا بِي

(١) يريد بعهد التصابي: زمن الشباب، ودواعي الصبا.

(٢) ليت شعري: ليتني أعلم.

(٣) السفين: اسم جمع لسفينة. واللجين: الفضة.

(٤) الأفنان: جمع فنن، وهو الغصن. والشعاب: جمع شعب، وهو مسيل الماء.

(٥) شافه: داناه وقاربه. والثرى: الندى والتراب الندي والأرض. والملاب: عطر، أو هو الزعفران.

(٦) الجنى: كل ما يجنى. والصبوة: جهلة الفتوة. والمغنى: المنزل الذي غنى به أهله، أي أقاموا فيه وعاشوا، ثم ظعنوا.

(٧) صاب: مائل، مشوق.

(٨) النصاب: الأصل.

(٩) الأحقاب: جمع حقب، وهو الدهر، أو السنة.

كَيْفَ لَا أُنْدُبُ الشَّبَابَ وَقَدْ أَضَدُّ
 أَخْلَقَ الشَّيْبُ جِدَّتِي وَكَسَانِي
 وَلَوَى شَعْرَ حَاجِبِي عَلَى عَيْدِ
 لَا أَرَى الشَّيْءَ حِينَ يَسْنَحُ إِلَّا
 وَإِذَا مَا دُعِيْتُ جِرْتُ كَأَنِّي
 كَلَّمَا رُمْتُ نَهْضَةً أَقْعَدْتَنِي
 لَمْ تَدْعُ صَوْلَةَ الْحَوَادِثِ مِنِّي
 فَجَعَلْتَنِي بِوَالِدِي وَأَهْلِي
 كُلَّ يَوْمٍ يَزُولُ عَنِّي حَبِيبُ
 أَيْنَ مِنِّي (حُسَيْنُ) بَلْ أَيْنَ (عَبْدُ اللَّهِ
 مَضِيًّا غَيْرَ ذُكْرَةٍ وَبَقَاءِ الذُّ
 لَمْ أَجِدْ مِنْهُمَا بَدِيلًا لِنَفْسِي
 بَحْتُ كَهْلًا فِي مِحْنَةٍ وَاعْتِرَابِ
 خَلْعَةً مِنْهُ رَثَّةَ الْجِلْبَابِ (١٠)
 نِي حَتَّى أَطْلُ كَالْهُدَابِ (١١)
 كَخَيَالِ كَأَنِّي فِي ضَبَابِ (١٢)
 أَسْمَعُ الصَّوْتِ مِنْ وَرَاءِ حِجَابِ
 وَنِيَّةٌ لَا تُقْلَهُا أَعْصَابِي (١٣)
 غَيْرَ أَشْلَاءِ هَمَّةٍ فِي ثِيَابِ (١٤)
 ثُمَّ أَنْحَتُ تَكْرُفِي أَتْرَابِي (١٥)
 يَا لِقَلْبِي مِنْ فُرْقَةِ الْأَحْبَابِ !
 (هـ) رَبُّ الْكَمَالِ وَالْآدَابِ
 كُرِّ فَخْرِي دَوْمًا لِلْأَعْقَابِ (١٦)
 غَيْرَ حُزْنِي عَلَيْهِمَا وَاكْتِيَابِي

(١٠) أخلق: أبلى وأفنى. وجد الشيء يجد جدة: صار جديداً، وهو نقيض الخلق. والخلعة: ما تمنحه غيرك من الثياب. ورثة: بالية.

(١١) الهداب: حمل الثوب، أي الخيوط التي تبقى في طرفه دون أن يكمل نسجها.

(١٢) يسبح: يعرض ويظهر.

(١٣) رمت: أردت وطلبت. وونى في الأمر ونياً: ضعف وفتن، والونية: اسم مرة منه.

(١٤) الصولة: السطوة. والأشلاء: جمع شلو، وهو العضو، أو بقیة الشيء.

(١٥) الفجع: أن يوجع الإنسان بشيء يكرم عليه فيعدهم. وأنحت: أقبلت. والكر: أن يفرّ الفارس للجولان، ثم يعود للقتال، والمراد: تصيب. والأتراب: جمع ترب، وهو من ولد معك، ومن ساواك في السن.

(١٦) الذكرة: ضد النسيان، والذكرة أيضاً: الصيت. والمعنى: أنهما مضيا ولم ينس صيتهما. والذکر: الصیت والثناء والشرف والعلاء. والأعقاب: جمع عقب، وهو ولد الرجل، وولد ولده

قَدْ لَعَمْرِي عَرَفْتُ دَهْرِي فَأَنْكَرُ
 وَتَجَنَّبْتُ صُحْبَةَ النَّاسِ حَتَّى
 لَا أُبَالِي بِمَا يُقَالُ وَإِنْ كُنْتُ
 قَدْ كَفَانِي بُعْدِي عَنِ النَّاسِ أَنِّي
 فَلْيَقُلْ حَاسِدِي عَلَيَّ كَمَا شَاءَ
 لَيْسَ يَخْفَى عَلَيَّ شَيْءٌ وَلَكِنْ
 وَكَفَى بِالْمَشِيبِ وَهُوَ أَخُو الْحَزْزِ
 إِنَّمَا الْمَرْءُ صُورَةٌ سَوْفَ تَبْلَى

وقال يروض القول (★) :

سَلُّوا عَنْ فُؤَادِي قَبْلَ شِدِّ الرِّكَائِبِ
 أَغَارَتْ عَلَيْهِ فَاخْتَوَتْهُ بِلِحْظِهَا
 فَلَا تَبْرَحُوا أَوْ تَسْأَلُوهَا فَرُبَّمَا
 فَقَدْ ضَاعَ مِنِّي بَيْنَ تِلْكَ الْمَلَاعِبِ
 فَتَاةٌ لَهَا فِي السَّلْمِ فَتْكُ الْمُحَارِبِ (١)
 أَعَادَتْهُ أَوْ جَاءَتْ بِوَعْدِ مُقَارِبِ

(١٧) لعمري: وحياتي. يشير إلى أنه لما عرف دهره، وفتن لأحوال الناس في زمانه، أنكر كثيراً من أمورهم، ولم ترقه أخلاقهم، ولهذا صرح في البيت الآتي بأنه اعتزلهم، واجتنب صحبتهم.

(١٨) التقاة: التقوى، وهي أن تحفظ نفسك مما يغضب الله تعالى.

(١٩) المليء: القادر على الشيء، يقال: هو مليء بكذا، أي مضطلع به.

(٢٠) الغيبة: أن تذكر غيرك بما يكره، أي أن تتكلم خلف إنسان مستور بما يغمه لو سمعه، فإن كان صديقاً سُمي غيبةً، وإن كان كذباً سُمي بهتاناً. يريد: أن بعده عن الناس جعله في أمن من شر

الغيبة، ولكن عبارة البيت لا تحسن أداء هذا المعنى.

(٢١) الخنا: الفحش والقبح.

(٢٢) أتغابي: أتغافل، وأظهر الغباوة، وهي قلة الفطنة.

(٢٣) تبلى: تهلك وتنفى.

(★) يروض القول: يذلل، ويمرّن نفسه عليه.

(١) اللحظ: النظر بمؤخر العين، وجمعه ألحاظ.

وَكَيْفَ تُوَارِيهِ وَهَذَا أُنِينُهُ
فِيَا سَرَوَاتِ الْحَيِّ هَلَّا أَجَبْتُمْ
إِذَا لَمْ تُعِينُونِي وَأَنْتُمْ عَشِيرَتِي
أَيَذْهَبُ قَلْبِي غِيْلَةً ثُمَّ لَا أَرَى
إِذَا الْمَرْءُ لَمْ يَنْصُرْ أَخَاهُ بِنَفْسِهِ
فَلَا تَعْذُلُونِي إِنْ تَخَلَّفْتُ بَعْدَكُمْ
فَثُمَّ جَنَابٌ لَا يُرَاعُ نَزِيلُهُ
إِذَا سَارَ فِيهِ الطَّرْفُ قَيْدَ بِنَانَةٍ
وَبَيْنَ الْعَوَالِي فِي الْخُدُورِ نَوَاشِيءٌ
إِذَا هُنَّ رَفَعْنَ السُّجُوفَ أُرَيْنَنَا
جَلُونَ بِحُلُوانِ الْوُجُوهِ كَوَاكِبًا

يَدُلُّ عَلَيْهِ السَّمْعُ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ
دَعَاءٌ فَتَى مِنْكُمْ قَرِيبِ الْمَنَاسِبِ (٢)
فَسِيرُوا وَخَلُونِي فَلَسْتُ بِذَاهِبٍ
لَهُ بَيْنَكُمْ مِنْ نَائِرٍ أَوْ مُطَالِبٍ
لَدَى كُلِّ مَكْرُوهٍ فَلَيْسَ بِصَاحِبٍ
فَمَا أَنَا عَنْ مَثْوَى الْفُؤَادِ بِرَاغِبٍ (٣)
بِنَائِرَةٍ لَوْلَا عُيُونُ الْكَوَاعِبِ (٤)
تَعَثَّرَ مَا بَيْنَ الْقَنَا وَالْقَوَاصِبِ (٥)
مِنَ الْعَيْنِ حُمْرُ الْحَلِيِّ بِيضُ التَّرَائِبِ (٦)
مَحَاسِنَ تَدْعُو لِلصَّبَا كُلِّ رَاهِبٍ (٧)
فِيَا مَنْ رَأَى فِي الْأَرْضِ سَيْرَ الْكَوَاكِبِ

(٢) السروات: جمع سَراة، اسم جمع لسري، وهو الرئيس الشريف ذو المروءة. والحي: العشيرة، أو البطن من بطون العرب، وهو دون القبيلة. والمناسب: الأنساب والقربات.

(٣) لا تعذلوني: لا تلوموني. ومثوى الفؤاد: مقامه ومستقره.

(٤) الجناب: فناء الدار أو المحلة أو الناحية. ويقال: أنا في جناب فلان، أي في كنفه ورعايته. والنائرة: العداوة والشحناء. والكواعب: جمع كاعب، وهي الجارية التي كعب ثديها، أي نهده وبرز، وظهر، وارتفع.

(٥) الطرف: العين، أو هي الطرف، وهو الحصان الكريم. وقيد: قدر. يقال بينهما قيد شبر، أي مقدار شبر. والبنانة: واحدة البنان، وهي أطراف الأصابع. والقنا: جمع قناة، وهي الرمح. والقواضب: جمع قاضب، وهو السيف القطع.

(٦) العوالي: جمع عالية، وهي أعلى الرمح، أو النصف الذي يلي السنان، أو رأس الرمح. والخدور: جمع خدر، وهو الستر. والنواشيء: جمع ناشئة، وهي الجارية جاوزت حد الصغر وشبت. والعين: جمع عيناء، وهي التي عظم سواد عيניה في سعة مستحسنة. والترائب: عظام الصدر، واحدتها تريبة، والمراد أنهن بيض الأجسام.

(٧) السجوف: جمع سجعف، وهو الستر. والصبأ: جهلة الفتوة، واللهمون الغزل والعشق والغرام.

وَفَوْقَ الْحَاظِ فَأُصْمِنَ أَنْفَسًا
 فَكَمْ مِنْ صَرِيحٍ فِي حَبَائِلِ مُقْلَةٍ
 لَعَمْرُكَ مَا فِي الْأَرْضِ وَهِيَ رَجِيَّةٌ
 فَلَا تَطْلُبَنَّ الْحُسْنَ فِي غَيْرِ أَهْلِهِ
 فَهِنَّ الْأَلَى عَوْدَنَّ قَلْبِي عَلَى الْهَوَى
 وَتَيَمَّنَنِي حَتَّى إِذَا مَا تَرَكْنَنِي
 وَمَا كُنْتُ لَوْلَاهُنَّ أُسْتَقْبِلُ الصَّبَا
 وَمَا زَادَ مَاءَ النَّيْلِ إِلَّا لِأَنَّي
 فَيَا صَاحِبِي هَلْ مِنْ فَكَاكِ لَوَاقِعٍ
 خَضَعْتُ لِأَحْكَامِ الْهَوَى بَعْدَ عِزَّةٍ
 وَإِنَّا أَنْاسٌ لَا تَهَابُ نُفُوسُنَا
 نَرُدُّ عَلَى الْأَعْقَابِ كُلَّ سَرِيَّةٍ
 بِلا تِرَةٍ إِلَّا مَجَانَةَ لِاعِبِ (٨)
 وَكَمْ مِنْ أَسِيرٍ فِي قِيُودِ ذَوَائِبِ (٩)
 كَغَزْلَانٍ هَذَا الْحَيِّ عُذْرٌ لِنَاسِبِ (١٠)
 فَأَبْدَعُ مَا فِي الْأَرْضِ حُسْنُ الْأَعَارِبِ
 وَأَخْلَفَنَ ظَنِّي بِالْعِدَاتِ الْكَوَاذِبِ
 أَخَا سَقَمٍ أَسْلَمَنَنِي لِلنَّوَائِبِ (١١)
 وَأَسْأَلُ عَنْ أَهْلِ الْحِمَى كُلِّ رَاكِبِ (١٢)
 وَقَفْتُ بِهِ أَبْكِي فِرَاقَ الْحَبَائِبِ
 بِأَسْرِ الْهَوَى أَوْ مِنْ نَجَاةٍ لِهَائِبِ
 وَمَا كُنْتُ لَوْلَا الْحُبُّ طَوْعَ الْجَوَاذِبِ (١٣)
 لِقَاءَ الْأَعَادِي أَوْ قِرَاعَ الْكُتَائِبِ (١٤)
 وَنَعَجَزُ عَنْ نَبْلِ الْعُيُونِ الصَّوَائِبِ

(٨) فوق السهم: جعل له فوقاً (بضم الفاء)، وهو موضع الوتر من السهم، أو فوقه: وضعه في الوتر عند الرمي. وأصمى الصائد الصيد: رماه فقتله مكانه وهو يراه. والثرة: الذحل، أي الثأر. والمجانة: عدم المبالاة، أو الهزل.

(٩) الذوائب: جمع ذؤابة، وهي الضفيرة من الشعر إذا كانت مرسلة.

(١٠) يريد بالغزلان: الفتيات الجميلات. ونسب الشاعر بالمرأة نسباً ونسياً: شَبَّبَ بِهَا فِي الشَّعْرِ، وَتَغَزَّلَ، وَعَرَّضَ بِهَوَاهَا وَحَبَّهَا.

(١١) تيمه تسيماً: استعبده، وذلكه، وذَهَبَ بِعَقْلِهِ. وسقم: مرض. والنوائب: النوازل والشدائد.

(١٢) الصُّبَا: الريح تهب من مطلع الشمس. والحمى: المكان الذي لا يقرب، ولا يُجْتَرَأُ عَلَيْهِ. ويريد بالحمى: ديار الأحياء.

(١٣) يراد بالجواذب: الحسان اللاتي يجتذبن العُشَّاقَ إِلَيْهِنَّ بِحُسْنِهِنَّ. أو يراد بها: دواعي الهوى وآثاره.

(١٤) القراع: القتال والمغالبة. والكتائب: جمع كتبية، وهي الفرقة من الجيش.

فَلَوْ كَانَ هَذَا الْحُبُّ شَخْصًا مُحَارِبًا
وَلَكِنَّهُ الْخَضَمُ الَّذِي خَضَعَتْ لَهُ
فَلَا يَحْسَبَنَّ النَّاسُ قَوْلِي فُكَاهَةً
إِذَا الْمَرْءُ لَمْ يَفِرِ الْأُمُورَ بِعِلْمِهِ
وَقَالَ وَهُوَ بَسْرَنْدِيبٌ :

لِكُلِّ دَمْعٍ مِنْ مُقْلَةٍ سَبَبٌ
لَوْلَا مُكَابِدَةُ الْأَشْوَاقِ مَا دَمَعَتْ
فَيَا أَخَا الْعَذْلِ لَا تَعْجَلْ بِلَائِمَةٍ
لَوْ كَانَ لِلْمَرْءِ عَقْلٌ يَسْتَضِيءُ بِهِ
وَلَوْ تَبَيَّنَ مَا فِي الْغَيْبِ مِنْ حَدِيثٍ
لَكِنَّهُ غَرَضٌ لِلدَّهْرِ يَرُشِقُهُ
فَكَيْفَ أَكْتُمُ أَشْوَاقِي وَبِي كَلْفُ
أَمْ كَيْفَ أَسْأَلُ وَلِي قَلْبٌ إِذَا التَّهَبَّتْ
أَصْبَحْتُ فِي الْحُبِّ مَطْوِيًّا عَلَى حُرْقٍ
إِذَا تَنَفَّسْتُ فَاصْتُ زَفْرَتِي شَرًّا

(١٥) أوجره الريح : طعنه به في فيه . وطعنة فوهاء : واسعة . وروى من الماء فهو ريان وهي ريانا .
والمراد : أن الدم يسيل من جوانب هذه الطعنة .

(١٦) فرى الشيء يفره : قطعه على وجه الإصلاح . والمراد معالجة الأمور بتدبر وروية وإصلاح .

(١) مكابدة : مقاساة . ووجب القلب يجب وجيباً : اضطرب .

(٢) العذل : اللوم ، ومثله اللائمة والملامة .

(٣) النوب : النوازل والمصائب .

(٤) الحرق : جمع حرقة ، وهي الاحتراق . ويتشعب : يعتلق ، والمراد يقضي على الروح .

لم يبقَ لي غيرَ نفسي ما أُجودُ بِهِ
 كأنَّ قلبي إذا هاجَ الغرامُ بِهِ
 لا يتركُ الحبُّ قلبي من لواعجهِ
 فلا تلمني على دمعٍ تحدرَ في
 منازلٍ كلما لاحَتْ مخايلُها
 لي عندَ ساكنها عهدُ شقيتُ بِهِ
 وعادَ ظني عيلاً بعدَ صحتهِ
 فإِسا سراًةَ الحمى ما بالَ نُصرتكمُ
 أضعتُموني وكانت لي بكمُ ثقةٌ
 أليسَ في الحقِّ أن يلقى النزيلُ بكمُ
 فكيفَ تسلُبني قلبي بلا ترةٍ
 مرَّت علينا تهادى في صواجبها

وَقَدْ فَعَلْتُ فَهَلْ مِنْ رَحْمَةٍ تَجِبُ ؟
 بَيْنَ الْحَشَا طَائِرٌ فِي الْفَخِّ يَضْطَرِبُ
 كَأَنَّما بَيْنَ قَلْبِي وَالْهَوَى نَسْبُ^(٥)
 سَفْحِ الْعَقِيقِ فَلِي فِي سَفْحِهِ أَرْبُ^(٦)
 فِي صَفْحَةِ الْفِكْرِ مَنِّي هَاجِنِي طَرِبُ^(٧)
 وَالْعَهْدُ مَا لَمْ يَصْنُهُ الْوُدُّ مُنْقَضُ^(٨)
 وَالظَّنُّ يَبْعُدُ أَحْيَاناً وَيَقْتَرِبُ
 ضَاقَتْ عَلَيَّ وَأَنْتُمْ سَادَةٌ نُجِبُ^(٩)
 مَتَى خَفَرْتُمْ ذِمَامَ الْعَهْدِ يَا عَرَبُ ؟^(١٠)
 إِمْنًا إِذَا خَافَ أَنْ يَتَّابَهُ الْعَطْبُ ؟^(١١)
 فَنَاءُ خِدرٍ لَهَا فِي الْحَيِّ مُتَسَبُّ ؟^(١٢)
 كَالْبَدْرِ فِي هَالَةٍ حَفَّتْ بِهِ الشُّهُبُ

(٥) اللواعج : حرق الحب .

(٦) تحدر : تنزل وانصب . والعقيق : الوادي ، أو اسم لموضع يريده الشاعر . وسفح العقيق : عرضه وناحيته . والسفح في آخر البيت قد يكون بمعنى إرسال الدمع ، وقد يكون بمعنى الناحية ،

والضمير المتصل به صالح لأن يعود على الدمع ، أو أن يعود على العقيق . والأرب : الحاجة .

(٧) المخايل : جمع مخيلة ، وهي في الأصل الظن ، والمراد بمخايل المنازل : صورها .

(٨) منقضب : منقطع .

(٩) السراة : اسم جمع لسري ، وهو الشريف السخي ذو المروءة . والحمى : المكان أو الشيء

المحظور الذي لا يقرب ، ولا يجترأ عليه . ونجب : جمع نجيب ، وهو الكريم الحسب .

(١٠) خفرتم : نقضتم . والذمام : الحرمة .

(١١) العطب : الهلاك .

(١٢) الترة : الذحل ، وهو الثأر . ووتره : أصابه بمكروه . والخدر : الستر . وجارية مخدرة : أي لزمت

الخدر . والحي : القبيلة من العرب . ولها في الحي منتسب : أي أصيلة في قومها .

تَهْتَرُ مِنْ فَرْعِهَا الْفَيْنَانِ فِي سَرَقٍ
كَأَنَّ غُرَّتَهَا مِنْ تَحْتِ طُرَّتِهَا
كَانَتْ لَنَا آيَةً فِي الْحُسْنِ فَاحْتَجَبَتْ
فَهَلْ إِلَى نَظْرَةٍ يَحْيَا بِهَا رَمَقُ
أَبِيْتُ فِي غُرْبَةٍ لَا النَّفْسُ رَاضِيَةٌ
فَلَا رَفِيقُ تَسُرُّ النَّفْسَ طَلَعَتْهُ
وَمِنْ عَجَائِبِ مَا لَأَقِيْتُ مِنْ زَمَنِي
لَمْ أَقْرِفْ زَلَّةً تَقْضِي عَلَيَّ بِمَا
فَهَلْ دِفَاعِي عَنْ دِينِي وَعَنْ وَطَنِي
فَلَا يَظُنُّ بِي الْحُسَّادُ مَنْدَمَةٌ
أَثْرَيْتُ مَجْدًا فَلَمْ أَعْبَأْ بِمَا سَلَبَتْ
لَا يَخْفِضُ الْبُؤْسُ نَفْسًا وَهِيَ عَالِيَةٌ

(١٣) الفرع: الشعر التام. والفينان: الحسن الطويل. والسرق: الحرير. والسمهري: الرمح المنسوب إلى سمهر زوج ردينة، وكانا مثقفين للرماح. والسوسن: نبات مشموم، عريض الورق من الرياحين. والعذب: أغصان الشجر، الواحدة بهاء، والعذبة أيضاً: طرف كل شيء.

(١٤) الغرة: بياض الجبهة. والطرّة: الشعر الموفى على الجبهة تطرّه الجارية، أي تحفه وتصففه وتسويه. وجانحة: اسم فاعل من جنح الليل إذا أدبر ومال للذهاب. والظلماء: ظلمة الليل. وانتقبت المرأة: غطت وجهها بالنقاب.

(١٥) النوى: البعد.

(١٦) شيعه الرجل: أتباعه وأنصاره. والكثب: القرب.

والمعنى: أن اللقاء أو مكانه غير قريب.

(١٧) منيت بالشيء: بليت به وأصبت. والخطب: الأمر الشديد.

(١٨) اقتراف الزلة: مخالطتها وارتكابها. والويل: العذاب. والحرب: أي اشتد غضبه.

(١٩) النشب: المال والعقار.

إِنِّي أَمْرٌ لَا يَرُدُّ الْخَوْفُ بِإِدْرَتِي
 مَلَكَتْ جِلْمِي فَلَمْ أَنْطِقْ بِمُنْدِيَةِ
 وَمَا أَبَالِي وَنَفْسِي غَيْرُ خَاطِئَةٍ
 هَا إِنَّهَا فِرْيَةٌ قَدْ كَانَ بَاءُ بِهَا
 فَإِنْ يَكُنْ سَاءَ نِي دَهْرِي وَعَادِرِنِي
 فَسَوْفَ تَصْفُو اللَّيَالِي بَعْدَ كُذْرَتِهَا
 وَلَا يَحِيفُ عَلَيَّ أُخْلَاقِي الْغَضَبُ (٢٠)
 وَصُنْتُ عِرْضِي فَلَمْ تَعْلَقْ بِهِ الرَّيْبُ (٢١)
 إِذَا تَخَرَّصَ أَقْوَامٌ وَإِنْ كَذَّبُوا (٢٢)
 فِي ثَوْبٍ «يُوسُفَ» مِنْ قَبْلِي دَمٌ كَذِبٌ (٢٣)
 فِي غُرْبَةٍ لَيْسَ لِي فِيهَا أَخٌ حَدِيبٌ (٢٤)
 وَكُلُّ دَوْرٍ إِذَا مَا تَمَّ يَنْقَلِبُ (٢٥)

وقال (★) :

وَلَمَّا تَدَاعَى الْقَوْمُ وَاشْتَبَكَ الْقَنَا
 وَزَيْنٌ لِلنَّاسِ الْفِرَارُ مِنَ الرَّدَى
 وَدَارَتْ بِنَا الْأَرْضُ الْفَضَاءُ كَأَنَّا
 صَبَرْتُ لَهَا حَتَّى تَجَلَّتْ سَمَاؤُهَا
 وَدَارَتْ كَمَا تَهَوَّى عَلَى قُطْبِهَا الْحَرْبُ (١)
 وَمَاجَتْ صُدُورُ الْخَيْلِ وَالتَّهَبَ الضَّرْبُ (٢)
 سُقِينَا بِكَأْسٍ لَا يُفِيقُ لَهَا شَرْبُ (٣)
 وَإِنِّي صَبُورٌ إِنْ أَلَمَّ بِي الْخَطْبُ (٤)

(٢٠) يحيف: يجور، ويطغى.

(٢١) المندية: المخزية، لأنها إذا ذكرت ندي جبين صاحبها حياء. والريب: جمع ريبة، وهي التهمة والشك.

(٢٢) تخرص القول: افعله وافتراه واختلقه.

(٢٣) فرية: تهمة مصنوعة مختلفة. وباء: رجع. ويوسف الصديق بن يعقوب عليهما السلام رماه إخوته في غيابة الجب.

(٢٤) تحدب: تعطف. وهو حدب على أخيه أي عاطف راحم.

(٢٥) الكدرة: ضد الصفو.

(★) يبدو لنا أن هذه الأبيات مما نظمه البارودي في حرب «كريد» أولى الحروب التي خاض غمارها سنة ١٢٨٢ - ١٢٨٤ هـ (١٨٦٥ - ١٨٦٧ م) وهو في الثامنة والعشرين.

(١) تداعى القوم: اعتزوا في الحرب، أي انتسبوا إلى آبائهم وقبائلهم، أو تجمّعوا. والقنا: جمع قناة، وهي الرمح. وقطب الرحي: حديدة تدور عليها.

(٢) الردى: الهلاك.

(٣) المراد بالشرب: السكارى. (٤) تجلّت: تكشفت. والخطب: الأمر الشديد.

وقال :

مَنْ صَاحَبَ الْعَجْزَ لَمْ يَظْفَرْ بِمَا طَلَبَا
لَا يُدْرِكُ الْمَجْدَ إِلَّا مَنْ إِذَا هَتَفَتْ
يَسْتَهْلُ الصَّعْبَ إِنْ هَاجَتْ حَفِيظَتُهُ
يَنْهَلُ صَارِمَهُ حَتْفًا وَمَنْطِقُهُ
إِنْ حَلَّ أَرْضًا حَمَى بِالسَّيْفِ جَانِبَهَا
فَذَاكَ إِنْ يَحْيَى تَحْيَى الْأَرْضُ فِي رَعْدٍ
فَاحْمِلْ بِنَفْسِكَ تَبْلُغْ مَا أَرَدْتَ بِهَا
وَجُدْ بِمَا مَلَكَتْ كَفَّاكَ مِنْ نَشْبٍ
لَا يَقْعُدُ الْبَطْلُ الصَّنْدِيدُ عَنْ كَرَمٍ

وقال يَصِفُ لَيْلَةَ أَنْسِ :

وَلَيْلَةَ أَنْسٍ قَصَرَ اللَّهْوُ طَوْلَهَا
صَدَعْنَا بِهَا الظُّلْمَاءَ حَتَّى تَبَلَّجَتْ
بِعَذْرَاءٍ شَابَتْ وَهِيَ دُونَ حِجَابٍ (١)
ضَبَابُهَا مِنْ ضَوْئِهَا بِشَهَابٍ (٢)

(١) الطرف : الكريم من الخيل . والشهب : ما ينقض بالليل شبيهاً بالكواكب .

(٢) الحمية : الأنفة والاستكبار .

(٣) الحفيظة : الحمية والغضب ، والمراد أنه لا يلجأ إلا إلى القوة إذا غضب .

(٤) الصارم : السيف القاطع . والحتف : الهلاك . وصال : وثب للقتال .

(٥) وعى الشيء : حفظه وتدبره ، والمراد (هنا) : سمع . والنبأة : الصوت الخفيف . ويراد بالشطر

الثاني أنه إن سمع مستصرخاً ركب جواده ، وسارع إلى إنجاده وإغاثته .

(٦) نشب : مال .

(٧) الصنديد : السيد الشريف الشجاع .

(١) يراد بالعذراء (هنا) : الخمر لم تتناولها كَفَّ شارب .

(٢) صدعنا : شققنا وفرقنا . وتبلَّجَتْ : أضاءت وأشرقت . والشهاب : شعلة من نار ساطعة .

مُعْتَقَةٍ كَانَتْ ذَخِيرَةَ مَعْشَرٍ
 أَتَتْ دُونَهَا الْأَيَّامُ حَتَّى تَخْلُصَتْ
 إِذَا اتَّقَدَتْ فِي الْكَاسِ خِلَتْ مُدِيرَهَا
 كَأَنَّ سَنَا الْكَاسَاتِ وَالنَّدُ سَاطِعٌ
 فَيَا حُسْنَهَا مِنْ لَيْلَةٍ غَيْرَ أَنَّهَا
 وَقَدْ لَاحَ بِالظُّلْمَاءِ فَجَرُّ كَأَنَّهُ

وقال :

قُمْ هَاتِيهَا وَاللَّيْلُ مَالٌ عَمُودُهُ
 وَبَدَا الْهَيْلَالُ عَلَى الْأَصِيلِ كَأَنَّهُ

وقال في الغزل :

يَا مَنْ رَأَى الشَّادِنَ فِي سِرْبِهِ
 أَرْسَلَ فَرْعَيْهِ لِكَيْ يَغْبَثَا
 يَتِيَهُ بِالْحُسْنِ عَلَى تَرْبِهِ^(١)
 بِأَكْرَتِي نَهْدِيهِ مِنْ عَجْبِهِ^(٢)

(٣) الأتم: ما كان لونه أغبر ضارباً إلى سواد، أو حمرة. وفي جوف أتم: أي في جوف دنّ يعلوه سواد، لما طلي به من القار. وكاب: كمد اللون متغيره.

(٤) لباب كل شيء: خالصه.

(٥) السنا: الضوء. والند: عود يتبخر به. ويراد بالند (هنا): دخان البخور. وساطع: مرتفع.

(١) يقصد بميل عمود الليل إلى الغرب: انتشار الظلمة بعد غروب الشمس. وجنود المغرب: ما يظهر من النجوم في ناحية الغرب في أول الليل.

(٢) الرق: جلد رقيق يكتب فيه.

(١) الشادن: الظبي إذا قوي، واستغنى عن أمه، ويراد به هنا: الجارية الحسناء المترعرة. والسرب: القطيع من الطباء. والمراد: جماعة النساء. والترب: اللدة: وهو من ولد معك، ومن كانت سنه مثل سنك.

(٢) الفرع: الشعر الطويل التام. والأكرة: لغة في الكرة. والنهد: الثدي.

وَأَبْذُلُ الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ
رَأَى الْهُدَى أَقْصَرَ عَنْ عَثْبِهِ^(٣)
مِنْ بَعْدِ مَا اسْتَوْلَى عَلَى لُبِّهِ^(٤)
مَا أَضْمَرَ الْإِنْسَانُ فِي قَلْبِهِ
فَهُنَّ عَوْنُ الدَّهْرِ فِي حَرْبِهِ
حَتَّى دَعَا الْغَيْدَ إِلَى حِزْبِهِ^(٥)

أَحْتَمِلُ الْمَكْرُوهَ مِنْ أَجْلِهِ
قَدْ لَامَنِي الْعَاذِلُ فِيهِ وَلَوْ
وَهَلْ يُطِيقُ الْمَرْءُ سِتْرَ الْهَوَى
تَقَلُّبُ الْعَيْنِ دَلِيلٌ عَلَى
يَا سَامِحَ اللَّهِ عُيُونَ الْمَهَا
أَمَا كَفَى مَا جَرَّ أَحْدَاثُهُ؟

وقال :

وَصُونِي حِمَاهُ فَهُوَ مَنْزِلَةُ الْحُبِّ
فَإِنَّهُمَا مَجْرَى هَوَاكِ إِلَى قَلْبِي
وَحَسْبِي بِهَا إِنْ أَنْتِ لَمْ تَبْخَلِي حَسْبِي
بِحُبِّكِ يَا لَيْلَى فَلَا تَغْفِرِي ذَنْبِي

أَفْتَانَةَ الْعَيْنَيْنِ كُفَى عَنِ الْقَلْبِ
وَلَا تُسَلِّمِي عَيْنِي لِلشُّهْدِ وَالْبُكََا
وَإِنِّي لِرَاضٍ مِنْ هَوَاكِ بِنَظْرَةٍ
إِذَا كَانَ ذَنْبِي أَنْ قَلْبِي مُعَلَّقٌ

وقال :

إِنِّي أَخَافُ عَلَى هَذَا الْغُلَامِ أَبِي
وَلَوْ كُنْتُ لَمْ يَدْعُ لِلظَّنِّ مِنْ سَبَبِ^(١)
مَا بَيْنَ قَوْمِي وَهُمْ مِنْ سَادَةِ الْعَرَبِ؟
قَوْلًا يُؤَلَّفُ بَيْنَ الْمَاءِ وَاللَّهَبِ^(٢)

قَالَتْ وَقَدْ سَمِعْتُ شِعْرِي فَأَعْجَبَهَا
أَرَاهُ يَهْتِفُ بِاسْمِي غَيْرَ مُكْتَرِبٍ
فَكَيْفَ أَصْنَعُ إِنْ دَاعَتْ مَقَالَتُهُ
فَنَازَعْتَهَا فَتَاةً مِنْ صَوَاحِبِهَا

(٣) العاذل: اللاتم. والعتب: اللوم.

(٤) اللب: العقل.

(٥) أحداث الدهر: نوابه ومصائبه. والغيد: جمع غيداء، وهي المرأة الناعمة، المثنية لينا.

(١) الكناية: أن تتكلم بشيء وتريد به غيره.

(٢) نازعتها: جاذبتها.

قَالَتْ دَعِيهِ يَصُوغُ الْقَوْلَ فِي جُمْلٍ
وَمَا عَلَيْكَ وَفِي الْأَسْمَاءِ مُشْتَرِكٌ
وَحَسْبُهُ مِنْكَ دَاءٌ لَوْ تَضَمَّنَهُ
فَاسْتَأْنَسَتْ ثُمَّ قَالَتْ وَهِيَ بِاسْمَةٍ
يَا حُسْنَهُ مِنْ حَدِيثٍ شَفَّ بَاطِنُهُ

وقال :

أَلَا يَا لِقَوْمِي مِنْ غَزَالٍ مُرَبِّبٍ
تَعَرَّضَ لِي يَوْمًا فَصَوَّرْتُ حُسْنَهُ

وقال :

ذَهَبَ الْهَوَى بِمَخِيلَتِي وَشَبَابِي
هِيَ نَظْرَةٌ كَانَتْ حِبَالَةَ خُدَعَةٍ
نَصَبْتُ حَبَائِلَ هُدْبَهَا فَتَصَيَّدْتُ
مَا كُنْتُ أَعْلَمُ قَبْلَ طَارِقَةِ الْهَوَى

(٣) العذب: جمع عذبة، وهي غصن الشجرة.

(٤) شف: كشف. والخلعة: ما يعطيه الإنسان غيره من الثياب منحة.

(١) مرطب: مرطب، يقال: ربب الرجل الصبي، أي رباه حتى أدرك. والمراد بالغزال: الفتاة الجميلة. والوشاح: أديم عريض يرصع بالجواهر وتشده المرأة بين عاتقها وكشحها. وفنن: غصن، والمراد به: القوام الجميل المائس.

(١) المخيلة: الكبر والإعجاب بالنفس.

(٢) الحبال: الشراك، أي المصيدة. وخدعه: ختله، وأراد به المكروه من حيث لا يعلم، والخدعة: ما يخدع به الإنسان.

(٣) حبال: جمع حبال، وهي المصيدة. والهدب: ما نبت من الشعر على أشفار العين.

(٤) طارقة الهوى: نائبة الحب. والألباب: جمع لب، وهو العقل.

يُدْعَى إِلَيْهِ بِأَهْوَنِ الْأَسْبَابِ
رَاضٍ بِسُقْمِي فِي الْهَوَى وَعَذَابِي (٥)

وَمِنَ الْعَجَائِبِ فِي الْهَوَى أَنَّ الْفَتَى
فَارْبَحَ مَلَامَكَ يَا عَذُولُ فَإِنِّي

وقال :

تَحَيَّرَ فِي تَلَاْفِيهِ الطَّيِّبُ
وَإِنْ أَظْهَرْتُهُ غَضِبَ الْحَبِيبُ

بِقَلْبِي لِلهَوَى دَاءٌ عَجِيبُ
إِذَا أَخْفَيْتُهُ أَبْلَى فُوَادِي

وقال في الشباب :

أَضَعْتُ شَبَابِي فِي سَبِيلِ طَلَابِي
تَمَنَيْتُ مِنْهَا بَعْدَ فَقْدِ شَبَابِي

سَعَيْتُ فَأَدْرَكْتُ الْمُنَى غَيْرَ أَنِّي
فَمَا تَنْفَعُ الدُّنْيَا وَإِنْ نَلْتُ كُلَّ مَا

وقال :

أَرَقُّ عَلَى الْمَخْمُورِ مِنْ نَفْسِ الصَّبَا (١)
أَكَابِدُ هَوًى يَتْرُكُ الطُّفْلَ أَشْيَبَا (٢)
مِنَ الْبِرِّ وَاعْذِرُهُ إِذَا صَدَّ أَوْ أَبَى
أَخَافُ إِذَا مَا أَحْمَرُّ أَنْ يَتَلَهَّبَا

تَحَمَّلُ إِلَى نَادِي الْحَبِيبِ رِسَالَةً
وَخَبْرَهُ عَنِّي أَنِّي مُنْذُ بَيْنِهِ
فَإِنْ لَانَ فَاشْكُرْهُ عَلَى فَضْلِ مَا أَتَى
وَلَا تُخْجِلْنَهُ بِالْعِتَابِ فَإِنِّي

وقال وكتبَ بها إلى صديق له :

عَلَى غَيْرِ ذَنْبٍ إِنْ ذَا لَعَجِيبُ (١)

أَتَزْعُمُنِي خِلاً وَتَهْجُرُ سَاحَتِي

(٥) العذول: اللائم.

(١) نادي الحبيب: مجلسه. والنفس: نسيم الهواء. والصبأ: الريح تهب من مطلع الشمس. ونفس الصبا: رائحتها الطيبة، أو حركتها إذا كانت معتدلة لطيفة.

(٢) البين: الارتحال والبعد. وكابد الأمر: قاسى شدته.

(١) تزعمني: تظنني. وخلاً: صديقاً. والساحة: الموضع المتسع أمام الدار، والمراد بساحتي: مجلسي.

إِذَا لَمْ يَكُنْ بَيْنَ الْمُحِبِّينَ وَضَلَّةٌ تُؤَكِّدُ عَهْدًا فَالضُّدُودُ قَرِيبٌ^(٢)
وَإِنْ وِدَادَ الْقَلْبِ مَا لَمْ يَكُنْ لَهُ دَلِيلٌ عَلَى إِخْلَاصِهِ لِمُرِيبٌ

وقال وهو بسر نديب وقد سمع باكية بليل :

وَبَاكِیَةِ شَجَّتْ قَلْبِي بِلَحْنٍ تَهِيجُ لَهُ الْمَسَامِيعُ وَالْقُلُوبُ^(١)
سَأَلْتُ فَقِيلَ قَدْ فَقَدْتُ حَبِيبًا وَهَلْ يَبْقَى عَلَى الدُّنْيَا حَبِيبٌ ؟
بَكَيْتُ لَهَا وَلَمْ أَفْهَمْ صَدَاهَا وَقَدْ يَبْكِي مِنَ الطَّرْبِ الْغَرِيبُ^(٢)

وقال :

لَيْسَ ابْنُ آدَمَ ذَا جَهْلِ بِمَضْرَعِهِ لَكِنَّهُ يَتَنَاسَى الْجِدَّ بِاللَّعِبِ
تَرَاهُ يَلْهُو وَلَا يَنْفَكُ فِي حَذَرٍ وَرَاحَةَ النَّفْسِ لَا تَخْلُو مِنَ التَّعَبِ

وقال :

تَرَفَّقْ فَإِنَّ الرَّفْقَ زَيْنٌ وَقَلَمًا يَنَالُ الْفَتَى بِالْعُنْفِ مَا كَانَ طَالِبًا
إِذَا لَمْ يَكُنْ لِلْمَرْءِ عَقْلٌ يَرُدُّهُ إِلَى الْجِلْمِ لَمْ يَبْرَحْ مَدَى الدَّهْرِ عَاتِبًا
وَإِنْ هُوَ لَمْ يَصْفَحْ عَنِ الْخِلِّ إِنْ هَفَا أَقَامَ وَجِيدًا أَوْ قَضَى الْعُمَرَ غَاضِبًا^(١)

وقال :

إِنِّي إِذَا مَا الْخِلُّ خَاسَ بِعَهْدِهِ بَعْدَ الْوِدَادِ فَلَسْتُ مِنْ أَصْحَابِهِ^(١)

(٢) الوصلة : الاتصال . والمراد بالعهد هنا : موثق الحب والوفاء .

(١) شجت قلبي : حزنته . واللحن : الصوت فيه ترجيع وترديد .

(٢) الصدى : رجع الصوت ، أي ما يردّه الجبل ونحوه على المصوت فيه ، والمراد بالصدى (هنا) :

اللغة . والطرب (هنا) : خفة تصيب الإنسان لشدة حزن .

(١) الخل : الصديق . وهفا : زل وأخطأ .

(١) خاس بالعهد : غدر ونكث .

وَإِذَا عَتَبْتُ عَلَيْهِ ثُمْتُ لَمْ يَعُدْ عَنْ غِيِّهِ لَمْ أَكْثَرِثُ لَعِتَابِهِ^(٢)

وقال :

بَلَوْتُ سَرَائِرَ الْإِخْوَانِ حَتَّى رَأَيْتُ عَدُوَّ نَفْسِي مِنْ حَبِيبِي^(١)
فَلَا تَأْمَنُ عَلَى سِرِّ صَحَابَا فَإِنَّهُمْ جَوَائِسُ الْعُيُوبِ

وقال في كِتْمَانِ السُّرِّ :

أَلَمْ تَعْلَمْ وَخَيْرُ الْقَوْلِ أَبْقَى بِأَنَّ الصَّمْتَ مَنْجَاةُ الْأَرِيبِ^(١)
فَلَا تَأْمَنُ عَلَى سِرِّ حَبِيبَا فَقَدْ يَأْتِي الْعَدُوُّ مِنَ الْحَبِيبِ

وقال في لُزُومِ الْإِخْتِرَاسِ مِنَ الْعَدُوِّ :

لَا تَرْكَنْنَ إِلَى الْعَدُوِّ فَإِنَّهُ يَبْغِي سِقَاطَكَ بِالْحَدِيثِ الْمُعْجَبِ^(١)
كَالنَّارِ تَخْتَدِعُ الْفَرَاشَ بِحُسْنِهَا فَيَنَالُ مِنْهُ الْبُؤْسُ إِنْ لَمْ يَعْطَبِ^(٢)

وقال :

أَرَى كُلَّ حَيٍّ يَظْلِمُ الدَّهْرَ جُهْدَهُ . وَلَسْتُ أَرَى لِلدَّهْرِ فِي عَمَلٍ ذَنْبَا
إِذَا سَاءَ صُنْعُ الْمَرْءِ سَاءَتْ حَيَاتُهُ فَمَا لِصُرُوفِ الدَّهْرِ يُوسِعُهَا سَبَا؟^(١)

(٢) الغي: الضلال.

(١) بلوت: امتحنت واختبرت. والسرائر: جمع سريرة، وهي السر الذي يكتتم، والمراد بها: دخائل النفوس.

(١) الأريب: العاقل، الجيد الرأي.

(١) السقاط: الخطأ، والعثرة، والزلة. والمعجب: المستحسن الرائق.

(٢) تختدعه: أي تختله، وتريد به المكروه من حيث لا يعلم.

(١) صروف الدهر: حوادثه ونوائبه، مفردها صرف.

وقال في رجلٍ اغتابه :

لا أجازيك بالذي خُضت فيه
غفر الله لي إذا كان صدقاً
من حديثٍ ولا أمضك عتبا
وعفا الله عنك إن كان كذبا

وقال :

وذي جبروتٍ لا يرى غير نفسه
نظرت إليه نظرةً فتطامنت
وما كنت لولا أن رأى كبر شأنه
ولكنني سهلٌ لمن رام خلتي
ولو أنه استوثى عليه شقاؤه
ولكنه ألقى إلي زمامه
على قوميه والصفح عن كل مُذنبٍ
لطارته به في الناس عنقاء مغربٍ^(٥)
فسرت به سير الذلول المهذب^(٦)
عظيماً ولا يُصغي إلى قولٍ مُصحبٍ^(١)
غواربه وأنقاد بعدي التجنب^(٢)
لأصدره إلا بأهلٍ ومرحب^(٣)
وصعب على ذي الكبرياء المغلب^(٤)

وقال :

-
- (١) الجبروت : الكبير . ومصحب : اسم فاعل من أصحبت غيري ، أي منعته وحفظته وأجرته ، والمراد بالمصحب (هنا) : الناصح .
(٢) تطامنت : انخفضت . والغوارب : جمع غارب ، وهو ما بين العنق والسنام . الغارب (أيضاً) : أعلى كل شيء . ومعنى تطامنت غواربه : أنه ذل وخضع .
(٣) أصدره : أرجعه ، والمراد : أودعه .
(٤) خلتي : صداقتي . والمغلب : المحكوم له بالقهر والغلبة .
(٥) عنقاء مغرب : الداهية ، أو طائر معروف الاسم مجهول الجسم ، أو طائر عظيم يبعد في طيرانه . ومعنى طارت به عنقاء مغرب : أنه ضل وهلك .
(٦) الزمام : مقود البعير ونحوه . وإلقاء الزمام : كناية عن الانقياد والخضوع . والذلول : الدابة السهلة المنقادة .

أَتُخْفِرُ ذِمَّتِي وَتَرُومُ عَظْفِي ؟
 فَمَا بَعْدَ الْقَطِيعَةِ مِنْ تَلَاقٍ
 وَكَيْفَ يَصِحُّ بَعْدَ الْغَدْرِ وَدُ
 رُؤَيْدِكَ إِنِّي صَعْبُ أَبِي
 أَجَاهِرُ بِالْعِدَاءِ وَلَا أَبَالِي
 فَمَا زَنْدِي لَدِي الْعَوْصَاءِ كَابٍ
 يَهَابُ الْقِرْنَ بَادِرْتِي فَيَمْضِي
 فَإِنْ رُمْتَ السَّلَامَةَ فَاجْتَنِبْنِي
 فَقَدْ عَادَيْتُ أَعْظَمَ مِنْكَ قَدْرًا
 فَإِنْ تَنْزَعُ فَأَنْتَ طَلِيقُ عَفْوِي

وَقَالَ يَهْجُو :

- (١) الإخفار: الغدر، ونقض العهد.
- (٢) الخديعة: اسم مصدر من خدعه أي ختله، وأراد به المكروه من حيث لا يعلم.
- (٣) الارتياب: الشك.
- (٤) رويدك: تمهل. والأقران: جمع قرن، وهو كفؤك في الشجاعة، أو من يقاومك في القتال وغيره. والجناب: الفناء والناحية، ومعنى مرهوب الجناب: أنه قوي عزيز الجانب، لا يجترأ على حماه.
- (٥) حاباه: اختصه، ومال إليه.
- (٦) الزند: العود الذي تقدح به النار، وهو الأعلى، والسفلى زنده. والعوصاء: الشدة والداهية الشديدة، والأمر الصعب. وكبا الزند: لم يخرج ناره. والغداة: الضحوة، أو ما بين صلاة الفجر وطلوع الشمس، والمراد بغداة الحرب: وقتها مطلقاً. وسيف ناب: كليل الحد، غير ماضٍ، وهو اسم فاعل من نبا السيف: إذا لم يقطع.
- (٧) البادرة: الحدة في الغضب. والقراب: الغمد.
- (٨) نزع عن الشيء نزوعاً: كَفَّ عنه، وأقلع، وانتهى.

لَا تَبْهَتِ الشَّيْطَانَ فِي فِعْلِهِ	فَقَدْ كَفَىٰ أَنْكَ مِنْ حِزْبِهِ (١)
فَاحْسَأُ فَمَا الْخَنْزِيرُ فِي نَوْعِهِ	أَخْسَأُ طَبَعاً مِنْكَ فِي كَسْبِهِ (٢)
لَوْ لَمْ تَكُنْ فِي الدَّهْرِ مُسْتَوِزاً	مَا سَارَعَ النَّاسُ إِلَى سَبِّهِ (٣)
ذَاكَ الَّذِي لَوْ لَا خُمُولُ الْوَرَى	مَا نَامَ مِنْ أَمْنٍ عَلَى جَنْبِهِ (٤)
يَفْعَلُ بِالنَّاسِ أَفَاعِيلَهُ	وَلَا يَخَافُ اللَّهُ مِنْ ذَنْبِهِ (٥)
فَالْخَيْرُ وَالنُّعْمَةُ فِي بُعْدِهِ	وَالشَّرُّ وَالنِّقْمَةُ فِي قُرْبِهِ
أَشَدُّ خَلْقِ اللَّهِ كِبَرًا فَإِنْ	فَاجَأَتْهُ كَرًّا عَلَى عَقْبِهِ (٦)
.....	.. مِنَ الْجَوِّ إِلَى شُهْبِهِ (٧)
هَجَوْتُهُ لَا بَالِغًا لُؤْمُهُ	لَكِنِّي كَفَكَفْتُ مِنْ غَرْبِهِ (٨)
فَإِنْ أَكُنْ قَدْ نِلْتُ مِنْ عَرْضِهِ	فَإِنِّي دَنَسْتُ شِعْرِي بِهِ (٩)
فَلَا يَلُومَنَّ سِوَى نَفْسِهِ	مَنْ سَلَطَ النَّاسَ عَلَى ثَلْبِهِ (١٠)

- (١) بهته: أخذه بغتة، وفاجأه. يريد أن أفعال المهجوس شرٌّ وأنكى من أفعال الشيطان.
- (٢) أخسأ: أمر من خسأ الكلب ونحوه، أي طرده، وأبعده، وزجره، مستهيناً به، مذلاً له. ويراد بالكسب هنا: العمل المستقبح.
- (٣) المستوزر: الوزير، أو المؤهل للوزارة.
- (٤) «ذاك»: إشارة إلى المهجوس. والورى: الخلق والناس. ويراد بخمول الورى: ضعف الناس وجبنهم وقعودهم عن مكافحة ذلك الوزير الشرير.
- (٥) أفاعيله: أفعاله المستنكرة المستقبحة.
- (٦) الكبر: التجبر، والعتو، والطغيان. وكرّ على عقبه: أي انثنى راجعاً.
- (٧) لم ينكشف لنا من هذا البيت غير هذه الكلمات.
- (٨) اللؤم: الخسة ودناءة الأصل والشحّ والمهانة. وكفكفت: دفعت وصرفت. والغرب: الحدة والتمادي في الأمر.
- (٩) معنى «نلت من عرضه»: بلغت مقصودي من إظهار عيبه.
- (١٠) ثلبه ثلباً: عابه وتنقصه.

وقال (★) :

وَعُدُّ تَكْوَنَ مِنْ لُؤْمٍ وَمِنْ دَنَسٍ فَمَا يَغَارُ عَلَى عِرْضٍ وَلَا حَسَبٍ^(١)
يَلْتَدُّ بِالطُّعْنِ فِيهِ وَالْهَجَاءِ كَمَا يَلْتَدُّ بِالْحَكِّ وَالتَّظْفِيرِ ذُو الْجَرَبِ^(٢).

وقال :

كَيْفَ أَهْجُوكَ وَالدَّنَاءَةُ سُورُ مِنْ حَدِيدٍ يَقِيكَ طَعْنِي وَضَرْبِي ؟
لَكَ عِرْضٌ أَرْقُ نَسْجاً مِنَ الرَّيِّ حِ وَأَوْهَى مِنْ طَيْلَسَانَ ابْنِ حَرْبٍ^(١)

وقال :

وَذِي خِلَالٍ كَأَنَّ اللَّهَ صَوَّرَهَا مِنْ صِبْغَةِ اللُّؤْمِ أَوْ مِنْ حَمَاءِ الرَّيِّ^(١)

(★) قيل إن هذه القصيدة في هجاء «إسماعيل صديق المفتش»، وكان أخواً في الرضاة للخديوي إسماعيل، ثم صديقاً له في صغره. ولما اعتلى العرش عينه مفتشاً عاماً، ثم وزيراً للمالية سنة ١٨٦٩، فكان الحاكم بأمر الخديوي، واشتهر بالقسوة على الفلاحين. وفي سنة ١٨٧٦ جاءت بعثة الدائنين الأجانب للتحقيق في الكارثة المالية، فانكشفت في الدخل اختلاسات وسرقات لا ريب فيها، فخشي الخديوي إسماعيل استفحال الأمر، وافتضح الحقائق التي يعرفها إسماعيل صديق، ففضى عليه في شهر نوفمبر من سنة ١٨٧٦ بطريقة ما زالت مجهولة إلى اليوم.

(١) الوغد: الأحمق، الضعيف، الرذل، الدنيء. والدنس: القذر.

(٢) طعن فيه بالقول: قدح فيه، وعابه، وتنقصه. والتظفير: غرز الأظفار في الجسم.

(١) العرض: النفس والحسب. وأوهى: أضعف. والطيلسان: كساء مدور لا أسفل له، لحمته أو سده من صوف، يلبسه الخواص من العلماء والمشايخ، وهو من لباس العجم، معرب عن الفارسية، وأصله: «تالسان» أو «تالشان». وفي كتاب «ثمار القلوب في المضاف والمنسوب» للثعالبي: (طيلسان ابن حرب): كان محمد بن حرب أهدى إلى الحمدوني طيلساناً خلقاً. فقال في وصفه ما يقرب من مائتي مقطوعة لا تخلو واحدة منها من معنى بديع. وصار الطيلسان عرضة لشعره، ومثلاً في البلي والخلوقة.

(١) الخلال: جمع خلة، وهي الخصلة. والحماة: الطين الأسود الممتن. والريب: جمع ريبة، وهي الشك والظنة والتهمة.

نال العلاء ولكن خاب رائده
هجوته رغبة في الصديق إذ نفرت
وقال :

عَدِمْتَ حَمِيَّةً وَسَقِمْتَ وَدًّا
فَمَا أَحْزَنْتَ فِي حَرْبٍ عَدُوًّا
فَلَمْ تُدْرِكْ لِمَكْرَمَةٍ نَصِيًّا^(١)
وَلَا أَفْرَحْتَ فِي سِلْمٍ حَبِيًّا

وقال يعزبي :

أَعَزِّيكَ لَا أَنِّي أَظُنُّكَ جَارِعًا
وَكَيْفَ أَعَزِّي مَنْ فَرَى الدَّهْرَ خَبْرَةً
فِيَا صَاحِبِي مَهْلًا فَلَسْتَ بِوَاجِدٍ
وَصَبْرًا فَإِنَّ الصَّبْرَ أَكْرَمُ صَاحِبٍ
لِخَطْبٍ وَلَكِنِّي عَمَدْتُ لِوَاجِبٍ^(١)
وَأَدْرَكَ مَا فِي طَيْهِ مِنْ عَجَائِبٍ؟^(٢)
سِوَى حَاضِرٍ يَبْكِي فَجِيعَةَ غَائِبٍ
لِمَنْ بَانَ عَنْ مَثْوَاهُ أَكْرَمُ صَاحِبٍ^(٣)
عَلَيْكَ فَإِنَّ النَّاسَ مَرَعَى النَّوَائِبِ^(٤)
فَهَلْ أَحَدٌ مِنْ نَسْلِهِ غَيْرُ ذَاهِبٍ؟^(٥)
إِذَا مَا الرَّدَى أَوْدَى بِأَدَمَ قَبْلَنَا

(٢) الرائد: المرسل في طلب الكلاء. والنجعة: طلب الكلاء في موضعه. والحسب: ما تعدّه من مفاخر آبائك، أو الدين، أو الكرم، أو الشرف.

(٣) الشمائل: جمع شمال، بمعنى الخلق والطبع.

(١) الحمية: الأنفة والاستكاف والاستكبار.

(١) الخطب: النازلة، والكارثة، والمصيبة، والأمر الشديد المكروه يكثر فيه التخاطب.

(٢) فرى الشيء: شقه، وقطعه، أو فتنه. وفرى الدهر خبرة: أي اختبر الزمان خبرة وافية، وعرفه معرفة واسعة، وأحاط بدقائقه وخفائيه.

(٣) بان عنه: انقطع عنه، وفارقه. ومثواه: منزله، ومستقره.

(٤) لا تأس: لا تحزن. والخطوب: الرزايا والمصائب. وجفا عليه الشيء: ثقل. والمرعى: يجوز أن تقرأ في الأصل المخطوط المطموس (صرعى). والنوائب: النوازل والمصائب، الواحدة: نائبة.

(٥) الردى: الهلاك، والموت.

فَإِنْ تَكُ قَدْ فَارَقْتَ شَهْمًا مُهَذَّبًا وَمَا مَاتَ مَنْ أَبَقَاكَ تَهْتَفُ بِاسْمِهِ
 وَقَالَ فِي الزُّهْدِ :
 إِلَامَ يَهْفُو بِحِلْمِكَ الطَّرْبُ ؟ هَيْهَاتَ وَلَى الشُّبَابُ وَاقْتَرَبْتُ
 أَبْعَدَ خَمْسِينَ فِي الصَّبَا أَرْبُ ؟ (١)
 سَاعَةٌ وَرَدِّ دَنَا بِهَا الْقَرْبُ (٢)
 وَلَيْسَ نَحْوَ الْحَيَاةِ مُقْتَرَبُ (٣)
 لَيْسَ لَهُ عَنْ فِنَائِهَا هَرْبُ (٤)
 لَا نَسَبُ بَيْنَهُمْ وَلَا قُرْبُ (٥)
 فِيهَا وَلِلضَّارِيَاتِ مُضْطَرَبُ (٦)
 فَالْوَيْلُ لِلظَّالِمِينَ وَالْحَرْبُ (٧)
 إِنْ كَانَ يُغْنِي الْيَفَاعُ وَالسَّرْبُ (٨)

(٦) الشهم: السيد السديد الرأي، النافذ الحكم، الذكي الفؤاد، المتوقد الذهن.

(٧) تهتف باسمه: تمدحه، وتطريه، وتحبي سيرته وذكره. والمناقب: المآثر، والمفاخر، والأفعال الكريمة، والخصال الحميدة. الواحدة منقبة.

(*) نقل إلينا أن البارودي نظم هذه القصيدة في تعزية خليل مطران صاحب الجوائب المصرية عن عمه حبيب مطران.

(١) يهفو: يستطير ويذهب. والأرب: الحاجة، أو الكلف.

(٢) هيهات: بعد. والورد: الإشراف على الماء وغيره. والمراد بساعة الورد: ساعة الإشراف على الموت. والقرب: سير الليل لورد الغد، والمراد هنا سير الزمن، وذهاب معظم العمر.

(٣) الحمام: قضاء الموت وقدره.

(٤) المنزلة: المنزل، والمراد القبر، أو الدار الآخرة.

(٥) قذف: بعيدة. وجيرة قذف: أي جيران مفترقون متباعدون.

(٦) القفرة: الخلاء من الأرض. والصلال: جمع صل، وهو الحية. والضاريات: الوحوش والسباع المفترسة.

(٧) المراد بالموقف: موقف الحساب يوم القيامة. والحرب: الويل والهلاك والعذاب.

(٨) أرباً: أمر من ربأ، بمعنى علا وارتفع. واليفاع: التل. والسرب: الحفير تحت الأرض.

لَا الْبَازُ يَنْجُو مِنَ الْجِمَامِ وَلَا
 مُسَلِّطٌ فِي الْوَرَى فَلَا عَجْمٌ
 فَكَمْ قُصُورٍ خَلَّتْ وَكَمْ أُمَّمٍ
 فَمَنْزِلٌ عَامِرٌ بِقَاطِنِهِ
 يَغْدُو الْفَتَى لَاهِيًا بِعَيْشَتِهِ
 وَتَقْتَنِي نَبْعَةٌ يَصِيدُ بِهَا
 لَا يَبْلُغُ الرَّبْحَ أَوْ يُفَارِقُهُ
 يَا وَارِدًا لَا يَمَلُّ مَوْرَدَهُ
 تَصُبُّو إِلَى اللَّهِوِغَيْرِ مُكْتَرِثٍ
 وَتَتْرُكُ الْبِرَّ غَيْرَ مُحْتَسِبٍ
 دَعِ الْحَمِيًّا فَلِابْنِ حَانَتِهَا
 يَخْلُصُ مِنْهُ الْحَمَامُ وَالْخَرْبُ^(٩)
 يَبْقَى عَلَى فَتْكِهِ وَلَا عَرَبُ^(١٠)
 بَادَتْ فَغَصَّتْ بِجَمْعِهَا التُّرْبُ
 وَمَنْزِلٌ بَعْدَ أَهْلِهِ خَرْبُ
 وَلَيْسَ يَذْرِي مَا الصَّابُ وَالضَّرْبُ^(١١)
 وَتَبَعُ مَنْ حَارَبَ الرَّدَى غَرْبُ^(١٢)
 كَمَا تَحِ خَانَ كَفَّهُ الْكَرْبُ^(١٣)
 حَذَارٍ مِنْ أَنْ يُصِيكَ الشَّرْبُ^(١٤)
 وَاللَّهُوِ فِيهِ الْبَوَارُ وَالْتَّرْبُ^(١٥)
 أَجْرًا وَبِالْبِرِّ تُفْتَحُ الْأَرْبُ^(١٦)
 مِنْ صَدْمَةِ الْكَاسِ لَهْدَمِ ذَرْبُ^(١٧)

(٩) الباز، والبازي: ضرب من الصقور. والجمام: قضاء الموت وقدره. والخرب: ذكر الجباري، وهو طائر على شكل الإوزة. ومعنى البيت أن الموت لا ينجو منه قوي ولا ضعيف.

(١٠) الوري: الخلق.

(١١) الصاب: عصارة شجر مرّ. والضرب: العسل الأبيض.

(١٢) النبعة: واحدة النبع، وهو شجر تتخذ منه القسي والسهام، والمراد بالنبعة (هنا): القوس نفسها، أي أداة الصيد. والردى: الهلاك. والغرب: شجر ضعيف لا يصلح للسهام.

(١٣) الماتح: الذي يستقي الماء بالدلو. وللدلو عادة عَرُقُوتَان: أي خشبتان تعترضان على فوهة الدلو كالصليب. والكرب: جبل صغير يربط بالعرقوتين، ويتصل به الرشاء، وهو الجبل الطويل.

(١٤) الوارد: المشرف على الماء. والمورد: موضع الورد. والشرب: مصدر شرب، بمعنى عطش. والمعنى: أن المتغالي في طلب الشيء قد يحرمه.

(١٥) البوار: الهلاك والكساد. والترب: مصدر ترب، أي خسر وافتقر.

(١٦) البر: الخير، والإحسان، والصدق، والطاعة. والأرب: جمع أربة، وهي العقدة.

(١٧) حميا الكأس: سورتها وشدتها، أو إسكارها. والمراد بالحميا، الخمر. وابن الحانة:

تَرَاهُ نُصِبَ الْعُيُونِ مُتَّكِئاً وَعَقْلُهُ فِي الضَّلَالِ مُغْتَرِبٌ (١٨)
 فَيَسْتِ الْخَمْرُ مِنْ مُخَادِعَةٍ لِسَلْمِهَا فِي الْقُلُوبِ مُحْتَرِبٌ (١٩)
 إِذَا تَفَشَّتْ بِمُهْجَةٍ قَتَلَتْ كَمَا تَفَشَّى فِي الْمَبْرَكِ الْجَرَبُ (٢٠)
 فَتُبَّ إِلَى اللَّهِ قَبْلَ مَنْدَمَةٍ تَكْثُرُ فِيهَا الْهُمُومُ وَالْكَرْبُ
 وَاعْتَدَّ عَلَى الْخَيْرِ فَالْمُوقِفُ مَنْ هَذَبَهُ الْأَعْتِيَادُ وَالذَّرْبُ (٢١)
 وَجُدَّ بِمَا قَدْ حَوَتْ يَدَاكَ فَمَا يَنْفَعُ ثَمَّ اللَّجِينُ وَالْغَرْبُ (٢٢)
 فَإِنَّ لِلدَّهْرِ لَوْ فَطَنْتَ لَهُ قَوْسًا مِنَ الْمَوْتِ سَهْمَهَا غَرْبُ (٢٣) (★)

السكرير. والمراد بصدمة الكأس: ألم الخمر، وصداعها، وأذاها. واللّهزم. السنان القاطع.
 وذرب: حادّ، ماضٍ.

(١٨) النصب: كلّ ما نصب، أي رفع. والمراد بنصب العيون: أنه شاخص للعيون.

(١٩) مخادعة: اسم فاعل من خادعه، أي خاتله، وأراد به المكروه من حيث لا يعلم.

(٢٠) المهجة: النفس. وبرك البعير: أي استناخ، ووقع على بركه وهو صدره. والمبرك: موضع البروك.

(٢١) الدرب: الاعتياد.

(٢٢) ثمّ: أي في الدار الآخرة. واللجين: الفضة. والغرب: الذهب.

(٢٣) سَرَبٌ: من قولهم: أصابه سهم غَرَبٌ، أي لا يعرف من رماه.

(★) والشطر الثاني من البيت الأول يدلّ على أن هذه البائبة الزهدية هي من قصائده السرنديبية،

فقد نفي من مصر إلى سرنديب في ديسمبر سنة ١٨٨٢ وعمره يومئذ ثلاثة وأربعون عاماً. وفي

منفاه بلغ الستين. وفي نحو الخمسين، أي في نحو سنة ١٨٩٠ نظم هذه القصيدة.

قافية التاء

قال :

أدِرِ الْكَأْسَ يَا نَدِيمُ وَهَاتِ وَاسْقِنِيهَا عَلَى جَبِينِ الْغَدَاةِ^(١)
شَاقَ سَمْعِي الْغِنَاءُ فِي رَوْنَقِ الْفَجْرِ وَرَسَجُ الطُّيُورِ فِي الْعَذَابَاتِ^(٢)
أَيُّ شَيْءٍ أَشْهَى إِلَيَّ النَّفْسِ مِنْ كَأْسِ سِ مُدَارٍ عَلَى بِسَاطِ نَبَاتِ^(٣) ؟
هُوَ يَوْمٌ تَعَطَّرْتُ طَرْفَاهُ بِشَمَالٍ مِسْكِيَّةِ النَّفْحَاتِ
بِاسْمِ الزَّهْرِ عَاطِرُ النَّشْرِ هَامِي أَلِ قَطْرٍ وَانِي الصَّبَا عَليُّ الْمَهَاةِ^(٤)
مَسْرَحٌ لِلْعُيُونِ يَمْتَدُّ فِيهِ نَفْسُ الرِّيحِ بَيْنَ مَاضٍ وَآتِ
فَامْتَثِلْ دَعْوَةَ الصُّبُوحِ وَبَادِرِ فُرْصَةَ الدَّهْرِ قَبْلَ وَشَكِ الْفَوَاتِ^(٥)

(١) الغداة: البكرة، أو ما بين صلاة الفجر وطلوع الشمس، ومعنى على جبين الغداة: في أولها.

(٢) رونق الفجر: حسنه وبهاؤه. وسجع الطيور: هديرها وتغريدها. والعذبات: الأغصان.

(٣) كأس: قدح، إناء.

(٤) النشر: الريح الطيبة. وهامي القطر: كثير المطر. ووان: ضعيف عليل فاتر. والصبأ: ريح تهب

من مطلع الشمس، ومعنى واني الصبا: أن هواءه عليل معتدل لطيف. والمهأة: الشمس.

ويوم عليل المهأة: أي شمسه ضعيفة كأيام الشتاء.

(٥) الصبوح: شرب الغداة بين الفجر وطلوع الشمس، والمراد الخمر تشرب في أول النهار.

وَتَدْرَجُ مَعِيَ إِلَى رَوْضَةِ الْمَنْدُ
 فَهِيَ مَرَعَى الْهَوَى وَمَعْنَى التَّصَابِي
 أَلْفَتْهَا النُّفُوسُ فَهِيَ إِلَيْهَا
 تَبَعْتُ اللَّهْوَ وَالسُّرُورَ وَتَمَحَّو
 بَيْنَ نَدْمَانَ كَالْكُوكِبِ حُسْنًا
 يَتَسَاقُونَ بِالْكُؤُوسِ مُدَامًا
 فِي أَبَارِيقَ كَالطُّيُورِ اشْرَابَتْ
 حَانِيَاتٍ عَلَى الْكُؤُوسِ مِنَ الرَّأ
 لَا تَرَى الْعَيْنُ بَيْنَهُمْ غَيْرَ صَبَّ
 وَمُغْنٌ إِذَا شَدَا خِلَتْ أَنَّ ال
 مَلِكِ السَّمْعِ وَالْفُؤَادِ بِلَحْنٍ
 يَبْعَثُ الصَّوْتِ مُرْسَلًا فَإِذَا مَا
 غَرِدٍ يُبْطِلُ الْحَدِيثَ وَيُنْسِي

يَل ذَاتِ النَّخِيلِ وَالشُّمَرَاتِ (٦)
 وَمَرَا حُ الْمُنَى وَمَسْرَى الْحَيَاةِ
 مِنْ أَلِيمِ الْأَشْوَاقِ فِي حَسْرَاتِ
 مِنْ فُؤَادِ الْحَزِينِ كُلِّ شَكَاةِ
 وَرَعَايِبَ كَالدَّمَى خَفِرَاتِ (٧)
 هِيَ كَالشَّمْسِ فِي قَمِيصِ إِيَاةِ (٨)
 حَذَرَ الْفَتَكِ مِنْ صِيَا حِ الْبُزَاةِ (٩)
 فَهِيَ يُرْضِعُنَّهُنَّ كَالْأُمَّهَاتِ
 بِسَمَاعٍ أَوْ هَائِمٍ بِفَتَاةِ (١٠)
 أَرْضَ ظَلَّتْ تَدُورُ بِالْفَلَوَاتِ
 يَفْتِنُ الْغَيْدَ دَاخِلَ الْحُجْرَاتِ (١١)
 غَضٌّ مِنْهُ اسْتَدَارَ بَيْنَ اللَّهَاةِ
 رَبَّةَ الْحُزْنِ لَوْعَةَ الذُّكْرَاتِ

(٦) تدرج: أمر من التدرج وهو المشي في مهلة ورفق. وروضة المنيل: جزيرة في النيل شرقي الجيزة.

(٧) رعابيب: فتيات بيض حسان ناعمات، الواحدة رعبوبة أو رعبوب أو رعييب. والدمى: جمع دمية، وهي الصورة المنقشة المزينة من العاج ونحوه.

(٨) المُدَام: الخمر. والإيَاة: نور الشمس وحسناها.

(٩) اشْرَاب: رفع رأسه. والفتك: القتل على غرة. والبزاة: جمع البازي، وهو نوع من الصقور.

(١٠) صَبَّ: كلف، مولع، محب، صفة من الصباية وهي رقة الشوق، أو رقة الهوى. والمراد بالسَّمَاع: سماع الغناء.

(١١) اللحن: ما اختاره المغني، وما ل إليه من الأغاني. واللحن أيضاً: التغريد والتطريب، وهو مد الصوت وترجيعة وتحسينه. والغيد: جمع غيداء، وهي المرأة الناعمة المثنية لينا.

تِلْكَ وَاللَّهِ لَذَّةُ الْعَيْشِ لَا سَوْءُ الْأَمَانِيِّ فِي عَالَمِ الْخَطَرَاتِ

وقال :

زَمَزِمِي الْكَأْسَ وَهَاتِي (١)
وَأْمَزُجِيهَا بِرُضَابِ (٢)
إِنَّمَا الرَّاحُ مَدَارُ الْ (٣)
طَالَمَا عَاصَيْتُ فِيهَا (٤)
لَا أَبَالِي فِي هَوَاهَا (٥)
كَيْفَ أَخْشَى قَوْلَ دَاهٍ؟ (٦)
وَأَسْقِنِيهَا يَا مَهَاتِي (١)
مِنْكَ مَعْسُولِ اللَّهَاءِ (٢)
أُنْسِ فِي كُلِّ الْجِهَاتِ (٣)
أَهْلَ وُدِّي وَنُهَاتِي (٤)
بِسَمَاعِ التَّرَهَاتِ (٥)
أَنَا مِنْ قَوْمٍ دُهَاءِ (٦)

وقال في الغزل :

سَمِعَ الْخَلِيَّ تَأْوِيهِ فَتَلَفَّتَا (١)
فَأَجَبْتُهُ إِنِّي أَمْرٌ لَعِبَ الْأَسَى (٢)
أَنْظُرْ إِلَيَّ تَجِدْ خَيْالًا بِالْيَأْ (٣)
وَأَصَابَهُ عَجَبٌ فَقَالَ مِنَ الْفَتَى؟ (١)
بِفُوَادِهِ يَوْمَ النَّوَى فَتَشْتَتَا (٢)
تَحْتَ الثِّيَابِ يَكَادُ إِلَّا يُنْعَتَا (٣)

(١) يقصد بقوله: «زَمَزِمِي الْكَأْسَ» طَهْرِيهَا وَنَقِيهَا. والمهاة: الشمس والبلورة والبقرة الوحشية، والمراد بالمهاة: المرأة الحسنة يشبهونها بالشمس في الحسن، وبالبلورة في الصفاء والتألق، وبالبقرة الوحشية في اتساع العيون وجمالها.

(٢) الرُّضَاب: الريق. وعسل الطعام والشراب: أي عمله بالعسل، فهو معسول. واللهاة: اللحمة المشرفة على الحلق في أقصى الفم.

(٣) الراح: الخمر.

(٤) النهاية: الذين كانوا يتهونون عن شرب الخمر، جمع ناه.

(٥) الترهات: جمع ترهة، وهي الباطل.

(٦) داه: اسم فاعل من الدهاء، وهو النكر وجودة الرأي.

(١) الخلي: الخالي من الهم والعشق.

(٢) الأسى: الحزن. والنوى: البعد. وتشتت: تفرق أي الفؤاد.

(٣) بالياً: خلقاً فانياً.

قَدْ كَانَ لِي قَلْبٌ أَصَابَ سَوَادَهُ سَهُمٌ لِطَرْفٍ فَاتِرٍ فَتَفَتَّتَا (٤)
 تَبِعَ الْهَوَى قَلْبِي فَهَامَ وَلَيْتَهُ قَبْلَ التَّوَعُّلِ فِي الْبَلَاءِ تَثَبَّتَا (٥)
 أَلْقَتْهُ فِي شَرِكِ الْمَحَبَّةِ غَاذَةً هَيْهَاتَ لَيْسَ بِصَاحِبِي إِنْ أَفَلَّتَا (٦)
 كَالْوَرْدِ خَدًّا وَالْبَنْفَسِجِ طُرَّةً وَالْغُصْنِ قَدًّا وَالْغَزَالَةَ مَلْفَتَا (٧)
 نَظَرْتُ بِكَحْلَاوَيْنِ أُودَعَتَا الْهَوَى بِالْقَلْبِ حَتَّى هَامَ ثُمَّ تَخَلَّتَا (٨)
 تَالِهَ لَوْ عَلِمَ الْعَدُولُ بِمَا جَنَى طَرْفِي عَلَيَّ لَسَاءَهُ أَنْ يَشْمَتَا (٩)
 طَرْفٌ أَطَلْتُ عِنَانَهُ لِيُصِيبَ لِي بَعْضَ الْمُنَى فَأَصَابَنِي لَمَّا أَتَى (١٠)
 يَا قَلْبُ حَسْبُكَ قَدْ أَفَاقَ مَعَاشِرُ وَأَرَاكَ تَذَابُّ فِي الْهَوَى فَيَأَلِي مَتَى؟ (١١)

وقال في الأحمق :

لا تُعَاشِرْ مَا عِشْتَ أَحْمَقَ وَأَعْلَمَ أَنَّهُ فِي الْوُجُودِ حَيٌّ كَمَيِّتِ (١)

(٤) سواد القلب: حَبْتُهُ. والطرف: العين. وفاتر: ضعيف، والفتور من صفات الحسن في عيون النساء لأنه عنوان الخفر والحياء.

(٥) البلاء (هنا): محنة الحب وهمومه.

(٦) الشرك: جبال الصيد، وما ينصب للطير. والغادة: المرأة الناعمة اللينة.

(٧) الطرّة: الشعر الموفى على الجبهة تطرّه الجارية أي تسويه وتحفّه وتعده وتصففه. وتشبيه الطرّة بالبنفسج غير مألوف، ولعله يقصد إلى ما في الطرّة من رائحة ذكية، أو يقصد تشبيهها بطاقة البنفسج في النعومة والغزارة. والقَدّ: القوام.

(٨) بكحلاوين: أي بعينين كحلاوين. والكحلاء: الشديدة سواد العين، أو التي تبدو كأنها مكحولة وإن لم تكحل.

(٩) العذول: اللاتم. ويريد بما جنى طرفي عليّ: الذي جرته عينه إليه من آلام الحب وهمومه.

(١٠) الطرف: العين. والعنان: سير اللجام الذي تمسك به الدابة.

(١١) حسبك: كفاك. ومعاشر: جمع معشر، بمعنى الجماعة من الناس.

(١) الأحمق: القليل العقل.

لَيْسَ بَيْنَ الْجُنُونِ وَالْحُمُقِ إِلَّا مِثْلُ مَا بَيْنَ أَدْهَمٍ وَكُمَيْتٍ^(٢)

وَقَالَ وَقَدْ مَرَّ بِصَحْرَاءِ الْقَرَافَةِ ، فَرَأَى نِسْوَةً يُنْحَنَ عَلَى هَالِكٍ :

رَأَيْتُ بِصَحْرَاءِ الْقَرَافَةِ نِسْوَةً نَوَازِعَ لَا يَأْوِينَ حُزْنَآ إِلَى بَيْتٍ^(١)
يُنْحَنَ عَلَى مَيْتٍ سَيَتَّبَعْنَ إِثْرَهُ وَمِنْ عَجَبٍ مَيْتٌ يُنْوَحُ عَلَى مَيْتٍ^(٢)

وقال في الزُّهدِ :

كُلُّ حَيٍّ سَيَمُوتُ لَيْسَ فِي الدُّنْيَا ثُبُوتٌ^(١)
حَرَكَاتٌ سَوْفَ تَفْنَى ثُمَّ يَتْلُوهَا خُفُوتٌ^(٢)
وَكَلَامٌ لَيْسَ يَحْلُو بَعْدَهُ إِلَّا السُّكُوتُ
أَيُّهَا السَّادِرُ قُلْ لِي أَيْنَ ذَاكَ الْجَبَرُوتُ؟^(٣)
كُنْتُ مَطْبُوعًا عَلَى النُّظْمِ قِي فَمَا هَذَا الصُّمُوتُ؟
لَيْتَ شِعْرِي أَهْمُودٌ مَا أَرَاهُ أَمْ قُنُوتٌ؟^(٤)
أَيْنَ أَمْلَاكُ لَهُمْ فِي كُلِّ أَفْقٍ مَلَكُوتٌ^(٥)

(٢) الأدهم: الأسود. والكميت من الخيل ما كان بين الأسود والأحمر. والمعنى أن الحمق قريب من الجنون، كقرب الكمة من الدهمة.

(١) القرافة: مقبرة بمصر. ونوازع: مشتاقات تحن إلى هذا الميت.

(٢) ناح الإنسان: بكى، واستبكى غيره.

(١) الثبوت: الدوام والاستقرار.

(٢) الخفوت: السكون والسكوت.

(٣) السادر: التائه في الغي، الذي لا يهتم، ولا يبالي ما صنع. والجبروت: الكبر.

(٤) ليت شعري: أي ليتني أدري. والهمود: الموت. والقنوت: السكوت والخشوع.

(٥) الملكوت: الملك والعز والسلطان.

زَالَتِ التِّيَجَانُ عَنْهُمْ	وَحَلَّتْ تِلْكَ التُّخُوتُ ^(٦)
أَصْبَحَتْ أَوْطَانُهُمْ مِنْ	بَعْدِهِمْ وَهِيَ خُبُوتُ ^(٧)
لَا سَمِيعُ يَفْقَهُ الْقَوُ	لَ وَلَا حَيٌّ يَصُوتُ
عَمَرَتْ مِنْهُمْ قُبُورٌ	وَحَلَّتْ مِنْهُمْ بُيُوتُ
لَمْ تَذُدْ عَنْهُمْ نُحُوسَ الدِّ	هَرِ إِذْ حَانَتْ بُخُوتُ ^(٨)
خَمَدَتْ تِلْكَ الْمَسَاعِي	وَانْقَضَتْ تِلْكَ النُّعُوتُ
إِنَّمَا الدُّنْيَا خَيَالٌ	بَاطِلٌ سَوْفَ يَفُوتُ
لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ فِيهَا	غَيْرَ تَقْوَى اللَّهِ قُوتُ

(٦) خلا المكان: فرغ. والتخوت: جمع تخت، وهو وعاء تصان فيه الثياب، وقد استعمله المولدون في ما يجلس عليه، وبخاصة فيما يجلس عليه الملك، وهو المراد هنا.

(٧) الخبوت: جمع خبت وهو المتسع من بطون الأرض، أو هو ما اطمأن من الأرض واتسع، أو هو الخفي المطمئن من الأرض فيه رمل.

(٨) لم تذد: لم تدفع، ولم تمنع. والبخوت: جمع بخت، وهو الجد، أي الحظ والحظوة والرزق والعظمة.

قافية التاء

قال :

إلى الله أشكو أنني بين معشرٍ
لهم السن إن زمن أمراً بلغنه
ترث على قرب الوداد عهودهم
فليس لهم في سالف الدهر محتد
برمت بهم حتى سئمت مكاتي
إذا لم يغثني الله منهم بفضله

سواءً لديهم طيبٌ وخبيثٌ^(١)
من النفس م صنوعٌ لهن حديثٌ^(٢)
وكيف يدوم الشيء وهو ريثٌ؟^(٣)
قديمٌ ولا في المكرمات حديثٌ^(٤)
وأنكرت طيب العيش وهو دميثٌ^(٥)
فمالي بين العالمين مغيثٌ

وقال :

آه من غربّةٍ وفقد حبيبٍ
لا تسلني عما أقاسي فإني

أورثا مهجتي عذاباً مكيثاً
بين قومٍ لا يفقهون حديثاً

(١) المعشر: جماعة الناس.

(٢) رام الشيء: طلبه.

(٣) ترث: تبلى وتخلق، ماضي رث، ومثله أرث.

(٤) سالف الدهر: ماضي الزمان. والمحتد: الأصل.

(٥) برمت بالشيء: سئمت منه وضجرت. ودميث: سهل لين.

وقال :

أَلَا قُلْ لِقَوْمٍ شَامِتِينَ تَرَبَّصُوا تَهَزُّمَ شَرِّ الْمَنِيَّةِ كَارِثٍ (١)
أُرَى سِتْرَ خَطْبٍ قَدْ تَرَفَّعَ وَانْبَرَتْ تَلُوحُ لَهُمْ مِنْهُ وَجُوهُ الْحَوَادِثِ (٢)

(١) كارث: شديد فادح، من كثره الغم يكرثه، أي اشتد عليه.
(٢) الخطب: الأمر الشديد ينزل بالناس. وحوادث الدهر وأحداثه: نوائبه.

قافية الجيم

قال يمدح النبي صلى الله عليه وسلم :

- يا صارمَ اللَّحْظِ مَنْ أَغْرَاكَ بِالمُهْجِ حَتَّى فَتَكْتَ بِهَا ظُلْمًا بلا حَرَجِ (١)
 ما زالَ يَخْدَعُ نَفْسِي وَهِيَ لاهِيَةٌ حَتَّى أَصَابَ سوادَ القَلْبِ بِالدَّعْجِ (٢)
 طَرَفُ لَوْ أَنَّ الطُّبَّا كَانَتْ كَلْحَظَّتِهِ يَوْمَ الكَرِيهَةِ ما أَبَقْتُ عَلَيَّ وَدَجِ (٣)
 أَوْحَى إِلى القَلْبِ فأنْقَادَتْ أَرْمَتُهُ طَوْعًا إِلَيْهِ وَخَلَّانِي وَلَمْ يَعْجِ (٤)
 فَكَيْفَ لِي بِتَلافِيهِ وَقَدْ عَلِقْتُ بِهِ حَبائِلُ ذاكَ الشَّادِنِ الغَنِجِ (٥)
 كادَتْ تُذِيبُ فُؤادِي نارُ لَوْعَتِهِ لَوْلَمْ أَكُنْ مِنْ مَسِيلِ الدَّمْعِ فِي لُجَجِ (٦)

- (١) المراد باللحظ الصارم: النظرة الفاتنة الساحرة. والمهج: جمع مهجة، وهي الروح. والفتك: البطش أو القتل على غفلة.
 (٢) خدعه: ختله، وأراد به المكروه من حيث لا يعلم. وسواد القلب وسويداؤه: حبته. والدعج: شدة سواد العين مع سعتها.
 (٣) الطرف: العين. والطبا: جمع ظبة، وهي حدّ السيف والسنان ونحوهما. والكريهة: الحرب أو الشدة فيها. والودج: عرق في العنق، وهو الوريد الذي يقطعه الذابح فلا تبقى معه حياة.
 (٤) الأزمة: جمع زمام، وهو المقود أي الجبل الذي تقاد به الدابة. ولم يعج: لم يرجع.
 (٥) الحبائل: جمع حباله، وهي الشرك. والشادن: الغزال إذا قوي واستغنى عن أمه. والغنج: الحسن الدل.
 (٦) اللوعة: حرقه في القلب، وألم من حبّ أو غيره. واللجج: جمع لجة، وهي معظم الماء.

- لَوْلَا الْفَوَاتِنُ مِنْ غِزْلَانٍ « كَاظِمَةٌ »
فَهَلْ إِلَى صِلَةٍ مِنْ غَادِرٍ عِدَّةٌ
أَبِيتُ أَرْعَى نُجُومَ اللَّيْلِ فِي ظُلْمٍ
كَأَنَّ أَنْجُمَهُ وَالْجَوْ مُعْتَكِرٌ
لَيْلٌ غِيَاهِبُهُ حَيْرَى وَأَنْجُمُهُ
كَأَنَّمَا الصُّبْحُ خَافَ اللَّيْلَ حِينَ رَأَى
فَلَيْتَ مَنْ لَامَنِي لَأَنْتَ شَكِيمَتُهُ
يَظُنُّ بِي سَفْهًا أَنِّي عَلَى سَرْفٍ
فَاعْدِدْ عَنِ اللَّوْمِ إِنْ كُنْتَ أَمْرًا فِطْنًا
- ما كَانَ لِلْحَبِّ سُلْطَانٌ عَلَى الْمُهَجِ (٧)
تَشْفِي تَبَارِيحَ قَلْبٍ بِالْفِرَاقِ شَجِ (٨)
يَخْشَى الضَّلَالَةَ فِيهَا كُلُّ مُدَلِّجِ (٩)
غَيْدٌ بِأَخْيِيَةِ يَنْظُرْنَ مِنْ فُرَجِ (١٠)
حَسْرَى وَسَاعَاتُهُ فِي الطُّولِ كَالْحَجَجِ (١١)
ظَلْمَاءُهُ ذَاتَ أَسْدَادٍ فَلَمْ يَلِجِ (١٢)
فَكَفَّ عَنِّي فَضُولَ الْمَنْطِقِ السَّمِجِ (١٣)
وَلَا يَكَادُ يَرَى مَا فِيهِ مِنْ عِوَجِ (١٤)
فَاللَّوْمُ فِي الْحَبِّ مَعْدُودٌ مِنَ الْهَوَجِ (١٥)

(٧) الفواتن: جمع فاتنة، وهي المرأة المعجبة المدلحة. وكاظمة: موضع تغنى به الشعراء الأقدمون. والمهج: جمع مهجة، وهي الروح والنفس.

(٨) التباريح: جمع تبريح، وهو الشدة، وتباريح الشوق: توهجه وتوقده. والشجي: الحزين المهموم.

(٩) أرعى النجوم: أراقبها، وأنتظر مغيبها. والمدلج: السائر في آخر الليل، أو الذي يسير الليل كله.

(١٠) اعتكر الليل: اشتد سواده والتبس. وغيد: جمع غيداء، وهي المرأة المثنية لينا. والأخبية: جمع خباء، وهو بناء يكون من وبر أو صوف، ويقوم على عمودين أو ثلاثة. وفرج: جمع فرجة، وهي الثغرة.

(١١) الغياهب: جمع غيهب. والمراد بحيرى: أن ظلمات هذا الليل مجتمعة واقفة، كأنها لا تدري كيف تسير. وحسرى: جمع حسير، أي كليل ضعيف. والحجج: جمع حجة، وهي السنة.

(١٢) الأسداد: جمع سد، وهو الحاجز بين الشيئين، يقال: ضربت بينهم الأسداد. وولج: دخل.

(١٣) الشكيمة: الطبع. والمراد بفضول المنطق: الكلام الزائد الذي لا فائدة فيه. والسماج: القبيح.

(١٤) السفه: الجهل، وخفة العقل. والسرف: ضد القصد. والعوج: عدم الاستقامة، وسوء الخلق.

(١٥) الفطن: الحاذق الفهم. والهوج: الحمق والطيش والتسرّع.

هَيْهَاتَ يَسْأَلُكَ لَوْمُ الْعَاذِلِينَ إِلَى
هُوَ النَّبِيُّ الَّذِي لَوْلَا هِدَايَتُهُ
أَنَا الَّذِي بَتُّ مِنْ وَجْدِي بِرَوْضَتِهِ
هَاجَتْ بِذِكْرَاهُ نَفْسِي فَانْكَسَتْ وَلَهَا
فَمَا احْتِيَالِي وَنَفْسِي غَيْرُ صَابِرَةٍ
لَا أُسْتَطِيعُ بَرَاحًا إِنْ هَمَمْتُ وَلَا
لَوْ كَانَ لِلْمَرْءِ حُكْمٌ فِي تَنْقُلِهِ
فَهَلْ إِلَى صِلَةِ الْأَمَالِ مِنْ سَبَبٍ ؟
يَا رَبِّ بِالْمُصْطَفَى هَبْ لِي وَإِنْ عَظُمَتْ
وَلَا تَكِلْنِي إِلَى نَفْسِي فَإِنَّ يَدِي

قَلْبٍ بِحُبِّ رَسُولِ اللَّهِ مُتَمَرِّجٍ (١٦)
لَكَانَ أَعْلَمُ مَنْ فِي الْأَرْضِ كَالْهَمَجِ (١٧)
أَجْنُ شَوْقًا كَطَيْرِ الْبَانَةِ الْهَزَجِ (١٨)
وَأَيُّ صَبٍّ بِذِكْرِ الشُّوقِ لَمْ يَهْجِ ؟ (١٩)
عَلَى الْبُعَادِ وَهَمِّي غَيْرُ مُنْفَرَجِ (٢٠)
أَقْوَى عَلَى دَفْعِ مَا بِالنَّفْسِ مِنْ حَوْجِ (٢١)
مَا كَانَ إِلَّا إِلَى مَغْنَاهُ مُنْعَرَجِي (٢٢)
أَمْ هَلْ إِلَى ضَيْقَةِ الْأَحْزَانِ مِنْ فَرَجِ ؟
جَرَائِمِي رَحْمَةً تُغْنِي عَنِ الْحُجَجِ (٢٣)
مَغْلُولَةٌ وَصَبَاحِي غَيْرُ مُنْبَلِجِ (٢٤)

(١٦) العاذل: اللائم.

(١٧) الهمج: الحمقى، وهم خفاف الأحلام، ضعاف العقول من الناس.

(١٨) يريد بالروضة: قبر النبي (صلعم)، أو ما بين قبره ومنبر مسجده، كأنما هو روضة من رياض الجنة. والبانة: واحدة البان، وهو ضرب من الشجر يسمو ويطول في ارتفاع مثل نبات الأثل. والهزج: المغرّد.

(١٩) الوله: ذهاب العقل، والتحير من شدة الوجد. والصب: العاشق المشتاق، من الصبابة: وهي رقة الشوق وحرارته، أو رقة الهوى.

(٢٠) البعاد: البعد. والهمم: الوجد والحزن. وانفرج الهمم: انكشف وزال.

(٢١) برح مكانه: زال عنه. وهممت بالشيء: أردته، وعزمت عليه. والدفع: مصدر دَفَعَ الشيء: أي نحا، وأزاله بقوة. والحوج: جمع حاجة.

(٢٢) المغنى: المنزل، والمراد قبره ومسجده (صلعم). والمنعرج: الانعراج، وهو الانعطاف والانحناء، والمراد: الانتقال والسفر.

(٢٣) الحجج: جمع حجة، وهي الدليل والبرهان، والمراد بها المعذرة.

(٢٤) يده مغلولة: مربوطة إلى عنقه بالغلل، وهو طوق من حديد يجعل في العنق.

مَالِي سِوَاكَ وَأَنْتَ الْمُسْتَعَانُ إِذَا ضَاقَ الزَّحَامُ غَدَاةَ الْمَوْقِفِ الْحَرَجِ (٢٥)
لَمْ يَبْقَ لِي أَمَلٌ إِلَّا إِلَيْكَ فَلَا تَقْطَعُ رَجَائِي فَقَدْ أَشْفَقْتُ مِنْ حَرَجِي (٢٦)

وقال :

أَبْعَدَ سِتِّينَ لِي حَاجٌ فَأَطْلُبُهَا؟ هَيْهَاتَ مَا لِأَمْرِي بَعْدَ الصَّبَا حَاجٌ (١)
إِنَّ ابْنَ آدَمَ فِي الدُّنْيَا عَلَى خَطَرٍ لَا يَسْتَقِيمُ لَهُ قَصْدٌ وَمِنْهَا حَاجٌ (٢)
كَأَنَّمَا هُوَ فِي فُلْكَ تُحِيطُ بِهِ مِنْ جَانِبَيْهِ أَعَاصِيرٌ وَأَمْوَاجٌ (٣)
يَهْوَى الْبَقَاءَ وَمَكْرُوهُ الْفَنَاءَ بِهِ وَيَسْتَعِزُّ بِأَمْنٍ فِيهِ إِزْعَاجٌ (٤)
لَا أَحْفَلُ الطَّيْرَ إِنْ غَنَّتْ وَإِنْ نَعَبَتْ سَيَّانَ عِنْدِي صَفَّارٌ وَشَحَّاجٌ (٥)
يَسْتَعْظِمُونَ مِنَ الْحَجَّاجِ صَوْلَتَهُ وَكُلُّ قَوْمٍ بِهِمْ لِلظُّلْمِ حَجَّاجٌ (٦) (★)

(٢٥) الغداة: ما بين صلاة الفجر وطلوع الشمس، والمراد بها هنا الوقت مطلقاً. والحرَج: الضيق، ويقصد بالموقف الحرَج: موقف الحساب يوم القيامة.

(٢٦) الحرَج: الإثم والذنب.

(١) الحاج: جمع حاجة، والمراد حاجات الشباب، ودواعي الصبا.

(٢) الخطر: الإشراف على الهلاك.

(٣) الفُلك: السفينة.

(٤) استعزَّ به: عد نفسه عزيزاً به، أي قوياً غالباً.

(٥) صفار: أي كثير الصفير. وغراب شحاج: كثير الشحيج أو الشحاج، وهو صوت الغراب، أو صوت غليظ له إذا أسنَّ.

(٦) الحججاج: هو أبو محمد بن يوسف الثقفى، أحد جبابرة العرب وحكامها، وموطد ملك بني أمية في عهد عبد الملك بن مروان وابنه الوليد، وقد اشتهر الحججاج بالشدة والقسوة وسفك الدماء، ولد سنة ٤١ هـ، ومات سنة ٩٥. والصولة: السطوة والقهر والبطش.

(★) هذه الأبيات من شعره في سرنديب وهو في الستين من عمره، أي في أوائل سنة ١٨٩٩ قبل أن يفرج عنه ببضعة أشهر.

قافية الحاء

وقال وهو في حربِ الروسِ (★) سنة أربع وتسعين ومائتين وألف هجرية
(١٢٩٤ هـ - ١٨٧٧ م) يذكر شوقه إلى الوطن ، ويصف هذه الحرب :

هَيْشاً « لِرِيَا » مَا تَضُمُّ الْجَوَانِحُ وَإِنْ طَوَّحَتْ بِي فِي هَوَاهَا الطَّوَائِحُ (١)
فَنَاءُ لَهَا فِي مَنْصِبِ الْحُسْنِ سُورَةٌ تُقَصِّرُ عَنْهَا الْغَيْدُ وَهِيَ رَوَاجِحُ (٢)
أَحَاطَ عَلَيَّ مِثْلَ الْكَيْبِ إِزَارُهَا وَدَارَتْ عَلَيَّ مِثْلَ الْقَنَاةِ الْوَشَائِحُ (٣)
فِي الْغُضَنِ مِنْهَا إِنْ تَثَنَّتْ مَشَابَهُ وَفِي الْبَدْرِ مِنْهَا إِنْ تَجَلَّتْ مَلَامِحُ
مَحَاسِنُ رَبَّاتِ الْحِجَالِ كَثِيرَةٌ وَلَكِنَّهَا إِنْ وَازَنْتَهَا مَقَابِحُ (٤)

(★) يريد الحرب التي كانت بين تركيا وروسيا وحلفائها، أعلنتها روسيا في إبريل سنة ١٨٧٧ م (شهر ربيع الثاني سنة ١٢٩٤ هـ) وتبعتها رومانيا ثم الصرب والجبل الأسود. وقد انتهت هذه الحرب بهزيمة تركيا، وعقد معاهدة «سان استفانو» في مارس سنة ١٨٧٨ م.

(١) ريا: اسم محبوبته. والجوانح: أضلاع الصدر. وطوّحته الطوائح: قذفته القواذف، وطوح به: ألقاه في الهواء.

(٢) المنصب: الأصل. والسورة: المنزلة. والغيد: جمع غيداء، وهي المرأة الناعمة المتشبية لينا.
(٣) الكيب: المجتمع من الرمل يشبه به كفل المرأة، أي عجزها. والإزار: الملحفة، والمراد به: ما يغطي أسفل الجسم من الثياب. والقناة: الرمح، يشبه قَدَّ المرأة وقامتها بالقناة في الاعتدال، والاستواء، واللدانة، والمرونة. والوشائح: جمع وشاح، وهو نسيج عريض يرصع بالجواهر، وتشده المرأة بين عاتقها وكشحتها.

(٤) ربّات الحجال: المخدرات المحجّبات من النساء.

كَانَ اهْتِزَازَ الْقُرْطِ فِي صَفْحِ جِيدِهَا
 لَهَا ذُكْرَةٌ عِنْدِي وَطَيْفٌ كِلَاهُمَا
 عَجِبْتُ لِعَيْنِي كَيْفَ تَظْمَأُ دُونَهَا
 أَحْنُ لَهَا شَوْقًا وَدُونَ مَزَارِهَا
 فَيَافٍ يَضِلُّ النُّجْمُ فِي قُذْفَاتِهَا
 وَلُجَّةٌ بَحْرٌ كُلَّمَا هَبَّ عَاصِفٌ
 فَقَلْبِي تَحْتَ السَّرْدِ كَالنَّارِ لِأَفْحٍ
 وَلَوْ كُنْتُ مَطْلُوقَ الْعِنَانِ لَمَا نَتَّ
 وَلَكِنِّي فِي جَحْفَلٍ لَيْسَ دُونَهُ
 يُكَافِحُنِي شَوْقِي إِذَا اللَّيْلُ جَنَّنِي
 خَصِيمَانِ هَذَا بِالْفُؤَادِ مُخَيِّمٌ

(٥) القرط: ما يعلّق في شحمة الأذن من الحلّي.

(٦) الذكرة: الحفظ للشيء، والشيء يجري على اللسان. والطيّف: الخيال الطائف في المنام. والتمثال: الصورة.

(٧) إنسان العين: حدقتها وسوادها. ولجة الماء: معظمه.

(٨) المزار: موضع الزيارة. يأويها: يقيم بها. والردى: الهلاك. والمناح: الأراضي الواسعة.

(٩) الفيافي: الصحارى. والقذفات: جمع قذفة، وهي الجانب والناحية. وظلع البعير والرجل: أي غمز في مشيه، وهو شبيه بالعرج. والناثجات: الرياح السريعة، يقال: للريح نثيج أي مرّ سريع بصوت. والبوارح: جمع بارح، وهي الرياح الحارة في الصيف، أو الرياح البارح: الشديدة.

(١٠) السرد: اسم جامع للدروع. ولافح: حارّ محرق. وسافح: منصّب.

(١١) العنان: سير اللجام الذي تمسك به الدابة.

(١٢) الجحفل: الجيش الكثير. والبراح: المتسع من الأرض لا زرع به ولا شجر. وبارح: زائل. ولا بارح عنه: أي لا مفرّ منه، ولا محيص عنه.

(١٣) يكافحني: يلاقيني. وجنّه الليل: ستره.

(١٤) الخصيم: المخاصم. ومخيّم: مقيم. والقذيفة: كل ما يرمى به. ونازح: بعيد.

وَمَا بِي مَا أَخْشَاهُ مِنْ صَوْلَةِ الْعِدَا
 فَيَا «رَوْضَةَ الْمِقْيَاسِ» حَيَّاكَ عَارِضُ
 ضُحُوكُ ثَنَايَا الْبَرْقِ تَجْرِي عُيُونُهُ
 تَحُوكُ بِخَيْطِ الْمُزْنِ مِنْهُ يَدُ الصَّبَا
 مَنَازِلُ حَلِّ الدَّهْرِ فِيهَا تَمَائِمِي
 وَإِنْ أَحَقَّ الْأَرْضُ بِالشُّكْرِ مَنَزِلُ
 فَهَلْ تَرْجِعُ الْأَيَّامُ فِيهِ بِمَا مَضَتْ
 لَعْمَرِي لَقَدْ طَالَ النَّوَى وَتَقَادَفَتْ
 وَأَصْبَحَتْ فِي أَرْضٍ يَحَارُ بِهَا الْقَطَا
 بَعِيدَةُ أَقْطَارِ الدِّيَامِيمِ لَوْ عَدَا

(١٥) الصولة: السطوة والثوب.

(١٦) روضة المقياس: جزيرة في النيل شرقي الجيزة، وقد أكثر البارودي من التغني بها. والعارض: السحاب المعترض في الأفق. والمزن: السحاب. وخفاق الجناحين: مضطرب متحرك، تسوقه الرياح. وسحاب دالح: كثير المطر.

(١٧) الثنايا: الأسنان الأربع التي في مقدم الفم، واحدها ثنية. والونق: المطر. والصحاصح: جمع صحصح، وهو ما استوى من الأرض.

(١٨) الصبا: ريح تهب من مطلع الشمس. والأباطح: جمع الأبطح، وهو المكان المتسع.

(١٩) التمايم: جمع تميمة، وهي عوذة أو خرزة تعلق على الصبي لتدفع العين عنه، ومعنى حل الدهر فيها تمايمي: أنه ترعرع وشب وجاوز الصبا في هذه المنازل. والقنا: جمع قناة، وهي الرمح. والصفائح: السيوف العراض.

(٢٠) مرّ به الطائر سانحاً: أي عن يمينه، وهو مما يتفاعل به.

(٢١) النوى: البعد. والمهامه: جمع مهمه أو مهممة، وهي المفازة البعيدة والبلد المقفر. والمطاوح: المقاذف والمهالك.

(٢٢) القطا: ضرب من الحمام يضرب المثل بهدايته. والجنان: جمع جان، والجان والجنّ والجنّة: خلاف الأنس، والبشر.

(٢٣) الدياميم: جمع ديموم أو ديمومة، وهي الأرض القفر، أو الصحراء الواسعة. وسليك بن

تَصِيحُ بِهَا الْأَصْدَاءُ فِي غَسَقِ الدُّجَى	صِيَاخُ الثُّكَالَى هَيَّجَتْهَا النَّوَائِحُ (٢٤)
تَرَدَّتْ بِسَمُورِ الْغَمَامِ جِبَالُهَا	وَمَاجَتْ بِتَيَّارِ السُّيُولِ الْبَطَائِحُ (٢٥)
فَأَنْجَادُهَا لِلْكَاسِرَاتِ مَعَاقِلُ	وَأَغْوَارُهَا لِلْعَاسِلَاتِ مَسَارِحُ (٢٦)
مَهَالِكُ يَنْسَى الْمَرْءُ فِيهَا خَلِيلَهُ	وَيَنْدُرُ عَنْ سَوْمِ الْعَلَا مَنْ يُنَافِحُ (٢٧)
فَلَا جَوْ إِلَّا سَمْهَرِيٌّ وَقَاضِبُ	وَلَا أَرْضَ إِلَّا شَمَّرِيٌّ وَسَابِحُ (٢٨)
تَرَانَا بِهَا كَالْأَسَدِ نَرُصِدُ غَارَةَ	يَطِيرُ بِهَا فَتَقُّ مِنَ الصُّبْحِ لَامِحُ (٢٩)
مَدَافِعُنَا نُضِبُ الْعِدَا وَمُشَاتِنَا	قِيَامُ تَلِيهَا الصَّافِنَاتُ الْقَوَارِحُ (٣٠)

يثربي بن سنان بن سلعة، وهي أمه: لصّ جاهليّ فتاك عداء، يضرب به المثل في العدو، قيل: كان يطلب الخيل فيدركها، وتطلبه هي فلا تدركه. وكانت له دراية واسعة بالأرض ومجاهلها وفجاجها. وجرى شأواً: جرى طلقاً وشوطاً، والشأو: الغاية والأمد. ورزح رزوحاً: سقط إعياء، أو هزلاً.

(٢٤) الأصدقاء: جمع صدى، وهو طائر يصرّ بالليل، يقفز قفزاتاً. والصدى أيضاً: الصوت يعود على من يصيح في الخلاء. والمراد بغسق الدجى: ظلام الليل. والثكالى: جمع ثكلى، وهي المرأة التي فقدت ولدها.

(٢٥) تردت: لبست الرداء. والسّمور: حيوان برّي ثديي من آكلات اللحوم، يتخذ من جلده فراء ثمينة. والبطائح: جمع بطيخة، وهي مسيل واسع فيه دقاق الحصى.

(٢٦) الأنجاد: جمع نجد، وهو ما أشرف وارتفع من الأرض. والكاسرات: الطيور تكسر أجنحتها، أي تضمها للوقوع. والمعائل: جمع معقل، وهو الملجأ. والأغوار: جمع غور، وهو المظمن من الأرض. والعاسلات: الذئب، عسل الذئب يعسل عسلاً وعسلاناً: أي اضطرب في عدوه وهز رأسه. والمسارح: جمع مسرح، وهو المرعى.

(٢٧) الخليل: الصديق. ويندر: يسقط، أو يهلك، أو يقل. والمراد بسوم العلا: طلب الرفعة، ومعالجة الوصول إليها. وينافح: يكافح ويدافع.

(٢٨) السمهريّ: الرمح الصلب، وقيل: منسوب إلى سمهر: اسم رجل كان يثقف الرماح ويقومها. والقاضب: السيف القطاع. والشمريّ: الشجاع المجرب الماضي في الأمور. والسابح: الفرس يسبح بيديه في سيره.

(٢٩) الغارة: الهجمة. وفتق الصبح: انشقاق الفجر. ولامح: لامع.

(٣٠) الصافنات: جمع الصافن، وهو من الخيل ما يقف على ثلاث قوائم، وقد أقام الرابعة على

ثَلَاثَةٌ أَصْنَافٍ تَقِيهِنَّ سَاقَةٌ
فَلَسْتُ تَرَى إِلَّا كُمَاءً بَوَاسِلًا
نُغِيرُ عَلَى الْأَبْطَالِ وَالصُّبْحُ بِاسْمِ
بَكِي صَاحِبِي لَمَّا رَأَى الْحَرْبَ أَقْبَلَتْ
وَلَمْ يَكْ مَبْكَاهُ لِخَوْفٍ وَإِنَّمَا
فَقَالَ اتَّيِدُ قَبْلَ الصِّيَالِ وَلَا تَكُنْ
أَلَمْ تَرَ مَعْقُودَ الدُّخَانِ كَأَنَّمَا
وَقَدْ نَشَأَتْ لِلْحَرْبِ مُزْنَةٌ قَسَطَلِ
فَلَا رَأْيَ إِلَّا أَنْ تَكُونَ بِنَجْوَةٍ
فَقُلْتُ تَعَلَّمْ إِنَّمَا هِيَ خُطَّةٌ
فَمَا كُلُّ مَا تَرْجُو مِنَ الْأَمْرِ نَاجِعٌ

صِيَالُ الْعِدَا إِنْ صَاحَ بِالشَّرِّ صَائِحٌ (٣١)
وَجُرْدًا تَخُوضُ الْمَوْتَ وَهِيَ ضَوَابِحُ (٣٢)
وَنَؤُوي إِلَى الْأَدْغَالِ وَاللَّيْلُ جَانِحٌ (٣٣)
بِأَبْنَائِهَا وَالْيَوْمُ أُغْبِرُ كَالِحٌ
تَوَهَّمُ أَنِّي فِي الْكَرْيَهَةِ طَائِحٌ (٣٤)
لِنَفْسِكَ حَرْبًا إِنِّي لَكَ نَاصِحٌ (٣٥)
عَلَى عَاتِقِ الْجَوْزَاءِ مِنْهُ سَرَائِحُ (٣٦)
لَهَا مُسْتَهْلٌ بِالْمَنِيَّةِ رَاشِحٌ (٣٧)
فَإِنَّكَ مَقْصُودُ الْمَكَانَةِ وَاضِحٌ (٣٨)
يَطُولُ بِهَا مَجْدٌ وَتُخْشَى فَضَائِحُ (٣٩)
وَلَا كُلُّ مَا تَخْشَى مِنَ الْخَطْبِ فَادِحُ (٤٠)

طرف الحافر، وهو من الصفات المحمودة في الخيل. والقوارح: جمع قارح، وهو من الخيل ونحوها ما بلغ الخامسة من عمره.

(٣١) ساقاة الجيش: مؤخره. وصال على قرنه صولاً وصيالاً: سطا عليه ويطش به.

(٣٢) الكمأة: جمع كمي، وهو الشجاع، أو لابس السلاح. والجرد: جمع أجرد، وهو الفرس

السباق. وضوايح: جمع ضابح، وضبح الخيل: صوت أنفاسها عند العدو والجري.

(٣٣) الأدغال: جمع دغل، وهو الشجر الكثير الملتف

(٣٤) الكريهة: الحرب. وطائح: هالك.

(٣٥) اتند: تأن وتمهل. والصيال: السطو والبطش.

(٣٦) العاتق: ما بين المنكب والعنق. والجوزاء: كوكب. والسرائح: جمع سريحة، وهي القطعة

من الثوب، والمراد قطع الدخان.

(٣٧) المزنة: السحابة. والقسطل: الغبار. واستهل المطر: اشتد انصبابه.

(٣٨) النجوة: ما ارتفع من الأرض، والمراد المكان البعيد عن الخطر.

(٣٩) الخطّة: الشأن والحالة.

(٤٠) ناجع: نافع ذو أثر ظاهر. والخطب: الشأن والأمر والنازلة. وفادح: صعب شاق باهظ.

فَقَدْ يَهْلِكُ الرَّعْدِيدُ فِي عَقْرِ دَارِهِ وَيَنْجُو مِنَ الْخَتْفِ الْكَمِيِّ الْمُشَايِحِ (٤١)
 وَكُلُّ امْرِئٍ يَوْمًا مُلَاقٍ جَمَامَهُ وَإِنْ عَارَ فِي أَرْسَانِهِ وَهُوَ جَامِحٌ (٤٢)
 فَمَا بَارِحٌ إِلَّا مَعَ الْخَيْرِ سَانِحٌ وَلَا سَانِحٌ إِلَّا مَعَ الشَّرِّ بَارِحٌ (٤٣)
 فَإِنْ عِشْتُ صَافِحْتُ الثَّرِيًّا وَإِنْ أُمْتُ فَإِنَّ كَرِيمًا مَنْ تَضُمُّ الصَّفَائِحُ (٤٤)

وَسَأَلَهُ أَحَدُ الْفُضَلَاءِ أَنْ يُوزِنَ * قَصِيدَةَ ابْنِ النَّبِيِّ * * التي أولها :

يَا سَاكِنِي السَّفْحِ كَمْ عَيْنٍ بِكُمْ سَفَحَتْ نَزَحْتُمْ فَهِيَ بَعْدَ الْبُعْدِ مَا نَزَحَتْ

فقال :

مَاذَا عَلَى قُرَّةِ الْعَيْنَيْنِ لَوْ صَفَحَتْ وَعَاوَدَتْ بِوِصَالٍ بَعْدَ مَا صَفَحَتْ (١)
 بَايَعْتُهَا الْقَلْبَ إِجَابًا بِمَا وَعَدَتْ فَيَا لَهَا صَفْقَةً فِي الْحُبِّ مَا رَبِحَتْ
 قَدْ يَزْعُمُ النَّاسُ أَنَّ الْبُخْلَ مَقْطَعَةٌ فَمَا لِقَلْبِي يَهْوَاهَا وَمَا سَمَحَتْ (٢)
 خُوطِيَّةٌ الْقَدِّ لَوْمَرُ الْحَمَامِ بِهَا لَمْ يَشْتَبِهْ أَنهَا مِنْ أَيْكِهِ أَنْتَزَحَتْ (٣)

(٤١) الرعديد: الجبان. والختف: الموت. والكمي: الشجاع. والمشايح: المقاتل.
 (٤٢) الحمام: قضاء الموت وقدره. وعار الفرس يعير: ذهب كأنه منفلت من صاحبه. والأرسان: جمع رسن، وهو الحبل. وجامح: مستعص.
 (٤٣) البارح: الطائر الأشام. وسنح الطائر: جرى على يمينك إلى يسارك، والعرب تتيامن بذلك.
 (٤٤) الثريا: نجم معروف، يضرب به المثل في الرفعة والعلاء. والصفائح: حجارة عراض رقاق، والمراد القبر.

(★) يوازن القصيدة: يأتي بقصيدة تعادلها، أي من بحرهما وقافيتها.
 (★★) ابن النبيه المصري: هو أبو الحسن علي بن محمد، كان شاعراً رقيق الشعر بديع الغزل، اتصل ببني أيوب ملوك الشام والجزيرة من أقارب صلاح الدين، واختص بالملك الأشرف موسى، الملقب بشاه أرمن. توفي بنصيبين من مدن الجزيرة سنة ٦١٩ هـ.
 (١) قرّت العين: بردت سروراً، ويقال: هو قرّة العين، أي متعتها، ومبعث سرورها.
 (٢) يزعم: يظن.
 (٣) الخوط: الغصن الناعم. والقّد: اعتدال القامة، وحسن الطول، وجمال القوام. والأيك:

خَفَّتْ مَعَاظِفُهَا لَكِنْ رَوَادِفُهَا
 وَيَلَاهُ مِنْ لِحْظِهَا الْفَتَاكِ إِنْ نَظَرْتُ
 يَمُوتُ قَلْبِي وَيَحْيَا حَيْرَةً وَهُدًى
 كَالْبَدْرِ إِنْ سَفَرْتُ وَالظَّبِي إِنْ نَظَرْتُ
 وَاحْجَلَةَ الْبَدْرِ إِنْ لَاحَتْ أُسْرَتُهَا
 لَهَا رَوَابِطُ لَا تَنْفَكُ آخِذَةً
 يَا سَرْحَةَ الْأَمَلِ الْمَمْنُوعِ جَانِبُهُ
 تَرَفَّقِي بِفُؤَادِ أَنْتِ مُنِيَّتُهُ
 حَاشَاكِ أَنْ تَسْمَعِي قَوْلَ الْوَشَاةِ بِنَا
 أَفْسَدْتُ فِي حُبِّكُمْ نَفْسِي جَوَى وَأَسَى

بِمِثْلِ مَا حَمَلْتَنِي فِي الْهَوَى رَجَحْتُ (٤)
 وَآهٍ مِنْ قَدِّهَا الْعَسَالِ إِنْ سَنَحْتُ (٥)
 فِي عَالَمِ الْوَجْدِ إِنْ صَدَّتْ وَإِنْ جَنَحْتُ
 وَالغُصْنِ إِنْ خَطَرْتُ وَالزَّهْرِ إِنْ نَفَحْتُ (٦)
 وَحَيْرَةَ الرَّشَاءِ الْوَسْنَانِ إِنْ لَمَحْتُ (٧)
 بِعُرْوَةِ الْقَلْبِ إِنْ جَدَّتْ وَإِنْ مَزَحْتُ (٨)
 وَيَا غَزَالَةَ وَاوْدِي الْحُسْنِ إِنْ سَرَحْتُ (٩)
 وَمُقَلَّةٍ لِسَوَى مَرَاكِ مَا طَمَحْتُ (١٠)
 فَإِنَّهَا رَبَّمَا غَشَّتْ إِذَا نَصَحْتُ (١١)
 وَالنَّفْسُ فِي الْحُبِّ مَهْمَا أَفْسَدَتْ صَلَحْتُ (١٢)

الشجر الكثير الملتف، الواحدة: أيقة. وانتزح انتزاحاً: نأى، وبُعد.

(٤) المعاطف: جمع معطف، اسم مكان من عطف، أي مال، والمراد بها: الخصور. والروادف: الأعجاز.

(٥) الويل: العذاب. واللحظ: النظر بمؤخر العين. والفتك: القتل على غفلة. والعسال: المهترز، من غسل الرمح أي اهترز. وسنحت: عرضت ومررت.

(٦) سفرت: كشفت عن وجهها. والظبي: الغزال. وخطرت: اهترزت في مشيها وتبخرت. ونفح الطيب: فاح، وله نفحة طيبة.

(٧) أسرة الوجه: محاسنه. والرشاء: ولد الطيبة إذا قوي، ومشى مع أمه، وهو الغزال. والوسنان: صفة من الوسن، وهو النعاس، والمراد فتور الطرف من الحياء. ولمح إليه: اختلس النظر.

(٨) المراد بعروة القلب: نياطه، وهو عرق متصل به.

(٩) السرحة: شجرة عظيمة طويلة، والعرب تكني بها عن المرأة. يقول: إنها سرحة أمل عزّ تحقيقه، وإذا مشت كانت ظبية تسير في وادي الجمال والبهاء.

(١٠) السقلة: العين.

(١١) الوشاة: جمع واش، وهو من يكذب في كلامه، أو ينم ويسعى بغيره.

(١٢) الجوى: الحرقرة وشدة الوجد. والأسى: الحزن.

مَا زِلْتُ أُسْحِرُهَا بِالشُّعْرِ تَسْمَعُهُ
 حَتَّى إِذَا عَلِمْتُ مَا حَلَّ بِي وَرَأْتُ
 حَنْتَ رَثْتُ عَطَفْتُ مَالْتُ صَبْتُ عَزَمْتُ
 فَبْتُ مِنْ وَصَلِيهَا فِي نِعْمَةِ عَظُمْتُ
 أَنَالُ مِنْ ثَغْرِهَا الدَّرِّيَّ مَا سَأَلْتُ
 فِي رَوْضَةٍ بَسَمْتُ أَزْهَارَهَا وَنَمْتُ
 تَكَلَّلْتُ بِجُجَمَانِ القَطْرِ وَأَتَزَرْتُ
 تَرَنَّحَ الغُصْنِ مِنْ أَشْوَاقِهِ طَرَبْتُ
 صَحَّ النَّسِيمُ بِهَا وَهُوَ العَلِيلُ وَقَدْ
 وَلَيْلَةٍ سَالَ فِي أَعْقَابِهَا شَفَقُ
 طَالَتْ وَقَصَّرَهَا لَهْوِي بِغَانِيَةٍ

مِنْ ذَاتِ فَهْمٍ تُجِيدُ القَوْلَ إِنْ شَرَحْتَ
 سُقْمِي وَخَافْتُ عَلَى نَفْسِي بِهَا افْتَضَحْتُ (١٣)
 هَمَّمْتُ سَرْتُ وَصَلْتُ عَادَتُ دَنْتُ مَنَحْتُ (١٤)
 مَا شِئْتُ أَوْ جَنَّةِ أَبْوَابِهَا فُتِحْتُ
 نَفْسِي وَمِنْ خَدِّهَا الوردِيَّ مَا اقْتَرَحْتُ
 أَفْنَانُهَا وَسَجْتُ أَظْلَالُهَا وَضَحْتُ (١٥)
 بِسُنْدُسِ النَّبْتِ والرَّيْحَانِ وَأَتَشَحْتُ (١٦)
 لَمَّا رَأَى الطَّيْرَ فِي أَوْكَارِهَا صَدَحْتُ (١٧)
 مَالْتُ بِخَمْرِ النَّدَى أَغْصَانُهَا وَضَحْتُ
 كَأَنَّهَا بِحَسَامِ الفَجْرِ قَدْ ذُبِحْتُ (١٨)
 إِنْ أَعْرَضْتُ قَتَلْتُ أَوْ أَقْبَلْتُ فَضَحْتُ (١٩)

(١٣) السقم: المرض.

(١٤) صبت إليه: حنت ومالت.

(١٥) الروضة: الموضع المعجب بمياهه وأشجاره وعشبه وأزهاره. والأفنان: جمع فن وهو

الغصن. وسجت: سكنت ودامت وستررت ما فيها. وضحت: برزت للشمس، أي الروضة.

(١٦) تكللت: لبست الإكليل، وهو شبه عصا مزيّنة بالجواهر، أو هو التاج. والجمان: اللؤلؤ، أو

هنوات أشكال اللؤلؤ من فضة، الواحدة جمانة. والسندس: ما رق من الديباج، وهو الحرير.

والريحان: كل نبات طيب الرائحة، أو هو نبات مخصوص طيب الرائحة. وأتشت: لبست

الوشاح، وهو شيء ينسج من أديم عريضاً، ويرضع بالجواهر، وتشده المرأة بين عاتقها

وكشحتها.

(١٧) الأوكار: جمع وكر وهو عش الطائر حيث كان في شجر أو جبل. وصدحت: غنت.

(١٨) أعقابها: أواخرها. والشفق: بقية ضوء الشمس وحمرتها في أول الليل إلى قريب من العتمة.

والحسام: السيف القاطع.

(١٩) الغانية: الجارية التي غنيت بحسنها الفطري وجمالها الطبيعي عن الزينة والحسن

المصنوع.

هَيْفَاءُ إِنْ نَطَقَتْ غَنَّتْ وَإِنْ خَطَرَتْ
 دَارَتْ عَلَيْنَا بِهَا الْكَاسَاتُ مُتْرَعَةً
 حَمْرَاءَ سَلْسَلَهَا الْإِبْرِيْقُ فِي قَدَحٍ
 رُوحٌ إِذَا سَلَكَتْ فِي هَامِدٍ نَبْضَتْ
 طَارَتْ بِالْبَابِنَا سُكْرًا وَلَا عَجَبٌ
 حَتَّى بَدَا الْقَجْرُ مِنْ أَطْرَافِ ظُلْمَتِهَا
 فَيَا لَهَا لَيْلَةٌ مَا كَانَ أَحْسَنَهَا
 رَنْتُ وَإِنْ فَوَّقْتُ أَلْحَاطَهَا جَرَحْتُ^(٢٠)
 بِخَمْرَةٍ لَوْ بَدَتْ فِي ظُلْمَةٍ قَدَحْتُ
 كَشُغْلَةٍ لَفَحْتُ فِي ثَلْجَةٍ نَصَحْتُ^(٢١)
 عُرُوقُهُ أَوْ دَنْتُ مِنْ صَخْرَةٍ رَشَحْتُ^(٢٢)
 وَهِيَ الْكُمَيْتُ إِذَا فِي حَلْبَةِ جَمَحْتُ^(٢٣)
 كَغُرَّةٍ فِي جَوَادٍ أَدْهَمَ وَضَحْتُ^(٢٤)
 لَوْ أَنَّهَا لَبِثَتْ حَوْلًا وَمَا بَرِحْتُ^(٢٥)

وقال على وزنٍ مُخْتَرَعٍ * :

أَمْلًا الْقَدَحِ وَاعْصِرِ مَنْ نَصَحَ^(١)

(٢٠) هيفاء: خميصة البطن، دقيقة الخصر. وخطرت: اهتزت في مشيتها وتبخترت. والرنة: الصوت، والمراد أنها إذا تبخترت في مشيتها سمع جرس حليها. وفوق السهم: جعل له فوقاً أو جعل الوتر في فوقه عند الرمي. والمراد بتفويق الألفاظ: توجيه النظرات وتصويبها.
 (٢١) حمراء أي الخمر وسلسلها: صبها متصللاً بعضها ببعض كهيئة السلسلة. والقدهح: إناء يشرب فيه. ونصحت: خلصت وصفت.

(٢٢) هAMD: خال من الحياة.

(٢٣) الألباب: جمع لب وهو العقل. والكميت: الخمر التي فيها سواد وحمرة. ومن الخيل الذي خانط حمرة قنوء، أي الذي اشتدت حمرة، وضربت إلى السواد، ولونه الكمته. والحلبة: خيل تجمع للسباق من كل ناحية، وقد تطلق الحلبة على مجال الخيل للسباق.

(٢٤) الغرة: بياض في جبهة الفرس. وأدهم: أسود.

(٢٥) حول: سنة.

(*) هذه القصيدة من مجزوء المتدارك، وأجزاؤه فاعلن ثماني مرات، لم يبق منها في كل شطر هنا غير التفعيلة الأولى، والوتد المجموع من التفعيلة الثانية «علن». ولم تنظم العرب على هذا الوزن في ما نعلم. وقد حاكى فيه «شوقي» البارودي في قصيدته التي مطلعها:

مال واحتجب وأدعى الغضب

(١) القدهح: إناء يشرب فيه، ويريد هنا إناء الخمر.

وَأَرَوِ غُلَّتِي	بِأَبْنَةِ الْفَرْخِ ^(٢)
فَالْفَتَى مَتَى	ذَاقَهَا أَنْشَرَخَ
وَهِيَ إِنْ سَرَتْ	فِي الْعَلِيلِ صَخْ ^(٣)
أَوْ صَبَا بِهَا	بِأَخِلِّ سَمَخْ ^(٤)
فَاهْجِرِ الْكُرَى	وَاعْدُ نَضَطِخْ ^(٥)
فَالدَّجَى مَضَى	وَالسَّنَا لَمَخْ ^(٦)
وَالْحَمَامُ فِي	أَيْكِهِ صَدَخْ ^(٧)
فَاتَّبِعِ الْهَوَى	حَيْثُمَا سَرَخَ
وَاضْطَجِبْ بِمَنْ	يَبْعَثُ الْمَرَخَ
فِيهِ لِلْمَنَى	كُلُّ مُقْتَرِخَ
وَاحْذِرِ الَّذِي	إِنْ وَعَى سَبِخَ
كُلَّمَا رَأَى	فُرْصَةً قَدَخْ ^(٨)
لَيْسَ مَنْ أَسَا	مِثْلَ مَنْ جَرَخْ ^(٩)
أَيْنَ مَنْ رَأَى	فَاسِدًا صَلَخْ؟
كُلُّ مَنْ وَشَى	سَوْفَ يَنْتَضِخْ ^(١٠)

(٢) الغلة : حرارة العطش .

(٣) العليل : المريض .

(٤) صبا بها : مال إليها .

(٥) الكرى : النعاس . ونضطبخ : نشرب صبوحاً .

(٦) الدجى : جمع دجية ، وهي الظلمة .

(٧) الأيك : الشجر الكثير الملتف ، الواحدة أيقة

(٨) قدح فيه : طعن .

(٩) أسا الجرح يأسوه : داواه .

(١٠) وشى : كذب وسعى بين الناس بالفساد .

فَاتْرُكِ الْأَذَى فَالْأَذَى تَرَحَّ
وَاسْعَ لِلْعُلَا مَنْ سَعَى نَجَحَ
وَأَزَعِ مَا حَوَتْ هَذِهِ الْمُلْحَ

وَقَالَ يَصِفُ لَيْلَةَ أَنْسٍ :

وَلَيْلَةَ بِضِيَاءِ الْكَأْسِ لِامِعَةِ
أَحْيَيْتُهَا بَعْدَمَا نَامَ الْخَلِيُّ بِهَا
فَلَوْ تَأَمَّلْتَنِي وَالْكَأْسُ دَائِرَةٌ
وَكَيْفَ لَا تَبْلُغُ الْأَفْلَاكَ مَنْزِلَتِي
أَذْرَكْتُ بِاللَّهِوِ فِيهَا كُلَّ مُقْتَرَحٍ
بِعَادَةِ لَوْرَاتِهَا الشَّمْسُ لَمْ تُلْحَ (١)
لَخِلْتَنِي مَلِكًا يَخْتَالُ مِنْ مَرَحٍ
وَالْبَدْرُ فِي مَجْلِسِي وَالشَّمْسُ فِي قَدْحِي؟ (٢)

وَقَالَ فِي الْغَزْلِ :

وَالْوَعَةَ الْقَلْبِ مِنْ غِزْلَانِ أَخْبِيَةِ
مِنْ كُلِّ مَائِسَةٍ كَالْغُصْنِ قَدْ جَمَعَتْ
فَالْعَيْنُ نَرَجِسَةٌ وَالشَّعْرُ سَوْسَنَةٌ
تَكَادُ تَسْكُرُ مِنْ أَحْدَاقِهَا الرَّاحُ (١)
بَدَائِعًا كُلُّهَا لِلْحُسْنِ أَوْضَاحُ (٢)
وَالنَّهْدُ رُمَانَةٌ وَالْخَدُّ تَفَاحُ

وَقَالَ :

(أَلَا يَا حَمَامَ الْأَيْكِ الْفُكَّ حَاضِرُ
وَعُصْنِكَ مِيَادُ فَقِيمِ تَنُوحِ؟) (١)

(١) الْخَلِيُّ : الْخَالِي مِنَ الْهَمِّ ، وَالْمُرَادُ بِهِ (هِنَا) : الْبَعِيدُ عَنِ اللَّهْوِ وَدَوَاعِيهِ . وَالْغَادَةُ : الْمَرْأَةُ النَّاعِمَةُ الْمَشْتَبِيَةُ لِينًا .

(٢) الْأَفْلَاكُ : جَمْعُ فَلَكَ ، وَهُوَ مَدَارُ النُّجُومِ . وَقَدْ أَرَادَ بِالْبَدْرِ : الْغَادَةُ الَّتِي تَقْدَمُ ذِكْرَهَا فِي الْبَيْتِ السَّابِقِ . وَأَرَادَ بِالشَّمْسِ : الْخَمْرَ لِلْمَعَانِيهَا وَتَلَالُثِهَا وَشِعَاعِهَا .

(١) الْأَخْبِيَّةُ : جَمْعُ خَبَاءٍ ، وَهُوَ بَيْتٌ صَغِيرٌ مِنْ وَبَرٍ أَوْ صُوفٍ أَوْ شَعْرٍ ، وَيَكُونُ عَلَى عَمُودَيْنِ أَوْ ثَلَاثَةِ . وَالْأَحْدَاقُ : جَمْعُ حَدْقَةٍ ، وَهِيَ سَوَادُ الْعَيْنِ . وَالرَّاحُ : الْخَمْرُ .

(٢) مَائِسَةٌ : مَتَبَخَّرَةٌ ، وَالْبَخْتَرَةُ وَالتَّبَخْتَرُ : مَشِيَّةٌ حَسَنَةٌ .

(١) الْأَيْكُ : الشَّجَرُ الْكَثِيرُ الْمَلْتَفِّ ، الْوَاحِدَةُ أَيْكَةٌ . وَمِيَادُ : مَهْتَزٌ مَتَحَرِّكٌ .

غَدَوْتَ سَلِيمًا فِي نَعِيمٍ وَغَبَطَةً
فَإِنْ كُنْتَ لِي عَوْنًا عَلَى الشُّوقِ فَاسْتَعِرْ
وَأِلَّا فَدَعْنِي مِنْ هَدِيدِكَ وَأَنْصَرِفْ
وَلَكِنَّ قَلْبِي بِالْغَرَامِ جَرِيحٌ
لِعَيْنَيْكَ دَمْعًا فَالْبُكَاءُ مُرِيحٌ
فَلَيْسَ سَوَاءً بَأِذِلُّ وَشَحِيحٌ^(٢)

وَقَالَ يَصِفُ سَحَابَةً :

سَارِيَةً خَفَاقَةَ الْجَنَاحِ
تَبِيْتُ فِي مَهْدٍ مِنَ الْبِطَاحِ
ضَحَّاكَةً كَثِيرَةَ النُّوَّاحِ
تُؤَاوِلُ الْغَدُوَّ بِالرَّوَّاحِ^(١)
بَاكِئَةً بِمَدْمَعِ سَفَّاحِ^(٢)
مَنْشُورَةً فِي الْأَفْقِ كَالْوِشَاحِ^(٣)
تَحْمِلُهَا كَوَاهِلُ الرِّيَّاحِ^(٤)

وَقَالَ :

يَا كَوَكَبَ الصُّبْحِ مَتَى يَنْقُضِي
قَدْ سَدَّ حِصْنَ اللَّيْلِ أَبْوَابَهُ
إِنِّي أَرَى أَنْجُمَهُ قَدْ وَنَتْ
عُمُرُ الدُّجَى يَا كَوَكَبَ الصُّبْحِ^(١)
فَاتْلُ عَلَيْهِ سُورَةَ الْفَتْحِ
فَمَا لَهَا أَيْدٌ عَلَى السَّبْحِ^(٢)

(٢) الهديل والهدير: سجع الحمام وصوته.

(١) السارية: السحابة التي تأتي ليلاً. الغدو: الذهاب في الغدوة، وهي ما بين الفجر وطلوع الشمس. والرواح: ضد الغدو، وهو الذهاب والانطلاق في العشي، أو في آخر النهار، وقد تستعمل العرب الرواح والغدو في المسير أي وقت كان من ليل أو نهار.

(٢) البطاح: جمع الأبطح، وهو مسيل واسع فيه دفاق الحصى، أو هو كل مكان متسع.

(٣) الوشاح: شيء ينسج من أديم عريضاً، ويرصع بالجواهر وتشده المرأة بين عاتقها وكشحها.

(٤) الكواهل: جمع كاهل وهو مقدم أعلى الظهر مما يلي العنق، وهو الثلث الأعلى وفيه ست فقرات، أو هو ما بين الكتفين.

(١) الدجى: جمع دجية، وهي الظلمة.

(٢) ونت: ضعفت وفترت. والأيد: مصدر آد يثيد أيداً، أي اشتد وقوي.

وَقَدْ بَدَا ذُو ذَنْبٍ طَالِعاً كَأَنَّهُ سُنْبُلَةُ الْقَمْحِ (٣)

وَقَالَ فِي الرُّوحِ بَعْدَ مُفَارَقَةِ الْجِسْمِ :

بَلَغْتَ مَدَاكَ مِنْ أَرْبٍ فَسِيحِي فَأَنْتِ الْيَوْمَ فِي جَوْفِ سِيحِ (١)
تَرَكْتَ الْجِسْمَ فَيَمَا كَانَ مِنْهُ وَغَبْتَ بِلُجَّةٍ لَوْنِ الْمَسِيحِ (٢)
فَعَادَتْ صُورَةُ الْجَثْمَانِ عُظْلاً لِفَقْدِكَ مِثْلَ دِينَارِ مَسِيحِ (٣)
وَلَوْ يَقْوَى لَسَارَ وَكَيْفَ يَقْوَى عَلَى هَوْلِ السَّرِيِّ قَدَمُ الْكَسِيحِ ؟ (٤)
سَبَحْتَ بَغْمَرَةٍ كَالشَّمْسِ نُوراً وَعَامَ مِنَ الْخَجَالَةِ فِي مَسِيحِ (٥)
فَلَيْتَكَ تَرْجِعِينَ لَنَا بِصِدْقِ يُبَاغِتُ كُلَّ خَتَالِ مَسِيحِ (٦)
بِرَبِّكَ هَلْ وَجَدْتَ كَمَا وَجَدْنَا خِلَافاً بَيْنَ أَحْمَدَ وَالْمَسِيحِ ؟

وَقَالَ فِي صِبَاهِ :

هُوَ مَا قُلْتُ فَاخْذَرْنَهَا صَبَاحَا غَارَةً تَمْلَأُ الْفَضَاءَ رِمَاحَا (١)
تَتْرُكُ الْمَاءَ لَا يَسُوعُ لِيْظَامِ وَتَرُدُّ الدَّمَ الْحَرَامَ مُبَاحَا (٢)

(٣) ذو ذنب: يريد كوكباً له شعاع ممتد خلفه، ولذلك شبهه بسنبلة القمح ذات الخيوط الممتدة.

(١) المدى: الغاية. والأرب: الحاجة.

(٢) اللجة: معظم الماء، ويراد بها العالم العلوي. والمسح: القطعة من الفضة.

(٣) صورة عُظْل (بضم فسكون، أو بضمين): خالية، متعطلة، وأصله: خلوة المرأة من الحلبي. والمراد أن الجثمان صار - بعد فقد الروح - جثة هامدة، وصورة متعطلة من خصائص الحياة وزيتها. ودينار مسيح: أطلس، لا نقش عليه.

(٤) هول السرى: صعوبة السير. والهول في الأصل: الفرع والخوف. والسرى: السير ليلاً.

(٥) غمرة الشيء: مزدحمه، والمراد متسع الفضاء.

(٦) ختال: خداع، أي أراد به المكروه من حيث لا يعلم. ومسح: كذاب.

(١) الغارة: اسم من الإغارة على العدو، وهي الهجوم عليه والإيقاع به، وقد تطلق الغارة على الخيل المغيرة.

(٢) لا يسوع: لا يسهل شربه. وظام: أصلها ظامىء، شديد العطش.

لَا تَرَى بَيْنَهَا سِوَى عَبْقَرِيٍّ يَأْلَفُ الطَّعْنَ نَجْدَةً وَأَرْتِيَا حَا (٣)
 لِهَجِّ بِالْحُرُوبِ لَا يَأْلَفُ الْحَفْدُ ضَ وَلَا يَصْحَبُ الْفَتَاةَ الرَّدَا حَا (٤)
 مِسْعَرُ لُؤْغَى أَخُو غَدَوَاتٍ تَجْعَلُ الْأَرْضَ مَاتِمًا وَصِيَا حَا (٥)
 لَا يُرَى عَاتِبًا عَلَى شِيَمِ الدَّهْرِ رِ وَلَا عَابِثًا وَلَا مَزَا حَا (٦)
 يَفْعَلُ الْفَعْلَةَ الَّتِي تَبْهَرُ النَّاسَ سَ وَتَرْنُو لَهَا الْعُيُونَ طِمَا حَا (٧)
 لَا كَمَنْ يَسْأَلُ الْوُفُودَ عَنِ الْأَنْدِ بَاءِ عَجْزًا وَيَرْقُبُ الْأَشْبَا حَا (٨)
 فَاعْتَبِرْ أَيُّهَا الْمُجَاهِرُ بِالْقَوِّ لِ وَلَا تَبْعَثْنِ عَلَيْكَ نُوَا حَا
 إِنَّ فِي بُرْدَتِي هَاتَيْنِ لَيْثًا يَقْصُ الْقِرْنَ أَوْ يَقْلُ السَّلَا حَا (٩)
 سَدِكَاتٍ بِالرُّمْحِ مِنْهُ بِنَانٌ تَمَلُّ الْأَرْضَ وَالسَّمَاءَ جِرَا حَا (١٠)
 أَنَا مِنْ مَعْشَرِ كِرَامٍ عَلَى الدَّهْرِ رِ أَفَادُوهُ عِزَّةً وَصَلَا حَا (١١)

(٣) العبقرى: السيد، والشديد القوي، والذي ليس فوقه شيء، نسبة إلى عبقر، وعبقر: موضع تزعم العرب أنه من أرض الجن، ثم نسبوا إليه كل شيء تعجبوا من حدقه، أو جودة صنعته وقوته. والنجدة: الشجاعة والبأس والشدة.

(٤) لهج: مولع مغرم. والخفض: الدعة والراحة. والرداح: المملوءة الجسم، التامة الخلق.
(٥) المسعر: موقد نار الحرب. والوغي: الأصوات والجلبة، ويطلق على الحرب لما فيها من جلبة وأصوات مختلفة. وغدوات: جمع غداة، وهي البكرة، أي الوقت ما بين صلاة الفجر وطلوع الشمس. ومعنى (أخو غدوات): أنه كثير الإغارة والهجوم في أوائل النهار.

(٦) شيم الدهر: طبائعه، جمع شيمة: وهي الغريزة والطبيعة والجلبة التي خلق الإنسان عليها.
(٧) تبهر الناس: تغلبهم، والمراد تركهم في عجب ودهش. وترنو: تديم النظر، من الرنو، وهو إدامة النظر بسكون الطرف.

(٨) الأشباح: جمع شبح، وهو الشخص.
(٩) البردة: كساء صغير أسود مربع. ويقص القرن: يدق عنقه ويكسره. والقرن: كفؤك في الشجاعة، ومن يقاومك في القتال.

(١٠) سدكات: جمع سدكة، وهي صفة من سدك بالشيء، أي لزمه. البنان: أطراف الأصابع، واحدها بنانة، والمراد اليد.

(١١) المعشر: جماعة الناس، والمراد: الأسرة والآباء.

فَرَعُوا بِالْقَنَا قَنَا الْمَعَالِي
عَمَرُوا الْأَرْضَ مُدَّةً ثُمَّ زَالُوا
وَأَتَتْ بَعْدَهُمْ عَلِيٌّ لَيْالٍ
فَسَقَاهُمْ مَنَزْلُ الْغَيْثِ سَحْلًا
وَأَعَدُّوا لِبَابِهَا مِفْتَاحًا (١٢)
مِثْلَمَا زَالَتِ الْقُرُونُ اجْتِيَا حَا (١٣)
لَا أَرَى فِي سَمَائِهَا مِصْبَا حَا
يَجْعَلُ النَّبْتَ لِلْعَرَاءِ وَشَا حَا (١٤)

(١٢) فرعوا: صعّدوا وعلّوا. والقنا: جمع قنّاة، وهي الرمح. والقنان: جمع قنّة، وهي أعلى الجبل.

(١٣) القرون: جمع قرن، وهو من الزمان مائة سنة، أو هو كل أمة هلكت، فلم يبق منها أحد.

(١٤) الغيث: المطر. والسحل: الدلو العظيمة إذا كانت مملوءة. والوشاح: أي فرعان من لؤلؤ وجوهر منظومان يخالف بينهما معطوف أحدهما على الآخر، أو أديم عريض يرصّع بالجواهر تشدّه المرأة بين عاتقها وكشحها، والمراد غيث غزير يجعل النبات زينة للفضاء.

قافية الدال

قال يُهنئُ الخديوي « محمد توفيق باشا » بجُلوسِهِ عَلَي الأريكةِ الخديويةِ سنة سبع وتسعين ومائتين وألف هجرية (١٢٩٧ هـ - ١٨٧٩ م) (★) ويذكره بما وَعَدَ بِهِ من إنشاء مجلس نيابي :

أبني الكِنَانَةَ أَبْشِرُوا بِمُحَمَّدٍ وَثُقُوا بِرَاعٍ فِي الْمَكَارِمِ أَوْحِدِ^(١)
فَهُوَ الزَّعِيمُ لَكُمْ بِكُلِّ فَضِيلَةٍ تَبْقَى مَائِرُهَا وَعَيْشٍ أَرْغَدِ^(٢)
مَلِكٌ نَمَتُهُ أَرْوَمَةٌ عَلَوِيَّةٌ مَلَكَتْ بِسُودِدِهَا عِنَانَ الْفَرْقَدِ^(٣)
يَقِظُ الْبَصِيرَةَ لَوْ سَرَتْ فِي عَيْنِهِ سِنَّةَ الرُّقَادِ فَقَلْبُهُ لَمْ يَرْقُدِ^(٤)

(★) تولّى الخديوي «محمد توفيق» حكم مصر وهو في السابعة والعشرين من عمره بعد عزل والده «الخديوي إسماعيل». وكان العزل والتولية في اليوم السادس والعشرين من شهر يونية سنة ١٨٧٩ برسالتين برقيتين وردتا على مصر في ذلك اليوم من الباب العالي بالاستانة: إحداهما بعزل إسماعيل، والأخرى بتولية توفيق.

(١) بنو الكنانة: أهل مصر.

(٢) الزعيم: الكفيل، وهو من يقوم بالشيء ويلتزمه. والمآثر: جمع مأثرة، وهي المكرمة

(٣) نمته: رفعة. والأرومة: الأصل. وعلوية: نسبة إلى محمد عليّ باشا رأس الأسرة المالكة بمصر. والسودد: السيادة والمجد والشرف. والعنان: سير اللجام الذي تمسك به الدابة.

والفرقد: نجم يهتدى به، وهما فرقدان.

(٤) البصيرة: حسن التبصر في الأمور، وقوة الفهم. والسنة: النوم، أو أوله، أو النعاس.

بَدَهَاتُهُ قَيْدُ الصَّوَابِ وَعَزْمُهُ
 فَإِذَا تَنَمَّرَ فَهُوَ « زَيْدٌ » فِي الْوَعْيِ
 مُتَقَسِّمٌ مَا بَيْنَ حُنْكَةٍ أَشْيَبٍ
 لَا يَسْتَرِيحُ إِلَى الْفَرَاغِ وَلَا يَرَى
 فَنَهَارُهُ غَيْثُ اللَّهَيْفِ وَلَيْلُهُ
 لَهْجٌ يَحُبُّ الصَّالِحَاتِ فَكُلَّمَا
 خُلِقَ تَمَيَّزَ عَنْ سِوَاهُ بِفَضْلِهِ
 إِقْلِيدٌ مُعْضَلَةٌ وَمَعْقِلٌ عَائِدٌ

(٥) بدّهات: جمع بدهة، وبدهه الأمر: فاجأه. والمراد بالبدّهات: الأفكار والآراء التي يراها أول وهلة. والشرك: حباله الصائتة. والعجاج: الغبار والدخان، والمراد غبار الحرب ودخانها. والأربد: المغبر الكدر.

(٦) تنمّر: غضب. وزيد الخيل: من قبيلة طيء، ومن شجعان العرب وفرسانهم المشهورين في الجاهلية، سمي بذلك لشجاعته وكثرة خيله، ولما وفد على النبي صلى الله عليه وسلم سماه زيد الخير. والوعى: الحرب. وقيس بن خارجه بن سنان: من أشهر خطباء العرب في الجاهلية، وهو خطيب حرب داحس والغبراء - أو قيس بن مسعود البكري: أحد الخطباء المشهورين الذين أوفدهم النعمان على كسرى بزعامة أكثم بن صيفي. والندي: هو مجلس القوم نهاراً، أو المجلس ما داموا مجتمعين فيه، كالنادي والندوة والمنتدى.

(٧) الحنكة: اسم من حنك الإنسان الشيء، أي فهمه وأحكمه. وحنكت السن الرجل: إذا أحكمته التجارب. المخيلة: الظن. ومرد الغلام مرداً: لم تنبت لحيته، فهو أمرد.

(٨) الغيث (هنا): بمعنى الغوث وهو النجدة. واللهيف والملهوف: المظلوم المضطر يستغيث ويتحسر.

(٩) لهج: مغرم.

(١٠) الإرث: الميراث، والأمر القديم توارثه الآخر عن الأول. والمحتد: الأصل.

(١١) الإقليد: المفتاح. والمعضلة: الشديدة من شدائد الدهر، والأمر المستغلق الذي لا يهتدى لوجهه. والمعقل: الملجأ. والعائد: اللاجئ والمعتم. والسماء (هنا): المطر. والمنتجع: طالب الكلاء في موضعه. والقبلة: الجهة، وكل ما يستقبل.

حَسُنْتَ بِهِ الْأَيَّامَ حَتَّى أَسْفَرْتَ
 وَصَفْتَ مَوَارِدُ مِضْرَ حَتَّى أَصْبَحْتَ
 فَالْعَدْلُ يَرْعَاهَا بِرَأْفَةٍ وَالِدِ
 بَلَغْتَ بِفَضْلِ « مُحَمَّدٍ » مَا أَمَلْتَ
 هُوَ ذَلِكَ الْمَلِكُ الَّذِي أَوْصَافُهُ
 فَنُورِهِ فِي كُلِّ جُنْحٍ نَهْتَدِي
 سَنَ الْمَشُورَةَ وَهِيَ أَكْرَمُ خُطَّةٍ
 هِيَ عِصْمَةُ الدِّينِ الَّتِي أَوْحَى بِهَا
 فَمَنْ اسْتَعَانَ بِهَا تَأَيَّدَ مُلْكُهُ
 أَمْرَانِ مَا اجْتَمَعَا لِقَائِدِ أُمَّةٍ
 جَمْعُ يَكُونُ الْأَمْرُ فِي مَا بَيْنَهُمْ
 عَنْ وَجْهِ مَعْشُوقِ الشَّمَائِلِ أَغْيَدِ (١٢)
 بَعْدَ الْكُدُورَةِ شِرْعَةً لِلْوُرْدِ (١٣)
 وَالْبَاسُ يَحْمِيهَا بِصَوْلَةٍ أَصِيدِ (١٤)
 مِنْ عَيْشَةٍ رَغْدٍ وَجَدَّ أَسْعَدِ (١٥)
 فِي الشُّعْرِ حَلِيَّةٌ رَاجِزٌ وَمُقْصَدِ (١٦)
 وَيَهْدِيهِ فِي كُلِّ خَطْبٍ نَقْتَدِي (١٧)
 يَجْرِي عَلَيْهَا كُلُّ رَاعٍ مُرْشِدِ (١٨)
 رَبُّ الْعِبَادِ إِلَى النَّبِيِّ « مُحَمَّدٍ » (١٩)
 وَمَنْ اسْتَهَانَ بِأَمْرِهَا لَمْ يَرْشُدِ
 إِلَّا جَنَى بِهِمَا ثَمَارَ السُّؤْدُدِ (٢٠)
 سُورَى وَجُنْدٌ لِلْعَدُوِّ بِمَرْصَدِ (٢١)

- (١٢) الشمائيل: جمع شمال، بمعنى الطبع والخلق. وأغيد: ناعم جميل لئب الأعطاف.
- (١٣) الكدورة: زوال صفاء الماء. والشريعة: الشريعة، وهي مورد الشاربة. والورد: جمع وارد.
- (١٤) البأس: الشجاعة والشدة في الحرب. والصولة: السطوة والاستطالة والثوب في القتال. والأصيد: الملك لا يلتفت من زهوه يميناً ولا شمالاً، أو هو الذي يرفع رأسه كبراً، وهي صفة محمودة في الملوك. والأصيد: الأسد.
- (١٥) عيشة رغد: واسعة طيبة. والجد: الحظ والرزق والعظمة.
- (١٦) الراجز: اسم فاعل من رجز الشاعر: أي قال شعراً من بحر الرجز. والمقصد: من قصد الشاعر شعره تقصيلاً: أي نقحه، وهذبه، وجوده، وقصد القصيد: أي أتمه وطوله.
- (١٧) جنح الليل: ظلامه واختلاطه، أو الطائفة منه، والمراد به هنا: المشكل من الأمور. والخطب: الأمر الشديد ينزل بالناس.
- (١٨) سنّ الأمر: بينه. والمراد بالمشورة (هنا): إنشاء مجلس نيابي للأمة.
- (١٩) عصمة الدين: حفظه ووقايته.
- (٢٠) السؤدد والسودد (بضم الدال في الأولى وفتحها في الثانية): السيادة والمجد والشرف.
- (٢١) الجمع: جماعة الناس. والمراد به: الأمة، والرعية. والمرصد: من رصدت الشيء، أي

هَيْهَاتَ يَحْيَا الْمَلِكُ دُونَ مَشُورَةٍ
فَالسَّيْفُ لَا يَمْضِي بِدُونِ رَوِيَّةٍ
فَاعْكُفْ عَلَى الشُّورَى تَجِدْ فِي طَيْهَا
لَا غَرَوْا أَنْ أَبْصُرْتَ فِي صَفْحَاتِهَا
فَالْعَقْلُ كَالْمِنْظَارِ يُبْصِرُ مَا نَأَى
وَكَفَاكَ عِلْمُكَ بِالْأُمُورِ وَلَيْسَ مَنْ
فَلَأَنْتَ أَوَّلُ مَنْ أَفَادَ بِعَدْلِهِ
أَطْلَقْتَ كُلَّ مُقَيَّدٍ وَحَلَلْتَ كُلَّ
وَتَمَتَّعْتَ بِالْعَدْلِ مِنْكَ رَعِيَّةٌ
فَأَسْلَمَ لِخَيْرِ وَلايَةٍ عَزَّتْ بِهَا
ضَرَحَتْ قَذَاةَ الْغِيِّ عَنِ جَفْنِ الْهُدَى
وَيَعِزُّ رُكْنَ الْمَجْدِ مَا لَمْ يُعَمِّدِ
وَالرَّأْيُ لَا يَمْضِي بِغَيْرِ مُهَنْدٍ (٢٢)
مِنْ بَيِّنَاتِ الْحُكْمِ مَا لَمْ يُوجَدِ (٢٣)
صُورَ الْحَوَادِثِ فَهِيَ مِرَاةُ الْغَدِ
عَنْهُ قَرِيباً دُونَ لَمَسٍ بِالْيَدِ
سَلَكَ السَّبِيلَ كَجَائِرٍ لَمْ يَهْتَدِ
حُرِّيَّةَ الْأَخْلَاقِ بَعْدَ تَعَبُدِ (٢٤)
لِ مُعَقَّدٍ وَجَمَعَتْ كُلَّ مُبَدَّدِ (٢٥)
كَانَتْ فَرِيْسَةً كُلُّ بَاغٍ مُعْتَدِ (٢٦)
نَفْسُ النَّصِيْحِ وَذَلَّ كُلُّ مُفْنَدِ (٢٧)
وَسَرَتْ قِنَاعَ الْيَأْسِ عَنِ أَمَلٍ نَدِ (٢٨)

- ارتقبته، وانتظرته، وقعدت له على الطريق.
- (٢٢) الروية: التفكير، والتدبير في الأمور. والرأي: العقل، والبصيرة، والتدبير. والمهند: السيف المطبوع من حديد الهند.
- (٢٣) عكف على الشيء: أقبل عليه، ولزمه ولم ينصرف عنه. وفي طيها: في أثنائها. أي في ما انطوت عليه. وبيّنات الحكم: حججه الواضحة، جمع بيّنة.
- (٢٤) يريد بحرية الأخلاق: حرية ما خلق عليه الناس من سجايا وطبائع، وما يرونه من آراء ومذاهب.
- (٢٥) مبدد: مفرق.
- (٢٦) الرعية: القوم. والباغي: الظالم المعتدي.
- (٢٧) المفند: العاجز، أو الكاذب، أو خاطيء الرأي، أو ضعيف التفكير.
- (٢٨) ضرحت: دفعت وطرحت ونحت، أي الولاية. والقذاة والقذى: ما يسقط في العين والشراب. والغى: الضلال والانهماك في الجهل. وأمل ند: ناضر، من الندى، بمعنى البلل، وذلك على تشبيه الأمل بالغصن الرطيب.

ضَمَّتْ إِلَيْكَ زِمَامَ كُلِّ مِثْلٍ وَثَنَتْ إِلَيْكَ عِنَانَ كُلِّ مُوَحَّدٍ (٢٩)
 وَتَأَلَّفَتْ بَعْدَ الْعَدَاوَةِ أَنْفُسُ سَكَنَتْ بِعَدْلِكَ فِي نَعِيمِ سَرْمَدٍ (٣٠)
 فَحَبَاكَ رَبُّكَ بِالْجَمِيلِ كَرَامَةً لِحَزِيلٍ مَا أَوْلَيْتَ أُمَّةً « أَحْمَدٍ » (٣١)
 وَتَهَنَّنَ بِالْمُلْكِ الَّذِي أَلْبَسْتَهُ شَرَفًا بِمِثْلِ رِدَائِهِ لَمْ يَرْتَدِ
 بَزَعَتْ بِهِ شَمْسُ الْهِدَايَةِ بَعْدَ مَا أَفَلَتْ وَأَبْصَرَ كُلُّ طَرْفٍ أَرْمَدٍ (٣٢)
 لَمْ يَبْقَ مِنْ ذِي خَلَّةٍ إِلَّا اغْتَدَى بِجَمِيلِ صُنْعِكَ مَصْدَرًا لِلْوَفْدِ (٣٣)
 بَلَغَتْ بِكَ الْأَمَالَ أَبْعَدَ غَايَةٍ قَصَرَتْ عَلَى الْإِغْضَاءِ طَرْفَ الْحُسْدِ (٣٤)
 فَاسْعَدَ وَدَّمَ وَاغْنَمَ وَجَدَّ وَانْعَمَ وَسُدَّ وَابْدَأَ وَعُذَّ وَتَهَنَّنَ وَاسْلَمَ وَازْدَدَ
 لَا زَالَ عَدْلُكَ فِي الْأَنَامِ مُخَلَّدًا فَالْعَدْلُ فِي الْأَيَّامِ خَيْرٌ مُخَلَّدٍ (٣٥)

وقال يفخرُ ، ويُعرضُ بالمظالمِ على عهدِ الحُكومةِ الاستبداديةِ (★) :

- (٢٩) الزمام : المقود، وهو الحبل تقاد به الدابة. ويريد بكلّ مثلث : النصارى. والعنان : سير اللجام الذي تمسك به الدابة، ويريد بكل موحد : المسلمين.
- (٣٠) ونعيم سرمد : دائم.
- (٣١) حباك : أعطاك. وحزيل : عظيم كثير.
- (٣٢) أرمد : صفة من الرمذ : وهو داء التهابي يصيب العين.
- (٣٣) الخلة : الحاجة والفقير.
- (٣٤) الإغضاء : مصدر أغضى الرجل عينه : أي قارب بين جفنيه. والطرف : العين.
- (٣٥) الأنام : الناس.
- (★) لعله يقصد بالحكومة الاستبدادية : حكومة الخديوي إسماعيل في أواخر أيامه لما فسد حكمه، وأثقل مصر بالديون، فتدخل الأجانب في أمورها وفرضوا على الحكومة سلطانهم. وقد يكون المقصود حكومة الخديوي توفيق ابن الخديوي إسماعيل وهذا هو الأرجح، فكلاهما جنح في حكمه للظلم والاستبداد. وفي عهد «توفيق» توقدت الثورة العراقية، وكان البارودي من قادتها، والضاربين في غمرتها.

رَضِيْتُ مِنَ الدُّنْيَا بِمَا لَا أُودُّهُ
أَحَاوِلُ وَضَلًّا وَالصُّدُودُ خَصِيمُهُ
حَسِبْتُ الْهَوَى سَهْلًا وَلَمْ أُدْرِ أَنَّهُ
تَخِفُّ لَهُ الْأَحْلَامُ وَهِيَ رَزِينَةٌ
وَمِنْ عَجَبٍ أَنَّ الْفَتَى وَهُوَ عَاقِلٌ
يَفِرُّ مِنَ السُّلْوَانِ وَهُوَ يُرِيحُهُ
وَمَا الْحُبُّ إِلَّا حَاكِمٌ غَيْرُ عَادِلٍ
لَهُ مِنْ لَفِيفِ الْغَيْدِ جَيْشٌ مَلَا حَةٍ
ذَوَابِلُهُ قَامَاتُهُ وَسُيُوفُهُ

وَأَيُّ أَمْرٍ يَقْوَى عَلَى الدَّهْرِ زَنْدُهُ؟ (١)
وَأَبْغِي وَفَاءً وَالطَّبِيعَةَ ضِدُّهُ (٢)
أَخُو غَدَرَاتٍ يَتَّبِعُ الْهَزْلَ جِدُّهُ (٣)
وَيَعْنُو لَهُ مِنْ كُلِّ صَعْبٍ أَشَدُّهُ (٤)
يُطِيعُ الْهَوَى فِيمَا يُنَافِيهِ رُشْدُهُ (٥)
وَيَأْوِي إِلَى الْأَشْجَانِ وَهِيَ تَكْدُهُ (٦)
إِذَا رَامَ أَمْرًا لَمْ يَجِدْ مَنْ يَصُدُّهُ (٧)
تُغَيِّرُ عَلَى مَثْوَى الضَّمَائِرِ جُنْدُهُ (٨)
لِحَاطِ الْعَدَارَى وَالْقَلَائِدُ سَرْدُهُ (٩)

- (١) الزند: موصل طرف الذراع في الكف. ويكنى به هنا عن القوّة والمقدرة، أو عن الجهد والطاقة.
- (٢) الصدود: الإعراض. وخاصمه مخاصمة وخصاماً: نازعه، وجادله، ولاحاه، وعاداه، فهو خصيم، ومخاصم.
- (٣) غدرات: جمع غدر، وهي نقض العهد وترك الوفاء. ومعنى يتبع الهزل جده: أنه يكون في مبدئه هيناً سهلاً، فلا يلبث أن ينقلب عنيفاً صارماً.
- (٤) تخفّف: تضعف. والأحلام: العقول. ورزينة: ثقيلة ثابتة. ويعنوا: يخضع ويدلّ.
- (٥) ينافيه: يخالفه ويطارده. والرشد: الهدى والصلاح، وهو خلاف الغي والجهل والضلال.
- (٦) الأشجان: الأحزان والهموم، واحدها شجن.
- (٧) رام: طلب.
- (٨) لفيف: جماعة وحزب. والغيد: جمع غيداء، وهي المرأة الناعمة الممتثية لينا. والملاحة: الحسن. وثوى بالمكان: نزل به وأقام، واستقر. ومثوى الضمائر: منزلها ومقامها، والمراد القلوب.
- (٩) الذوابل: الرماح، جمع ذابل: أي دقيق، قشره لاصق به. وقاماته: أي قامات هذا الجيش من الحسان، وقامة الإنسان: قدّه، وحسن طوله، واعتداله. ولحاط العذارى: نظراتهن الفاتنة. والقلائد: جمع قلادة، وهي ما تزين به المرأة عنقها من الحلّي كعقود اللآلىء ونحوها. والسرد: اسم جامع للدروع، وسائر الأسلحة.

إِذَا مَاجَ بِأَلْهَيْفِ الْحِسَانِ تَأَرَّجَتْ مَسَالِكُهُ وَاشْتَقَّ فِي الْجَوِّ نَدُّهُ^(١٠)
 فَأَيُّ فُؤَادٍ لَا تَذُوبُ حَصَاتُهُ غَرَامًا وَطَرْفٍ لَيْسَ يُقْدِيهِ سَهْدُهُ؟^(١١)
 بَلَوْتُ الْهَوَى حَتَّى اعْتَرَفْتُ بِكُلِّ مَا جَهَلْتُ فَلَا يَغْرُزُكَ فَالْصَّابُ شَهْدُهُ^(١٢)
 ظُلُومٍ لَهُ فِي كُلِّ حَيٍّ جَرِيرَةٌ يَضِجُ لَهَا غَوْرُ الْفَضَاءِ وَنَجْدُهُ^(١٣)
 إِذَا احْتَلَّ قَلْبًا مُطْمَئِنًّا تَحَرَّكَتْ وَسَاوِسُهُ فِي الصَّدْرِ وَاحْتَلَّ وَكُدُّهُ^(١٤)
 فَإِنْ كُنْتَ ذَا لُبٍّ فَلَا تَقْرَبْنَهُ فَغَيْرُ بَعِيدٍ أَنْ يُصِيبَكَ حَدُّهُ^(١٥)
 وَقَدْ كُنْتَ أَوْلَى بِالنَّصِيحَةِ لَوْ صَغَا فُؤَادِي وَلَكِنْ خَالَفَ الْحَزْمُ قَصْدُهُ^(١٦)
 إِذَا لَمْ يَكُنْ لِلْمَرْءِ عَقْلٌ يَقُودُهُ فَيُوشِكُ أَنْ يَلْقَى حُسَامًا يَقْدُهُ^(١٧)
 لَعَمْرِي لَقَدْ وَلَّى الشَّبَابُ وَحَلَّ بِي مِنَ الشَّيْبِ خَطْبٌ لَا يُطَاقُ مَرَدُّهُ^(١٨)
 فَأَيُّ نَعِيمٍ فِي الزَّمَانِ أَرُومُهُ؟ وَأَيُّ خَلِيلٍ لِلْوَفَاءِ أَعِدُّهُ؟^(١٩)

(١٠) ماج: أي الجيش، والمعنى: اضطرب اضطراب الموج. والهيف: جمع هيفاء: وهي المرأة الضامرة البطن والخاصرة، والهيف: من صفات الحسن في النساء. وتأرجت: توهجت رائحته وفاحت. والند: نوع من الطيب، أو هو العنبر، أو هو عود طيب الرائحة يتبخر به.
 (١١) الحصاة: العقل والرأي. والقذى: الغمص والرمص وكل ما يقع في العين فيهيجهها ويؤذيها. وأقذاها: ألقى فيها القذى. والسهد والسهاد: الأرق وعدم النوم.
 (١٢) بلوته: جرّبه واختبرته. والصاب: عصارة شجر مرّ.
 (١٣) ظلوم: أي الهوى. والحي: البطن من بطون العرب، وهو دون القبيلة، ويطلق على محلّتهم وديارهم. وجريرة: ذنب وجناية. والغور: المطمئن من الأرض. والنجد: ما ارتفع من الأرض.
 (١٤) احتلّ: أي الهوى. والوكد: المراد، والهّم، والقصد.
 (١٥) ذال لبّ: صاحب عقل.
 (١٦) الحزم: إتقان الرأي، وضبط الأمر، والأخذ فيه بالثقة.
 (١٧) الحسام: السيف القاطع. ويقلدّه: يشقّه.
 (١٨) الخطب: الأمر الشديد ينزل بالإنسان.
 (١٩) أرومه: أطلبه. والخليل: الصديق.

وَكَيْفَ أَلُومُ النَّاسِ فِي الْغَدْرِ بَعْدَمَا
 وَأَبْعَدُ مَفْقُودِ شَبَابٍ رَمَتْ بِهِ
 فَمَنْ لِي بِخَلِّ صَادِقٍ أَسْتَعِينُهُ
 صَحِبْتُ بَنِي الدُّنْيَا طَوِيلًا فَلَمْ أَجِدْ
 فَأَكْثَرُ مَنْ لَاقَيْتُ لَمْ يَصِفْ قَلْبُهُ
 أَطَالِبُ أَيَّامِي بِمَا لَيْسَ عِنْدَهَا
 فَمَا كُلُّ حَيٍّ يَنْصُرُ الْقَوْلَ فِعْلُهُ
 وَأَصْعَبُ مَا يَلْقَى الْفَتَى فِي زَمَانِهِ
 وَلِلنُّجْحِ أَسْبَابٍ إِذَا لَمْ يَفُزْ بِهَا
 وَلَكِنْ إِذَا لَمْ يُسْعِدِ الْمَرْءَ جَدُّهُ
 وَمَا أَنَا بِالْمَغْلُوبِ دُونَ مَرَامِهِ
 وَمَا أَبْتُ بِالْحِرْمَانِ إِلَّا لِأَنْبِي
 فَإِنْ يَكُ فَارَقْتُ الرِّضَا فَلْبَعْدَمَا
 أَبِي الدَّهْرُ إِلَّا أَنْ يَسُودَ وَضِيعُهُ
 رَأَيْتُ شَبَابِي قَدْ تَغَيَّرَ عَهْدُهُ؟
 صُرُوفُ اللَّيَالِي عِنْدَ مَنْ لَا يَرُدُّهُ (٢٠)
 عَلَى أَمَلِي أَوْ نَاصِرٍ أَسْتَمِدُّهُ؟ (٢١)
 خَلِيلًا فَهَلْ مِنْ صَاحِبٍ أَسْتَجِدُّهُ
 وَأَصْدَقُ مَنْ وَالَيْتُ لَمْ يُغْنِ وُدَّهُ
 وَمَنْ طَلَبَ الْمَعْدُومَ أَعْيَاهُ وَجَدُّهُ (٢٢)
 وَلَا كُلُّ خَلٍّ يَصْدُقُ النَّفْسَ وَعَدُّهُ
 صَحَابَةٌ مَنْ يَشْفِي مِنَ الدَّاءِ فَقَدُهُ
 لَيْبٌ مِنَ الْفِتْيَانِ لَمْ يُورِ زَنْدُهُ (٢٣)
 عَلَى سَعْيِهِ لَمْ يَبْلُغِ السُّؤْلَ جِدُّهُ (٢٤)
 وَلَكِنَّهُ قَدْ يَخْذُلُ الْمَرْءَ جَهْدُهُ (٢٥)
 « أَوْدٌ مِنَ الْأَيَّامِ مَا لَا تَوَدُّهُ » (٢٦)
 صَحِبْتُ زَمَانًا يُغْضِبُ الْحُرَّ عِبْدُهُ
 وَيَمْلِكُ أَعْنَاقَ الْمَطَالِبِ وَغَدُّهُ (٢٧)

(٢٠) صرُوفُ اللَّيَالِي : حدثان الزمان ونوابه .

(٢١) أَسْتَمِدُّهُ : أطلب منه المدد والمعونة والنصرة .

(٢٢) أَعْيَاهُ : أتعبه وأعجزه .

(٢٣) اللَّيْبُ : العاقل . وورِي الزند يورِي : أي أخرج ناره .

(٢٤) جِدُّهُ : حظُّه . والسُّؤْلُ : ما يسأله الإنسان ويطلبه .

(٢٥) دُونَ مَرَامِهِ : دون بلوغ مطلبه .

(٢٦) أَبُ : رجع .

(٢٧) الوغد : الدنيء اللئيم الوضيع الهمة .

تَدَاعَتْ لِدَرْكِ الثَّارِ فِينَا ثَعَالَهُ
فَحْتَامَ نَسْرِي فِي دِيَا جِيرِ مِحْنَةٍ
إِذَا الْمَرْءُ لَمْ يَدْفَعْ يَدَ الْجَوْرِ إِنْ سَطَتْ
وَمَنْ ذَلَّ خَوْفَ الْمَوْتِ كَانَتْ حَيَاتُهُ
وَأَقْتَلُ دَاءِ رُؤْيَةِ الْعَيْنِ ظَالِمًا
عَلَامَ يَعِيشُ الْمَرْءُ فِي الدَّهْرِ خَامِلًا
يَرَى الضَّيْمَ يَغْشَاهُ فَيَلْتَذُ وَقَعَهُ
إِذَا الْمَرْءُ لاقَى السَّيْلَ ثُمَّتَ لَمْ يَعْجُ
عَفَاءً عَلَى الدُّنْيَا إِذَا الْمَرْءُ لَمْ يَعِشْ
مِنَ الْعَارِ أَنْ يَرْضَى الْفَتَى بِمَذَلَّةٍ
وَإِنِّي أَمْرُؤٌ لَا أُسْتَكِينُ لِصَوْلَةٍ

وَنَامَتْ عَلَى طُولِ الْوَتِيرَةِ أُسْدُهُ (٢٨)
يَضِيقُ بِهَا عَنْ صُحْبَةِ السَّيْفِ غِمْدُهُ (٢٩)
عَلَيْهِ فَلَا يَأْسَفُ إِذَا ضَاعَ مَجْدُهُ (٣٠)
أَضْرَّ عَلَيْهِ مِنْ حِمَامٍ يُوَدُّهُ (٣١)
يُسْبِيءُ وَيُتَلَّى فِي الْمَحَافِلِ حَمْدُهُ (٣٢)
أَيْفِرْحُ فِي الدُّنْيَا يَوْمَ يَعُدُّهُ؟ (٣٣)
كَذِي جَرَبٍ يَلْتَذُ بِالْحَكِّ جِلْدُهُ (٣٤)
إِلَى وَزْرِ يَحْمِيهِ أُرْدَاهُ مَدُّهُ (٣٥)
بِهَا بَطْلًا يَحْمِي الْحَقِيقَةَ شَدُّهُ (٣٦)
وَفِي السَّيْفِ مَا يَكْفِي لِأَمْرِ يُعَدُّهُ
وَإِنْ شَدَّ سَاقِي دُونَ مَسْعَايَ قِدُّهُ (٣٧)

(٢٨) الدرك: الإدراك واللاحق. وثعال وثعاله: علما جنس للثعلب، واستعمله هنا استعمال الجمع. والوتيرة والترة: أي الثار، أو الظلم فيه. ويريد بالثعالب: حساس الناس، وبالأسد: أشرافهم.

(٢٩) الدياتجير: جمع ديجور، وهو الظلام. والمحنة: البلاء والفتنة. وغمد السيف: جفنه الذي يتوارى فيه.

(٣٠) الجور: الميل عن القصد، والظلم.

(٣١) الحمام: قضاء الموت وقدره. ويؤدّه: يدهاه، وينزل به.

(٣٢) المحافل: جمع محفل، وهو مجتمع الناس.

(٣٣) الخامل: الساقط الذي لا نباهة له.

(٣٤) الضيم: الظلم.

(٣٥) لم يعج: لم يرجع، ولم يلجأ. والوزر: الملجأ والمُعْتَصِم، وأصله الجبل المنيع.

(٣٦) العفاء: التراب والدروس، أي الأمحاء والزوال. والشدّ: العدو، والمراد به هنا: الحملة في الحرب.

(٣٧) الصولة: الاستطالة والسطوة والبطش. والقّد: سير يقدّ من جلد غير مدبوغ ويقيد به الأسير ونحوه.

أَبْتُّ لِي حَمَلَ الضَّمِيمِ نَفْسُ أَبِيَّةُ
نَمَانِي إِلَى الْعَلِيَاءِ فَرَعٌ تَأْتَلَتْ
وَحَسْبُ الْفَتَى مَجْدًا إِذَا طَالَبَ الْعُلَا
إِذَا وُلِدَ الْمَوْلُودُ مِنَّا فَدَرُهُ
فَإِنْ عَاشَ فَالْبَيْدُ الدِّيَامِيمُ دَارُهُ
أَصْدُ عَنِ الْمَرْمَى الْقَرِيبِ تَرْفَعًا
وَلَا بُدَّ مِنْ يَوْمٍ تَلَاعَبَ بِالْقَنَا
يُمَزَّقُ أَسْتَارَ النُّوَاطِرِ بَرْقُهُ
تُدَبِّرُ أَحْكَامَ الطَّعَانِ كُهُولُهُ

- (٣٨) أبى الرجل يأبى إباء: امتنع فهو أب وأبى. والضيم: الظلم والضير. وسيم الأذى: أريد به الأذى، وحمل على المكروه. وشب: اتقد. والوقد: النار.
- (٣٩) نماني: عزائي ونسبني ورفعني. والعلياء: السماء وكل شيء عال. والفرع: الغصن. ويريد به هنا: نسبة القريب. والأرومة: الأصل. وتأتلت: تأصلت وعظمت. والمجد: العز والشرف. وافتر: تلالأ وأشرق.
- (٤٠) دره: لبنة وغذاؤه. والصيد: جمع أصيد، وهو الأسد، ورافع رأسه كبراً. والجرد: جمع أجرد، وهو الفرس السباق، أو القصير الشعر الرقيقه. والعناجيج: جياذ الخيل والإبل.
- (٤١) البيد: جمع بيداء وهي المفازة، أي الموضع المهلك. والدياميم: جمع ديموم أو ديمومة، وهي الفلاة الواسعة أي الصحراء. والأضاميم: الجماعات، واحدها إضمامة.
- (٤٢) القنا: جمع قناة، وهي الرمح. والوغى: الجرب. وجرد، جمع أجرد: وهو الفرس السباق.
- (٤٣) يريد بأستار النواظر: الجفون. وأراد بالبرق: لمعان الأسلحة وضوء نيران الحرب في ذلك اليوم. والمراد بأصداف المسامع: أول ما يصل إليه الصوت من أجزاء الأذن.
- (٤٤) الطعان: مصدر طاعنه بالرمح ونحوه، أي ضربه به ووخزه. والمراد بالكهول: الشيوخ المجربون. والأعنة: جمع عنان، وهو في الأصل سير اللجام الذي تمسك به الدابة، والمراد بتصريف الأعنة: تنفيذ خطط القتال. والمرد: جمع أمرد، وهو الغلام لم تنبت لحيته.

قُلُوبُ الرِّجَالِ المُسْتَبِدَّةِ أَكَلُهُ وَفَيْضُ الدَّمَاءِ المُسْتَهْلَةِ وِرْدُهُ (٤٥)
 أَحْمَلُ صَدْرَ النَّصْلِ فِيهِ سَرِيرَةٌ تُعَدُّ لِأَمْرِ لَا يُحَاوَلُ رَدُّهُ (٤٦)
 فَإِذَا حَيَاةٌ مِثْلُ مَا تَشْتَهِي العُلَا وَإِذَا رَدَى يَشْفِي مِنَ الدَّاءِ وَفَدُّهُ (٤٧)
 وَقَالَ عَلِيٌّ رَوِيَّ قَصِيدَةَ النَّابِغَةِ الذُّبْيَانِيَّ (★) الَّتِي أَوَّلُهَا :

أَمِنَ آلَ مَيَّةَ رَائِحٌ أَوْ مُغْتَدٍ عَجَلَانَ ذَا زَادٍ وَغَيْرَ مُزَوِّدٍ
 وَقَدْ سَلَكَ فِيهَا مَسَالِكَ العَرَبِ فِي مَا كَانَتْ تَمَدِّحُ بِهِ مِنْ مُبَاشَرَةِ الحُرُوبِ ، وَارْتِيَادِ
 المَنَابِتِ ، وَرُكُوبِ الخَيْلِ ، وَشُرْبِ الخَمْرِ ، وَالتَّشْيِيبِ بالنِّسَاءِ .

ظَنَّ الظُّنُونَ فَبَاتَ غَيْرَ مُوسَّدٍ حَيْرَانَ يَكْلَأُ مُسْتَيِّرَ الفَرَقَدِ (١)
 تُلَوِي بِهِ الذُّكْرَاتُ حَتَّى إِنَّهُ لَيَظَلُّ مُلْقَى بَيْنَ أَيِّدِي العُودِ (٢)

(٤٥) استبدَّ بالأمر: انفرد به من غير مشارك له فيه. والمستهلة: اسم فاعل من استهل المطر ونحوه، أي اشتد انصبابه. والورد: النصب من الماء.

(٤٦) النصل: حديدة السهم والرمح والسيف ونحوها. والسريرة: السر الذي يكتم، والمراد (هنا): الخطة المرسومة المكتومة.

(٤٧) الردى: الهلاك.

في هذه القصيدة تحريض صريح على دفع الظلم بقوة السلاح، وفيها تهديد ووعيد، وهذا يرجح أن البارودي نظمها لما اشتد الجفاء، وتأزمت الأمور بين الخديوي توفيق والوزارة الوطنية (وزارة محمود سامي البارودي) في مايو سنة ١٨٨٢ قبيل توفد الثورة العرابية.

(★) النابغة الذبياني: أحد فحول شعراء الجاهلية، وحكمهم بعكاظ، واسمه زياد بن معاوية، وكنيته أبو أمامة، وقبيلته ذبيان، وذبيان من قيس، وقيس من مضر، ومضر أعظم القبائل العدنانية وأشهرها، ولُقِّب بالنابغة لنبوغه في الشعر فجاءه وهو كبير، بعد أن امتنع عليه وهو صغير.

(١) الفرقد: نجم قريب من القطب الشمالي، ثابت الموقع تقريباً، ولهذا يُهتدى به، وهو المسمى (النجم القطبي) ويقربه نجم آخر مماثل له، وأصغر منه، وهما فرقدان.

(٢) تلوي به: تذهب به، ومن كلامهم: ألوى بهم الدهر: أي أهلكهم. والعود: جمع عائد، من عدت المريض أعوده عيادة.

طَوْرًا يَهُمُّ بِأَنْ يَزِلَّ بِنَفْسِهِ سَرَفًا وَتَارَاتٍ يَمِيلُ عَلَى الْيَدِ^(٣)
فَكَأَنَّمَا افْتَرَسَتْ بِطَائِرٍ جِلْمِهِ مَشْمُولَةٌ أَوْ سَاغَ سُمُّ الْأَسْوَدِ^(٤)
قَالُوا غَدًا يَوْمَ الرَّجِيلِ وَمَنْ لَهُمْ خَوْفَ التَّفَرُّقِ أَنْ أُعِيشَ إِلَى غَدٍ ؟
هِيَ مُهْجَةٌ ذَهَبَ الْهَوَى بِشَغَافِهَا مَعْمُودَةٌ إِنْ لَمْ تَمُتْ فَكَأَنَّ قَدِ^(٥)
يَأْهَلُ ذَا الْبَيْتِ الرَّفِيعِ مَنَارُهُ أَدْعُوكُمْ يَا قَوْمُ دَعْوَةَ مُقْصَدِ^(٦)
إِنِّي فَقَدْتُ الْيَوْمَ بَيْنَ بِيوتِكُمْ عَقْلِي فَارُدُّهُ عَلَيَّ لِأَهْتَدِي
أَوْ فَاسْتَقِيدُونِي بِبَعْضِ قِيَانِكُمْ حَتَّى تَرُدَّ إِلَيَّ نَفْسِي أَوْ تَدِي^(٧)
بَلْ يَا أَخَا السَّيْفِ الطُّوِيلِ نِجَادُهُ إِنْ أَنْتَ لَمْ تَحْمِ النَّزِيلَ فَاغْمِدِ^(٨)
هَازِي لِحَاظِ الْغَيْدِ بَيْنَ شِعَابِكُمْ فَتَكْتُ بِنَا خَلْسًا بَغَيْرِ مُهْنَدِ^(٩)

(٣) الطور: التارة والمرّة. والسرف: التبديد والتضييع.

(٤) الفرس والافتراس (في الأصل): دقّ العنق والقتل، ومنه فرس الأسد فريسته وافترسها، وقد ضمّنه الشاعر (هنا) معنى فتك. والحلم: العقل والأناة. والمشمولة: الخمر الباردة، يقال: شَمَلَ الخمر أي عرضها لريح الشمال فبردت. وساغ: شرب. والأسود: العظيم من الحيات وفيه سواد.

(٥) المهجة: النفس والروح ودم القلب، والمراد بها (هنا): القلب. والشغاف: غلاف القلب أو حجابته أو حبته أو سويداؤه. ومعمودة: هَذَا العشق.

(٦) المنار: علم الطريق، أو هو موضع النور كالمنارة، ورفع المنار كناية عن الشهرة وعظم القدر والمجادة. والمقصد: المطعون.

(٧) استقدت الحاكم من القاتل: سألته أن يقتص لي منه، ومعنى استقيدوني (هنا): مكنوني من أخذ القود. وبعض قيانكم، يريد بالبعض محبوبته. والقيان: جمع قينة وهي الأمة البيضاء، أو الأمة المغنية أو أعم. تدي: تعطي الدية، يقال: ودى القاتل القاتل بيديه دية: إذا أعطى وليه المال الذي هو بدل النفس.

(٨) النجاد: حمائل السيف، وما يعلّق به كالسير ونحوه. وأغمد: أمر من أغمد السيف: إذا جعله في غمده.

(٩) لحظه لحظاً: نظر إليه بمؤخر عينه، ويقال: فتنته ألحاظها ولحظاتها. وقد استعمل اللحظ (هنا)

مِنْ كُلِّ نَاعِمَةٍ الصُّبَا بَدْوِيَّةٌ رِيًّا الشُّبَابِ سَلِيمَةٍ الْمُتَجَرِّدِ (١٠)
 هَيْفَاءٌ إِنْ خَطَرْتُ سَبَبْتُ وَإِذَا رَنْتُ سَلَبْتُ فُوَادَ الْعَابِدِ الْمُتَشَدِّدِ (١١)
 يَخْفِضُنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ تَخْتُلًا لِلنَّفْسِ فِعْلَ الْقَائِنَاتِ الْعُبْدِ (١٢)
 فَإِذَا أَصَبَنَ أَخَا الشُّبَابِ سَلَبْنَهُ وَرَمَيْنَ مُهَجَّتَهُ بِطَرْفِ أُصَيْدِ (١٣)
 وَإِذَا لَمَحَنَ أَخَا الْمَشِيبِ قَلَيْنَهُ وَسَتَرْنَ ضَاحِيَةَ الْمَحَاسِنِ بِالْيَدِ (١٤)
 فَلَيْتَ غَدَوْتُ دَرِيثَةً لِعُيُونِهَا فَلَقَدْ أَفْلُ زَعَاةَ الْمُتَمَرِّدِ (١٥)
 وَلَقَدْ شَهِدْتُ الْحَرْبَ فِي إِبَانِهَا وَلَبِئْسَ رَاعِي الْحَيِّ إِنْ لَمْ أَشْهَدِ
 تَتَقَصَّفُ الْمُرَّانُ فِي حَجَرَاتِهَا وَيَعُودُ فِيهَا السَّيْفُ مِثْلَ الْأَدْرَدِ (١٦)
 عَصَفَتْ بِهَا رِيحُ الرَّدَى فَتَدَفَّقَتْ بِدَمِ الْفَوَارِسِ كَالْأَيْبِيِّ الْمَرْبِيدِ (١٧)

اسما بمعنى العين، ثم جمعه على لحاظ. والغيد: جمع غيداء، وهي المرأة الناعمة المثنية
 لينا. والشعاب: جمع شعب، وهو الطريق في الجبل، والمراد به (هنا) الطريق مطلقاً.
 وخلصاً: مصدر خلس الشيء أي استلبه واختطفه بسرعة على غفلة. والمهند: السيف المطبوع
 من حديد الهند.

(١٠) الصبا (بكسر الصاد): الصفر. ورياً: متعنة ممتلئة. يقال هي بضة المتجرّد وسليمة
 المتجرّد: أي بضة وسليمة عند التجرّد.

(١١) هيفاء: صفة من الهيف، وهو ضمير البطن ورقّة الخاصرة. وسبت: أسرت. ورنأ إليه:
 أدام النظر بسكون الطرف.

(١٢) التختل: الخديعة. والقائتات: جمع قانتة، وهي العابدة الطائفة.

(١٣) أصيد: صفة من الصيد، وهو عدم الالتفات من الزهو والكبر والدلال.

(١٤) قلينه: أبغضه. والمراد بضاحية المحاسن: الوجه الجميل الفاتن.

(١٥) الدرّيثة: الحلقة يتعلّم الطعن والرمي عليها، والمراد بالدرّيثة (هنا): الهدف والغرض.
 والزعاة: الشراسة وسوء الخلق.

(١٦) المرّان: الرماح، واحدها مرانة من المرونة وهي اللين في صلابة. والحجرات: النواحي،
 مفردها حجرة. والأدرد: الذي سقطت أسنانه وبقيت أصولها.

(١٧) الرّدى: الهلاك. والآيبي: السيل.

مَا زِلْتُ أَطْعَنُ بَيْنَهَا حَتَّى انْتَنَتْ
 وَلَقَدْ هَبَطْتُ الْغَيْثَ يَلْمَعُ نَوْرُهُ
 تَجْرِي بِهِ الْأَرَامُ بَيْنَ مَنَاهِلٍ
 بِمُضْمَرٍ أَرِنِ كَأَنَّ سَرَائِهِ
 خَلَصَتْ لَهُ الْيُمْنَى وَعَمَّ ثَلَاثَةٌ
 فَكَأَنَّمَا انْتَزَعَ الْأَصِيلَ رِدَاءَهُ
 زَجَلٌ يُرَدِّدُ فِي اللَّهَاءِ صَهِيلَهُ
 مُتَلَفِّتًا عَنْ جَانِبِيهِ يَهْزُهُ
 فَإِذَا ثَنَيْتَ لَهُ الْعِنَانَ وَجَدْتَهُ
 عَنْ مِثْلِ حَاشِيَةِ الرِّدَاءِ الْمُجَسَّدِ (١٨)
 فِي كُلِّ وَضَاحِ الْأَسْرَةِ أُغْيِدِ (١٩)
 طَابَتْ مَوَارِدُهَا وَظِلُّ أُبْرَدِ (٢٠)
 بَعْدَ الْحَمِيمِ سَبِيكَةً مِنْ عَسْجِدِ (٢١)
 مِنْهُ الْبَيَاضُ إِلَى وَظِيفِ أُجْرَدِ (٢٢)
 سَلْبًا وَخَاضَ مِنَ الضُّحَى فِي مَوْرِدِ
 رَفْعًا كَزَمَزِمَةِ الْحَبِيِّ الْمُرْعِدِ (٢٣)
 مَرَحُ الصَّبَا كَالشَّارِبِ الْمُتَغَرِّدِ
 يَمْطُو كَسَيْدِ الرُّدْهَةِ الْمُتَوَرِّدِ (٢٤)

(١٨) انتنت الحرب: انتهت ووضعت أوزارها. والمجسد: الثوب المصبوغ بالجسد، وهو الزعفران.

(١٩) هبطت الغيث: نزلت بأرضه. والغيث: النبات والكلأ، وهو في الأصل المطر، وسمي الكلأ غيثاً لأن الغيث سببه. والنور: الزهر. والأسرة: خطوط الكفّ والجبهة، واحدها سرار. ووضّاح الأسرة: صفة للنبت. والأغيد من النبات: الناعم الممتني.

(٢٠) الأرام: جمع رثم، وهو الطيبي الخالص البياض. والمناهل: الآبار وعيون المياه العذبة. والموارد: مواضع ورود الماء، أي بلوغه والإشراف عليه، والمراد بها (هنا) المياه نفسها. وظلّ أبرد: بارد.

(٢١) مضمر: خفيف اللحم، معدّ للسباق. وأرن: نشيط خفيف سريع. والسراة: الظهر وأعلى كل شيء. والحميم: العرق. والعسجد: الذهب.

(٢٢) الوظيف من الحيوان: مستدق الذراع والساق، أو هو ما فوق الرّسغ إلى الساق. وأجرد: قصير الشعر رقيقه.

(٢٣) زجل: صفة من الزجل وهو الجلبة والتطريب ورفع الصوت. واللهاة: اللحمة المشرفة على الحلق في أقصى الفم. والزمزمة: الصوت البعيد له دويّ وتتابع كصوت الرعد. والحبيّ: السحاب يشرف من الأفق على الأرض، أو الذي بعضه فوق بعض. والمرعد: ذو الرعد.

(٢٤) يمطو: يتمطى ويتبختر. والسيد: الذئب والأسد. والردهة: شبه أكمة خشنة. والمتورّد: الجريء، من قولهم: هو يتورّد المهالك، أو الوردي اللون.

وَإِذَا أَطَعْتَ لَهُ الْعِينَانَ رَأَيْتَهُ
يَكْفِيكَ مِنْهُ إِذَا أَحْسَّ بِنَبَأَةِ
صَلْبِ السَّنَابِكِ لَا يَمُرُّ بِجَلْمِدٍ
نَعَمَ الْعَتَادُ إِذَا الشُّفَاهُ تَقَلَّصَتْ
وَلَقَدْ شَرِبْتُ الْخَمْرَ بَيْنَ غَطَارِفِ
يَتَلَاعَبُونَ عَلَى الْكُؤُوسِ إِذَا جَرَتْ
لَا يَنْطِقُونَ بِغَيْرِ مَا أَمَرَ الْهَوَى
مِنْ كُلِّ وَضَّاحِ الْجَبِينِ كَأَنَّهُ
بَلْ رَبُّ غَانِيَةٍ طَرَقَتْ خِيبَاءَهَا

يَطْوِي الْمَهَامَةَ فَذَفْدًا فِي فَذْفِدِ (٢٥)
شَدُّ كَمَعْمَعَةِ الْأَبَاءِ الْمُوقَدِ (٢٦)
فِي الشَّدِّ إِلَّا رَضَّ فِيهِ بِجَلْمِدِ (٢٧)
يَوْمَ الْكَرْيَهَةِ فِي الْعَجَاجِ الْأَرْبَدِ (٢٨)
شَمُّ الْمَعَاطِسِ كَالْغُصُونِ الْمِيدِ (٢٩)
لِعِبَاءِ يَرُوحُ الْجَدُّ فِيهِ وَيَغْتَدِي (٣٠)
فَكَلَامُهُمْ كَالرُّوضِ مَصْقُولٌ نَدِي (٣١)
قَمَرٌ تَوَسَّطَ جُنْحَ لَيْلٍ أَسْوَدِ (٣٢)
وَالنَّجْمُ يَطْرِفُ عَن لُوحِظِ أَرْمَدِ (٣٣)

(٢٥) المهامه : جمع مهمه أو مهممة، وهي المفازة البعيدة، أي الأرض الواسعة المهلكة والبلد المقفر. والذفد: الفلاة، وهي الأرض لا ماء فيها، أو هو المكان الصلب الغليظ المرتفع، أو الأرض المستوية.

(٢٦) النبأ: الصوت الخفي. والشد: العدو والجري. والمعمعة: صوت الحريق في القصب ونحوه. والأباء: الأجمة من الحلفاء والقصب.

(٢٧) السنابك: جمع سنبك، وهو طرف الحافر. والجلمد: الصخر كالجنمود. والشد: العدو. ورض: دق وكسر.

(٢٨) تقلص الشفاه: كناية عن الشدة والبأساء. والكريهة: الشدة في الحرب. والعجاج: الغبار والدخان. والأربد: الأغبر الرمادي.

(٢٩) غطارف: جمع غطريف، وهو السيد الشريف، والسخي السري. وشم: جمع أشم، صفة من الشم وهو ارتفاع قصبه الأنف وحسنها واستواء أعلاها. والمعاطس: جمع معطس، وهو الأنف.

(٣٠) يروح ويغتدي: يذهب ويجيء.

(٣١) الروض: جمع روضة، وهي أرض ذات بقل وعشب وزهر. ومصقول: مجلّو. وند: مبتل نضير غض.

(٣٢) وضاح: أغر أبيض حسن اللون. والجبين: ما فوق الصدغ عن يمين الجبهة، أو شمالها، وهما جبينان. وجنح الليل: ظلامه واختلاطه، أو طائفة منه.

(٣٣) الغانية: المرأة الغنية بحسنها عن الزينة. والخباء: بيت من وبر أو صوف، ينصب على

قَالَتْ وَقَدْ نَظَرْتُ إِلَيَّ فَضَحْتَنِي فَارْجِعْ لِشَانِكَ فَالرَّجَالُ بِمَرْصِدِ^(٣٤)
فَمَسَحْتُهَا حَتَّى أَطْمَأَنَّ فُوَادُهَا وَنَفَيْتُ رَوْعَتَهَا بِرَأْيِ مُحْصِدِ^(٣٥)
وَخَرَجْتُ أَخْتَرِقُ الصُّفُوفَ مِنَ الْعِدَا مُتَلَثِّمًا وَالسَّيْفُ يَلْمَعُ فِي يَدِي
فَلِنِعْمَ ذَاكَ الْعَيْشُ لَوْلَمْ يَنْقُضِ وَلِنِعْمَ هَذَا الْعَيْشُ إِنْ لَمْ يَنْفَدِ
يَرْجُو الْفَتَى فِي الدَّهْرِ طَوْلَ حَيَاتِهِ وَنَعِيمِهِ وَالْمَرْءُ غَيْرُ مُخَلِّدِ

وفي الوسيلة الأدبية(*) جاءت هذه القصيدة في ثمانية وأربعين بيتاً بزيادة خمسة الأبيات الآتية بين البيتين التاسع والثلاثين والأربعين :

فَخَلَبْتُهَا بِالْقَوْلِ حَتَّى رُضْتُهَا وَطَوَيْتُهَا طَيَّ الْحَيِرَةَ بِأَيْدِ^(١)
مَا زِلْتُ أَمْنَعُهَا الْمَنَامَ غَوَايَةَ حَتَّى لَقَدْ بَتْنَا بَلِيلِ الْأَنْقَدِ^(٢)
رَوْعَاءُ تَفْرَعُ مِنْ عَصَافِيرِ الضُّحَى تَرْفَأُ وَتَجْزَعُ مِنْ صِيَاحِ الْهُدْهِدِ^(٣)

عمودين أو ثلاثة. ويطرف: مضارع طرف بصره إذا أطبق أحد جفنيه على الآخر، وطرف البصر أي تحرك جفناه. واللواحظ: جمع لاحظة، بمعنى ناظرة، والمراد العيون. وأرمد: صفة من الرمد، وهو مرض يصيب العين فيهيجهها.

(٣٤) المرصد: موضع الرصد، وهو الارتقاب والانتظار.

(٣٥) المسح: إمرار اليد على الشيء. والروعة: الفزعة والخوف. والرأي المحصد: المحصف السديد المحكم الصائب.

(*) انظر الوسيلة الأدبية للشيخ حسين المرصفي، (ج ٢، ص ٤٩٤ - ٤٩٦) طبعة مطبعة المدارس الملكية بدارب الجماميز بالقاهرة سنة ١٢٩٢ هـ (١٨٧٥ م).

(١) خلبه: خدعه، وفتن قلبه بلطيف الكلام، وحلو المنطق. والحبير: الثوب الناعم الموشى.

(٢) الغواية: الإمعان في الضلال. والأنقد: القنفذ، وهو لا ينام الليل. وبتنا بليل الأنقد: أي لم نمن، فهو كناية عن السهر، وعدم النوم. والقنفذ: دويبة ذات شوك حاد، يلتف فيصير كالكرة، وبذلك يقي نفسه خطر الاعتداء عليه.

(٣) روعاء: معجبة بنفسها، وجهارة منظرها. والهدهد: جنس طير من الجواثم الرقيقات المناقير، له قنزة على رأسه. والهدهد أيضاً: كل ما يقرقر من الطير، أي يردّد صوته، ويرجعه.

حَتَّى إِذَا نَمَّ الصَّبَا وَتَتَابَعَتْ زِيمُ الْكَوَاكِبِ كَالْمَهَا الْمُتَبَدِّدِ^(٤)
قَالَتْ دَخَلْتَ وَمَا إِخَالُكَ بَارِحاً إِلَّا وَقَدْ أَبْقَيْتَ عَارَ الْمُسْنَدِ^(٥)

وَقَالَ وَهُوَ بِأَقْرِيطَشْ (★) أَيَّامَ الْحَرْبِ يَتَشَوَّقُ إِلَى مِصْرَ سَنَةِ ١٢٨٢ هـ :

سَرَى الْبَرْقُ مِصْرِيًّا فَأَرَقْنِي وَحَدِي وَأَذْكَرَنِي مَا لَسْتُ أَنْسَاهُ مِنْ عَهْدِ
فِيَا بَرْقُ حَدِّثْنِي وَأَنْتَ مُصَدِّقُ عَنِ الْآلِ وَالْأَصْحَابِ مَا فَعَلُوا بَعْدِي
وَعَنْ رَوْضَةِ الْمِقْيَاسِ تَجْرِي خِلَالَهَا جَدَاوِلُ يُسْدِيهَا الْغَمَامُ بِمَا يُسْدِي^(١)
إِذَا صَافَحَتْهَا الرِّيحُ رَهَوًّا تَجَعَّدَتْ حَبَائِكُهَا مِثْلَ الْمُقَدَّرَةِ السَّرْدِ^(٢)
وَإِنْ ضَا حَكَّتْهَا الشَّمْسُ رَفَّتْ كَانَّهَا مَنَاصِلُ سُلَّتْ لِلضَّرَابِ مِنَ الْغِمْدِ^(٣)

(٤) الصبا: ريح تهب من مطلع الشمس. ونمت الريح: جلبت الرائحة، أو الحركة. وزيم الكواكب: أي الكواكب المتفرقة، جمع زيمة. والمها: البقر الوحشي، الواحدة مهاة.

(٥) المسند: الدهر والأبد. وعار المسند: العار الذي يبقى لاصفاً بصاحبه بقاء الدهر.

(★) أقريطش: (بفتح أوله وكسر الراء والطاء): (كريد) جزيرة مشهورة ببحر الروم إلى الجنوبي الشرقي من بلاد اليونان، وكانت هذه الجزيرة من أملاك الدولة العثمانية، وفي سنة ١٢٨٢ هـ، أعلنت العصيان والثورة بتشجيع روسيا، ومساعدة اليونان، فأرسلت الدولة إليها جيشاً لإخماد الفتنة، وبعث الخديوي «إسماعيل» نجدة عسكرية كان البارودي من ضباطها، وهذه هي الحرب التي يشير إليها، وقد انتهت بمنح الجزيرة بعض الامتيازات في المؤتمر الذي انعقد بباريس في ١٢ من جمادى الآخرة سنة ١٢٨٦ هـ (١٩ من سبتمبر سنة ١٨٦٩م).

(١) روضة المقياس: جزيرة في النيل شرقيّ الجزيرة، وفيها مقياس قديم يعرف به ما يعثور النيل من زيادة ونقصان. والغمام: السحاب أو الأبيض منه، الواحدة غمامة.

(٢) رهواً: سهلة لينة ساكنة. وتجعّدت: تقبّضت كأنها الشعر الجعد، وهو خلاف السبط المسترسل. والحباتك: الطرائق في الماء والرمل ونحوهما، الواحدة حبيكة. والمقدّرة: المحكمة المتقنة، أو الضيقة، من التقدير وهو التضييق. والسرد: نسج الدرع، وتداخل الحلق بعضها في بعض.

(٣) رفّت: برق لونها وتلألأ. والمناصل: جمع منصل، وهو السيف. وسلّت: انتزعت وأخرجت. والغمد: جفن السيف وغطاؤه.

نَعِمْتُ بِهَا دَهْرًا وَمَا كُلُّ نِعْمَةٍ
 فَوَا أَسْفَا إِذْ لَيْسَ يُجْدِي تَأْسُفُ
 إِذِ الدَّهْرُ سَمَحٌ وَاللَّيَالِي سَمِيعَةٌ
 فَتَاةٌ تُرِيكَ الشَّمْسَ تَحْتَ خِمَارِهَا
 مِنَ الْفَاتِنَاتِ الْغَيْدِ لَوْمَرٌ ظِلُّهَا
 فَتَاللهِ أَنْسَى عَهْدَهَا مَا تَرَنَّمْتُ
 حَلَفْتُ بِمَا وَارَى الْخِمَارُ مِنَ الْحَيَا
 وَبِاللُّؤْلُؤِ الْمَنْضُودِ بَيْنَ يَوَاقِيتِ
 حَبَّتِكَ بِهَا الْأَيَّامُ إِلَّا إِلَى الرَّدِّ (٤)
 عَلَى مَا طَوَاهُ الدَّهْرُ مِنْ عَيْشِنَا الرَّغْدِ (٥)
 وَ « لَمِيَاءٌ » لَمْ تُخْلِفْ بَلِيَانِهَا وَعَدِي (٦)
 إِذَا سَفَرْتَ وَالْغُضْنَ فِي مَعْقِدِ الْبُنْدِ (٧)
 عَلَى قَانِتِ دَبَّتْ بِهِ سَوْرَةُ الْوَجْدِ (٨)
 بَنَاتُ الضُّحَى بَيْنَ الْأَرَاكَةِ وَالرَّنْدِ (٩)
 وَمَا ضَمَّتِ الْأَرْدَانُ مِنْ حَسَبِ عِدِّ (١٠)
 هِيَ الشَّهْدُ ظَنَّاً بَلْ أَلْدُ مِنَ الشَّهْدِ (١١)

(٤) حبتك : أعطتك .

(٥) عيش رغد : طيب واسع لين .

(٦) الليالي سميعة : كناية عن أن الأمور كانت تجري على هواه . ولمياء : اسم محبوبته . وليان : مصدر لواه بدينه ليًا وليانًا ، أي مطلقه وسوفه بوعده الوفاء مرة بعد أخرى .

(٧) الخمار : ما تغطي به المرأة رأسها . وسفرت : كشفت عن وجهها . ومعقد الشيء : موضع عقده . والبند : الحزام .

(٨) الفاتنات : جمع فاتنة ، اسم فاعل من فتنته ، أي استمالته وأعجبته ، أو أوقعته في الفتنة ، أو دلته ، أي سلبت بالعشق فؤاده . والغيد : جمع غيداء ، وهي الفتاة الناعمة المشنية لينًا . وقانت : ناسك عابد . وسورة الوجد : شدة الحب .

(٩) ترنمت : رجعت صوتها وطربت وغرّدت . ويريد بنات الضحى : الطيور المغردة ، حين تشرق الشمس ويمتد النهار . والأراكة : شجرة طويلة ناعمة كثيرة الورق والأغصان خوّارة العود ، ولها ثمر في عناقيد يسمى البرير ، يملأ العنقود الكفّ ، والجمع أراك ، أو الأراك : شجر من الحمض يستاك بقضبانته . والرند : شجر طيب الرائحة من أشجار البادية ، وقيل هو العود ، وقيل هو الآس .

(١٠) الأردن : جمع ردن ، وهو أصل الكمّ ، والمراد بالأردان (هنا) : الأثواب . وعدّ : قديم ، أو كثير ، وهذا مستعار من قولهم ماء عدّ ، أي كثير جار ، له مادة لا تنقطع كماء العين .

(١١) المنضود : المصنوف المنظوم المنسق ، والمراد أسنان المحبوبة . والياقوت : حجر كريم ، صلب ، رزين ، شفاف ، يتركب من أكسيد الألمنيوم ، وهو أكثر المعادن صلابة بعد الماس ،

يَمِيناً لَوْ اسْتَسْقَيْتَ أَرْضاً بِهِ الْحَيَا
لَأَنْتِ وَأَيُّ النَّاسِ أَنْتِ؟ حَبِيبَةٌ
إِلَيْكَ سَلَبْتُ الْعَيْنَ طِيبَ مَنْامِهَا
وَذَلَّلْتُ هَذِي النَّفْسَ بَعْدَ إِبائِهَا
فَحَتَامَ تَجْزِينِي بِوُدِّي جَفْوَةٌ؟
سَلِي عَنِّي اللَّيْلَ الطَّوِيلَ فَإِنَّهُ
هَلْ اِكْتَحَلَتْ عَيْنَايَ إِلَّا بِمَدْمَعٍ
أَصْبَرُ عَنكَ النَّفْسَ وَهِيَ أَبِيَّةٌ
كَأَنِّي الْأَقْبَى مِنْ هَوَاكِ ابْنِ خَيْسَةَ
تَنْكَبَ مُمَسَّاهُ وَأَخْطَأُ صَيْدَهُ
لَهُ نَعْرَاتٌ بِالْفَلَاةِ كَأَنَّهَا

لَخَاصَ بِهَا الرُّعْيَانُ فِي كَلِمَةٍ جَعَدِ (١٢)
إِلَيَّ وَلَوْ عَذَّبْتَ قَلْبِي بِالصَّدِّ
وَفِيكَ رَعَيْتُ النُّجْمَ فِي أَفْقِهِ وَحَدِي (١٣)
وَلَوْلَاكَ لَمْ تَسْمَحْ بِحَلٍّ وَلَا عَقْدٍ
أَمَا تَرَهَّبِينَ اللَّهُ فِي حُرْمَةِ الْمَجْدِ؟ (١٤)
خَيْرٌ بِمَا أَخْفِيهِ شَوْقاً وَمَا أَبْدِي
إِذَا ذَكَرْتُكَ النَّفْسُ سَالَ عَلَى خَدِّي؟
وَهَيْهَاتَ صَبْرُ الظَّامِثَاتِ عَنِ الْوَرْدِ
أَخَا فَتَكَاتٍ لَا يُنْهِنُهُ بِالرَّدِّ (١٥)
فَأَقْعَى عَلَى غَيْظٍ مِنَ الْجُوعِ وَالْكَدِّ (١٦)
عَلَى عُدْوَاءِ الدَّارِ جَلَجَلَةَ الرَّعْدِ (١٧)

يتزين به الناس، وألوانه مختلفة، منها الأحمر الرماني، واحدته أو القطعة منه ياقوته، والجمع يواقيت، ويريد باليواقت الشفتين. والظن (هنا) معناه العلم واليقين.

(١٢) استسقيت: طلبت السقي. والحيا: المطر. وجعد: كثير ند.

(١٣) إليك: بسبك. وسلبت: أخذت وحرمت. ورعيت النجم: راقبته وانتظرت مغيبه. وأفق النجم (هنا): فلكه ومداره.

(١٤) حتام: حتى الموصولة بما الاستفهامية بعد حذف ألفها، ومعناها إلى أي غاية؟ أو إلى أي وقت؟

(١٥) كني بابن خيسة عن الأسد، والخيسة: موضعه، وهي أيضاً الشجر الملتف، أو ما كان حلفاء وقصبا. وينهنه: يكف ويُدفع.

(١٦) تنكب: انحرف، ومال عن القصد. وممساه: يراد به (هنا) مكان مبيته. وأقعى إقعاء: جلس على أليته، ونصب ساقيه، ووضع يديه على الأرض كما يقعي الكلب.

(١٧) نعرات: أصوات، جمع نكرة، وهي الصراخ والصياح في حرب أو شر. وعدواء الدار: بعدها. وجلجلة الرعد: صوته.

يَمَزُقُ أُسْتَارَ الظُّلَامِ بِأَعْيُنٍ تَطِيرُ شَرَاراً كَالسُّقَاطِ مِنَ الزُّنْدِ (١٨)
كَأَنَّهُمَا مَاوِيَّتَانِ أُدِيرَتَا إِلَى الشَّمْسِ فَاثْبَتَا شُعَاعاً مِنَ الْوَقْدِ (١٩)
فَهَذَا الَّذِي أَلْقَاهُ مِنْكَ عَلَى النَّوَى فَرَاخِي وَثَاقِي يَا بِنْتَ الْقَوْمِ أَوْ شُدِّي (٢٠)

وقال وهو في حرب الروس (*) مع الدولة العثمانية سنة ١٢٩٤ هـ (١٨٧٧ م) .

وأرسل بها إلى الأستاذ الشيخ « حسين المرصفي » (***) :

هُوَ الْبَيْنُ حَتَّى لَا سَلَامَ وَلَا رَدُّ وَلَا نَظْرَةَ يَقْضِي بِهَا حَقَّهُ الْوَجْدُ (١)
لَقَدْ نَعَبَ (الْوَابُورُ) بِالْبَيْنِ بَيْنَهُمْ فَسَارُوا وَلَا زَمُوا جَمَالاً وَلَا شَدُوا (٢)
سَرَى بِهِمْ سَيْرَ الْغَمَامِ كَأَنَّمَا لَهُ فِي تَنَائِي كُلِّ ذِي خُلَّةٍ قَصْدُ (٣)
فَلَا عَيْنَ إِلَّا وَهِيَ عَيْنٌ مِنَ الْبُكَى وَلَا خَدًّا إِلَّا لِلدُّمُوعِ بِهِ خَدُّ (٤)

(١٨) السقاط: ما سقط من الشيء، ويريد بالسقاط (هنا): ما يسقط من الزند عند قدحه وإيرائه.

والزند: العود الذي تقدح به النار.

(١٩) الماوية: المرأة. والوقد: النار واتقادها.

(٢٠) النوى: البعد.

(*) تقدم التعريف بتلك الحرب في مقدمة القصيدة التي مطلعها «هنيئاً لريا ما تضمّ الجوانح» أول قافية الحاء.

(**) الشيخ حسين بن أحمد المرصفي عالم لغوي أديب ضريير، تخرج في الأزهر، وتعلم اللغة الفرنسية، ونبغ في علوم اللغة العربية وآدابها، ثم اشتغل بتدريسها في الأزهر ودار العلوم. وهو يعدّ من الأفاضال الذين ردّوا على اللغة العربية في العصر الحديث ما كان لها من البهائم في العصر القديم. ومن تلاميذه وأصحابه الذين انتفعوا بفضله وأدبه حفي ناصر، والبارودي، وعبد الله فكري. توفي سنة ١٣٠٧ هـ (١٨٨٩ م).

(١) البين: الفراق.

(٢) نعب: صفر وصوت. وزمّ البعير خطمه: أي وضع في أنفه ما يقوده به. وزمّه: شدّ عليه الزمام، وهو المقود، أي الحبل الذي يقاد به. وشدّ الرحل ونحوه: إذا وضعه على ظهر البعير وربطه وأوثقه

(٣) الغمام: السحاب، الواحدة غمامة. والتنائي: التباعد. والخلّة: الصداقة.

(٤) العين الأولى: حاسة الرؤية. والعين الثانية: ينبوع الماء. وللدموع به خدّ: طريق أو تأثير.

فَيَا سَعْدُ حَدِّثْنِي بِأَخْبَارِ مَنْ مَضَى
لَعَلَّ حَدِيثَ الشُّوقِ يُطْفِئُ لَوْعَةَ
هُوَ النَّارُ فِي الْأَحْشَاءِ لَكِنْ لِيُوقِعَهَا
لَعَمْرُ الْمَغَانِي وَهِيَ عِنْدِي عَزِيْزَةٌ
لَكَانَتْ وَفِيهَا مَا تَرَى عَيْنُ نَاطِرٍ
خَلَاءٍ مِنَ الْأَلْفِ إِلَّا عِصَابَةٌ
دَعَتْهُمْ إِلَيْهَا نَفْحَةٌ عَنبَرِيَّةٌ
وَقَفْنَا فَسَلَّمْنَا فَرَدَّتْ بِالسُّنِّ
فَمِنْ مُقْلَةٍ عَبْرِيٍّ وَمِنْ لَفْحِ زَفْرَةٍ
فَيَا قَلْبُ صَبْرًا إِنَّ أَلَمَ بِكَ النَّوَى
فَقَدْ يُشْعَبُ الْإِلْفَانِ أَدْنَاهُمَا الْهَوَى
عَلَى هَذِهِ تَجْرِي اللَّيَالِي بِحُكْمِهَا

- (٥) المغاني : جمع مغني ، وهو المنزل الذي أقام به أهله ، ثم غادروه ورحلوا عنه .
- (٦) العصابة : العصابة ، وهي الجماعة من الرجال ، ويريد بالعصابة : نفسه ومن كان معه من رفقاته حينما وقفوا بهذه الديار . وحداهم : بعثهم ودفعهم .
- (٧) النفحة : اسم مرّة من نفح الطيب : أي فاح وتضوّع وانتشرت رائحته . وعنبريّة : نسبة إلى العنبر من الطيب : وهو مادة صلبة ، لا طعم لها ، ولا ريح إلا إذا سحقته ، أو أحرقت . ويقال إنه روث دابة بحريّة .
- (٨) لدّ : جمع ألدّ ، صفة من اللدد ، وهو شدة الخصومة ، والمراد أن رسومها كانت واضحة الدلالة كأنها تنطق بما مضى من أحوال أهلها بفصاحة ولسن .
- (٩) المقلة : شحمة العين التي تجمع سوادها وبياضها . وعبري : يجري دمعها حزناً . واللفح : مصدر لفتحته النار والسموم بحرّها ، أي أحرقتة . والحشا : ما اشتملت عليه الضلوع ، أو ما حواه البطن .
- (١٠) النوى : البعد .

وما كُنتُ لَوْلَا الْحُبُّ أَخْضَعُ لِلَّتِي
فَعُودِي صُلْبٌ لَا يَلِينُ لِغَامِزِ
إِبَاءٍ كَمَا شَاءَ الْفَخَّارُ وَصَبُوءَ
وَإِنَّا أَنْاسٌ لَيْسَ فِينَا مَعَابَةٌ
نَلِينُ - وَإِنْ كُنَّا أَشِدَاءَ - لِلْهُوَى
وَحَسْبُكَ مِنَّا شِيمَةٌ عَرَبِيَّةٌ
وَبِي ظَمًا لَمْ يَبْلُغِ الْمَاءُ رِيَّهُ
أَوْدٌ وَمَا وُدُّ أَمْرِيءٍ نَافِعٌ لَهُ
وَمَا بِي مِنْ فَقْرٍ لِدُنْيَا وَإِنَّمَا
وَكَمْ مِنْ يَدٍ لِيْلَهُ عِنْدِي وَنِعْمَةٌ
أَنَا الْمَرْءُ لَا يُطْفِئُهُ عِزُّ لِشُرُوءَ
أَصْدُ عَنِ الْمَوْفُورِ يُذْرِكُهُ الْخَنَا
وَمَنْ كَانَ ذَا نَفْسٍ كَنَفْسِي تَصَدَّعَتْ

تُسَيِّئُ وَلَكِنْ الْفَتَى لِلْهُوَى عَبْدٌ
وَقَلْبِي سَيْفٌ لَا يُفْلَ لَهُ حَدٌّ (١١)
يَذِلُّ لَهَا فِي خَيْسِهِ الْأَسَدُ الْوَرْدُ (١٢)
سِوَى أَنْ وَادِينَا بِحُكْمِ الْهُوَى نَجْدٌ
وَنَغْضَبٌ فِي شَرَوَى نَقِيرٍ فَنَشْتَدُ (١٣)
هِيَ الْخَمْرُ مَا لَمْ يَأْتِ مِنْ دُونِهَا حَرْدٌ (١٤)
وَفِي النَّفْسِ أَمْرٌ لَيْسَ يُذْرِكُهُ الْجَهْدُ
وَإِنْ كَانَ ذَا عَقْلٍ إِذَا لَمْ يَكُنْ جَدُّ
طِلَابُ الْعُلَا مَجْدٌ وَإِنْ كَانَ لِي مَجْدٌ
يَعْضُ عَلَيْهَا كَفَّهُ الْحَاسِدُ الْوَعْدُ
أَصَابَ وَلَا يُلَوِي بِأَخْلَاقِهِ الْكَدُّ (١٥)
وَأَفْنَعُ بِالْمَيْسُورِ يَعْقِبُهُ الْحَمْدُ (١٦)
لِعِزَّتِهِ الدُّنْيَا وَذَلَّتْ لَهُ الْأَسَدُ

(١١) يقال هو صلب العود: إذا كان قويّ الشكيمة، ماضي العزم. وغامز: اسم فاعل من غمز الرجل العود ونحوه إذا جسّه ليعرف لينة من صلابته. ومعنى لا يلين لغامز: أنه ليس فيه ضعف ولا عيب.

(١٢) الصبوة: الفتوة والسطوة. وخيس الأسد: موضعه، وأصله الشجر الملتف، أو ما كان حلفاء وقصباً. والورد: الجريء، أو هو ما كان بين الكميّ والأشقر، أو وردّي اللون.

(١٣) شروى نقير: مثل يضرب للقلّة.

(١٤) شيمة: خلق وغريزة وطبيعة وجبلة. والحرد: الغضب.

(١٥) يطفيه: يحمله على الطغيان، وهو مجاوزة الحدّ.

(١٦) الموفور: الشيء التام، والمراد المال الكثير. والخنا: الفحش.

وَمِنْ شِيْمِي حُبِّ الْوَفَاءِ سَجِيَّةً
 وَلَكِنْ إِخْوَانًا بِمِضْرٍ وَرُفْقَةً
 أَجِنُّ لَهُمْ شَوْقًا عَلَى أَنْ دُونَنَا
 فَيَا سَاكِنِي الْفُسْطَاطِ مَا بَالُ كُتِينَا
 أَفِي الْحَقِّ أَنَا ذَا كِرُونَ لِعَهْدِكُمْ
 فَلَا ضَيْرَ إِنْ اللَّهُ يُعَقِّبُ عَوْدَةً
 جَزَى اللَّهُ خَيْرًا مِنْ جَزَائِي بِمِثْلِهِ
 أَيْتُ لِذِكْرَاكُمْ بِهَا مُتَمَلِّمًا
 فَلَا تَحْسَبُونِي غَافِلًا عَنْ وِدَادِكُمْ
 هُوَ الْحُبُّ لَا يَثْنِيهِ نَائِي وَرُبَّمَا
 نَأَتْ بِي عَنْكُمْ غُرْبَةٌ وَتَجَهَّمَتْ

وما خَيْرُ قَلْبٍ لَا يَدُومُ لَهُ عَهْدُ؟ (١٧)
 نَسُونَا فَلَا عَهْدَ لَدَيْهِمْ وَلَا وَعْدُ
 مَهَامَةٍ تَعِيَا دُونَ أَقْرَبِيهَا الرُّبْدُ (١٨)
 ثَوْتُ عِنْدَكُمْ شَهْرًا وَلَيْسَ لَهَا رَدُّ؟ (١٩)
 وَأَنْتُمْ عَلَيْنَا لَيْسَ يَعْطِفُكُمْ وَدُّ؟
 يَهُونُ لَهَا بَعْدَ الْمُوَاصَلَةِ الصَّدُّ (٢٠)
 عَلَى شُقَّةٍ غَزْرُ الْحَيَاةِ بِهَا تَمُدُّ (٢١)
 كَأَنِّي سَلِيمٌ أَوْ مَشَتْ نَحْوَهُ الْوَرْدُ (٢٢)
 رُوَيْدًا فَمَا فِي مُهَجَّتِي حَجْرٌ صَلْدُ (٢٣)
 تَأْرَجُ مِنْ مَسِّ الضَّرَامِ لَهُ النَّدُّ (٢٤)
 بِوَجْهِي أَيَّامٌ خَلَّائِقُهَا نُكْدُ (٢٥)

- (١٧) الشيم: جمع شيمة، وهي الخلق والغريزة والطبيعة والجبلة التي خلق الإنسان عليها، ومثلها السجية. يقول: إن حب الوفاء طبيعة من طبائعه، ولا خير في قلب لا يدوم له وفاء.
- (١٨) المهامة: جمع مهمه وهو المفازة البعيدة، أي الصحراء الواسعة المهلكة. والربد: النعام.
- (١٩) الفسطاط: اسم مصر القديمة التي بناها عمرو بن العاص لما فتح مصر سنة ٢١ هـ (٦٤١م)، وهو في الأصل: السرادق، ومجتمع أهل الكورة. وثوت: أقامت.
- (٢٠) لا ضير: لا ضرر، أي في البعد والقطيعة. ويعقب عودة: يأتي بعد هذا السفر بعودة.
- (٢١) الشُقَّة: البعد والسفر البعيد. والغزر: مصدر غزر الماء ونحوه غزارة وغزراً أي كثر، فهو غزير. والتمد: الماء القليل، أو ما يظهر في الشتاء، ويذهب في الصيف.
- (٢٢) السليم: من لدغته الحية. والورد: من أسماء الحمى.
- (٢٣) المهجة: الدم، أو دم القلب، أو الروح. والمراد القلب. وصلد: صلب.
- (٢٤) النأي: البعد. وتأرج الطيب: فاح، وتوهجت ريحه. والضرام: اشتعال النار في الحلفاء ونحوها. والمراد بالضرام (هنا): النار. والندد: عود طيب الرائحة يتبخر به، أو هو نوع من الطيب، أو هو العنبر.
- (٢٥) تجهم فلان فلاناً: استقبله بوجه باسر كرية كالح مكفهر، أو أغلظ له في القول. ونكد: مشؤومة عسرة، وهي جمع نكداء.

أُدُورُ بِعَيْنِي لَا أَرَى غَيْرَ أُمَّةٍ
جَوَاثِبَ عَلَى هَامِ الْجِبَالِ لِعَارَةِ
إِذَا نَحْنُ سِرْنَا صَرَحَ الشَّرِّ بِاسْمِهِ
فَأَنْتَ تَرَى بَيْنَ الْفَرِيقَيْنِ كَبَّةً
عَلَى الْأَرْضِ مِنْهَا بِالْدمَاءِ جَدَاوِلُ
إِذَا اشْتَبَكُوا أَوْ رَاجَعُوا الزَّحْفَ خِلْتَهُمْ
نَشْلُهُمْ شَلَّ الْعِطَاشِ وَنَتْ بِهَا
فَهُمْ بَيْنَ مَقْتُولٍ طَرِيحٍ وَهَارِبٍ
نَرُوحُ إِلَى الشُّورَى إِذَا أَقْبَلَ الدُّجَى
وَنَقَعَ كَلْجُ الْبَحْرِ خُضْتُ غِمَارَهُ

مِنَ الرُّوسِ بِالْبَلْقَانِ يُخْطِئُهَا الْعَدُوُّ (٢٦)
يَطِيرُ بِهَا ضَوْءُ الصَّبَاحِ إِذَا يَيْدُو
وَصَاحَ الْقَنَا بِالْمَوْتِ وَاسْتَقْتَلَ الْجُنْدُ (٢٧)
يُحَدِّثُ فِيهَا نَفْسَهُ الْبَطْلُ الْجَعْدُ (٢٨)
وَفَوْقَ سَرَاةِ النَّجْمِ مِنْ نَقْعِهَا لِبَدُ (٢٩)
بُحُوراً تَوَالِي بَيْنَهَا الْجَزْرُ وَالْمَدُّ
مُرَاغِمَةُ السُّقْيَا وَمَاطَلُهَا الْوَرْدُ (٣٠)
طَلِيحٌ وَمَأْسُورٌ يُجَاذِبُهُ الْقَدُّ (٣١)
وَنَعْدُو عَلَيْهِمْ بِالْمَنَايَا إِذَا نَعْدُو (٣٢)
وَلَا مَعْقِلٌ إِلَّا الْمَنَاصِلُ وَالْجُرْدُ (٣٣)

(٢٦) يخطئها العدو: كناية عن كثرتها.

(٢٧) صرح الشر باسمه: ظهر وبان. وهذا كناية عن اشتداد القتال. والقنا: جمع قناة، وهي الرمح. وصاح القنا بالموت: دعاه وناداه. واستقتل: استسلم للقتل، واستمات، ولم يبال بالموت لشجاعته.

(٢٨) الكبة: الدفعة في القتال، والحملة في الحرب. والجعد: الكريم الجواد.

(٢٩) سرارة النجم: أعلاه. والنقع: الغبار. واللبد: ما يتلبد من شعر أو صوف.

(٣٠) ونت: ضعفت وفترت. والمراغمة: الهجران والتباعد والمفارقة. والسقيا: السقي، اسم من سقانا الله الغيث، وأسقانا. والورد: النصب من الماء، أو الإشراف عليه.

(٣١) طليح: متعب مغي. القد: سير يقد، أي يقطع ويشق من جلد غير مدبوغ ويقيد به الأسير ونحوه.

(٣٢) نروح: نعود وقت المساء. والدجى: جمع دجية، وهي الظلمة. ونعدو عليهم: نباكرهم، أي نسرع إليهم في البكرة.

(٣٣) النقع: الغبار الذي تثيره سنايك الخيل وحركات المتحاربين في ساحة الوغى. واللج: معظم الماء كاللجة. والغمار: جمع غمر وهو الماء الكثير، أو معظم البحر. والمعقل: الملجأ. والمناصل: جمع منصل وهو السيف. والجرد: جمع أجرد، وهو الفرس السباق، أو هو ما كان قصير الشعر رقيقه، وهذا من الصفات المستحسنة في الخيل.

صَبَرْتُ لَهُ وَالْمَوْتُ يَحْمَرُّ تَارَةً
فَمَا كُنْتُ إِلَّا اللَّيْثَ أَنَهَضَهُ الطَّوَى
صَوْوُلٌ وَلِلْأَبْطَالِ هَمْسٌ مِنَ الْوَنَى
فَمَا مُهَجَّةٌ إِلَّا وَرُمَجِي ضَمِيرُهَا
وَمَا كُلُّ سَاعٍ بَالِغٌ سُؤْلَ نَفْسِهِ
إِذَا الْقَلْبُ لَمْ يَنْصُرْكَ فِي كُلِّ مَوْطِنٍ
إِذَا كَانَ عُقْبَى كُلِّ شَيْءٍ وَإِنْ زَكَ
وَتَخْلِيدُ ذِكْرِ الْمَرْءِ بَعْدَ وَفَاتِهِ
فَفِيمَ يَخْبَافُ الْمَرْءُ سَوْرَةَ يَوْمِهِ
لِيَضْنَ بِي الْحُسَّادُ غَيْظًا فَإِنِّي
أَنَا الْقَائِلُ الْمَحْمُودُ مِنْ غَيْرِ سَبَّةٍ

وَيَنْغَلُّ طَوْرًا فِي الْعَجَاجِ فَيَسْوَدُ^(٣٤)
وَمَا كُنْتُ إِلَّا السَّيْفَ فَارَقَهُ الْغَمْدُ^(٣٥)
ضَرْوَبٌ وَقَلْبُ الْقَرْنِ فِي صَدْرِهِ يَعْذُو^(٣٦)
وَلَا لَبَّةٌ إِلَّا وَسَيْفِي لَهَا عِقْدُ^(٣٧)
وَلَا كُلُّ طَلَابٍ يُصَاحِبُهُ الرُّشْدُ
فَمَا السَّيْفُ إِلَّا آلَةٌ حَمَلَهَا إِدُ
فَنَاءٌ فَمَكْرُوهُ الْفَنَاءُ هُوَ الْخُلْدُ
حَيَاةٌ لَهُ لَا مَوْتَ يَلْحَقُهَا بَعْدُ
وَفِي غَدِهِ مَا لَيْسَ مِنْ وَقَعِهِ بُدُ^(٣٨)
لِإِنَافِهِمْ رَغْمٌ وَأَكْبَادِهِمْ وَقْدُ^(٣٩)
وَمِنْ شِيْمَةِ الْفَضْلِ الْعَدَاوَةُ وَالضَّدُ^(٤٠)

(٣٤) احمرار الموت: كناية عن كثرة القتل، وجريان الدماء. وينغل: يدخل. والطور: المرة والحين والتارة. والعجاج: الغبار والدخان.

(٣٥) الطوى: الجوع. وغمد السيف: جفنه الذي يتوارى فيه.

(٣٦) صؤول: صفة من صؤل صالة، أي وثب مقاتلاً. الونى: الضعف والفتور والكلال والإعياء. وضروب: صيغة مبالغة من الضرب. والقرن: كفؤك في الشجاعة، ومن يقاومك في قتال وغيره.

(٣٧) المهجة: الدم، أو دم القلب، أو الروح، والمراد بها هنا: القلب. والضمير: باطن الإنسان، وسره، وما يضمه في نفسه، وهذا كناية عن أن رمحه يشق القلوب، ويفتك بالأنفس. واللبّة: موضع القلادة من الصدر.

(٣٨) السورة: الغضب والسطوة والشدة والحدة.

(٣٩) ضنى: مرض مرضاً مخامراً كلما ظنّ برأه نكس. ورغم: قسر وذلل وقهر، وأصله من أرغم الله تعالى أنفه، أي ألصقه بالرغام وهو التراب. والوقد: النار، أو اتقادها.

(٤٠) السبّة: العيب والعار الذي يسبّ به صاحبه. والشيمة: الخلق والغريزة والطبيعة والجبلة. والضدّ: مصدر ضده في الخصومة، أي غلبه

فَقَدْ يَحْسُدُ الْمَرْءُ ابْنَهُ وَهُوَ نَفْسُهُ وَرُبَّ سِوَاكِ ضَاقَ عَنْ حَمَلِهِ الْعَضْدُ (٤١)
فَلَا زِلْتُ مَحْسُوداً عَلَى الْمَجْدِ وَالْعُلَا فَلَيْسَ بِمَحْسُودٍ فَتَى وَلَهُ نِدٌ

ويلاحظ أن الجزء الثاني من الوسيلة الأدبية طبع سنة ١٢٩٢ هـ (١٨٧٥ م) وأن البارودي عاد إلى ديوان شعره بالتنقيح والتهديب بعد عودته من سرنديب سنة ١٣١٧ هـ (١٨٩٩ م) .

وقال في يومِ عيدِ الفِطْرِ وَهُوَ فِي تِلْكَ الْحَرْبِ :

أَرَاكَ الْحَمَى شَوْقِي إِلَيْكَ شَدِيدُ وَصَبْرِي وَنَوْمِي فِي هَوَاكَ شَرِيدُ (١)
مَضَى زَمَنٌ لَمْ يَأْتِنِي عَنْكَ قَادِمُ بِبُشْرَى وَلَمْ يَعْطِفْ عَلَيَّ بَرِيدُ (٢)
وَجِيدٌ مِنَ الْخُلَانِ فِي أَرْضِ غُرْبَةٍ أَلَا كُلُّ مَنْ يَبْغِي الْوَفَاءَ وَجِيدُ (٣)
فَهَلْ لِغَرِيبٍ طَوْحَتُهُ يَدُ النَّوَى رُجُوعٌ وَهَلْ لِلْحَائِمَاتِ وَرُودُ؟ (٤)
وَهَلْ زَمَنٌ وَلَّى وَعَيْشٌ تَقَيُّضَتْ غَضَارَتُهُ بَعْدَ الذَّهَابِ يَعُودُ؟ (٥)
أَعْلَلُ نَفْسِي بِالْقَدِيمِ وَإِنَّمَا يَلِدُّ اقْتِبَالَ الشَّيْءِ وَهُوَ جَدِيدُ (٦)

(٤١) العضد : ما بين المرفق إلى الكتف .

(١) الأراك: الحمض، وهو كل نبات فيه ملوحة ومرارة، أو الأراك شجر من الحمض يستاك بقضبانته، الواحدة أراكة. والحمى: المكان المحمي، أي المحظور الذي لا يقرب ولا يجترأ عليه. ويريد بأراك الحمى: موطنه بمصر.

(٢) يعطف: يميل. والبريد: الرسول.

(٣) الخلان: جمع خليل، وهو الصديق.

(٤) النوى: البعد. والحائمات: جمع حائمة، اسم فاعل من حام الطير على الماء حوماً وحوماناً، أي دار به ودوم، وكل عطشان حائم.

(٥) تقيضت: ذهبت وزالت، وأصلها من تقيض الجدار أو الكتيب: إذا تهدم وانهار. والغضارة: النعمة، والسعة، والخصب.

(٦) الاقتبال: الاستقبال والاستئناف.

وَمَا ذِكْرِي الْأَيَّامَ إِلَّا لِأَنَّهَا
 فَلَيْسَ بِمَفْقُودٍ فَتَى ضَمُّهُ الثَّرَى
 إِلَّا أَيُّهَا الْيَوْمُ الَّذِي لَمْ أَكُنْ لَهُ
 أَتَسَّالْنَا لُبْسَ الْجَدِيدِ سَفَاهَةً
 فَحَظُّ أَنْاسٍ مِنْهُ كَأْسٌ وَقَيْنَةٌ
 لِيَهْنَ بِهِ مَنْ بَاتَ جَذْلَانَ نَاعِمًا
 تَرَى أَهْلَهُ مُسْتَبْشِرِينَ بِقُرْبِهِ
 إِذَا سَارَ عَنْهُمْ سَارَ وَهُوَ مُكْرَمٌ
 يُخَاطَبُ كَلًّا بِالَّذِي هُوَ أَهْلُهُ
 فَمَنْ لِغَرِيبٍ « سَرَنْسُوفٌ » مُقَامُهُ
 بِبِلَادٍ بِهَا مَا بِالْجَجِيمِ وَإِنَّمَا
 تَجَمَّعَتِ الْبُلْغَارُ وَالرُّومُ بَيْنَهَا
 إِذَا رَاطَنُوا بَعْضًا سَمِعَتْ لِصَوْتِهِمْ

ذِمَامٌ لِعِرْفَانَ الصُّبَا وَعُهُودٌ^(٧)
 وَلَكِنَّ مَنْ غَالَ الْبِعَادَ فَقِيدٌ
 ذُكُورًا سِوَى أَنْ قِيلَ لِي هُوَ عِيدٌ
 وَأَثْوَابِنَا مَا قَدْ عَلِمْتَ حَدِيدٌ^(٨)
 وَحَظُّ رِجَالٍ ذُكْرَةٌ وَنَشِيدٌ^(٩)
 أَخَا نَشَوَاتٍ مَا عَلَيْهِ حَقُودٌ^(١٠)
 فَهُمْ حَوْلَهُ لَا يَبْرَحُونَ شُهُودٌ
 وَإِنْ عَادَ فِيهِمْ عَادَ وَهُوَ سَعِيدٌ
 فَمُبْدِيءٌ شُكْرٍ تَارَةً وَمُعِيدٌ
 رَمَتْ شَمْلَهُ الْأَيَّامُ فَهَوَ لِهَيْدٌ^(١١)
 مَكَانَ اللَّظَى تَلْجُ بِهَا وَجَلِيدٌ^(١٢)
 وَزَاخَمَهَا التَّتَارُ فَهِيَ حُشُودٌ
 هَدِيدًا تَكَادُ الْأَرْضُ مِنْهُ تَمِيدٌ^(١٣)

- (٧) الذمام: الحرمة، وما يذم الرجل على إضاعته، كالعهد ونحوه.
- (٨) سفاهة: نقص في العقل، وأصله الخفة. ويريد بالحديد: الدروع ونحوها.
- (٩) القينة: الأمة المغنية، أو الأمة مطلقاً. والذكرة (بضم فسكون)، يريد بها (هنا): تذكّر من فارقه من أحبابه. والنشيد: الشعر المنشود، أي المقروء، أو المتغنى به.
- (١٠) جذلان: بات فرحاً مسروراً. ونشوات: جمع نشوة، وهي السكر.
- (١١) «سرنسوف»: مقاطعة بأكرايا من روسيا، حاضرتها باسمها، على أحد روافد نهر دنيبر. ورمت شمله الأيام: فرقت ما اجتمع من أمره. ولهيد: حسير مثقل مجهود.
- (١٢) اللظى: النار أو لهبها.
- (١٣) الرطانة: الكلام باللغة الأعجمية، وراطنه كلمه بها، والكلام الفصيح راطن بعضهم بعضاً. وهديداً: دويّاً أو صوتاً غليظاً كهدير البعير. وتميد: تتحرك.

قَبَاحُ النَّوَاصِي وَالْوُجُوهِ كَأَنَّهُمْ
سَوَاسِيَةٌ لَيْسُوا بِنَسْلِ قَبِيلَةٍ
لَهُمْ صُورٌ لَيْسَتْ وَجُوهًا وَإِنَّمَا
يُخَوَّرُونَ حَوْلِي كَالْعُجُولِ وَبَعْضُهُمْ
أَدُورٌ بَعَيْنِي لَا أَرَى بَيْنَهُمْ فَتَى
فَلَا أَنَا مِنْهُمْ مُسْتَفِيدٌ غَرِيبَةٌ
فَمَنْ لِي بِأَيَّامٍ مَضَتْ قَبْلَ هَذِهِ
عَسَى اللَّهُ يَقْضِي قُرْبَةً بَعْدَ غُرْبَةٍ
وَقَالَ يَرُوضُ الشُّعْرَ (★):

تَوَلَّى الصَّبَا عَنِّي فَكَيْفَ أُعِيدُهُ
أَحَاوِلُ مِنْهُ رَجْعَةً بَعْدَ مَا مَضَى
فَمَا كُلُّ جَفْرِ غَاضٍ يَرْتَدُّ نَبْعُهُ
وَقَدْ سَارَ فِي وَادِي الْفَنَاءِ بَرِيدُهُ (١)
وَذَلِكَ رَأْيِي غَابَ عَنِّي سَدِيدُهُ (٢)
وَلَا كُلُّ سَاقٍ جَفٌّ يَخْضَرُّ عُوْدُهُ (٣)

(١٤) النواصي: جمع ناصية، وهي قصاص الشعر حيث تنتهي نبتته من مقدم الرأس، والمراد بالنواصي هنا: الجباه. والأنام: الخلق، والمراد الناس، وأبو الأنام: آدم عليه السلام.

(١٥) سواسية: جمع سواء، والمعنى: متساوون في القبح والدمامة. والقبيلة: الطائفة من الناس ينسبون إلى أب واحد، وهي دون الشعب.

(١٦) تناط: تعلق.

(١٧) خار الثور يخور خواراً: صاح. ويهجن: يقبح. ولحن القول: فحواه ومعناه، واللحن أيضاً: اللغة، وهو يريد بلحن القول هنا: لغة العرب.

(١٨) يرود: يجيء ويذهب ويتدرد.

(★) يروض الشعر: يذلل ويمرن عليه نفسه، وأصله من راض الرجل المهر: أي ذلله ومرنه على المشي.

(١) تولى: ذهب وأدبر. والفناء: العدم والهلاك. والبريد: حامل الرسائل، أو دابته.

(٢) أمر سديد: صائب مستقيم. (٣) الجفر: البئر الواسعة التي لم تطو، أي لم تبني بالحجارة.

فَإِنْ أَكَّ فَارَقْتُ الشَّبَابَ فَقَبْلَهُ
وَأَيُّ شَبَابٍ لَا يَزُولُ نَعِيمُهُ؟
فَلَا غَرَوُ أَنْ شَابَتْ مِنَ الحُزْنِ لِمَتِي
يُهْدَمُ مِنْ أَجْسَادِنَا مَا يَشِيدُهُ
أَرَى كُلَّ شَيْءٍ لَا يَدُومُ فَمَا الَّذِي
وَلَكِنَّ نَفْسًا رُبَّمَا اهْتَجَّ شَوْقُهَا
فَوَاحَسَرْتَا كَمْ زَفْرَةً إِثْرَ لَوْعَةٍ
أَحْنُ إِلَى وَادِي النَّقَا وَيَسْرُنِي
وَأُضِدُّهُ وَدِّي وَإِنْ كُنْتُ عَالِمًا
مَعَانَ هَوَى تَجْرِي بِدَمْعِي وَهَادُهُ
تَضُنُّ بِإِهْدَاءِ السَّلَامِ ظِبَاؤُهُ
تَسَاهَمَ فِيهِ البَّاسُ وَالحُسْنُ فَاسْتَوَتْ

بَكَيتُ رَضَاعًا بَانَ عَنِّي حَمِيدُهُ^(٤)
وَسِرْبَالٍ عَيْشٍ لَيْسَ يَبْلَى جَدِيدُهُ؟^(٥)
فَإِنِّي فِي دَهْرٍ يَشِيبُ وَلِيدُهُ^(٦)
وَيَنْقُصُ مِنْ أَنْفَاسِنَا مَا يَزِيدُهُ
يَنَالُ امْرُؤٌ مِنْ حُبِّ مَا لَا يُفِيدُهُ؟
فَحَنَّتْ وَقَلْبًا رُبَّمَا اعْتَادَ عَيْدُهُ
إِذَا عَصَفَتْ بِالقَلْبِ كَادَتْ تُبِيدُهُ
عَلَى بُعْدِهِ أَنْ تَسْتَهْلَ سَعُودُهُ^(٧)
بِأَنَّ النَّقَا لَمْ يَدُنْ مِنِّي بَعِيدُهُ^(٨)
وَتُشْرِقُ مِنْ نِيرَانِ قَلْبِي نُجُودُهُ^(٩)
وَتُكْرِمُ مَثْوَى الطَّارِقِينَ أَسْوَدُهُ^(١٠)
ضَرَاغِمُهُ عِنْدَ اللِّقَاءِ وَغَيْدُهُ^(١١)

(٤) الرضاع: مصدر رضع الطفل أمه، والمراد ببيكائه الرضاع: أنه بكى على عهد الرضاع وزمانه.
(٥) السربال: القميص، أو الدرع، أو كل ما لبس. وبلى الثوب يبلى بلياً: خلق، ورث، وذهبت
جدته.

(٦) لا غرو: لا عجب. واللمة: الشعر الذي يجاوز شحمة الأذن.
(٧) وادي النقا: موضع فيه حبيبة الشاعر. وتستهل: تظهر وتتلا. والسعود: الكواكب التي يقال
لكل واحد منها سعد، وهي عشرة أنجم.

(٨) النقا: الكتيب من الرمل، أي ما اجتمع منه. وهو (هنا): اسم موضع يعنيه الشاعر.
(٩) معان: مباءة ومنزل. والوهاد: جمع وهدة، وهي المكان المظمتن، أي الأرض المنخفضة.
والنجود: جمع نجد، وهو ما ارتفع من الأرض.

(١٠) تضن: تبخل بخلاً شديداً. والظباء: جمع ظبي، وهو الغزال، والمراد بالظباء: الحسان من
النساء. والمثوى: اسم مكان، أو مصدر ميمي من ثوى بالمكان، أي أقام به أو نزل.
والطارقين: جمع طارق، اسم فاعل من طرق، إذا جاء ليلاً. والمراد بالأسود: الرجال
الشجعان.

(١١) تساهما: تقارعا، أي ضربا في ما بينهما القرعة، والمراد أنهما تغالبا على الفوز. والضراغم:

تَلَاقَتْ بِهِ أَسْيَافُهُ وَلِحَاظُهُ
فَكَمَ مِنْ صَرِيحٍ لَا تُدَاوِي جِرَاحَهُ
وَفِي الْحَيِّ ظَبْيٍ إِنْ تَرَنَّمْتُ بِاسْمِهِ
تَهَيِّمُ بِهِ أَسْتَارَهُ وَخُدُورَهُ
تَأْتِقُ فِيهِ الْحُسْنَ فَاُمْتَدَّ فَرْعُهُ
فَلِلْمَسْكِ رِيَاءٌ وَلِلْبَانِ قَدُّهُ
فَإِيَّاكَ أَنْ تَغْتَرِّيَا صَاحِبِ الْهَوَى
وَمَا أَنَا مِمَّنْ يَرْهَبُ الْمَوْتَ إِنْ سَطَا
أَفْلُ أَنْبَابِ الْقَنَا وَيَفْلُنِي
فَإِنْ أَنَا سَأَلْتُ الْهَوَى فَلَطَّالَمَا

- جمع فِرْعَام، وهو الأسد. والغيد: جمع غيداء، وهي المرأة الناعمة المثنية لينا.
(١٢) الحي: القبيلة من قبائل العرب، وقيل: البطن من بطونهم، وهو دون القبيلة. والظبي: الغزال. وترنمت: رجعت صوتي، وتغنيت. وتنمر: غضب، وساء خلقه. والواشي: الساعي بالفساد بين الناس.
(١٣) الخدور: جمع خدر، وهو الستر. وقد يطلق الخدر على البيت إن كان فيه امرأة. والأقراط: جمع قرط، وهو من الحلى ما يعلق في شحمة الأذن.
(١٤) الفرع: الشعر التام.
(١٥) المسك: ضرب من الطيب يتخذ من ضرب من الغزلان، وهو أفضل الطيب عند العرب. والرياء: الريح الطيبة. والبان: شجر تشبه بغصونه قدود الحسان، أي قاماتهن في الاعتدال ولين الأعطاف. والقَد: القامة، وحسن الطول والاعتدال. والظبي: الغزال. والجيد: العنق.
(١٦) الردى: الهلاك. والحلف: الصديق. والعقيد: المعاهد، وهو المعاهد.
(١٧) سطا: صال، ووثب، وهجم. ونجل: جمع نجلاء، صفة من النجل، وهو سعة العين وحسنها.
(١٨) الأنابيب: جمع أنبوب، وهو ما بين العقدتين في القصب ونحوه. والقنا: جمع قناة، وهي الرمح. وتندت: نديت أي ابتلت بما يشبه الندى، وهو المطر القليل. والعبير: أخلاط من الطيب. والبرود: جمع برد، وهو ثوب مخطط.
(١٩) الوغى: الحرب. ويذكو: يشتعل ويشتد لهبه.

وَتَحَتَّ جَنَاحِ الدَّرْعِ مِنِّي ابْنُ فَتَكَةٍ
 إِذَا حَرَّكَتُهُ هِمَّةٌ نَحْوَ غَايَةٍ
 وَمُعْتَرِكٌ لِلْخَيْلِ فِي جَنَبَاتِهِ
 بَعِيدِ سَمَاءِ النَّقْعِ يَنْقُضُ نَسْرَهُ
 تَرَفٌ عَلَى هَامِ الْكُمَاةِ سُيُوفُهُ
 إِذَا اشْتَجَرَتْ فِيهِ الرَّمَاحُ تَرَاجَعَتْ
 تَقَحَّمْتُهُ وَالرُّمْحُ صَدْيَانٌ يَنْتَحِي
 فَمَا كُنْتُ إِلَّا الْغَيْثُ طَارَتْ بُرُوقُهُ
 مُعَوَّدَةٌ إِلَّا تُحَطُّ لُبُودُهُ (٢٠)
 تَسَامَى إِلَيْهَا فِي رَعِيلٍ يَقُودُهُ (٢١)
 صَهِيلٌ يَهْدُ الرَّاسِيَاتِ وَيُئِدُّهُ (٢٢)
 عَلَى جُنْثِ الْقَتْلَى وَيَنْغَلُّ سَيْدُهُ (٢٣)
 وَتَخْفُقُ بَيْنَ الْجَحْفَلَيْنِ بُنُودُهُ (٢٤)
 سَوَافِرٌ عَنِ نَصْرِ يُضِيءُ عَمُودُهُ (٢٥)
 نِطَافَ الْكُلَى وَالْمَوْتُ يَمْضِي وَعَيْدُهُ (٢٦)
 وَمَا كُنْتُ إِلَّا الرَّعْدُ دَوَى هَدِيدُهُ (٢٧)

(٢٠) الدرع: لبوس يسرد، أي ينسج من حلقات من حديد متشابكة، ويلبسه المحارب ليقيه من سلاح عدوه. والفتكة: اسم مرة من الفتك، وهو ركوب ما هم من الأمور، ودعت إليه النفس، أو هو القتل على غرة، ويريد بابن الفتكة نفسه. واللبود: جمع لبد، وهو ما يكون تحت سراج الفرس من شعر أو صوف متلبد.

(٢١) الهمة: أول العزم. وقد تطلق على العزم القوي. وتسامى: ركب. والرعييل: الجماعة المتقدمة من الخيل، والمراد الكتيبة من الفرسان.

(٢٢) المعترك: موضع الاعتراك، أي القتال والحرب. وجنباته: نواحيه، واحدتها جنبه. والوئيد: الصوت العالي الشديد.

(٢٣) النقع: الغبار، وما يرتفع في جور الحرب من دخان ونحوه. وبعيد سماء النقع: كناية عن شدة القتال. وينقض: يهوي ويسقط. وينغل: يدخل. والسيد: الأسد، أو الذئب.

(٢٤) ترف: تبرق وتتلألأ. والهام: جمع هامة، وهي الرأس. والجحفل: الجيش الكثير. والبنود: جمع بند، وهو العلم الكبير.

(٢٥) اشتجرت: اشتبكت. وسوافر: كواشف، جمع سافرة. ونصر يضيء عموده: نصر مبین واضح.

(٢٦) تقحمته: دخلت فيه، أي المعترك. وصدیان: صفة من الصدى، وهو العطش الشديد. وينتحي: يقصد. والنطاف: جمع نطفة، وهي القليل من الماء يبقى في دلو أو قربة، أو هي الماء الصافي. والكلى: جمع كلية (بضم فسكون)، والمراد بنطاف الكلى: دماؤها. ويمضي: ينفذ.

(٢٧) الغيث: المطر. وهديده: دويه.

أَنَا الرَّجُلُ الْمَشْفُوعُ بِالْفِعْلِ قَوْلُهُ
 تَعَوَّذْتُ صِدْقَ الْقَوْلِ حَتَّى لَوْ أَنَّنِي
 أَضَاحِكُ وَجَهَ الْمَرْءِ يَغْشَاهُ بِشْرُهُ
 وَمَنْ لَمْ يُدَارِ النَّاسَ عَادَاهُ صَحْبُهُ
 فَمَنْ لِي بِخَلٍّ أَسْتَعِينُ بِقُرْبِهِ
 أَحَاوِلُ وَدًّا لَا يُشَانُ بِغَدْرِهِ
 سَمِعْتُ قَدِيمًا بِالْوَفَاءِ فَلَيْتَنِي
 فَإِنَّا لَمْ أَمْلِكْ صَدِيقًا فَإِنِّي
 وَحَسْبُ الْفَتَى مِنْ رَأْيِهِ خَيْرُ صَاحِبٍ
 إِذَا لَمْ يَكُنْ لِلْمَرْءِ مِنْ بَدَهَاتِهِ
 وَإِنِّي وَإِنْ أَصْبَحْتُ فَرْدًا فَإِنِّي
 وَلِي مِنْ بَدِيعِ الشُّعْرِ مَا لَوْ تَلَوْتُهُ
 إِذَا مَا عَقِيدُ الْقَوْمِ رَثْتُ عُقُودَهُ (٢٨)
 تَكَلَّفْتُ قَوْلًا غَيْرَهُ لَا أَجِيدُهُ
 وَأَعْلَمُ أَنَّ الْقَلْبَ تَغْلِي حُقُودَهُ (٢٩)
 وَأَنْكَرَهُ مِنْ قَوْمِهِ مَنْ يَسُودُهُ
 عَلَى أَمَلٍ لَمْ يَبْقَ إِلَّا شَرِيدُهُ (٣٠)
 وَدُونَ الَّذِي أَرْجُوهُ مَا لَا أَرِيدُهُ (٣١)
 عَلِمْتُ عَلَى الْأَيَّامِ أَيْنَ وَجُودَهُ
 لِنَفْسِي صَدِيقٌ لَا تَخِيْسُ عُهُودَهُ (٣٢)
 يُوَازِرُهُ فِي كُلِّ خَطْبٍ يُوُودُهُ (٣٣)
 نَصِيرٌ فَأَخْلِقُ أَنْ تَخِيْبَ جُدُودَهُ (٣٤)
 بِنَفْسِي عَشِيرٌ لَيْسَ يَنْجُو طَرِيدُهُ (٣٥)
 عَلَى جَبَلٍ لَأَنْهَالَ فِي الدَّوْرِ رِيدَهُ (٣٦)

- (٢٨) المشفوع: المقرون والموصول. وعقيد القوم: معاقدهم ومعاهدهم. ورثت: بليت وخلقت. والعقود: جمع عقد، وهو العهد والضمان.
- (٢٩) يغشاه: يظهر عليه ويعمه. (٣٠) الخلل: الصديق. وأمل شريد: نافر طريد.
- (٣١) لا يشان: لا يعاب. والغدرة: اسم مرة من الغدر، وهو نقض العهد، وترك الوفاء.
- (٣٢) خاس بالعهد: غدر، ونكث، وأخلف. وخاس اللحم ونحوه: تغير.
- (٣٣) يوازره: يظاهره، ويعاونه. والخطب: النازلة الشديدة من نوازل الدهر. ويؤوده: مضارع آده الأمر، أي أثقله، وبلغ منه المجهود.
- (٣٤) البدهات: جمع بدهة، وهي اسم مرة من بدهه بأمر، إذا استقبله به، أو بدأه به، أو فاجأه. والمراد بالبدهات: الآراء السديدة السريعة التي تستقبل بها الأمور المفاجئة. وأخلق: صيغة تعجب من خلق لكذا، فهو خليق له، أي جدير به، مستحق له، كأنما خلق له، وطبع عليه.
- والجدود: جمع جد، وهو الحظ، والحظوة، والرزق، والعظمة.
- (٣٥) العشير: القبيلة، والجماعة من الناس. والطريد: ما تطرده من صيد ونحوه.
- (٣٦) الدو: الفلاة أي الصحراء. وريد الجبل: الحرف الناتئ منه.

إِذَا اشْتَدَّ أَوْرَى زُنْدَةَ الْحَرْبِ لَفْظُهُ وَإِنْ رَقَّ أَزْرَى بِالْعُقُودِ فَرِيدُهُ (٣٧)
يُقَطِّعُ أَنْفَاسَ الرِّيَّاحِ إِذَا سَرَى وَيَسْبِقُ شَأْوَ النَّيِّرَيْنِ قَصِيدُهُ (٣٨)
إِذَا مَا تَلَاهُ مُنْشِدٌ فِي مَقَامِهِ كَفَى الْقَوْمَ تَرْجِيعَ الْغِنَاءِ نَشِيدُهُ (٣٩)
سَيَبْقَى بِهِ ذِكْرِي عَلَى الدَّهْرِ خَالِدًا وَذَكَرُ الْفَتَى بَعْدَ الْمَمَاتِ خُلُودُهُ

وقال يذمُّ رجالَ الحُكُومَةِ الاستِبدادِيَّةِ فِي عَهْدِ إِسْمَاعِيلَ خَدِيوِي مِصر (★) :

كَرُمُ الطَّبَعِ شِيمَةُ الْأَمْجَادِ وَجَفَاءُ الْأَخْلَاقِ شَأْنُ الْجَمَادِ (١)
لَنْ يَسُودَ الْفَتَى وَلَوْ مَلَكَ الْحِكْمُ مِمَّا مَا لَمْ يَكُنْ مِنَ الْأَجْوَادِ
وَلَعَمْرِي لَرِقَّةُ الطَّبَعِ أَوْلَى مِنْ عِنَادٍ يَجْرُ حَرْبَ الْفَسَادِ
قَدْ يَنَالُ الْحَلِيمُ بِالرَّفْقِ مَا لَيْدَ سَنَ يَنَالُ الْكَمِيُّ يَوْمَ الْجِلَادِ (٢)
فَأَقْرُنِ الْجِلْمَ بِالسَّمَاخَةِ تَبْلُغْ كُلَّ مَا رُمْتَ نَيْلَهُ مِنْ مُرَادِ

(٣٧) أورى الرجل الزند: أخرج ناره. والزند: العود الذي تقدح به النار، وهو الأعلى، والسفلى زنده. وأزرى به: تهاون به، وقصر به، وحقره. والفريد: الدر إذا نظم، وفصل بغيره، وقد شبه به الشاعر شعره.

(٣٨) يقطع: أي الشعر. وأنفاس الرياح: نسوماتها، واحدها نفس، وتقطع أنفاس الرياح: كناية عن أنه يسبقها. والشأو: الغاية والأمد. والنيران: الشمس والقمر.

(٣٩) المقامة: المجلس، والجماعة من الناس. وترجيع الغناء: ترديده. والنشيد: الشعر المتناشد بين القوم ينشده بعضهم بعضاً.

(★) جاءت هذه الأهجوة في ثلاثين بيتاً، نشر منها في الطبقات السابقة أربعة وعشرون بيتاً، أما ستة الأبيات (٢٥ - ٢٠) فإنها لم تنشر من قبل لأنها مطموسة في أصل الديوان المخطوط الذي بين أيدينا. ويجهد ومعاناة قرأناها، ونشرناها في هذه الطبعة، مع كل ما استطعنا قراءته من المظموسات إتماماً للفائدة، وحرصاً على منفعة القارئ والدارس.

(١) الشيمة: الغريزة والطبيعة والجبلة التي خلق الإنسان عليها. والأمجاد: جمع المجيد، الرفيع العالي، والكريم الشريف الفعال. والجفاء: الغلظة والفظاظة.

(٢) الكمي: الشجاع المتكمي في سلاحه، أي المتغطي المتستر بالدرع والبيضة. والجلاد: القتال.

وَضَعِ الْبِرَّ حَيْثُ يَزْكُو لِتَجْنِي
 وَاحْذِرِ النَّاسَ مَا اسْتَطَعْتَ فَإِنَّ النَّدَّ
 رَبُّ خِلِّ تَرَاهُ طَلَقَ الْمُحَيَّا
 فَتَأْمَلُ مَوَاقِعَ اللَّحْظِ تَعْلَمُ
 إِنَّ فِي الْعَيْنِ وَهُوَ عُضْوٌ صَغِيرٌ
 وَأَنَاسٌ صَحِبَتْ مِنْهُمْ ذُنَابًا
 يَتَمَنَّوْنَ لِي الْعِثَارَ وَيَلْقَوُ
 سَابِقُونِي فَقَصِّرُوا عَن لِحَاقِي
 أَنَا مَا بَيْنَ نِعْمَةٍ وَحُسُودٍ
 فَلْيَمُوتُوا بِغَيْظِهِمْ فَاحْتِمَالُ الْدَّ
 كَيْفَ تَبْيِضُ مِنْ أَنَاسٍ وَجُوهُ
 أَظْهَرُوا زُخْرَفَ الْخِدَاعِ وَأَخْفَوْا
 فَتَرَى الْمَرْءَ مِنْهُمْ ضَاحِكُ السَّ
 مَعَشْرًا وَلَيْدُهُمْ طَاهِرُ الْمَمَ

ثَمَرَ الشُّكْرِ مِنْ غِرَاسِ الْأَيْدِي (٣)
 نَاسٌ أَحْلَاسٌ خُدَعَةٌ وَتَعَادِي (٤)
 وَهُوَ جَهْمُ الضَّمِيرِ بِالْأَحْقَادِ (٥)
 مَا طَوَّتُهُ صَحَائِفُ الْأَكْبَادِ (٦)
 لَدَلِيلًا عَلَى خَبَايَا الْفُؤَادِ
 تَحْتَ أَثْوَابِ الْفَةِ وَوِدَادِ
 نِي بِوَجْهِهِ إِلَى الْمَوَدَّةِ صَادِي (٧)
 إِنَّمَا السَّبْقُ مِنْ خِصَالِ الْجَوَادِ (٨)
 وَالْمَعَالِي كَثِيرَةٌ الْحُسَادِ (٩)
 غَيْظٌ مَوْتُ لَهُمْ بِلَا مِيعَادِ
 صَبَغَ اللَّؤْمُ عَرَضَهُمْ بِسَوَادِ؟
 ذَاتَ نَفْسٍ كَالْجَمْرِ تَحْتَ الرَّمَادِ
 نٌ وَفِي ثَوْبِهِ دِمَاءُ الْعِبَادِ
 هُدٍ وَلَا كَهْلُهُمْ عَفِيفُ الْوَسَادِ (١٠)

- (٣) البر: الخير، والفضل، والصلة، والاتساع في الإحسان. ويزكو: ينمي ويزيد. وغراس الأيدي: النعم المغروسة.
- (٤) أحلاس: جمع حلس، وهو كساء يوضع على ظهر البعير والحمار والفرس ونحوها تحت البرذعة أو السرج أو نحوهما. وأحلاس خدعة: ملازمون للخداع.
- (٥) الخل: الصديق. وجهم: كالح كدر.
- (٦) المواقع: المساقط. واللحظ: النظر. وطوى الحديث: كتمه وأخفاه. ويريد بالأكباد: القلوب.
- (٧) العثار: النعس، والزلل، والكبوة والسقوط. وصاد: صديان عطشان.
- (٨) اللحاق: مصدر لحقه، ولحق به أي أدركه. والجواد من الخيل: الكريم الجيد الرائع.
- (٩) المعالي: جمع معلاة، وهي الرفعة والشرف.
- (١٠) المعشر: الجماعة من الناس. والوساد: المتكأ والمخذة. وعدم طهر المهدي، وعدم عفة

حَكُمُوا مِصْرَ وَهِيَ حَاضِرَةُ الدُّنْ
أَصْبَحَتْ مَنْزِلَ الشَّقَاءِ وَكَانَتْ
وَقَعُوا بَيْنَ (رِيْفَهَا وَقَرَاهَا)
فِي زَمَانٍ قَدْ كَانَ لِلظُّلْمِ فِيهِ
حِينَ لَمْ يُرْحَمِ الْكَبِيرُ وَلَمْ يُعْ
تَحْتَ (رِجْزٍ) مِنَ الْعَذَابِ مُهِينٍ
تِلْكَ آثَارُهُمْ تَدُلُّ عَلَى مَا
لَيْسَ مَنْ يَطْلُبُ الْمَعَالِي لِيَلْفُخَ
وَقَلِيلاً مَا يَصْلُحُ الْمَرْءُ لِلْجَدِّ
فَاعْتَصِمَ بِالنُّهَى تَفَزُّ بِنَعِيمِ الدُّ

يَا (فَأَمَسَتْ) وَقَدْ خَلَّتْ فِي الْبَوَادِي (١١)
جَنَّةً لَيْسَ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ
بِضُرُوبِ الْفَسَادِ وَقَعَ الْجَرَادِ (١٢)
أَثْرُ النَّارِ فِي هَشِيمِ الْقَتَادِ (١٣)
طَفَّ عَلَى الْأُمَّهَاتِ وَالْأَوْلَادِ
وَمُبِيرٍ مِنَ الْأَذَى رَعَادِ (١٤)
كَانَ مِنْهُمْ مِنْ جَفْوَةٍ وَتَبَادِي (١٥)
رِ كَمَنْ يَطْلُبُ الْعُلَا لِلزَّادِ
دَّ إِذَا كَانَ سَاقِطَ الْأَجْدَادِ
هُرِّ غَضًّا فَالْعَقْلُ خَيْرٌ عَتَادِ (١٦)

الوساد: كناية عن اختلاط الأنساب، وارتكاب الفواحش والمنكرات.

(١١) حاضرة البلاد: المدينة الكبيرة التي يقيم فيها رجال الحكومة. ويراد بحاضرة الدنيا: أن مصر كانت - قبل أن يحكمها هؤلاء المهجرون - نابهة الشأن، عظيمة القدر بين ممالك العالم وأقطار الأرض. والكلمة التي بين قوسين في أول الشطر الثاني «فأمست» تكملة اجتهادية من عندنا لنقص في هذا البيت المطموس، وبها استقام وزنه، وتم معناه.

(١٢) وقع وقعاً: أي سقط، والمراد: نزل، وتنقل، أو هو من قولهم: وقع إلى كذا وقعاً: أي ذهب إليه، وانطلق مسرعاً. وما بين القوسين في هذا البيت تكملة اجتهادية ظنية من عندنا، جعلناها مكان الكلمات التي بولغ في طمسها، فلم نستطع قراءتها. والريف: أرض فيها زرع وخصب. ويراد بالقرى: ما عدا الريف، أي المدن والأمصار، والأبنية المتصلة الأهلة العامرة.

(١٣) الهشيم: المهشوم، المتحطم، المتكسر. والقناد: شجر صلب له شوك كالإبر.

(١٤) ما بين القوسين في الشطر الأول «رجز» تكملة من عندنا اجتهادية ظنية، جعلناها مكان ما بولغ في طمسه، فلم نستطع قراءته. والرجز: العذاب أو أشده. ومبير: مهلك مرد. ورعاد: كثير الرعد، وهو صوت السحاب. والمراد أنه أذى شديد مبيد.

(١٥) الجفوة: الجفاء والإعراض. والتبادي: المجاهرة بالعداوة.

(١٦) اعتصم بالشيء: استمسك به وتقوى وامتنع. والنهى: العقل، أو هو جمع نهي، وهي العقل، لأنها تنهى عن القبيح. وغضاً: ناضراً حسناً. والعتاد: العدة.

إِنْ فِي الْحِكْمَةِ الْبَلِيغَةِ لِلرُّوْحِ غِذَاءٌ كَالطَّبِّ لِلْأَجْسَادِ

وَقَالَ يَرْتِي زَوْجَهُ (★) وَقَدْ وَرَدَ إِلَيْهِ نَعِيهَا وَهُوَ بِسَرْنَدِيبَ :

أَيْدِ الْمُنُونِ ! قَدَحَتْ أَيُّ زِنَادٍ وَأَطْرَتْ أَيَّةَ شُعْلَةٍ بِفُوَادِي (١)
أَوْهَنْتِ عَزْمِي وَهُوَ حَمْلَةٌ فَيَلْقَى وَحَطَمْتَ عُودِي وَهُوَ رُمْحُ طِرَادٍ (٢)
لَمْ أَذِرْ هَلْ خَطْبُ أَلْمِ بِسَاحَتِي فَأَنَاخَ أَمْ سَهْمٌ أَصَابَ سَوَادِي (٣) ؟
أَقْدَى الْعُيُونِ فَأَسْبَلْتُ بِمَدَامِعِ تَجْرِي عَلَى الْخَدَّيْنِ كَالْفِرْصَادِ (٤)
مَا كُنْتُ أَحْسَبُنِي أَرَاعُ لِحَادِثِ حَتَّى مُنِيْتُ بِهِ فَأَوْهَنْتِ آدِي (٥)
أَبْلَتْنِي الْحَسَرَاتُ حَتَّى لَمْ يَكْدُ جِسْمِي يَلُوحُ لِأَعْيُنِ الْعُوَادِ (٦)

(★) المرثية بهذه القصيدة: «عديلة يكن» بنت المشير «أحمد يكن باشا»: الزوجة الثانية للبارودي. تزوجها سنة ١٨٦٧، وأنجب منها ابناً واحداً، وأربع بنات. وتوفيت بالقاهرة سنة ١٨٨٣ وهي في السابعة والثلاثين. ونعتت إليه بسرنديب، فرثاها بهذه الدالية المطولة (٦٧ بيتاً). ورتاء الزوجات غير مألوف في البيئة العربية، وقليل جداً في الشعر العربي، فهي من المرثية الباكيات الباقيات، ومن الروائع والبدايع الطارئة على فنون الشعر العربي.

(١) قدح الزند: أوره، أي أخرج ناره. والزناد: جمع زند، وهو الحديدية، أو العود الذي تقدح به النار، وهو الأعلى، والسفلى زنده. والقدح: ضرب أحد الزندين بالآخر لإخراج النار منهما.
(٢) العزم: الإرادة القاطعة القوية. والحملة: الكرة في الحرب. والفيلق: الجيش، أو الكتيبة العظيمة منه. وحطمت: كسرت. والعود من الخشب معروف، ويريد به (هنا) جسمه.
والطراد: مصدر طارده يطارده مطاردة وطراداً، ومطاردة الأقران: حمل بعضهم على بعض في الحرب ونحوها.

(٣) الخطب: النازلة الشديدة من نوازل الدهر. والساحة: الموضع المتسع أمام الدار. وأناخ: استقر وأقام. وسواد الإنسان وغيره: شخصه. وسواد القلب: حبه، كسويدائه.

(٤) أقدى العيون: جعل فيها القذى، وهو ما يسقط في العين فيهيجها، ويسيل دموعها. وأسبلت العيون الدمع: أرسلته. وأسبل الدمع: هطل، وتتابع، وانصب. والمدامع: المآقي، وهي أطراف العيون، ومجاري الدموع، والمراد بها هنا: الدموع. والفرصاد: صبغ أحمر.

(٥) أراع: أفرع وأخاف. وحادث الدهر: واحد حوادثه، وهي نوبه ونوازله. والآد: القوة.

(٦) أبلتني: أنحلنتني وهزلتني، وأصلها من أبلى الإنسان ثوبه: أي صيره بالياً خلقاً. والعواد: زائرو المريض.

أَسْتَنْجِدُ الزُّفْرَاتِ وَهِيَ لَوَافِحُ
لَا لَوَعَتِي تَدْعُ الْفُؤَادَ وَلَا يَدِي
يَا دَهْرُ فِيمَ فَجَعْتَنِي بِحَلِيلَةٍ
إِنْ كُنْتَ لَمْ تَرْحَمْ ضَنَايَ لِيُعِدْهَا
أَفْرَدْتَهُنَّ فَلَمْ يَنْمَنَّ تَوْجِعاً
أَلْقَيْنَ دُرَّ عُقُودِهِنَّ وَصُغْنَ مِنْ
يَبْكِينَ مِنْ وَلِهٍ فِرَاقَ حَفِيَّةٍ
فَخُدُودُهُنَّ مِنَ الدُّمُوعِ نَدِيَّةٍ
أَسْلِيلَةَ الْقَمَرَيْنِ ! أَيُّ فَجِيعَةٍ
أَعَزُّ عَلَيَّ بِأَنْ أَرَاكَ رَهِينَةً

وَأَسْفُهُ الْعَبْرَاتِ وَهِيَ بَوَادِي (٧)
تَقْوَى عَلَى رَدِّ الْحَبِيبِ الْغَادِي (٨)
كَانَتْ خُلَاصَةً عُذَّتِي وَعَتَادِي (٩)
أَفَلَا رَحِمْتَ مِنَ الْأَسَى أَوْلَادِي (١٠) ؟
قَرَحَى الْعُيُونِ رَوَاجِفَ الْأَكْبَادِ
دُرُّ الدُّمُوعِ قَلَائِدَ الْأَجْيَادِ (١١)
كَانَتْ لَهُنَّ كَثِيرَةً الْإِسْعَادِ (١٢)
وَقَلُوبُهُنَّ مِنَ الْهُمُومِ صَوَادِي (١٣)
حَلَّتْ لِفَقْدِكَ بَيْنَ هَذَا النَّادِي (١٤)
فِي جَوْفِ أَغْبَرَ قَاتِمِ الْأَسْدَادِ (١٥)

(٧) أستنجد الزفرات: أستعين بها على تخفيف الحزن. ولوافح: جمع لافحة أي محرقة. وأسفه العبرات. أنسبها إلى السفه، وهو الجهل، والطيش، وخفة النفس لنقصان العقل. والعبرات: جمع عبرة، وهي الدمعة قبل أن تفيض، أو تردد البكاء في الصدر.

(٨) اللوعة: حرقة الحزن وألمه. والغادي: الذاهب.

(٩) فجعه: أوجعه. والحليلة: الزوجة. والعدة والعتاد: ما يعده المرء لالتقاء حوادث الدهر، كالمال والسلاح وآلات الحرب وغير ذلك.

(١٠) الضنى: مصدر ضنى يضني، أي مرض مرضاً مخامراً، كلما ظنّ برأه نكس.

(١١) الدرّ: جمع درّة، وهي اللؤلؤة العظيمة. والعقود: جمع عقد، وهو القلادة. والأجياد: جمع جيد، وهو العنق.

(١٢) الوله: الحزن، أو ذهاب العقل حزناً. والحفيّة: صفة على وزن فعيلة بمعنى فاعلة من حفى به حفاوة: إذا بالغ في إكرامه، وأظهر السرور والفرح به، وأكثر السؤال عن حاله.

(١٣) صواد: جمع صاد، أي عطشان.

(١٤) السليل: الولد، والأنثى سليلة. والقمران: الشمس والقمر، وأراد بالقمرين: أبويها العظيمين الماجدين. والفجيعة: الرزية والمصيبة. ويراد بنادي الشاعر: أهله، وعشيرته، ومن يحزنون لحزنه.

(١٥) عزّ عليه أن يكون كذا يعزّ: صعب واشتدّ. ورهينة: محبوسة. وفي جوف أغبر: في جوف قبر أغبر. والأسداد: جمع سدّ، وهو الحاجز بين الشيئين، والمراد الجدران.

أَوْ أَنْ تَبِينِي عَنْ قَرَارَةٍ مَنزِلٍ
لَوْ كَانَ هَذَا الدَّهْرُ يَقْبَلُ فِدْيَةَ
أَوْ كَانَ يَرْهَبُ صَوْلَةَ مَنْ فَاتِكَ
لَكِنَّهَا الْأَقْدَارُ لَيْسَ بِنَاجِعٍ
فَبِأَيِّ مَقْدِرَةٍ أَرُدُّ يَدَ الْأَسَى
أَفَأَسْتَعِينُ الصَّبْرَ وَهُوَ قَسَاوَةٌ؟
جَزَعُ الْفَتَى سِمَةٌ الْوَفَاءِ وَصَبْرُهُ
وَمِنَ الْبَلِيَّةِ أَنْ يُسَامَ أَخُو الْأَسَى
هِيَ هَاتِ بَعْدَكَ أَنْ تَقْرَ جَوَانِحِي
وَلَهِي عَلَيْكَ مُصَاحِبٌ لِمَسِيرَتِي
فَإِذَا انْتَبَهْتُ فَأَنْتِ أَوَّلُ ذُكْرَتِي

- (١٦) البين: الفراق والبعد. والقرار والقرارة: ما قر فيه الإنسان، أي ثبت وسكن واستقر.
- (١٧) الصولة: السطوة، والاستطالة، والوثوب، والهجوم. وفاتك: جريء شجاع. والحارث بن عباد البكري: كان من سادات العرب وشعرائهم وأبطالهم في الجاهلية، ومن أيامه المشهورة يوم قضة. وهي موضع كانت فيه وقعة كبيرة بين قبيلتي بكر وتغلب، ويوم تحلاق اللمم الذي انتصر فيه لقومه بني بكر من بني عمهم تغلب قوم كليب في حرب البسوس المشهورة.
- (١٨) ليس بناجع: ليس بنافع. والإخلاق: مصدر أخلد إليه، إذا ركن، وسكن إليه واطمأن.
- (١٩) العنان: سير اللجام الذي تمسك به الدابة.
- (٢٠) السلوان: مصدر سلاه، وسلا عنه، أي صبر عنه، ونسيه. والتعادي: التباعد.
- (٢١) جزع: إذا ضعفت قوته عن حمل ما نزل به، ولم يجد صبراً. والسمة: العلامة.
- (٢٢) البلية: المصيبة. وسامه الأمر: كلفه إياه، وألزمه به، وحمله عليه. ورعي التجلد: المحافظة على الصبر.
- (٢٣) هيات: كلمة معناها البعد. والجوانح: أضلاع الصدر، الواحدة جانحة. والمهاد: الفراش، وهو يكنى بخشونة مهاده وعدم استقرار جوانحه عن اضطراب أمره، وشدة همّه وبلباله.
- (٢٤) يريد بالمسيرة: يقظة النهار. والوساد: المتكأ والمخدة، كالوسادة.

أُمْسِيْتُ بَعْدَكَ عِبْرَةً لِذَوِي الْأَسَى
 مُتَخَشُّعاً أَمْشِي الضَّرَاءَ كَأَنِّي
 مَا بَيْنَ حُزْنٍ بَاطِنٍ أَكَلَ الْحَشَا
 وَرَدَّ الْبَرِيدُ بِغَيْرِ مَا أَمَلْتُهُ
 فَسَقَطْتُ مَغْشِيًّا عَلَيَّ كَأَنَّمَا
 وَيْلُمُهُ رُزْءٌ أَطَارَ نَعِيَّهُ
 قَدْ أَظْلَمَتْ مِنْهُ الْعُيُونُ كَأَنَّمَا
 عَظُمَتْ مُصِيبَتُهُ عَلَيَّ بِقَدْرِ مَا
 لَأُمُوا عَلَيَّ جَزَعِي وَلَمَّا يَعْلَمُوا
 فَلَيْنَ « لَيْدٌ » قَضَى بِحَوْلٍ كَامِلٍ

(٢٥) العبرة: اسم من الاعتبار، وهو الاتعاض، والعبرة (أيضاً): العجب، واعتبر منه: تعجب. وذوو الأسى: المحزونون.

(٢٦) متخشعاً: متضرعاً متذلاً. وأمشي الضراء: أمشي مستخفياً. والصيال (بكسر الصاد): مصدر صال على قرنه، إذا سطا عليه، واستطال، ووثب في القتال.

(٢٧) الحشا: ما اشتملت عليه الضلوع أو هو ما حواه الجوف. وسورة الحزن: حدته وشدته. والسقم: المرض.

(٢٨) تعس: هلك أو سقط. وشاه: قبح. والحادي: اسم فاعل من حدا الرجل بالإبل، وحدا الإبل: إذا حثها على السير بالحداء، وهو الغناء لها. يتخيل أن الرسالة التي وردت عليه نقلتها الإبل، على عادة العرب في ذلك.

(٢٩) غشي عليه: أغمى عليه. ونهشته الحية: لسعته. وحية الوادي: أخبث الحيات، وأشدّها فتكاً.

(٣٠) ويلمه: أصلها ويل لأمه، فركبوه وجعلوه كالشيء الواحد. والرزء: المصيبة. ونعيه: نعي الرزء، أي نبؤه والإخبار به، أو ناعيه والمخبر به. والمارج: النار لا دخان لها.

(٣١) القتاد: شجر صلب له شوك كالإبر.

(٣٢) هو لبيد بن ربيعة من بني عامر بن صعصعة أحد بطون هوازن من مضر، وأمّه من بني عيس، كان في الجاهلية شريفاً جواداً شجاعاً شاعراً حكيماً، وقد أدرك الإسلام وأسلم، وعمر طويلاً

لَيْسَ الزَّمَانُ عَلَى اخْتِلَافِ صُرُوفِهِ
كَمْ بَيْنَ عَادِيٍّ تَمَلَّى عُمُرَهُ
هَذَا قَضَى وَطَرَ الْحَيَاةِ وَتِلْكَ لَمْ
فَعَلَامَ أَتْبَعُ مَا يَقُولُ؟ وَحُكْمُهُ
سِرِّيًّا نَسِيْمٌ فَبَلَّغِ الْقَبْرَ الَّذِي
أَخْبِرُهُ أَنِّي بَعْدَهُ فِي مَعْشَرٍ
طَبِعُوا عَلَى حَسَدٍ فَأَنْتَ تَرَاهُمْ
وَلَوْ أَنَّهُمْ عَلِمُوا خَبِيئَةَ مَا طَوَى
دَوْلًا وَقَلَّ عَرَائِكَ الْآبَادِ (٣٣)
حِقْبًا وَبَيْنَ حَدِيثَةِ الْمِيلَادِ (٣٤)
تَبْلُغُ شَيْبَةَ عُمُرِهَا الْمُعْتَادِ (٣٥)
لَا يَسْتَوِي لِتَبَايُنِ الْأَضْدَادِ (٣٦)
بِحِمَى الْإِمَامِ تَجِيئِي وَوِدَادِي (٣٧)
يَسْتَجْلِبُونَ صَلاَحَهُمْ بِفَسَادِي
مَرْضَى الْقُلُوبِ أَصْحَاةَ الْأَجْسَادِ
لَهُمُ الرَّدَى لَمْ يَقْدَحُوا بِزِنَادِ (٣٨)

حتى مات في أوائل خلافة معاوية سنة إحدى وأربعين من الهجرة، وقيل إنه عاش ثلاثين ومائة سنة. والبارودي في هذا البيت يشير إلى أبيات لبيد المشهورة التي قالها لابنته عندما حضرته الوفاة وهي:

تمنى ابنتاي أن يعيش أبوهما
فقوما فقولا بالذي قد علمتما
وقولا هو المرء الذي لا خليله
إلى الحول ثم اسم السلام عليكما
وهل أنا إلا من ربيعة أو مضر؟
ولا تخمشا وجهاً ولا تحلقا الشعر
أضاع ولا خان الصديق ولا غدر
ومن بيك حولاً كاملاً فقد اعتذر

فكانتا ترثيانه ولا تندبانه، وأقامتا على ذلك حولاً، ثم انصرفتا. والحوال: السنة. (٣٣) ليس الزمان: تملّى به. وصروف الزمان: أحداثه. والدول: جمع دولة، وهي انقلاب الزمان. وقل: كسر. والعرائك: جمع عريكة، وهي الطبيعة، أو النفس. والآباد: جمع أباد، وهو الدهر.

(٣٤) عادِيٍّ: قديم معمر، كأنه منسوب إلى عاد قبيلة هود عليه السلام، وهي من قبائل العرب القديمة البائدة. وتملى عمره: استمتع به. وحقباً: سنين كثيرة.

(٣٥) قضى وطره: بلغه وناله. والوטר: الحاجة. وقضى وطر الحياة: نال بغيته وحاجته منها.

(٣٦) التباين: التباعد والاختلاف والافتراق.

(٣٧) الحمى: المكان المحمي الذي لا يقرب، ولا يجترأ عليه، والمراد بحمى الإمام: مقبرة الإمام الشافعي بالقاهرة في جنوبيها الشرقي.

(٣٨) الخبيثة: ما خبيء وستر وغاب. وطوى: أخفى وكتم. والردى: الهلاك. وقدح بالزند: أخرج

كُلُّ أَمْرٍ يَوْمًا مُلَاقٍ رَبَّهُ وَالنَّاسُ فِي الدُّنْيَا عَلَى مِيعَادٍ
وَكَفَى بِعَادِيَةِ الْحَوَادِثِ مُنْذِرًا لِلْغَافِلِينَ لَوْ اُكْتُفُوا بِعَوَادِي (٣٩)
فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ نَظْرَةَ عَاقِلٍ لِمَصَارِعِ الْأَبَاءِ وَالْأَجْدَادِ
عَصَفَ الزَّمَانُ بِهِمْ فَبَدَّدَ شَمْلَهُمْ فِي الْأَرْضِ بَيْنَ تَهَائِمٍ وَنَجَادٍ (٤٠)
دَهْرٌ كَأَنَّا مِنْ جَرَائِرِ سِلْمِهِ فِي حَرِّ يَوْمٍ كَرِيهَةٍ وَجِلَادٍ (٤١)
أَفْنَى الْجَبَابِرِ مِنْ مَقَاوِلِ « حَمِيرٍ » وَأُولِي الزَّعَامَةِ مِنْ « ثُمُودَ » وَ« عَادٍ » (٤٢)
وَرَمَى « قُضَاعَةَ » فَاسْتَبَاحَ دِيَارَهَا بِالسُّخْطِ مِنْ « سَابُورَ » ذِي الْأَجْنَادِ (٤٣)
وَأَصَابَ عَنْ عُرْضٍ « إِيَادَ » فَأُضْبِحَتْ مَنكُوسَةَ الْأَعْلَامِ فِي « سِنْدَادٍ » (٤٤)

به النار. والزناد: جمع زند، وهو الحديد أو العود الذي تقدح به النار. ومعنى لم يقدحوا بزناد: لم يحملوا أنفسهم عناء السعي المشوب بالطمع والحسد.

(٣٩) عادية الحوادث: شرها وشدتها، وجمعها عواد.

(٤٠) بدد شملهم: فرقهم. وتهامة: مكان بعينه بجزيرة العرب، ولعل الشاعر أطلقه على كل منخفض من الأرض، ولذلك ساغ جمعه على تهائم. والنجاد: جمع نجد، وهو ما ارتفع من الأرض.

(٤١) الجرائر: جمع جريرة، وهي الجناية والذنب. والكريهة: الحرب. والجلاد: القتال، وأصله القتال بالسيوف.

(٤٢) الجبابر: جمع جبار، وهو العظيم القوي، والعاتي، والمتكبر. والمقاويل: جمع مقول، وهو الملك، أو الملك من ملوك حمير، أو هو دون الملك الأعلى. وحمير: قبيلة أو قبائل تنسب إلى حمير بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان، جد كثير من القبائل اليمنية. وثمود: قوم صالح. وعاد: قوم هود. وهما قبيلتان من قبائل العرب البائدة، جاء ذكرهما في القرآن كثيراً.

(٤٣) قضاة: قبيلة يمنية، تنسب إلى عمرو بن مالك بن حمير، وقضاة لقبه. وسابور: معرب «شاه بور»، ولقبه «خواست»، وهو ابن أردشير، وأحد الأكاسرة، ملوك الفرس. وقد بنى مدينة على بعد خمسة وعشرين فرسخاً من شيراز. والأجناد: جمع جند، وهم العسكر والأعوان والأنصار.

(٤٤) أصاب عن عرض: أي من غير مبالاة، ولا اكتراث. وإياد: إحدى القبائل العدنانية، وتنسب إلى إياد بن نزار بن معد بن عدنان. ومنكوسة: اسم مفعول من نكسه، أي قلبه على رأسه، كنكسه تنكيساً. وسنداد: منازل لإياد، نزلتها لما قاربت الريف، وهو أسفل سواد الكوفة، سميت باسم سنداد من ملوك الفرس.

فَسَلِ « الْمَدَائِنَ » فَهِيَ مَنْجَمٌ عِبْرَةٌ
كَرَّتْ عَلَيْهَا الْحَادِثَاتُ فَلَمْ تَدْعُ
وَاعْكُفْ عَلَى الْهَرَمَيْنِ وَاسْأَلْ عَنْهُمَا
تُبَيِّنُكَ أَلْسِنَةُ الصُّمُوتِ بِمَا جَرَى
أُمَّ خَلَّتْ فَاسْتَعْجَمَتْ أَخْبَارُهَا
فَعَلَامَ يَخْشَى الْمَرْءُ صَرْعَةَ يَوْمِهِ
تَعَسَ امْرُؤٌ نَسِيَ الْمَعَادَ وَمَا ذَرَى
فَاسْتَهْدِ « يَا مَحْمُودُ » رَبِّكَ وَالتَّمِسْ
وَاسْأَلْهُ مَغْفِرَةً لِمَنْ حَلَّ الثَّرَى

عَمَّا رَأَتْ مِنْ حَاضِرٍ أَوْ بَادِي (٤٥)
إِلَّا بَقَايَا أَرْسَمٍ وَعِمَادٍ (٤٦)
« بَلْهَيْبَ » فَهُوَ خَطِيبٌ ذَاكَ الْوَادِي (٤٧)
فِي الدُّهْرِ مِنْ عَدَمٍ وَمِنْ إِيْجَادٍ
حَتَّى غَدَتْ مَجْهُولَةً الْإِسْنَادِ (٤٨)
أَوْ لَيْسَ أَنَّ حَيَاتَهُ لِنَفَادٍ (٤٩)
أَنَّ الْمُنُونَ إِلَيْهِ بِالْمَرْصَادِ (٥٠)
مِنْهُ الْمَعُونَةُ فَهُوَ نِعَمَ الْهَادِي
بِالْأَمْسِ فَهُوَ مُجِيبٌ كُلِّ مُنَادِي

(٤٥) المدائن: مدينة على نهر دجلة، جنوبي بغداد، تبعد عنها بنحو ستة فراسخ، سميت بذلك لعظمتها، وتنسب إلى كسرى أنوشروان بن قباد، وبها إيوانه المشهور، وكانت حاضرة مملكة الفرس قبل الاسلام. ومنجم عبدة: مطلع اعتبار، ومظهر عظة.

(٤٦) الأرسم: جمع رسم، وهو الأثر أو بقيته، أو ما لا شخص له من الآثار. والعماد: الأبنية الرفيعة، واحدها عمادة.

(٤٧) عكف على الشيء: أقبل عليه، ولزمه، ولم ينصرف عنه. ويريد بالهرمين: هرم الملك «خوفو»، وهرم خليفته الملك «خفرع»، وهما من ملوك الأسرة الرابعة التي حكمت مصر قبل ميلاد المسيح عيسى عليه السلام بنحو ثلاثة آلاف عام.

و «بلهيب»: «أبو الهول»، نصب فرعوني ضخم هائل، نحت من صخرة واحدة، جسمه جسم أسد، ووجهه وجه إنسان. وكانوا يرمزون بهما إلى عظمة فرعون، وشدة بأسه، ورجاحة عقله.

(٤٨) خلت: مضت وذهبت. واستعجمت أخبارها: استبهمت وخفيت، وأصله من قولهم: استعجم الرجل، إذا سكت، ولم يقدر على الكلام أصلاً. والإسناد: مصدر أسند القول إلى قائله، أي نسبه إليه.

(٤٩) الصرعة: من صرعه أي أهلكه.

(٥٠) تعس: عثر، وسقط، وأكب على وجهه، وشقي، وهلك. والمعاد: الآخرة، والمرجع والمصير. والمرصاد: الطريق، والمكان يرصد فيه العدو، وقعد له بالمرصاد: أي بطريق الارتقاب والانتظار.

هِيَ مُهْجَةٌ وَدَعْتُ يَوْمَ زِيَالِهَا
تَاللَّهِ مَا جَفَّتْ دُمُوعِي بَعْدَمَا
لَا تَحْسِبْنِي مِلْتُ عَنْكَ مَعَ الْهَوَى
قَدْ كِدْتُ أَقْضِي حَسْرَةً لَوْلَمْ أَكُنْ
فَعَلَيْكَ مِنْ قَلْبِي التَّحِيَّةُ كُلَّمَا
وَقَالَ يَرِيْبِي وَلَدَهُ (★) :

كَيْفَ طَوْتُكَ الْمُنُونُ يَا وَلَدِي ؟
وَكَبِدِي يَا « عَلِيٌّ » بَعْدَكَ ! لَوْ
فَقَدْتُكَ سَلَّ الْعِظَامَ مَنِّي وَرَ
كَمْ لَيْلَةٌ فِيكَ لَا صَبَاحَ لَهَا
دَمْعٌ وَسُهْدٌ وَأَيُّ نَاطِرَةٍ
وَكَيْفَ أُوَدَّعْتُكَ الشَّرَى بِيَدِي ؟
كَانَتْ تَبْلُ الْغَلِيلَ (وَكَبِدِي) (١)
دَّ الصَّبْرَ عَنِّي وَفَتَّ فِي عَضُدِي (٢)
سِهْرُتُهَا بَاكِياً بِلَا مَدَدٍ
تَبْقَى عَلَى الْمَدْمَعَيْنِ وَالسَّهْدِ (٣)

(٥١) الردى : الهلاك .

(٥٢) الهوى : ميل النفس وانحرافها نحو شهواتها، ويطلق على الميل المذموم . والعاد : جمع عادة .

(٥٣) ناحت الحمامة : سجعت ، أي رددت صوتها . والمطوقة : الحمامة ذات الطوق ، وهي التي في عنقها ريش يخالف لونه لون باقي جسمها ، ويشبه الطوق . والأعواد : الأغصان ، واحدها عود .

(★) توفيت بالقاهرة سنة ١٨٨٣ «عديلة يكن» زوجة البارودي ، وبعد وفاتها تزوج في المنفى «أمينة يعقوب سامي» في أواخر سنة ١٨٨٥ وهو في نحو السادسة والأربعين ، وهي ابنة زميله في المنفى والجهاد اللواء «يعقوب سامي» : أحد قادة الثورة العراقية . ومن أولادهما في المنفى «علي» المرثي بهذه القصيدة . وفي بعض أبياتها دلالة على أنه مات في طفولته .

(١) الغليل : شدة العطش وحرارته ، والمراد به (هنا) : حرقة الوجد ، وشدة الحزن .

(٢) السَّلَّ : انتزاعك الشيء ، وإخراجه في رفق ، والمراد بسَلَّ العظام : إضعاف الجسم ، واستلاب قوته . وفَتَّ في عضده : كسر قوته ، وأضعفه .

(٣) السهد : الأرق ، والسهر ، كالسهاد . والناظرة : العين .

لَهْفِي عَلَى لَمْحَةِ النَّجَابَةِ لَوْ
مَا كُنْتُ أُدْرِي إِذْ كُنْتُ أَخْشَى عَلَيَّ
فَاجَانِي الدَّهْرُ فَيْكَ مِنْ حَيْثُ لَا
لَوْلَا اتِّقَاءُ الْحَيَاءِ لَاغْتَضْتُ بِأَلِّ
لَكِنْ أَبَتْ نَفْسِي الْكَرِيمَةَ أَنْ
فَلْيُكِّ قَلْبِي عَلَيْكَ فَالْعَيْنُ لَا
إِنْ يَكُ أَخْنَى الرَّدَى عَلَيْكَ فَقَدْ
عَلَيْكَ مِنِّي السَّلَامُ تَوَدِّعَ لَا

وَقَالَ فِي صِبَاهُ يَرِثِي وَالِدَهُ * :

لَا فَارِسَ الْيَوْمَ يَحْمِي السَّرْحَ بِالْوَادِي
طَاحَ الرَّدَى بِشِهَابِ الْحَرْبِ وَالنَّادِي (١)

(٤) لهف: حزن وتحسر. ويا لهفي: كلمة للتحسر. واللمحة: واحدة الملامح، وهي المشابه، وما بدا من محاسن الوجه. والنجابة: الكرم. والسدد: الاستقامة والصواب، والمراد الكمال وبلوغ الغاية.

(٥) يريد بالعين (هنا): الإصابة بالعين. والحمام: قضاء الموت وقدره.

(٦) الختل: مصدر ختلته، أي خدعه.

(٧) ثلمه: كسره. والعزاء: الصبر. والكمد: الحزن المكتوم.

(٨) الخلد: القلب. يريد أن حزن العين الذي ظهر في إرسالها دمعها لا يصل إلى منزلة حزن القلب.

(٩) أخنى عليه: أهلكه. والردى: الهلاك. والضنى: المرض، وهو يريد المرض الذي جلبه إليه الحزن.

(١٠) قال: مبغض كاره. ومضطهد: مقهور، مغلوب على أمره.

(★) نظم البارودي هذه القصيدة وهو في الأستانة في نحو سنة ١٨٦٠ في عنفوان شبابه، وفوران شاعريته، وهي من أوائل ما أعلنه من شعره الناضج الرصين.

(١) السرح: الأنعام والدواب والماشية التي تسرح. وطاح: ذهب. والردى: الهلاك. والشهاب: الماضي في الأمر، وأصله الشعلة الساطعة من النار.

مَاتَ الَّذِي تَرَهَّبُ الْأَقْرَانَ صَوْلَتَهُ
هَانَتْ لِمَيْتَتِهِ الدُّنْيَا وَزَهَّدَنَا
هَلْ لِلْمَكَارِمِ مَنْ يُحْيِي مَنَاسِكَهَا ؟
جَفَّ النَّدَى وَأَنْقَضَى عُمُرُ الْجَدَا وَسَرَى
فَلْتَمَرِحِ الْخَيْلُ لَهَوًا فِي مَقَاوِدِهَا
مَضَى وَخَلَّفَنِي فِي سِنِّ سَابِعَةٍ
إِذَا تَلَفْتُ لَمْ أَلْمَحْ أَحَاثِقَةً
فَالْعَيْنُ لَيْسَ لَهَا مِنْ دَمْعِهَا وَزُرُّ
فَإِنْ أَكُنْ عِشْتُ فَرْدًا بَيْنَ أَصْرَتِي
بَلَّغْتُ مِنْ فَضْلِ رَبِّي مَا غَنَيْتُ بِهِ
فَمَا مَدَدْتُ يَدِي إِلَّا لِمَنْحِ يَدِ
تَبِعْتُ نَهْجَ أَبِي فَضْلًا وَمَحْمِيَّةً
أَبِي وَمَنْ كَأَبِي فِي الْحَيِّ نَعْلَمُهُ

(٢) الأقران: جمع قرن، وهو كفؤك في الشجاعة، ومن يقاومك في قتال أو غيره. والصولة: السطوة، والاستطالة. والضرغامة: الأسد. والعادي: الجائر الجبار.

(٣) المناسك: العبادات، أو مواضعها. والمراد بها (هنا): أعمال الكرم ومظاهره وفعل الخير.

(٤) الندى: الفضل، والكرم، والسخاء. والجداء: العطاء والفضل.

(٥) المقاود: جمع مقود، وهو الحبل يشد في الزمام، وتقاد به الدابة. والبيض: السيوف، واحداها أبيض.

(٦) الإبراق والإرعاد: المراد بهما التهديد والوعيد.

(٧) الوزر: المعقل والملجأ والمعتصم.

(٨) الأصرة: الرحم والقربة. والأنداد: جمع ندى، وهو المثل والنظير.

(٩) القاري من الأملاك: الذي يكون في القرية. والبادي: الذي يكون في البادية.

(١٠) المحمية: مصدر حمى الرجل الشيء يحميه حمياً ومحمية: إذا منعه وصانه.

مَهْدُبُ النَّفْسِ غَرَاءُ شَمَائِلُهُ بَعِيدُ شَأْوِ الْعُلَا طَلَاغُ أَنْجَادِ (١١)
 قَدْ كَانَ لِي وَزراً آوِي إِلَيْهِ إِذَا غَاصَ الْمَعِينُ وَجَفَّ الزَّرْعُ بِالْوَادِي (١٢)
 لَا يَسْتَبِيدُ بِرَأْيٍ قَبْلَ تَبْصِرَةِ وَلَا يَهُمُّ بِأَمْرِ قَبْلَ إِعْدَادِ
 تَرَاهُ ذَا أَهْبَةِ فِي كُلِّ نَائِبَةِ كَاللَّيْثِ مُرْتَقِباً صَيْداً بِمِرْصَادِ (١٣)

وَقَالَ وَهُوَ بِسَرَنْدِيبَ (*) يَتَشَوَّقُ إِلَى مِصْرَ :

تَرْحَلُ مِنْ وَادِي الْأَرَاكَةِ بِالْوَجْدِ فَبَاتَ سَقِيماً لَا يُعِيدُ وَلَا يُبْدِي (١)
 سَقِيماً تَظَلُّ الْعَائِدَاتُ حَوَانِيأً عَلَيْهِ بِإِشْفَاقٍ وَإِنْ كَانَ لَا يُجْدِي (٢)
 يَخْلُنَ بِهِ مَسّاً أَصَابَ فُؤَادَهُ وَلَيْسَ بِهِ مَسٌّ سِوَى حُرْقِ الْوَجْدِ
 بِهِ عِلَّةٌ إِنْ لَمْ تُصِبْهَا سَلَامَةٌ مِنْ اللَّهِ كَادَتْ نَفْسَ حَامِلِهَا تُرْدِي
 وَمِنْ عَجَبِ الْأَيَّامِ أَنِّي مُوَلِّعٌ بِمَنْ لَيْسَ يَعْنِيهِ بُكَائِي وَلَا سُهْدِي
 أُبَيْتُ عَلِيلاً فِي « سَرَنْدِيبَ » سَاهِراً أُعَالِجُ مَا أَلْقَاهُ مِنْ لَوْعَتِي وَحْدِي

(١١) غراء: شريفة كريمة. والشمائيل: الأخلاق والسجايا والطبائع. والشأو: الأمد والغاية. والأنجاد: جمع نجد، وهو ما ارتفع من الأرض. وطلاغ أنجاد: ضابط للأمر، ركاب لصعابها، شجاع غالب.

(١٢) الوزر: المعقل والملجأ والمعتصم. والمعين: الماء الظاهر الجاري على وجه الأرض.

(١٣) الأهبة: العدة. والمرصاد: طريق الارتقاب والانتظار.

(*) سرنديب «سيلان» جزيرة كبيرة بالمحيط الهندي، في الجنوب الشرقي للهند. نفي إليها البارودي عقب الثورة العراقية في صفر سنة ١٣٠٠ هـ (ديسمبر سنة ١٨٨٢ م).

(١) الأراكة: شجرة يستاك بقضبانها، وهي طويلة ناعمة، كثيرة الورق والأغصان، خوارة العود، ولها ثمر في عناقيد يسمى البربر، يملأ العنقود الكف. وقد كنى الشاعر بوادي الأراكة عن مصر.

(٢) العائدات: جمع عائدة، اسم فاعل من عدت المريض أعوده عيادة. وحوان: جمع حانية، اسم فاعل من حنا عليه، أي عطف.

أَدُورُ بَعَيْنِي لَا أَرَى وَجْهَ صَاحِبِ
وَمِمَّا شَجَانِي بَارِقُ طَارَ مَوْهِنًا
يَمَزُقُ أَسْتَارَ الدُّجْنَةِ ضَوْوُهُ
أَرِقْتُ لَهُ وَالشُّهْبُ حَيْرَى كَلِيلَةٌ
فَبِتُّ كَأَنِّي بَيْنَ أَنْيَابِ حَيَّةٍ
أَقْلَبُ طَرْفِي وَالنُّجُومُ كَأَنَّهَا
وَلَا صَاحِبٌ غَيْرُ الْحَسَامِ مَنُوطَةٌ
إِذَا حَرَّكَتُهُ رَاحَتِي لِمِلْمَةٍ
أَشَدُّ مَضَاءً مِنْ فُؤَادِي عَلَى الْعِدَا
يَرِيحُ لَصَوْتِي أَوْ يَرِقُّ لِمَا أَبْدِي (٣)
كَمَا طَارَ مُنْبِتُ الشَّرَارِ مِنَ الزُّنْدِ (٤)
فَيَنْسِلُهَا مَا بَيْنَ غُورٍ إِلَى نَجْدِ (٥)
مِنَ السَّيْرِ وَالْأَفَاقِ حَالِكَةٌ الْبُرْدِ (٦)
مِنَ الرَّقْطِ أَوْ فِي بُرْثَنِي أَسَدٍ وَرْدِ (٧)
قَتِيرٌ مِنَ الْيَاقُوتِ يَلْمَعُ فِي سَرْدِ (٨)
حَمَائِلُهُ مِنِّي عَلَى عَاتِقِ صَلْدِ (٩)
تَطَّلَعُ نَحْوِي يَشْرَبُ مِنَ الْغَمْدِ (١٠)
وَأَبْطَأُ نَصْرِي عَلَى الشُّوقِ مِنْ «فِنْدِ» (١١)

(٣) يريح لصوتي: يرجع إليه، ويهتم به.

(٤) شجاني: حزني. ويريد بالبارق: البرق. وموهناً: في نصف الليل، أو بعد ساعة منه. ومنبت: منتشر متفرق. والزند: العود الذي تقدح به النار، أي توري، وتشعل.

(٥) الدجنة: الظلمة. وينسلها: يمزقها، ويسقطها شيئاً فشيئاً. والغور: ما اطمأن من الأرض. والنجد: ما ارتفع من الأرض.

(٦) كليلة: صفة من كل يكَل كلالة، أي تعب، وأعياء. والآفاق: النواحي، واحدها أفق (بضم تين). وحالكة: شديدة السواد. والبرد: الثوب.

(٧) الرقط: جمع رقطاء، وهي الحية التي يشوب سوادها نقط بياض، أو العكس. والبرثن (بوزن القنفذ) من السباع: كالإصبع من الإنسان، أو هو الكف مع الأصابع، أو هو مخلب الأسد. وأسد ورد: جريء، أو وردي اللون، وهو الذي بين الكميت والأشقر.

(٨) القتير: رؤوس مسامير الدروع. والسرد: اسم جامع للدروع وسائر الحلق.

(٩) الحمائل: جمع حمالة، وهي علاقة السيف. والعاتق: ما بين المنكب والعنق. وصلد: قوي صلب.

(١٠) الملمة: النازلة من نوازل الدهر وحوادثه. ويشرب: يرتفع، كمن يمد عنقه إلى شيء لينظره. والغمد: غلاف السيف وجرابه وقرابه.

(١١) فند: اسم أبي زيد، مولى عائشة بنت سعد بن أبي وقاص، أرسلته سيدته ليأتيها بنار، فوجد قوماً يخرجون إلى مصر، فتبعهم وأقام بها سنة، ثم قدم فأخذ ناراً، وجاء يعدو، فعثر، وتبدد الجمر، فقال: تعست العجلة، فقيل: «أبطأ من فند»، وضرب به المثل في البطء.

أَقُولُ لَهُ وَالْجَفْنُ يَكْسُو نَجَادَهُ
لَقَدْ كُنْتُ لِي عَوْنًا عَلَى الدَّهْرِ مَرَّةً
فَقَالَ إِذَا لَمْ تَسْتَطِعْ سَوْرَةَ الْهَوَى
وَهَلْ أَنَا إِلَّا شِقَّةٌ مِنْ حَدِيدَةٍ
فَمَا كُنْتُ لَوْلَا إِنْبِي وَاهِنُ الْقُوَى
فَدُونَكَ غَيْرِي فَاسْتَعْنُهُ عَلَى الْجَوَى
خَلِيلِي هَذَا الشُّوقُ لَا شَكَّ قَاتِلِي
فَفِي ذَلِكَ الْوَادِي الَّذِي أَنْبَتَ الْهَوَى
مَلَاعِبُ لَهْوٍ طَالَمَا سِرْتُ بَيْنَهَا
إِذَا ذَكَرْتَهَا النَّفْسُ سَأَلَتْ مِنَ الْأَسَى
فَيَا مَنْزِلًا رَقَرْتُ مَاءَ شَبِيبَتِي
سَرْتُ سَحْرًا فَاسْتَقْبَلْتِكَ يَدُ الصَّبَا

دُمُوعًا كَمُرْفُضِ الْجُمَانِ مِنَ الْعِقْدِ (١٢)
فَمَا لِي أَرَاكَ الْيَوْمَ مُنْتَلِمًا الْحَدَّ (١٣)
وَأَنْتَ جَلِيدُ الْقَوْمِ مَا أَنَا بِالْجَلْدِ
أَلَحَّ عَلَيْهَا الْقَيْنُ بِالطَّرْقِ وَالْحَدُّ؟ (١٤)
أَعْلَقُ فِي خَيْطٍ وَأُحْبَسُ فِي جِلْدِ
وَدَعْنِي مِنَ الشُّكْوَى فِدَاءُ الْهَوَى يُعْدِي (١٥)
فَمِيلًا إِلَى « الْمِقْيَاسِ » إِنْ خِفْتُمَا فَقَدِي (١٦)
شِفَائِي مِنْ سُقْمِي وَبُرْئِي مِنْ وَجْدِي (١٧)
عَلَى أَثْرِ اللَّذَاتِ فِي عَيْشَةٍ رَغْدِ
مَعَ الدَّمْعِ حَتَّى لَا تُنْهَنَهُ بِالرَّدِّ (١٨)
بِأَفْنَائِهِ بَيْنَ الْأَرَاكَةِ وَالرَّنْدِ (١٩)
بِأَنْفَاسِهَا وَأَنْشَقَّ فَجْرُكَ بِالْحَمْدِ (٢٠)

(١٢) النجاد: حمائل السيف وعلاقاته. والمرفض: المنشور المتفرق. والجمان: اللؤلؤ.

(١٣) منتلم: منكسر.

(١٤) القين: الحداد، وصانع السيوف. والحد: مصدر حد، الصانع السيف ونحوه إذا شحذه، أي مسحه بحجر أو مبرد ليصير حاداً.

(١٥) الجوى: هوى باطن، والحزن، والحرقه، وشدة الوجد.

(١٦) يريد بالمقياس: روضة المقياس، وهي جزيرة في النيل شرقي الجيزة، وغربي مصر القديمة.

(١٧) السقم: المرض. والوجد: الحزن.

(١٨) الأسى: الحزن. وتنهنه: تكف.

(١٩) رقرق الماء وغيره: صبه رقيقاً، والمراد أنه قضى في هذا المنزل زمن شبابه. والأفناء: جمع فناء، وهو ما امتد من جوانب الدار، أو هو سعة أمامها، ويسمى الوصيد. والأراكة: شجرة طويلة ناعمة، كثيرة الورق والأغصان، ولها ثمر في عناقيد يسمى البربر، يملأ العنقود الكف، وشجر الأراك يستاك بقضبانته. والرند: شجر طيب الرائحة، وأصله من شجر البادية.

(٢٠) سحراً: قبيل الصبح. والصبأ: ريح تهب من مطلع الشمس، وهي أحب الرياح إلى أهل الجزيرة العربية، ولهذا تغنى بها الشعراء كثيراً.

وَزَرَّ عَلَيْكَ الْأَفْتُ طَوْقَ غَمَامَةٍ
 فَلَسْتُ بِنَاسٍ لَيْلَةً سَلَفَتْ لَنَا
 إِذِ الْعَيْشُ رِيَانُ الْأَمَالِيدِ وَالْهَوَى
 مُنْعَمَةٌ لِلْبَدْرِ مَا فِي قِنَاعِهَا
 سَبْتَنِي بِعَيْنَيْهَا وَقَالَتْ لِتَرْبِهَا
 وَلَمْ تَدْرِ ذَاتَ الْخَالِ وَالْحُبُّ فَاصِحٌ
 حَنَّانِيكَ إِنَّ الرَّأْيَ حَارَ دَلِيلُهُ
 فَلَا تَسْأَلِي مِنِّي الزِّيَادَةَ فِي الْهَوَى
 وَهَأَنَّا مُنْقَادٌ كَمَا حَكَمَ الْهَوَى
 فَلَوْ قُلْتِ قُمْ فَاصْعَدِي إِلَى رَأْسِ شَاهِقٍ
 لَأَلْقَيْتُهَا طَوْعاً لَعَلَّكَ بَعْدَهَا
 سَجِيَّةً نَفْسٍ لَا تَخُونُ خَلِيلَهَا

(٢١) زَرَّ الرجل القميص زراً: أدخل الأزرار في العرى . وطوق غمامة: غمامة كالطوق . وخضبية: من خضبت اليد وغيرها خضباً بالخضاب، وهو الحناء ونحوه . وحنانة: صيغة مبالغة من الحنين، وهو صوت الطرب عن حزن أو فرح، والحنانة (أيضاً): القوس المصوتة .

(٢٢) تغرّ: تخدع . وتسدي: تمنح وتعطي .

(٢٣) الأماليد: جمع أملود أو إمليد: وهو الغصن الناعم اللين . ولمياء: علم مؤنث، كنى به الشاعر عن محبوبته .

(٢٤) للبدر ما في قناعها: أي وجهها كالبدر . والبند: الحزام . كنى بما في قناعها عن وجهها، وبما دارت به عقدة البند عن خصرها .

(٢٥) سبتني: أسرتني . وتربها: من تماثلها في سنّها . والغرّ: الشاب لا تجربة له كالغريبر .

(٢٦) الخال: الاختيال، والكبر، والإعجاب . وهو أيضاً شامة مستحسنة تزين خد المرأة .

(٢٧) حنانيك: تحنني وترحمي عليّ مرّة بعد مرّة، وحناناً بعد حنان . وحرار دليله: أي ضلّ وتحير .

(٢٨) الشاهق: الجبل المرتفع . وأشرف الجبل ونحوه: علاه . والوهد: الأرض المنخفضة .

(٢٩) السجّية: الغريزة والخلق والطبيعة .

وَإِنِّي لَمِقْدَامٌ عَلَى الْهَوْلِ وَالرَّدَى
وَإِنِّي لَقَوَالٌ إِذَا التَّبَسَّ الْهُدَى
فَإِنْ صُلْتُ فَدَانِي الْكَمِيُّ بِنَفْسِهِ
وَلِي كُلُّ مَلَسَاءِ الْمُتُونِ غَرِيبَةٍ
أَخَفْتُ عَلَى الْأَسْمَاعِ مِنْ نَعْمِ الْحَدَا
مُخَدَّرَةٌ تَمْحُوبًا ذِيَالِ حُسْنِهَا
كَذَلِكَ إِنِّي قَائِلٌ ثُمَّ فَاعِلٌ
وَقَالَ وَهُوَ بِهَا أَيْضاً (★) :

هَلْ لِسَلَامِ الْعَلِيلِ رَدٌّ؟
أَبَيْتُ أَرَعَى الدُّجَى بَعِينٍ
أَمْ لِيَصْبَاحِ اللَّقَاءِ وَعَدُّ؟
غَذَاؤُهَا مَدْمَعٌ وَسُهْدٌ (١)

(٣٠) الردى: الهلاك.

(٣١) قَوَالٌ: فصيح ينطق بالسديد الصائب من القول. والتبس: اختلط واشتبه. والحلوم: جمع حلم، وهو الأناة، والعقل. والمراد بسنن القصد: طريق الصواب.

(٣٢) صال: سطا، واستطال، وهجم على قرنه في القتال. والكمي: الشجاع، أو لابس السلاح.
(٣٣) يريد بملساء المتون: القصيدة السلسة العذبة السهلة السائغة. وبنو سعد: بطن من هوازن، وهوازن من قيس عيلان، وقيس عيلان من مضر، كبرى القبائل العدنانية، ومن هؤلاء حليمة بنت أبي ذؤيب مرضعة النبي صلى الله عليه وسلم، وكان بنو سعد من أفصح العرب. وسعد أيضاً: حي من قبيلة قريش أفصح القبائل العربية.

(٣٤) الحداء: الغناء للإبل، لحثها على السير، وقصر لضرورة وزن الشعر.

(٣٥) جارية مخدرة: لزمت خدرها، وهو الستر، أو البيت. شبه كل قصيدة من قصائده بالفتاة المخدرة. والأساطير: الأباطيل.

(٣٦) ينير: مضارع أنار الحائك الثوب: إذا جعل له نيراً. والنير: لحمة الثوب، وهي ما ينسج منه عرضاً. والنير أيضاً: علم الثوب وهدبه. ويسدي: مضارع أسدى الثوب، إذا أقام سداه، وهو خلاف لحمته، أي ما يمدّ طولاً في النسيج.

(★) وهو بها: أي وهو في منفاه بجزيرة «سرنديب».

(١) أرعى: أنظر. والدجى: جمع دجية، وهي الظلمة.

لَا صَاحِبَ إِنْ شَكَّوتُ حَالِي يَرِثِي وَلَا سَامِعٌ يَرُدُّ
 بَيْنَ قِنَانٍ عَلَى نَرَاهَا مِنْ سُتْرَاتِ الْغَمَامِ بُرْدُ^(٢)
 أَظْلُ فِيهَا أَنْوْحُ فَرْدًا وَكُلُّ نَائِي الدِّيَارِ فَرْدُ
 فَمَنْ لِقَلْبِي بِظَبِّي وَإِ بَيْنَ وَشِيحِ الرَّمَاحِ يَعْدُو؟^(٣)
 صَارَ بِحُكْمِ الْهَوَى مَلِيكِي وَمَا لِحُكْمِ الْهَوَى مَرْدُ
 يَا سَعْدُ قُلْ لِي فَأَنْتَ أَدْرَى مَتَى رِعَانُ الْعَقِيقِ تَبْدُو؟^(٤)
 أَشْتَاقُ نَجْدًا وَسَاكِنِيهِ وَأَيْنَ مِنِّي الْغَدَاةَ نَجْدُ؟^(٥)
 ذَابَ فُؤَادِي بِحُبِّ لَيْلِي يَا لِفُؤَادِ بَرَاهُ وَجْدُ!
 فَكَيْفَ أُمْسِي بِغَيْرِ قَلْبٍ؟ يَا نُورَ عَيْنِي وَكَيْفَ أَغْدُو؟^(٦)
 لِكُلِّ شَيْءٍ وَإِنْ تَمَادَى حَدُّ وَمَا لِلْغَرَامِ حَدُّ
 فَلَيْسَ قَبْلَ الْغَرَامِ قَبْلُ وَلَيْسَ بَعْدَ الْغَرَامِ بَعْدُ
 فَهَلْ لِنَيْلِ الْوِصَالِ يَوْمًا بَعْدَ مَدِيدِ الصُّدُودِ عَهْدُ؟^(٧)
 وَهَلْ أَرَانِي رَفِيقَ حَادٍ بِمَدْحِ خَيْرِ الْأَنَامِ يَحْدُو؟^(٨)

(٢) القنان: جمع قنة، وهي قمة الجبل أي أعلاه.

(٣) الظبي: الغزال، وتشبه به الحسنة في الرشاقة، وحسن طول العنق، وجمال العيون،

واتساعها. وشيخ الرماح: الرماح المشتبكة، يكنى بهذا عن أن محبوبته في منعة من قومها.

(٤) الرعان: جمع رعن، وهو أنف يتقدم الجبل، أو هو الجبل الطويل. والعقيق: الوادي، وكل

مسيل شقه ماء السيل، ومواضع بالمدينة واليمامة والطائف وتهامة ونجد. والمقصود (هنا):

عقيق نجد، والشاعر يكنى به عن وطنه وديار أهله.

(٥) نجد: اسم للأراضي العالية في وسط جزيرة العرب.

(٦) أغدو (هنا): أذهب، وأنطلق.

(٧) الصدود: الإعراض، والهجران.

(٨) الحادي: اسم فاعل من حدا الإبل يحدوها: إذا ساقها، وحثها على السير بالغناء لها. والأنام:

الخلق، والناس. وخير الأنام: سيدنا ومولانا محمد صلى الله عليه وسلم.

عَسَى إِلَهِي يَفُكُّ أَسْرِي
فَهُوَ فَعُولٌ لِمَا يَوَدُّ
وَقَالَ وَهُوبَهَا أَيضاً (★) :

أَنْسِيْمُ سَرَى بِنَفْحَةِ رَنْدٍ ؟
أَطْرَبْتَنِي أَنْفَاسُهُ فَكَأَنِّي
وَأَخُو الْوَجْدِ لَا يَزَالُ طَرُوباً
طَالَ شَوْقِي إِلَى الدِّيَارِ وَلَكِنْ
حَبَّذا النَّيْلُ حِينَ يَجْرِي فَيُيْدِي
تَتَشَّى الْغُصُونُ فِي حَافَتَيْهِ
قَلَّدَتْهَا يَدُ الْغَمَامِ عُقُوداً
كَيْفَ لَا تَهْتِفُ الْحَمَامُ عَلَيْهِ ؟
هُوَ مَرْمَى نَبْلِي وَمَلْعَبُ خَيْلِي
كُلَّمَا صَوَّرْتَهُ نَفْسِي لِعَيْنِي

أَمْ رَسُولٌ أَدَى تَحِيَّةَ هِنْدٍ (١) ؟
مِلْتُ سُكْرًا مِنْ جُرْعَةٍ مِنْ (بِرَنْدِي) (٢)
يَتَّبِعُ الشَّوْقَ بَيْنَ سَهْلٍ وَفِنْدٍ (٣)
أَيْنَ مِنْ (مِضْرَ) مَنْ أَقَامَ (بِكَنْدِي) ؟ (٤)
رَوْنَقَ السَّيْفِ وَاهْتِزَّازَ الْفِرْنَدِ (٥)
كَالْعَذَارَى يَسْحَبْنَ وَشِي الْفِرْنَدِ (٦)
هِيَ أَبْهَى مِنْ كُلِّ عِقْدٍ وَبَنْدٍ (٧)
وَهِيَ تُسْقَى بِهِ سُلَافَةَ قَنْدٍ (٨)
وَحِمَى أَسْرَتِي وَمَمْرَكُزُ بَنْدِي (٩)
قَدَحَ الشَّوْقُ فِي الْفُؤَادِ بِزَنْدٍ (٩)

(★) وهو بها: أي في منفاه بجزيرة «سرنديب».

(١) النفحة: الرائحة. والرند: شجر طيب الرائحة، أو هو العود، أو الآس.

(٢) الفند: الجبل العظيم.

(٣) كندي: اسم مدينة صغيرة في وسط جزيرة سيلان «سرنديب» التي كان الشاعر منفياً بها.

(٤) الفرند: السيف وجوهره ووشيه.

(٥) الوشي: نقش الثوب، ويكون من كل لون. والفرند: نوع من الثياب، معرّب.

(٦) قلّدت المرأة تقليداً: جعلت القلادة في عنقها. وأبهى: أحسن. والبند: الحزام.

(٧) السلافة: أفضل الخمر، وأخلصها. وسلافة كل شيء عصرته أي أوله. والقند: عسل قصب السكر إذا جمّد.

(٨) النبل: انسهام العربية. والحمى: المكان المحمي الذي لا يقرب، ولا يجترأ عليه. والبند: العلم الكبير، فارسي معرّب.

(٩) قدح بالزند: رام الإبراء به، أي ضرب به الزندة لإخراج النار منها. والزند: العود الذي تقدح به النار.

لِي بِهِ صَاحِبٌ عَلِيٌّ عَزِيزٌ مِثْلُ مَا عِنْدَهُ مِنَ الشُّوقِ عِنْدِي (١٠)
أَتَمَّنَّاهُ غَيْرَ أَنَّ فُؤَادِي مِنْ إِسَارِ النَّوَى مُحَاطٌ بِجُنْدِ (١١)
فَاهْدِ مِنِّي لَهُ تَحِيَّةَ صِدْقٍ وَتَلَطَّفْ بِحَالَتِي يَا (أَفْنَدِي) !
أَنَا وَاللَّهِ مُغْرَمٌ بِهِوَاهُ حَيْثُمَا دُرْتُ بَيْنَ هِنْدٍ وَسِنْدِ
إِنَّ شَوْقِي إِلَيْهِ أَسْرَعُ شَأْوًا مِنْ (سُلَيْكٍ) وَالْوَصْلُ فِي بَطْءِ (فِنْدِ) (١٢)
أَسْأَلُ الدَّهْرَ نِعْمَةَ الْقُرْبِ مِنْهُ وَهُوَ كَزُّ بِنِعْمَةٍ لَيْسَ يُنْدِي (١٣)
لَوْ سَوَى الدَّهْرِ رَامَ غَبْنِي لِأَصْحَرُ تٌ مُشِيحًا بِالنَّصْلِ فَوْقَ سَمْنِدِ (١٤)
لَسْتُ أَقْوَى عَلَى الزَّمَانِ وَإِنْ كُنْتُ تٌ أَفْلُ الْعِدَا بِقُوَّةِ زَنْدِي (١٥)

وَقَالَ وَهُوَ بِهَا أَيْضًا (★) :

(١٠) قيل إنه يعني بصاحبه العزيز عليه صديقه الشيخ «محمد عبده»، ولم يصرح باسمه خوفاً عليه من نقمة الحاكمين في مصر.

(١١) الإِسَارُ: وهو سير من جلد يشدُّ به الأسير، أو هو مصدر أسره يأسره أسراً وإِسَاراً. والنوى: البعد.

(١٢) الشَّوْ: السبق. وسليك بن يثربي بن سنان، واشتهر بابن سلركة، وهي أمه: شاعر لصّ فتاك عداء، وهو أحد السعاة الأربعة المضروب بهم المثل في العدو، والجري، والسبق. والثلاثة هم: تَابُطُ شَرًّا، والشنفرى، وعمرو بن أمية الضميرى. وفند: اسم أبي زيد مولى عائشة بنت سعد بن أبي وقاص، وكانت أرسلته ليأتيها بنار، فوجد قوماً يخرجون إلى مصر فتبعهم، وأقام بها سنة، ثم قدم فأخذ ناراً، وجاء يعدو، فعثر، وتبدد الجمر، فقال: «تعست العجلة»، فقيل: «أبطأ من فند».

(١٣) كَزُّ: منقبض يابس بخيل. وليس يندي: ليس يعطي.

(١٤) الغبن: العدوان والظلم، وأصله الخديعة. وأصحر: برز إلى الصحراء، وهو يكتي بالإصحار عن الشجاعة والبروز للقتال. والمشيح: المقبل عليك، والمانع لما وراء ظهره. والنصل: حديدة الرمح، والسيف ما لم يكن له مقبض، والمراد به (هنا): الرمح أو السيف. والسمند: الفرس، وهي كلمة فارسية.

(١٥) أَفْلٌ: أكسر، وفلّ الجيش: هزمه. والزند: موصل طرف الذراع في الكف، وهو من مواطن القوة في الإنسان.

(★) وهو بها: أي وهو بجزيرة «سرنديب» واسمها أيضاً «سيلان».

خَلِيلِي هَلْ طَالَ الدُّجَى أَمْ تَقَيَّدَتْ كَوَاكِبُهُ أَمْ ضَلَّ عَنْ نَهْجِهِ الْغَدُ^(١)
أَبِيْتُ حَزِينًا فِي « سَرْنَدِيبَ » سَاهِرًا طَوَالَ اللَّيَالِي وَالْخَلِيُونَ هُجَّدُ^(٢)
أَحَاوِلُ مَا لَا أُسْتَطِيعُ طِلَابَهُ كَذَا النَّفْسُ تَهْوَى غَيْرَ مَا تَمْلِكُ الْيَدُ
إِذَا خَطَرْتُ مِنْ نَحْوِ حُلْوَانَ نَسْمَةً نَزَتْ بَيْنَ قَلْبِي شُعْلَةٌ تَتَوَقَّدُ^(٣)
وَهَيْهَاتَ مَا بَعْدَ الشَّيْبَةِ مَوْسِمُ يَطِيبُ وَلَا بَعْدَ الْجَزِيرَةِ مَعْهَدُ^(٤)
شَبَابٌ وَإِخْوَانٌ رُزْتُ وَدَادُهُمْ وَكُلُّ أَمْرِي فِي الدَّهْرِ يَشْقَى وَيَسْعَدُ^(٥)
وَمَا كُنْتُ أَخْشَى أَنْ أَعِيشَ بِغُرْبَةٍ يُعَلِّلْنِي فِيهَا خَوْيِدِمٌ أَسْوَدُ^(٦)

وَقَالَ فِي هَوَى لَهُ :

أَرَى نَفْحَةً دَلَّتْ عَلَى كَيْدِي الْوَجْدَا فَمَنْ كَانَ « بِالْمِقْيَاسِ » أَقْرَبُكُمْ عَهْدًا؟^(١)
مَلَاعِبُ آرَامٍ وَمَجْرَى جَدَاوِلٍ وَمُلْتَفُّ أَفْنَانٍ تَقِي الْحَرَّ وَالْبَرْدَا^(٢)

(١) الدجى : جمع دجية، وهي الظلمة، والمراد الليل. والنهج : الطريق الواضح.
(٢) الخليون : جمع خلي، وهو الخالي من الهم. وهجد : جمع هاجد، اسم فاعل من هجد، أي نام ليلاً.
(٣) خطرت : أتت. وحلوان : من مدن مصر، على بعد خمسة وعشرين ألف متر جنوبي القاهرة. ونزت : وثبت، وتقلبت.
(٤) يريد بالموسم : الزمن، وأصله المعلم، يجتمع إليه الناس، ومنه موسم الحج. ويريد بالجزيرة : روضة المقياس في نهر النيل شرقي الجزيرة وغربي مصر القديمة. والمعهد : المنزل المعهود به الشيء.
(٥) معنى رزت ودادهم : أنني أصبت بفقدان مودتهم، لبعدي عنهم.
(٦) علله بطعام وغيره تعليلاً : شغله به. والمراد يخدمني، ويقوم بأمرى.
(١) النفحة من الريح : الدفعة، أو النسمة. وروضة المقياس، وقد تسمى روضة المنيل : جزيرة في النيل شرقي الجزيرة، وغربي مصر القديمة، تغيرت الآن معالمها، وقلت بها القصور والحدائق، وظواهر البهجة التي فتنت البارودي، فتغنى بها، ومال إليها، وكثر تنويبه بمحاسنها.
(٢) الآرام : الطباء البيض الخالصة البيضاء، واحدها رثم، وتشبه به المرأة في جمال العيون واتساعها، وحسن طول العنق، والرشاقة، والبياض. والأفنان : الأغصان، واحدها فن.

إِذَا انْبَعَثَتْ فِيهِ النَّسَائِمُ خِلْتَهَا
 كَأَنَّ الصَّبَا تُلْقَى عَلَيْهِ إِذَا جَرَتْ
 أَقَامَ الرَّيِّعُ الطَّلُقُ فِي حَجَرَاتِهَا
 فَلِلَّهِ كَمِّ مِنْ صَبُوءَةٍ كَانَ لِي بِهَا
 إِذِ الدَّهْرُ لَمْ يُخْفِرْ ذِمَاماً وَلَمْ يَخُنْ
 تَدُورُ عَلَيْنَا بِالْأَحَاطِي شُمُوسُهُ
 وَيَا رَبَّ لَيْلٍ لَفْنَا بِرِدَائِهِ
 وَلَثِمِ تَوَالِي إِثْرِ لَثْمٍ بِثَغْرِهَا
 فَتَاةٌ كَأَنَّ اللَّهَ صَوَّرَ لِحَظَهَا
 لَهَا عِبَثَاتٌ عِنْدَ كُلِّ تَحِيَّةٍ
 إِذَا انْفَتَلَتْ بِالْكَاسِ خِلَتْ بَنَانِهَا
 تُنِيرُ عَلَى مَتْنِ الْغَدِيرِ بِهِ بُرْدًا^(٣)
 مَسَائِلُ فِي الْأَرْقَامِ أَوْ تَلْعَبُ النَّرْدًا^(٤)
 وَأَسْدَى لَهَا مِنْ نِعْمَةِ النَّيْلِ مَا أُسْدَى^(٥)
 رَوَّاحٌ إِلَى حُسَانَةِ الْجَيْدِ أَوْ مَغْدَى^(٦)
 نِظَامًا وَلَمْ يَحْمِلْ عَلَى ذِي هَوَى حِقْدًا^(٧)
 وَتُمْسِي عَلَيْنَا طَيْرٌ أَنْجُمِهِ سَعْدًا^(٨)
 عِنَاقًا كَمَا لَفَّ الصَّبَا الْبَانَ وَالرَّنْدًا^(٩)
 كَمَا شَافَهُ الْبَازِي عَلَى ظَمًا وَرْدًا^(١٠)
 لِيَهْتِكَ أَسْرَارَ الْقُلُوبِ بِهِ عَمْدًا
 تَسُوقُ إِلَيْهَا عَنْ فَرَائِسِهَا الْأُسْدَا^(١١)
 تُدِيرُ عَلَيْنَا مِنْ جَنَى خَدِّهَا وَرْدًا^(١٢)

- (٣) تنير: تنسج. والمتن: الظهر. ويريد بالغدير: الجدول. والبرد: ثوب مخطط.
- (٤) الصبا: ريح تهب من مطلع الشمس. والنرد: لعبة فارسية الأصل، تعرف عند العامة بـ «الطاولة».
- (٥) الطلق: المشرق الضاحك. والحجرات: النواحي. وأسدى: أعطى.
- (٦) الصبوة: جهلة الفتوة، وصبا إلى حبيته صبوة وصبواً، حن إليها، واشتاق. والرواح: الذهب والانطلاق. والحسانة: الجميلة، الشديدة الحسن. والمغدى: من الغدو، وأصله الذهب والانطلاق في أول النهار.
- (٧) لم يخفر ذماماً: لم ينقض عهداً.
- (٨) الأحاطي: جمع حظ، وهو النصيب والجد، أو هو خاص بالنصيب من الخير والفضل.
- (٩) البان: نوع من الشجر، الواحدة بانة. والرند: شجر طيب الرائحة من أشجار البادية، والرند أيضاً: الأس لطيبه، وربما سموا العود رنداً.
- (١٠) اللثم: التقييل. وشافه: قارب. والبازي: نوع من الصقور. والورد: النصيب من الماء.
- (١١) العبثات: جمع عبثة، من العبث: وهو اللعب.
- (١٢) انفتلت: دارت. والبنان: الأصابع، أو أطرافها، واحدها بنانة.

وَمَا أَنَسَهُ لَا أَنَسَ يَوْمًا تَسَابَقَتْ
 فَلَمْ أَرْ لِحْظًا كَانَ أَقْتَلَ بِأَكْبِيَا
 حَرَامٌ عَلَى الْعَيْنَيْنِ إِنْ لَمْ تَسِلْ دَمًا
 فَيَا قَلْبُ مَا أَشْجَى إِذَا الدَّارُ بَاعَدَتْ !
 وَيَا صَاحِبِي الْمَذْخُورَ لِلْسَّرِّ ! إِنِّي
 حَلَفْتُ بِمَا اسْتَوَلَى عَلَيْهِ نِقَابُهَا
 بِأَلَّا تَفِيءَ الْعَيْنُ عَن سُنَّةِ الْبُكْيِ
 وَكَيْفَ يُفِيقُ الْقَلْبُ مِنْ سَوْرَةِ الْهَوَى
 وَمَا كُنْتُ لَوْلَا الْعَذْلُ أُبْدِي خَفِيَّةً
 وَمَنْ لِي بِأَنَّ الْقَلْبَ يَكْتُمُ وَجْدَهُ ؟
 فَلَا وَضَلَ إِلَّا ذُكْرَةً تَبَعْتُ الْأَسَى

بِهِ عَبْرَتَاهَا وَالنَّوَى تَصَدَّعُ الصَّلْدَا (١٣)
 وَأَمْضَى الطُّبَا فِي الْفَتِكِ مَا سَالَ إِفْرِنْدَا (١٤)
 عَلَى بَيْنِهَا وَالْقَلْبِ إِنْ لَمْ يَذُبْ وَقَدَا (١٥)
 وَيَا دَمْعُ مَا أَجْرَى وَيَا بَيْنُ مَا أُرْدَى ! (١٦)
 ضَلَلْتُ فَهَلْ مِنْ وَثْبَةٍ تُكْسِبُ الْحَمْدَا ؟ (١٧)
 وَيَا لَكَ حَلْفًا ! مَا أَرْقَ وَمَا أُنْدَى !
 وَأَلَّا تَرِيحَ النَّفْسُ إِنْ لَمْ تَمُتْ وَجَدَا (١٨)
 وَقَدْ مَدَّهُ سِحْرُ الْعُيُونِ بِمَا مَدَا ؟
 وَلَكِنْ تَوَالِي الْقَدْحِ يَسْتَرَعِفُ الزَّنْدَا (١٩)
 وَكَيْفَ تُسَامُ النَّارُ أَنْ تَكْتُمَ النَّدَا ؟ (٢٠)
 عَلَى النَّفْسِ حَتَّى لَا تُطِيقَ لَهُ رَدًّا

- (١٣) العبرة: الدمعة قبل أن تفيض. والنوى: البعد. والصلد: الحجر الصلب.
- (١٤) الطبا: جمع طبة، وهي حد السيف والسنان ونحوهما. والمراد بالطبا هنا: السيف. وإفrend: السيف: ماؤه وجوهره.
- (١٥) البين: الفراق. والوقد: اتقاد النار.
- (١٦) شجى: حزن، واهتم، واغتم. وما أردى: صيغة تعجب من ردت الخيل: أي عدت، وأسرعت في سيرها.
- (١٧) صاحبه المذخور للسر: قلبه الذي يدخره لصيانة سره، وكتمان ما يحرص على ستره وإخفائه من أموره. وقد يراد بالصاحب المذخور للسر: خليل، وصفي ياتمنه على سره ونجواه.
- (١٨) تفيء: ترجع. والسنة: السيرة والطبيعة والطريقة. وتريح: ترجع. والوجد: الحزن.
- (١٩) العذل: الملامة. والقده: ضرب أحد الزندين بالآخر لإخراج النار منهما. ويسترعف الزند: المراد يخرج نار الزند، وهو العود الذي تقده به النار. استرعف الشيء: استقطره. واسترعف فلاناً: استنزل الرعاف من أنفه.
- (٢٠) وتسام: تكلف. والند: عود يتبخر به، أو هو نوع من الطيب، أو هو العنبر.

أَبَيْتُ قَرِيحَ الْجَفْنِ لَا أَعْرِفُ الْكَرَى
فَيَأْيُهَا النَّوَامُ ! وَالشُّوقُ عَازِرٌ
لَقَدْ ذَلَّ مَنْ يَتَّبِعِي مِنَ النَّاسِ نَاصِرًا
فَأَيَّاكَ أَنْ تُخْدَعُ بِشِيْمَةٍ صَاحِبٍ
فَقَدْ طَالَمَا جَرَّبْتُ خِيْلًا فَمَا رَعَى
وَمَا النَّاسُ إِلَّا طَالِبٌ غَيْرُ وَاجِدٍ
فَلَا تَحْسَبَنَّ النَّاسَ أَبْنَاءَ شِيْمَةٍ
وَقَالَ فِي غَرَضٍ لَهُ :

وَصَاحِبٍ رَعَيْتَ دَهْرًا وَوَدَّه
وَكُنْتُ أَرْغَى بِالْمَغِيبِ عَهْدَهُ
وَطَالَمَا أَرْغَمْتُ فِيهِ ضِدَّهُ
حَتَّى إِذَا مَا الدَّهْرُ أَوْرَى زَنْدَهُ
وَلَمْ أَبَايْنِ نَهَجَهُ وَقَضَدُهُ (١)
بَلْ كُنْتُ أَخْشَى أَنْ أَعِيشَ بَعْدَهُ (٢)
وَذَدْتُ عَنْهُ مَا يَعُوقُ وَكَدَهُ (٣)
صَعَّرَ لِي بَعْدَ الصَّفَاءِ خَدَّهُ (٤)

(٢١) تقرّح الأجنان : كناية عن كثرة البكاء . والكرى : النعاس . والجوانح : أضلاع الصدر، ويراد بها القلب .

(٢٢) عازر : اسم فاعل من عزره، أي منعه، والمراد : منعه من النوم، وحرمه إياه . ويشري : يشتري . والسهد : السهر .

(٢٣) الأرقم : أخبث الحيات، وأطلبها للناس، أو ما فيه سواد وبياض، أو ذكر الحيات .

(٢٤) الشيمة : الطبيعة والخلق . وأكدى : أخفق، ولم يظفر بحاجته .

(٢٥) الجعد : الكريم .

(١) رعيت : حفظت وصنت . وأباين : أفارق . والنهج : الطريق الواضح .

(٢) بالمغيب : بالغيب، أي في غيبته . والعهد : الموثق، والحفاظ، ورعاية الحرمة والذمة والوفاء .

(٣) أرغمته : أهنته وأذللته . والضدّ : المخالف والعدوّ . وذدت : منعت، وأبعدت . والوكد : المراد، والهّم، والقصد .

(٤) الزند، أورى الزند : ضرب به الزندة لإخراج النار، وأورى الدهر زند فلان : كناية عن أنه أنجده وأعانه وأسعده . وصعّر خدّه للناس : أماله عن النظر إلى الناس تهاوناً وكبراً .

وَجَازَ فِي بَعْضِ الْأُمُورِ حَدَّهُ فَلَمْ أَحَاوِلْ رَدَّعَهُ وَرَدَّهُ^(٥)
وَلَمْ أَكْذُرْ بِالْعِتَابِ وَرَدَّهُ وَلَوْ أَرَدْتُ أَنْ أَفْلَ حَدَّهُ^(٦)
لَقُلْتُ فِيهِ مَا يَحْزُ جِلْدُهُ لَكِنِّي تَرَكْتُهُ وَحِقْدُهُ
شَأْنِ امْرِئٍ فِي الْمَجْدِ يَرَعَى مَجْدَهُ كُلُّ امْرِئٍ يُنْفِقُ مِمَّا عِنْدَهُ
وَالْمَرْءُ مَجْزِيٌّ بِمَا أَعَدَّهُ

وَقَالَ ، وَفِيهَا وَصَفُ اللَّسَانِ :

مَنْ قَلَدَ الزَّهْرَ جَمَانَ النَّدَى وَاللَّهُمَّ الْقُمْرِيُّ حَتَّى شَدَا؟^(١)
وَزَيَّنَ الْأَرْضَ بِأَلْوَانِهَا وَصَوَّرَ الْأَبْيَضَ وَالْأَسْوَدَا؟
سُبْحَانَ مَنْ أَبْدَعَ فِي مُلْكِهِ حَتَّى بَدَا مِنْ صُنْعِهِ مَا بَدَا
تَنَزَّهَتْ عَنْ صِفَةِ ذَاتِهِ وَقَامَ فِي لَاهُوتِهِ أَوْحَدَا
فَأَسْجُدْ لَهُ وَأَقْصِدْ حِمَاهُ تَجِدْ رَبًّا كَرِيمًا وَمَلِيكًا هَدَى^(٢)
فَقُمْ بِنَايَا صَاحِ نَرْعِ النَّدَى وَنَسْأَلِ اللَّهَ عَمِيمِ النَّدَى
أَمَا تَرَى كَيْفَ اسْتَحَارَ الدُّجَى؟ وَكَيْفَ ضَلَّ النَّجْمُ حَتَّى اهْتَدَى^(٣)
وَلَاخَ خَيْطُ الْفَجْرِ فِي سُحْرَةٍ كَصَارِمٍ فِي قَسْطَلٍ جُرْدَا^(٤)

(٥) رده عن الشيء: كفه، ومنعه، وزجره.

(٦) الورد: النصيب من الماء. وتكدير ورده: كناية عن إيلامه. وأفل: أكرس.

(١) قلده: جعل في عنقه القلادة. والجمان: اللؤلؤ. وجمان الندى: الندى الشبيه بالجمان. والقمرى: نوع من الحمام، والأنثى قمرية.

(٢) المراد بقصد حمى الله تبارك وتعالى: الاتجاه إليه، وطلب حمايته. والمليك: الملك، أي صاحب الملك كله.

(٣) الدجى: جمع دجية، وهي الظلمة. ويريد باستحارة الدجى: تردده قبيل الفجر.

(٤) السحرة: السحر الأعلى، أي الوقت قبيل الفجر، وهما سحران: سحر مع الصبح، وسحر قبله. والصارم: السيف القاطع. والقسطل: الغبار.

فَالجَوْ قَدْ بَاحَ بِمَكْنُونِهِ
 غَمَامَةٌ أَلْقَتْ بِأَفْلَازِهَا
 فَانْهَضَ وَسِرٌّ وَانظُرْ وَمِلٌّ وَابْتِهَاجٌ
 وَلَا تَسْأَلْ عَنْ خَبْرٍ لَمْ يَجِنْ
 وَلَا تَلْمُ خِيَلًا عَلَى هَفْوَةٍ
 لَوْ عَلِمَ الْإِنْسَانُ مَا أَضْمَرَتْ
 فَدَعُ بَنِي الدُّنْيَا لِأَهْوَائِهِمْ
 مَا لِي وَلِلنَّاسِ وَأَعْمَالِهِمْ ؟
 هَلْ هِيَ إِلَّا مُدَّةٌ تَنْقُضِي ؟
 فَاسْتَعْمِلِ الرَّفْقَ تَعِشْ رَاشِدًا
 وَاسْعَ لِمَا أَنْتَ لَهُ فَالْفَتَى
 مَا خَلَقَ اللهُ الْوَرَى بَاطِلًا
 فَاقْبَلْ وَصَايَ وَاسْتَمِعْ حِكْمَتِي
 إِنِّي وَإِنْ كُنْتُ أَحَا صَبُوءَةً
 وَالْأَرْضُ قَدْ أَنْجَزَتْ الْمَوْعِدَا
 وَجَدُولٌ مَدُّ إِلَيْنَا يَدَا^(٥)
 وَأَمْرٌ حَوْطٌ وَاشْرَبْ لِتُرْوِي الصَّدَى^(٦)
 مِيقَاتُهُ وَانظُرْ إِلَى الْمُبْتَدَا
 فَقَلَمَّا تَلَقَى فَتَى أُمَجْدَا^(٧)
 أَحْبَابُهُ هَانَتْ عَلَيْهِ الْعِدَا
 وَلَا تُطِعْ مَنْ لَمْ يَأْمُرْ بِإِحْسَانٍ
 كُلُّ أَمْرٍ رَهْنٌ حِسَابٍ غَدَا
 وَكُلُّ نَفْسٍ خُلِقَتْ لِالرَّدَى^(٩)
 وَأَعْطِفْ عَلَى الْأَذْنَى تَكُنْ سَيِّدَا
 إِنْ هَجَرَ الرَّاحَةَ حَازَ الْمَدَى
 لِيَرْتَعُوا بَيْنَ الْبَوَادِي سُدَى^(١٠)
 فَلَيْسَ مَنْ أَعْوَى كَمَنْ أُرْشِدَا
 وَمِمْسَعٍ يُطْرِبُنِي مَنْ شَدَا^(١١)

(٥) الأفلاذ: جمع فلذة، وهي القطعة من الكبد، ومن الذهب والفضة واللحم وغيره، وكثير إطلاقها على الأولاد. والمراد بأفلاذ الغمامة: قطراتها.

(٦) الصدى: العطش.

(٧) الهفوة: الزلة.

(٨) التفنيد: مصدر فنّده، إذا لامه، وخطأ رأيه.

(٩) الردى: الهلاك.

(١٠) الورى: الخلق، والناس. ورتع: أكل وشرب ما شاء في خصب وسعة. وتركهم سدى: مهملين.

(١١) الصبوة: جهلة الفتوة، أو الميل إلى جهل الفتاء وحرسته.

فَقَدْ أَزُورُ اللَّيْثَ فِي غَايِهِ وَأَهْبِطُ الْأَرْضَ عَلَيْهَا النَّدَى
وَأُصَدِّعُ الْخَصْمَ وَمَا خِلْتَنِي أَصْدَعُ إِلَّا الْبَطْلَ الْأَصِيدَا (١٢)
بِلَهْذَمٍ لَيْسَتْ لَهُ صَعْدَةٌ لَكِنَّهُ يَمْضِي إِذَا سُدِّدَا (١٣)
أَوْ صَارِمٍ يَفْرِي نِيَاطَ الْكُلَى وَلَمْ يَزَلْ فِي جَفْنِهِ مُغْمَدَا (١٤)
مَاضِي الْغِرَارَيْنِ وَلَكِنَّهُ لَا يَعْرِفُ الصَّيْقَلَ وَالْمِبْرَدَا (١٥)
أَوْ مَشْقَصٍ إِنْ فَوَّقَتْ نَصْلَهُ إِلَى أَمْرِيءٍ غَيْرِيَدٍ أَقْصَدَا (١٦)
أَوْ طَائِرٍ فِي وَكْرِهِ جَائِمٍ يَشُوقُ إِنْ هَيْنَمَ أَوْ غَرَّدَا (١٧)
لَمْ يَعْدُ كِنَّا لَمْ يَزَلْ سَاكِنَا فِيهِ وَيَابَأُ دُونَهُ مُؤْصَدَا (١٨)
قَدْ لَانَ إِلَّا أَنَّهُ إِنْ قَسَا يَوْمَ نِضَالٍ صَدَعُ الْجَلْمَدَا (١٩)
مُعْتَقَلٌ لَكِنَّهُ مُطْلَقٌ يَجُولُ فِي مَسْكَنِهِ سَرْمَدَا (٢٠)

- (١٢) الصدع: الشق في شيء صلب، والمراد بصدع الخصم، إفحامه، وقهره، والتغلب عليه بالمنطق القوي والقول البليغ. والأصيد: رافع رأسه كبراً.
- (١٣) اللهزم: السنان الحاد القاطع. والسنان: حديدة الرمح. والصعدة: القناة المستوية، نبت كذلك لا تحتاج إلى تثقيف.
- (١٤) الصارم: السيف القاطع. ويفري: يقطع. والنياط: ما يعلق به الشيء. والكلى جمع كلية. ونياط الكلى: عصبها وعرقها الذي يربطها بمتنى الظهر. وجفن السيف: غمده.
- (١٥) الغراران: الحدان، واحدهما غرار، وهو حد السيف والرمح والسهم ونحوها. وصقلت السيف ونحوه صقلاً: جلوته، والصيقل: شحاذ السيوف وجلأؤها.
- (١٦) المشقص: سهم ذو نصل عريض. والنصل: حديدة السهم. وتفويق النصل: جعل الوتر في فوقه، أي في أعلاه عند الرمي. وأقصد إقصاداً: أصاب، فقتل.
- (١٧) هينم: صوت صوتاً خفياً. وغرّد: طرب في صوته وغنى.
- (١٨) عدا المكان يعدوه عدواً: جاوزه، وغادره، وتركه. والكن: البيت. ومؤصد: مغلق، من آصد الباب.
- (١٩) صدع: شق. والجلمد: الصخر.
- (٢٠) سرمداً: دائماً.

وَيَعْرِفُ الْأَصْلَحَ وَالْأَفْسَدَا
تَنْقُلُ عَنْهُ نَبْرَاتِ الصُّدَى (٢١)
إِنْ أَصْدَرَ الْقَوْلَ بِهَا أَوْرَدَا (٢٢)
تَبَارَكَ اللَّهُ الَّذِي جَوَّدَا
فِي رَصْفِ مَنْ لُوْلُو نُضْدَا (٢٣)
مَا أَبْرَقَ الْحَاسِدُ أَوْ أَرْعَدَا (٢٤)

يَحْكُمُ بِالدُّوْقِ عَلَى مَا يَرَى
لَهُ صِحَابٌ قَدْ أَحَاطَتْ بِهِ
فَهَوَّ بِهَا مُجْتَمِعُ شَمْلُهُ
مُشْتَبِهَاتُ الرُّصْفِ فِي جَوْدَةِ
يَسِيتُ مِنْهَا وَهُوَ ذُو مِرَّةٍ
ذَاكَ لِسَانِي وَهُوَ حَسْبِي إِذَا

وَقَالَ فِي النَّسِيبِ :

أَوْ لَمْ يَكْفِ أَنَّهُ ذَابَ وَجَدَا ؟
تَرَكَتْنِي فِي عَالَمِ الْحُبِّ فَرَدَا (١)
وَدُمُوعِي مِنْ صَفْحَةِ الْعَيْمِ أَنْدَى (٢)
بَعْضَ مَا خَفَّ مِنْ سَلَامٍ فَأَدَى
لَسْتُ مِنْكُمْ أَوْ تَذَكَّرُوا لِي نَجْدَا (٣)

مَا لِقَلْبِي مِنْ لَوْعَةٍ لَيْسَ يَهْدَا ؟
وَسَمْتَنِي بِنَارِهَا الْغَيْدُ حَتَّى
فَضُلُوعِي مِنْ قَدْحَةِ الزُّنْدِ أَوْرَى
مَا عَلَى الْبَرْقِ لَوْتَحَمَّلَ عَنِّي
أَيْهَا السَّاهِرُونَ حَوْلَ وَسَادِي

(٢١) يريد بالصحاب: الأسنان.

(٢٢) رجل مصدر: أي متم للأمر.

(٢٣) ذو مِرَّةٍ: قوي. والمِرَّة: القوَّة. والرصف: حجارة مرصوف بعضها إلى بعض في مسيل، الواحدة رصفة، مثل قصبه وقصب، والمراد بالرصف (هنا): الأسنان المرصوفة. ونضد: نظم.

(٢٤) هو حسبي: هو يكفيني. والإبراق والإرعاد: كناية عن التهديد والوعيد.

(١) الوسم: أثر الكي. وسمه: جعل فيه بالكي أثراً وعلامة. والغيد: جمع غيداء، وهي الحسناء الناعمة المثنية ليناً.

(٢) القدحة: اسم مِرَّةٍ من قدح الزند، أي أخرج منه ناره. والزند: العود الذي تقدح به النار، وهو الأعلى، والزندة السفلى، وهما زندان. وأورى: اسم تفضيل من وري الزند يرى ورياً، إذا خرجت ناره. والصفحة: الوجه. وصفحة كل شيء: جانبه.

(٣) الوساد والوسادة: المخدَّة والمتكأ. ونجد: اسم للأراضي العالية في وسط الجزيرة العربية، وخصه الشاعر بالذكر، لأنه كان موطن الحب العنيف العفيف.

وَعُهُودًا لَمْ يَتْرُكِ الدَّهْرُ مِنْهَا
 وَنَسِيمًا إِذَا سَرَى ضَوْعَ الْأَ
 لَا تَخُوضُوا فِي غَيْرِهِ مِنْ حَدِيثِ
 هِيَ أَحْدُوثَةٌ تُسَاقُ وَلَكِنْ
 آهٍ مِنْ لَوْعَةٍ أَطَارَتْ بِقَلْبِي
 كَلَّمَا قُلْتُ قَدْ تَنَاهَى غَرَامِي
 يَا رَفِيقِي إِذَا عَرَانِي خَطْبُ
 أَصْبَحْتَ حَاجَتِي إِلَيْكَ فَخُذْ لِي
 وَجَدَ الْقَلْبَ خَالِيًا فَاحْتَوَاهُ
 وَكَذَلِكَ السُّلْطَانُ إِنْ ظَنَّ بِالْأَمْرِ
 فَأَقْلِنِي مِنْ عَثْرَةِ الْحُبِّ إِنْ أُو
 فَمِنْ الْعَارِ غَضُّ طَرْفِكَ عَنِّي

لِأَخِي صَبُوءَ ذِمَامًا وَعَهْدًا (٤)
 فَاقِ مِسْكَاً وَعَطَّرَ الْجَوْنَ نَدًا (٥)
 فَهُوَ حَسْبِي وَأَيُّ مَاءٍ كَصَدًّا؟ (٦)
 رَبِّمَا اسْتَوْجَبْتَ ثَنَاءً وَحَمْدًا
 شُعْلَةً شَفَّتِ الْجَوَانِحَ وَقَدًّا (٧)
 عَادَ مِنْهُ مَا كَانَ أَصْمَى وَأَرْدَى (٨)
 وَنَصِيرِي إِذَا خَصِيمٌ تَصَدَّى (٩)
 بِحُقُوقِي مِنْ ظَالِمٍ قَدْ تَعَدَّى
 وَرَأَى النَّفْسَ طَوْعَهُ فَاسْتَبَدَّ
 عِةً عَجْزًا سَطَا عَلَيْهَا وَشَدًّا
 تَيْتَ حُكْمًا أَوْ قُلْ لِقَلْبِي يَهْدًا (١٠)
 إِنْ خَيْرَ الصَّحَابِ أَنْفَعُ وَدًّا (١١)

(٤) الصبوة: جهلة الفتوة، أو الميل إلى جهل الفتاة وحرّيته ولهوه ومرحه، والمراد بأخي الصبوة: العاشق المرح. والذمام: الحق، والحرمة.

(٥) ضوع العطر: نشره. والأفاق: جمع أفق، وهو الناحية. والمسك: طيب معروف، وهو أفضل الطيب عند العرب، وكانت تسميه المشموم، وهو فارسيّ معرّب. والنّد: نوع من الطيب، أو هو العنبر.

(٦) صدًا: أصله صداء، اسم ركيّة، أو عين لم يكن عند العرب أعذب منها. ومن أمثالهم: «ماء ولا كصداء».

(٧) شفه الهمّ ونحوه: هزله وأنحله. والجوانح: أضلاع الصدر، واحدها جانحة. والوقد: اتقاد النار.

(٨) تناهى: انتهى وذهب. وأصمى: أشد وأمضى. وأردى: أسرع وأكثر إصابة.

(٩) الخطب: النازلة، والشديدة من نوازل الدهر وشدائده. والخصيم: الخصم. وتصدى له: تعرّض.

(١٠) أقال الله عثرته: رفعه من سقوطه. (١١) غصّ طرفه: خفضه.

وَبِنَفْسِي حُلُو الشَّمَائِلِ مُرَادٌ
 ذُو قَوَامٍ أَعْدَى مِنَ الرُّمَحِ لِيناً
 كَانَ قَلْبِي وَدِيعةً عِنْدَ عَيْنِي
 مَا عَلَى قَوْمِهِ وَإِنْ كُنْتُ حُرّاً
 غَضُنُ بَانَ قَدْ أَطْلَعَ الْحُسْنَ فِيهِ
 مَا هِلَالَ السَّمَاءِ؟ مَا الظُّبِيُّ؟ مَا الْوَرُ
 هُوَ أَبْهَى وَجْهاً وَأَقْتَلُ الْحَا
 فَدَعِ اللُّومَ يَا عَذُولُ فَإِنِّي
 لَا تَخْلِنِي عَلَى غَرَاتِكَ سَهْلاً
 لَسْتُ أَقْوَى عَلَى الصُّدُودِ وَإِنْ كُنْتُ
 إِنْ تَكُنْ رَحْمَةً فَنَفْسِي أَوْلَى
 وَقَالَ :

لَقَدْ طَالَ عَهْدِي بِالشَّبَابِ وَإِنَّهُ
 تَبَيْتُ عُيُونَ بِالْكَرَى مُطْمَئِنَّةً
 لِأُدْعَى لِشَوْقِي أَنْ يَطُولَ بِهِ عَهْدِي
 وَعَيْنَايَ فِي بَرْحٍ مِنَ الدَّمْعِ وَالسُّهْدِ (١)

(١٢) الشَّمَائِلُ: جمع شمال بمعنى الخُلُق والطبع. والصد: الإعراض والهجران.

(١٣) آلى: حلف.

(١٤) البان: شجر يشبه بغصنه قد الحسناء في الاعتدال واللين والتشي. والجلنار: زهر الرمان.

(١٥) الظبي: الغزال. وجنياً: غضاً نصيراً، قد جنى من ساعته. ويتهدى: يريد يتهدى ويتمايل.

(١٦) العذول: صفة من عدله، أي لامة.

(١٧) الغرأة: اسم من أغرى فلان بين القوم، أي أفسد، وألقى بينهم العداوة.

(١٨) الصدود: الإعراض والهجر.

(١٩) الضلة: الحيرة.

(١) الكرى: النعاس. والبرح: الشدة. والسهد: الأرق والسهر.

فَلَيْتَ الَّذِي حَازَ الشَّيْبَةَ رَدَّهَا
كَأَنِّي وَقَدْ جَاوَزْتُ سِتِّينَ حِجَّةً
فَسُحْقاً لِدَارٍ لَا يَدُومُ نَعِيمُهَا
وَكَيْفَ يَلْذُ الْمَرْءُ بِالْعَيْشِ بَعْدَمَا
إِذَا لَمْ يَكُنْ بَيْنَ الْحَيَاةِ وَضِدِّهَا
وَلِلْمَوْتِ أَسْبَابٌ يَنَالُ بِهَا الْفَتَى
وَكُلُّ أَمْرٍ فِي النَّاسِ لَاقٍ حِمَامَهُ
وَلَوْلَا ارْتِيَاعُ النَّفْسِ مِنْ صَوْلَةِ الرَّدَى
فَدَعُ مَا مَضَى وَاصْبِرْ عَلَى حِكْمَةِ الْقَضَا
وَلَا تَلْتَمِسْ مِنْ غَيْرِ مَوْلَاكَ هَادِيَاً
وَقَالَ وَأَرْسَلَ بِهَا إِلَى الْأَمِيرِ « شَكِيبُ أَرْسَلَانِ » (*) يَعْتَذِرُ عَنْ تَأَخُّرِهِ فِي الْإِجَابَةِ

لِرَمَدٍ لِحَقِّ بِهِ :

(٢) الْحِجَّةُ: السَّنَةُ. وَالسِّنَةُ: النَّعَاسُ. وَالْفَهْدُ: سَبْعٌ بَيْنَ الْقَطِّ وَالنَّمْرِ جَسَماً، وَأَشْبَهُ بِالْأَوَّلِ مِنْهُ
بِالثَّانِي، وَهُوَ كَثِيرُ النَّوْمِ.

(٣) السَّحْقُ: الْبَعْدُ. وَالتَّبُّ: النِّقْصُ وَالْخَسَارُ وَالْهَلَاكُ. وَالخَلُّ: الصَّدِيقُ، وَيُرِيدُ بِهِ (هِنَا):
الشَّبَابُ.

(٤) النَّجْدُ: مَا ارْتَفَعَ مِنَ الْأَرْضِ. وَالوَهْدُ: الْأَرْضُ الْمُنْحَفِضَةُ.

(٥) الْحِمَامُ: قَدْرُ الْمَوْتِ. وَالعَيْرُ: الْحِمَارُ. وَالْفَرَسُ النَّهْدُ: الْحَسَنُ الْجَمِيلُ.

(٦) الْارْتِيَاعُ: الْفَزَعُ وَالْخَوْفُ. وَالصَّوْلَةُ: الْوُثُوبُ، وَالْإِسْطَالَةُ، وَالسُّطُورَةُ. وَالرَّدَى: الْهَلَاكُ
وَالْمَوْتُ. وَعَفٌّ: كَفٌّ، وَامْتَنَعَ عَمَّا لَا يَحِلُّ، وَلَا يَجْمَلُ. وَأَخُو الزَّهْدِ: الزَّاهِدُ.

(*) شَكِيبُ أَرْسَلَانِ، الْمَلَقْبُ بِأَمِيرِ الْبِيَانِ: (١٨٦٩ - ١٩٤٦) أَدِيبٌ، نَاقِدٌ، خَطِيبٌ، كَاتِبٌ،
شَاعِرٌ، مُؤَرِّخٌ، سِيَاسِيٌّ، رَحَّالَةٌ، تَحَمَّسَ لِلْعَرَبِ وَالْإِسْلَامِ، وَعَالِجُ الْقَضَايَا الْعَرَبِيَّةِ بِكُتَابَاتِهِ
وَمَقَالَاتِهِ الصَّحْفِيَّةِ، وَكَانَ مِنْ أَعْضَاءِ الْمَجْمَعِ الْعِلْمِيِّ بِدَمَشَقٍ. مَوْلَفَاتُهُ كَثِيرَةٌ قِيَمَةٌ، مِنْهَا «الْحَلَلُ
السُّنْدُسِيَّةُ فِي الرَّحَلَةِ الْأَنْدَلُسِيَّةِ» فِي عَشْرَةِ مَجْلَدَاتٍ، وَتَعْلِيقَاتٌ عَلَى كِتَابِ «حَاضِرِ الْإِسْلَامِ».
وُلِدَ وَدُفِنَ بِالشَّوَيْفَاتِ مِنْ قَرْيَةِ لُبْنَانَ.

أَدِي الرُّسَالَةَ يَا عُصْفُورَةَ الْوَادِي
تَرْقِي سِنَةَ الْحُرَّاسِ وَأَنْطَلِقِي
لَعَلَّ نَعْمَةً وَدُّ مِنْكَ شَائِقَةً
هُوَ الْهَمَامُ الَّذِي أَحْيَا بِمَنْطِقِهِ
تَلْقَى بِهِ أَحْنَفَ الْأَخْلَاقِ مُتَّدِيًا
أَخِي وَدَادًا وَحَسْبِي أَنَّهُ نَسَبُ
أَفَادَنِي أَدْبًا مِنْ مَنْطِقِ شَهْدَتِ
عَذْبِ الشَّرِيعَةِ لَوْ أَنَّ السَّحَابَ هَمَى
سَرَتْ بِقَلْبِي مِنْهُ نَشْوَةٌ مَلَكَتْ

وَبَاكِرِي الْحَيِّ مِنْ قَوْلِي بِإِنْشَادِ
بَيْنَ الْخَمَائِلِ مِنْ «لُبْنَانَ» وَارْتَادِي (١)
تَهْزُ عِطْفَ «شَكِيبِ» كَوَكَبِ النَّادِي (٢)
آثَارَ قَوْمٍ أَجَادُوا النُّطْقَ بِالضَّادِ (٣)
وَفِي الْكَرِيهَةِ عَمْرًا وَابْنَ شَدَّادِ (٤)
خَالِي الصَّحِيفَةِ مِنْ غِلٍّ وَأَحْقَادِ (٥)
بِفَضْلِهِ النَّاسُ مِنْ قَارٍ وَمِنْ بَادِي (٦)
بِمِثْلِهِ لَمْ يَدْعُ فِي الْأَرْضِ مِنْ صَادِي (٧)
بِحُسْنِهَا مَسْمَعِي عَنْ نَعْمَةِ الشَّادِي

- (١) السنة: النعاس، أو أول النوم. والخمائل: جمع خميلة، وهي الشجر الكثير الملتف. ولبنان: وطن الأمير «شكيب». والارتياح: الطلب.
- (٢) هز العطف: كناية عن إثارة عاطفة الإعجاب. والنادي: مجلس القوم ومتحدثهم.
- (٣) الهمام: السيد، الشجاع، السخي، العظيم الهمة من الرجال.
- (٤) أحنف الأخلاق: أخلاقه تشبه أخلاق الأحنف، وهو أبو بحر الضحَّاك بن قيس بن معاوية التميمي، الملقَّب بالأحنف، يضرب المثل به في الحلم، وكان سيد تميم، وأحد العظماء الدهاء الفصحاء الشجعان الفاتحين.
- وعمر بن معد يكرب الزبيدي: فارس زبيد في الجاهلية، وأحد أبطال المسلمين في وقعتي اليرموك والقادسية، وهو من الشعراء المخضرمين. عمَّر طويلاً، ومات سنة ٢١ هـ. وكان يضرب به المثل في الشجاعة.
- وعنترة بن عمرو بن شدَّاد العبسي: أحد فرسان العرب وشعرائها المشهورين بالفخر والحماسة، وكانت أمه حبشية، وأبوه من سادات بني عبس. خاض مع عبس أكثر وقائعها، حتى ضرب به المثل في الشجاعة والإقدام.
- (٥) الغل: الغش والحقد.
- (٦) القاري: ساكن القرية. والبادي: اسم فاعل من بدا القوم أي خرجوا إلى البادية.
- (٧) الشريعة: مورد الشاربة، أي الموضع الذي يردون منه الماء للاستقاء. وهمي: سال. والصادي: العطشان.

يَابْنَ الْكِرَامِ ! عَدْتَنِي عَنْكَ عَادِيَةٌ
فَاعْذِرْ أَخَاكَ فَلَوْلَا مَا بِهِ لَجَرَى
وَهَاكُهَا تُحْفَةٌ مِنِّي وَإِنْ صَغُرَتْ
كَادَتْ تُسُدُّ عَلَيَّ عَيْنِي بِأَسْدَادِ^(٨)
فِي حَلْبَةِ الشُّكْرِ جَرِي السَّابِقِ الْعَادِي
فَالدُّرُّ وَهُوَ صَغِيرٌ حَلِيُّ أَجْيَادِ

وَكَتَبَ إِلَى صَاحِبِ جَرِيدَةِ النَّحْلَةِ (★) :

أَلَا يَا « نَحْلَةٌ » سَرَحْتُ فَحَازَتْ
تَلَقَّتْهَا النَّجَادُ بِمَا أَسْرَتْ
سَعَتْ جَهْدًا فَنَالَتْ مَا تَمَنَّتْ
فَلَا عَجَبُ إِذَا جَاءَتْ بِخَيْرِ
وَكَيْفَ وَرَبُّهَا شَهْمٌ ذَكِيٌّ
تَجَافَى النَّوْمَ فِي طَلَبِ الْمَعَالِي
فَأَصْبَحَ وَدُهُ فِي كُلِّ قَلْبٍ
سُلَالَةٌ مَا تَوَلَّتْهُ الْعِهَادُ^(١)
ضَمَائِرُهَا وَحَيْثُهَا الْوِهَادُ^(٢)
كَذَاكَ الدَّهْرُ سَعِيٌّ وَاجْتِهَادُ
فَلَوْلَا النَّحْلُ مَا كَانَ الشُّهَادُ
لَهُ فِي كُلِّ مُعْضَلَةٍ جِهَادُ^(٣)
وَطَابَ لِعَيْنِهِ فِيهَا الشُّهَادُ^(٤)
نَزِيلاً وَالْقُلُوبُ لَهُ مِهَادُ

وَقَالَ مُفْتَخِرًا :

(٨) عدتني : صرفتني وشغلتني . والأسداد : جمع سد ، وهو الحاجز .
(★) جريدة النحلة : صحيفة سياسية انتقادية ، نصفها بالعربية ، ونصفها الآخر بالإنجليزية ، وبها بعض قصائد شعرية ، ومقالات ورسائل في الأدب والأخلاق لبعض كتاب الهند وإيران والبلدان العربية . وكان صاحبها «جون لويس صابونجي» يصدرها مرة كل أسبوعين من مطبعة النحلة بلندن سنة ١٨٧٨ م .

(١) السلالة : ما انسلّ وخرج من الشيء ، وهي أيضاً الولد ، والمراد بها (هنا) : ما تمتصه النحلة من رحيق الأزهار ونحوها . وتولته : تعهدته وأصلحته وأنبته . والعهاد : أمطار أول السنة .

(٢) النجاد : جمع نجد ، وهو ما ارتفع من الأرض . والوهاد : جمع وهد ، وهو الأرض المنخفضة .

(٣) ربها : صاحبها ومالكها . وشهم : جلد ، ذكيّ الفؤاد ، متوقّد نشيط . والمعضلة : المشكلة العسيرة .

(٤) السهاد : الأرق والسهر .

أَنَا مَصْدَرُ الْكَلِمِ النَّوَادِي بَيْنَ الْحَوَاضِرِ وَالْبَوَادِي (١)
أَنَا فَارِسٌ أَنَا شَاعِرٌ فِي كُلِّ مَلْحَمَةٍ وَنَادِي (٢)
فَإِذَا رَكِبْتُ فَإِنِّي زَيْدُ الْفَوَارِسِ فِي الْجِلَادِ (٣)
وَإِذَا نَطَقْتُ فَإِنِّي قَسُّ بْنُ سَاعِدَةَ الْإِيَادِي (٤)
هَذَا وَذَلِكَ دَيْدَنِي فِي كُلِّ مُعْضَلَةٍ نَادٍ (٥)★
وَقَالَ :

وَمَنَادِمٍ غَرِدِ الْحَدِيثِ كَأَنَّمَا الْفَاطَةُ فِي السَّمْعِ نَغْمَةٌ عُوْدٍ (١)
تُعْنِي الْإِشَارَةَ مِنْهُ عَن تَضْرِيحِهِ وَتَدُلُّ لَفْظَتُهُ عَلَى الْمَقْصُودِ
سَحَرَ الْعُقُولَ بَيَانُهُ فَكَأَنَّهُ يَسْقِي الْجَلِيسَ سُلَافَةَ الْعُنُقُودِ (٢)

(١) النوادي : جمع نادية، اسم فاعل من الندى، وهو بعد ذهاب الصوت، يقال: فلان أندى صوتاً من فلان، إذا كان أبعد منه صوتاً.

(٢) الملحمة : الواقعة العظيمة القتل . والنادي : مجلس القوم نهاراً، أو المجلس ما داموا مجتمعين فيه .

(٣) زيد الفوارس : هو ابن حصين بن ضرار الضبيّ، فارس شاعر جاهلي مشهور، يضرب به المثل في الشجاعة وشدة البأس . والجلاد : القتال .

(٤) قس بن ساعدة الإيادي : من خطباء العرب في الجاهلية، وهو أوسعهم شهرة، وأبعدهم صيتاً، وكان يدين بالتوحيد، ويؤمن بالبعث، وكان الناس يتحاكمون إليه، فيقضي بينهم بسديد رأيه، وصائب حكمه، وقد سمعه النبي صلى الله عليه وسلم قبل البعثة وهو يخطب، فأعجب به، وأثنى عليه .

(٥) ديدني : عادتي . والمعضلة : المشكلة العسيرة، والأمر الصعب . والناد : الداهية .

(★) توفي البارودي أصيل يوم الاثنين السادس من شوال سنة ١٣٢٢ هـ الموافق ١٢ من ديسمبر سنة ١٩٠٤ م عن نحو خمس وستين سنة ميلادية . ويقال إن هذه الأبيات الفخرية هي آخر ما نظمه وهو في مرض موته (في رمضان سنة ١٣٢٢ هـ - نوفمبر سنة ١٩٠٤ م) .

(١) المنادم : من يجالسك على الشراب .

(٢) البيان : الفصاحة، واللسن، والمنطق العذب البليغ . وسلافة كل شيء عصرته : أوله . وسلافة العنقود : أجود الخمر المستخرجة من العنب .

وَقَالَ :

هَلْ فِي التَّصَابِي عَلَى امْرِئٍ فَنَدُ؟
كُلُّ مَسُوقٍ لِمَا أُرِيدَ بِهِ
لَوْ لَمْ يَكُنْ فِي الطَّبَاعِ مُخْتَلَفٌ
وَلَوْ تَسَاوَى الرَّجَالُ فِي خُلُقِ
وَالنَّاسُ شَتَّى وَإِنْ هُمْ اجْتَمَعُوا
فَزَائِعُ فِي الضَّلَالِ مِنْهُمْ
وَأَيُّ لَوْمٍ عَلَى امْرِئٍ طَلَبَ الْ
لِكُلِّ عَضْرٍ مِنْ كَبْرَةٍ وَصِبَاً
فَاسْعَ لِمَا شِئْتَ غَيْرَ مُتَّيِّدٍ
لَوْلَا سُرى البَدْرِ مَا اسْتَنَارَ وَلَا
وَلَا يَهْمَنَّكَ لَوْمٌ ذِي حَسَدٍ
لَوْ حَذَرَ الْمَرْءُ كُلَّ لَائِمَةٍ

أَمْ هَلْ يَعْيبُ الْفَتَى الْكَرِيمَ دَدُ (١) ؟
فَفِيمَ هَذَا الْخِصَامُ وَاللَّدَدُ (٢) ؟
مَا شَدَّ عَنْ طَبْعِ وَالِدٍ وَلَدٌ
لَزَالَ هَذَا الْخِلَافُ وَالْحَرْدُ (٣)
فِي وَاحِدٍ لَيْسَ قَبْلَهُ أَحَدٌ
وَنَاسِكٌ فِي الصَّلَاحِ مُجْتَهِدٌ (٤)
لَهُوَ وَأَثَابُ عُمْرِهِ جُدُّ
شَوِّطٌ لَهُ بَعْدَ مُهْلَةٍ أَمْدٌ (٥)
فَلَنْ يَحُوزَ الْكَمَالَ مُتَّيِّدٌ (٦)
أَدْرَكَ شَأْوَ الْخِطَارِ مُنْجَرِدٌ (٧)
فَشَانُ أَهْلِ الْعَدَاوَةِ الْحَسَدُ
لَضَاعَ مِنْهُ الصَّوَابُ وَالرَّشْدُ

(١) يريد بالتصابي: مرح الشباب، ولهوه، ومغازلة النساء، والحنين إليهن. والفند: الخطأ، وضعف الرأي. والدد: اللهو واللعب.

(٢) اللدد: شدة الخصومة.

(٣) الحرد: الغضب.

(٤) زائع: مائل منحرف. ومنهمك: منغمس لجوج. وناسك: عابد.

(٥) الكبرة: علو السن. والشوط: الجري مرة إلى غاية. والأمد: الغاية.

(٦) غير متئد: غير وان، ولا متمهل.

(٧) الشأو: الغاية والأمد. والخطار: جمع خطر، وهو السبق، أي ما يوضع بين المتسابقين، ويتراهن عليه. ومنجرد: فرس قصير الشعر رقيقه، وهذا من صفات الحسن في الخيل، والمراد منطلق سباق.

وَلَوْ أَصَخْنَا لِكُلِّ مُنْتَقِدٍ
وَالَهُ بِمَا شِئْتُ قَبْلَ مَنْدَمَةٍ
فَلَيْسَ بَعْدَ الشَّبَابِ مُقْتَرِحٌ

وَقَالَ :

جَاوَزْتُ فِي اللُّومِ حَدَّ الْقَصْدِ فَاتَّيِدُ
دَعْنِي مِنَ اللُّومِ إِنْ كُنْتُ أَمْرًا فِطْنًا
إِنِّي لَأَرْضِي بِمَا فِي الْحُبِّ مِنَ أَلْمٍ
لَوْ كَانَ لِلْمَرْءِ عَقْلٌ يَسْتَدِيلُ بِهِ
إِنْ كُنْتُ ذَا إِمْرَةٍ فَانَّهُ الصَّبَابَةُ عَنْ
أَوْ لَا فَدَعْنِي وَلَا تَعْنِفْ عَلَيَّ فَمَا
إِنَّ الْفِتَاةَ الَّتِي هَامَ الْفُؤَادُ بِهَا
أَغْضَبْتُ فِي حُبِّهَا أَهْلِي فَمَا بَرِحُوا
قَالُوا تَعَلَّقْ بِأُخْرَى كَيْ تَذُودَ بِهَا
فَقُلْتُ هَيْهَاتَ أَنْ أَبْغِي بِهَا بَدَلًا

فَكُلُّ شَيْءٍ فِي الدَّهْرِ مُنْتَقَدٌ
يَكْثُرُ فِيهَا الْعِنَاءُ وَالْكَمَدُ
وَلَا وَرَاءَ الْمَشِيبِ مُفْتَقَدٌ^(٨)

فَلَسْتُ أَشْفَقُ مِنْ نَفْسِي عَلَى كَيْدِي^(١)
فَاللُّومُ فِي الْحُبِّ مَعْدُودٌ مِنَ الْحَسَدِ
وَلَسْتُ أَرْضَى بِمَا فِي الْقَوْلِ مِنْ فَنْدٍ^(٢)
عَلَى الْحَقِيقَةِ لَمْ يَعْتَبْ عَلَى أَحَدٍ
قَلْبِي لِتَغْنَمِ شُكْرِي آخِرَ الْأَبَدِ^(٣)
أَمْرِي إِلَيَّ وَلَا حُكْمُ الْهَوَى بِيَدِي
أَخَفْتُ عَلَيَّ سَبِيلَ الْحَزْمِ وَالسَّدَدِ
إِلْبَاءً عَلَيَّ وَكَانُوا لِي مِنَ الْعُدَدِ^(٤)
بَرِحَ الْأَسَى عَنْ فُؤَادِ دَائِمِ الْكَمَدِ^(٥)
لَمْ يَخْلُقِ اللَّهُ مِنْ قَلْبَيْنِ فِي جَسَدٍ^(٦)

(٨) مقترح: اسم مفعول من الاقتراح، وهو الاجتناء والاختيار أو ابتداء الشيء. ومفتقد: طلب

الشيء عند غيبته.

(١) اتئد: تمهل وتأن.

(٢) الفند: الخطأ في القول والرأي، والكذب.

(٣) الإمرة: الإمارة، والولاية. والصبابة: رقة الشوق وحرارته، أو رقة الهوى، وتبريح الحب.

والأبد: الدهر.

(٤) إلبأ: مجتمعين على العداوة، يقال: هم عليه ألب وإلب، إذا كانوا مجتمعين عليه بالظلم

والعداوة. ومعنى «وكانوا لي من العدد»: وكانوا لي أعواناً وأنصاراً.

(٥) تذود: تمنع وتدفع. والبرح: الشدة والشر. والكمد: الحزن المكتوم.

(٦) هيهات: كلمة معناها البعد..

وَقَالَ :

قَلِيلٌ مَنْ يَدُومُ عَلَى الْوِدَادِ
إِذَا كَانَ التَّغْيِيرُ فِي اللَّيَالِي
وَمَنْ لَكَ أَنْ تَرَى قَلْبًا نَقِيًّا
فَلَا تَبْذُلُ هَوَاكَ إِلَى خَلِيلٍ
وَكُنْ مُتَوَسِّطًا فِي كُلِّ حَالٍ
مُدَارَاةَ الرَّجَالِ أَخْفُ وَطَنًا
يَعِيشُ الْمَرْءُ مَحْبُوبًا إِذَا مَا
وَمَا الدُّنْيَا سِوَى عَجْزٍ وَجِرْصٍ
فَلَوْلَا الْعَجْزُ مَا كَانَ التَّصَافِي
وَمَا عَقَدَ الرَّجَالُ الْوُدَّ إِلَّا
وَمَا كَانَ الْعِدَاءُ يَخْفُ لَوْلَا
فَيَابْنَ أَبِي وَلَسْتُ بِهِ وَلَكِنْ
تَأْمَلْ هَلْ تَرَى أَثْرًا فَإِنِّي
حَيَاةُ الْمَرْءِ فِي الدُّنْيَا خِيَالُ
فَطُوبَى لِمُرِيٍّ غَلَبَتْ هَوَاهُ

وَقَالَ :

إِذَا افْتَقَرَ الْمَرْءُ اسْتَهَانَ بِفَضْلِهِ
ذُوو قُرْبِهِ وَاسْتَهَجَنَتْهُ الْأَبَاعِدُ

(٣) الطوبى : الحسنى ، والخير ، والجنة .

(١) سواد القلب : حبه .

(٢) عاقبة كل شيء : آخره .

فَإِنْ قَالَ حَقًّا كَذَّبُوهُ وَإِنْ أَبِي
فَحُجَّتْهُ مَطْلُولَةٌ وَهِيَ حَقَّةٌ
فَحَافِظٌ عَلَى مَا نِلْتَ بِالسَّعْيِ مِنْ غِنَى
وَقَالَ فِي الْحَضِّ عَلَى حِفْظِ السَّرِّ :

عَوْدٌ فُوَادِكُ أَنْ يَكُونَ مَجَنَّةً
السَّرُّ عَبْدُكَ مَا اسْتَطَعْتَ حِفَاظَهُ
وَقَالَ يَذُمُّ رَجُلًا :

وَصَاحِبٍ لَا كَانَ مِنْ صَاحِبِ
أَقْبَحُ مَا فِي النَّاسِ مِنْ خَصْلَةٍ
لَوْ أَنَّهُ صُورَ مِنْ طَبْعِهِ
يَصْلُحُ لِلصَّفْعِ لِكَيْلَا يُرَى
يَغْلِبُهُ الضَّعْفُ وَلَكِنَّهُ
يُرَاقِبُ الصَّخْنَ عَلَى غَفْلَةٍ
كَأَنَّمَا أَظْفُورُهُ مِنْجَلٌ
كَأَنَّمَا الْبَطَّةُ فِي حَلْقِهِ

(١) الغي: الضلال، والانهماك في الجهل.

(٢) مطلولة: ضائعة، مهدرة، باطلة.

(٣) تعنو: تذلل وتخضع، والمراد تسهل وتيسر.

(١) مجنة: اسم مكان بزيادة التاء، من جنه الليل، أي ستره، وواراه. والمحافل: جمع محفل، وهو المجتمع.

(١) الصفع: مصدر صفعه، أي بسط كفه وضرب بها قفاه، أو بدنه.

(٢) الأظفور: الظفر. والمنجل: حديدة يقضب بها الزرع، أي يقطع ويحصد.

(٣) السبب: المفازة، أو الأرض المستوية البعيدة.

تَسْمَعُ لِلْبَلْعِ نَقِيْقًا كَمَا
كَانَمَا أَنْفَاسُهُ حَرَجَفُ
وَيَلْمُهُ إِذْ مَخَضَتْ هَلْ دَرَتْ
تَبَّالَهَا شَنْعَاءُ جَاءَتْ بِهِ
لَا رَحْمَةَ لِلَّهِ عَلَى وَالِدٍ
نَقَتْ ضَفَادِي لَيْلَةَ رَاكِدَةٍ (٤)
وَبَيْنَ جَنْبَيْهِ لَظِيٌّ وَاقِدَةٌ (٥)
أَنَّ الرُّدَى فِي بَطْنِهَا الْعَاقِدَةُ؟ (٦)
مِنْ لَقْحَةٍ فِي فَحْحَةٍ كَاسِدَةٍ (٧)
غَمٌّ بِهِ الدُّنْيَا وَلَا وَالِدَةٌ (٨)

وَقَالَ :

وَشَامِخٍ فِي ذُرَى شَمَاءٍ بَاذِخَةٍ
يَعُوذُهُ النَّاسُ إِنْ مَرَّ النَّسِيمُ بِهِ
لَا يَهْدَأُ الدَّهْرُ مِنْ ظُلْمٍ يُحَاوِلُهُ
يَسْطُو بِهِذَا وَيَرْمِي ذَاكَ عَنْ عُرْضٍ
لَا يَعْرِفُ الصَّدْقَ إِنْ وَالَى وَإِنْ عَادَى (١)
وَلَا يَعُودُ مِنَ الْإِشْفَاقِ مَنْ عَادَا
فَإِنْ قَضَى وَطَرًا مِنْ غَدْرَةٍ عَادَا (٢)
كَطَارِدٍ يَقْتَفِي صَيْدَيْنِ إِذْ عَادَى (٣)

(٤) النقيق: صياح الضفدع. والضفادي: الضفادع.

(٥) الحرجف: الريح الباردة الشديدة الهبوب. واللظى: النار.

(٦) ويلمه: ويل لأمه. ومخضت الحامل: جاءها المخاض، وهو وجع الولادة. والردي: الهلاك.
وعاقدة: غليظة، وهي صفة للبطن قبلها، وذلك على القول بجواز تأنيثه.

(٧) تبأ: هلاكاً، والتب أيضاً: النقص والخسار. وشنعاء: قبيحة، فظيعة، مفرطة في القبح، كربيحة. واللقحة: اسم مرة من لقحت الناقة ونحوها، أي قبلت اللقاح، ولقحت المرأة: حبلت، على تشبيهها بالناقة. والفقحة: حلقة الدبر. وكاسدة: غير نافقة، لقلة من يرغب فيها.

(٨) غم به الدنيا: حزنها بولادته، وساءها.

(١) شامخ: متكبر. والذرى: جمع ذروة، وهي أعلى كل شيء. وشماء: مرتفعة. وباذخة: عالية.
والموالة: ضد المعادة، والى يوالي موالة، وعادى يعادي معادة.

(٢) الوطر: الحاجة. وقضى وطره: نال بغيته وحاجته. والغدر: اسم مرة من الغدر.

(٣) يسطو: يبطش. وعرض الشيء: ناحيته، من أي وجه جثته، ونظر إليه عن عرض: أي من جانب وناحية، ورماه عن عرض: أي كيفما اتفق، من غير مبالاة، ولا اكتراث. والطارد: الصائد. وعادى بين الصيدين معادة وعداء: والى وتابع بينهما، وصرع أحدهما على أثر الآخر في طلق واحد.

أَبَادَهُ الدُّهْرُ رَغْمًا بَيْنَ أُسْرَتِهِ كَمَا أَبَادَ بِرِيحٍ صَرْصِرٍ عَادًا^(٤)
فَاعْرِفْ إِلَهَكَ وَاحْذَرْ أَنْ تَبِيَتْ عَلَى وَزِرٍ وَلَا تَتَّخِذْ ظُلْمَ الْوَرَى عَادًا^(٥)

وَقَالَ :

يَأْيُهَا الظَّالِمُ فِي مُلْكِهِ أَغْرَكَ الْمُلْكُ الَّذِي يَنْفَدُ؟^(١)
اصْنَعْ بِنَا مَا شِئْتَ مِنْ قَسْوَةٍ فَاللَّهُ عَدْلٌ وَالتَّلَاقِي غَدُ

وَقَالَ فِي الاسْتِغَاثَةِ :

يَا مَنْ إِلَيْهِ الْوُجُوهُ خَاشِعَةٌ وَمَنْ عَلَيْهِ فِي الْكُونِ مُعْتَمِدِي
مَدَدْتُ كَفِّي إِلَيْكَ مُبْتَهلاً وَأَنْتَ حَسْبِي فَلَا تَرُدَّ يَدِي

وَقَالَ فِي الزُّهْدِ :

لَا عَيْشَ إِلَّا لِلنَّفَادِ فَاحْبِبْ حَيَاتَكَ أَوْ فَعَادِ
وَابْخُلْ بِنَفْسِكَ أَوْ فَجُدْ كُلُّ الْأُمُورِ إِلَى فَسَادِ
أَيْنَ الْأَلَى شَقُّوا الْبُحُورِ رَوْشَيْدُوا ذَاتَ الْعِمَادِ؟^(١)
مَلَكُوا التَّهَائِمَ وَالنَّجَا بُدَّ وَالْحَوَاضِرَ وَالْبُؤَادِي^(٢)

(٤) رغماً: قسراً وقهراً وذلاً. وريح صرصر: شديدة الصوت أو البرد. وعاد: قبيلة هود عليه السلام، وهي من قبائل العرب البائدة، وكانت تسكن الأحقاف جنوبي الجزيرة العربية، وقصتها مشهورة في القرآن الكريم.

(٥) الوزر: الإثم والذنب. والورى: الخلق والناس. وعاد: جمع عادة.

(١) ينفد: يفنى ويزول وينقطع ويذهب.

(١) ذات العماد: المدن والأمكنة ذات الأبنية العالية الرفيعة، أو أراد: إرم ذات العماد: وهي مدينة عظيمة، رفيعة البنيان، تامة العمران، كانت لقبيلة عاد قوم هود عليه السلام، من قبائل العرب البائدة، في جنوبي الجزيرة العربية.

(٢) التهامة: الأرض المنخفضة. وجمعها تهائم، وضدها النجد، وهو الأرض المرتفعة الصلبة.

بَلْ أَيْنَ أَصْحَابُ الْوُفُودِ
 الطَّاعِمُونَ الطَّاعِنُونَ
 الْكَاشِفُونَ الضَّرَّ وَالْ
 بَلْ أَيْنَ صُنَاعُ الْقَرِيذِ
 كَالشَّاعِرِ الضَّلِيلِ أَوْ
 لَعِبَ الزَّمَانَ بِجَمْعِهِمْ
 فَكَانَهُمْ لَمْ يَلْبَثُوا
 دِ وَأَيْنَ أَرْبَابُ الْجِلَادِ؟ (٣)
 نَ الْقَائِلُونَ بِكُلِّ نَادِي (٤)
 عَافُونَ عَن ذَنْبِ الْعِبَادِ
 ضِرَّ الْجَزْلِ وَالْكَلِمِ الْفِرَادِ؟ (٥)
 قُسُّ بِنِ سَاعِدَةَ الْإِيَادِي (٦)
 وَرَمَى بِهِمْ فِي كُلِّ وَاوِي
 إِلَّا بِيَاضًا فِي سَوَادِ

وَقَالَ :

بَلِينَا وَسِرْبَالُ الزَّمَانِ جَدِيدُ
 قَضَى آدَمُ فِي الدَّهْرِ وَهُوَ أَبُو الْوَرَى
 وَهَلْ لِأَمْرِيءٍ فِي الْعَالَمِينَ خُلُودُ؟ (١)
 وَكُلُّ الَّذِي مِنْ صُلْبِهِ سَيِيدُ (٢)

(٣) يريد بأصحاب الوفود: من كانت تقصدهم وفود الناس، كالمملوك ونحوهم. وأرباب الجلاد: أصحاب القتال، ذوو البأس والشجاعة.

(٤) النادي: مجلس القوم ومتحدثهم، وأراد بالقائلين بكل ناد: ذوي اللسان والفصاحة، وأهل البيان والبلاغة.

(٥) القريض: الشعر. والجزل: الكثير الجيد، أو ما كان فخم اللفظ، قوي الأسلوب. والفراد: جمع فردة، بمعنى مفردة، أي منقطعة النظر في حسن النظم والبلاغة.

(٦) يريد بالشاعر الضليل: امرؤ القيس بن حجر الكندي، رأس شعراء الجاهلية وأسبقهم إلى التفتن في أبواب الشعر وضروبه، كان من أصل يمني، ولكنه نشأ بأرض نجد وسط قوم عدنانيين، هم رعية أبيه من بني أسد، وقد مات وهو راجع من بلاد الروم، ودفن بأنقرة قبل الهجرة بنحو قرن، وكان يلقب بالملك الضليل.

وقس بن ساعدة الإيادي: هو خطيب العرب، والمضروب به المثل في البلاغة والحكمة والموعظة الحسنة، كان يدين بالتوحيد، ويؤمن بالبعث، ويخطب العرب في المحافل العامة والمواسم والأسواق، وكان الناس يتحاكمون إليه، فيقضي بينهم بسديد رأيه، وصائب حكمه.

(١) بلي الثوب: رث، وذهبت جدته. والسربال: الثوب، أو القميص، أو الدرع، أو كل ما لبس. والعالمون: جمع عالم، وهو الخلق.

(٢) قضى: مات. والورى: الخلق. وصلبه: ظهره، والمراد: نسله، وسلالته.

فَلَا تَبْكِ مَيْتًا حَانَ يَوْمُ رَجِيلِهِ
وَلَا تَلْتَمِسِ أَمْرًا يَزِيدُكَ يَقْظَةً
دَعِ الْفَلَكَ الدَّوَارَ يَجْرِي وَلَا تَسَلْ
فَمَا هَذِهِ الدُّنْيَا وَإِنْ جَلَّ قَدْرُهَا
تَبُوحُ بِهَا الْأَنْفَاسُ وَهِيَ نَسَائِمٌ
فِيَا ضَارِبًا فِي الْأَرْضِ يَرْتَادُ غَايَةً
فَلِلْمَوْتِ مَا يَمْضِي الْفَتَى وَيَرُودُ^(٣)
فَلَيْسَ لِإِذْرَاكِ الْيَقِينِ مَزِيدُ^(٤)
أَفُوزَ كَهْلُ أُمَّ أَهْلٍ وَلِيدُ^(٥)
سَيَوَى مُهْلَةً نَأْتِي لَهَا وَنَعُودُ
وَتَعْفُو بِهَا الْأَبْدَانُ وَهِيَ صَعِيدُ
رُؤَيْدِكَ إِنَّ الْفَوْزَ مِنْكَ بَعِيدُ^(٦) *

(٣) يرود: يطلب، والروود أيضاً: الذهاب والمجئ.

(٤) تلتمس: تطلب.

(٥) المراد بالفلك الدوار: أمور الدنيا، وأحوال الكون. وفوز: مات وهلك. والكهل: من وخطه الشيب. وأهل الطفل: رفع صوته بالبكاء عند ولادته، أو ظهر، من قولهم: أهل الهلال: إذا ظهر. والوليد: الطفل المولود.

(٦) الضرب في الأرض: السير فيها، والسعي لابتغاء الرزق. ويرتاد: ارتاد الرائد الكلاً: إذا طلبه في موضعه. ورويدك: تسهل وأتد.

(★) وفي الأصل المخطوط الذي بين أيدينا أمثلة وصور لتنقيح الشعر وتهذيبه بالتعديل والتبديل في بعض المفردات، وبعض الأبيات، وأنصاف الأبيات، بأن تطمس الكلمة، أو الشطر، أو البيت، أو يضرب عليه، ليعدل عنه، أو يستبدل به غيره. وكلمة «رويدك» في هذا البيت كتبت في هامش الأصل بإزاء كلمة «وراءك» المضروب عليها، أو المعدول عنها. والبيت الذي يلي هذا البيت (وهو البيت التاسع، أي الأخير من هذه القصيدة الدالية الزهدية) مطموس في هذا الأصل ونصه:

مَتَى تَحْسُنُ الدُّنْيَا وَفِي كُلِّ لَحْظَةٍ (يُقَاجُنُنَا) فِيهَا الرَّدَى فَتَبِيدُ
والكلمة التي بين قوسين في أول الشطر الثاني تكلمة ظنية اجتهادية، لأن الكلمة الأصلية بولغ في طمسها فلم نستطع قراءتها.

قافية الذال

قال :

دَعِ الدُّلَّ فِي الدُّنْيَا لِمَنْ خَافَ حَتْفَهُ
وَلَا تَضْطَجِبْ إِلَّا أَمْرًا إِنْ دَعَوْتَهُ
يُسْرَكَ عِنْدَ الْأَمْنِ فَضْلًا وَحِكْمَةً
فَيَا حَبْذَا الْخَلِّ الصُّفِيِّ وَهَلْ أَرَى
لِعَمْرِي لَقَدْ نَادَيْتُ لَوْ أَنَّ سَامِعًا
وَطَبِوْفْتُ بِالْأَفَاقِ حَتَّى كَأَنِّي
فَمَا وَقَعْتُ عَيْنِي عَلَى غَيْرِ أَحْمَقٍ
إِذَا مَا رَأَيْتُ الشَّيْءَ فِي غَيْرِ أَهْلِهِ
فَحَتَّى مَتَى يَا دَهْرُ أَكْتُمُ لَوْعَةً
فَلَمَمْتُ خَيْرٌ مِنْ حَيَاةٍ عَلَى أَدَى
لَدَى جَمَرَاتِ الْحَرْبِ لِبَاكَ وَاحْتَذَى^(١)
وَيُرْضِيكَ يَوْمَ الرَّوْعِ نَبَلًا مُقَدَّذَا^(٢)
نَصِيًّا مِنَ الدُّنْيَا إِذَا قُلْتُ حَبْذَا^(٣)
وَنَوَّهْتُ بِالْأَحْرَارِ لَوْ أَنَّ مُنْقَدًا
أَحَاوِلُ مِنْ هِذِي الْبَسِيطَةِ مَنَقَدًا
غَوِيٌّ يَظُنُّ الْمَجْدَ فِي الرَّيِّ وَالْغِدَا^(٤)
وَلَمْ أَسْتَطِعْ رَدًّا طَرَفْتُ عَلَى قَدَى^(٥)
تُكَلِّفُ قَلْبِي كُفْلَةَ الرِّيحِ بِالشُّدَا؟

-
- (١) لدى جمرات الحرب: عند اتقاد نارها. ولبأك: أجابك، وأقام على طاعتك.
(٢) يوم الروع: يوم الفرع والخوف في الشدة والحرب ونحوهما. ومقذذ: مسوى.
(٣) الخلل: الصديق.
(٤) أحقق: قليل العقل. وغوي: ضال، منهك في الجهل. والغدا: الغذاء، الشراب.
(٥) طرف بصره: أطبق أحد جفنيه على الآخر. والقدى: ما يسقط في العين فيهيجهما، ويسيل دمعها.

أَلَمْ يَأْنِ لِلْأَيَّامِ أَنْ تُبْصِرَ الْهُدَى
 إِذَا لَمْ يَكُنْ بِالذَّهْرِ خَبْلٌ لَمَّا غَدَا
 فَتَخْفِضَ مَأْفُونًا وَتَرْفَعَ جِهْدًا؟^(٦)
 يَسِيرُ بِنَا فِي ظُلْمَةِ الْجُورِ هَكَذَا^(٧)
 وَقَالَ :

تَغْنَى الْحَمَامُ وَنَمَّ الشُّذَا
 وَمَا زَالَ يَرْضَعُ طِفْلُ النَّبَاتِ
 فَكُمُ نَغْتِنِمُ صَفْوَأَيَّامِنَا
 فَمَا بَعْدَ عَصْرِ الصَّبَا لَذَّةٌ
 تَذُودُ عَنِ الْقَلْبِ أَحْزَانَهُ
 وَتَجْلُو الظَّلَامَ بِأَلَائِهَا
 إِذَا مَا احْتَسَاهَا كَرِيمٌ هَدَى
 فَدَعُ مَا تَوَلَّى وَخُذْ مَا آتَى
 وَلَاخَ الصَّبَاحُ فَيَا حَبِّدَا !
 تُدِيّ الْغَمَامَةَ حَتَّى اغْتَدَى
 وَنَدْفَعُ بِالرَّاحِ عَنَّا الْأَذَى^(١)
 وَلَا مِثْلُ صَفْوِ الْحَمِيَّا غَدَا^(٢)
 وَتَنْفِي عَنِ الْعَيْنِ شَوْبَ الْقَدَى^(٣)
 كَانَ بِأَيْدِي السَّقَاةِ الْجُدَا^(٤)
 وَإِنْ عَبَّ فِيهَا لِئِيمٌ هَدَى
 فَلَنْ يَصْلُحَ الْعَيْشُ إِلَّا كَذَا

(٦) المأفون: الضعيف الرأي والعقل. والجهيد: النقاد الخبير بيوطن الأمور.

(٧) الخبل: فساد الأعضاء حتى لا يدري المختبل كيف يمشي، والخبل: الجنون وشبهه، كالهوج والبله. والجور: الظلم والميل عن القصد.

(١) الراح: الخمر.

(٢) حمياً الكأس: سورتها وشذتها، أو إسكارها، أو أخذها بالراس، والمراد بصفو الحمياً: خلاصة الخمر وصفوتها.

(٣) تذود: تدفع وتطرده. والشوب: الخلط، والمراد ما يشوب العين ويخالطها. والقدي: ما يسقط في العين فيهيجها.

(٤) اللألاء: البريق واللمعان. والجداء: جمع جذوة، وهي القبسة من النار.

قافية الراء

قَالَ يَصِفُ أَيَّامَ الرَّبِيعِ وَيَذْكُرُ مَوَاسِمَ اللَّهْوِ فِي عَصْرِ الشَّبَابِ :

رَمَتْ بِخُيُوطِ النُّورِ كَهَرَبَةِ الْفَجْرِ وَنَمَّتْ بِأَسْرَارِ النَّدى شَفَةَ الزَّهْرِ^(١)
 وَسَارَتْ بِأَنْفَاسِ الْخَمَائِلِ نَسْمَةً بَلِيلَةٌ مَهْوَى الذَّيْلِ عَاطِرَةُ النَّشْرِ^(٢)
 فَكُمُ نَعْتَنِمُ صَفْوَ الْبُكُورِ فَإِنَّهَا غَدَاةُ رَبِيعٍ زَهْرُهَا بِاسِمِ الثُّغْرِ^(٣)
 تَرَى بَيْنَ سَطْحِ الْأَرْضِ وَالْجَوِّ نَسْبَةً تُشَاكِلُ مَا بَيْنَ السَّحَابِ وَالْغُدْرِ^(٤)
 فِي الْجَوْهَتَانِ يَسِيلُ وَفِي الثَّرَى سُيُولُ تَرَامَى بَيْنَ أُودِيَةِ غُزْرِ^(٥)
 غَمَامَانِ فَيَاضَانِ هَذَا بِأَفْقِهِ يَسِيرُ وَهَذَا فِي طَبَاقِ الثَّرَى يَسْرِي^(٦)

(١) نَمَّ السَّرُّ وبالسَّرِّ: أشاعه وأفشاه.

(٢) الخمائل: جمع خميلة، وهي الشجر المجتمع الكثيف، والموضع الكثير الشجر. ومهوى

الذيل: طرفه، اسم مكان من هوى يهوى أي سقط. والنشر: الرائحة.

(٣) اغتنم الشيء: أصابه غنيمته، وهي ما يفوز به الإنسان بلا تعب ولا مشقة. الغداة: أول النهار،

أو ما بين صلاة الفجر وطلوع الشمس.

(٤) النسبة: النسب والقراية، والمراد الصلة. وتشاكل: تشابه وتضارع وتوافق. والغدر: جمع

غدير، وهو القطعة من الماء يغادرها السيل، أي يتركها.

(٥) سحب هتان: كثير الهتون، وهو الهطل والانصباب والتتابع. والثرى: الأرض. وغزر: كثيرة

الماء.

(٦) غمامان: مثني غمام، وهو السحاب، واحدته غمامة. وطباق الثرى: طبقاته التي يعلو بعضها

بعضاً.

وَقَدْ مَاجَتِ الْأَغْصَانُ بَيْنَ يَدِ الصَّبَا
 كَأَنَّ النَّدى فَوْقَ الشَّقِيقِ مَدَامِعُ
 إِذَا غَازَلْتَهَا لَمَعَةٌ ذَهَبِيَّةٌ
 فَفِي كُلِّ مَرَعَى لِحْظَةٌ وَشِي دِيمَةٌ
 مُرُوجٌ جَلَاهَا الزَّهْرُ حَتَّى كَانَهَا
 كَأَنَّ صِحَافَ النُّورِ وَالطَّلُّ جَامِدٌ
 وَقَدْ شَاقَنِي وَالصُّبْحُ فِي خِدرِ أُمِّهِ
 هَتَفْنَ فَأَطْرَبْنَ القُلُوبَ كَأَنَّمَا
 وَقَامَ عَلَى الجُدرَانِ أَعْرَفُ لَمْ يَزَلْ
 كَمَا رَفَرَفَتْ طَيْرٌ بِأَجْنِحَةٍ خُضِرِ (٧)
 تَجُولُ بِخَدِّ أَوْ جُمَانٍ عَلَى تَبْرِ (٨)
 مِنَ الشَّمْسِ رَفَتْ كَالشَّرَارِ عَلَى الجَمْرِ (٩)
 وَفِي كُلِّ مَرَمَى خَطْوَةٌ أَجْرَعُ مُثْرِي (١٠)
 سَمَاءُ تَرُوقُ العَيْنَ بِالأَنْجُمِ الزُّهْرِ (١١)
 مَبَاسِمُ أَصْدَافٍ تَبَسَّمْنَ عَن دُرٍّ (١٢)
 حَنِينُ حَمَامَاتٍ تَجَاوِبْنَ فِي وَكْرِ (١٣)
 تَعَلَّمْنَ الأَحَانَ الصَّبَابَةَ مِنْ شِعْرِي (١٤)
 يُدَدُّ أَحْلَامَ النِّيامِ وَلَا يَدْرِي (١٥)

(٧) الصبا: ريح تهب في بلاد العرب من جهة المشرق.

(٨) يريد بالشقيق: شقائق النعمان. ويريد بالمدامع: الدموع، وهي في الأصل المآقي، أي أطراف العين حيث تسيل الدموع. والجمان: حب من فضة يعمل على شكل اللؤلؤ، وقد يسمّى به اللؤلؤ، الواحدة جمانة. والتبر: ما كان من الذهب غير مضروب ولا مصوغ.

(٩) رفت: برقت وتلألأت.

(١٠) اللحظة (هنا): النظرة، والمراد بمرعى اللحظة: مجال النظر. والشوي: نقش الثوب، ويكون من كل لون. والديمة: مطر يدوم في سكون بلا رعد ولا برق. والأجرع: الرملة السهلة المستوية، الطيبة المنبت. والمثري: الكثير الخير.

(١١) جلاها الزهر: زينها وجملها، أو علاها، أو أوضح محاسنها. والزهر: النيرة المشرقة، البيض الحسان، واحدها أزهري.

(١٢) الصحف: جمع صحيفة، وهي إناء يؤكل فيه. والنور: الزهر، واحده نورة. والطل: المطر الخفيف، أو أضعف المطر، والمراد به قطرات الندى فوق ورق الزهر. والمباسم: جمع مبسم، وهو الثغر. والدر: اللآليء، واحده درة.

(١٣) شاقني: هيج شوقي. والخدر: الستر. والوكر: عش الطائر حيث كان في شجر أو جبل.

(١٤) هتفت الحمامة تهتف: صاتت وسجعت. والألحان: الأصوات المصوغة الموضوعة، يرسلها المغني بعد ضبطها ووزنها، أو هي الأغاني. والصبابة: الشوق، أو رفته وحرارته، أو رقة الهوى.

(١٥) المراد بالأعرف (هنا): الديك.

تَخَايَلَ فِي مَوْشِيَّةٍ عَبْقَرِيَّةٍ
لَهُ كِبَرَةٌ تَبْدُو عَلَيْهِ كَأَنَّهُ
فَسَارِعٌ إِلَى دَاعِي الصُّبُوحِ مَعَ النَّدَى
فَقَدْ نَسَمَتْ رِيحُ الشَّمَالِ فَنَبَّهَتْ
وَنَادَى الْمُنَادِي لِلصَّلَاةِ بِسُحْرَةٍ
فَبَادِرٌ لِمِيقَاتِ الصَّلَاةِ وَمِلٌ بِنَا
إِذَا مَا قَضَيْنَا وَاجِبَ الدِّينِ حَقَّهُ
أَلَا رَبُّ يَوْمٍ كَانَ تَارِيخُ صَبْوَةٍ
عَصَيْتُ بِهِ سُلْطَانَ حِلْمِي وَقَادَنِي
لَدَى رَوْضَةٍ رِيًّا الْغُصُونِ تَرَنَّنَتْ

مُهَدَّلَةَ الْأُرْدَانِ سَابِغَةَ الْأَزْرِ^(١٦)
مَلِيكَ عَلَيْهِ التَّاجُ يَنْظُرُ عَنْ شَزْرِ^(١٧)
لِتَجْنِي بِأَيْدِي اللَّهْوِ بَاكُورَةَ الْعُمْرِ^(١٨)
عُيُونَ الْقَمَارِي وَهِيَ فِي سِنَةِ الْفَجْرِ^(١٩)
فَأَحْيَا الْوَرَى مِنْ بَعْدِ طَيِّ إِلَى نَشْرِ^(٢٠)
إِلَى الْقَصْفِ مَا بَيْنَ الْجَزِيرَةِ وَالنَّهْرِ^(٢١)
فَلَيْسَ عَلَيْنَا فِي الْخَلَاعَةِ مِنْ وَزْرِ^(٢٢)
مَضَى غَيْرَ إِثْرٍ فِي الْمَخِيلَةِ أَوْ ذِكْرِ^(٢٣)
إِلَى اللَّهْوِ شَيْطَانُ الْخَلَاعَةِ وَالسُّكْرِ
مَعَاظِفُهَا رَقْصًا عَلَى نَعْمَةِ الْقُمْرِي^(٢٤)

(١٦) تخايل: تكبر. وموشية: منقوشة، اسم مفعول من الوشي، وهو نقش الثوب. وعبقرية: تامة الحسن، نسبة إلى عبقر. ومهدلة: مسترسلة مرخاة طويلة. والأردان: جمع ردن وهو الكم. وسابغة: واسعة طويلة تامة. والأزر: جمع إزار، وهو الثوب، والملحفة، وكل ما ستر الجسم. (١٧) الكبرة: العظمة والتجبر والكبرياء. ونظر إليه شزراً: إذا كان بمؤخر عينه، وهو نظر فيه إعراض وتكبر، كنظر المبالغض والغضبان.

(١٨) الصبوح: شراب الصباح. وباكورة الفاكهة: أول ما يدرك منها. (١٩) القماري: جمع قمرية، وهي نوع من الحمام، والقمرة في الأصل البياض، أو هي لون مائل إلى الخضرة، أو بياض فيه كدرة. والسنة: النعاس أو أول النوم. (٢٠) السحرة: السحر، وهو آخر الليل قبيل الصبح، والمراد وقت الفجر. والورى: الخلق والناس. والمراد بالطي: النوم. والمراد بالنشتر: اليقظة والانتشار في الأرض.

(٢١) ميقات الصلاة: وقتها المضروب لأدائها. والقصف: اللهو واللعب. ويريد بالجزيرة: روضة المقياس في نهر النيل، شرقي الجيزة، وغربي مصر القديمة. (٢٢) الخلاعة: المجون وعدم المبالاة. والوزر: الإثم والذنب.

(٢٣) الصبوة: الميل إلى الجهل والفتوة. والإثر: الأثر، والمراد الصورة. والمخيلة: الوهم والخيال. والذكر: التذكر، والشيء يجري على اللسان.

(٢٤) الروضة: أرض ذات شجر وعشب وزهر. وترننت: تمايلت. ومعاطفها: جوانبها حيث تعطف وتنثني. والقمرى: نوع من الحمام.

تَدُورُ عَلَيْنَا بِالْمُدَامَةِ بَيْنَهَا تَمَائِيلُ إِلَّا أَنهَا بَيْنَنَا تَجْرِي (٢٥)
تَرَى كُلَّ مَيْلَاءِ الْخِمَارِ مِنَ الصَّبَا هَضِيمَةَ مَجْرَى الْبِنْدِ نَاهِدَةَ الصَّدْرِ (٢٦)
إِذَا انْفَتَلَتْ فِي حَاجَةٍ خِلَتْ جُوذْرًا أَحْسَّ بِصَيَّادٍ فَاتَّلَعَ مِنْ دُعْرِ (٢٧)
لَوَى قَدُّهَا سُكْرُ الْخَلَاعَةِ وَالصَّبَا فَمَالَتْ بِشَطْرٍِ وَاسْتَقَامَتْ عَلَى شَطْرِ (٢٨)
وَعَلَّمَهَا وَحْيُ الدَّلَالِ كَهَانَةً فَإِنْ نَطَقَتْ جَاءَتْ بِشَيْءٍ مِنَ السُّحْرِ (٢٩)
أَحْسَتْ بِمَا فِي نَفْسِهَا مِنْ مَلَاخَةٍ فَتَاهَتْ عَلَيْنَا وَالْمَلَاخَةُ قَدْ تُغْرِي (٣٠)
وَأَعْجَبَهَا وَجِدِي بِهَا فَتَكَبَّرَتْ عَلَيَّ دَلَالًا وَهِيَ تَصْدُرُ عَنْ أَمْرِي (٣١)
فَتَاةٌ يَجُولُ السُّحْرُ فِي لِحَظَاتِهَا مَجَالَ الْمَنَايَا فِي الْمُهَنْدَةِ الْبَتْرِ (٣٢)
إِذَا نَظَرْتُ أَوْ أَقْبَلْتُ أَوْ تَهَلَّلْتُ فَوَيْلُ مَهَاةِ الرَّمْلِ وَالْغُصْنِ وَالْبَدْرِ (٣٣)

- (٢٥) المدامة: الخمر. والتمايل: الفتيات الحسان اللاتي يسقينهم.
(٢٦) ميلاء: مائلة. والخمار: ثوب تغطي به المرأة رأسها. وهضيمة: ضامرة خميصة نحيفة لطيفة. والبند: النطاق. ومجرى البند: الخاصرة والوسط. وناهدة: صفة من نهد الثدي نهوداً إذا ظهر وارتفع.
(٢٧) الجوذور: ولد البقرة الوحشية تشبه به المرأة الحسناء في الرشاقة وجمال العيون واتساعها. وأتلع الطبي ونحوه: سما بجيده، ومدّ عنقه متطاولاً.
(٢٨) القدّ: القوام والاعتدال.
(٢٩) الوحي: الإيماء والإشارة والإلهام، وكل ما ألقىته إلى غيرك ليعلمه. والكهانة: مصدر كهن له إذا قضى له بالغيب، والمراد بالكهانة هنا: السحر، أو عذوبة القول، ولطف الحديث، لأن الكاهن يستميل من يكهن له بكلام ساحر شديد التأثير.
(٣٠) الملاحة: الحسن. وتاهت: تكبرت.
(٣١) تصدر عن أمره: تطيعه ولا تخالفه.
(٣٢) اللحظات: جمع لحظة، وهي النظرة بمؤخر العين. ومجال: مصدر ميمي بمعنى الجولان وهو الطواف والدوران. والمهندة: السيوف المطبوعة من حديد الهند، وهي أجود السيوف، يقال سيف هندواني ومهند. والبتير: جمع أبتير، أي نافذ قاطع.
(٣٣) تهللت: تلاًلاً وجهها وأشرق. والمهاة: البقرة الوحشية، تشبه بها الحسناء في جمال العيون واتساعها.

فَمَا زَلْنِ يُغْرِينِ الطَّلَا بِعُقُولِنَا
فَمِنْ وَاقِعِ يَهْدِي وَآخِرَ ذَاهِلِ
صَرِيْعُ يَظُنُّ الشُّهْبَ مِنْهُ قَرِيْبَةً
إِذَا مَا دَعَوْتَ الْمَرْءَ دَارَ بِلِحْظِهِ
بَعِيْدُ عَنِ الدَّاعِي وَإِنْ كَانَ حَاضِرًا
تَحَكَّمَتِ الصُّهْبَاءُ فِيهِمْ فَغَيَّرَتْ
فِيَا سَامَحَ اللَّهُ الشُّبَابَ وَإِنْ جَنَى
مَلَكَتْ بِهِ أَمْرِي وَجَارَيْتُ صَبَوْتِي
إِذَا أَبْصَرُونِي فِي النَّدِيِّ تَحَاجَزُوا
إِلَى أَنْ سَقَطْنَا لِلْيَدَيْنِ وَلِلنَّحْرِ (٣٤)
لَهُ جَسَدٌ مَا فِيهِ رُوحٌ سِوَى الْخَمْرِ (٣٥)
فَيَسْدُو بِكَفِّهِ إِلَى مَطْلَعِ النَّسْرِ (٣٦)
إِلَيْكَ وَغَشَاهُ الذُّهُولُ عَنِ الْجَهْرِ (٣٧)
كَأَنَّ بِهِ بَعْضَ الْهَنَاتِ مِنَ الْوَقْرِ (٣٨)
شَمَائِلٌ مَا يَأْتِي بِهِ الْجِدُّ بِالْهَذْرِ (٣٩)
عَلَيَّ وَحِيَا عَهْدَهُ سَبَلُ الْقَطْرِ (٤٠)
وَأَصْبَحْتُ مَرْهُوبَ الْحَمِيَّةِ وَالْكَبْرِ (٤١)
عَنِ الْقَوْلِ وَاسْتَغْنَوْا عَنِ الْعُرْفِ بِالنُّكْرِ (٤٢)

- (٣٤) الطلاء: الخمر، وقصرت هنا لضرورة وزن الشعر. والنحر: موضع القلادة من الصدر.
(٣٥) يهذي: يتكلم بغير معقول. وذاهل: اسم فاعل من ذهل عن الشيء ذهلاً وذهولاً إذا نسيه وغفل عنه.
(٣٦) صريع: مطروح على الأرض. والشهب: النجوم السبعة المعروفة بالدراري، والمراد بها هنا: النجوم مطلقاً. وسدا بيده يسدو: مدها. والنسر: كوكب معروف، وهما اثنان، يقال لأحدهما النسر الطائر، وللآخر النسر الواقع.
(٣٧) معنى دار بلحظه إليك: نظر إليك نظرات حائرة. وغشاه: غطاه وغلبه. والذهول: الغفلة. والجهر: رفع الصوت بالكلام.
(٣٨) الهنات: جمع هنة، وهي الشيء اليسير. والوقر: ثقل في الأذن، أو ذهاب السمع كله.
(٣٩) الصهباء: الخمر، أو المعصورة من عنب أبيض. والشمائيل: جمع شمال بمعنى الخلق والطبع. والهدر: مصدر هذر في منطقه إذا خلط وتكلم بما لا ينبغي.
(٤٠) السبل: المطر الغزير المسبل، أي الذي أرسل دفعه وتكاثف، كأنما أسبل سترأ، أي أرسله وأرخاه، أو هي سبل: جمع سبله، والسبله: المطرة الواسعة. والقطر: المطر.
(٤١) مرهوب: مهيب مخوف. والحمية: الأنفة والاستكبار.
يبين في هذا البيت سبب دعائه للشباب، فيقول: إنه كان مصدر قوة ولذة وهيبة.
(٤٢) الندى: مجلس القوم، أو المجلس ما داموا مجتمعين فيه كالنادي والمنتدى. وتحاجزوا عن القول: منع بعضهم بعضاً. والعرف (هنا): ما يستحسن من كريم الآداب. والنكر: المنكر.

وَقَالُوا فَتَى مَالَتْ بِهِ نَشْوَةُ الصَّبَا
يَخَافُونَ مِنِّي أَنْ تَشُورَ حَمِيَّتِي
أَلَا لَيْتَ هَاتِيكَ اللَّيَالِي وَقَدْ مَضَتْ
مَوَاسِمُ لَذَاتٍ تَقَضَّتْ وَلَمْ يَزَلْ
إِذَا اعْتَوْرَتْهَا ذُكْرَةُ النَّفْسِ أَبْصَرَتْ
فَذَلِكَ عَصْرٌ قَدْ مَضَى لِسَبِيلِهِ
لَعَمْرُكَ مَا فِي الدَّهْرِ أَطْيَبُ لَذَّةً
وَلَيْسَ عَلَى الْفِتْيَانِ فِي اللَّهْوِ مِنْ حَجْرٍ (٤٣)
فَيَبْتَغُونَ عَطْفِي بِالْخَدِيعَةِ وَالْمَكْرِ (٤٤)
تَعُودُ وَذَلِكَ الْعَيْشُ يَأْتِي عَلَى قَدْرِ (٤٥)
لَهَا أَثْرٌ يَطْوِي الْفُؤَادَ عَلَى أَثْرِ (٤٦)
لَهَا صُورَةٌ تَخْتَالُ فِي صَفْحَةِ الْفِكْرِ (٤٧)
وَخَلَفَنِي أَرْعَى الْكَوَاكِبَ فِي عَصْرِ (٤٨)
مِنَ اللَّهْوِ فِي ظِلِّ الشُّبَيْبَةِ وَالْيُسْرِ

وَقَالَ * :

بِنَاطِرِكَ الْفَتَانَ آمَنْتُ بِالسَّحْرِ
فَلَا تَعْتَمِدْ بِالْهَجْرِ قَتْلَ مُتَيْمٍ
فَلَوْلَاكَ مَا حَلَّ الْهَوَى قَيْدَ مَدْمَعِي
وَهَلْ بَعْدَ إِيمَانِ الصَّبَابَةِ مِنْ كُفْرٍ؟ (١)
فَإِنَّ الْمَنَايَا لَا تَزِيدُ عَنِ الْهَجْرِ (٢)
وَلَا شَبَّ نِيرَانَ اللَّوَاعِجِ فِي صَدْرِي (٣)

(٤٣) النشوة: السكر، والمراد المرح والطرب. والحجر: المنع والكف.

(٤٤) الحمية: الأنفة والغضب.

(٤٥) القدر: الغنى واليسار، والقوة والقدرة، أو القدر: التقدير، ومعنى «يأتي على قدر»: على تقدير مني، أو على موعد، أو على حسب ما أهوى وأحب.

(٤٦) الأثر: بقية الشيء، وما بقي من رسمه. والأثر: أثر الجراح يبقى بعد البرء.

(٤٧) اعتورتها: تداولتها. وتختال: تزهى وتفخر وتتكبر.

(٤٨) أرعى الكواكب: أراقبها وأنتظر مغيبها، وهذا كناية عن الحيرة والحسرة.

(*) هذه القصيدة من السرنديبيات اللامعة الممتعة، نظمها البارودي وهو أشيب، في السابعة والخمسين، أي في نحو سنة ١٨٩٦.

(١) الصبابة: رقة الهوى، وحرارة الشوق.

(٢) متيم: اسم مفعول من تيمه العشق، أي عبده وذلكه.

(٣) حل قيد مدمعه: كناية عن صبه وإسالته. واللواعج: جمع لاعج، صفة من لعجه الهم والحب ونحوهما، أي أحرقه وآلمه، وبه لاعج الشوق ولواعجه، أي حرقه وتباريحه

وَإِنِّي عَلَى مَا كَانَ مِنْكَ لَصَابِرٌ
فَلَيْتَ الَّذِي أَهْدَى الْمَلَامَةَ فِي الْهَوَى
رَأَى كَلْفِي لَا يَسْتَفِيقُ فَظَنَّ بِي
وَمَاذَا عَلَيْهِ وَهُوَ خَالٍ مِنَ الْجَوَى
فَإِنْ أَكُ مَشْغُوفًا فَذُوا الْحِلْمِ رَبُّمَا
وَأَيُّ أَمْرِي يَقْوَى عَلَى رَدِّ لَوْعَةٍ
عَلَى أَنِّي لَمْ آتِ فِي الْحُبِّ زَلَّةً
وَلَكِنِّي طَوَّفْتُ فِي عَالَمِ الصَّبَا
سَجِيَّةُ نَفْسٍ آثَرَتْ مَا يَسُرُّهَا
مَلَكَتْ يَدِي عَنْ كُلِّ سُوءٍ وَمَنْطِقِي

لَعَلِمِي أَنَّ الْفَوْزَ مِنْ ثَمَرِ الصَّبْرِ (٤)
تَوَسَّمْ خَيْرًا أَوْ تَكَلَّمْ عَنْ خَيْرٍ (٥)
هَنَاتٍ وَسُوءِ الظَّنِّ دَاعِيَةُ الْوِزْرِ (٦)
إِذَا هِمَّتْ شَوْقًا أَوْ تَرَنَّمَتْ بِالشُّعْرِ؟ (٧)
أَطَاعَ الْهَوَى وَالْحُبُّ مِنْ عَقْدِ السُّحْرِ (٨)
إِذَا التَّهَبَّتْ أُرْبَتُ عَلَى وَهَجِ الْجَمْرِ؟ (٩)
تَغَضُّ بِذِكْرِي فِي الْمَحَافِلِ أَوْ تُزْرِي (١٠)
وَعُدْتُ وَلَمْ تَعْلُقْ بِفَاضِحَةٍ أُزْرِي (١١)
وَلِلنَّاسِ أَخْلَاقٌ عَلَى وَفْقِهَا تَجْرِي (١٢)
فَعِشْتُ بَرِيءَ النَّفْسِ مِنْ دَنْسِ الْعُذْرِ (١٣)

(٤) الفوز : الظفر .

(٥) توسَّم الشيء : تخيَّله وتفَرَّسه . والخبر : العلم والمعرفة .

(٦) الكلف : العشق والولوع والغرام . ولا يستفيق : لا يهدأ ولا يغادر . وهنات : خصال سوء .
والوزر : الإثم والذنب .

(٧) الجوى : هوى باطن ، والحرقة ، وشدة الوجد ، وتبريح الغرام . وهام يهيم هيماً وهيماناً : أحب ،
أو صار كالمجنون من العشق . وترنم : تغنى وطرب .

(٨) مشغوفاً : مستهماً عاشقاً . والحلم : الأناة والعقل . والعقد : جمع عقدة وهي موضع العقد ،
وأصله أن السحرة يعقدون عقداً يزعمون أن فيها السحر ، ومن أجل هذا سمي الساحر معقداً .

(٩) أربت : زادت . والوهج : اسم من وهجت النار تهج وهجاً ووهجاناً أي اتقدت .

(١٠) زلة : خطأ . وغض منه : نقصه وعابه ووضع من قدره . والمحافل : جمع محفل ، وهو
المجتمع . وتزري : مضارع زرى عليه فعله إذا عابه وعنفه .

(١١) طوّف : أكثر التطواف . والصبأ : الميل إلى الجهل والفتوة . والفاضحة : الفضيحة . والأزر :
جمع إزار ، وهو الثوب ، وكل ما سترك .

(١٢) السجية : الخلق والطبيعة . وآثرت : فضلت وقدمت .

(١٣) الدنس : القذر ، وأراد بدنس العذر : الاعتذار من العيب والقبائح التي تضع من قدر المرء ،
وتدنس عرضه .

وَأَحْسَنْتُ ظَنِّي بِالصَّدِيقِ وَرُبَّمَا
 فَأَصْبَحْتُ مَأْتُورَ الْخِلَالِ مُحِبِّياً
 فَمَا أَنَا مَطْلُوبٌ بِوَتْرِ لِمَعَشِرٍ
 رَضِيْتُ مِنَ الدُّنْيَا وَإِنْ كُنْتُ مَثْرِباً
 وَأَخْلَصْتُ لِلرَّحْمَنِ فِي مَا نَوَيْتُهُ
 إِذَا مَا أَرَادَ اللَّهُ خَيْراً بَعْبِدِهِ
 فَيَا بِنَ أَبِي (وَالنَّاسُ أَبْنَاءُ وَاحِدٍ)
 إِذَا شِئْتَ أَنْ تَحْيَا سَعِيداً فَلَا تَكُنْ
 وَلَا تَحْتَقِرْ ذَا فَاقَةٍ فَلَرُبَّمَا
 فَرُبُّ فَقِيرٍ يَمْلَأُ الْقَلْبَ حِكْمَةً
 وَكُنْ وَسَطاً لَا مُشْرَبّاً إِلَى السُّهَى

(١٤) مأثور الخلال: خصاله محمودة، وفضائله مشهورة، يأتها الناس، أي ينقلونها، ويتحدثون بها. والسريرة: السر.

(١٥) الوتر: الذحل، وهو الثار. والمعشر: جماعة الناس. والملهوف: المتحير المضطرب.

(١٦) يابن أبي: نداء لكل إنسان. وتقلد وصاتي: احرص على وصيتي، وانتفع بها.

(١٧) لدوداً: شديد الخصومة. والقسر: القهر والشدة. ومعنى «لا تدفع يد اللين بالقسر»: لا تخاشن من يلاينك.

(١٨) الفاقة: الفقر والحاجة. والشهم: السيد الذكي الفؤاد، ذو المروءة. ومعنى «بير على المثري»: يغلبه في الفضل والبر، ويفوقه في المروءة والخير.

(١٩) لا يريش ولا يبيري: لا ينفع ولا يضر، وأصله من راش النابل السهم يريشه، إذا ألزق عليه الريش. وبرى السهم يبريه برياً: نحته.

(٢٠) اشراب إليه: مد عنقه لينظر، أو رفع رأسه كهيئة الشارب. والسها: كوكب خفي، من بنات نعش الصغرى، يمتحن الناس به أبصارهم. والتزلف: التقرب. والصغر: الذل والضميم والمهانة كالصغار.

فَأَحْمَدُ أَخْلَاقِ الْفَتَى مَا تَكَافَأَتْ
 وَلَا تَعْتَرِفُ بِالذُّلِّ فِي طَلَبِ الْغِنَى
 وَإِيَّاكَ وَالتَّسْلِيمَ بِالْغَيْبِ قَبْلَ أَنْ
 وَدَارِ الَّذِي تَرْجُو وَتَخْشَى وَدَادَهُ
 فَقَدْ يَغْدُرُ الْخِلُّ الْوَفِيَّ لِهَفْوَةٍ
 وَفِي النَّاسِ مَنْ تَلْقَاهُ فِي زِيٍّ عَابِدٍ
 إِذَا أُمَكَّنْتَهُ فُرْصَةً نَزَعَتْ بِهِ
 وَلَا تَحْسَبَنَّ الْجِلْمَ يَمْنَعُ أَهْلَهُ
 فَهَيْدِي وَصَاتِي فَاحْتَفِظْهَا تَفْرُ بِمَا
 فَإِنِّي امْرُؤٌ جَرَبْتُ دَهْرِي وَزَادَنِي
 بَلَغْتُ مَدَى خَمْسِينَ وَازْدَدْتُ سَبْعَةً
 فَكَيْفَ تَرَانِي الْيَوْمَ أَخْشَى ضَلَالَةَ
 أَقُولُ بِطَبَعٍ لَسْتُ أَحْتَاجُ بَعْدَهُ
 وَلِي مِنْ جَنَانِي - إِنْ عَزَمْتُ - وَمَقُولِي
 إِذَا جَاشَ طَبِيعِي فَاضَ بِالذُّرِّ مَنْطِقِي

بِمَنْزِلَةٍ بَيْنَ التَّوَاضُعِ وَالْكَبِيرِ
 فَإِنَّ الْغِنَى فِي الذُّلِّ شَرٌّ مِنَ الْفَقْرِ
 تَرَى حُجَّةً تَجْلُو بِهَا غَامِضَ الْأَمْرِ
 وَكُنْ مِنْ مَوَدَّاتِ الْقُلُوبِ عَلَى حِذْرِ
 وَيَحْلُو الرُّضَا بَعْدَ الْعَدَاوَةِ وَالشَّرِّ
 وَلِلْغَدْرِ فِي أَحْشَائِهِ عَقْرَبٌ تَسْرِي (٢١)
 إِلَى الشَّرِّ أَخْلَاقٌ نَبْتَنَ عَلَى غِمْرِ (٢٢)
 وَقُوعِ الْأَذَى فَالْمَاءُ وَالنَّارُ مِنْ صَخْرِ
 تَمْنَيْتَ مِنْ نَيْلِ السَّعَادَةِ فِي الدَّهْرِ
 بِهِ خَبْرَةٌ صَبْرِي عَلَى الْحُلُوِّ وَالْمُرِّ
 جَعَلْتُ بِهَا أَمْشِي عَلَى قَدَمِ الْخِضْرِ (٢٣)
 وَشَيْبِي مِصْبَاحٌ عَلَى نُورِهِ أُسْرِي ؟
 إِلَى الْمَنْهَلِ الْمَطْرُوقِ وَالْمَنْهَجِ الْوَعْرِ (٢٤)
 سِرَاجٌ وَعَضْبٌ ذَا يُضِيءُ وَذَا يَفْرِي (٢٥)
 وَلَا عَجَبٌ فَالذُّرُّ يَنْشَأُ فِي الْبَحْرِ

(٢١) الأحشاء: جمع حشا، وهو ما اجتمعت عليه الضلوع، أو ما حواه البطن، والمراد الضمير والقلب، حيث يكون الضغن والعداوة.

(٢٢) نزعته به: مالت وذهبت. والغمر: الحقد.

(٢٣) الخضر: صاحب موسى عليهما السلام، وقصتهما في القرآن مشهورة.

(٢٤) المنهل: المورد. والمطروق: الذي تطرقه الدواب والناس. والمنهج: الطريق. والوعر: الصعب.

(٢٥) الجنان: القلب. والمقول: اللسان. والعضب: السيف القاطع. ويفري: يقطع.

تَدْبُرُ مَقَالِي إِنْ جَهَلْتَ خَلِيفَتِي
وَلَا تَعْجَبَنَّ مِنْ مَنْطِقِي إِنْ تَأْرَجْتُ
سَيَذْكُرُنِي بِالشُّعْرِ مَنْ لَمْ يُلَاقِنِي
وَقَالَ (★) :

أَبَى الشُّوقُ إِلَّا أَنْ يَحِنَّ ضَمِيرُ
وَهَلْ يَسْتَطِيعُ الْمَرْءُ كِتْمَانَ لَوْعَةٍ
خَضَعَتْ لِأَحْكَامِ الْهَوَىٰ وَلَطَالَمَا
أَفْلُ شَبَابَةِ اللَّيْثِ وَهُوَ مُنَاجِزُ
وَيَجْزَعُ قَلْبِي لِلصُّدُودِ وَإِنِّي
وَكُلُّ مُشَوِّقٍ بِالْحَنِينِ جَدِيرٌ^(١)
يَنْمُ عَلَيْهَا مَدْمَعٌ وَزَفِيرٌ؟^(٢)
أَبَيْتُ فَلَمْ يَحْكُمْ عَلَيَّ أَمِيرُ
وَأَرْهَبُ لَحْظَ الرَّثْمِ وَهُوَ غَرِيرٌ^(٣)
لَدَى الْبَاسِ إِنْ طَاشَ الْكَمِيُّ صَبُورٌ^(٤)

(٢٦) الخليفة: الطبيعة. والأثر: فرند السيف ورونقه وديباخته.
(★) قصد أبو نواس من بغداد الخصيب بن عبد الحميد العجمي، أمير مصر في عصر هارون
الرشيد، فمدحه برائية مشهورة مطلعها:

أجارة بيتينا أبوك غيور وميسور ما يرجي لديك عسير

فعارضها البارودي بهذه القصيدة، أي أتى بمثلها، ونسج على منوالها في وزنها ورويها.

(١) يحن: ينزع ويميل ويهيم ويشتاق، من الحنين، وهو الشوق وتوقان النفس إلى لقاء من تحبه
وتهفو إليه. والضمير: السر، والشيء الذي تضمه في قلبك، أي تخفيه، والمراد
بالضمير (هنا): القلب.

(٢) اللوعة: حرقه في القلب، وألم من حب أو هم أو مرض أو نحو ذلك. وينم عليها: يدلّ عليها
ويظهرها، والمراد بالمدمع هنا: الدمع. والزفير: إخراج النفس طويلاً ممدوداً.

(٣) فل الشيء: كسره. وشبابة كل شيء: حدّه، وفل شبابه: قهره وغلبه. والليث: الأسد. ومناجز:
اسم فاعل من المناجزة، وهي المقاتلة. واللحظ: النظر. والرثم: الظبي الخالص البياض،
تشبه به النساء الملاح في الرشاقة وجمال الجيد والعينين. والمراد بالغرير (هنا): الهاديء
الوديعة.

(٤) الجزع: نقيض الصبر، جزع إذا ضعفت منته، أي قوته عن حمل ما نزل به، ولم يجد صبراً.
والصدود: الهجران والإعراض. والبأس: الشدة في الحرب. وطاش: ضعف وجبن وفر.
والكمي: الشجاع المتكمي في سلاحه، أي المتغطي المتستر به.

وَمَا كُلُّ مَنْ خَافَ الْعُيُونَ يِرَاعَةً وَلَا كُلُّ مَنْ خَاصَ الْحُتُوفَ جَسُورٌ^(٥)
 وَلَكِنْ لِأَحْكَامِ الْهَوَى جَبْرِيَّةٌ تَبُوحُ لَهَا الْأَنْفَاسُ وَهِيَ تَفُورٌ^(٦)
 وَإِنِّي عَلَى مَا كَانَ مِنْ سَرَفِ الْهَوَى لَذُو تُدْرَأٍ فِي النَّائِبَاتِ مُغِيرٌ^(٧)
 يُرَافِقُنِي عِنْدَ الْخُطُوبِ إِذَا عَرْتُ جَوَادٌ وَسَيْفٌ صَارِمٌ وَجَفِيرٌ^(٨)
 وَيُصْحَبُنِي يَوْمَ الْخَلَاعَةِ وَالصَّبَا نَدِيمٌ وَكَأْسُ رِيَّةٍ وَمُدِيرٌ^(٩)
 فَطُورًا لِفُرْسَانِ الصَّبَاحِ مُطَارِدٌ وَطُورًا لِإِخْوَانِ الصَّفَاءِ سَمِيرٌ^(١٠)
 وَيَارُبُّ حَيٌّ قَدْ صَبَحَتْ بِغَارَةٍ تَكَادُ لَهَا شَمُّ الْجِبَالِ تَمُورٌ^(١١)
 وَلَيْلٍ جَمَعْتُ اللَّهْوَ فِيهِ بِغَادَةٍ لَهَا نَظْرَةٌ تُسَدِّي الْهَوَى وَتُنِيرٌ^(١٢)
 عَقَلْنَا بِهِ مَا نَدُّ مِنْ كُلِّ صَبُوءَةٍ وَطَرْنَا مَعَ اللَّذَاتِ حَيْثُ تَطِيرٌ^(١٣)

- (٥) يريد بالعيون: عيون الحسان، وما فيها من سحر وفتنة وجمال. ويراعة: جبان. والحتوف: جمع حتف، وهو الموت والهلاك. والجسور: الشجاع المقدام.
- (٦) جبريَّة: شدة وقوة وعظمة وجبروت. وتبوح: تسكن. وهي تفور: أي وهي في شدتها.
- (٧) سرف الهوى: شدة الحب وضراوته. ورجل ذو تدرأ وذو تدرأة: مدافع، ذو عز ومنعة وقوة. ومغير: اسم فاعل من أغار الرجل على عدوه إغارة، أي دفع عليهم الخيل، وأغار الفرس: اشتد عدوه، والمراد بالإغارة هنا النجدة، والهجوم على العدو.
- (٨) عرت: نزلت وغشيت. وصارم: قاطع. والجفير: الجعبة، وهي كنانة الشباب، أي النبل والسهام، وتكون عادة من الجلد، وقد تصنع من خشب لا جلود فيها.
- (٩) الخلاعة: المجانة وعدم المبالاة والانغمار في اللهو والمرح. والصبا: الميل إلى الجهل والفتوة، والجري في أساليب الهوى والخلاعة. وكأس رية: مملوءة، أو كثيرة الشراب. ويريد بالمدير: الساقى.
- (١٠) مطاردة الأقران: أن يحمل بعضهم على بعض في القتال.
- (١١) الحي: القبيلة من قبائل العرب، أو هو البطن من بطونهم. وصبهم: أتاهم صباحاً. والغارة: الهجوم. وشم الجبال: الجبال المرتفعة العالية. وتمور: تتحرك وتهتز.
- (١٢) الغادة: المرأة الناعمة المثنية اللينة الأعطاف. وتسدي الهوى وتنير: توجده، وتحكم أسبابه.
- (١٣) عقلنا: قيّدنا، وأصله من عقلت البعير: أي ثنيت وظيفه مع ذراعه، وشدتها جميعاً في وسط الذراع بحبل، ويسمى هذا الحبل عقلاً. وند: نفر وشرد، وذهب على وجهه.

وَقُلْنَا لِسَاقِينَا أُدْرِهَا فَإِنَّمَا
 فَطَافَ بِهَا شَمْسِيَّةٌ ذَهَبِيَّةٌ
 إِذَا مَا شَرِبْنَاهَا أَقْمَنَا مَكَانَنَا
 إِلَى أَنْ أَمَاطَ اللَّيْلُ ثَنِي لِثَامِهِ
 وَنَبَّهَنَا وَقَعُ النَّدَى فِي خَمِيلَةٍ
 تَنَاعَتْ بِهَا الْأَطْيَارُ حِينَ بَدَا لَهَا
 فَهَنَّ إِلَى ضَوْءِ الصَّبَاحِ نَوَاطِرُ
 خَوَارِجٍ مِنْ أَيْكَ دَوَاحِلُ غَيْرِهِ
 تَوَسَّدُ هَامَاتٌ لَهْنٌ وَسَائِدًا
 كَأَنَّ عَلَى أَعْطَافِهَا مِنْ حَبِيكِهَا
 بَقَاءُ الْفَتَى بَعْدَ الشَّبَابِ يَسِيرُ
 لَهَا عِنْدَ الْبَابِ الرَّجَالِ تُؤُورُ^(١٤)
 وَظَلَّتْ بِنَا الْأَرْضُ الْفَضَاءُ تَدُورُ
 وَكَادَتْ أَسَارِيرُ الصَّبَاحِ تُتِيرُ^(١٥)
 لَهَا مِنْ نُجُومِ الْأَقْحْوَانِ تُغُورُ^(١٦)
 مِنَ الْفَجْرِ خَيْطٌ كَالْحَسَامِ طَرِيرُ^(١٧)
 وَعَنْ سُدْفَةِ اللَّيْلِ الْمُجَنَّحِ زُورُ^(١٨)
 زَهَاهُنَّ ظِلٌّ سَابِغٌ وَغَدِيرُ^(١٩)
 مِنَ الرَّيْشِ فِيهِ طَائِلٌ وَشَكِيرُ^(٢٠)
 تَمَائِمَ لَمْ تُعْقَدْ لَهُنَّ سُيُورُ^(٢١)

(١٤) شمسية ذهبية: كالشمس والذهب في اللون والصفاء والإشراق. والألباب: جمع لب، وهو العقل. وتؤور: جمع ثار.

(١٥) أماط: كشف ونحى. والثني: واحد أثناء الثوب ونحوه، وهي تضاعيفه وأطواقه. واللثام: ما يكون على الفم من النقاب. والأسارير: محاسن الوجه.

(١٦) الخميطة: الشجر الكثير الملتف، والموضع الكثير الشجر. والأقحوان: البابونج، وهو نبت طيب الرائحة. والثغور: جمع ثغر، وهو الفم، أو مقدم الأسنان.

(١٧) تناعت: المراد صدحت وتجاوبت وتبارت. والحسام: السيف القاطع. وطرير: جميل ذو منظر ورواء.

(١٨) سدفة الليل: ظلمته. والمجنح: ذو الجناح، على تشبيه الليل بالطائر الأسود. وزور: مائلات عن ظلمة الليل. وفي رواية أخرى «صور»، جمع أصور، أو صوراء، وهما صفتان من صور أي مال.

(١٩) الأيك: الشجر الكثير الملتف، الواحدة أيقة. وزهاهن: دعاهن إلى الزهو وهو الإعجاب والتهو والفخر. وسابغ: ممدود متسع طويل ظليل.

(٢٠) هامات: جمع هامة، وهي الرأس. والمراد بالطائل: الطويل، أو الكبير. والشكير: الريش: صغاره بين كباره.

(٢١) الأعطاف: الجوانب. والحبيك: المحبوك، وهو ما أحكم نسجه، ويراد به هنا: ريش

إِذَا ضَا حَكَتْهَا الشُّمْسُ رَفَّتْ كَأَنَّمَا
 فَلَمَّا رَأَيْتُ اللَّيْلَ وَلَّى وَأَقْبَلْتُ
 ذَهَبْتُ أَجْرُ الذُّبُلِ تَيْهَا وَإِنَّمَا
 وَلِي شِيمَةٌ تَأْبَى الدَّنَايَا وَعَزْمَةٌ
 مُعَوِّدَةٌ أَلَّا تَكُفَّ عِنَانَهَا
 لَهَا مِنْ وَرَاءِ الْعَيْبِ أُذُنٌ سَمِيعَةٌ
 وَإِنِّي أَمْرٌ صَعْبُ الشُّكِيمَةِ بَالِغٌ
 وَفَيْتُ بِمَا ظَنَّ الْكِرَامُ فِرَاسَةً
 فَمَا أَنَا عَمَّا يُكْسِبُ الْعِزَّ نَاكِبٌ

عَلَى صَفْحَتَيْهَا سُندُسٌ وَحَرِيرٌ (٢٢)
 طَلَائِعُ مِنْ خَيْلِ الصَّبَاحِ تُغَيِّرُ (٢٣)
 يَتِيَهُ الْفَتَى إِنْ عَفَّ وَهُوَ قَدِيرٌ (٢٤)
 تَفُلُّ شِبَابَةُ الْخَطْبِ وَهُوَ عَسِيرٌ (٢٥)
 عَنِ الْجِدِّ إِلَّا أَنْ تَتِمَّ أُمُورٌ (٢٦)
 وَعَيْنٌ تَرَى مَا لَا يَرَاهُ بَصِيرٌ
 بِنَفْسِي شَأْوًا لَيْسَ فِيهِ نَكِيرٌ (٢٧)
 بِأَمْرِي وَمِثْلِي بِالْوَفَاءِ جَدِيرٌ (٢٨)
 وَلَا عِنْدَ وَقَعِ الْمُحْفِظَاتِ حَسِيرٌ (٢٩)

الأعطاف والجناحين، على تشبيهه بالثوب. والتمايم: جمع تميمة، وهي عوذة تعلق على الصبي، يعوذ بها من العين والفرع ونحوهما. والسيور: جمع سير، وهو ما يقد من الجلد ونحوه، وتربط به التمايم ونحوها.

(٢٢) ضاحكتها الشمس: طلعت عليها وقت الصباح بنورها وبريقها. وصفحتها: جانبها. والسندس: مارق من الديباج، وهو الحرير الخالص.

(٢٣) الطلائع: جمع طليعة، وهو من يبعث في مقدمة الجيش ليطلع طلع العدو للواحد والجميع. وأغارت الخيل: اشتد عدوها في الغارة، وهي الهجوم على العدو.

(٢٤) التيه: الكبر والزهو والفخر، تاه يتيه تيهاً.

(٢٥) الشيمة: الغريزة والطبيعة والجبلة والخلق. وتفل: تكسر. وشبابة الخطب: شدته، وشبابة كل شيء: حده. والخطب: النازلة الشديدة من نوازل الدهر.

(٢٦) العنان: سير اللجام الذي تمسك به الدابة.

(٢٧) الشكيمة: الطبع، وصعب الشكيمة: شديد النفس أنف أبي لا ينقاد. والشأو: الغاية والأمد. والنكير: الإنكار والجهل. ومعنى «ليس فيه نكير»: أنه شأور فريع عظيم، لا ينكر ولا يجهل.

(٢٨) الفراسة: اسم من قولك تفرست فيه الخير، إذا تعرفته بالظن الصائب.

(٢٩) ناكب: منحرف ومائل. والمحفظات: جمع محفظة، اسم فاعل من أحفظه، إذا أغضبه، والمراد العدوان، والأمور التي تثير الغضب. وحسير: عاجز ضعيف.

إِذَا صَلَّتْ كَفَّ الدَّهْرُ مِنْ غُلُوَائِهِ وَإِنْ قُلْتُ غَصَّتْ بِالْقُلُوبِ صُدُورُ (٣٠)
 مَلَكَتْ مَقَالِيدَ الْكَلَامِ وَحِكْمَةً لَهَا كَوَكَبٌ فَخْمُ الضِّيَاءِ مُنِيرُ (٣١)
 فَلَوْ كُنْتُ فِي عَصْرِ الْكَلَامِ الَّذِي انْقَضَى لَبَاءٌ بِفَضْلِي « جَرُولُ » وَ « جَرِيرُ » (٣٢)
 وَلَوْ كُنْتُ أَذْرَكْتُ النُّوَاسِيَّ لَمْ يَقُلْ (أَجَارَةَ بَيْتَيْنَا أَبُوكَ غَيُورُ) (٣٣)
 وَمَا ضَرَّنِي أَنِّي تَأَخَّرْتُ عَنْهُمْ وَفَضْلِي بَيْنَ الْعَالَمِينَ شَهِيرُ
 فَيَا رَبِّمَا أَخْلَى مِنَ السَّبْقِ أَوْلُ وَيَزَّ الْجِيَادَ السَّابِقَاتِ أَخِيرُ (٣٤)

ورواية الوسيلة الأدبية لهذه القصيدة * :

(٣٠) صال: سطا ووثب للقتال، واستطال وقهر وبطش. والغلواء: الغلو، أي الشدة ومجاوزة الحد.

(٣١) مقاليد الكلام: مفاتيحه.

(٣٢) باء بفضلي: أقر به واعترف. وجرول: لقب الحطيئة، وهو شاعر مشهور مخضرم، أجاد في كل ضرب من ضروب الشعر، ومات سنة ٥٩ هـ. وجرير بن عطية بن الخطفي: شاعر واسع الشهرة، عظيم الصيت، من بني يربوع، أحد أحياء قبيلة تميم، ولد باليمامة، ونشأ بالبادية. ومات جرير باليمامة سنة ١١٠ هـ.

(٣٣) يريد بالنواسي: أبا نواس الحسن بن هانئ، الشاعر المتفنن، الجاد الماجن، مات ببغداد سنة ١٩٩ هـ، والشطر الثاني من هذا البيت مطلع قصيدة أبي نواس في مدح الخصيب أمير مصر في عهد الرشيد.

(٣٤) بز: غلب وسبق. والجياذ: جمع جواد، وهو الفرس الرائع السابق.

(*) انظر الوسيلة الأدبية للشيخ حسين المرصفي: ج ٢، ص ٤٧٧ - ٤٧٩ طبعة سنة ١٢٩٢ هـ،

(١٨٧٥م) - تجد بين روايتها وما جاء في أصل الديوان اختلافاً كبيراً في أكثر الأبيات.

وفي الوسيلة الأدبية أربعة أبيات زائدة لم ترد في أصل الديوان. وقد شرحنا كل ما انفردت الوسيلة بروايته، وخالفت فيه الأصل.

ويلاحظ أن ما جاء في الوسيلة الأدبية من شعر البارودي نَظَّمه بين عامي ١٨٦٣ و ١٨٧٥ وهو بين

الرابعة والعشرين والسادسة والثلاثين، في ريعان شبابه، وعنفوان قوته، بعد عودته من الأستانة

في حاشية الخديوي إسماعيل في رمضان سنة ١٢٧٩ هـ (فبراير سنة ١٨٦٣م).

تَلَاهَيْتُ إِلَّا مَا يُجِنُّ ضَمِيرُ ٠ وَدَارَيْتُ إِلَّا مَا يَنْبِمُ زَفِيرُ^(١)
وَهَلْ يَسْتَطِيعُ الْمَرْءُ كِتْمَانَ أَمْرِهِ وَفِي الصَّدْرِ مِنْهُ بَارِحٌ وَسَعِيرُ؟^(٢)
فَيَا قَاتِلَ اللَّهِ الْهُوَى مَا أَشَدُّهُ عَلَى الْمَرْءِ إِذْ يَخْلُو بِهِ فَيُغَيِّرُ!^(٣)
تَلِينُ إِلَيْهِ النَّفْسُ وَهِيَ أَبِيَّةٌ وَيَجْزَعُ مِنْهُ الْقَلْبُ وَهُوَ صَبُورُ^(٤)
نَبَذْتُ لَهُ رُمُحِي وَأَغْمَدْتُ صَارِمِي وَنَهَنْتُ مُهْرِي وَالْمُرَادُ غَزِيرُ^(٥)
وَأَصْبَحْتُ مَقْلُولَ الْمَخَالِبِ بَعْدَمَا سَطَوْتُ وَلِي فِي الْخَافِقِينَ زَيْرُ^(٦)
فَيَا لَسْرَةَ الْقَوْمِ دَعْوَةٌ عَائِدٍ أَمَا مِنْ سَمِيعٍ فِيكُمْ فَيُجِيرُ؟^(٧)
لَطَالَ عَلَيَّ اللَّيْلُ حَتَّى مَلِئْتُهُ وَعَهْدِي بِهِ فِي مَا عَلِمْتُ قَصِيرُ
أَلَا فَرَعَى اللَّهُ الصَّبَا مَا أَبْرَهُ وَحَيًّا شَبَاباً مَرًّا وَهُوَ نَضِيرُ
إِذِ الْعَيْشُ أَفْوَافٌ تَرْفُ ظِلَالُهُ عَلَيْنَا وَسَلْسَالُ الْوَفَاءِ نَمِيرُ^(٨)

- (١) يجنُّ: يخفي ويستر. والمراد بالضمير: القلب. وينبم: يظهر. والزفير: إخراج النفس طويلاً ممدوداً، كما يفعل المهموم ونحوه.
- (٢) البارح: الريح الشديدة الحارة في الصيف. والسعير: النار. والمراد بالبارح والسعير: ما يجده العاشق من تباريح الشوق، ولواعج الحب.
- (٣) فيا قاتل الله الهوى: أسلوب تعجب.
- (٤) أبيَّة: ممتنعة قوية عزيزة. ويجزع: لا يجد صبراً.
- (٥) نبذت: طرحت ورميت وألقيت. والصارم: السيف القاطع. ونهنت: كفت وزجرت ومنعت. والمهر: ولد الفرس، أو أول ما ينتج منه، يريد أنه كفّه عن العدو، ومنعه من الجري.
- (٦) مقلول: مكسور مقلم. والمخالب: جمع مخلب، وهو للسباع والطيور كالظفر للإنسان. وسطوت: استطلت وبطشت وقهرت. والخافقان: أفقا المشرق والمغرب.
- (٧) السراة: جمع سري، وهو الشريف ذو المروءة. وعائذ: مستجير لاجئ. ويجير: ينقذ.
- (٨) الأفواف: ثياب رفاق موشاة من برود اليمن، واحدها فوف، وواحدة الفوف فوفة وقد تطلق الأفواف، ويراد بها الأزهار. والسلسال: الماء العذب البارد النقي الصافي. ونمير: عذب ناجع، أوزاك كثير.

وَإِذْ نَحْنُ فِيمَا بَيْنَ إِخْوَانٍ لَذَّةٍ
تَدُورُ عَلَيْنَا الْكَأْسُ بَيْنَ مَلَاعِبِ
فَالْحَاطِنَا بَيْنَ النُّفُوسِ رَسَائِلُ
عَقَدْنَا جَنَاحِي لَيْلِنَا بِنَهَارِنَا
وَقُلْنَا لِسَاقِينَا أَدْرَهَا فَإِنَّمَا
فَطَافَ بِهَا شَمْسِيَّةٌ لَهَبِيَّةٌ
إِذَا مَا شَرِبْنَاهَا أَقْمَنَا مَكَانِنَا
وَكَمْ لَيْلَةٍ أَفْنَيْتُ عُمَرَ ظَلَامِهَا
شَغَلْتُ بِهَا قَلْبِي وَمَتَّعْتُ نَاطِرِي
صَنَعْتُ بِهَا صُنْعَ الْكَرِيمِ بِأَهْلِهِ
فَمَا رَاعِنَا إِلَّا حَفِيفُ حَمَائِمِ
تُجَاوِبُ أَتْرَابًا لَهَا فِي حَمَائِلِ

عَلَى شِيمٍ مَا إِنْ بِهِنَّ نَكِيرٌ^(٩)
بِهَا اللَّهُوَ خِذْنُ وَالشَّبَابُ سَمِيرٌ^(١٠)
وَرَيَحَانُنَا بَيْنَ الْكُؤُوسِ سَفِيرٌ^(١١)
وَطَرْنَا مَعَ اللَّذَاتِ حَيْثُ تَطِيرُ
بَقَاءُ الْفَتَى بَعْدَ الشَّبَابِ يَسِيرُ
لَهَا عِنْدَ الْبَابِ الرَّجَالِ تُؤُورُ^(١٢)
وَوَظَلَّتْ بِنَا الْأَرْضُ الْفَضَاءُ تَدُورُ
إِلَى أَنْ بَدَا لِلصُّبْحِ فِيهِ قَتِيرٌ^(١٣)
وَنَعَمْتُ سَمْعِي وَالْبَنَانُ طُهُورٌ^(١٤)
وَجِيرَتِهِ وَالغَادِرُونَ كَثِيرٌ
لَهَا بَيْنَ أَطْرَافِ الْغُصُونِ هَدِيرٌ^(١٥)
لَهُنَّ بِهَا بَعْدَ الْحَنِينِ صَفِيرٌ^(١٦)

(٩) شيم: طبائع وغمائر وأخلاق، الواحدة شيمة. ونكير: مصدر نكرت الأمر، أي جهلته، والمراد ليس في طبائع هؤلاء الإخوان ما يستنكر، أي ما يقبح أو يكره.

(١٠) الخدن: الصديق.

(١١) الحاظنا: نظراتنا. والريحان: كل نبات طيب الرائحة.

(١٢) شمسية لهبية: تشبه الشمس ولهب النار في اللون والصفاء والإشراق.

(١٣) القتير في الأصل: رؤوس المسامير في الدرع، ويطلق على الشيب في أول ظهوره، والمراد به هنا: ضوء الصبح في أول طلوعه.

(١٤) نعمت سمعي: المراد أنه سمع ما أعجبه وأطربه من حلو الأغاني وجميل النغمات. والبنان: أطراف الأصابع، الواحدة بنانة، وطهر بنانه: كناية عن عفته، وامتناعه عما يشين ويقبح.

(١٥) راعنا: أفرعنا، والمراد نبهنا على إقبال النهار. وحفيف الحمائم: صوت طيرانها. وهدير الحمامة: صوتها وسجعها، كالهديل.

(١٦) الأتراب: جمع ترب، وهو اللدة أي من ولد معك، وكانت سنه مثل سنك، والترب يستوي فيه

نَوَاعِمُ لَا يَعْرِفَنَ بُؤْسَ مَعِيشَةٍ
تَوَسَّدُ هَامَاتُ لَهْنٍ وَسَائِدًا
كَأَنَّ عَلَى أَعْطَافِهَا مِنْ حَبِيبِكِهَا
خَوَارِجُ مِنْ أَيْكَ دَوَاحِلُ غَيْرِهِ
إِذَا غَازَلْتَهَا الشَّمْسُ رَفَّتْ كَأَنَّمَا
فَلَمَّا رَأَيْتُ الصُّبْحَ قَدَرَفَ جِيدُهُ
خَرَجْتُ أَجْرُ الذَّيْلِ تَيْهًا وَإِنَّمَا
وَلِي شِيمَةٌ تَأْتِي الدَّنَايَا وَعَزْمَةٌ
إِذَا سِرْتُ فَالْأَرْضُ الَّتِي نَحْنُ فَوْقَهَا
فَلَا عَجَبُ إِنْ لَمْ يَصُرْنِي مَنْزِلُ
هَمَامَةٌ نَفْسٍ لَيْسَ يَنْقِي رِكَابَهَا

المذكر والمؤنث، فيقال: هو تربى، وهي تربى. والخمائل: جمع خميلة، وهي الشجر الكثير
الملتف، أو الموضع الكثير الشجر.

(١٧) دائرات الدهر: نوازله وخطوبه وصروفه.

(١٨) غازلتها الشمس: اتصلت بها، أو خالطتها أشعتها، وسطعت فوقها. وصفحتها: جانبها.
والسندس: مارق من الديباج، وهو الحرير الخالص.

(١٩) الجيد: العنق، ورف جيده: ظهرت أنواره.

(٢٠) الشيمة: الغريزة والطبيعة والخلق والجملة. والعزمة: الجذ والهمة والإرادة القوية القاطعة.
وجيش لهام: كثير يغمتم من يدخله، ويغيبه في وسطه.

(٢١) المراد: موضع اختلاف الإبل ونحوها في المرعى مقبلة ومدبرة، والمراد هنا: المجال.
والمعاقل: الملاجىء والحصون ونحوها.

(٢٢) لم يصرنى منزل: لم يملني إليه، ولم يجمعني، صاره يصوره ويصيره: أماله. والعقبان:
جمع العقاب، اسم طائر من عتاق الطير وجوارحها، كالصقر والبازي والنسر ونحوها.

والوكور: جمع وكر، وهو عش الطائر.

(٢٣) يريد بالهمامة: الهمة العالية، وقوة العزم. وينقي: يهزل ويضعف. والركاب: الإبل التي يسار
عليها. والرواح: مصدر راحت الماشية وغيرها، أي رجعت بالعشي.

مَعْوَدَةٌ إِلَّا تَكْفٌ عِنَانَهَا
لَهَا مِنْ وَرَاءِ الْغَيْبِ أُذُنٌ سَمِيعَةٌ
وَفَيْتٌ بِمَا ظَنَّ الْكِرَامُ فِرَاسَةً
وَأَصْبَحْتُ مَحْسُودَ الْجَلَالِ كَأَنِّي
إِذَا صَلْتُ كَفَّ الدَّهْرُ مِنْ غُلُوبِهِ
مَلَكَتُ مَقَالِيدَ الْكَلَامِ وَحِكْمَةً
فَلَوْ كُنْتُ فِي عَصْرِ الْكَلَامِ الَّذِي انْقَضَى
وَلَوْ كُنْتُ أَذْرَكْتُ « النُّوَاسِيَّ » لَمْ يَقُلْ
وَمَا ضَرَّنِي أَنِّي تَأَخَّرْتُ عَنْهُمْ
فَيَارُبِّمَا أَخْلَى مِنَ السَّبْقِ أَوْلُ

وَقَالَ مَادِحًا وَمُهَنَّأًا بِعِيدِ الْجُلُوسِ (★) :

أَضْوَاءُ شَمْسٍ فَرَى سِرْبَالَ دَيْجُورِ
وَأَنْجُمٌ تِلْكَ أَمْ فُرْسَانُ عَادِيَةٍ
مِنْ كُلِّ أَرْوَاعٍ يَجْلُو ظِلَّ عَثِيرِهِ
أَمْ نُورُ عِيدٍ بِعَقْدِ التَّاجِ مَشْهُورِ؟ (١)
تَخْتَالُ فِي مَوَكِبٍ كَالْبَحْرِ مَسْجُورِ (٢)
بِصَارِمٍ كَلِيسَانِ النَّارِ مَسْعُورِ (٣)

(★) في الثامن عشر من المحرم سنة ١٣١٨ هـ (السابع عشر من مايو سنة ١٩٠٠م) أعاد الخديوي «عباس حلمي الثاني» إلى البارودي حقوقه المدنية، وألقابه وأملاكه، فشكر له، وهنأه بعيد جلوسه. وقد اعتلى عرش مصر في السابع من يناير سنة ١٨٩٢ بعد وفاة والده الخديوي «توفيق».

(١) فرى: شقّ ومزق. والسربال: القميص. والديجور: الظلام. وعقد التاج: كناية عن تولية الملك.

(٢) العادية: الخيل تعدو. وتختال: تزهى وتعجب بنفسها مرحاً، من الاختيال، وهو الكبر. ومسجور: مملوء عظيم.

(٣) الأروع: الشجاع الوسيم. والعشير: الغبار الذي تثيره الخيل المقاتلة في أثناء القتال. والصارم: السيف القاطع. ومسعور: متقد متلألئ.

لَا يَرْهَبُونَ عَدُوًّا فِي مُغَاوَرَةٍ وَكَيْفَ يَرْهَبُ لَيْثٌ كَرَّ يَعْفُورٌ؟^(٤)
 مُسْتَوْفِزُونَ لِوَحْيٍ مِنْ لَدُنْ مَلِكٍ بَادِيِ الْوَقَارِ عَلَى الْأَعْدَاءِ مَنْصُورٍ^(٥)
 فِي دَوْلَةٍ بَلَّغَتْ بِالْعَدْلِ مَنَزِلَةً عَلَيَاءَ كَالشَّمْسِ فِي بُعْدٍ وَفِي نُورٍ^(٦)
 طَلَعَتْ فِيهَا طُلُوعَ الْبَدْرِ فَازْدَهَرَتْ أَقْطَارُهَا بِضِيَاءٍ مِنْكَ مَنْشُورٍ^(٧)
 فَلْيَفْخِرِ التَّاجُ إِذْ دَارَتْ مَعَاقِدُهُ عَلَى جَبِينِ بُنُورِ السَّعْدِ مَغْمُورٍ^(٨)
 كَأَنَّمَا صَاغَ كَفُّ الْأَفْقِ أَنْجَمَهُ لِلْبَدْرِ مَا بَيْنَ مَنْظُومٍ وَمَنْشُورٍ
 فَيَا لَهَا حَفَلَةٌ لِلْمَلِكِ مَا بَرِحَتْ تَارِيخَ مَجْدٍ بِكَفِّ الدَّهْرِ مَسْطُورٍ
 ظَلَّتْ بِهَا حَدَقُ الْأَمْلَاكِ شَاخِصَةً إِلَى مَهِيْبٍ بِفَضْلِ الْجِلْمِ مَشْكُورٍ^(٩)
 فَكَمْ أَمِيرٍ بِحُسْنِ الْحِظِّ مُبْتَهَجٍ وَكَمْ وَزِيرٍ بِكَأْسِ الْبِشْرِ مَخْمُورٍ
 فَالْأَرْضُ فِي فَرَحٍ وَالدَّهْرُ فِي مَرَحٍ وَالنَّاسُ مَا بَيْنَ تَهْلِيلٍ وَتَكْبِيرٍ
 فِي كُلِّ مَمْلَكَةٍ تَيَّارُ كَهْرَبَةٍ يَسْرِي وَفِي كُلِّ نَادٍ صَوْتُ تَبْشِيرٍ
 يَوْمٌ بِهِ طَنَّتِ الْأَسْمَاعُ مِنْ طَرَبٍ كَأَنَّ فِي كُلِّ أُذُنٍ سِلْكَ طُنْبُورٍ
 وَكَيْفَ لَا تَبْلُغَ الْأَفْلَاكُ دَوْلَةَ مَنْ أَضْحَى بِهِ الْعَدْلُ تَعْلًا غَيْرَ مَحْظُورٍ؟
 هُوَ الْمَلِيكُ الَّذِي لَوْلَا مَآثِرُهُ مَا كَانَ فِي الدَّهْرِ يُسْرُ بَعْدَ مَعْسُورٍ

(٤) المغاورة: الإغارة، وهي الهجوم على الأعداء. والكر: مصدر كرّ الفارس ونحوه إذا استجمع للوثوب، ثم وثب. واليعفور: ظبي بلون التراب، أو هو الظبي مطلقاً.

(٥) مستوفزون: جمع مستوفز، وهو اسم فاعل من قولهم: استوفز الرجل في قعدته، إذا قعد وهو متهيئ للقيام أو الوثوب.

(٧) ازدهرت: تلالأت وأشرقت وأضاءت.

(٨) المراد بمعاهد التاج: أجزاءه حيث تنعقد الجواهر واللآلئ المرصعة.

(٩) الحدق: جمع حدقة وهي سواد العين، والمراد بالحدق: العيون. وشاخصة: ناظرة.

فَلَّ النَّوَائِبَ فَاَنْصَاحَتْ دِيَاغِرُهَا
وَأَصْلَحَتْ عَنَتَ الْأَيَّامِ حِكْمَتُهُ
مُسَدَّدُ الرَّأْيِ مَوْقُوفُ الظُّنُونِ عَلَى
لَا يُغْمَدُ السَّيْفَ إِلَّا بَعْدَ مَلْحَمَةٍ
يَأْيُهَا الْمَالِكُ الْمَيْمُونُ طَائِرُهُ
إِنَّ الْخُطُوبَ الَّتِي ذَلَّلَتْ جَانِبَهَا
بَلَّغَتْ بِالشَّرْقِ مَا أَمَلَتْ مِنْ وَطَرٍ
فَمَنْ يُبَارِيكَ فِي فَضْلِ وَمَكْرُمَةٍ؟
لَوْلَاكَ مَا دَامَ ظِلُّ السَّلْمِ وَأَنْحَسَرَتْ
وَلَا سَرَى الْأَمْنُ بَعْدَ الْخَوْفِ وَاعْتَصَمَتْ
فَاسْلَمَ لِمُلْكٍ مَنِيعِ السَّرْحِ تَكْلُؤُهُ

بِمُرْهَفٍ مِنْ سُيُوفِ الرَّأْيِ مَأْثُورٍ^(١٠)
مِنْ بَعْدِ مَا كَانَ صَدْعًا غَيْرَ مَجْبُورٍ^(١١)
رَعِي السِّيَاسَةَ فِي ثَبَتٍ وَتَبْحُورِ
وَلَا يُعَاقِبُ إِلَّا بَعْدَ تَحْذِيرٍ^(١٢)
أَبْشُرُ بَفَتْحِ عَظِيمِ الْقَدْرِ مَنْظُورٍ^(١٣)
بِحُسْنِ رَأْيِكَ لَمْ تُقَدِّرْ لِمَقْدُورٍ^(١٤)
وَنَلَّتْ بِالْغَرْبِ حَقًّا غَيْرَ مَنْكُورٍ^(١٥)
وَمَنْ يُدَانِيكَ فِي حَزْمٍ وَتَدْبِيرٍ؟^(١٦)
ضَبَابَةُ الْحَرْبِ إِلَّا بَعْدَ تَغْيِيرٍ^(١٧)
بِجَانِبِ الصَّبْرِ هَمَّاتُ الْمَغَاوِيرِ
بِعَيْنِ ذِي لَبَدٍ فِي الْغَابِ مَحْذُورٍ^(١٨)

- (١٠) فلَّ النوائب: جلا لها وكشفها وتغلب عليها. وانصاحت: تشققت وانصدعت. والدياجر: جمع ديجور، وهو الظلمة. والمرهف: السيف المرقق الحاد القاطع. وسيف مأثور: قديم، توارثه كابر عن كابر. والأثر: فرند السيف وشبهه، ورونقه ودياجته.
- (١١) العنت: الخطأ، والعنت أيضاً: المشقة والشدة. والصدع: الشق.
- (١٢) غمد المحارب ونحوه السيف وأغمده: جعله في غمده. والملحمة: القتال، أو الوقعة العظيمة القتل.
- (١٣) الطائر الميمون: المبارك، وهو ما أتاك عن يمينك، وكانت العرب تتيمن بذلك، والمراد بالطائر الميمون: الحظ السعيد.
- (١٤) الخطوب: جمع خطب، وهو النازلة الشديدة من نوازل الدهر.
- (١٥) الوطر: الحاجة أو حاجة لك فيها هم وعناية.
- (١٦) يباريك: يعارضك.
- (١٧) التغير: ركوب الخطر، وتعريض النفس للهلكة.
- (١٨) معنى «ملك منيع السرح»: أنه منيع الجانب، قوي، عزيز، لا يجترأ عليه. وتكلؤه: تحفظه وترعاه. وذو اللبد: الأسد.

وَأَقْبَلَ هَدِيَّةَ فِكْرٍ قَدْ تَكَنَّفَهَا
 وَسَمَّيْتُهَا بِاسْمِكَ الْعَالِي فَالْبَسَهَا
 لَوْلَا صِفَاتُكَ - وَهِيَ الدُّرُّ - مَا بَهَرَتْ
 شَمَائِلُ زَيْنَتِ قَوْلِي بِرَوْنِقِهَا
 شَفَّتْ زُجَاجَةَ فِكْرِي فَارْتَسَمَتْ بِهَا
 فَاسْعَدُ يَوْمٍ تَجَلَّى السَّعْدُ فِيهِ عَلَى
 وَدَمٌ عَلَى الدَّهْرِ فِي مُلْكٍ تَعِيشُ بِهِ
 رَوْعُ الْخَجَالَةِ مِنْ عَجْزٍ وَتَقْصِيرٍ (١٩)
 جَلْبَابَ فَخْرٍ طَوِيلِ الذَّلِيلِ مَجْرُورٍ (٢٠)
 أَبِيَاتُهَا الْغُرُّ مِنْ حُسْنٍ وَتَحْيِيرٍ (٢١)
 كَالسَّحْرِ يَفْتِنُ بَيْنَ الْأَعْيُنِ الْحُورِ (٢٢)
 عَلَيْكَ مِنْ مَنْطِقِي فِي لَوْحِ تَصْوِيرِ
 نَادِي عُلَاكَ بِتَعْظِيمٍ وَتَوْقِيرِ
 مُرْفَةَ النَّفْسِ حَتَّى نَفْخَةِ الصُّورِ (٢٣)

وَقَالَ فِي الْفَخْرِ * :

طَرِبْتُ وَعَادَتْنِي الْمَخِيلَةُ وَالسُّكْرُ
 وَأَصْبَحْتُ لَا يُلْوِي بِشِيْمَتِي الزُّجْرُ (١)

(١٩) يريد بهديّة الفكر: هذه القصيدة. وتكنّفها: أحاط بها. والروع: الخوف والفرع. والخجالة: التحير والدهش والاضطراب من الاستحياء.

(٢٠) وسمتها: أعلمتها وميزتها.

(٢١) الدرّ: اللؤلؤ الكبير، واحده درّة. والغرّ: جمع الأغرّ، وهو الواضح الصبيح الجميل المشهور. والتحير: التزيين والتجميل والتحسين.

(٢٢) شمائل: أخلاق وطباع، ومفردها شمال. والرونق: البهاء والحسن. والحور: جمع حوراء، صفة من الحور وهو شدّة بياض العين في شدّة سوادها، مع استدارة حدقتها، ورقة جفونها، وبياض ما حوالها.

(٢٣) نفخة الصور: كناية عن قيام الساعة.

(*) يعارض البارودي بهذه القصيدة قصيدة لأبي فراس الحارث بن سعيد بن حمدان التغلبي، ابن عمّ سيف الدولة بن حمدان، وأحد قواده وولاته. مات مقتولاً في ثورة قومية بإحدى قرى الشام سنة ٣٥٧ هـ عن ٣٧ سنة. هذه القصيدة هي تلك المشهورة التي مطلعها:

أراك عصي الدمع شيمتك الصبر
 أما للهوى نهي عليك ولا أمر

(١) طربت: اهترزت شوقاً إلى من أحبّ. وعادني الشيء عوداً، واعتادني: انتابني ورجع إليّ مرّة

كَأَنِّي مَخْمُورٌ سَرَتْ بِلِسَانِهِ
صَرِيحٌ هَوَى يُلَوِي بِي الشُّوقُ كُلَّمَا
إِذَا مَالَ مِيزَانَ النَّهَارِ رَأَيْتُنِي
يَقُولُ أَنَا أَنَّهُ السَّحَرُ ضَلَّةٌ
مُعْتَقَةٌ مِمَّا يَضُنُّ بِهَا التَّجْرُ (٢)
تَلَالًا بَرَقَ أَوْ سَرَتْ دِيمٌ غُزْرُ (٣)
عَلَى حَسَرَاتٍ لَا يُقَاوِمُهَا صَبْرُ (٤)
وَمَا هِيَ إِلَّا نَظْرَةٌ دُونَهَا السَّحَرُ (٥)
وَلَا لِأَمْرِي فِي الْحُبِّ نَهْيٌ وَلَا أَمْرٌ؟
لَأَلُوتَ بِهِ الْبَيْضُ الْمَبَاتِيرُ وَالسُّمْرُ (٦)
شَرَارَتُهُ بِالْجَمْرِ لِأَخْتَرَقَ الْجَمْرُ
مِنَ الْوَجْدِ لَا يَقْوَى عَلَى حَمَلِهَا صَدْرُ
عَلَى الْأَرْضِ مَا شَكَّ أَمْرُ أَنَّهُ الْبَحْرُ (٧)
بِهِ صَبُوءَةٌ أَوْ فَلَ مِنْ غَرْبِهِ الْهَجْرُ (٨)

بعد أخرى. والمخيلة: الظن، والمراد ذكريات الماضي. وألوى به: ذهب به. والزجر: المنع والنهي.

(٢) معتقة: خمر قديمة. والتجر: جمع تاجر، وهو بائع الخمر.

(٣) صريح هوى: طريق حب وغرام. والديم: جمع ديمة، وهي السحابة الممطرة. وغزر: جمع غزيرة، بمعنى كثيرة الماء.

(٤) ميزان النهار: الشمس، وميل الميزان: قرب الشمس من المغيب.

(٥) ضلة: على غير هدى وصواب.

(٦) ألوت به: ذهبت به. والبيض: السيوف. والمباتير: القواطع. والسمر: القنا والرماح، جمع أسمر، أو جمع سمراء، وهما صفتان من السمرة، وهي لون بين البياض والسواد، يقال رمح أسمر، وقناة سمراء.

(٧) الشؤون: جمع شأن، وهو مجرى الدمع إلى العين. ومعنى «لو أسلت شؤونه»: لو صبيته.

(٨) ترجحت: مالت. والصبوة: الحنين والشوق، والميل إلى الهوى، وجهلة الفتوة. وفل: ثلم وكسر. وغرب كل شيء: حذته. ومعنى «فل من غربه الهجر»: أنه فقد الصبر والاحتمال والقوة بسبب هجر الحبيب وصنوده وإعراضه.

وَإِنِّي أَمْرٌ لَوْلَا الْعَوَائِقُ أَذْعَنْتُ (٩)
 مِنَ النَّفْرِ الْغُرِّ الَّذِينَ سِيُوفُهُمْ
 إِذَا اسْتَلَّ مِنْهُمْ سَيْدٌ غَرَبَ سَيْفِهِ
 لَهُمْ عُمْدٌ مَرْفُوعَةٌ وَمَعَاقِلُ
 وَنَارٌ لَهَا فِي كُلِّ شَرْقٍ وَمَغْرِبٍ
 تَمُدُّ يَدًا نَحْوَ السَّمَاءِ خَضِيبَةً
 وَخَيْلٌ يَعْمُ الْخَافِقِينَ صَهِيلَهَا
 مُعَوَّدَةٌ قَطَعَ الْفَيَافِي كَانَهَا

لِسُلْطَانِهِ الْبَدُو الْمُغِيرَةَ وَالْحَضْرُ (٩)
 لَهَا فِي حَوَاشِي كُلِّ دَاجِيَةٍ فَجْرُ (١٠)
 تَفَزَّعَتِ الْأَفْلَاكُ وَالتَّفَتَ الدَّهْرُ (١١)
 وَالْوَيْةُ حُمْرٌ وَأَفْنِيَةٌ خُضْرُ (١٢)
 لِمُدْرَعِ الظُّلْمَاءِ أَلْسِنَةُ حُمْرُ (١٣)
 تُصَافِحُهَا الشُّعْرَى وَيَلِثُهَا الْغَفْرُ (١٤)
 نَزَائِعُ مَعْقُودٌ بِأَعْرَافِهَا النَّصْرُ (١٥)
 خُدَارِيَّةٌ فَتَخَاءُ لَيْسَ لَهَا وَكْرُ (١٦)

(٩) أذعنت: خضعت وذلت وانقادت. والمغيرة: اسم فاعل من أغار الإنسان على عدوه إغارة، أي هجم، أو دفع عليهم الخيل.

(١٠) النفر: الجماعة من الرجال. والغرّ: جمع الأغرّ، وهو الشريف، أو الكريم الأفعال. والحواشي: الجوانب والنواحي، الواحدة حاشية. وداجية: مظلمة.

(١١) استلّ سيفه: أخرجته من غمده. وغرب السيف: حده. وتفزّعت: فزعت وخافت.

(١٢) المعائل: جمع معقل وهو الملجأ والحصن ونحوهما. والألوية: جمع لواء، وهو العلم. والأفنية: جمع فناء وهو الفضاء والسعة أمام البيت، أو هو ما امتدّ من جوانب الدار. واخضرار الأفنية: كناية عن الكرم والغنى والرفاهة.

(١٣) مدرّع الظلماء: لابسها، والمراد بمدرّع الظلماء: الساري في ظلام الليل.

(١٤) خضيبية: محمّرة اللون، كأنها مخضوبة بالحناء ونحوه، والشعري: كوكب نير يطلع بعد الجوزاء، وتزعم العرب أن الشعري أخت سهيل. واللثم: التقبيل. والغفر: منزل من منازل القمر، ثلاثة أنجم صغار، وهي من الميزان.

(١٥) الخافقان: المشرق والمغرب أو أفقاهما. ونزائِع: غرائب، أو نجائب تنزع إلى أصل كريم. ونزَع الفرس سنناً أي جرى طلقاً، أي شوطاً. والأعراف: جمع عرف، وهو الشعر النابت في رقبة الفرس.

(١٦) الفيافي: جمع فيفاء، وهي الصحراء أو المفازة لا ماء فيها. والخدارية: العقاب، وهي طائر من عتاق الطير وسباعها وجوارحها، ويضرب بها المثل في القوّة، وسرعة الطيران، والإبعاد فيه. وفتخاء: من صفات العقاب، يقال: عقاب فتخاء، أي ليّنة الجناح، لأنها إذا انحطت كسرت جناحها وغمزتها. والوكر: عش الطائر.

أَقَامُوا زَمَانًا ثُمَّ بَدَّدَ شَمْلَهُمْ مَلُولٌ مِنَ الْأَيَّامِ شَيْمَتُهُ الْغَدْرُ^(١٧)
فَلَمْ يَبْقَ مِنْهُمْ غَيْرُ آثَارِ نِعْمَةٍ تَضُوعٌ بِرِيَّاهَا الْأَحَادِيثُ وَالذِّكْرُ^(١٨)
وَقَدْ تَنَطَّقُ الْأَثَارُ وَهِيَ صَوَامِتُ وَيُثْنِي بِرِيَّاهُ عَلَى الْوَابِلِ الزَّهْرُ^(١٩)
لَعَمْرُكَ مَا حَيٌّ وَإِنْ طَالَ سَيْرُهُ يُعَدُّ طَلِيقًا وَالْمَنُونُ لَهُ أُسْرُ
وَمَا هَذِهِ الْأَيَّامُ إِلَّا مَنَازِلُ يَحُلُّ بِهَا سَفَرٌ وَيَتْرُكُهَا سَفَرُ^(٢٠)
فَلَا تَحْسَبَنَّ الْمَرْءَ فِيهَا بِخَالِدٍ وَلَكِنَّهُ يَسْعَى وَغَايَتُهُ الْعُمُرُ

وَقَالَ (★) يُهْنِيءُ الْخِدْيَوِي عَبَّاسَ حِلْمِي الثَّانِي (★★) بِعِيدِ جُلُوسِهِ :

لِمِثْلِ ذَا الْيَوْمِ كَانَ الْمُلْكُ يَنْتَظِرُ فَاسْعَدْ بِهَا دَوْلَةً عُنْوَانُهَا الظَّفَرُ^(١)

(١٧) الشيمة: الخليقة والطبيعة.

(١٨) تضوع: تفوح وتنتشر. والرياء: الريح الطيبة. والذكر: الصيت والشرف والثناء.

(١٩) الوابل: المطر الغزير.

(٢٠) السفر: جماعة المسافرين، يقال رجل سافر، وقوم سفر.

(★) هذه المدحة لم تنشر في الطبقات السابقة، لأنها مطموسة في أصل الديوان، وقد رأينا نشرها في هذه الطبعة مع المظموسات التي استطعنا قراءتها، لتتم الفائدة بإذن الله.

(★★) عباس حلمي الثاني (١٨٧٤ - ١٩٤٤): الابن الأكبر للخديوي توفيق. تقلد منصبه سنة ١٨٩٢ وهو في الثامنة عشرة. وبطموحه وبعد همته حاول مقاومة الاحتلال البريطاني، ولكنه في النهاية غلب على أمره، وسلبه المعتمد البريطاني اللورد كاتشر (١٩١١ - ١٩١٤) سلطانه الفعلي. ولما نشبت الحرب العالمية الأولى انتهز البريطانيون الفرصة، ففرضوا حمايتهم على مصر، وخلعوا عباساً وهو في الأستانة في ديسمبر سنة ١٩١٤. وفي سويسرا أقام معظم سنوات نفيه. وبعد وفاته نقل جثمانه إلى مصر.

(١) الدولة: الاستيلاء والغلبة. والدولة: جمع من الناس مستقرّون في إقليم معيّن الحدود، مستقلّون وفق نظام خاصّ. وقد تطلق الدولة على الهيئة الحاكمة في البلاد. ومن المعاني التي تحتملها «الدولة» وتناسب المقام هنا: الحكم، والملك، والولاية، والإمارة، والسلطان، ومنصب الخديوية.

تَهَلَّلْتُ مِصْرُ بَعْدَ الْيَأْسِ وَابْتَهَجْتُ
نَالَتْ بِنَصْرِكَ مَا كَانَتْ تُؤَمِّلُهُ
فَالْعَدْلُ مُنْبَسِطٌ وَالْجَوْرُ مُنْقَبِضٌ
نَصْرٌ مِنَ اللَّهِ وَافَى بَعْدَ دَاجِيَةٍ
فَالنَّاسُ مِنْ طَرَبٍ فِي نَشْوَةٍ أَخَذَتْ
مُسْتَوْفِضُونَ إِلَى الدَّاعِي تَسِيلُ بِهِمْ
فِي كُلِّ نَادٍ خَطِيبٌ حَوْلَ مَنْبَرِهِ
يَسْتَعْدِبُ السَّمْعُ مَا يُمْلِي اللِّسَانُ لَهُ
فَلَا شَقَاءَ وَلَا بَأْسَ وَلَا فَرْعَ
عِيدُ تَهَلَّلَتِ الدُّنْيَا بِهِ فَرِحًا
وَكَيفَ لَا تَفْخَرُ الدُّنْيَا بِطَلْعَةِ مَنْ

بِكَ الرَّعِيَّةُ حَتَّى عَمَّهَا الْحَبْرُ^(٢)
لَا زِلْتَ لِلْمُلْكِ وَالْإِسْلَامِ تَنْتَصِرُ
وَالْأَمْنُ مُنْسَدِلٌ وَالْخَوْفُ مُشْمِرُ^(٣)
كَمَا تَبْلَجُ عَنْ مَكْنُونِهِ السَّحْرُ^(٤)
بِهِمْ فَمَالُوا كَأَنَّ الْقَوْمَ قَدْ سَكِرُوا
أَرْضٌ وَتَجْمَعُهُمْ أُخْرَى فَهُمْ زَمْرُ^(٥)
جَمْعٌ وَفِي كُلِّ وادٍ تَرْكُضُ الْبَشْرُ^(٦)
وَيَعْلُقُ الْقَلْبُ مَا يُوجِي بِهِ الْبَصْرُ
وَلَا عَدَاءَ وَلَا غَدْرٌ وَلَا حَذْرُ
وَنِعْمَةٌ لَيْسَ يَقْضِي حَقَّهَا الْبَشْرُ^(٧)
لَوْلَاهُ لَمْ يَبْقَ فِيهَا لِأَمْرِيءٍ وَطَرُ^(٨)؟

- (٢) تهللت: تلالأت، وأشرقت، وفرحت. ورعية الملك ونحوه: قومه، وأهل البلاد التي يحكمها، ويدبر أمورها، ويرعى مصالحها. والحبر: الابتهاج والسرور، والنصرة، والنعمة.
- (٣) المراد بالانسداد: الاستتباب، والأطراد، والاستقرار. وشمر الشيء: قلصه، وضم بعضه إلى بعض، وانشمار الخوف: زواله وذهابه.
- (٤) داجية: مظلمة. وتبلج الصبح: أسفر فأنار، وأشرق وأضاء. والسحر: آخر الليل قبيل الفجر. ومكنونه: ما يكنه ويستره ويخفيه. وتبلج السحر عن مكنونه: أي انكشف السحر عما كان يكنه قبل انكشافه من محاسن الطبيعة ونصرة الحياة.
- (٥) مستوفضون: مسرعون. وتسيل بهم أرض: يجرون فيها من كل وجه، ويموجون، ويتدفقون. وزمر: أفواج وجماعات، جمع زمرة.
- (٦) النادي: مجلس القوم ومتحدثهم ما داموا مجتمعين فيه. والوادي: كل منفرج بين جبال، أو تلال، أو آكام، يكون مسلكاً للسيل ومنفذاً، وجمعه أودية، ويراد بها هنا: الطرق والشوارع والمسالك.
- (٧) قضى الحق: أذاه وافيًا تاماً. وحق النعمة: أن تشكر.
- (٨) الوطر: الحاجة والبغية، أو الحاجة فيها مأرب وهمة.

فَاسْتَبْشِرُوا يَا بَنِي الْأَوْطَانِ إِنَّ لَكُمْ
 هُوَ الْمَلِكُ الَّذِي لَوْلَا سِيَاسَتُهُ
 أَفْضَى إِلَى مِصْرَ وَالدُّنْيَا عَلَى خَطَرٍ
 مُوَفَّقٌ لِصَنِيعِ الْخَيْرِ مُبْتَدِعٌ
 يَهْمِي نَدَى وَرَدَى جُوداً وَمَحْمِيَةً
 يَسْطُو بِرَفْقٍ إِذَا مَا الْحَزْمُ أَعْوَزَهُ
 فَالْبَطْشُ مَا لَمْ يَكُنْ عَنْ حِكْمَةٍ سَرَفٌ
 إِذَا ارْتَأَى بَدَرَتْ أَنْوَارُ حِكْمَتِهِ
 دَلَّتْ عَلَى فَضْلِهِ آثَارُ حِكْمَتِهِ
 إِذَا تَبَسَّمَ فَاضَتْ رَاحَتَاهُ لَنَا
 تَمَلَّ بِالْمَلِكِ يَا عَبَّاسُ وَابْتَقَ لَنَا
 مِنْ عَدْلِهِ جَنَّةٌ يَجْرِي بِهَا نَهْرٌ
 مَا كَانَ لِلْعَدْلِ لَا عَيْنٌ وَلَا أَثَرٌ
 فَمَا تَمَثَّلَ حَتَّى أَجْفَلَ الْخَطَرُ^(٩)
 لِمَا تَقَصَّرُ عَنْ إِذْرَاكِهِ الْفِكْرُ^(١٠)
 كَذَلِكَ الدَّهْرُ فِيهِ النَّفْعُ وَالضَّرَرُ^(١١)
 إِلَى الْعِقَابِ وَيَعْفُو حِينَ يَقْتَدِرُ
 وَالْجَلْمُ مَا لَمْ يَكُنْ عَنْ قُدْرَةٍ خَوْرٌ^(١٢)
 كَمَا تَطَايَرَ بَعْدَ الْقَدْحَةِ الشَّرُّ^(١٣)
 وَكُلُّ شَيْءٍ لَهُ مِنْ نَفْسِهِ أَثَرٌ
 جُوداً وَمَا كُلُّ بَرَقٍ خَلْفَهُ مَطَرٌ
 فِي نِعْمَةٍ لَمْ يُخَالِطْ صَفْوَهَا كَدْرٌ^(١٤)

(٩) أفضى إلى مصر: وصل إليها، والمراد تقلد أمرها، وتولى ملكها. وتمثل بين يديه: أي قام منتصباً.

(١٠) مبتدع: أي استنبطه واستحدثه وأنشأه على غير مثال سابق. والفكر: جمع فكرة، وهي النظر والروية والتأمل والتدبر، والصورة الذهنية لأمر ما.

(١١) همى الماء ونحوه: سال، وانصب، وجرى. والندى: الجود، والسخاء، والخير. والردى: الهلاك والموت. وحمى الشيء حماية ومحمية: منعه، ودفع عنه.

(١٢) السرف: مجاوزة الحد، والسرف أيضاً: مصدر سرف، أي جهل، أو غفل. وخور: ضعف، وانكسار.

(١٣) ارتأى الأمر وفي الأمر: نظر فيه، وتدبره. وبدرت: ظهرت في سرعة، وبلا توان. والقدحة: اسم مرة من قدح النار من الزند، وقدح بالزند: أي أوراها، وأخرج ناره، ومنه القداحة، والمقدحة.

(١٤) تمل: أمر من تملى عمره، أو عيشه، أو شبابه، أو حبيبه، أو نحو ذلك، أي أمهل له فيه، وطال استمتاعه به.

فَأَنْتَ مِنْ دَوْحَةٍ فِي الْمَجْدِ بَاسِقَةٍ
 بَلَّغْتَ مَجْهُودَ نَفْسِي فِي الشَّاءِ وَلَمْ
 فَاْمُنْ عَلَيَّ بِإِصْغَاءٍ إِلَى كَلِمٍ
 وَسَمْتُهَا بِاسْمِكَ الْعَالِي فَالْبَسَهَا
 إِذَا تَلَاهَا لِسَانُ الشُّكْرِ قَامَ لَهَا
 لَا زِلْتَ مَوْرِدَ آمَالٍ تَحُومُ بِهِ
 طَابَتْ وَدَلَّ عَلَيْهَا النَّوْرُ وَالشَّمْرُ^(١٥)
 أَبْلُغْ عُالَاكَ وَأَنْتَى يُدْرِكُ الْقَمَرُ؟^(١٦)
 تَعَدُّ فِي النُّطْقِ إِلَّا أَنَّهَا دُرُّ^(١٧)
 حُسْنًا تَبِيهُ بِهِ الدُّنْيَا وَتَفْتَخِرُ^(١٨)
 حُبًّا بِذِكْرِ عُالَاكَ الْبَدْوُ وَالْحَضْرُ
 طَيْرُ الْقُلُوبِ إِلَى أَنْ تُنْشَرَ الصُّورُ^(١٩)

وَقَالَ يَصِفُ الْهَرَمَيْنِ :

سَلِ الْجِيزَةَ الْفِيحَاءَ عَنْ هَرَمِي مِصْرٍ
 بِنَاءٍ إِنْ رَدًّا صَوْلَةَ الدَّهْرِ عَنْهُمَا
 أَقَامَا عَلَى رَغْمِ الْخُطُوبِ لِيَشْهَدَا
 فَكَمْ أُمَمٍ فِي الدَّهْرِ بَادَتْ وَأَعْصُرِ
 لَعَلَّكَ تَدْرِي غَيْبَ مَا لَمْ تُكُنْ تَدْرِي^(١)
 وَمِنْ عَجَبٍ أَنْ يَغْلِبَا صَوْلَةَ الدَّهْرِ^(٢)
 لِبَانِيهِمَا بَيْنَ الْبَرِيَّةِ بِالْفَخْرِ^(٣)
 خَلَتْ وَهُمَا أَعْجُوبَةُ الْعَيْنِ وَالْفِكْرِ^(٤)

(١٥) الدوحة: الشجرة العظيمة. وباسقة: طويلة، مرتفعة الأغصان. وطابت: زكت، ونمت، وجادت. والنور: الزهر، أو الأبيض منه، واحده نورة، وجمعه أنوار.

(١٦) المجهود: الجهد، والطاقة، والاستطاعة.

(١٧) الكلم: جمع كلمة، والمراد كلمات هذه المدحة. والدرر: جمع درة، وهي اللؤلؤة العظيمة.

(١٨) وسمتها: وسمت الكلم، أي هذه المدحة: أي أعلمتها وميزتها. والسمة: العلامة المميزة. وتبيه: تزهو، وتتعظم، وتتكبر.

(١٩) المورد: المنهل، والمشرب. وطير القلوب: القلوب الشبيهة بالطير. ونشر الله الموتى، وأنشروهم: بعثهم وأحياهم. ويراد بالصور: أرواح الموتى وأجسامهم. وإلى أن تنشر الصور: أي إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، ويبعث الله من في القبور.

(١) الفيحاء: الواسعة. وهرما مصر العظيمان على مقربة من مدينة الجيزة في جنوبها الغربي.

(٢) الصولة: الاستطالة والسطوة والبطش والشدة.

(٣) الخطوب: نوازل الدهر وشدائده، واحدها خطب. والبرية: الخلق.

(٤) بادت: هلكت وزالت.

تَلُوحُ لِأَثَارِ الْعُقُولِ عَلَيْهِمَا
رُمُوزٌ لَوْ اسْتَظَلَعْتَ مَكْنُونِ سِرِّهَا
فَمَا مِنْ بِنَاءٍ كَانَ أَوْ هُوَ كَائِنٌ
يُقَصِّرُ حُسْنًا عَنْهُمَا « صَرْحُ بَابِلِ »
فَلَوْ أَنَّ « هَارُوتَ » انْتَحَى مَرَصِدَيْهِمَا
كَانَهُمَا تَذْيَانِ فَاضًا بِدِرَّةٍ
وَبَيْنَهُمَا « بَلْهَيْبُ » فِي زِيٍّ رَابِضٍ
يُقَلِّبُ نَحْوَ الشَّرْقِ نَظْرَةَ وَامِتٍ
مَصَانِعُ فِيهَا لِلْعُلُومِ غَوَامِضُ

أَسَاطِيرُ لَا تَنْفَكُ تُتَلَى إِلَى الْحَشْرِ^(٥)
لَأَبْصَرْتَ مَجْمُوعَ الْخَلَائِقِ فِي سَطْرِ^(٦)
يُدَانِيهِمَا عِنْدَ التَّأْمَلِ وَالْخُبْرِ^(٧)
وَيَعْتَرِفُ « الْإِيوَانُ » بِالْعَجْزِ وَالْبُهْرِ^(٨)
لَأَلْقَى مَقَالِيدَ الْكَهَانَةِ وَالسَّحْرِ^(٩)
مِنَ النَّيْلِ تُرْوِي غَلَّةَ الْأَرْضِ إِذْ تَجْرِي^(١٠)
أَكْبَ عَلَى الْكَفَّيْنِ مِنْهُ إِلَى الصَّدْرِ^(١١)
كَأَنَّ لَهُ شَوْقًا إِلَى مَطْلَعِ الْفَجْرِ^(١٢)
تَدُلُّ عَلَى أَنَّ ابْنَ آدَمَ ذُو قَدْرِ^(١٣)

(٥) يريد بظهور آثار العقول على الهرمين: ما يتجلى للناظر إليهما من عبقرية الذين أشرفوا عليهما، ورفعوا قواعدهما. والأساطير: جمع اسطار، والأساطار: جمع سطر، وهو الصف من الكتابة.

(٦) رموز: جمع رمز، وهو الإشارة. والمكنون: المستور الخفي.

(٧) الخبر: اسم من خبرت الشيء أي علمته وعرفته وأحطت به.

(٨) الصرح: القصر العظيم المنفرد العالي. وبابل: مدينة من أعظم مدن العالم القديم على الجانب الأيسر من نهر الفرات، ولا تزال بعض أطلالها ماثلة بالقرب من الحلة. وصرحها الذي يشير إليه الشاعر: قصر لبختنصر، وكان يعد من عجائب الدنيا في العظمة والضحامة والإتقان. ويريد بالإيوان: إيوان كسرى أنوشروان وقصره الأبيض بالمدائن.

(٩) «هاروت»: اسم ساحر، أو ملك كان يعلم الناس السحر بمدينة بابل، وقد وردت قصته في القرآن الكريم. وانتحى: قصد. والمرصدان: مثنى مرصد، اسم مكان من رصدت الشيء (من باب نصر) أي ترقبته وانتظرته. والمراد بمرصدي الهرمين: قمتاهما. والمقاليد: جمع مقلاد أو مقلد، وهو المفتاح.

(١٠) الدرّة: اللبن أو كثرته. والغلّة: شدة العطش وحرارته.

(١١) «بلهيب»: أبو الهول. والزي: الهيئة.

(١٢) وامق: صفة من ومقه ومقاً وممقة: أي أحبه.

(١٣) المصانع: المباني من القصور والحصون ونحوها. وقدر الشيء: مبلغه، والمراد: ذو قدر رفيع، ومنزلة عالية.

رَسَا أَصْلُهَا وَامْتَدَّ فِي الْجَوِّ فَرَعُهَا
فَقَمَّ نَعْتَرَفَ خَمَرَ النُّهْيِ مِنْ دِنَانِهَا
فَثَمَّ عُلُومٌ لَمْ تُفْتَقِ كِمَامُهَا
أَقَمْتُ بِهَا شَهْرًا فَأَدْرَكْتُ كُلَّ مَا
نَرُوحُ وَنَغْدُو كُلَّ يَوْمٍ لِنَجْتَنِي
إِذَا مَا فَتَحْنَا قُفْلَ رَمَزِ بَدَتْ لَنَا
فَكَمْ نَكْتٍ كَالسَّحْرِ فِي حَرَكَاتِهِ
سَكِرْنَا بِمَا أَهَدَتْ لَنَا مِنْ لُبَابِهَا

فَأَصْبَحَ وَكَرًّا لِلسَّمَائِكِينَ وَالنَّسْرِ (١٤)
وَنَجْنِي بِأَيْدِي الْجِدِّ رِيحَانَةَ الْعُمْرِ (١٥)
وَتَمَّ رُمُوزٌ وَحَيْهًا غَامِضُ السَّرِّ (١٦)
تَمَنِّيْتُهُ مِنْ نِعْمَةِ الدَّهْرِ فِي شَهْرِ
أَزَاهِيرِ عِلْمٍ لَا تَجِفُّ مَعَ الزَّهْرِ (١٧)
مَعَارِيضُ لَمْ تُفْتَحْ بِزَيْجٍ وَلَا جَبْرِ (١٨)
تَرِيكَ مَدَبَّ الرُّوحِ فِي مُهْجَةِ الذَّرِّ (١٩)
فِيَا لَكَ مِنْ سُكْرِ أُتِيحَ بِلَا خَمْرِ! (٢٠)

- (١٤) السماكان: الأعزل والرامح، وهما نجمان نيران، يضرب المثل بهما في الرفعة والعلاء. والنسر: علم على كوكبين، يقال لأحدهما: النسر الطائر، وللآخر النسر الواقع.
- (١٥) النهي: العقل، أو هي جمع نهي بمعنى العقل. والدنان: جمع دن وهو الراقد العظيم، يكون كهيئة الحب، إلا أنه أطول منه، وأوسع رأساً. والريحانة: واحدة الريحان، وهو كل نبات طيب الرائحة من أنواع المشموم، والريحانة أيضاً: الطاقة من الريحان.
- (١٦) الكمام: جمع كم، وهو في الأصل وعاء الطلع، وغطاء النور، والكلام على التشبيه. المراد بالرموز هنا: ما تشير إليه الآثار، وما تدل عليه بصورها وهيئاتها وأجزائها وكتابتها. الخ.
- (١٧) نروح ونغدو: نتردد إليها، ونرجع مرة بعد أخرى، وأصل الغدو: الذهاب في أول النهار والرواح: العودة في آخره.
- (١٨) المعاريض: جمع معراض، وهو الستر، والمراد بالمعاريض هنا: خفايا التاريخ، ودقائق العلوم والفنون. والزيج في اصطلاح علماء الهيئة: جدول يستدل به على حركة النجوم والكواكب السيارة لمعرفة مواقعها. والجبر: العلم الرياضي المعروف، وكلاهما يعين على معرفة كثير من دقائق الكون وخفاياه.
- (١٩) النكت: جمع نكتة، وهي الأثر القليل يشبه النقطة، والمراد بالنكت هنا: النقش الدقيق المحكم، كالذي يرى في الفصوص الصغيرة ونحوها. وفي حركاته: في حركات السحر، والمراد في أعاجيبه. ومدبّ الروح: دبيبها وحركتها. والمهجة: الدم، أو دم القلب خاصة، والمراد بها هنا الجسم. والذرّ: صغار النمل، الواحدة ذرة.
- (٢٠) لباب الشيء: خالصه، مثل لبّه، والمراد بلباب المصانع والآثار: أسرار صنعها، ودلالاتها على أحوال أهلها. ويريد بالسكر: الدهش والعجب وشدة انفعال النفس وتأثرها بما رأت.

وَمَا سَاءَ نِي إِلَّا صَنِيعُ مَعَاشِرٍ
 أَبَادُوا بِهَا شَمْلَ الْعُلُومِ وَشَوْهُوَا
 فَكَمْ سَمَلُوا عَيْنًا بِهَا تُبْصِرُ الْعُلَا
 تَمَنُّوا لِقَاطَ الدَّرِّ جَهْلًا وَمَا دَرَوْا
 وَفَلُّوا لِيَجْمَعَ التُّبْرِ صُمَّ صُخُورِهَا
 وَلَكِنَّهُمْ خَابُوا فَلَمْ يَصِلُوا إِلَى
 فَتَبَّ لَهُمْ مِنْ مَعَشِرٍ نَزَعَتْ بِهِمْ
 الْأَقْبَحَ اللَّهُ الْجَهَالََةَ إِنَّهَا
 فَلَوْرَدَتْ الْأَيَّامُ مُهْجَةً « هُرْمُسٍ »

أَلْحُوا عَلَيْهَا بِالْخِيَانَةِ وَالْغَدْرِ (٢١)
 مَحَاسِنَ كَانَتْ زِينَةَ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ (٢٢)
 وَشَلُّوا يَدًا كَانَتْ بِهَا رَايَةُ النَّصْرِ (٢٣)
 بِأَنَّ حَصَاهَا لَا يَقُومُ بِالدَّرِّ (٢٤)
 وَأَيْسَرُ مَا فَلُوهُ أَعْلَى مِنَ التُّبْرِ (٢٥)
 مِنْهُمْ وَلَا أَبْقُوا عَلَيْهَا مِنَ الْخْتَرِ (٢٦)
 إِلَى الْغِيِّ أَخْلَاقُ نَبْتِنَ عَلَى غِمْرِ (٢٧)
 عَدْوَةٌ مَا شَادَتْهُ فِينَا يَدُ الْفِكْرِ
 لِأَعْوَلٍ مِنْ حُزْنٍ عَلَى نُوبِ الدَّهْرِ (٢٨)

- (٢١) يشير إلى لصوص المقابر والآثار الذين سطوا عليها في مختلف الأزمان. الصنيع: العمل. ومعاشر: جمع معشر، وهم الجماعة من الناس.
- (٢٢) أباد: أهلك. وشمل العلوم: ما اجتمع منها.
- (٢٣) سمل عينه: فقاها بحديدة محماة أو غيرها.
- (٢٤) يريد بالدَّرِّ: ما اعتاد القدامى دفنه مع جثث عظمائهم من التحف والنفائس والحلي والهدايا والأموال. ويقوم: مضارع قومت السلعة والمتاع، أي جعلت له قيمة وثمنًا معلومًا.
- (٢٥) فلوا: كسروا. والتبر: الذهب قبل أن يصاغ ويضرب، والمراد الذهب مطلقاً، أو المراد ما تحويه هذه المصانع والآثار من نفائس وجواهر وحلي وأموال. وصخرة صماء، وحجر أصم: صلب مصمت، والجمع صم. وأيسر: أقل وأهون.
- (٢٦) الختر: الغدر والخديعة أو هو أقبح الغدر.
- (٢٧) تبأ: خساراً وهلاكاً، منصوب على المصدر بإضمار فعل، أي ألزمهم الله هلاكاً وخسراناً. والغِيِّ: الضلال والخيبة. والغمر: الحقد، وفساد الطوية.
- (٢٨) المهجة: النفس والروح. وهرمس - في ما يزعم الرواة الأقدمون - أول من بنى الهياكل، وتكلم في الأشياء العلوية، ونظر في الطب والحكمة، عاش قبل الطوفان، وكان مسكنه صعيد مصر، ويقال إنه خاف على العلم أن يضيع، فبنى البرابي، وصور فيها ما عرف لعهد من الصناعات وآلاتها وصناعاتها، وأشار بالرسوم إلى مسائل العلوم حرصاً منه على تخليدها لمن بعده. ونوب الدهر: نوازله وخطوبه وشدائده.

فَيَا نَسَمَاتِ الْفَجْرِ أَدِّي تَحِيَّتِي إِلَى ذَلِكَ الْبُرْجِ الْمُطَّلِّ عَلَى النَّهْرِ (٢٩)
وَيَا لَمَعَاتِ الْبَرْقِ إِنْ جُزْتِ بِالْحَمَى فَصُوبِي عَلَيْهَا بِالنَّارِ مِنَ الْقَطْرِ (٣٠)
عَلَيْهَا سَلَامٌ مِنْ فُؤَادِ مُتِّيمٍ بِهَا لَا بِرَبَّاتِ الْقَلَائِدِ وَالشُّذْرِ (٣١)
وَلَا بَرِحَتْ فِي الدَّهْرِ وَهِيَ خَوَالِدُ خُلُودِ الدَّرَارِيِّ وَالْأَوَابِدِ مِنْ شِعْرِي (٣٢)

وَكَتَبَ إِلَى صَدِيقِهِ « عبد الله باشا فكري (★) » :

أَدِيرَا كُؤُوسَ الرَّاحِ قَدْ لَمَعَ الْفَجْرُ وَصَاحَتْ بِنَا الْأَطْيَارُ أَنْ وَجَبَ السُّكْرُ
أَمَا تَرَيَانِ اللَّيْلَ كَيْفَ تَسَلَّلَتْ كَوَاكِبُهُ لِلْغَرْبِ وَأَنَحَدَرَ النَّسْرُ (١)
فَقُومَا أَنْظُرَا مَا يَصْنَعُ الصُّبْحُ بِالدُّجَى فَإِنِّي أَرَى مَا لَيْسَ يَبْلُغُهُ الذُّكْرُ (٢)
أَرَى أَدْهَمًا يَتَلَوُّهُ أَشْهَبُ طَارِدٌ كِلَا الْفَرَسَيْنِ اغْتَالَ شَاوَهُمَا الْحُضْرُ (٣)

(٢٩) البرج: الحصن، ويريد بالبرج: الهرم، ويريد بالنهر: نهر النيل.
(٣٠) جاز السائر الموضع والطريق، وجاز به: سلكه وسار فيه. والحمى: المكان المحمي المصون. والمراد بالحمى هنا: مواضع الآثار. وصوبي: أمر من الصوب، وهو نزول المطر وانصبابه. والنار: المنثور المتفرق. والقطر: المطر.
(٣١) متيم: اسم مفعول من تيمه الحب، أي عبده وذلله. ورببات: صاحبات. والقلائد: جمع قلادة، وهي العقد تحلي به المرأة جيدها. والشذر: فرائد وقطع من الذهب يفصل بها اللؤلؤ والجوهر في العقد، والشذر أيضاً: صغار اللؤلؤ، الواحدة شذرة.
(٣٢) الدراري: الكواكب العظيمة الثابتة المتلألئة المتوقدة، واحدا دري. والأوابد من الكلام: غرائب، وأوابد الشعر: ما كان منه رائعاً جيداً، لا يشاكله في روعته مشاكل، ولا يشابهه في جودته مشابه.

(★) عبد الله باشا فكري (١٢٥٠ - ١٣٠٧ هـ / ١٨٣٤ - ١٨٩٠ م) كاتب شاعر أديب، تعلم بالأزهر، وأجاد اللغتين العربية والتركية، فاستخدم مترجماً، ثم نقل إلى حاشية سعيد باشا، ثم إسماعيل باشا، ثم تقلب في جملة مناصب آخرها نظارة المعارف في وزارة «محمود سامي البارودي»

(١) النسر: كوكب.

(٢) الدجى: جمع دجية، وهي الظلمة. ويريد بالذكر: الوصف بالقول.

(٣) الأدهم هنا: الفرس الأسود، وقد شبه به الشاعر ظلام الليل. والأشهب: صفة من الشبهة وهي

وَقَدْ حَنَّتِ الْأَطْيَارُ فِي وُكْنَاتِهَا
 وَأَصْبَحَتِ الْغُدْرَانُ تَصْقُلُهَا الصَّبَا
 تَرِفٌ كَمَا رَفَّتْ صَحَائِفُ فِضَّةٍ
 عَصَائِبُ حَوْلَ الْمَاءِ يَدْرِمْنَ هُتْفًا
 إِذَا صَرَصَرَ الْبَازِي تَلْبَدْنَ بِالثَّرَى
 يُسَارِقُنَهُ حَتَّى إِذَا غَابَ ظِلُّهُ
 وَقَامَ يُحَيِّنَا عَلَى سَاقِهِ الزُّهْرُ^(٤)
 وَيَرْقُمُ مَتْنَيْهَا بِلُؤْلُئِهِ الْقَطْرُ^(٥)
 عَلَيْهِنَّ مِنْ لَأَلَاءِ شَمْسِ الضُّحَى تَبْرُ^(٦)
 بِلَحْنٍ لَهُ فِي كُلِّ سَامِعَةٍ أَثْرُ^(٧)
 مِنَ الرَّعْبِ حَتَّى لَا يَبِينُ لَهَا صَرُّ^(٨)
 عَنِ الْمَاءِ عَادَ اللَّحْنُ وَانْتَشَرَ الْهَدْرُ^(٩)

في الألوان البياض الغالب على السواد، والمراد الفرس الأشهب، وقد شبه به الشاعر ضوء الصبح وبياضه. والشأو: الشوط، والغاية والأمد. والحضر: اسم من أحضر الفرس إحضاراً، أي ارتفع في عدوه، ومعنى اغتال شأوهما الحضر: أن كلا منهما قد وصل إلى غايته محضراً مسرعاً.

- (٤) الوكنات: جمع وكنة، وهي عش الطائر، أو مأواه في غير عش.
- (٥) المراد بالغدرة هنا: مجاري المياه مطلقاً. وتصقلها: تجلوها. والصبأ: الريح تهب من مطلع الشمس، وهي معروفة عند العرب بطبيعتها واعتدالها، وتقابلها الدبر. ويرقم: يزين ويجميل. ومتنا الظهر: مكتنفا الصلب عن يمين وشمال من عصب ولحم، والمراد بمتنيها: سطح مياهاها. والقطر: المطر.
- (٦) رف اللون يرف رفاً ورفيفاً: برق وتلألأ. ولألاء الشمس: ضوءها ولمعانها. والتبر: ما كان من الذهب غير مصوغ ولا مضروب.
- (٧) عصائب: جماعات، أي الطيور. ويدرم: يقاربن الخطو في عجلة وقفز، كما يمشي الفأر والقنفذ والأرنب وما أشبهها، واللحن: من الأصوات المصوغة الموضوعة، وجمعه ألحان ولحون، والمراد التفريد.
- (٨) صرصر: صوت، من الصرصرة، وهي صوت كالصرير، غير أن فيه تكراراً. والبازي: ضرب من الصقور، وهو من جوارح الطير التي تصيد غيرها. وتلبدن: جثمن وأقمن ولصقن، أي بنات الماء. والثرى: الأرض، أو التراب الندي. وفي رواية «حتى لا يبين لها سر»، والسر: الأمر الخفي.
- (٩) الهدر: مصدر هدر الحمام ونحوه يهدر هدرأً وهديراً، أي صوت.

تَرَاهُنَّ أُسْرَابًا عَلَى الْمَاءِ حُمُومًا
تَرُوحُ وَتَغْدُو بَيْنَ أَفْنَانٍ دَوْحَةٍ
لَهَا فِي نَوَاجِي الْأَفْقِ لَفْتَةٌ أَصِيدٍ
مَلَاعِبٌ لَهَا يَقْصُرُ الطَّرْفُ دُونَهَا
فِيَا صَاحِبِي نَجْوَايَ قَوْمًا لِشُرْبِهَا
وَشَأْنُكُمْ فِي الرَّاحِ فَالْعَيْشُ وَالصَّبَا
خَبِيئَةٌ قَوْمٍ خَلَّفُوهَا لِغَيْرِهِمْ
فَجَاءَتْ كَمِصْبَاحِ السَّمَاءِ مُنِيرَةٌ
وَإِنْ أَنْتُمْ غَنِيْتُمْ مَانِي فَلْتَكُنْ
أَنَاشِيدَ فِيهَا لِلْمَلِيحَةِ وَالْهَوَى
لَعَلَّ هَوَاهَا أَنْ يَعُودَ كَمَا بَدَا

- (١٠) أسراباً: جماعات، واحدها سرب. والظمء: اسم بمعنى الظما، وهو العطش.
- (١١) تروح وتغدو: تتردد جيئة وذهاباً. والأفنان: الأغصان. والدوحة: الشجرة العظيمة. والوسمي: مطر الربيع الأول، لأنه يسم الأرض بالنبات، أي يترك فيها أثراً. ومستوكف: غزير هطل. وغزر: مصدر غزر الشيء، أي كثر، وقد استعمل الغزر هنا بمعنى الغزير.
- (١٢) الأصيد: الذي يرفع رأسه كبراً، صفة من الصيد. وعرنين الأنف: تحت مجتمع الحاجبين، وهو أول الأنف حيث يكون فيه الشمع.
- (١٣) الملاعب: أماكن اللعب، ويقصد بملاعب اللهو (هنا) مجال أنسه وصبوته. والطرف: العين.
- (١٤) النجوى: السر.
- (١٥) الراح: الخمر. وخفره يخفره: منعه وأجاره وحفظه.
- (١٦) خبيئة: مخبوءة، من خبأه، أي ستره وأخفاه. وخلت: مضت.
- (١٧) مصباح السماء: الشمس. والسفر: جمع سافر، بمعنى مسافر.
- (١٨) يهفو: يضطرب ويخف ويذهب.
- (١٩) كما بدا: كما كان في مبتدأ الأمر. ورخي: صفة من الرخاء، وهو اللين والسعة. والحواشي: الجوانب والنواحي، والمراد برخي الحواشي: أنه طيب هنيء، يجمع أسباب الصفاء والنعيم.

مِنْ الْبَيْضِ مَيْسَانُ الْعَشِيَّاتِ غَاذَةٌ (٢٠)
 إِذَا سَفَرَتْ وَالْبَدْرُ لَيْلَةٌ تَمُّهُ
 لَهَا لَفْتَةٌ الْخَشْفِ الْأَغْنُ وَنَظْرَةٌ
 تَرُدُّ النَّفُوسَ السَّالِمَاتِ سَقِيمَةٌ
 خَفَضَتْ لَهَا مِنْ بِنِي جَنَاحِي مَوْدَّةٍ
 عَلَى أَنَّ مَا بَيْنِي وَبَيْنَ عَشِيرَتِهَا
 فَيَا رَبَّةَ الْخَلْخَالِ رَفَقًا بِمُهْجَتِي
 وَبُقْيَا عَلَى قَلْبِي فَلَوْلَمْ يَكُنْ بِهِ
 أُخِي وَصَدِيقِي وَأَبْنُ وَدِّي وَصَاحِبِي
 هُوَ الصَّاحِبُ الْمَشْكُورُ فِي الْوُدِّ سَعِيَّةُ
 أَمِينٍ عَلَى غَيْبِ الصَّدِيقِ إِذَا وَنَتْ
 سَلِيمَةٌ مَا تَحْوِي الْمَعَاقِدُ وَالْأَزْرُ (٢١)
 وَلَا حَا سَوَاءً قِيلَ أَيُّهُمَا الْبَدْرُ؟ (٢١)
 تُقْصِرُ عَنْ أَمْثَالِهَا الْفَتَكَةُ الْبِكْرُ (٢٢)
 وَتَفْعَلُ مَا لَا تَفْعَلُ الْبَيْضُ وَالسُّمْرُ (٢٣)
 وَدَنْتُ لِعَيْنَيْهَا كَمَا حَكَمَ الدُّهْرُ
 قَوَارِعُ سُوءٍ لَا يَنَامُ لَهَا وَتَرُ (٢٤)
 فَيَا لَغَاذَةَ الْحَسَنَاءِ لَا يَحْسُنُ الْغَدْرُ (٢٥)
 سِوَى حُبِّ «عَبْدِ اللَّهِ» كَانَ لَهُ عُذْرُ
 وَمَوْضِعُ سِرِّي حِينَ يَعْتَلِجُ الصَّدْرُ (٢٦)
 وَمَا خَيْرُ وُدٍّ لَيْسَ يَلْحَقُهُ شُكْرُ؟
 عُهُودُ أَنْاسٍ أَوْ تَطَرَّقَهَا فَتْرُ (٢٧)

(٢٠) ميسان: صفة من ماست المرأة تميز، أي تبخترت واختالت. والغادة: الفتاة الناعمة اللينة المثنية، صفة من الغيد. والمعاهد: جمع معقد، اسم مكان من عقدت الإزار ونحوه أي شدته وربطته. والأزر: جمع إزار، وهو الملحفة وما يستر الإنسان من الثياب.

(٢١) سفرت: كشفت عن وجهها.

(٢٢) الخشف: الظبي، أي الغزال إذا قوي واشتد واستطاع المشي. وظبي أغن: يخرج صوته من خياشيمه مرخماً. والفتكة: اسم مرة من الفتك، وهو القتل على غفلة، أو هو البطش الشديد. والفتكة البكر: التي لا تشي.

(٢٣) سقيمة: مريضة، والمراد سقم الهوى والغرام. والبيض: السيوف. والسمر: الرماح.

(٢٤) عشيرتها: أهلها. والقوارع: الشدائد، واحدها قارعة، وهي الداهية والشديدة من شدائد الدهر، والمراد بقوارع السوء هنا: العداوة والخصومات التي بينه وبين أهلها وعشيرتها. والوتر: الذحل والثأر.

(٢٥) ربّة الخلخال: صاحبة الخجل، وهو حلي معروف موضعه من الساق، كالسوار في المعصم. والمهجة: الروح والنفس والقلب. والغادة: الفتاة الناعمة المثنية لينا.

(٢٦) يعتلج الصدر: تضطرب فيه الهموم والشدائد.

(٢٧) ونت: فترت وضعفت. وتطرّقها: دخلها.

فَلَا جَهْرُهُ سِرٌّ وَلَا سِرُّ صَدْرِهِ إِذَا امْتَحَنَ الْوَأَشِي ضَمَائِرَهُ جَهْرُ
يَدِبُّ عَلَى الْمَعْنَى الْخَفِيِّ بِفِكْرَةٍ سَوَاءٌ لَدَيْهَا السَّهْلُ فِي ذَاكَ وَالْوَعْرُ
لَهُ الْبُلْجَةُ الْغَرَاءُ يَسْرِي شُعَاعُهَا إِذَا غَامَ أَفْقُ الْفَهْمِ وَالتَّبَسَ الْأَمْرُ
تَزَاحَمُ أَفْوَاجُ الْكَلَامِ بِصَدْرِهِ فَلَوْ غَضَّ مِنْ صَوْتٍ لَكَانَ لَهَا هَذْرُ
لَهُ قَلَمٌ لَوْلَا غَزَارَةُ فِكْرِهِ لَجَفَّتْ لَدَيْهِ السُّحْبُ أَوْ نَفِدَ الْبَحْرُ
إِذَا اخْتَمَرَتْ بِاللَّيْلِ قِمَّةُ رَأْسِهِ تَفَجَّرَ مِنْ أَطْرَافٍ لِمَتِّهَا الْفَجْرُ (٢٨)
إِلَيْكَ ابْنَ بَطْحَاءِ الْكَلَامِ تَشَذَّرَتْ بِرَكْبِ الْمَعَانِي لَا يُكْفِكُفُهَا الزَّجْرُ (٢٩)
قَلَائِصُ لَا يَرَعَيْنَ عَازِبَةَ الْكَلَا وَلَا يَسْتَبِقْنَ الْمَاءَ إِنْ فَاتَهَا الْعِشْرُ (٣٠)
وَمَا هُوَ إِلَّا الشَّعْرُ سَارَتْ عِيَابُهُ وَفِي طَيِّهَا مِنْ طِيبٍ مَا ضُمْنَتْ نَشْرُ (٣١)
فَأَلْتِ إِلَيْهِ السَّمْعَ يُنْبِشُكَ أَنَّهُ هُوَ الشَّعْرُ لَا مَا يَدْعِي الْمَلَأَ الْعَمْرُ (٣٢)
يَزِيدُ عَلَى الْإِنْشَادِ حُسْنًا كَأَنِّي نَفَثْتُ بِهِ سِحْرًا وَلَيْسَ بِهِ سِحْرُ (٣٣)

(٢٨) اختمرت المرأة: لبست الخمار، وهو ثوب تغطي به رأسها. ويريد بالليل: المداد. وقمة رأس القلم: طرفه الذي يكتب به. واللمة: الشعر الذي يجاوز شحمة الأذن.

(٢٩) البطحاء: مسيل واسع فيه دفاق الحصى. وابن بطحاء الكلام: كناية عن فصاحة الممدوح، وتمكنه من أساليب الكلام وفنون القول. وتشذرت الناقة: حرّكت رأسها، واشتد نشاطها وفرحها، وذلك إذا رأت رعيًا يسرها. والركب: جمع راكب، كصاحب وصاحب. ولا يكفكفها: لا يمنعها ولا يصرفها. والزجر: مصدر زجرته، أي منعه ونهيته.

(٣٠) قلائص: جمع قلوص، وهي الفتية الشابة من الإبل، أو الباقية على السير، أو أول ما يركب من إناثها. وعازبة الكلا: الكلا البعيد. والعشر: أن تظماً الإبل، وترد الماء في اليوم العاشر.

(٣١) العياب: جمع عيبة، وهي وعاء الثياب، أو زبيل من جلد يكون فيه المتاع. والنشر: الرائحة الطيبة.

(٣٢) الملاء: الجماعة من الناس. والغمر: الذي لم يجرب الأمور.

(٣٣) نفثت: ألقيت، من النفث، وهو شبه النفخ، أو البزق اليسير، ونفث الساحر أو الراقي في العقدة، أي نفخ فيها بشيء يقوله.

فَدُمُّ لِلْعُلَا وَالْعِلْمِ وَالْحِلْمِ وَالتَّقَى وَنَيْلِ الْمُنَى مَا أَوْرَقَ الْغُصْنُ النَّضْرُ
وَقَالَ :

لِهَوَى الْكَوَاعِبِ ذِمَّةٌ لَا تُخْفَرُ وَأَخُو الْوَفَاءِ بِعَهْدِهِ لَا يَغْدِرُ^(١)
فَعَلَامٌ يَنْهَانِي الْعَذُولُ عَنِ الصَّبَا؟ أَوْلَيْسَ أَنَّ هَوَى النُّفُوسِ مُقَدَّرٌ؟^(٢)
قَدْ كَانَ لِي فِي بَعْضِ مَا صَنَعَ الْهَوَى عُدْرٌ وَلَكِنْ أَيْنَ مَنْ يَتَبَصَّرُ؟
وَمِنَ الْبَلِيَّةِ غَافِلٌ عَمَّا جَنَّتْ يَدُهُ عَلَيَّ وَلَائِمٌ لَا يَعْذِرُ^(٣)
لَمْ يَدِرْ مَنْ كَحَلَ الْكُرَى أَجْفَانَهُ مَاذَا يُكَابِدُ فِي الْهَوَى مَنْ يَسْهَرُ^(٤)
يَا غَافِلًا عَنِّي وَيَيْنَ جَوَانِحِي لَهَبٌ يَكَادُ لَهُ الْحَشَا يَتَفَطَّرُ^(٥)
دَعْنِي أَبْثُكَ بَعْضَ مَا أَنَا وَاجِدٌ وَأَحْكُمُ بِمَا تَهْوَى فَأَنْتَ مُخَيَّرٌ
فَلَوْ أَطْلَعْتَ عَلَيَّ تَبَارِيحِ الْجَوَى لَعَلِمْتَ أَيُّ دَمٍ بِحُبِّكَ يُهْدَرُ^(٦)
مَا كُنْتُ أَعْلَمُ قَبْلَ حُبِّكَ أَنَّي أَعْضِي عَلَى مَضَضِ الْهَوَانِ وَأَصْبِرُ^(٧)

- (١) الكواعب: جمع كاعب، وهي الفتاة التي نهت نديها، أي نتأ وظهر. والذمة: الحرمة والعهد. ولا تخفر: لا تنقض، ولا تنتهك، من الإخفار، وهو الغدر ونقض العهد.
- (٢) العذول: صفة من العذل، وهو اللوم. والمراد بالصبا هنا: الهوى والعشق.
- (٣) المراد بالبلية هنا: الكارثة والتجربة الشاقة، ويشير بقوله: «غافل عما جنت يده علي» إلى الحبيب، ويقول «لائم لا يعذر»: إلى العذول.
- (٤) الكرى: النعاس.
- (٥) الجوانح: أضلاع الصدر، أو هي الأضلاع التي تحت الترائب مما يلي الصدر، الواحدة جانحة. والحشا: ما حواه الجوف، أو هو ما اشتملت عليه الضلوع. ويتفطر: يتشقق.
- (٦) تباريح الهوى والشوق: توجهه، كأنه جمع تبريح، مصدر برح به الأمر تبريحاً، أي جهده واشتد عليه وقعه. والجوى: الهوى، والحزن، والحرقه، وشدة الوجد. وهدر دمه: بطل وأهدره السلطان، أي أبطله وأباحه.
- (٧) الإغضاء: إدناء الجفون، يقال: أغضى الرجل عينه، أي قارب بين جفنيها، ثم استعمل في الحلم والصبر، فقليل: أغضى على القذى، إذا صبر على الإساءة. والمضض: مصدر مضضت من الشيء، أي تألمت.

أوردتني بلحاظ عَيْنِكَ مَوْرِدًا
 هِيَ نَظْرَةٌ كَانَتْ ذَرِيعَةً صَبُوءَ
 مَا كُنْتُ أَعْلَمُ قَبْلَ وَحْيِ جُفُونِهَا
 ظَلَمُوا الْأَسِنَّةَ خَاطِئِينَ وَلَيْتَهُمْ
 أَمْطَاعِينَ الْفُرْسَانَ فِي حَمْسِ الْوَعَى
 أَيْنَ الرَّمَّاحُ مِنَ الْقُدُودِ وَأَيْنَ مِنْ
 هَيْهَاتَ يَثْبُتُ فِي الْوَقِيعَةِ دَارِعٌ
 لِلْحُسْنِ أَسْلِحَةٌ إِذَا مَا اسْتَجَمَعَتْ
 فَالْلَحْظُ عَضْبٌ صَارِمٌ وَالْهُدْبُ نَبْ
 لِلْحَبِّ مَا لِقَلْبٍ عَنْهُ مَصْدَرٌ^(٨)
 وَاللَّحْظُ أَضْعَفُ مَا يَكُونُ وَأَقْدَرُ^(٩)
 أَنَّ الْعُيُونَ الْجُوذْرِيَّةَ تَسْحَرُ^(١٠)
 عَلِمُوا بِمَا صَنَعَ السَّنَانُ الْأَحْوَرُ^(١١)
 أَقْصِرْ فَرْمُحَكَ عَنْ غَرِيمِكَ أَقْصِرْ^(١٢)
 لَحْظِ تَهِيمٍ بِهِ السَّنَانُ الْأَخْزَرُ^(١٣)
 يَسْطُو عَلَيْهِ مُخْلَخِلٌ وَمُسَوَّرُ^(١٤)
 فِي حَوْمَةٍ لَا يَتَّقِيهَا مَغْفَرُ^(١٥)
 لُ صَائِبٌ وَالْقَدْرُ مِغْ أَسْمَرُ^(١٦)

(٨) اللحاظ : مصدر لاحظته، أي نظرت إليه بمؤخر العين، والمراد بلحاظ العين : نظراتها الساحرة الفاتنة.

(٩) ذريعة : وسيلة وسبب. والمراد بالصبوة هنا : الهوى والغرام.

(١٠) الوحي : الإشارة. والجوذرية : نسبة إلى الجوذر، وهو ولد البقرة الوحشية، وتشبه عيون الحسان بعيون بقر الوحش في الاتساع والجمال.

(١١) الأسنة : جمع سنان وهو حديدة الرمح، ويريد بالسنان الأحمر : عين الحبيب على التشبيه. والأحور : صفة من الحور، وهو شدة بياض العين، في شدة سوادها، مع استدارة حدقتها، ورقة جفونها، وبياض ما حوالها.

(١٢) حمس الوعى : شدة الحر. والغريم : الدائن أو المدين، والمراد الحبيب.

(١٣) القدود : جمع قد، وهو القامة والتقطيع والاعتدال. والأخزر : صفة من الخزر، وهو ضيق العين وصغرها، أو هو حول إحدى العينين، أو أقبح الحول، أو إقبال الحدقتين نحو الأنف.

(١٤) الوقية : الحرب والقتال. ودارع : عليه الدرع، وهي لبوس من حديد يتقي به المحارب طعنات العدو. والمخلخل في أصل اللغة : موضع الخلخال من الساق، والمراد به هنا : لابس الخلخال، والمسور : لابس السوار.

(١٥) حومة القتال : معظمه، أو أشد موضع فيه. والمغفر : زرد ينسج على قدر الرأس، ويلبس تحت القلنسوة، أو حلق يتقنع به المتسلح.

(١٦) عضب : سيف قاطع، ومثلها صارم.

أَنَّى يَطِيشُ عَنِ الْقُلُوبِ لِغَمَزَةٍ سَهْمٌ وَقَوْسُ الْحَاجِبِينَ مُوتَرٌ؟ (١٧)
 يَا لِلْحَمِيَّةِ مِنْ غَزَالٍ صَادِنِي وَمِنَ الْعَجَائِبِ أَنْ يَصِيدَ الْجُوذُرُ (١٨)
 بَدْرُ لَهُ بَيْنَ الْقُلُوبِ مَنَازِلُ يَسْرِي بِهَا وَلِكُلِّ بَدْرٍ مَنظَهْرُ
 أَنْظِرْ لِطُرَّتِهِ وَغُرَّةٍ وَجْهِهِ تَلَقَّ الْهِدَايَةَ فَهُوَ لَيْلٌ أَقْمَرُ (١٩)
 نَادَيْتُ لَمَّا لَاحَ تَحْتَ قِنَاعِهِ هَذَا « الْمَقْنَعُ » فَاحْذَرُوا أَنْ تُسْحَرُوا (٢٠)
 طَبَعْتُهُ فِي لَوْحِ الْفُؤَادِ مَخِيلَتِي بِزُجَاجَةِ الْعَيْنَيْنِ فَهُوَ مُصَوَّرُ
 وَسَرَتْ بِجِسْمِي كَهَرَبَاءَةٍ حُسْنِهِ فَمِنَ الْعُرُوقِ بِهِ سُلُوكٌ تُخْبِرُ
 أَنَا مِنْهُ بَيْنَ صَبَابَةٍ لَا يَنْقُضِي مِيقَاتَهَا وَمَوَاعِدٍ لَا تُثْمِرُ (٢١)
 جِسْمٌ بَرَّتْهُ يَدُ الضَّنَى حَتَّى غَدَا قَفْصاً بِهِ لِلْقَلْبِ طَيْرٌ يَصْفِرُ (٢٢)
 لَوْلَا التَّنْفُسُ لَأَعْتَلَّتْ بِي زَفْرَةٌ فَيَحَالِنِي طَيَّارَةٌ مَنْ يُبْصِرُ (٢٣)
 لَا غَرَوَّ أَنْ أَصْبَحْتَ تَحْتَ قِيَادِهِ فَالْحُبُّ أَغْلَبُ لِلنُّفُوسِ وَأَقْهَرُ (٢٤)

- (١٧) الغمزة: الإشارة بالعين. وموتر: اسم مفعول من وترت القوس توتيراً، أي شددت وترها.
- (١٨) الحمية: الأنفة والاستكفاف والاستكبار وعدم احتمال الضيم. ويريد بالغزال: المرأة الجميلة الفاتنة. والجوذر: ولد البقرة الوحشية، تشبّه به الحسنة في جمال العيون واتساعها.
- (١٩) الطرة: الشعر الذي تصفّفه الجارية على جبهتها. وغرة الوجه: بياضه وإشراقه وجماله.
- (٢٠) القناع: ما تقنع به المرأة رأسها، أي تغطيه. والمقنع الخراساني: مشعوذ مشهور، كان قصاراً من أهل مرو، وتعلّق بالشعوذة والسحر، وكان مشوّه الخلق، فاتخذ وجهاً من ذهب تقنع به، ثم ادعى الربوبية، وتبعه قوم، وقاتلوا في سبيله، واشتهر أمره سنة ١٦١ هـ، فثار الناس، وأرادوا قتله، فاعتصم بقلعة له، فحصره، فلما أيقن بالهلاك شرب سمّاً فمات سنة ١٦٣ هـ.
- (٢١) الصبابة: رقة الهوى، وحرارة الشوق.
- (٢٢) الضنى: مصدر ضني أي مرض مرضاً مخامراً كلما ظن برؤيه نُكِسَ.
- (٢٣) الزفرة: شدة الحرقه والوجد.
- (٢٤) لا غرو: لا عجب.

يَعْنُو لِقُدْرَتِهِ الْمَلِيكَ الْمُتَقَى
وَالْعِشْقُ مَكْرَمَةٌ إِذَا عَفَّ الْفَتَى
يَقْوَى بِهِ قَلْبُ الْجَبَانِ وَيَرْعَوِي
فَتَحَلَّ بِالْأَدَبِ النَّفِيسِ فَإِنَّهُ
وَإِذَا عَزَمْتَ فَكُنْ بِنَفْسِكَ وَائْتِقَاً
إِنْ لَمْ يَكُنْ لِلْمَرْءِ مِنْ بَدَهَاتِهِ
وَاحْذَرْ مُقَارَنَةَ اللَّئِيمِ وَإِنْ عَلَا
وَمِنَ الرَّجَالِ مَنْاسِبٌ مَعْرُوفَةٌ
فَانظُرْ إِلَى عَقْلِ الْفَتَى لَا جِسْمِهِ
فَلَرُبَّمَا هَزَمَ الْكَتِيبَةَ وَاحِدٌ
إِنَّ الْجَمَالَ لَفِي الْفُؤَادِ وَإِنَّمَا
فَاخْتَرُ لِنَفْسِكَ مَا تَعِيشُ بِذِكْرِهِ

- (٢٥) يعنو: ينقاد ويذعن ويخضع ويذل. والصولة: الاستطالة والسطوة والبطش. والكمي: البطل الشجاع المدجج بالسلاح. والقصور: العزيز القوي الغالب.
- (٢٦) الغوي: الضال المنهك في الجهل والفساد. والأصور: صفة من الصور وهو الميل، والمراد بالأصور: المنحرف عن الهدى والرشاد.
- (٢٧) يرعوي عن القبيح: يكف عنه ويمتنع.
- (٢٨) المستعز بغيره: المعتمد عليه، المتقوي به.
- (٢٩) البدهات: جمع بدهة، اسم مرة من بدهه بالأمر بدهاً أي فاجأه وباغته. والمراد بالبدهات هنا: الآراء السديدة، والأحكام الصائبة السريعة. والخطب: النازلة الشديدة من نوازل الدهر.
- (٣٠) مقارنة اللئيم: مصاحبته. والقرين: الصاحب.
- (٣١) يريد بالمناسب المعروفة: الأنساب الواضحة المشهورة. وتزكو: تنمو وتزيد.
- (٣٢) الكتيبة: الطائفة من الجيش مجتمعة. والدينية: النقيصة والعار. والمعشر: جماعة الناس.

وَقَالَ يَصِفُ أَيَّامَ الرَّبِيعِ :

رَفُّ النُّدى وَتَنَفُّسَ النُّوَارِ وَتَكَلُّمَتِ بِلُغَاتِهَا الْأَطْيَارِ (١)
 وَتَارَجَتِ سُرَّرُ الْبِطَاحِ كَأَنَّمَا فِي بَطْنِ كُلِّ قَرَارَةٍ عَطَّارُ (٢)
 زَهْرٌ يَرِفُّ عَلَى الْغُصُونِ وَطَائِرٌ غَرْدُ الْهَدِيرِ وَجَدُولُ زَخَّارُ (٣)
 وَنَوَاسِمٌ أَنْفَاسُهُنَّ طَوِيلَةٌ وَهَوَاجِرٌ أَعْمَارُهُنَّ قِصَارُ (٤)
 وَالْبَاسِقَاتُ الْحَامِلَاتُ كَأَنَّهَا عُمْدٌ مُشَعَّبَةٌ الذَّرَا وَمَنَارُ (٥)
 عَقَدَتْ ذِلَازِلَ سُوقِهَا فِي جِيدِهَا وَسَمَتْ فَلَيْسَ تَنَالُهَا الْأَبْصَارُ (٦)
 فَأُصُولُهَا لِلْسَّابِحَاتِ مَلَاعِبٌ وَفُرُوعُهَا لِلنِّيَّاتِ مَطَّارُ (٧)
 يَيْدُو بِهَا زَهْوٌ تَخَالُ إِهَانُهُ فُتْلًا تَمَشَّتْ فِي ذُرَاهَا النَّارُ (٨)

- (١) رف: برق وتلألأ. وتنفس: تبلج وأشرق، والمراد تفتح. والنوار: الزهر، واحده نؤارة.
 (٢) تارجت: فاحت منها رائحة طيبة زكية. والسرر: جمع سرّة، وهي وسط الوادي، وأطيب موضع فيه، أو هي السرر، جمع سرّ بمعنى السرّة المتقدم. والبطاح: جمع الأبطح، وهو مسيل واسع فيه دقاق الحصى، وكلّ مكان متسع، والمراد الأودية. والقرارة: الأرض المطمئنة.
 (٣) غرد: صفة من الغرد، وهو التطريب في الصوت. والهدير: سجع الحمام ونحوه. وزخار: طام ممتلىء.
 (٤) النواسم: الرياح الطيبة المعتدلة، جمع ناسمة. والهواجر: جمع هاجرة، وهي اشتداد الحرّ في منتصف النهار.
 (٥) الباسقات: طوال النخل. والحاملات: المثمرات، جمع حاملّة. والذرى: جمع ذروة، وهي من كل شيء أعلاه. والمنار: جمع منارة، وهي الموضع المرتفع به نور.
 (٦) ذلازل القميص: ما يلي الأرض من أسافله. والسوق: جمع ساق، وهي جذع الشجرة، والمراد بذلازل سوق النخيل: سعفها وأغصانها.
 (٧) السابحات: جمع سابح أو سابحة، وهو ما يعوم في الماء. والنيّات: الكواكب والنجوم.
 (٨) الزهو: البسر الملون، يقال زها النخل، إذا ظهرت الحمرة والصفرة في ثمره. والإهان: العرجون الذي يجمع الشماريخ، وهو أصل العذق والكباسة. والفتل: جمع فتيلة، وهي ذبالة السراج التي تشعل فتضيء. وذراها: أعاليها الواحدة ذروة.

طَوْرًا تَمِيلُ مَعَ الرِّيحِ وَتَارَةً
 فَكَأَنَّهَا لَعِبَتْ بِهَا سِنَّةُ الْكُرَى
 فَإِذَا رَأَيْتَ رَأَيْتَ أَحْسَنَ جَنَّةٍ
 يَتَرْنَمُ الْعُصْفُورُ فِي عَذْبَاتِهَا
 فَالْتَرُبُ مِسْكٌ وَالْجَدَاوِلُ فِضَّةٌ
 فَاشْرَبْ عَلَى وَجْهِ الرَّبِيعِ فَإِنَّهُ
 وَاعْلَمْ بِأَنَّ الْمَرَّةَ غَيْرُ مُخَلَّدٍ
 إِنِّي وَإِنْ لَعِبَ الزَّمَانُ بِصَعْدَتِي
 فَلِنَعْمَ مَا بَقِيَتْ لَدَيَّ مَهَابَةٌ
 وَسَعَى إِلَيَّ الْجِلْمُ فِي أَثْوَابِهِ
 أَنَا لِلصَّادِقِ كَمَا يُحِبُّ وَلِلْعِدَا
 خَيْلِي مُسَوِّمَةٌ وَرُمُحِي ذَابِلٌ

(٩) سنة الكرى: أوائل النعاس.

(١٠) عذباتها: أغصانها وسعفها. والعندل: المعروف في اللغة العندليل، وهو طائر يصوت ألواناً، وقد يسمى العندليب أو البلبل، ويجمع العندليل على عنادل، ولعل هذا الجمع هو الذي سوغ للشاعر أن يجعل المفرد عندلاً. والصفار: صيغة مبالغة من الصفير.

(١١) المسك: نوع من الطيب. والقطر: المطر. والدر: اللؤلؤ، الواحدة درة. والبهار: من أزهار البادية، واسمه العرار الذي يقال له عين البقر، وهو نبت طيب الرائحة، جعد، له زهرة صفراء تفتتح أيام الربيع، ويقال لها العرارة. والنضار: الذهب.

(١٢) جبار: هدر، يقال: ذهب دم القتل جباراً، أي هدرأ، فلم يقتص من القاتل.

(١٣) الصعدة: القناة المستوية تنبت كذلك، وكني بلعب الزمان بصعدته عن تقدم سنه. والعدار: ما نبت من الشعر على جانبي اللحية.

(١٤) تقذى: تصاب بالقذى، وهو ما يسقط في العين فيؤذيها.

(١٥) الكريهة: الشدة في الحرب. والضيغم: الأسد. وزأر: صيغة مبالغة من الزئير، وهو صياح الأسد وغضبه.

(١٦) مسومة: مرسله وعليها ركبائها، أو معلمة، أو مرعية، والمراد معدة للحرب. ورمح ذابل:

وَبِرَاحَتِي قَلَمٌ إِذَا حَرَّكَتُهُ رَوَيْتَ بِهِ الْأَفْهَامُ وَهِيَ حِرَارٌ^(١٧)
تَرْتَدُّ عَنْهُ قَنَابِلٌ وَجَحَافِلُ وَتَكِلُّ عَنْهُ أُسْنَةٌ وَشِفَارٌ^(١٨)
عَرْدٌ إِذَا مَا جَالَ فَوْقَ صَحِيفَةٍ سَجَدَتْ لِحُسْنِ بَصِيرِهِ الْأُوتَارُ^(١٩)
وَإِذَا امْتَطَى ظَهَرَ الْبَنَانِ لِعَايَةِ خَضَعَتْ إِلَيْهِ قَوَارِحُ وَمِهَارٌ^(٢٠)
فَإِذَا رَكِبْتُ فَكُلُّ قَرْنٍ أَمِيلٌ وَإِذَا نَطَقْتُ فَكُلُّ نُطْقٍ رَارٌ^(٢١)
أَلْقَى الْكَلَامُ إِلَيَّ ثِنْيَ عِنَانِهِ وَتَفَاخَرَتْ بِكَلَامِي الْأَشْعَارُ^(٢٢)

وَقَالَ بَعْدَ وُصُولِهِ إِلَى جَزِيرَةِ «سَرَنْدِيبَ» (*): وَقَدْ رَأَى ابْنَتَهُ الْوُسْطَى فِي الْمَنَامِ :

تَأْوَبَ طَيْفٌ مِنْ «سَمِيرَةَ» زَائِرٌ وَمَا الطَّيْفُ إِلَّا مَا تُرِيهِ الْخَوَاطِرُ^(١)

رقيق متين. والطعان: الحرب والقتال، مصدر طاعنته بالرمح. والصارم: السيف القاطع. ويتار: سريع القطع.

(١٧) حرار: عطاش، جمع حران.

(١٨) القنابل: جمع قنبل أو قنبلة، وهي الطائفة من الناس، ومن الخيل. والجحافل: جمع جحفل، وهو الجيش الكثير. والأسنة: جمع سنان، وهو حديدة الرمح. والشفار: جمع شفرة، وهي حدّ السيف.

(١٩) الصرير: صوت القلم في أثناء الكتابة.

(٢٠) البنان: أطراف الأصابع، الواحدة بنانة. والقوارح: الخيل إذا تمت أسنانها، أو طلعت أنيابها، واحدها قارح. والمهار: جمع مهر، وهو ولد الفرس.

(٢١) القرن: كفؤك في الشجاعة، ومن يقاومك في القتال ونحوه. وأميل: جبان، أو ليس معه سلاح. ورار: فاسد، سخي، ركيك.

(٢٢) الثني: الطرف، يقال قبض بثني الحبل، وهو ما فضل في كفه إذا قبض عليه. والعنان: سير اللجام الذي تمسك به الدابة.

(*) يرجح أن هذه القصيدة الرائية الخالدة هي أولى السرنديبيات، أو من أوائل ما نظمها الشاعر في منفاه.

(١) تأوبه: جاءه ليلاً. والطيف: الخيال الطائف في المنام. و«سميرة»: ابنة الشاعر، وإحدى ولادته اللاتي تركهن مع والدتهن «عديلة يكن».

طَوَى سُدْفَةَ الظُّلْمَاءِ وَاللَّيْلُ ضَارِبٌ بِأُرْوَاقِهِ وَالنَّجْمُ بِالْأَفْقِ حَائِرٌ^(٢)
 فَيَا لَكَ مِنْ طَيْفِ أَلَمٍ وَدُونِهِ مُحِيطٌ مِنَ الْبَحْرِ الْجَنُوبِيِّ زَاخِرٌ^(٣)
 تَخْطَى إِلَيَّ الْأَرْضَ وَجَدًّا وَمَا لَهُ سِوَى نَزَوَاتِ الشُّوقِ حَادٍ وَزَاجِرٌ^(٤)
 أَلَمٌ وَلَمْ يَلْبَثْ وَسَارَ وَلَيْتَهُ أَقَامَ وَلَوْ طَالَتْ عَلَيَّ الدِّيَاجِرُ^(٥)
 تَحْمَلُ أَهْوَالَ الظُّلَامِ مُخَاطِرًا وَعَهْدِي بِمَنْ جَادَتْ بِهِ لَا تُخَاطِرُ^(٦)
 خُمَاسِيَّةٌ لَمْ تَذِرْ مَا اللَّيْلُ وَالسُّرَى وَلَمْ تَنْحَسِرْ عَنْ صَفْحَتَيْهَا السَّائِرُ^(٧)
 عَقِيلَةٌ أَتْرَابٍ تَوَالَيْنَ حَوْلَهَا كَمَا دَارَ بِالْبَدْرِ النُّجُومُ الزُّوَاهِرُ^(٨)
 غَوَافِلُ لَا يَعْرِفْنَ بُؤْسَ مَعِيشَةٍ وَلَا هُنَّ بِالْخَطْبِ الْمَلْمِ شَوَاعِرُ^(٩)

(٢) السُّدْفَةُ: السُّتْرَةُ، والحجاب. وسُدْفَةُ الظُّلْمَاءِ: أي الظُّلْمَاءِ الشَّيْهَةِ بالسُّدْفَةِ. والسُدْفَةُ: الظُّلْمَةُ. وإضافتها إلى الظُّلْمَاءِ من إضافة الكلمة إلى مرادفها. وضرب الليل بظلامه، وضرب أرواقه: أي أقبل، وخيم، وأقام، واشتدَّتْ ظلمته. وكنى بحيرة النجم في الأفق: عن شدَّة الحكمة، وتراكم الظلمات.

(٣) يريد بالبحر الجنوبي: المحيط الهندي. وزاخِر: طام، ممتلىء، واسع.
 (٤) نزوات الشوق: نواذعه، ودوافعه. وحاد: اسم فاعل من حدا الإبل، أي ساقها، وحثها على السير بالحداء، وهو الغناء لها. وزاجر: اسم فاعل من زجر الرجل البعير ونحوه، أي ساقه، وحمله على الإسراع في مسيره.

(٥) الدياجر: الظُّلْمَات. واحدها دِيَجُور.
 (٦) تَحْمَلُ الْأَمْرَ: حَمَلَهُ فِي عَنَتٍ وَمَشَقَّةٍ.
 (٧) خماسية: طولها خمسة أشبار، أو سنَّها نحو سبع سنوات، والمراد أنها طفلة صغيرة السن. والسُّرَى: السُّرَى لَيْلًا. وصفحتها: جانباً وجَّهها.

(٨) عقيلة كلُّ شيء: أكرمه، وأنفسه، وأعظمه قيمةً. وأترابها: لذاتها، أي مَنْ كُنَّ فِي مِثْلِ سَنِّهَا. وتوالين حولها: أي أَحْطَنَ بِهَا، وَدُرْنَ حَوْلَهَا فِي تَوَالٍ وَتَتَابِعٍ. والنجوم الزواهر: الكواكب المشرقة المتلاثلة الجميلة، واحدها زاهر.

(٩) الخطب: النازلة الشديدة من نوازل الدهر وأحداثه. والملم: اسم فاعل من ألم بنا فلان إلاماً، أي حل بنا، ونزل.

تَعَوَّذَنَ خَفَضَ الْعَيْشِ فِي ظِلِّ وَالِدٍ
فَهُنَّ كَعُنُقُودِ الثَّرِيَّا تَأَلَّقَتْ
تُمَثِّلُهَا الذُّكْرَى لِعَيْنِي كَأَنِّي
فَطَوْرًا أَحَالَ الظَّنَّ حَقًّا وَتَارَةً
فِيَا بُعْدَ مَا بَيْنِي وَبَيْنَ أُحْبَيْتِي !
وَلَوْلَا أَمَانِي النَّفْسِ وَهِيَ حَيَاتُهَا
فَإِنْ تَكُنِ الْأَيَّامُ فَرَّقَنَ بَيْنَنَا
هِيَ الدَّارُ مَا الْأَنْفَاسُ إِلَّا نَهَائِبُ
إِذَا أَحْسَنْتَ يَوْمًا أَسَاءَتْ ضُحَى غَدٍ
تَرُبُّ الْفَتَى حَتَّى إِذَا تَمَّ أَمْرُهُ
رَجِيمٍ وَيَبْتَ شَيْدَتُهُ الْعَنَاصِرُ^(١٠)
كَوَاكِبُهُ فِي الْأَفْقِ فَهِيَ سَوَافِرُ^(١١)
إِلَيْهَا عَلَى بُعْدٍ مِنَ الْأَرْضِ نَاطِرُ^(١٢)
أَهِيمُ فَتَغْشَى مُقْلَتِي السَّمَادِرُ^(١٣)
وَيَا قُرْبَ مَا التَّفَّتْ عَلَيْهِ الضَّمَائِرُ !^(١٤)
لَمَّا طَارَ لِي فَوْقَ الْبَسِيطَةِ طَانِرُ
فَكُلُّ أَمْرِيءٍ يَوْمًا إِلَى اللَّهِ صَائِرُ
لَدَيْهَا وَمَا الْأَجْسَامُ إِلَّا عَقَائِرُ^(١٥)
فَإِحْسَانُهَا سَيْفٌ عَلَى النَّاسِ جَائِرُ
دَهْتُهُ كَمَا رَبَّ الْبَهِيمَةَ جَازِرُ^(١٦)

(١٠) خَفَضَ الْعَيْشِ: اتساع المعيشة، وهناءة الحياة، وبُسرُها، ورفاهتها. والعناصر: المناقب، والمفاخر، والأحساب، والأصول الكريمة.

(١١) العنقود من العنب ونحوه: ما تعقد وتراكم من ثمره في أصل واحد. والثريا: مجموعة نجوم، كثيرة العدد، صغيرة المنظر، والعرب تشبه الثريا بعنقود العنب ونحوه.

(١٢) تمثّلها الذكرى: أي تمثّل الذكرى لي «سميرة»، أي تصوّرها لي، أي تعرّض عليّ مثالها وصورتها واضحة مجلوة. والذكرى: كثرة الذكر، اسم من ذكر الشيء، أي حفظه في ذهنه. ومثلها التذكر والتذكّار.

(١٣) الطور، والتارة: المرة والحين والمدة. وتغشى مقلتي: أي تغطي عيني، أو تخالطهما. والسُمادر: جمع سمدر، وهو غشاوة العين، وضعف البصر.

(١٤) يراد بالضمائر: القلوب. ويراد بما التفت عليه الضمائر: ما تضره قلوب المتحابين من الود والشوق ونحوهما.

(١٥) يريد بالدار: الحياة الدنيا. ونهائِب: مغنم، واحداً نهيبة. وعقائر: مذبوحة. ونهب أنفاس المتنفسين، وعقر أجسامهم: إهلاكهم وإبادتهم.

(١٦) تَرُبُّ الْفَتَى: تُربّي الإنسان، أي تُمدّه بالغذاء، وأسباب النمو والحياة. وتمّ أمره: أي تمّت قصته، ودوره في الحياة الدنيا. ودهته: أصابته بدهاية، وهي النازلة والكارثة والمصيبة. وربّ الجازر البهيمه: ربّأها، وغدّأها، وسَمَّنَها، وأعدّها للذبح. وجَزَرها: نَحَرها، أي ذَبَحها.

لَهَا تَرَةٌ فِي كُلِّ حَيٍّ وَمَالَهَا
كَثِيرَةٌ أَلْوَانِ الْوِدَادِ مَلِيَّةٌ
فَمَنْ نَظَرَ الدُّنْيَا بِحِكْمَةٍ نَاقِدٍ
صَبَرْتُ عَلَى كُرِّهِ لِمَا قَدْ أَصَابَنِي
وَمَا الْجَلْمُ عِنْدَ الْخَطْبِ وَالْمَرْءُ عَاجِزٌ
وَلَكِنْ إِذَا قَلَّ النَّصِيرُ وَأَعْوَزَتْ
فَلَا يَشْمَتِ الْأَعْدَاءُ بِسِيِّ فُلْرُبَّمَا
فَقَدْ يَسْتَقِيمُ الْأَمْرُ بَعْدَ اعْوِجَاجِهِ
وَلِي أَمَلٌ فِي اللَّهِ تَحْيَا بِهِ الْمُنَى
وَطَيْدٌ يَزُلُّ الْكَيْدُ عَنْهُ وَتَنْقِضِي

عَلَى طُولِ مَا تَجْنِي عَلَى الْخَلْقِ وَاتِرٌ^(١٧)
بِأَنْ يَتَوَقَّأَهَا الْقَرِينُ الْمُعَاشِرُ^(١٨)
دَرَى أَنَّهَا بَيْنَ الْأَنَامِ تُقَامِرُ^(١٩)
وَمَنْ لَمْ يَجِدْ مَنْدُوحَةً فَهُوَ صَابِرٌ^(٢٠)
بِمُسْتَحْسَنِ كَالْجَلْمِ وَالْمَرْءُ قَادِرٌ
دَوَاعِي الْمُنَى فَالْصَبْرُ فِيهِ الْمَعَاذِرُ^(٢١)
وَصَلْتُ لِمَا أَرْجُوهُ مِمَّا أَحَازِرُ^(٢٢)
وَتَنْهَضُ بِالْمَرْءِ الْجُدُودُ الْعَوَائِرُ^(٢٣)
وَيُشْرِقُ وَجْهُ الظَّنِّ وَالْخَطْبُ كَاشِرٌ^(٢٤)
مُجَاهِدَةٌ الْأَيَّامِ وَهُوَ مُثَابِرٌ^(٢٥)

- (١٧) التَّرَةٌ: الذُّخْل، والثَّار، وهي أيضاً: مصدر وَتَرَه، أي أفرعه، وأصابه بمكروه.
- (١٨) أَلْوَانُهُ: ضُرُوبُهُ، وَأَنْوَاعُهُ، وَصُورُهُ وَوَسَائِلُهُ. وَمَلِيَّةٌ: جَدِيدَةٌ، وَخَلِيقَةٌ. وَالْقَرِينُ: الصَّاحِبُ، وَمِثْلُهُ الْمُعَاشِرُ: وَهُوَ الْمُخَالَطُ، وَالصَّاحِبُ.
- (١٩) الْأَنَامُ: الْخَلْقُ، وَالنَّاسُ. وَتُقَامِرُ: تَخَادَعُ وَتَخَاتَلُ.
- (٢٠) الْكُرَّةُ: الْمَشَقَّةُ، وَالْكَرَاهِيَةُ. وَالْمَنْدُوحَةُ: الْفُسْحَةُ، وَالسَّعَةُ. وَلِئِنْ كَانَ هَذَا الْأَمْرُ مَنْدُوحَةً: أَي سَعَةٌ، وَفُسْحَةٌ، أَي يُمْكِنُكَ تَرْكُهُ، وَالْمِيلُ عَنْهُ.
- (٢١) الْمَعَاذِرُ: جَمْعُ الْمَعْدِرَةِ، وَهِيَ الْعَذْرُ، مَصْدَرُ عَذَرَهُ، أَي رَفَعَ عَنْهُ اللَّوْمَ وَبَرَّاهُ مِنَ الذَّنْبِ، أَوْ قَبْلَ عَذْرِهِ. وَفِي صَبْرِهِ عَذْرُهُ: أَي فِي صَبْرِهِ الْإِضْطِرَّارِيُّ مَا يَمْهَدُ لَهُ الْعَذْرُ، وَيُرْفَعُ عَنْهُ اللَّوْمُ وَيَبْرِّتُهُ مِنَ التَّبَعَاتِ.
- (٢٢) شَمَتَ الْمَرْءُ بَعْدُوهُ: فَرَحَ بِبِلِيَّتِهِ، وَسَرَّهُ مَا أَصَابَهُ مِنَ الْمَكَارِهِ.
- (٢٣) نَهَضَ بِهِ جَدَّهُ الْعَائِرُ: أَي كَانَ سَبَبَ اجْتِمَاعِ قُوَّتِهِ، وَنَهَضَهُ مِنْ عَثْرَتِهِ.
- (٢٤) كَاشِرٌ: اسْمُ فَاعِلٍ مِنْ كَشَرَ الْأَسَدُ وَنَحْوَهُ عَنْ أَنْيَابِهِ، إِذَا غَضِبَ، وَتَأَهَّبَ لِلْفَتْكِ بِفَرِيستِهِ. وَكَشَرَ الْعَدُوَّ عَنْ أَنْيَابِهِ: تَنَمَّرَ، وَأَوْعَدَ، كَأَنَّهُ سَبَحَ. وَيُرَادُ بِالْخَطْبِ الْكَاشِرُ: الشَّدِيدُ الْفَادِحُ.
- (٢٥) مُجَاهِدَةُ الْأَيَّامِ هُنَا: عِدَاوَتُهَا لِلشَّاعِرِ، وَمَا تَحْمَلُهُ لَهُ، وَتَعْلَنُهُ وَتُخْفِيهِ مِنَ الْخِصْمَةِ.

إِذَا الْمَرْءُ لَمْ يَرْكُنْ إِلَى اللَّهِ فِي الَّذِي
 وَإِنْ هُوَ لَمْ يَضِيرْ عَلَى مَا أَصَابَهُ
 وَمَنْ لَمْ يَذُقْ حُلُوَ الزَّمَانِ وَمُرَّهُ
 وَلَوْ لَا تَكَالِيفُ السِّيَادَةِ لَمْ يَحْبُ
 تَقِيلُ دَوَاعِي النَّفْسِ وَهِيَ ضَعِيفَةٌ
 وَكَيْفَ يَبِينُ الْفَضْلُ وَالنَّقْصُ فِي الْوَرَى
 وَمَا حَمَلَ السَّيْفَ الْكَمِيَّ لِزِينَةٍ
 إِذَا لَمْ يَكُنْ إِلَّا الْمَعِيشَةَ مَطْلَبُ
 فَلَوْلَا الْعُلَا مَا أُرْسِلَ السَّهْمَ نَازِعُ
 مِنَ الْعَارِ أَنْ يَرْضَى الدَّنِيَّةَ مَا جَدُ
 إِذَا كُنْتَ تَخْشَى كُلَّ شَيْءٍ مِنَ الرَّدَى
 فَمِنْ صِحَّةِ الْإِنْسَانِ مَا فِيهِ سَقْمُهُ

(٢٦) رَكَنَ إِلَيْهِ رُكُونًا: مَالَ إِلَيْهِ، وَاعْتَمَدَ عَلَيْهِ، وَوَتَّقَ بِهِ، وَأَطْمَأَنَّ.

(٢٧) مَعْرُضُ الْحَقِّ: مَقْدَمُهُ، وَمَجَالُهُ.

(٢٨) اللَّبُّ: الْعَقْلُ. وَطَاشَ عَقْلُهُ: خَفَّ، وَتَشَتَّتَ، وَاضْطَرَبَ. وَنَافَرَ: جَزَعَ، شَارَدَ، مَعْرُضٌ، مَتَبَاعِدٌ.

(٢٩) دَوَاعِي النَّفْسِ: مَطَالِبُهَا، وَحَاجَاتُهَا وَمَطَامِحُهَا. وَالْهَمُومُ: الْعِزَائِمُ.

(٣٠) الْوَرَى: الْخَلْقُ، وَالنَّاسُ. وَسَوْمٌ: مَصْدَرُ سَامَ الْمُشْتَرِي السَّلْعَةَ، أَيْ طَلَبَ شِرَاءَهَا. وَالْمَآثِرُ: الْمَكْرَمَاتُ، وَالْمَفَاخِرُ، وَاحْدَتُهَا مَآثِرَةٌ.

(٣١) الْكَمِيُّ: الْمُدَجِّجُ، أَيْ لَابَسَ السَّلَاحَ، أَوْ الشَّجَاعَ الْمَقْدَامَ.

(٣٢) نَازِعٌ: رَامَ بِالسَّهْمِ، اسْمُ فَاعِلٍ مِنْ قَوْلِهِمْ: نَزَعَ الرَّامِي، أَوْ الصَّائِدَ، أَوْ الْمُحَارِبَ، أَوْ نَحْوَهُ فِي قَوْسِهِ، أَيْ مَدَّهَا، لِيُطْلَقَ مِنْهَا السَّهْمُ. وَالْيِمَانِيُّ: نِسْبَةٌ - عَلَى غَيْرِ قِيَاسٍ - إِلَى الْيَمَنِ. وَقَدْ اشْتَهَرَ بِلَادِ الْيَمَنِ قَدِيمًا بِصِنَاعَةِ السُّيُوفِ وَتِجَارَتِهَا.

(٣٣) الدَّنِيَّةُ: النَّقِيسَةُ وَالْعَارُ. وَصَاغِرٌ: ذَلِيلٌ، رَاضٍ بِالْهَوَانِ، مُقِيمٌ عَلَى الضَّمِيمِ.

عَلِيَّ طَلَابُ الْعِزِّ مِنْ مُسْتَقَرِّهِ وَلَا ذَنْبَ لِي إِنْ عَارَضْتَنِي الْمَقَادِرُ^(٣٤)
فَمَا كُلُّ مَحْلُولِ الْعَرِيكَةِ خَائِبٌ وَلَا كُلُّ مَحْبُوكِ التَّرِيكَةِ ظَافِرُ^(٣٥)
فَمَاذَا عَسَى الْأَعْدَاءُ أَنْ يَتَقَوْلُوا عَلِيَّ وَعِرْضِي نَاصِحُ الْجَيْبِ وَافِرُ؟
فَلِي فِي مَرَادِ الْفُضْلِ خَيْرٌ مَغْبَةٌ إِذَا شَانَ حَيًّا بِالْخِيَانَةِ ذَاكِرُ^(٣٦)
مَلَكْتُ عُقَابَ الْمُلْكِ وَهِيَ كَسِيرَةٌ وَغَادَرْتُهَا فِي وَكْرِهَا وَهِيَ طَائِرُ^(٣٧)
وَلَوْرُمْتُ مَا رَامَ امْرُؤٌ بِخِيَانَةٍ لَصَبَّحَنِي قِسْطٌ مِنَ الْمَالِ غَامِرُ
وَلَكِنْ أَبَتْ نَفْسِي الْكَرِيمَةَ سَوَاءً تَعَابُ بِهَا وَالِدَهُرُ فِيهِ الْمَعَايِرُ^(٣٨)
فَلَا تَحْسَبَنَّ الْمَالَ يَنْفَعُ رَبَّهُ إِذَا هُوَ لَمْ تَحْمَدْ قِرَاهُ الْعَشَائِرُ^(٣٩)
فَقَدْ يَسْتَجِمُّ الْمَالَ وَالْمَجْدُ غَائِبٌ وَقَدْ لَا يَكُونُ الْمَالُ وَالْمَجْدُ حَاضِرُ^(٤٠)

(٣٤) الطَّالِبُ: الطَّلَب. ومن مستقره: أي من مكان وجوده، وموطنه، ومحل استقراره. والمقادير: جمع مقدار، وهو قدر الله تعالى، وقضاؤه وحكمه. ويراد بالمقادير هنا: الموانع القهرية.

(٣٥) العريكة: الطبيعة والنفس، ورجل محلول العريكة: أي ضعيف خائر. والتريكة: بيضة الحديد للرأس، ومثلها الخوذة، والمغفر، وحبك التريكة: كناية عن القوة والشجاعة وشدة البأس وكمال الأهبة وتمام الاستعداد.

(٣٦) مراد الفضل: مجاله. ومغبة الشيء: عاقبته، وآخره. ويريد بالحي: من يعرض بهم ممن نقضوا العهد، وخانوا الأمانة، وذكرهم الذاكرون بما يشينهم من المثالب والعيوب، وخيانة ثورتهم العرابية الوطنية.

(٣٧) العقاب: طائر من كواسر الطير وجوارحه، ويريد بعقاب الملك: ما تولاه في حياته بمصر من مناصب الحكم، ومراتب القيادة، ووزارة الأوقاف، وغيرها، ثم رئاسة الوزارة إبان الثورة العرابية. وكسيرة: مكسورة، والمراد معتلة، مختلة، فاسدة.

(٣٨) السوأة: المثلبة، والعيب، والنقيصة. والمعايير: المعايير، والمثالب.

(٣٩) الرب: الصاحب والمالك. والقرى: ما يقدم إلى الضيف من طعام وشراب، ويراد به هنا: وجوه الإنفاق في الخير والمحامد والمبررات والمكررات. والعشائر: جمع العشيرة، وهي القبيلة، ويراد بالعشائر هنا: الناس.

(٤٠) يستجم: يجتمع، ويكثر.

وَلَوْ أَنَّ أَسْبَابَ السِّيَادَةِ بِالْغِنَى لَكَاتَرَ رَبُّ الْفَضْلِ بِالْمَالِ تَاجِرٌ^(٤١)
 فَلَا غَرَوَ أَنْ حُزْتُ الْمَكَارِمَ عَارِيًا فَقَدْ يَشْهَدُ السَّيْفُ الْوَعَى وَهُوَ حَاسِرٌ^(٤٢)
 أَنَا الْمَرْءُ لَا يَثْنِيهِ عَنْ دَرِكِ الْعُلَا نَعِيمٌ وَلَا تَعْدُو عَلَيْهِ الْمَفَاقِرُ^(٤٣)
 قَوْلٌ وَأَحْلَامُ الرَّجَالِ عَوَازِبُ صَوْلٌ وَأَفَوَاهُ الْمَنَائِبِ فَوَاغِرٌ^(٤٤)
 فَلَا أَنَا إِنْ أَدْنَانِي الْوَجْدُ بِاسِمٍ وَلَا أَنَا إِنْ أَقْصَانِي الْعُدْمُ بِاسِرٍ^(٤٥)
 فَمَا الْفَقْرُ إِنْ لَمْ يَدْنَسِ الْعِرْضُ فَاصِحٌ وَلَا الْمَالُ إِنْ لَمْ يَشْرَفِ الْمَرْءُ سَاتِرٌ^(٤٦)
 إِذَا مَا ذُبَابُ السَّيْفِ لَمْ يَكُ مَاضِيًا فَجِلَّتِيهِ وَصَمَّ لَدَى الْحَرْبِ ظَاهِرٌ^(٤٧)
 فَإِنْ كُنْتُ قَدْ أَصْبَحْتُ فَلْ رَزِيَّةٍ تَقَاسَمَهَا فِي الْأَهْلِ بَادٍ وَحَاضِرٌ^(٤٨)

(٤١) كاتره بماله: فاخره بكثرة ماله.

(٤٢) لا غرو: أي لا عجب. وعارياً: المراد بلا مال. والوعى: الحرب، لما فيها من الأصوات العالية المختلطة. وحاسر: مكشوف، مصلت مجرد من غمده.

(٤٣) الدرك: اسم مصدر بمعنى الإدراك واللاحاق. أدرك الشيء إدراكاً: لحقه، وبلغه، وناله، وحازه. وتعدو عليه: تظلمه، وتنال منه، والمراد تضعف همته، وتوهن عزيمته. والمفاقر: وجوه الفقر، وأنواعه، وأحواله.

(٤٤) قَوْلٌ: لسن فصيح. وعوازب: غائبة، ذاهبة. وكنى بعزوب الأحلام عن اشتداد الخطب، واستبهام الأمور وتعقدتها. وصَوْلٌ: فاتك، شجاع، مقدم.

(٤٥) الوجد: الغنى، واليسر، والثروة، وكثرة المال. العدم: الفقر، والبؤس، والإقلال، والعسر. وباسر: كالح الوجه، عابس، مُبْتَسِس.

(٤٦) دنس الثوب ونحوه: توسخ. والعرض: النفس، أو جانب الرجل الذي يصونه من نفسه وحسبه أن ينتقص ويثلب، أو هو موضع المدح والذم من الإنسان، أو هو ما يفتخر به المرء من حسب وشرف وخلاتق محمودة.

(٤٧) ذباب السيف: حده. وماض: حاد، قاطع. وحلية السيف: زينته. ووصم: عيب وعار.

(٤٨) الفل: المنهزم، وأصله الكسر في حدّ السيف ونحوه. والرزية: المصيبة، ومثلها الرزية. ويشار بالرزية هنا إلى إخفاق الثورة العرابية، وكان الشاعر من قادتها والضارين في غمرتها، فلما أخفقت صار من فلولها، أي المنهزمين فيها.

فَكَمْ بَطَلٍ فَلَّ الزَّمَانَ شَبَاتَهُ
وَأَيُّ حُسَامٍ لَمْ تُصِبْهُ كَلَالَةٌ؟
فَسَوْفَ يَبِينُ الْحَقُّ يَوْمًا لِنَاظِرٍ
وَمَا هِيَ إِلَّا غَمْرَةٌ ثُمَّ تَنْجَلِي
فَقَدْ حَاطَنِي فِي ظُلْمَةِ الْحَبْسِ بَعْدَمَا
فَمَهْلًا بَنِي الدُّنْيَا عَلَيْنَا فَإِنَّا
تَطُولُ بِهَا الْأَنْفَاسُ بُهْرًا وَتَلْتَوِي
هُنَالِكَ يَعْלוُ الْحَقُّ وَالْحَقُّ وَاضِحٌ
وَعَمَّا قَلِيلٍ يَنْتَهِي الْأَمْرُ كُلُّهُ

وَكَمْ سَيِّدٍ دَارَتْ عَلَيْهِ الدُّوَائِرُ^(٤٩)
وَأَيُّ جَوَادٍ لَمْ تَخْنَهُ الْحَوَافِرُ؟^(٥٠)
وَتَنْزَوُ بِعَوْرَاءِ الْحُقُودِ السَّرَائِرُ^(٥١)
غَيَابَتُهَا وَاللَّهُ مَنْ شَاءَ نَاصِرُ^(٥٢)
تَرَامَتْ بِأَفْلَاحِ الْقُلُوبِ الْحَنَاجِرُ^(٥٣)
إِلَى غَايَةِ تَنْفَتْ فِيهَا الْمَرَائِرُ^(٥٤)
عَلَى فَلَكَةِ السَّاقِينِ فِيهَا الْمَازِرُ^(٥٥)
وَيَسْفُلُ كَعْبُ الزُّورِ وَالزُّورُ عَائِرُ^(٥٦)
فَمَا أَوَّلُ إِلَّا وَيَتْلُوهُ آخِرُ^(٥٧)

(٤٩) قلته: ثلمه وكسره. وشبابة كل شيء: حده القاطع. والدوائر: النوازل، والخطوب، والنواب. والنواب.
(٥٠) الحسام: السيف القاطع. والكلالة: التلثم، والتكسر. وخيانة الحوافر: كناية عن الكبوة والسقوط.

(٥١) تنزو من: تثب، ونزا به الشر: ثار، وتحرك. وتنزو السرائر بعوراء الحقود: أي ترمي بها، وتقذف. والعوراء: مؤنث الأعور، وهو الرديء من كل شيء. وعوراء الحقود: أي الحقود القبيحة السيئة الممقوتة.

(٥٢) الغمرة: الشدة والمكرهة. وغيابة كل شيء: قعره، وما سترك منه. ويراد بغيابة الغمرة: ظلمتها وقسوتها وعمقها، وما فدحه، وثقل عليه من ويلاتها.

(٥٣) حاطني: حفظني، ورعاني. والشاعر يشير بظلمة الحبس إلى ما كان من القبض عليه، وعلى أمثاله، والزج بهم في ظلمات السجون، تمهيداً لمحاكمتهم بعد إخفاق الثورة العراقية.

(٥٤) يريد ببني الدنيا: الظالمين الذين غرتهم الحياة الدنيا، وغرهم بالله الغرور. ويريد بالغاية: يوم القيامة، أو يوم الدين. والمرائر: جمع المرارة، وهي هنة لازقة بالكبد. وانفتات المرائر: كناية عن أهوال ذلك اليوم وشدائده.

(٥٥) البهر: تتابع النفس من الإعياء. وبهره: أجهده حتى أعيا، وتتابع نفسه. وفلكة كل شيء: مستداره، ومعظمه.

(٥٦) الزور الباطل، وسفول كعب الزور: كناية عن حيوته وبطلانه.

(٥٧) الأمر: الشأن والحال والقصة. ويريد به أمر هؤلاء الظالمين المبطلين المفسدين في مصر، أي: وعمًا قليل ينتهي حكمهم، واستبدادهم، وتسلبهم بانتهاج حياتهم، أو بسقوط دولتهم.

وَقَالَ فِي الْغَزْلِ :

أَرْبَةُ الْعُودِ أَمْ قُمْرِيَّةُ السَّحْرِ
 حَوْرَاءُ لِلسَّحْرِ فِي الْحَاطِظِهَا أَثْرُ
 لَوْلَمْ تَكُنْ قَمْرًا فِي الْحُسْنِ مَا ظَهَرَتْ
 أَمَلْتُ عَلَيَّ بِلِحْظِهَا حَدِيثَ هَوَى
 كَأَنَّمَا بَيْنَ جَفْنَيْهَا إِذَا نَظَرْتُ
 لَا غَرَوُ أَنْ هَمْتُ مِنْ وَجْدٍ بِصُورَتِهَا
 لَا تَقْنَعُ الْعَيْنُ مِنْهَا كُلَّمَا نَظَرْتُ
 نَاغِيَتُهَا بِلِسَانِ الشُّوقِ فَازْدَهَرَتْ
 وَأَزُورُ حَاجِبُهَا عَنِ نَظَرَةِ رَشَقَتْ
 فَلَمْ أَزَلْ بِرُقَى الْأَشْعَارِ أَعْطَفُهَا
 حَتَّى إِذَا عَلِمْتُ أَنِّي بِهَا كَلِفْتُ

عَنْتَ فَحَرَكْتَ الْأَشْجَانَ بِالْوَتْرِ؟ (١)
 يُرِيكَ أَنَّ الرُّقَى ضَرَبُ مِنَ الْهَذْرِ (٢)
 لِأَعْيُنِ النَّاسِ فِي لَيْلٍ مِنَ الشَّعْرِ
 عَرَفْتُ مِنْهُ ضَمِيرَ الْعَيْنِ بِالْأَثْرِ
 « هَارُوتُ » يَعْبَثُ بِالْأَبَابِ وَالْفِكْرِ (٣)
 فَالْحُسْنُ مَشْغَلَةٌ لِلْعَقْلِ وَالْبَصْرِ (٤)
 وَكَيْفَ يَقْتَنِعُ الْمُشْتَاقُ بِالنَّظْرِ؟
 لِلْحُسْنِ فِي وَجْتِهَا وَرَدَّتَا خَفِرَ (٥)
 سَوَادَ قَلْبِي بِسَهْمٍ صَيْغَ مِنْ حَوْرٍ (٦)
 وَرُقِيَّةُ الشَّعْرِ تُجْرِي الْمَاءَ فِي الْحَجْرِ
 وَأَنْبِي مِنْ تَجْنِيَّهَا عَلَى خَطَرٍ (٧)

(١) العود: من آلات الغناء والطرب. والقمرية: ضرب من الحمام. والسحر: الوقت قبيل الصبح.

والأشجان: جمع شجن، وهو الحزن والهم وهوى النفس.

(٢) حوراء: صفة من الحور وهو شدة بياض العين، في شدة سوادها، مع استدارة الحدقة ورقة الجفون وبياض ما حوالها.

(٣) «هاروت»: اسم ساحر أو ملك كان يعلم الناس السحر بمدينة «بابل» وقد وردت قصته في القرآن الكريم.

(٤) لا غرو: لا عجب.

(٥) ناغيته: حادتها وغازلتها. وازدهرت: تلالأت وأشرقت. والخفر: شدة الحياء.

(٦) ازور: مال وتحرك.

(٧) كلف: محب لهج مغرم مولع. وتجنى فلان على غيره تجنياً: ادعى عليه ذنباً لم يفعله. والخطر: الإشراف على الهلاك.

تَبَسَّمَتْ فَجَلَّتْ لِلْعَيْنِ مِنْ فَمِهَا
فَبِتُّ مِنْ وَصْلِهَا فِي جَنَّةٍ يَنْعَتُ
أَبْحْتُ لِلْعَيْنِ فِيهَا مَا تَقْرُبُهُ
حَتَّى اشْرَأَبْتُ عُقَابُ الْفَجْرِ وَأَنْطَلَقْتُ
فَيَا لَهَا لَيْلَةٌ كَانَتْ بِرَوْنَقِهَا
وَسَمْتُهَا بِضِيَاءِ الْكَأْسِ فَالْتَمَعْتُ
لَوْ كَانَ يَسْمَحُ لِي دَهْرِي بِعَوْدَتِهَا
وَلْتِ فَلَمْ يَبْقُ مِنْهَا غَيْرُ فَذَلِكَ
وَأَيُّ بَاقٍ عَلَى الْأَيَّامِ نَطْلُبُهُ
فَلَا تَثِقْ بِوَفَاءِ الدَّهْرِ إِنَّ لَهُ
يَأْقُوتَةً أُوْدِعَتْ سَطْرَيْنِ مِنْ دُرِّ (٨)
أَفْنَانُهَا بِثَمَارِ الْأَنْسِ وَالْحَبْرِ (٩)
وَذُدَّتْ كَفَّ الصَّبَا عَنْ مَعْقِدِ الْأُزْرِ (١٠)
حَمَائِمُ الشُّهْبِ مِنْ أُحْبُولَةِ السَّحْرِ (١١)
تَارِيخَ لَهْوٍ لَمَّا أَحْرَزْتُ مِنْ وَطْرِ (١٢)
وَزِينَةَ الدُّهْمِ فِي الْأَوْضَاحِ وَالْغُرْرِ (١٣)
لَبِعْتُ فِيهَا لَذِيذَ النَّوْمِ بِالسَّهْرِ
تَلُوحُ فِي دَفْتَرِ الْأَوْهَامِ وَالذُّكْرِ (١٤)
وَكُلُّ وَارِدَةٍ يَوْمًا إِلَى صَدْرِ (١٥)
غَدْرًا يُفَرِّقُ بَيْنَ الْعُودِ وَالشَّمْرِ

- (٨) الياقوتة: واحدة الياقوت، وهو جوهر معروف، وأجوده الأحمر الرماني، وقد شبه الشاعر بها شفتي محبوبته. والدرر: اللآليء، تشبه بها الأسنان في الصفاء والنقاء والبياض.
- (٩) ينع الثمر: أدرك ونضج وحن قطافه. والأفنان: الأغصان. والحبر: السرور.
- (١٠) ذدت: كفت ومنعت ودفعت. والصبأ: جهلة الفتوة واللهم من الغزل، كالصبوة والتصابي. ومعقد: اسم مكان من عقد الإنسان الإزار وغيره أي شدّه وربطه. والأزر: جمع إزار، وهو ما يشدّه الإنسان على وسطه ليستر به أسفل جسمه.
- (١١) اشْرَأَبْتُ: مدّت عنقها ورفعت رأسها. والعقَاب: طائر من جوارح الطير. والشهب: النجوم. والأحْبُولَةُ: المصيدة. والسحر: الوقت قبيل الصبح.
- (١٢) الوَطْرُ: البغية والحاجة.
- (١٣) وسمتها: أعلمتها وزينتها، أي الليلة. ويريد بضياء الكأس: صفاء الخمر في كؤوسها. والدُّهْمُ: الخيل السود، واحدها أدهم أو دهماء. والأَوْضَاحُ: جمع وضح وهو التحجيل، أي البياض في قوائم الفرس. والغرر: جمع غرة، وهي بياض مستحسن في جبهة الفرس.
- (١٤) يريد بالفذلكة: البقية والنهاية.
- (١٥) واردة: اسم فاعل من ورد البعير وغيره الماء، أي بلغه ووافاه. والصدر: الرجوع.

وَلَا تَغُرَّنَكَ مِنْ وَجْهِ بِشَاشَتِهِ
 قَدْ كِدْتُ أَنَّهُمْ ظَنُّي فِي فِرَاسَتِهِ
 فَخُذْ لِنَفْسِكَ مِنْ دُنْيَاكَ مَا سَمَحَتْ
 وَسَالِمِ الدَّهْرِ تَسْلَمَ مِنْ غَوَائِلِهِ
 لَا يَبْلُغُ الْمَرْءُ مَا يَهْوَاهُ مِنْ أَرْبٍ
 فَانْعَمَ وَطَبَّ وَالْهَ وَاطْرَبَ وَاسْعَ وَاعْلُ وَسُدَّ
 لَا يَقْنَطُ الْمَرْءُ مِنْ غُفْرَانٍ خَالِقِهِ
 وَقَالَ :

لَا شَيْءَ فِي الدَّهْرِ يُغْنِي عَنْ أُخِي ثِقَةٍ
 يَكُونُ فِيهِ بَلَغُ السَّمْعِ وَالْبَصْرِ^(١)
 قَضَيْتُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ رُمْتَهُ وَطَرًّا
 إِلَّا مُحَادَّةَ الْإِخْوَانِ فِي السَّمْرِ^(٢)
 وَقَالَ * :

(١٦) نضر: نضير غض حسن أخضر.

(١٧) الفراسة: اسم من التفرس، وهو التثبت، وصدق النظر.

(١٨) الغوائل: الدواهي والمصائب، واحدها غائلة.

(١٩) الأرب: الحاجة.

(٢٠) يقنط: يئس وينقطع رجاؤه.

(١) البلاغ: الكفاية.

(٢) الوطر: الحاجة. والسمر: مجلس السمار، وهم القوم يسمرون، أي يتحادثون ليلاً.

(★) في التاسع من رجب سنة ١٢٩٩ هـ (السادس والعشرين من مايو سنة ١٨٨٢ م) استقال

البارودي من رئاسة الوزارة في ظروف سياسية سيئة تنذر بالخطر، ويكيد فيها الكائدون للوطن

ورجاله، وقصد إلى مزرعته بقرقيرة من قرى الدقهلية، ينشد في أحضان الطبيعة شيئاً من

الطمأنينة ورخاء البال، ويؤثر اجتناب السياسة وأخطارها، ويعرض بالحاقدين ذوي القلوب

الوغرة، ويشير إلى غدر الدنيا بأهلها ونهاية اللاهين بها، ويسأل الله الكرامة والسلامة. ويبدو

أنه نظم هذه القصيدة وهو في ضيعته بقرقيرة على أثر استقالته.

صُبْحُ مَطِيرٌ وَنَسْمَةٌ عَطْرَةٌ
فَدْرُ بَعِينِكَ حَيْثُ شِثَتْ تَجْدُ
سَمَاوَهَا بِالْغُصُونِ وَاشِجَّةٌ
مَنْظَرٌ لَهَا يُؤْتَعِيدُ بَهْجَتَهُ
فَالْعُفْرُ تَحْتَ الظَّلَالِ رَاتِعَةٌ
وَالطَّلُ يَنْهَلُ مِنْ مَسَاقِطِهِ
جَدَاوِلٌ فِي الْفَضَاءِ جَارِيَةٌ
دُنْيَا نَعِيمٍ تَكَادُ زَهْرَتُهَا
لَا ظِلُّهَا رَاكِدُ النَّسِيمِ وَلَا
فَيَابِنَ وَدِّي هَلُمَّ نَقْتَسِمِ الْ
وَخَلْنَا مِنْ سِيَاسَةٍ دَرَجَتْ

وَأَنْفُسٌ لِلصُّبُوحِ مُنْتَظِرَةٌ^(١)
مُلْكًا كَبِيرًا وَجَنَّةً خَضِرَةً
وَأَرْضُهَا بِالنَّبَاتِ مُؤْتَزِرَةٌ^(٢)
أَكِنَّةَ الْعَيْشِ وَهِيَ مُنْحَسِرَةٌ^(٣)
وَالطَّيْرُ فَوْقَ الْغُصُونِ مُتَشِيرَةٌ^(٤)
مِثْلَ عُقُودِ الْجَمَانِ مُنْتَثِرَةٌ^(٥)
وَمُزْنَةٌ فِي السَّمَاءِ مِنْهُمْ مَرَةٌ^(٦)
تَزْرِي عَلَى الشَّمْسِ وَهِيَ مُزْدَهْرَةٌ^(٧)
غُذْرَانُهَا بِالْغُثَاءِ مُخْتِمِرَةٌ^(٨)
لَهَا وَفَنَفْسِي إِلَى الصَّبَا حَسِرَةٌ
بَيْنَ أَنْاسٍ قُلُوبُهُمْ وَغِرَةٌ^(٩)

- (١) الصبوح: الخمر تشرب في الصباح.
- (٢) واشجة: مشبكة ملتفة. ومؤتزرة: مكتسبة.
- (٣) الأكِنَّة: جمع كنان، وهو الستر والوقاء.
- (٤) العفر: الغطاء والغزلان، جمع أعفر وعفراء، وهو الذي يعلو بياضه حمرة. وراتعة: اسم فاعل من رتعت الماشية، أي رعت وأكلت وشربت كيف شاءت في سعة ورغد.
- (٥) الطل: أخف المطر وأضعفه، أو هو الندى. والعقود: جمع عقد، وهو القلادة. والجمان: هنوات من الفضة على شكل اللؤلؤ، الواحدة جمانة.
- (٦) المزنة: السحابة.
- (٧) زهرة الدنيا: بهجتها ونضارتها وحسنها. وزرى عليه: عابه واستهزأ به وحقره.
- (٨) راكد النسيم: ساكن الريح. والمراد بالغدران هنا: الأنهار، والترع، والقنوات، والمساقبي، ومجاري المياه. والغثاء: ما يحمله السيل من رغوة وزبد وقذر، ومن فتات الأشياء التي على وجه الأرض.
- (٩) وغرة: ممتلئة غيظاً، صفة من الوغر وهو الحقد والضغن والعداوة والتوقد من الغيظ.

يَقْضُونَ أَيَّامَهُمْ عَلَى خَطَرٍ
 خَدِيعَةً لَا يَزَالُ صَاحِبُهَا
 مَالِي وَلِلنَّاسِ لَا لَدَيَّ لَهُمْ
 قَدْ التَّقِينَا مِنْ غَيْرِ سَابِقَةٍ
 نَلْهُوبِهَا حَقْبَةً وَنَتْرُكُهَا
 كُلُّ امْرِئٍ ذَاهِبٌ لِغَايَتِهِ
 يَا رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الْكِرَامَةِ مَا
 وَلَا تَكِلْنِي لِمَنْ يُعَذِّبُنِي

وَقَالَ يَرِثِي حَاضِنَتَهُ :

أَمْرِيْمُ ! لَا وَاللَّهِ أَنْسَاكِ بَعْدَمَا
 فَقَدْ كُنْتِ فِينَا بَرَّةً الْقَوْلِ سَرَّةً
 فَلَقَّيْتِ مِنْ ذِي الْعَرْشِ خَيْرَ تَحِيَّةٍ
 صَحْبَتِكَ فِي خَفْضٍ مِنَ الْعَيْشِ أَنْضَرِ^(١)
 سَلِيْمَةً قَلْبٍ فِي مَغِيْبٍ وَمَحْضَرِ^(٢)
 تَوَافِيكِ فِي رَوْضٍ مِنَ الْقُدْسِ أَخْضَرِ^(٣)

وَقَالَ يَرِثِي وَلَدَهُ :

بَكَيْتُ « عَلِيًّا » إِذْ مَضَى لِسَبِيلِهِ
 بَعَيْنٍ تَكَادُ الرُّوحُ فِي دَمْعِهَا تَجْرِي^(١)

(١٠) الترة: الذحل والثار.

(١١) من غير سابقة: أي أول مرة، من غير التقاء سابق. وغدرة: صفة من الغدر، وهو ترك الوفاء، ونقض العهد.

(١٢) حقبة: زماناً. والمهاوي: جمع مهواة، وهي الحفرة، والمراد القبور.

(١٣) وجرة: خائفة مشفقة. ويريد بالكرامة: التكريم والرضا والعافية.

(١) خفض العيش: دعة المعيشة، ولين الحياة، وسعتها، ورفاهيتها.

(٢) برة: صفة من البر، وهو الصلة والخير، وسرة: سارة، تسرّ غيرها وتبره.

(٣) الروض: جمع روضة، وهي الجنة. والقدس: الطهر.

(١) «علي» أحد أولاد الشاعر من «أمنية يعقوب سامي» التي تزوجها في منفاه في أواخر سنة

وَإِنِّي لِأَذْرِي أَنْ حُزْنِي لَا يَفِي
وَكَيْفَ أَذُودُ الْقَلْبَ عَنْ حَسْرَاتِهِ
يَلُومُونَنِي إِنِّي تَجَاوَزْتُ فِي الْبُكَاءِ
إِذَا الْمَرْءُ لَمْ يَفْرَحْ وَيَحْزَنْ لِنِعْمَةٍ
وَمَا كُنْتُ لَوْلَا قِسْمَةُ اللَّهِ فِي الْوَرَى
لَقَدْ خَفَّفَ الْبَلَاؤَ وَإِنْ هِيَ أَشْرَفَتْ
وَقَالَ يَرْثِي وَلَدَهُ أَيْضاً :

لَمْ أَصْطَبِرْ بَعْدَكَ مِنْ سَلْوَةٍ
وَشَيْمَةِ الْعَاقِلِ فِي رُزْيِهِ
لَكِنْ تَصَبَّرْتُ عَلَى جَمْرٍ^(١)
أَنْ يَسْبِقَ السَّلْوَةَ بِالصَّبْرِ^(٢)

وَقَالَ فِي الصَّبْرِ :

صَبَّرْتُ وَمَا بِالصَّبْرِ عَارٌ عَلَى الْفَتَى
وَلَوْلَمْ يَكُنْ فِي الصَّبْرِ أَعْدَلُ شَاهِدٍ
إِذَا لَمْ يَكُنْ فِيهِ مَعَابٌ وَلَا نُكْرٌ^(١)
عَلَى كَرَمِ الْأَخْلَاقِ مَا حَمِدَ الصَّبْرُ

١٨٨٥ م وهو في نحو السادسة والأربعين من عمره. وهي بنت اللواء يعقوب سامي، أحد قادة الثورة العراقية، وزميل البارودي في الجهاد والمنفى. ويبدو أن هذا المرثي توفي في طفولته.

(٢) الرزء: المصيبة.

(٣) أذود: أكف وأمنع وأدفع. ويصدع: يشق ويفتت.

(٤) الوري: الخلق والناس.

(٥) البلوى: اسم من بلاه الله تعالى، أي اختبره وامتحنه. وموعد الحشر: يوم القيامة. والذي يرجوه من موعد الحشر: هو لقاء ولده.

(١) السلوة: اسم من سلا الشيء، وسلا عنه سلواً وسلواناً وسليةً، أي نسيه، وطابت نفسه بعد فراقه.

(٢) الشيمة: الخلق والطبيعة. والرزء: المصيبة.

(١) المعاب: العيب والوصمة. والنكر: المنكر والأمر القبيح.

وَقَالَ :

لَوْ كَانَ يَدْرِي الْفَتَى مَكْنُونٌ مَا خَبَّاتُ لَهُ الْمَقَادِيرُ لَمْ يَرْكُنْ إِلَى الْحَذَرِ^(١)
وَلَوْ دَرَى أَنَّ مَا يَلْقَاهُ مِنْ عَنَتٍ مِنْ خَيْبَةِ الرَّأْيِ لَمْ يَعْتَبْ عَلَى الْقَدْرِ^(٢)

وَقَالَ :

بَلَوْتُ إِخَاءَ النَّاسِ دَهْرًا فَلَمْ أَجِدْ أَخَا ثِقَةٍ يَرْعَى مَغِيْبِي كَمَحْضَرِي^(١)
فَإِنْ أَتَغَيَّرَ عَنْ وِدَادِ فَإِنِّي أَرَى كُلَّ شَيْءٍ عُرْضَةً لِلتَّغْيِيرِ

وَقَالَ لِأَحَدِ الْوَلَاةِ فِي يَوْمِ قَطْعِ سَدِّ النَّيْلِ :

أَيَا مَلِكًا هَمَّتْ كَفَّاهُ جُودًا عَلَى الثَّقَلَيْنِ مِنْ بَادٍ وَقَارِي^(١)
عَرَكَ النَّيْلُ مِنْ بَلَدٍ بَعِيدٍ فَأَلْبَسَهُ الْكِرَامَةَ فَهُوَ عَارِي^(٢)

وَقَالَ :

يُسَائِلُنِي عَمَّا كَتَمْتُ مِنَ الْهَوَى صَدِيقِي وَفِي بَعْضِ الْإِجَابَةِ مَا يُزْرِي^(١)
فَإِنْ لَمْ أَقُلْ حَقًّا كَذَبْتُ عَلَى الْهَوَى وَإِنْ قُلْتُ إِنِّي عَاشِقٌ بُحْتُ بِالسَّرِّ

وَقَالَ :

(١) المكنون: المستور الخفي .

(٢) العنت: المشقة والشدة . وخيبة الرأي : سوء النظر، وفساد التدبير .

(١) بلوت: جرّبت وخبرت .

(١) همت: سألت . والثقلان: الإنس والجن . والبادي: الذي يعيش في البادية، وهي الصحراء .

والقاري: ساكن القرية .

(٢) عراك: قصدك طالباً رفدك، وعطاءك ومعروفك . وعار: عريان، صفة من عري الإنسان من ثيابه .

(١) يزري: يحقر ويعيب، تقول: أزريت به إزاء، أي حقرته وهونتته .

يَارُبُّ بَيْضَاءَ مِنَ الْجَوَارِي جَاءَتْ بِطُفْلِ أَسْوَدٍ كَالْقَارِ^(١)
 أَخْرَجَهُ مِنْ لُجَّةِ الْأَنْوَارِ مَنْ أَخْرَجَ اللَّيْلَ مِنَ النَّهَارِ^(٢)
 سُبْحَانَهُ مِنْ فَاعِلٍ مُخْتَارِ

وَقَالَ فِي غَرَضٍ :

لَعَمْرِي لَقَدْ أَيَقَظْتُ مَنْ كَانَ رَاقِدًا وَأَنْذَرْتُ لَكِنْ لَمْ تَكُنْ تَنْفَعُ النَّذْرُ
 نَصَحْتُ فَكَذَّبْتُمْ فَلَمَّا أَتَى الرَّدَى عَمَدْتُمْ لِتَصْدِيقِي وَقَدْ قُضِيَ الْأَمْرُ^(١)
 فَلَمْ يَبْقَ فِي أَيْدِيكُمْ غَيْرُ حَسْرَةٍ وَلَمْ يَبْقَ عِنْدِي غَيْرُ مَا عَافَهُ الصَّدْرُ^(٢)
 فَجَاءَ الَّذِي كُنْتُمْ تَخَافُونَ شَرَّهُ وَزَالَ الَّذِي لَمْ يَبْقَ مِنْ بَعْدِهِ شِعْرُ*

(١) الجواري : جمع جارية، وهي الفتية من النساء. والقار: شيء أسود تطلو به الإبل والسفن يمنع الماء أن يدخل، أو هو الزيت.

(٢) اللجة: معظم الماء، على تشبيه الأنوار بالبحار.

(١) الردى: الهلاك. عافه

(٢) عافه: كرهه. ويشير بما عانه الصدر إلى ما يشعر به من الكمد والغيظ.

(★) يفهم من هذه الأبيات أن زملاء الشاعر في قيادة الثورة العرابية تغافلوا عن نذره، وآرائه، ونصائحه في السياسة والحرب، وخطط التحصين والدفاع، فلم يبق لديهم - بعد الانهزام - غير الندامة والحسرة، ولم يبق لديه غير الكمد والغيظ. ومعنى هذا أنه على أثر النكبة الكبرى التي أصابت مصر بخسران السياسة والحرب، وسيطرة الاحتلال العسكري الإنجليزي في سبتمبر سنة ١٨٨٢ م نظم الشاعر هذه الأبيات. ويمكن ربطها بخمسة أبيات نونية لم ترد في ديوانه، ولكن صديقيه الشيخين «ياقوت المرسي» و«عطية حسنين» نسبها إليه في مقدمة مرثي الشعراء التي جمعها صديقه «خليل مطران» صاحب الجوائب المصرية، ونشرها سنة ١٩٠٥. وفي هذه المقدمة، أو الترجمة التي كتبها هذان الشيخان أنه لما شبت نار الحرب بين إنجلترا ومصر في الثورة العرابية، دعا رجالها، فأجابهم على كره منه، بعد أن نصح لهم. وفي ذلك يقول:

نَصَحْتُ قَوْمِي وَقَلْتُ الْحَسْرَةُ مَفْجَعَةٌ وَرُبَّمَا تَاحَ أَمْرٌ غَيْرُ مَظْنُونِ
 فَخَالَفُونِي وَشَبُّوْهَا مُكَابِرَةٌ وَكَانَ أَوْلَى بِقَوْمِي لَوْ أَطَاعُونِي
 تَأْتِي الْأُمُورُ عَلَى مَا لَيْسَ فِي خَلْدِ وَيُخْطِئُ الظَّنُّ فِي بَعْضِ الْأَحْيَانِ

وَقَالَ :

صَبَرْتُ عَلَى رَيْبِ هَذَا الزَّمَانِ وَلَوْلَا الْمَعَاذِرُ لَمْ أَصْبِرِ^(١)
فَلَا تَحْسَبْنِي جَهَلْتُ الصَّوَابَ وَلَكِنْ هَمَمْتُ فَلَمْ أَقْدِرِ
ثَنْتُ عَزَمَتِي ثَوْرَةَ الْمُفْسِدِينَ وَعَلَّتْ يَدِي فَتْرَةَ الْعَسْكَرِ^(٢)
وَكُنَّا جَمِيعاً فَلَمَّا وَقَعْتُ صَبَرْتُ وَعَاذَرَنِي مَعْشَرِي^(٣)
وَلَوْ أَنِّي رُمْتُ إِعْنَاتَهُمْ لَقُلْتُ مَقَالَةَ مُسْتَبْصِرِ^(٤)
وَلَكِنِّي حِينَ جَدَّ الْخِصَامُ رَجَعْتُ إِلَى كَرَمِ الْعُنْصُرِ^(٥)

وَقَالَ وَهُوَ فِي السَّجْنِ :

شَفْنِي وَجَدِي وَأَبْلَانِي السَّهْرُ وَتَغَشَّتْنِي سَمَادِيرُ الْكَدْرِ^(١)
فَسَوَادُ اللَّيْلِ مَا إِنَّ يَنْقُضِي وَيَبَاضُ الصُّبْحِ مَا إِنَّ يُنْتَظَرُ

حَتَّى إِذَا لَمْ يَعُدْ فِي الْأَمْرِ مَنزَعَةٌ وَأَصْبَحَ الشَّرُّ أَمْرًا غَيْرَ مَكْنُونٍ
أَجَبْتُ إِذْ هَتَفُوا بِاسْمِي وَمِنْ شِيَمِي صِدْقُ الْوَلَاءِ وَتَحْقِيقُ الْأَطَانِينَ
فَالأبيات النونية سابقة قبيل انتقاد الثورة العراقية . والأبيات الرائية لاحقة بُعِيدَ خَمُودَهَا . وفي هذه
وهذه نُصِّحُ ، وإنذاراً ، ومخالفة ومكابرة .

(١) ريب الزمان : صروفه وحوادثه . والمعاذر : جمع معذرة ، وهي اسم بمعنى العذر ، وهو رفع اللوم .

(٢) العزيمة : الاجتهاد والجد في الأمر ، كالعزيمة . وغللت يده : ربطتها إلى عنقه بالغل ، وهو طوق من حديد يجعل في العنق . والفترة : الانكسار والضعف .

(٣) معشري : قومي ورهطي ، والمعشر : كل جماعة أمرهم واحد .

(٤) إعناتهم : إدخال العنت والمشقة والشدة عليهم . والعنت أيضاً : الفساد والإثم والهلاك .

(٥) جد الخصام : اشتد . والعنصر : الأصل والحسب .

(١) شفني : لذع قلبي ، أو هزلني وأنحلني . والوجد : الحزن والهم . وأبلاني : أخلقني وهزلني وأضعفي . وتغشطني : جاءتني وأصابني . والسمادير : جمع سمطور ، وهو غشاوة العين . والمراد بسمادير الكدر : ظلماته وهمومه .

لَا أُنِيسُ يَسْمَعُ الشُّكْوَى وَلَا
بَيْنَ حِيْطَانٍ وَبَابٍ مُّوَصَّدٍ
يَتَمَشَّى دُونَهُ حَتَّى إِذَا
كُلَّمَا دُرْتُ لِأَقْضِي حَاجَةً
أَتَقَرُّ الشَّيْءَ أَبْغِيهِ فَلَا
ظُلْمَةَ مَا إِنْ بِهَا مِنْ كَوَكِبٍ
فَاصْبِرِي يَا نَفْسُ حَتَّى تَظْفَرِي
هِيَ أَنْفَاسُ تَقْضَى وَالْفَتَى
خَبْرٌ يَأْتِي وَلَا طَيْفٌ يَمُرُّ^(٢)
كُلَّمَا حَرَّكَهُ السَّجَّانُ صَرَ^(٣)
لِحِقَّتْهُ نَبَأَةٌ مِنِّي اسْتَقَرُّ^(٤)
قَالَتِ الظُّلْمَةُ مَهْلًا لَا تَدُرُّ
أَجْدُ الشَّيْءَ وَلَا نَفْسِي تَقَرُّ^(٥)
غَيْرُ أَنْفَاسٍ تَرَامِي بِالشَّرَرِ^(٦)
إِنَّ حُسْنَ الصَّبْرِ مِفْتَاحُ الظَّفَرِ
حَيْثُمَا كَانَ أَسِيرٌ لِقَدَرِ

وَكَتَبَ إِلَى بَعْضِ أَصْحَابِهِ فِي صَدْرِ رِسَالَةٍ :

لِئِنْ فَرَّقْتَ مَا بَيْنَنَا شُقَّةَ النَّوَى
فَشَخْصُكَ فِي عَيْنِي وَذِكْرُكَ فِي فَمِي
لَعَمْرِي وَحَالَتْ دُونَنَا نَوْبُ الدَّهْرِ^(١)
وَحُبُّكَ فِي قَلْبِي وَسِرُّكَ فِي صَدْرِي

وَقَالَ فِي النَّصِيحَةِ :

مَنْ طَلَبَ العِزَّ بِلَا آلَةٍ
فَاصْبِرْ عَلَى المَكْرُوهِ تَظْفَرِ بِمَا
وَقِفْ إِذَا مَا عَرَضَتْ شُبُهَةٌ
أَدْرَكَهُ الذُّلُّ مَكَانَ الظَّفَرِ
سِئْتٌ فَقَدْ حَازَ المُنَى مَنْ صَبَرَ
فَاللُّبُّ خَيْرٌ مِنْ رُكُوبِ الغَرْرِ^(١)

(٢) الطيف: الخيال الطائف في المنام .

(٣) موصد: مغلق . وصر: صوت، واسم ذلك الصوت الصرير .

(٤) دونه: على مقربة منه . والنبأ: الصوت الخفي . واستقر: ثبت ووقف .

(٥) أتقرى الشيء: أتبعه . والمراد أتلمسه بيدي في هذه الظلمة الحالكة .

(٦) يريد بالظلمة: ظلمة السجن .

(١) شقة النوى: بعد الدار . ونوب الدهر: نوازله وحوادثه وصروفه .

(١) الشبهة: الالتباس . والغرر: الخطر والتهلكة .

وَلَا تَقُولَنَّ لِشَيْءٍ مَضَى
وَلَا تُعَامِلْ صَاحِبًا بِآلَتِي
وَعُضٌّ مِنْ طَرْفِكَ إِنْ خِفْتَهُ
يَا لَيْتَهُ دَامَ وَخُذْ مَا حَضَرَ
تَرْجِعْ عَنْهَا تَائِبًا تَعْتَذِرُ
فَحَاجِبُ الشَّهْوَةِ غَضُّ الْبَصْرِ^(٢)
وَقَالَ :

وَنَبَأَةٌ أَطْلَقَتْ عَيْنِي مِنْ سِنَةٍ
فَقُمْتُ أَسْأَلُ عَيْنِي رَجْعَ مَا سَمِعْتُ
ثُمَّ اشْرَأَبْتُ فَأَلْفَتْ طَائِرًا حَذِرًا
مُسْتَوْفِزًا يَتَنَزَّى فَوْقَ أَيْكَتِهِ
لَا تَسْتَقِرُّ لَهُ سَاقٌ عَلَى قَدَمٍ
يَهْفُو بِهِ الْغُضْنُ أَحْيَانًا وَيَرْفَعُهُ
مَا بَالُهُ وَهَوْفِي أَمِنْ وَعَافِيَةٍ
إِذَا عَلَا بَاتَ فِي خَضْرَاءٍ نَاعِمَةٍ
كَانَتْ جِبَالَةَ طَيْفٍ زَارِنِي سَحْرًا^(١)
أُذْنِي فَقَالَتْ لَعَلِّي أَبْلُغُ الْخَبْرًا^(٢)
عَلَى قَضِيبٍ يُدِيرُ السَّمْعَ وَالْبَصْرًا^(٣)
تَنْزِي الْقَلْبِ طَالَ الْعَهْدُ فَادَّكَّرًا^(٤)
فَكُلَّمَا هَدَّاتُ أَنْفَاسُهُ نَفْرًا^(٥)
دَحْوِ الصَّوَالِجِ فِي الدَّيْمُومَةِ الْأَكْرَا^(٦)
لَا يَبْعَثُ الطَّرْفَ إِلَّا خَائِفًا حَذِرًا ؟
وَإِنْ هَوَى وَرَدَ الْغُدْرَانَ أَوْ نَقَرًا

(٢) غَضٌّ مِنْ طَرْفِكَ : المراد اصرف نظرك عما لا يليق ولا يحل . والطرف : النظر والبصر .
(١) النبأة : الصوت الخفي . والسنة : النعاس . والحباله : المصيدة . والطيف : الخيال الطائف في المنام . والسحر : الوقت قبيل الفجر .
(٢) رجع : مصدر رجعت إليه الشيء ، أي رددته .
(٣) اشْرَأَبْتُ : ارتفعت . وألفت : وجدت .
(٤) مستوفزاً : غير مطمئن ، قد تهيأً للوثوب وال الطيران . ويتنزى : يثب . والأيكه : الشجرة ذات الأغصان الكثيرة الملتفة .
(٥) نفر : أنف وكره .

(٦) يهفو : يميل ويهتز . والدحو : مصدر دحا اللاعب الكرة ونحوها ، أي دفعها ورمها بيده .
والصولجان : عصا معوجة يعطف طرفها ، وتضرب بها الكرة ، وجمعه صوالجة . والديمومة : الأرض المستوية . والأكر : جمع أكرة ، وهي الكرة التي يلعب بها .

يَا طَيْرُ نَفَرْتَ عَنِّي طَيْفَ غَانِيَةٍ
 حَوْرَاءُ كَالرُّثْمِ الْحَاطِظاً إِذَا نَظَرْتَ
 زَالَتْ خَيَالُهَا عَنِّي وَأَعْقَبَهَا
 فَهَلْ إِلَى سِنَةٍ إِنْ أَعْوَزْتَ صِلَةَ
 قَدْ كَانَ أَهْدَى لِي السَّرَاءَ حِينَ سَرَى (٧)
 وَصُورَةَ الْبَدْرِ إِشْرَاقاً إِذَا سَفَرَا (٨)
 شَوْقُ أَحَالٍ عَلَيَّ الْهَمُّ وَالسَّهْرَا (٩)
 عَوْدُ نَنَالُ بِهِ مِنْ طَيْفِهَا الْوَطْرَا؟ (١٠)

وَقَالَ :

مَا أَطْوَلَ اللَّيْلَ عَلَى السَّاهِرِ
 يَا مُخْلِيفَ الْوَعْدِ ! أَلَا زُورَةٌ
 تَرَكَتْنِي مِنْ غَمْرَاتِ الْهَوَى
 أَسْمَعُ فِي قَلْبِي دَبِيبَ الْمُنَى
 أَمَا لِهَذَا اللَّيْلِ مِنْ آخِرٍ؟
 أَقْضِي بِهَا الْحَقَّ مِنَ الزَّائِرِ (١)
 فِي لُجِّ بَحْرِ بِالرَّدَى زَاخِرِ (٢)
 وَالْمَحُ الشُّبْهَةَ فِي خَاطِرِي (٣)
 وَتَارَةً أَفْزَعُ كَالطَّائِرِ (٤)

(٧) الغانية: الجارية الحسنة الغنية بحسنها عن الزينة. وسرى: سار ليلاً.
 (٨) حوراء: بيضاء، أو في عينيها حور، وهو أن يشتدّ بياض العين وسوادها، وتستدير حدقتها، وترقّ جفونها، ويبيض ما حوالها. والرثم: الظبي الخالص البياض تشبه به الحسنة في جمال العينين. وسفر: أضاء.

(٩) خيالها: خيالها وطيفها. وأعقبها: خلفها، وجاء بعدها.
 (١٠) السنة: النعاس. وأعوزه الشيء: إذا احتاج إليه فلم يقدر عليه. والوطر: الحاجة والأرب.
 (١) الزورة: اسم مرة من الزيارة.

(٢) غمرات الهوى: شدائد الحب، وهمومه، وأوصابه. ولجّ البحر: عرضه، أو معظمه، أو الماء الكثير الذي لا يرى طرفاه. والردي: الهلاك. وزاخر: طام ممتلىء.

(٣) الدبيب: السير اللطيف اللين. والشبهة: الالتباس والشك.

(٤) الروعة: الفزعة، وهي اسم مرة من الروع، بمعنى الفزع والخوف.

وَبَيْنَ هَاتَيْنِ شَبَابًا لَوْعَةً لَهَا بِقَلْبِي فَتْكَةُ الثَّائِرِ (٥)
 فَهَلْ إِلَى الْوُصْلَةِ مِنْ شَافِعٍ؟ أَمْ هَلْ عَلَى الصَّبْوَةِ مِنْ نَاصِرٍ؟ (٦)
 يَا قَلْبُ لَا تَجْزَعُ فَإِنَّ الْمُنَى فِي الصَّبْرِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِ
 وَقَالَ يُورُخُ عَوْدَةَ « إسماعيل باشا » خديوي مصر من دَارِ الْخِلَافَةِ الْعَلِيَّةِ (★) :

رَجَعَ الْخِديُو لِمْضِرِهِ وَأَتَتْ طَلَائِعُ نَضْرِهِ (١)
 وَتَهَلَّلَتْ بِقُدُومِهِ فَرَحاً أَسْرَةً عَضْرِهِ (٢)
 فَلْتَبْتَهْجِ أَوْطَانَهُ بِحُلُولِهِ فِي قَضْرِهِ
 وَلَيْشْتَهْرِ تَارِيخَهُ رَجَعَ الْخِديُو لِمْضِرِهِ

وَقَالَ فِي « محمد توفيق باشا » جِين عَيْنَ نَاطِرِ النَّظَارِ (★★) :

(٥) الشبا: جمع شباة، وهي حدّ كل شيء. والفتكة: اسم مرة من الفتك، وهو البطش والقتل على غرة.

(٦) الوصلة: الاتصال. والمراد بالصبوة: الهوى والغرام.

(★) يريد بدار الخلافة: مدينة القسطنطينية حاضرة الدولة العثمانية، ومقرّ الخليفة حينئذ. وفي سنة ١٢٨٩هـ (١٨٧٢م) سافر الخديوي إسماعيل إلى الأستانة (القسطنطينية)، وبمساعيه لدى السلطان العثماني والصدر الأعظم صدر فرمان سنة ١٨٧٢ الذي ألغى فرمان سنة ١٨٦٩، وأيد الفرمانات السابقة له، وأعطى مصر والخديوية المصرية حقوقاً تؤسّس استقلال مصر الداخلي، وتخوّل الخديوي حقّ عقد القروض الماليّة.

(١) طلائع النصر: أسبابه ومقدماته.

(٢) تهلّلت: تلالأت وأشرققت. وأسرة الوجه: خطوطه ومحاسنه.

(★★) في ١٨ من فبراير سنة ١٨٧٨ قامت في القاهرة مظاهرة عسكرية بزعامة أحد مدرسي

بِكَ اسْتَقَامَتْ مِضْرُ حَتَّى غَدَتْ
وَكَيْفَ لَا تُبْصِرُ قَصْدَ الْهُدَى
يَحْمَدُهَا الْوَارِدُ وَالصَّادِرُ^(١)
حُكُومَةٌ أَنْتَ لَهَا نَاطِرُ؟^(٢)

وَقَالَ :

أُغْرَةٌ تَحْتَ طُرَّةٍ
وَذَاكَ فَرْعٌ وَنَهْدٌ
سَمْرَاءُ تَهْفُؤُ بِقَدِّ
مَرَّتْ عَلَيَّ تَهَادَى
فَقُلْتُ يَا نُورَ عَيْنِي !
فَنَقَّبْتُ وَجْنَتَيْهَا
أَمْ نُورٌ فَجَرٍ بِسُحْرَةٍ؟^(١)
أَمْ صَوْلَجَانٌ وَأُكْرَةٍ؟^(٢)
كَالرُّمَحِ لِيناً وَسُمْرَةٍ^(٣)
مِثْلَ الْمَهَاةِ بِشِبْرَةٍ^(٤)
مَالِي عَلَى الصَّبْرِ قُدْرَةٌ
يَدُ الْحَيَاءِ بِحُمْرَةٍ^(٥)

المدرسة الحربية تعلن السخط على وزارة «نوبار» التي أحالت إلى الاستياداع ألفين وخمسمائة من ضباط الجيش. وتعدُّ هذه المظاهرة نذيراً، أو مقدمة للثورة العربية. وبقيت الحالة قلقة حتى انتهت بسقوط وزارة «نوبار»، وتأليف وزارة جديدة برياسة الأمير «محمد توفيق» ابن الخديوي «إسماعيل» ولكنها ما لبثت أن سقطت بعد نحو شهر من تأليفها، بسبب السخط الذي عمَّ البلاد. وفي السابع من أبريل سنة ١٨٧٩ تألّفت وزار وطنية برياسة «محمد شريف».

(١) الوارد والصادر: الغادي والرائح، والمراد الناس جميعاً.
(٢) المراد بقصد الهدى: طريق السداد والرشاد. وناظر الحكومة: رئيسها، وفي هذه الكلمة تورية، لأن الناظر: سواد العين الأصغر وإنسانها.

(١) الغرّة في الأصل: بياض مستحسن في جبهة الفرس، والمراد بها هنا: بياض الوجه وإشراقه. والطرّة: الشعر الذي تطرّه الجارية وتصفّفه فوق جبهتها. والسحرة: السحر الأعلى، وهو الوقت قبيل الصبح.

(٢) الفرع: الشعر التام. والنهد: الثدي. والصولجان: عصاً معوّجة، يعطف طرفها، وتضرب بها الكرة. والأكرة: الكرة.

(٣) تهفو: تميل وتهتز. والقَدّ: اعتدال القامة، وجمال الطول، وحسن التقطيع.

(٤) شبرى: من ضواحي القاهرة.

(٥) نقبت: غطت. والوجنتان: ما ارتفع من لحم الخدين.

وَقَالَتْ اسْكُتْ وَإِلَّا
فَقُلْتُ هَلْ مِنْ وِصَالٍ
فَاسْتَضْحَكْتُ ثُمَّ قَالَتْ
تَصِيرُ فِي النَّاسِ شُهْرَةً (٦)
يَكُونُ لِلْحُبِّ أُجْرَةٌ؟
عَلَى الْخَدَيْعَةِ بُكْرَةٌ! (٧)

وَقَالَ :

غَادَةٌ كَالْمَهَاةِ تَهْفُو بِخَصْرِ
تِلْكَ عَمْرِي هِيَ الْحَيَاةُ فَلَا تُؤْ
فَاقْسِمِ الْعُمَرَاءَ بَيْنَ جَدِّ وَهَزْلِ
وَاسْعَ تَبْلُغْ مَا رُمْتَهُ مِنْ نَفِيسٍ
قَدْ يَنَالُ الْفَتَى إِذَا كَانَ شَهْمًا
تَحْتَ بَنْدٍ كَمِعْصَمٍ فِي سِوَارٍ (١)
ثُرَ عَلَيْهَا جَلَائِلُ الْأُوطَارِ (٢)
وَوَقَارٍ طَوْرًا وَخَلْعٍ عِذَارٍ (٣)
فَالْمَسَاعِي مَدَارِجُ الْأَحْرَارِ (٤)
مُبْتَغَاهُ فِي ضُحُوَّةٍ مِنْ نَهَارٍ (٥)

وَقَالَ :

أَصَافِي خَلِيلِي مَا صَفَا لِي فَإِنْ جَفَا
عَثَبْتُ عَلَيْهِ غَيْرَ جَافٍ وَلَا وَعْرٍ (١)

(٦) الشهرة: ظهور الشيء في شئعة.

(٧) البكرة: الغداة، وهي أول النهار، وقد فشا استعمالها في مصر بمعنى الغد.

(١) الغداة: الفتاة الناعمة اللينة. والمهابة: الشمس، والبقرة الوحشية تشبه بها المرأة في جمال العيون واتساعها. والمهابة أيضاً: البلورة. وتهفو: تميل. والبند: الحزام والمنطقة ونحوهما.

والمعصم: موضع السوار من اليد. والسوار: حلي تزيّن به المرأة معصمها.

(٢) لا تؤثر: لا تفضل. والأوطار: الحاجات.

(٣) الوقار: الحلم والرزانة والحشمة. والعذار من اللجام: ما سال على خدّ الفرس، وخلع العذار:

كناية عن ترك الحشمة والوقار، والانهماك في الغي والمجون.

(٤) نفيس: كريم عظيم القدر. والمدارج: المسالك والمذاهب.

(٥) الشهم: الجلد الذكيّ الفؤاد المتوقد. وضحوة النهار: بعد طلوع الشمس، والمراد: في وقت قصير.

(١) جفا: أعرض وترك البرّ والصلة، من الجفاء. والوعر: الصعب.

فَإِنْ عَادَ لِي بِالْوُدِّ عُدْتُ وَإِنْ أَبِي
فَإِنْ زَادَنِي هَجْرًا ضَرَبْتُ عَنِ اسْمِهِ
وَمَا تِلْكَ مِنِّي نَبْوَةٌ غَيْرَ أَنَّنِي
صَبَرْتُ لِأَرْعَى ذِمَّةَ الْوُدِّ بِالصَّبْرِ (٢)
وَأَمْسَكْتُ عَنْ سُخْطِي عَلَيْهِ وَعَنْ سُكْرِي (٣)
أَنْزَهُ نَفْسِي عَنْ مُلَابَسَةِ الْغَدْرِ (٤)

وَقَالَ :

لِكُلِّ حَيٍّ نَذِيرٌ مِنْ طَبِيعَتِهِ
يَرْجُو وَيَخْشَى أُمُورًا لَوْ تَدَبَّرَهَا
تَرَاهُ يَسْعَى لِجَمْعِ الْمَالِ مُعْتَقِدًا
وَكَيْفَ تَنْقَى ثِيَابُ الْمَرْءِ مِنْ دَنْسٍ
يَا فَارِسَ الْخَيْلِ كَفَكِفَ عَنْ أَعْتَبِهَا
إِنْ كُنْتَ تَبْغِي بِهَا مَا لَسْتَ تَبْلُغُهُ
إِنَّ الْحَيَاةَ وَإِنْ طَالَتْ إِلَى أَمَدٍ
يُوجِي إِلَيْهِ بِمَا تَعْيَا بِهِ النُّذْرُ
لَزَالَ مِنْ قَلْبِهِ التَّامِيلُ وَالْحَذْرُ
أَنَّ الْفَتَى مَنْ لَدَيْهِ السَّامُ وَالشُّذْرُ (١)
وَقَلْبٌ لَا يَسْهَأُ مِنْ غَدْرِهِ قَذْرٌ؟ (٢)
فَقَدْ شَكَتْ فِعْلَكَ الْأَحْلَاسُ وَالْعُدْرُ (٣)
مِنَ الْبَقَاءِ فَبِئْسَ الْبُطْلُ وَالْهَذْرُ
وَالدَّهْرُ قَرْحَانٌ لَا يُبْقِي وَلَا يَنْدُرُ (٤)

(٢) ذمّة الودّ: حقه وحرمة وعهده. ورعى الذمّة: صيانتها وملاحظتها والمحافظة عليها.

(٣) ضربت عن اسمه: سكت عنه، فلم أذكره بخير ولا شرّ.

(٤) النبوة: اسم من نبا السيف عن الضريبة إذا لم يقطع، والمراد هنا الضعف. وملابسة الغدر: مخالطته وارتكابه.

(١) السام: الذهب والفضّة. والشذر: قطع من الذهب تُلَقَطُ من معدنه من غير إذابة الحجارة، أو هو اللؤلؤ الصغار، أو فرائد تصاغ من الذهب، يفصل بها اللؤلؤ والجوهر.

(٢) الدنس: القذر.

(٣) كفكف: احبس واجذب. والأعنة: جمع عنان، وهو سير اللجام الذي تمسك به الدابة، والأحلاس: جمع حلس، وهو كساء على ظهر البعير والدابة تحت الرحل والقتب والسرّج والبرذعة. والعدر: جمع عذار، وهو ما وقع من اللجام على خذي الفرس ونحوه. والغرض: الحضّ على الرفق والاعتدال والقصد.

(٤) الأمد: الغاية. وقرحان: سالم من الداء، قوي، شديد البأس. وينذر: يدع ويترك.

لَا يَأْمَنُ الصَّامِتُ الْمَعْصُومُ صَوْلَتَهُ وَلَا يَدُومُ عَلَيْهِ النَّاطِقُ الْبَذْرُ^(٥)
فَاضْرَعْ إِلَى اللَّهِ وَاسْتَوْهِبْهُ مَغْفِرَةً تَمْحُو الذُّنُوبَ فَجَانِي الذَّنْبِ يَعْتَذِرُ
وَاعْجَلْ وَلَا تَنْتَظِرْ تَوْبًا غَدَاةَ غَدٍ فَلَيْسَ فِي كُلِّ حِينٍ تُقْبَلُ الْعِذْرُ^(٦)
هِيَاهُ لَا يَسْتَوِي الشَّخْصَانِ فِي عَمَلٍ هَذَا صَحِيحٌ وَهَذَا فَاسِدٌ مَذْرُ^(٧)

وَقَالَ :

أَلَا هَتَفْتُ بِالْأَيْكِ سَاجِعَةَ الْقَمَرِ فَطُفَ بِالْحُمَيَّا فَهِيَ رِيحَانَةُ الْعُمْرِ^(١)
وَإِنْ أَنْتَ أَتْرَعْتَ الْأَبَارِيْقَ فَلْتَكُنْ سُلَافاً وَإِيَّاكَ الْفَضِيخَ مِنَ التَّمْرِ^(٢)
فَقَاتِلَةُ الْعُرْجُونِ لِلْفَاقِدِ النَّدَى وَصَافِيَةُ الْعُنُقُودِ لِلْمَاجِدِ الْعَمْرِ^(٣)
مُورَدَةٌ تَمْتَدُّ مِنْهَا أَشْعَةُ تَدُورُ بِهَا فِي ظِلِّ الْوَيْبَةِ حُمْرِ^(٤)

(٥) المعصوم: المصون الممنوع. وصولته: سطوته ويطشه واستطالته. والبذر: الكثير الكلام.

(٦) التوب: التوبة، وهي الإنابة، والرجوع عن المعصية إلى الطاعة.

(٧) مذر: فاسد خبيث.

(١) هتفت الحمامة: سجعت وصوتت. والأيك: الشجر الكثير الملتف، الواحدة أيكة. وساجعة: صفة من السجع، وهو هديل الحمام وتطريبه. والقمر: نوع من الحمام، الواحد أقمر، أو قمري. والمراد بالحُمَيَّا هنا: الخمر. والريحانة: واحدة الريحان، وهو كل نبات طيب الرائحة، والريحانة أيضاً: الطاقة من الريحان.

(٢) أترعت: ملأت. والسلاف: أفضل الخمر وأخلصها، وذلك إذا تحلب من العنب بلا عصر. والفضيخ: شراب يتخذ من بسر مفضوخ، أي مشدوخ مشقوق.

(٣) قاتلة العرجون: يريد الخمر القاتلة المأخوذة من التمر أو البسر. وصفها بهذا الوصف لأنها شديدة التأثير، قوية الإسكار. والعرجون: أصل العذق الذي يعوج، ويقطع منه الشماريخ، فيبقى على النخلة يابساً، وهو عود الكباسة وأصلها، سمي بذلك لانعراجه وانعطافه. والماجد: العزيز الشريف الكريم. والغمر: الكريم، الواسع الخلق السخي، الكثير المعروف.

(٤) يريد بالألوية الحمر: فروع الأزهار ذات اللون الأحمر، وللشاربين إغرام بتزيين مجلسهم بالأزهار.

إِذَا شَجَّهَا السَّاقُونَ دَارَ حَبَابِهَا عَلِيَّهَا كَمَا دَارَ الشَّرَارُ عَلَى الْجَمْرِ^(٥)
 ثَوَتْ فِي ضَمِيرِ الدُّهْرِ وَالْجَوْ ظُلْمَةٌ بِلَا كَوَكِبٍ وَالْأَرْضُ تَسْبَحُ فِي غَمْرِ^(٦)
 فَجَاءَتْ وَلَوْلَا عَرْفُهَا وَبَرِيقُهَا لَكَانَتْ خَفَاءً بَيْنَ الدِّسَاكِ كَالضُّمْرِ^(٧)
 تُزَفُّ بِالْحَانِ الْمَثَانِي كُؤُوسُهَا كَمَا زُفَّتِ الْحَسَنَاءُ بِالطُّبْلِ وَالزُّمْرِ^(٨)
 كَمَيْتٌ جَرَتْ فِي حَلْبَةِ الدُّهْرِ فَاَنْطَوَتْ ثَمِيلَتُهَا وَالْخَيْلُ تُحَمَدُ بِالضُّمْرِ^(٩)
 فَكَمْ بَيْنَ آصَالٍ أَدْرْنَا كُؤُوسُهَا وَبَيْنَ لَيَالٍ مِنْ كَوَاكِبِهَا نُمْرِ^(١٠)
 إِذَا أَنْتَ قَامَرْتَ الزَّمَانَ عَلَى الْمُنَى بِمَا دَارَ مِنْ أَقْدَاجِهَا فُزْتُ بِالْقَمْرِ^(١١)
 فَخُذْ فِي أَفَانِينَ الْخَلَاعَةِ وَالصَّبَا وَدَعْنِي مِنْ زَيْدِ النَّحَاةِ وَمِنْ عَمْرِو^(١٢)

(٥) شَجَّ الساقى الخمر بالماء: مزجها به. والحباب: النفاخات التي تعلق الماء ونحوه، وتسمى أيضاً اليعاليل.

(٦) ثوت: أقامت. والغمر: الماء الكثير، ومعظم البحر. يبالغ في قدم هذه الخمر، وأنها وجدت في أول الزمان.

(٧) عرفها: رائحتها الطيبة. وبريقها: لمعانها وتلألؤها. والخفا: الشيء الخفي المستور. والدساكر: جمع دسكرة، وهي بيوت للأعاجم يكون فيها الشراب والملاهي. والضمير: الضمير والسر.

(٨) المثاني من أوتار العود: ما بعد الأول، واحدها مثني.

(٩) كमित: صفة من الكمت، وهي لون بين السواد والحمرة، وتوصف الخيل بالكمتة، فيقال: فرس كमित، وتطلق أيضاً على الخمر، إذا كان في لونها كمتة. والثميلة: ما يكون فيه الطعام والشراب في الجوف. وانطواء ثميلة الخيل: كناية عن ضمرها وهزالها وخفة لحمها، وهذا من صفات حسننها، وهو يدلّ غالباً على نشاطها، وسرعة عدوها. وانطواء ثميلة الخمر: كناية عن رقتها وصفائها.

(١٠) الأصال: جمع الأصيل، وهو الوقت بعد العصر إلى المغرب. ونمر: جمع نمرأ، وهي ما فيها نمر، أي نكتة بيضاء وأخرى سوداء.

(١١) قامرت الزمان: راهنته. القمر: مصدر قمرت الرجل، أي غلبته في القمار.

(١٢) الأفانين: الأنواع، جمع أفنان، والأفنان: جمع فن. والخلاعة: المجون والاستهتار، وأطراح الحشمة والوقار.

أُولَئِكَ قَوْمٌ فِي حُرُوبٍ تَفَاقَمَتْ
فَمَا تَصْلُحُ الْأَيَّامُ إِلَّا إِذَا خَلَّتْ
وَلَا تَتَعَرَّضُ لِأَمْرِيءٍ بِمَسَاءَةٍ
وَلَا تَحْتَقِرُ ذَا فَاقَةٍ بَيْنَ طَمْرِهِ
وَكَيْفَ يَعِيشُ الْمَرْءُ فِي الدَّهْرِ آمِنًا
وَمَا أَحْسَبُ الْأَيَّامَ تَصْفُو لِعَاقِلٍ
سَعَيْتُ فَأَذْرَكْتُ الْمُنَى فِي طِلَابِهَا
وَلَكِنْ خَلَّتْ مِنْ فَتَكَةِ الْبَيْضِ وَالسُّمْرِ (١٣)
قُلُوبُ الْوَرَى فِيهَا مِنَ الْحِقْدِ وَالْغَمْرِ (١٤)
وَلَا تَحْتَلِبُ ضَرَعَ الشَّقَاقِ وَلَا تَمْرٍ (١٥)
فَيَارُبُّ فَضْلٍ يَبْهَرُ الْعَقْلَ فِي طَمْرٍ (١٦)
وَلِلْمَوْتِ فِينَا وَثْبَةُ اللَّيْثِ وَالنَّمْرِ؟ (١٧)
وَلَكِنْ صَفَاءُ الْعَيْشِ لِلْجَاهِلِ الْغَمْرِ (١٨)
وَكُلُّ أَمْرِيءٍ فِي الدَّهْرِ يَسْعَى إِلَى أَمْرٍ

وَقَالَ :

نَمَّ الصَّبَا وَأَنْتَبَهَ الطَّائِرُ
وَاسْتَحَرَ الصَّاهِلُ وَالْهَادِرُ (١)

(١٣) تفاقمت: عظمت واشتدت. والفتكة: اسم مرة من فتك المرء بعدوه، إذا انتهز منه غرة فقتله أو جرحه، وقيل الفتك: القتل أو الجرح مجاهر. والبيض: السيوف. والسمر: القنا والرماح.
(١٤) الورى: الخلق، والناس. والحقد: الضغن، وإضمار العداوة والبغضاء. والغمر: الحقد والضغن.

(١٥) الضرع للبقرة والشاة والناقة وذات الظلف أو الخف: كالثدي للمرأة. ومرى الحالب الناقة ونحوها يمرىها: مسح ضرعها ليدر باللبن. واحتلاب ضرع الشقاق ومرىه: مقارفة أسبابه ودواعيه.

(١٦) الفاقة: الفقر والحاجة. والطمر: الثوب الخلق، والكساء البالي. ويهره: يغلبه ويعلوه ويقهره، والمراد: يعجبه ويروقه ويسره.

(١٧) الليث: الأسد. والنمر: سبع أخبث وأجراً من الأسد، ومن طبيعته الفتك بكل ما يصادفه من حيوان وإنسان.

(١٨) الغمر: الذي لم يجرب الأمور.

(١) نَمَّ المسك ونحوه: سطع وانتشرت رائحته. والصبا: ريح تهب من مطلع الشمس. واستحَرَ الديك وغيره: صاح في السحر، وهو الوقت قبيل الفجر، أو خرج سحراً. والصاهل: اسم فاعل من الصهيل، وهو صوت الفرس. والهادر: صفة من الهدير، وهو صوت الفحل. وهدر الحمام: كرر صوته في حنجرتة.

وَأُضْحِتِ الْأَرْضُ لِفَيْضِ الْحَيَا مَصْقُولَةٌ يَلْهُو بِهَا النَّاطِرُ^(٢)
 تَبْدُو بِهَا أَنْجُمُ زَهْرٍ لَهَا مَنَازِلُ يَجْهَلُهَا الْخَابِرُ^(٣)
 كَأَنَّهَا أَلْبَسَهَا نَشْرَةً مِّنَ النُّجُومِ الْفَلَكَ الدَّائِرُ^(٤)
 فَكُنْمُ بِنَانَلُهُ بِلِدَائِنَا فَإِنَّمَا الْعَيْشُ لَهُ آخِرُ
 وَلَا تَقُلْ نَنْظُرُ مَا فِي غَدٍ رَبُّ غَدٍ أَمِلُهُ خَاسِرُ
 فَإِنَّمَا الْعَيْشُ وَلِدَاتُهُ فِي سَاعَةٍ أَنْتَ بِهَا سَادِرُ^(٥)
 لَا يَغْنَمُ اللَّذَّةَ غَيْرَ امْرِئٍ لَيْسَ لَهُ عَن لَهْوِهِ زَاجِرُ^(٦)
 قَدْ خَبَرَ الدَّهْرَ فَمَا غَائِبُ يَجْهَلُهُ مِنْهُ وَلَا حَاضِرُ
 يَا سَاقِيَّ اعْتَوِرَا كَأْسَهَا فَلَئِي بِهَا عَن غَيْرِهَا عَازِرُ^(٧)
 حَمْرَاءُ تُلْقِي بِلِحَاطِ الْفَتَى صَبْغًا بِهِ يَعْتَرِفُ النَّاكِرُ^(٨)
 تَفْعَلُ بِالشَّارِبِ أَضْعَافَ مَا جَرَّ عَلَى عُثُقُودِهَا الْعَاصِرُ
 عَتَّقَهَا الدُّهْقَانُ فِي دَيْرِهِ جِينًا وَلَمْ يَشْعُرْ بِهَا شَاعِرُ^(٩)

- (٢) فيض الحيا: كثرة المطر. ومصقولة: مجلولة ذات بهجة ورواء.
- (٣) أنجم زهر: أزهار تشبه النجوم والكواكب في البهاء والإشراق والتلألؤ. ومنازل النجوم: أفلاكها.
- (٤) النثرة: الدرع الواسعة السلسلة الملبس. والفلك: مدار النجوم. والدائر: صفة للفلك، لتواتر حركاته بعضها في إثر بعض، من غير ثبوت ولا استقرار.
- (٥) سادر: لاه، لا يهتم، ولا يبالي ما صنع.
- (٦) زاجر: مانع ناه.
- (٧) اعتورا كأسها: تداولاها بينكما، أي لتكن في يد أحدهما مرة، وفي يد الآخر مرة أخرى.
- (٨) اللحات: مؤخر العين مما يلي الصدغ. والناكر: اسم فاعل من نكر فلان الأمر، أي أنكره وجحده.
- (٩) تعتيق الخمر: حبسها في أوعيتها زماناً حتى تطيب وتحسن وتصفو ويذهب عنها الزبد.

شَجَّ بِهَا يَكْتُمُهَا نَفْسَهُ وَهُوَ لِيَرْضَاهَا غَدًا صَابِرٌ^(١٠)
 حَتَّى إِذَا تَمَّتْ مَوَاقِيْتُهَا وَزَالَ عَنْهَا الزَّبْدُ الْمَائِرُ^(١١)
 جَاءَتْ وَقَدْ شَاكَلَهَا كَأْسُهَا فَاشْتَبَهَ الْبَاطِنُ وَالظَّاهِرُ^(١٢)
 بِمِثْلِهَا تُعْجِبُنِي صَبَوَتِي وَيَزْدَهِينِي اللَّيْلُ وَالسَّامِرُ^(١٣)
 فَمَا لِهَذِي النَّاسِ فِي غَفْلَةٍ عَمَّا إِلَيْهِ يَنْتَهِي السَّائِرُ؟
 أَلَمْ يَرَوْا كَيْفَ مَضَتْ قَبْلَهُمْ مِنْ أُمَّمٍ لَيْسَ لَهَا ذَاكِرُ؟
 إِنْ لَمْ يَكُنْ فِي الْأَمْرِ مِنْ حِكْمَةٍ فَفِيمَ هَذَا الشَّغْبِ الثَّائِرُ؟^(١٤)
 كُلُّ أَمْرِيءٍ أَسْلَمَهُ عَقْلُهُ فَمَالَهُ مِنْ بَعْدِهِ نَاصِرُ^(١٥)

وَقَالَ :

وَلَمَّا اسْتَقَلَّ الْحَيُّ فِي رَوْنِقِ الضُّحَى وَقَطَعَ أَنْفَاسَ الْمُقِيمِ الْمُسَافِرُ^(١)

والدهقان: التاجر، وزعيم فلاحي العجم، ورئيس الإقليم، والظاهر أن الشاعر يريد به هنا: مطلق الرئيس. والدير: خان النصارى، وصومعة الراهب، وتشتهر الأديرة بخمرها المعتقة الجيدة.

(١٠) شج بها: مشغول مهتم مشوق. ويكتمها نفسه: يخفيها عن نفسه.

(١١) تمت مواقيتها: مضى الوقت الكافي لتعيقها وتصفيتها. والزبد: الرغوة والطفافة والقذى. والمائر: المضطرب المتحرك المتردد.

(١٢) شاكلها: شابهها. والكأس مؤنثة. والمراد بالباطن: الخمر. والمراد بالظاهر: جسم الكأس.

(١٣) الصبوة: جهلة الفتوة واللهو. ويزدهيني: يستخفني ويطربني. والسامر: مجلس السمار، وهم القوم يسمرون، أي يتحدثون بالليل.

(١٤) يريد بالأمر: أمر الحياة، وحال الناس في معيشتهم ومماتهم. والشغب: تهيج الشر. والثائر: المنتشر الظاهر.

(١٥) أسلمه عقله: خذله، ولم يحمه.

(١) استقل: ذهب وارتحل. ويريد بالحي: أهل الحبيب وعشيرته. والضحي: الوقت حين تشرق

تَحَوَّلَ رَاعِي الصَّبْرِ عَنْ مُسْتَقَرِّهِ وَبَاحَتْ بِأَسْرَارِ الْقُلُوبِ النُّوَاطِرُ^(٢)

وَقَالَ فِي الْهَجَاءِ :

يَابْنَ الَّذِي رَهَنَ الْخَمَارَ سُبْحَتَهُ يَوْمَ الْعَرُوبَةِ فِي عَدِّ الْقَوَارِيرِ^(١)
مَا زَالَ يَشْرَبُ خَمْرًا غَيْرَ مُدْكِرٍ إِثْمًا وَيَأْكُلُ سُحْتًا غَيْرَ مَنْحُورٍ^(٢)
حَتَّى إِذَا نَالَ مِنْهُ السُّكْرُ قَامَ إِلَى فَيَاضَةِ الْقَرَى لَمْ تُعْهَدْ بِتَطْهِيرِ^(٣)
فَكُنْتُ نُظْفَةَ سُوءٍ قَدْ تَعَجَّلَهَا دَاعِي الْغَوَايَةِ مِنْ خَمْرِ وَخَنْزِيرِ^(٤)

وَقَالَ :

يَأْيَهَا السَّرْفُ الْمُدِلُّ بِنَفْسِهِ كَسَفِينَةٍ فِي لُجِّ بَحْرِ مَآخِرَةٍ^(١)
أَتَظُنُّ أَنَّ الْفَخْرَ ثَوْبٌ مُعْلَمٌ تَزْهُو بِبَلْسِتِهِ وَقَدْرٌ بِمَآخِرَةٍ؟^(٢)
هِيَ هَاتَ ظَنُّكَ فَالْعُلَا أُمِّيَّةٌ مِنْ دُونِ مَبْلَغِهَا بِحَارٍ زَاخِرَةٍ^(٣)

الشمس ويمتد النهار ويرتفع . ورونقها : أولها ، أو ماؤها وحسنها . وتقطيع أنفاس المقيم : كناية عما أصابه من اللوعة والأسى ، بسبب سفر الحبيب وارتحاله .
(٢) راعي الصبر : حافظه ، وهو القلب . وتحوله عن مستقره : كناية عن الجزع والاضطراب . والنواظر : العيون .

(١) يوم العروبة : يوم الجمعة . القوارير : قنينات الشراب وآنيته تكون من الزجاج ، واحدتها قارورة .
(٢) إثمًا : خطيئة وذنبًا . والسحت : الحرام الخبيث الذي لا يحل كسبه ولا أكله . والمراد به هنا : لحم الخنزير . وغير منحور : غير مذبوح .

(٣) فياضة : غزيرة كثيرة سائلة . والقرى : الحيض .
(٤) النظفة : ما يخلق منه الإنسان . والغواية : الفساد والضلال .

(١) السرف : الجاهل الغافل المخطيء ، صفة من السرف . والمدل بنفسه : المعجب المغرور .
ولج البحر : معظمه . ومآخرة : جارية تشق الماء ، وتدفعه بصدرها .

(٢) ثوب معلم : مرسوم موسى . وتزهو : تفخر وتكبر . وبآخرة : يرتفع بخارها ، اسم فاعل من بخرت القدر .

(٣) زاخرة : واسعة طامية ممثلة .

أَتَلَفْتَ دُنْيَاكَ الَّتِي أُوتِيْتَهَا
تَاللَّهِ لَو رَاجَعْتَ نَفْسَكَ مَرَّةً
حَتَّمَ تَفَخَّرُ بِالْجُدُودِ وَلَمْ تَنْلُ
فَاجْعَلْ لِنَفْسِكَ مِنْ فِعَالِكَ شَاهِدًا
وَقَالَ يَذُمُّ :

فَعَلْتُ خَيْرًا بِقَوْمٍ
فَلَا تَلْمَنِي إِذَا مَا
فَعَامَلُونِي بِضَيْرٍ^(١)
أَصْبَحْتُ أَلْعَنُ خَيْرِي

وَقَالَ فِي الزُّهْدِ :

أَلْهَتُكُمْ الدُّنْيَا عَنِ الْآخِرَةِ
وَعَرَّكُمْ مِنْهَا وَأَنْتُمْ بِكُمْ
يَمْشِي الْفَتَى تَيْهًا وَفِي ثَوْبِهِ
كَأَنَّهُ فِي كِبَرِهِ سَادِرٌ
كَمْ أَنْفُسٍ عَزَّتْ بِسُلْطَانِهَا
وَعُصْبَةٍ كَانَتْ لِأَمْوَالِهَا
وَهِيَ مِنَ الْجَهْلِ بِكُمْ سَاخِرَةٌ
جُوعٌ إِلَيْهَا قَدْرُهَا الْبَاخِرَةٌ^(١)
مِنْ مَعْطَفَيْهِ حَيْفَةٌ جَاخِرَةٌ^(٢)
سَفِينَةٌ فِي لُجَّةٍ مَآخِرَةٌ^(٣)
فِي مَا مَضَى وَهِيَ إِذْنٌ دَاخِرَةٌ^(٤)
مَظْنَةٌ الْفَقْرِ بِهَا دَاخِرَةٌ^(٥)

(٤) الناخرة: البالية المتفتنة.

(١) الضير: الضرر.

(١) الباخرة: الصاعد بخارها، والمراد بقدرها الباخرة: أسباب فتنها ومظاهرها الخلافة.

(٢) التيه: الصلف والكبر. ومعطفاه: جانباه. والجيفة: جثة الميت إذا أنتنت. وجاخرة: كراهة الراححة.

(٣) السادر: الذي لا يهتم ولا يبالي ما صنع.

(٤) داخرة: ذليلة صاغرة.

(٥) العصبية: الجماعة من الرجال. ومظنة الشيء: موضع يظن فيه وجوده، والمراد بالمظنة هنا:

الظن. وذاخرة: مدخرة، أي أنها تجمع المال وتختاره، وتتخذة ذخيرة تدفع عنها غائلة الفقر.

فَأَصْبَحَتْ يَرْحَمُهَا مَنْ يَرَى
فَلَا جَوَادُ صَاهِلٌ عَزَّهُمْ
بَلْ عَمَّ دُنْيَاهُمْ صُرُوفٌ لَهَا
يَأْيُهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ
مَنْ الرَّدَى أَوْ دِيَةَ زَاخِرَةَ^(٨)
وَإِخْشَاؤُا عَذَابَ اللَّهِ وَالْآخِرَةَ
يُسْقِيكُمْ بِالْكُوبِ وَالصَّاحِرَةَ^(٩)
وَاعْتَبِرُوا بِالْأَعْظَمِ النَّاخِرَةَ^(١٠)

وَقَالَ :

لَكَ الْحَمْدُ إِنَّ الْخَيْرَ مِنْكَ وَإِنِّي
فَأَنْتَ الَّذِي أَوْلَيْتَنِي كُلَّ نِعْمَةٍ
لِصْنَعِكَ يَا رَبَّ السَّمَوَاتِ شَاكِرٌ
فَقَرَّبَ لِي الْخَيْرَ الَّذِي أَنَا رَاغِبٌ
وَهَدَيْتَنِي حَتَّى اصْطَفَيْتَنِي الْعَشَائِرُ^(١)
وَبَاعِدَنِي الشَّرَّ الَّذِي أَنَا حَاذِرٌ^(٢)

(٦) غنت: أقامت، من قولهم غني القوم في ديارهم، إذا طال فيها مقامهم، واللغة الفصيحة: غنيت.

(٧) الجواد: الفرس الكريم الجيد. وصاهل: صفة من الصهيل، وهو صوت الخيل. وعزهم: قواهم، أو كان مظهر عزهم. وخيفانة: فرس سريعة خفيفة، والخيفانة: الجراة إذا صارت فيها خطوط مختلفة الألوان، وهي حينئذ أطير ما تكون، ثم شَبَّهت بها الناقة والفرس في السرعة والضمور والخفة. وشاخرة: صفة من الشخير، وهو صهيل الفرس، أو صوته من فمه.

(٨) صيروف الدهر: أحداثه ونوائبه ونوازله. والردي: الهلاك. وزاخرة: ممتدة واسعة ممتلئة.

(٩) الصاخرة: إناء من خزف، يشرب به.

(١٠) الناخرة: البالية المتفتتة.

(١) أوليتني: أعطيتني ووهبت لي. واصطفتني: اختارتنني. والعشائر: قبائل الناس وجماعاتهم، الواحدة عشيرة.

(٢) باعدني الشر: باعد الشر مني، أي أبعده.

فَلَيْسَ لِمَنْ تُقْصِيهِ فِي النَّاسِ نَافِعٌ وَلَيْسَ لِمَنْ تُدْنِيهِ فِي النَّاسِ ضَائِرٌ^(٣)
وَلَا لِأَمْرِيءِ الْهَمَّتَهُ الرُّشْدَ خَاذِلٌ وَلَا لِأَمْرِيءِ أُرْذَتَهُ الْغِيَّ نَاصِرٌ^(٤)
فَإِنْ أَدْرَكْتَ نَفْسِي الْمَرَامَ وَلَمْ أَقْمِ مَقَامَ ضَلِيلٍ بِالَّذِي أَنْتَ أَمْرُ
فَلَا لَاحَ لِي فِي ذُرْوَةِ الْمَجْدِ كَوَكْبٌ وَلَا طَارِلِي فِي قُنَّةِ الْعِزِّ طَائِرٌ^(٥)

وَقَالَ :

مَنْ خَالَفَ الْحَزْمَ خَانَتْهُ مَعَاذِرُهُ وَمَنْ أَطَاعَ هَوَاهُ قَلَّ نَاصِرُهُ^(١)
وَمَنْ تَرَبَّصَ بِالْإِخْوَانِ بَادِرُهُ مِنَ الزَّمَانِ فَإِنَّ اللَّهَ قَاهِرُهُ^(٢)
لَا يَجْمَلُ الْمَرْءُ فِي ظَرْفٍ وَفِي أَدَبٍ مَا لَمْ تَكُنْ فَوْقَ مَرَأِهِ سَرَائِرُهُ^(٣)
وَمَا الصَّدِيقُ الَّذِي يُرْضِيكَ بَاطِنُهُ مِثْلُ الصَّدِيقِ الَّذِي يُرْضِيكَ ظَاهِرُهُ
قَدْ لَا يَفُوهُ الْفَتَى بِالْأَمْرِ يُضْمِرُهُ وَبَيْنَ عَيْنَيْهِ مَا تُخْفِي ضَمَائِرُهُ
أَسْتَوِدِعُ اللَّهَ عَضْرًا قَدْ خَلَعَتْ بِهِ عُذْرَ الْهَوَى وَهُوَ غَضَاتٌ مَكَاسِرُهُ^(٤)

(٣) تقصيه : تبعده، والمراد تبعده من رحمتك . وضائر: ضار.

(٤) خاذل: اسم فاعل من خذله، أي ترك نصرته وإعانتة.

(٥) ذروة الشيء: أعلاه. والمجد: العز والعلاء والشرف. وقنّة كل شيء: أعلاه.

(١) الحزم: ضبط الانسان أمره، والأخذ فيه بالثقة. ومعنى خانتة معاذره: لم يجد عذراً، وكان ملوماً. والهوى: ميل النفس إلى شهواتها، والمراد الميل المذموم.

(٢) ترَبَّصَ: انتظر. وبادرة الزمان: شره.

(٣) الظرف: الكياسة، أو حسن العبارة. والسرائر: جمع سريرة، وهي السر.

(٤) خلع عذار الهوى: كناية عن ترك الحياء، والتمادي في أسباب الحب ودواعي الصبا. وغضات: جمع غضة، أي ناعمة طرية ناضرة. والمكاسر: جمع مكسر (كمنزّل) وهو موضع الكسر، ومن كلامهم: عود طيب المكسر، أي محمود. وغضاضة مكاسر الهوى: كناية عن نضارته وجدة عهده.

لَمْ يَمْضِ مِنْ حُسْنِهِ مَا كُنْتُ أَعْهَدُهُ
كَيْفَ الْوُصُولُ إِلَى حَالٍ نَعِيشُ بِهَا
إِذْ لَا صَدِيقٌ يَسُرُّ السَّمْعَ غَائِبُهُ
كُنَّا نَوَدُّ انْقِلَابًا نَسْتَرِيحُ بِهِ
فَالْقَلْبُ مُضْطَرِبٌ فِي مَا يُحَاوِلُهُ
قَدْ كَانَ فِي السَّلْفِ الْمَاضِينَ نَافِعُهُ
مَا أَبْعَدَ الْخَيْرَ فِي الدُّنْيَا لِطَالِبِهِ
أَكَلْنَا مَرًّا مِنْ دَهْرٍ أَوَائِلُهُ
إِنْ دَامَ هَذَا أَضَاعَ الرُّشْدَ كَافِلُهُ
تَنَكَّرْتُ مِصْرُ بَعْدَ الْعُرْفِ وَاضْطَرَبْتُ
فَأَهْمَلُ الْأَرْضَ جَرًّا الظُّلْمِ حَارِثُهَا
وَاسْتَحْكَمَ الْهَوْلُ حَتَّى مَا يَبِيتُ فَتَى

حَتَّى أَصَابَ سَوَادَ الْقَلْبِ نَاقِرُهُ^(٥)
وَالدَّهْرُ مَأْمُونَةٌ فِينَا بَوَادِرُهُ^(٦)
وَلَا رَفِيقَ يَرُوقُ الْعَيْنَ حَاضِرُهُ
حَتَّى إِذَا تَمَّ سَاءَتْ نَا مَصَايِرُهُ^(٧)
وَالْعَقْلُ مُخْتَبَلٌ مِمَّا يُحَازِرُهُ^(٨)
فَصَارَ فِي الْخَلْفِ الْبَاقِينَ ضَائِرُهُ^(٩)
وَأَقْرَبَ الشَّرِّ مِنْ نَفْسٍ تُحَازِرُهُ!
كَرَّتْ بِمِثْلِ أَوَالِيهِ أَوَاخِرُهُ؟
فِي مَا أَرَى وَأَطَاعَ الْغِيَّ زَاجِرُهُ^(١٠)
قَوَاعِدُ الْمُلْكِ حَتَّى رِيْعَ طَائِرُهُ^(١١)
وَاسْتَرْجَعَ الْمَالَ خَوْفَ الْعُدْمِ تَاجِرُهُ^(١٢)
فِي جَوْشَنِ اللَّيْلِ إِلَّا وَهُوَ سَاهِرُهُ^(١٣)

(٥) سواد القلب: سويداؤه وحبته. والناقر: السهم أصاب الهدف.

(٦) بوادره: صروفه ونوائبه وحوادثه، واحداثها بادرة.

(٧) مصايره: عواقبه ونهاياته وما صار إليه. ولعله يشير بهذا البيت إلى بعض الأحداث والانقلابات السياسية أيام الثورة العرابية.

(٨) اختبله الحزن ونحوه: أفسد عقله، فالعقل مختبل.

(٩) السلف: جمع سالف، وهو الماضي المنقضي. والخلف: الذين جاؤوا من بعد السلف، وقاموا مقامهم. وضائره: ضارّه.

يقول: إن هذا العقل أفاد السلف ونفعهم، ولكنه أضرّ بالخلف وأذاهم لما أصابه من الاختبال.

(١٠) كافله: راعيه، والقائم به، والداعي إليه. وزاجره: المانع منه، والناهي عنه.

(١١) تنكّرت: تغيّرت عن حال تسرّها إلى حال تكرهها. والعرف ضدّ التكر، وهو كلّ ما تعرفه النفس من الخير، وتطمئنّ إليه. وارتياح طائر الملك: كناية عن تزعزعه واضطرابه، واختلال الأمن، وشيوع الفوضى والفساد.

(١٢) جرّا الظلم: بسببه ومن أجله. والعدم: الفقر وفقدان المال وذهابه.

(١٣) استحكّم: وثق واشتد. والهول: الفرع والخوف. وجوشن الليل: وسطه أو صدره.

وَيَلْمُهُ سَكَنًا لَوْلَا الدَّفِينُ بِهِ مِنْ الْمَآثِرِ مَا كُنَّا نَجَاوِرُهُ (١٤)
أَرْضِي بِهِ غَيْرَ مَغْبُوطٍ بِنِعْمَتِهِ وَفِي سِوَاهُ الْمُنَى لَوْلَا عَشَائِرُهُ (١٥)
يَا نَفْسُ لَا تَجْزَعِي فَالْخَيْرُ مُتَظَرٌّ وَصَاحِبُ الصَّبْرِ لَا تَبْلَى مَرَائِرُهُ (١٦)
لَعَلَّ بُلْجَةَ نُورٍ يُسْتَضَاءُ بِهَا بَعْدَ الظَّلَامِ الَّذِي عَمَّتْ دِيَاجِرُهُ (١٧)
إِنِّي أَرَى أَنْفُسًا ضَاقَتْ بِمَا حَمَلَتْ وَسَوْفَ يَشْهَرُ حَدَّ السَّيْفِ شَاهِرُهُ (١٨)
شَهْرَانِ أَوْ بَعْضُ شَهْرٍ إِنْ هِيَ احْتَدَمَتْ وَفِي الْجَدِيدَيْنِ مَا تُغْنِي فَوَاقِرُهُ (١٩)
فَإِنْ أَصَبْتُ فَعَنْ رَأْيٍ مَلَكَتُ بِهِ عِلْمَ الْغُيُوبِ وَرَأْيُ الْمَرْءِ نَاطِرُهُ (٢٠)

وَقَالَ * :

أَبِإِبْلِ رَأْيِ الْعَيْنِ أَمْ هَذِهِ مِضْرُ؟ فَإِنِّي أَرَى فِيهَا عَيْونًا هِيَ السَّحْرُ (١)

(١٤) الدفين: المدفون. والمآثر: جمع مآثره، وهي المكرمه، لأنها تؤثر أي ينقلها قرن عن قرن.
ويريد بالدفين من المآثر: مكرمات آبائه وأجداده وآثارهم الصالحة. ويريد بالسكن: مصر.
(١٥) مغبوط: اسم مفعول من الغبطة، وهي أن تتمنى مثل حال المغبوط من غير أن تريد زوالها
عنه. وعشائره: قبائله وأهله، جمع عشيرة، وعشيرة الرجل: قبيلته، أو بنو أبيه الأذنون.
(١٦) المرائر: جمع مريرة، وهي عزة النفس، والعزيمة.
(١٧) البلجة: الضوء، أو ضوء الصبح. والدياجر: جمع ديجور، وهو الظلمة.
(١٨) شهر الرجل سيفه: انتضاه، وأخرجه من غمده، فرفعه على عدوه.
(١٩) احتدمت: اشتدت، وتفاقت، يريد الأمور، أو الأزمة السياسية التي عرض بها في الأبيات
السابقة. والجديدان: الليل والنهار، والمراد الدهر. والفواقر: جمع فاقرة، وهي الداهية.
(٢٠) الرأي: العقل والتدبير والحذق بالأمور.

(*) استجاب الخديوي «عباس حلمي الثاني» لرجاء الراجين، وإلحاف الملحفين، فعفا عن
البارودي، ثم عمّن بقي على قيد الحياة من رفاقه في المنفى سنة ١٨٩٩. وحينما أطل
البارودي على ربوع وطنه نظم هذه الرائية الخالدة، فكانت أنشودة العودة التي تغنى بها
الناس، وبخاصة أهل العلم والفكر والأدب في مصر وسائر البلاد العربية، وطرب لها الجيل
الجديد الذي روى شعر البارودي، وتأدّب بأدبه، ولم يسعد برؤيته إلا بعد عودته.
(١) بابل: مدينة من أعظم مدن العالم القديم، على الجانب الأيسر من نهر الفرات، كانت واسعة

نَوَاعِسَ أَيَقْظَنَ الْهَوَى بِلَوَاحِظٍ تَدِينُ لَهَا بِالْفَتَكَةِ الْبَيْضِ وَالسُّمْرِ^(٢)
 فَلَيْسَ لِعَقْلِ دُونَ سُلْطَانِهَا جِمَى وَلَا لِفُؤَادٍ دُونَ غَشِيَانِهَا سِتْرُ^(٣)
 فَإِنْ يَكُ مُوسَى أَبْطَلَ السُّحْرَ مَرَّةً فَذَلِكَ عَصْرُ الْمُعْجَزَاتِ وَذَا عَصْرُ
 فَأَيُّ فُؤَادٍ لَا يَذُوبُ صَبَابَةً وَمُزْنَةَ عَيْنٍ لَا يَصُوبُ لَهَا قَطْرُ؟^(٤)
 بِنَفْسِي وَإِنْ عَزَّتْ عَلَيَّ رَبِيبَةٌ مِنَ الْعَيْنِ فِي أَجْفَانٍ مُقْلَتِهَا فَتْرُ^(٥)
 فَتَاةٌ يَرِفُ الْبَدْرُ تَحْتَ قِنَاعِهَا وَيَخْطُرُ فِي أَبْرَادِهَا الْغُصْنُ النَّضْرُ^(٦)
 تُرِيكَ جُمَانَ الْقَطْرِ فِي أَقْحَوَانَةٍ مُفْلَجَةِ الْأَطْرَافِ قِيلَ لَهَا ثَغْرُ^(٧)

الشهرة، بعيدة الصيت، ولا تزال بعض أطلالها ماثلة بالقرب من الحلة، وقد اشتهرت في الأزمان القديمة بالسحر.

(٢) نواعس: جمع ناعسة، صفة من النعاس وهو الوسن، أي أول النوم، والمراد أنها فاترة، والفتور من محاسن عيون النساء، ودليل الخفر والحياء. والمراد باللوايحظ: النظرات الساحرة الفاتنة. وتدين: تخضع وتنقاد. والفتكة: اسم مرة من فتك الإنسان بعدوه أي انتهز منه فرصة فقتله، أو جرحه مجاهرة. والبيض: السيوف. والسمر: الرماح.

(٣) السلطان: القدرة والسطوة والسيطرة. والحمى: المكان المحمي المصون، الذي لا يقترب منه، ولا يجراً عليه. وغشيه غشياناً: جاءه، أو لابسه وباشره.

(٤) الصبابة: رقة الشوق وحرارته، أو رقة الهوى. والمزنة: السحابة، وقد شبه بها العين. ويصوب: ينزل وينصب. والقطر: المطر، والمراد الدموع الغزيرة.

(٥) ربيبة: فعيلة بمعنى مفعولة، من ربه أي رياه، والمراد ناضجة تامة النمو. والعيون: الحسان العيون، جمع عيناء وهي صفة من عين، أي عظم سواد عينه في سعة مستحسنة. والأجفان: جسع جفن، وهو غطاء العين من أعلاها وأسفلها. والمقلة: العين. والفتور: الضعف والسكون.

(٦) يرف: يتلأأ ويضيء. والقناع: ما تغطي به المرأة رأسها ومحاسنها. ويخطر: يهتز. والأبراد: جمع برد وهو ثوب مخطط، أو ثوب موسى. والنضر: الحسن الجميل.

(٧) الجمان: حب يتخذ من الفضة على أشكال اللؤلؤ أو هو اللؤلؤ الصغار. والقطر: جمع القطرة من الماء. وجمان القطر: القطر الشبيه بالجمان. والمراد الأسنان. والأقحوان: نبت طيب الريح، حواليه ورق أبيض ووسطه أصفر. ومفلجة الأطراف: أي أطرافها مفترقة، غير متصلة، وهو وصف للأقحوانة. والمراد أسنان المتغزل بها، وقد شبهها بالأقحوانة. والمراد الفلج، وهو افتراق الأسنان خلقة. والثغر: الأسنان، أو ما تقدم منها.

تَدِينُ لِعَيْنَيْهَا سَوَاحِرُ « بَابِلِ »
فِي رَبَّةِ الْخِذْرِ الَّذِي حَالَ دُونَهُ
أَمَّا مِنْ وَصَالٍ أَسْتَعِيدُ بِأَنْسِيهِ
رَضِيْتُ مِنَ الدُّنْيَا بِحُبِّكَ عَالِمًا
فَلَا تَحْسَبِي شَوْقِي فَكَاهَةَ مَازِحِ
هَوَى كَضْمِيرِ الزَّنْدِ لَوْ أَنَّ مَدْمَعِي
إِذَا مَا أَتَيْتُ الْحَيَّ فَارَتْ بِغَيْظِهَا
يَظُنُّونَ بِي شَرًّا وَلَسْتُ بِأَهْلِيهِ
وَمَاذَا عَلَيْهِمْ إِنْ تَرَنَّمْ شَاعِرُ

وَتَسْكُرُ مِنْ صَهْبَاءِ رِيْقَتِهَا الْخَمْرُ^(٨)
ضَرَاغِمُ حَرْبٍ غَابِهَا الْأَسْلُ السُّمْرُ^(٩)
نَضَارَةُ عَيْشٍ كَانَ أفسدَهُ الْهَجْرُ^(١٠)
بِأَنَّ جُنُونِي فِي هَوَاكِ هُوَ الْفَخْرُ
فَمَا هُوَ إِلَّا الْجَمْرُ أَوْ دُونَهُ الْجَمْرُ
تَأَخَّرَ عَنْ سُقْيَاهُ لِاحْتِرَقَ الصَّدْرُ^(١١)
قُلُوبُ رِجَالٍ حَشُوا آمَاقِهَا الْغَدْرُ^(١٢)
وَوَظَنُ الْفَتَى مِنْ غَيْرِ بَيْنَةٍ وَزُرُ^(١٣)
بِقَافِيَةٍ لَا عَيْبَ فِيهَا وَلَا نَكْرُ^(١٤)

(٨) تدين: تخضع وتذلّ وتنقاد. والصهباء: الخمر، أو المعصورة من عنب أبيض، إذا كان لونها يضرب إلى البياض. والريقة: الريق والرضاب، وهو ماء الفم ولعابه. وصهباء ريقتها: ريقتها الشبيهة بالصهباء.

(٩) ربة: صاحبة. والخدر في الأصل: ستر يمدّ للجارية في ناحية البيت. وضراغم: جمع ضرغم، وهو الأسد. والغاب: جمع غابة، وهي الأجمة، ذات الشجر الكثير المتكاثف. والأسل: الرماح، وهو في الأصل عيدان تنبت طويلاً دقاقاً مستوية لا ورق لها، واحده أسلة، وتشبه الرماح بالأسل في اعتدالها وطولها واستوائها ودقة أطرافها. والسمر: جمع أسمر، صفة من السمرة، وهي من صفات الرمح.

(١٠) الأنس: الطمأنينة، وهو ضدّ الوحشة. ونضارة العيش: بهجة الحياة وحسنها وبهاؤها ورونقها.
(١١) الزند: العود الذي تقدح به النار، ويريد بضمير الزند: ما فيه من نار كامنة. والسقيا: اسم من سقاه الله الغيث، وأسقاه.

(١٢) فارت القدر ونحوها: جاشت وغلت. والآماق: جمع مؤق وهو طرف العين مما يلي الأنف، أو هو مقدمها، أو مؤخرها.

(١٣) البيّنة: الحجّة والبيان والبرهان. والوزر: الإثم والذنب.

(١٤) ترنّم: رجّع صوته وغنى. والقافية: من آخر البيت إلى أول متحرك قبل ساكن بينهما، والمراد بالقافية هنا: القصيدة. والنكر: المنكر، وهو العيب والأمر القبيح.

أَبِي الْحَقِّ أَنْ تَبْكِي الْحَمَائِمُ شَجْوَهَا
وَأَيُّ نَكِيرٍ فِي هَوَى شَبِّ وَقْدِهِ
فَلَا يَبْتَدِرُنِي بِالمَلَامَةِ عَاذِلُ
إِذَا لَمْ يَكُنْ لِلْحُبِّ فَضْلٌ عَلَى النَّهْيِ
وَكَيْفَ أُسُومُ الْقَلْبَ صَبْرًا عَلَى الْهَوَى
لِيَهْنَ الْهَوَى إِنْ خَضَعْتُ لِحُكْمِهِ
وَإِنِّي امْرُؤٌ تَأْبَى لِي الضَّمِيمَ صَوْلَةً
أَبِي عَلَى الْحَدَثَانِ لَا يَسْتَفْزِنِي
إِذَا صُلْتُ صَالَ الْمَوْتُ مِنْ وَكَرَاتِهِ

وَقَالَ :

- (١٥) الشجوة: الهم والحزن. ويبلى: يمتحن ويختبر، والمراد يبلى بالشر، ويصاب بالأذى والمكروه.
- (١٦) شَبِّ وَقْدِهِ: اتَّقَدْت نَارَهُ. وِبَاحَ بِهِ: أَظْهَرَهُ.
- (١٧) يَبْتَدِرُنِي بِالمَلَامَةِ: يَعْجَلُنِي بِاللُّومِ. وَعَاذِلُ: لَائِمٌ.
- (١٨) الْفَضْلُ: الزِّيَادَةُ. وَالنَّهْيُ: الْعَقُولُ. وَلَهُ قَدْرٌ: لَهُ شَأْنٌ وَمَنْزِلَةٌ وَحَرَمَةٌ وَوَقَارٌ.
- (١٩) أُسُومُهُ: أَكَلَفَهُ وَأَجْشَمَهُ.
- (٢٠) أَبِي الشَّيْءِ يَا بَاهُ: كَرِهَهُ، وَعَافَهُ، وَلَمْ يَرْضَهُ. وَتَأْبَى صَوْلَتَهُ الضَّمِيمَ: أَي صَوْلَتَهُ تَكْرَهُ لَهُ أَنْ يَضَامَ، أَي تَدْفَعُ عَنْهُ الضَّمِيمَ، وَتَرُدُّهُ، وَتَسْبِغُ عَلَيْهِ الْعِزَّةَ وَالْمَنْعَةَ. وَالضَّمِيمُ: الظُّلْمُ. وَالصَّوْلَةُ: السُّطُورَةُ وَالْبَأْسُ. وَالْمَعْتَرِكُ: مَوْضِعُ الِاعْتِرَاكِ، وَهُوَ الْقِتَالُ.
- (٢١) أَبِي: ذُو إِبَاءٍ، أَي شَدِيدٌ، جَلْدٌ، مَمْتَنَعٌ. وَالْحَدَثَانِ: صُرُوفُ الدَّهْرِ وَنَوَائِبُهُ وَخَطُوبُهُ. وَلَا يَسْتَفْزِنِي: لَا يَسْتَخْفِنِي، وَلَا يَزْعَجُنِي. وَالسَّاحَةُ: النَّاحِيَةُ، وَفَضَاءٌ بَيْنَ دَوْرِ الْحَيِّ، وَالْمَوْضِعُ الْمَتَّعُ أَمَامَ الدَّارِ. وَالذَّعْرُ: الْخَوْفُ وَالْفَزَعُ.
- (٢٢) صَالَ الرَّجُلُ فِي الْحَرْبِ: هَجَمَ وَوَثَبَ عَلَى عَدُوِّهِ. وَصَالَ: سَطَا وَبَطَشَ وَاسْتَطَالَ. وَالوَكْرَاتُ: جَمْعُ وَكْرَةٍ، وَهِيَ عَشُّ الطَّائِرِ، كَالوَكْرِ، وَالْمَرَادُ بِوَكْرَاتِ الْمَوْتِ: مَكَامِنُهُ وَمَوَاضِعُهُ. وَالْأَعْنَةُ: جَمْعُ عَنَّانٍ، وَهُوَ سِيرُ اللِّجَامِ الَّذِي تَمَسَّكُ بِهِ الدَّابَّةُ. وَإِرْحَاءُ الشَّعْرِ أَعْنَتُهُ: كِنَايَةٌ عَنْ يَسْرِهِ وَانْقِيَادِهِ لِلشَّاعِرِ.

لِلشُّعْرِ فِي الدَّهْرِ حُكْمٌ لَا يُغَيِّرُهُ
يَسْمُو بِقَوْمٍ وَيَهْوِي آخِرُونَ بِهِ
لَهُ أَوَابِدٌ لَا تَنفَكُ سَائِرَةٌ
مِنْ كُلِّ عَائِرَةٍ تَسْتَنُّ فِي طَلْقِ
تَجْرِي مَعَ الشَّمْسِ فِي تَيَّارِ كَهْرَبَةٍ
تُطَارِدُ الْبَرْقَ إِنْ مَرَّتْ وَتَتْرِكُهُ
صَحَائِفٌ لَمْ تَزَلْ تُتَلَّى بِالسِّنَةِ
يَزْهَى بِهَا كُلُّ سَامٍ فِي أُرُومَتِهِ
فَكَمْ بِهَا رَسَخَتْ أَرْكَانُ مَمْلَكَةٍ
مَا بِالْحَوَادِثِ مِنْ نَقْضٍ وَتَغْيِيرٍ .
كَالدَّهْرِ يَجْرِي بِمَيْسُورٍ وَمَعْسُورٍ^(١)
فِي الْأَرْضِ مَا بَيْنَ إِدْلَاجٍ وَتَهْجِيرٍ^(٢)
يَغْتَالُ بِالْبُهْرِ أَنْفَاسَ الْمَحَاضِيرِ^(٣)
عَلَى إِطَارٍ مِنَ الْأَصْوَاءِ مَسْعُورٍ^(٤)
فِي جَوْشِنٍ مِنْ حَبِيكَ الْمَزْنِ مَزْرُورٍ^(٥)
لِلدَّهْرِ فِي كُلِّ نَادٍ مِنْهُ مَعْمُورٍ^(٦)
وَيَتَّقِي الْبَاسَ مِنْهَا كُلُّ مَغْمُورٍ^(٧)
وَكَمَّ بِهَا خَمَدَتْ أَنْفَاسُ مَغْرُورٍ^(٨)

(١) يسمو: يعلو ويرتفع .

(٢) الأوابد: القوافي الشرد: والمراد القصائد الذائعة السائرة في البلاد، واحدها أبدة . والإدلاج: سير الليل، أو هو السير من أول الليل . والتهجير: السير في الهاجرة، وهي نصف النهار عند زوال الشمس مع الظهر .

(٣) عائرة: قصيدة سائرة، على التشبيه بالفرس العائرة التي تنطلق مسرعة في مرح ونشاط كأنها منفلثة . وتستن: تجري في قوة ونشاط . والطلق: الشوط، والغاية التي يجري إليها الفرس . ويغتال: يهلك . والبهر: النهج، وتتابع النفس وانقطاعه من الإعياء والتعب الشديد . والمحاضير: جمع محضير، وهو الفرس الشديد الحضر الذي يرتفع في عدوه .

(٤) مسعور: متوقد مشتعل، اسم مفعول من سعرت النار، أي ألهبتها وأوقدتها .

(٥) الجوشن: الدرع . وحبيك المزن: السحاب المجتمع المتراكم الشبيه بالثوب المحبوك . ومزرور: اسم مفعول من زرَّ الإنسان القميص إذا شدَّ أزراره .

(٦) تتلى: تقرأ . والنادي: المجلس يندو إليه القوم، أي يجتمعون فيه، قيل: ولا يسمى نادياً حتى يكون فيه أهله .

(٧) يزهى: يعجب ويفتخر . وسام: مرتفع نابه عظيم القدر . والأرومة: الأصل . والبأس: العذاب والشر . ومغمور: خامل خفي ساقط لا نباهة له .

(٨) رسوخ أركان المملكة: استقرار الملك وعزته وقوته . وخمدت الأنفاس: سكنت، من خمدت النار إذا سكن لهيها، ومغرور: مخدوع، والمراد الجريء المزهو المعجب بنفسه .

وَالشُّعْرُ دِيوانُ أَخلاقِ يَلُوحُ بِهِ
 كَمَ شادَ مَجْداً وَكَمَ أودى بِمَنْقَبَةٍ
 أَبقى زُهَيْرُ بِهِ ما شادَهُ هَرَمُ
 وَقَلَّ جَرولُ عَرَبَ الزُّبْرِقانِ بِهِ
 أَخزى جَريرُ بِهِ حَيَّ النُّميرِ فَمَا
 لَوَلاً أَبُو المَطيبِ المائُورُ مَنطِقَهُ
 ما خَطَّهُ الفِكرُ مِنْ بَحْثٍ وَتَنقيرِ
 رَفَعاً وَخَفَضاً بِمَرَجُوٍّ وَمَحذُورِ^(٩)
 مِنَ الفَخارِ حَدِيثاً جَدَّ مائُورِ^(١٠)
 فَباءُ مِنْهُ بِصَدْعٍ غَيرِ مَجْبُورِ^(١١)
 عَادُوا بِغَيرِ حَدِيثِ مِنْهُ مَشهُورِ^(١٢)
 ما سارَ في الدَّهْرِ يَوماً ذِكرُ كَافُورِ^(١٣)

وَقَالَ :

فُؤادِي وَالهُوى قَدَحٌ وَخَمْرُ
 يَلُومُونِي عَلى كَلْفِي بِليلى
 لَهَا خَدُّ بِهِ لِلحُسنِ وَرَدُّ
 أَمَ في ذاكِ لي طَرَبٌ وَسُكْرُ؟
 وَليلى في سَماءِ الحُسنِ بَدْرُ^(١)
 وَلحَظٌ فيهِ لِلمَلَكينِ سِحرُ^(٢)

- (٩) المنقبة: المفخرة. ومحذور: اسم مفعول من حذرت الشيء، إذا خفته واحترزت منه.
- (١٠) زهير بن أبي سلمى المزني: شاعر جاهلي جليل القدر. وهرم بن سنان بن أبي حارثة المري: كان هرم من سادات العرب وأجوادهم في الجاهلية. والفخار: الفخر والتمدح بالخصال الحميدة.
- (١١) فلّ غربه: ثلم حدّه، وكسر شوكته. وجرول: اسم الحطيثة العبسي الشاعر المشهور الهجاء المدّاح، هجا الزبيرقان بن بدر التميمي السعدي.
- (١٢) جرير بن عطية بن الخطفي: شاعر إسلامي، مات باليمامة سنة ١١٠ هـ. وحيّ النمير: قبيلة من بني عامر بن صعصعة من هوزن، وهوازن من قيس عيلان أحد شعوب مضر، وسبب هجاء جرير لنمير أن الراعي النميري شاعر هذه القبيلة كان قد استفز جريراً، وأهانته، واستخفّ به، فهجاه جرير، وهجا قومه بقصيدة طويلة.
- (١٣) أبو الطيب أحمد بن الحسين المتنبّي المتوفى سنة ٣٥٤ هـ. وأبو المسك كافور بن عبد الله الإخشيدّي من أمراء مصر المشهورين.
- (١) الكلف: الولوج والغرام.
- (٢) اللحظ: النظر بمؤخر العين، والمراد: عيناها الجميلتان الساحرتان، أو نظراتها الفاتنة الساحرة. ويريد بالملكين: هاروت وماروت اللذين أشار الله إلى قصتهما في القرآن الكريم.

تَضُنُّ عَلَيَّ بِالتَّسْلِيمِ تَيْهًا وَهَلْ فِي سُنَّةِ التَّسْلِيمِ وَزْرٌ؟ (٣)
يَلُوحُ جَبِينُهَا فِي طُرَّتَيْهَا كَمَا أَوْفَى عَلَى الظَّلْمَاءِ فَجْرٌ (٤)
وَتَبَسُّمٌ عَنِ جُمَانٍ فِي عَقِيقِ يُقَالُ لَهُ بِحُكْمِ الذُّوقِ ثَغْرٌ (٥)

وَقَالَ :

أَبِي الضَّيِّمِ فَاسْتَلَّ الحُسَامَ وَأَصْحَرَآ وَذُو الحِلْمِ إِنْ سِيمَ الهَوَانَ تَنَمَّرَا (١)
وَطَارَتْ بِهِ فِي مُلْتَقَى الخَيْلِ عَزْمَةٌ أَعَادَتْ جَبِينَ الصُّبْحِ بِالنَّقْعِ أَكْدَرَا (٢)
فَرَدَّ ذُبَابَ المَشْرِفِيِّ مُثْلَمًا وَعَادَرَ صَدْرَ السَّمْهَرِيِّ مُكْسَرَا (٣)
جِلَادُ امْرِئٍ آلَى بِقَائِمِ سَيْفِهِ عَلَى المَجْدِ أَنْ يُولِيَهُ نَصْرًا مُؤَزَّرَا (٤)

(٣) تيهًا: عجباً وكبراً. والوزر: الإثم والذنب.

(٤) الجبين: الجبهة، أو هو ناحيتها فوق الصدغ. وهما جبينان عن يمين الجبهة وشمالها. وطرتهاها: مثنى طرة، وهي الشعر الذي تصفغه المرأة على جبهتها. وأوفى على الشيء: أشرف عليه.

(٥) الجمَان: اللؤلؤ، أو هنوات كاللآلئ من الفضة، الواحدة جمانة، وتشبه الأسنان بالجمان في الصفاء والنقاء والبياض واللمعان. والعقيق: حجر كريم أحمر اللون غالباً. والثغر: مقدم الأسنان، وما يبدو منها عند الابتسام، ويطلق على الفم.

(١) أبى: امتنع، ولم يقبل. والضيم: الظلم. واستل: انتزع وأخرج. والحسام: السيف القاطع. وأصحر: خرج إلى الصحراء، والمراد برز وظهر لعدوه لا يواريه شيء، وهذا كناية عن الشجاعة والجرأة وشدة البأس. وسيم الهوان: كلف الذل، وحمل عليه. وتنمر: تنكر وتغير، وأوعد وغضب، لأن النمر لا يرى إلا متنكراً غضبان فاتكاً.

(٢) يريد بملتقى الخيل: ساحة الحرب حيث يلتقي الفرسان والأبطال للقتال والنزال. والعزمة: الإرادة القاطعة القويّة. والنقع: الغبار الساطع الذي تثيره حركات المتحاربين وسنابك خيلهم. وأكدر: صفة من الكدر، وهو نقيض الصفاء.

(٣) ذباب السيف: حدّه، أو طرفه. والمشرفي: السيف، نسبة إلى المشارف، وهي قرى من أرض اليمن تشتهر بصنع السيوف. ومثلماً: مفاولاً مكسراً. والسهمري: الرمح الصلب، نسبة إلى رجل اسمه «سمهر» كان يثقف الرماح ويقومها وبيعها. وصدر السهمري: سنانه وأعلاه.

(٤) الجلاذ: القتال بالسيوف. وآلى: أقسم وحلف. وقائم السيف: مقبضه. ومؤزراً: قوياً بالغاً شديداً.

جَدِيدٌ إِذَا مَا هَمُّ أَنْ يَكْسُوَ الْقَنَا
وَمَا كُلُّ مَنْ سَاسَ الْأَعِنَّةَ فَارِسًا
وَيَبِضُّ الظُّبَا ثَوْبًا مِنَ الدَّمِ أَحْمَرًا^(٥)
وَلَا كُلُّ مَنْ نَاشَ الْأَسِنَّةَ قَسُورًا^(٦)
وَقَالَ :

حَبُّدَا الرَّاحُ فِي أَوَانِ الْبَهَارِ
وَرَنْبِينُ الْأُوتَارِ فِي فَلَقِ الصُّبِّ
بَيْنَ جَوْمَعِ الْغَمَائِمِ سَارٍ
مَنْظَرٌ يَفْتِنُ الْعُقُولَ وَيَجْلُو
إِنَّ عَصَرَ الشَّبَابِ فِينَا مُعَارٌ
فَاسْرَحَا وَامْرَحَا فَقَدْ آذَنْتَنَا
وَأَقْتِرَانُ الْكُؤُوسِ بِالنُّوَارِ^(١)
حِجْرٌ وَسَجْعُ الطُّيُورِ فِي الْأَوْكَارِ^(٢)
وَفَضَاءٌ مَعَ الْجَدَاوِلِ جَارِي^(٣)
صَفْحَاتِ الْقُلُوبِ وَالْأَبْصَارِ^(٤)
وَاللِّيَالِي تَرُدُّ كُلَّ مُعَارٍ^(٥)
نَسَمَاتُ الصُّبَا بِخَلْعِ الْعِذَارِ^(٦)

- (٥) القنا: الرماح، الواحدة قناة. والبيض: جمع الأبيض، وهو من صفات السيف. والظبا: جمع ظبة، وهي حدّ السيف ونحوه.
- (٦) الأعنة: جمع عنان وهو سير اللجام الذي تمسك به الدابة. وناشه بيده: أخذه وتناوله. والأسنة: جمع سنان، وهو حديدة الرمح التي يكون بها الطعن، والمراد بالأسنة: الرماح. وقصور: قوي شجاع.
- (١) الراح: الخمر. والبهار: نبت طيب الريح، أو هو أزهار البادية، أو هو العرار الذي يقال له عين البقر، وهو نبت جعد، له زهرة صفراء تنبت أيام الربيع، يقال لها العرارة، والشاعر يريد بأوان البهار: زمن تفتح الأزهار في فصل الربيع. والنوار: الزهر، واحدته نؤارة.
- (٢) الأوتار: أسلاك العود ونحوه من آلات الطرب والموسيقى والغناء. وفلق الصبح: ضوءه. وسجع الطيور: هديلها وتغريدها. والأوكار: جمع وكر، وهو عش الطائر.
- (٣) الغمائم: السحاب، الواحدة غمامة.
- (٤) يفتن: يعجب ويروق ويستميل. ويجلو: يصقل.
- (٥) معار: اسم مفعول من قولهم: استعاره ثوباً، فأعاره إياه.
- (٦) آذنتنا: أعلمتنا. والصبأ: ريح تهب من مطلع الشمس، وهي أحب الرياح إلى العرب، ومقابلتها الدبور. والعذار: السير الذي على حدّ الدابة من اللجام. وخلع العذار: كناية عن الاستهتار والخلاعة.

وَاعْنَمَا صَفْوَةَ الرَّبِيعِ بِدَاراً
 هُوَ فَضْلٌ تَخْتَالُ فِيهِ غُصُونُ الدِّ
 مَائِسَاتٍ مِثْلَ الْعَذَارَى عَلَيْهَا
 غَمَزَتْهَا يَدُ الصَّبَا فَتَلَوْتُ
 رَشَفْتُ خَمْرَةَ النَّدَى مِنْ كُؤُوسِ الدِّ
 قَانَتْهُ يَا نَدِيمٌ وَاسْتَصْبَحَ السَّاءِ
 وَاسْقِيَانِي وَغَنِّيَانِي بِلَحْنِ
 فَلَقَدْ آذَنَ الشُّتَاءُ بِسَيْرِ
 وَاسْتَدَارَ النَّهَارُ حَتَّى تَسَاوَتْ
 فَالْأَمَانِي مَعْقُودَةٌ بِالْبِدَارِ (٧)
 رَوْضٍ فِي حَلِيَّةٍ مِنَ الْأَزْهَارِ (٨)
 مِنْ ثِيَابٍ دُرِّيَّةٍ الْأَزْرَارِ (٩)
 رَاقِصَاتٍ عَلَى غِنَاءِ الْقَمَارِيِّ (١٠)
 زَهْرٍ حَتَّى تَمَائِلَتْ مِنْ خُمَارِ (١١)
 قِي بِكَأْسٍ تَفِيضُ بِالْأَنْوَارِ (١٢)
 يَبْعَثُ النَّفْسَ مِنْ إِسَارِ الْوَقَارِ (١٣)
 وَاسْتَهَلَّتْ طَلَائِعُ النُّوبَهَارِ (١٤)
 كَفَّتَاهُ بَيْنَ الدُّجَى وَالنَّهَارِ (١٥)

وَقَالَ يَفْتَخِرُ :

- (٧) بداراً: مصدر بادرت إلى الأمر مبادرة وبادراً، أي عاجلته، وسارعت إليه.
- (٨) تختال: المراد تهتز وتتمايل، كالمتبختر المزهو المعجب بنفسه. والرّوض: جمع روضة، وهي أرض ذات مياه وعشب وكلاً وشجر وزهر. والحلية: ما تتزين به المرأة من المصوغات والجواهر ونحوها.
- (٩) مائسات: متبخترات، والمراد أنها تهتز وتتمايل كما تميمس العذارى وتتهادى وتختال. والعذارى: جمع عذراء، وهي الفتاة البكر. ودريّة: نسبة إلى الدر، وهو اللؤلؤ.
- (١٠) غمزتها: مستها. وتلوت: تثنت. والقماري: ضرب من الحمام، الواحدة قمرية.
- (١١) خمرة الندى: أي الندى الشبيه بالخمير. وكؤوس الزهر: الزهر الشبيه بالكؤوس. والخمار: السكر وتأثير الخمر في شاربها.
- (١٢) انتبه: استيقظ. والنديم: من ينادمك، أي يجالسك على الشراب. واستصبح الساقى: اطلب إليه الصبح، مصدر صبحه، أي سقاه الصبوح، وهي الخمر تشرب في الصباح.
- (١٣) الإسار: القد، وهو سير يشدّ به الأسير ويقيّد، والإسار أيضاً: اسم من أسره أسراً وإساراً. والوقار: الرزاة والحشمة والتصون.
- (١٤) طلّاع النوبهار: مقدّمات الربيع وأوائله.
- (١٥) المراد بكفتي النهار: طرفاه. والدجى: جمع دجية وهي الظلمة، والمراد بالدجى: الليل.

يَلُومُونِي فِي الْجُودِ وَالْجُودُ مُزْنَةٌ
إِذَا الْإِمْرُءُ لَمْ يُنْفِقْ مِنَ الْمَالِ وَسِعَ مَا
إِذَا هَمَلْتُ فِي مَوْضِعٍ نَبَتَ الشُّكْرُ^(١)
دَعْتُهُ الْمَعَالِي فَالثَّرَاءُ هُوَ الْفَقْرُ
وَقَالَ :

أَرَى كُلَّ شَيْءٍ عُرْضَةً لِلتَّغْيِيرِ
تَرَسَّمُ فِضَاءَ الْأَرْضِ شَرْقًا وَمَغْرِبًا
فَمَا بَالُنَا بَعْدَ الْحَقِيقَةِ نَمْتَرِي^(١)
عَسَاكَ تَرَى آثَارَ كِسْرَى وَقَيْصَرَ^(٢)
وَقَالَ :

الْأَيْمَتِي كُفِّي الْمَلَامَ عَنِ الَّذِي
فَلَوْلَا سُرَى الْبَدْرِ الْمُنِيرِ لَعَاقَهُ
أَحَاوِلُهُ مِنْ رِحْلَةٍ وَسِفَارِ^(١)
عَنِ التَّمِّ بُبْتُ فِي مَغِيبِ سِرَارِ^(٢)

(١) المزنة : السحابة .

(١) البال : الحال والشأن . ونامتري : نشك ورتاب .

(٢) ترسم : تأمل وانظر . وكسرى : لقب ملك الفرس ، معرب خسرو أي واسع الملك . وقيصر : لقب ملك الروم .

(١) أحاوله : أريده وأعالجه ، من المحاولة ، وهي طلب الشيء بالحيلة .

(٢) عاقه : منعه وجبسه وصرفه ، والتّم : مصدر تمّ الشيء يتمّ تماماً وتمام القمر : أن يمتلئ ويتم ويصير بديراً . والسرار : آخر ليلة من الشهر القمري حين يستسر القمر ، أي يستتر ويختفي .

قافية الزابي

قال يُقَرِّظُ (★) ديوان « حافظ بك إبراهيم » (★★) :

هَيْهَاتَ لَيْسَ لِحَافِظٍ مِنْ مُشْبِهِ فِي الْقَوْلِ غَيْرُ سَمِيهِ الشِّيرَازِي (١)
جَارَاهُ فِي حُسْنِ الْبَيَانِ وَقَاتَهُ فِي الْمَنْطِقِ الْعَرَبِيِّ بِالْإِعْجَازِ (٢)
لَبِقٌ بِتَصْرِيفِ الْكَلَامِ يَسُوقُهُ مَا شَاءَ بَيْنَ سُهُولَةٍ وَعَزَازِ (٣)
فَإِذَا تَغَزَّلَ فَالْنُفُوسُ نَوَازِعُ وَإِذَا تَحَمَّسَ فَالْقُلُوبُ نَوَازِي (٤)

(★) يقَرِّظه: يمدحه، ويشني عليه.

(★★) حافظ بك إبراهيم الشاعر المصري المشهور، كان مستخدماً بوزارة الحربية، ثم وزارة الداخلية، ثم رئيساً للقسم الأدبي بدار الكتب المصرية، توفي في يولييه سنة ١٩٣٢ م وتولت وزارة المعارف طبع ديوانه سنة ١٩٣٧ بمطبعة دار الكتب المصرية بالقاهرة. وقد جمع «حافظ» في حياته بعض شعره، ونشره في ثلاثة أجزاء: الأول سنة ١٣١٩ هـ (١٩٠١ م) والثاني في سنة ١٣٢٥ هـ (١٩٠٧ م) والثالث سنة ١٣٢٩ هـ (١٩١١ م).

(١) سَمِيهِ: نظيره، ومن اسمه كاسمه. والشيرازي: هو شمس الدين محمد، الشهير بحافظ الشيرازي، المتوفى سنة ٧٩٢ هـ، وله ديوان شعر باللغة الفارسية، يعرف بديوان حافظ، متداول مشهور ببلاد الفرس.

(٢) جاراه: جرى معه، وشاكله وشابهه.

(٣) لبِق: رفيق حاذق. وتصريف الكلام: تنويعه وتقليبه وتوجيهه. والعزاز: ما صلب من الأرض واشتد.

(٤) نوازِع: مشتاقة متصابية. وتحَمَّس: اشتدَّ وصلب في قوله، وحضَّ على الحماسة والشجاعة. ونواز: متوثبة متحمسة طامحة.

كَالصَّارِمِ الْبِتَّارِ فِي إِفْرِنْدِهِ وَصِقَالِهِ وَالْمَارِنِ الْهَزْهَازِ^(٥)
حَاكَ الْقَرِيضَ بِلَهْجَةٍ عَرَبِيَّةٍ أَغْنَتْ عَنِ الْإِسْهَابِ بِالْإِيْجَازِ^(٦)
الْفَاطِهَا نَمَّتْ عَلَى مَا تَحْتَهَا وَصُدُورُهَا دَلَّتْ عَلَى الْأَعْجَازِ^(٧)
فَإِذَا تَلَاهَا قَارِيءٌ لَمْ يَشْتَبِهْ فِي الْقَوْلِ بَيْنَ حَقِيقَةٍ وَمَجَازِ
عَبَقَتْ كَأَنْفَاسِ النَّسِيمِ تَعَلَّقَتْ بِالرُّوْضِ غَبَّ الْعَارِضِ الْمُجْتَازِ^(٨)
قَدْ كَانَ جَيْدُ الْقَوْلِ عُطْلًا قَبْلَهُ فَحَبَّاهُ أَحْسَنَ حَلِيَّةٍ وَطِرَازِ^(٩)
مَلَكَتْ مَوَدَّتُهُ الْقُلُوبَ فَأَصْبَحَتْ تَلْقَاهُ بِالتَّوْقِيرِ وَالْإِعْزَازِ^(١٠)
لَا زَالَ يَبْلُغُ شَأَوْ كُلِّ فَضِيلَةٍ بِمَضَاءِ صَمْصَامٍ وَصَوْلَةِ بَازِ^(١١)

(٥) الصارم والبتار: السيف القاطع. وإفrend السيف: جوهره ووشيه وماؤه ورونقه. وصقاله: جلاؤه. والمارن: من صفات الرمح، يقال: رمح مارن، إذا كان مع صلابته لدناً أي ليناً. والهزهاز: المهتز.

(٦) حاك القريض: نسج الشعر، ولاءم بين أجزائه، وأجاد صياغته وتأليفه، والإسهاب: مصدر أسهب المتكلم، أي أكثر الكلام وأطاله. والإيجاز: إقلال الكلام في بلاغة ووفاء بالغرض.

(٧) صدورها: أوائلها، جمع صدر. وأعجازها: أواخرها، جمع عجز.

(٨) عبقت: لصقت وبقيت، من قولهم: عبق به الطيب أي لزق، والمراد: بقيت في نفس القارئ آثارها الطيبة. والروض: الحدائق والغياض وما شابهها، ومنابت الشجر والزهر، الواحدة روضة. وغبب: بعد. والمراد بالعارض المجتاز: السحاب الذي مرّ بسماء هذه الرياض فأمطرها وجادها، وكساها ثياب الغضارة والنضارة.

(٩) الجيد: العنق. وعطل: خال من الحلى والزينة. وحباه: أعطاه ومنحه. والحلية: ما تتزين به المرأة من مصوغ المعدنيات والحجارة الكريمة، والحلية أيضاً: الزينة. والطرز: علم الثوب، وما يكون فيه من وشي وزينة، وطرزت الثوب تطريزاً: جعلت له طرازاً.

(١٠) التوقير: الإجلال والإكبار والتعظيم. والإعزاز: الإكرام.

(١١) الشأو: الأمد والغاية. وسيف صمصام: صارم قاطع لا ينثني ولا ينبو. والصولة: الوثوب والسطوة. والبازي والباز: ضرب من الصقور، يضرب المثل بقوته وإبعاده في الطيران.

قافية السنين

قَالَ يَصِفُ رَوْضَةَ الْمِقْيَاسِ * :

هَلْ فِي الْخَلَاعَةِ وَالصُّبَا مِنْ بَاسٍ بَيْنَ الْخَلِيحِ وَرَوْضَةِ الْمِقْيَاسِ؟ (١)
 أَرْضٌ كَسَاهَا النَّيْلُ مِنْ إِبْدَاعِهِ وَلِبَاسِهِ الْمَوْشِيَّ أَيَّ لِبَاسِ (٢)
 فَكَأَنَّهَا هَوَتْ الْمَجْرَةَ بَيْنَهَا فَتَشَكَّلَتْ فِي جُمْلَةِ الْأَغْرَاسِ (٣)
 يَتَلَهَّبُ النُّوَارُ فِي أَطْرَافِهَا فَتَخَالُهُ قَبْسًا مِنَ الْأَقْبَاسِ (٤)
 لَوْلَا مِسَاسُ الطَّلِّ أَحْرَقَ ضَوْؤُهُ ذَيْلَ الْخَمَائِلِ رَطْبَهَا وَالْعَاسِي (٥)

(★) روضة المقياس: جزيرة جميلة طيبة الهواء في نهر النيل، شرقي الجزيرة وغربي مصر القديمة، وفي جنوبي هذه الجزيرة مقياس تقاس به مياه النيل إبان فيضانه وانخفاضه.
 (١) الخلاعة: الانهماك في أسباب اللهو ودواعيه، كأن صاحبها خلع عذاره، وأعطى نفسه هواها.
 وبأس: خوف وحرص. والخليج: جدول كان يتفرع من النيل بالقرب من مصر القديمة وروضة المقياس.

(٢) الإبداع: مصدر أبداع المبدع، أي أتى بأمر لم يسبقه أحد إليه. والموشى: المنقوش المزخرف، المختلف الألوان، البهيج المنظر.

(٣) المجرة: نجوم كثيرة تبدو في السماء دقيقة متقاربة مختلطة الضوء كالبياض المعترض في السماء. وتشكلت: تصورت، أي المجرة. والأغراس: جمع غرس، وهو الشجر المغروس.
 (٤) يتلهب: يتقد. والنوار: الزهر، واحده نواره. وتخاله: تظنه. والقبس: الشعلة من النار، والجمع أقباس.

(٥) الطل: المطر الضعيف القليل، والمراد قطرات الندى التي تكون على أوراق الزهر في الصباح. والخمائل: جمع خميلة، وهي الشجر الكثير المجتمع الملتف. والعاسي: اليابس الجاف.

تَصْبُو الْعُيُونُ إِلَى سَنَاةٍ فَتَرْتَمِي
لَوْ شَامَ بَهْجَتَهَا وَحُسْنَ رُؤَايَهَا
مَلَهَى أَخِي طَرِبٍ وَمَلْعَبُ صَبْوَةٍ
مَا كُنْتُ فِي عُمْرِي لِأَغْدُو نَحْوَهَا
يَا سَاقِيَّ تَنَّبَهَا فَلَقَدْ بَدَا
طُوفًا عَلَيَّ بِهَا فَقَدْ نَمَّ الصَّبَا
مِنْ خَمْرَةٍ أَفْنَى الزَّمَانِ شَبَابَهَا
حُيِّسَتْ عَنِ الْأَبْصَارِ حَتَّى أَنَهَا

مَهْوَى الْفَرَّاشَةِ لَامِعُ النَّبْرَاسِ! (٦)
فِيمَا أَظُنُّ لِحَارَ عَقْلٍ إِيَّاسٍ (٧)
وَتَرَى بُلَهْنِيَّةً وَدَارُ أَنْاسٍ (٨)
حَتَّى أُبَيَّتَ بِهَا صَرِيحَ الْكَاسِ (٩)
فَلَقُ الصَّبَاحِ وَلَا تَ حِينَ نَعَاسٍ (١٠)
أَثْنَاءَ رَوْحَتِهِ بِسِرِّ الْأَسِ (١١)
فِي مُخْدَعٍ بِقَرَارَةِ الدِّيْمَاسِ (١٢)
لَمْ تَدْرِ غَيْرَ الدَّيْرِ وَالشَّمَّاسِ (١٣)

- (٦) تصبو: تميل. وسناه: ضوؤه، أي ضوء النوار. ومهوى: اسم مكان بمعنى مسقط، من هوى يهوي. والنبراس: المصباح والسراج.
- (٧) شامها: نظر إليها، وتطلع نحوها ببصره. والبهجة: الحسن والنضارة وجمال اللون. والرواء: المنظر الحسن. وإياس بن معاوية بن قرّة المزني، المضروب به المثل في الألمعية والفتنة والذكاء وصدق الفراسة، ولي قضاء البصرة لعمر بن عبد العزيز، وتوفي سنة ١٢٢ هـ.
- (٨) ملهى: مكان لهو ولعب. والثرى: الأرض. والبلهنية: الرخاء وسعة العيش.
- (٩) أغدو: أسير وأذهب، من الغدو، وهو سير أول النهار. وصريح: مصروع، من صرعه، أي طرحه على الأرض.
- (١٠) تنبها: استيقظا. وقلق الصباح: ضوؤه. ولات حين نعاس: أي ليس الوقت وقت نوم.
- (١١) نم بسره: أظهره وأفشاه. والصبأ: ريح تهب من مطلع الشمس، وهي مؤنثة. وأثناء روحتها: في أثناء حركتها وهبوبها. والروحة: اسم مرة من الرواح، وهو الرجوع آخر النهار، وضده الغدو. والأس: ضرب من الرياحين، أو هو شجر ورقه عطر، وخضرته دائمة أبداً، ويسمى حتى يكون شجراً عظيماً. والمراد بسرّ الأس: طيبه ورائحته الذكية.
- (١٢) معنى أفنى الزمان شبابها: أنها قديمة معتقة جيدة. والمخدع: الخزانة، وبيت صغير يحرز فيه الشيء. والقرارة: ما قر فيه الشيء، أي ثبت وسكن، والمطمئن من الأرض. والديماس: السرب، والكن، والسجن.
- (١٣) الدير: خان النصارى، وصومعة الراهب. والشَّمَّاس: من رؤوس النصارى، وهو الذي يحلق وسط رأسه، ويلزم البيعة، وهي متعبدهم، وجمعه شمامسة.

يَنْزُو لِوَقْعِ الْمَاءِ دُرَّ حَبَابِهَا
 فَإِذَا تَعَاوَرَهَا الْمِرْزَاجُ تَوَجَّسَتْ
 تُشْتَفُّ مِنْ تَحْتِ الْحَبَابِ كَأَنَّهَا
 مَا حُلَّ بَيْنَ الْقَوْمِ عَقْدٌ وَكَأَنَّهَا
 لَا يَخْدَعَنَّكَ فِي الْمُدَامَةِ جَاهِلٌ
 إِنَّ الْمُدَامَ أَسَاسُ كُلِّ طَرِيفَةٍ
 لَا تَجْمَعُ الْأَيَّامُ كَيْفَ تَصَرَّفَتْ
 فَاسْتَوْثِقَا أَخَوِيَّ مِنْ شَأْنَيْكُمَا
 نَزَوَ الْمَعَابِلِ طِرْنَ عَنِّ أَقْوَاسِ (١٤)
 حَذَرَ الْمَهَانَةَ أَيَّمَا إِيْجَاسِ (١٥)
 يَاقُوتَةٌ قَدْ رُصِّعَتْ بِالْمَاسِ (١٦)
 لِلشُّرْبِ إِلَّا آذَنْتِ بِعُطَاسِ (١٧)
 إِنَّ الْمُدَامَةَ نُهْزَةُ الْأَكْيَاسِ (١٨)
 فَاجْعَلِ بِنَاءَ اللَّهْوِ فَوْقَ أُسَاسِ (١٩)
 فِي الْقَلْبِ بَيْنَ الْخَمْرِ وَالْوَسْوَاسِ (٢٠)
 وَذَرَا الْمَطِيَّ تَمُورٌ بِالأَحْلَاسِ (٢١)

(١٤) ينزو: يشب، والمراد يطفو. والحباب: النفاخات والفقاقيع التي تطفو على سطح الماء والشراب كأنها القوارير، وتسمى اليعاليل. ودرّ حبابها: أي حبابها الشبيه بالدرّ، وهو اللآلئ. والمعابل: جمع معبلة، وهي نصل السهم يكون عريضاً طويلاً. والمراد بالمعابل: السهام.
 (١٥) تعاورها: تداولها. ومزاج الشراب: ما يمزج به. والتوجّس والإيجاس: الإحساس بالفرع والخوف، والتسمّع إلى الصوت الخفي من الفرع. والمهانة: الحقارة والذلة.
 (١٦) تشتفت: تشرب. والياقوتة: واحدة الياقوت، وهو جوهر كريم معروف، وأجوده الأحمر الرماني. ورصّعت: زينت وحلّيت.
 (١٧) العقد: مصدر عقدت الحبل ونحوه أي شدته وربطته. والوكاء: رباط القرية ونحوها، وكلّ سير أو خيط يشدّ به فم السقاء والوعاء، وكلّ ما شدّ رأسه من وعاء ونحوه وكاء. وآذنت: أعلمت. والعطاس: الصبح.
 (١٨) المدامة: الخمر. والنهزة: الفرصة. والأكياس: جمع كيس، وهو الظريف العاقل كالكيس.
 (١٩) طريفة: صفة من طرف الشيء، طرافة، إذا كان مستحدثاً معجباً مستملحاً، تميل إليه النفس.
 (٢٠) كيف تصرّفت: كيف تقلّبت وتغيّرت. والوسواس: حديث النفس بما لا نفع فيه، والمراد الهمّ والبلبال.
 (٢١) الشأن: الأمر والحال. واستوثق من شأنك. خذ فيه بالثقة، والمراد: فكّر في حالكما، وخذا بما ينفعكما. وذرا: اتركها. والمطيّ: جمع مطية، وهي الركوبة من الإبل وغيرها، وأصلها الناقة التي يركب مطاها، أي ظهرها. وتمور: تتحرك وتضطرب. والأحلاس: جمع حلس وهو كساء يوضع على ظهر الدابة تحت الرحل والسرج والبرذعة ونحوها.

إِنَّ الْفَلَاةَ لَهَا رِجَالٌ غَيْرُنَا
 إِنَّ الْغِنَى وَالْفَقْرَ فِي هَذَا الْوَرَى
 فَعَلَامٌ يُبْلِي الْمَرْءَ جِدَّةَ عُمُرِهِ
 أَوْ لَيْسَ أَنَّ الْعَيْشَ لُبْسُ عِبَاءَةٍ
 تَاللهِ لَوْ عَلِمَ الرَّجَالُ بِمَكْرِهَهَا
 هِيَ سَاعَةٌ تَمْضِي وَتَأْتِي سَاعَةٌ
 فَخُذَا مِنَ الْأَيَّامِ مَا سَمَحَتْ بِهِ
 وَإِذَا أَرَابَكُمْ الزَّمَانُ بِوَحْشَةٍ
 إِنَّ الرُّوَائِمَ لَا تَدُرُّ لُبُونَهَا
 يَبْغُونَ نَيْلَ الْيُسْرِ بِالْإِفْلَاسِ (٢٢)
 لَمُقَدَّرٌ وَاللهُ ذُو قِسْطَاسٍ (٢٣)
 مُتَقَلِّبًا بَيْنَ الرَّجَا وَالْيَاسِ؟ (٢٤)
 وَسِدَادٌ مَسْغَبَةٌ وَنَغْبَةٌ حَاسِي؟ (٢٥)
 عِلْمِي لَبَاعُوهَا بِغَيْرِ مَكَّاسٍ (٢٦)
 وَالذَّهْرُ ذُو غَيْرٍ بِهَذَا النَّاسِ (٢٧)
 لِلنَّفْسِ قَبْلَ تَعَدُّرٍ وَشِمَاسٍ (٢٨)
 فَاسْتَمَخِضَاهُ الْيُسْرَ بِالْإَيْنَاسِ (٢٩)
 إِلَّا بِلَيْنِ الْمَسْحِ وَالْإِبْسَاسِ (٣٠)

- (٢٢) الفلاة: الصحراء. واليسر: الغنى والسعة. وبالإفلاس: بسبب إفلاسهم وذهاب أموالهم.
- (٢٣) الوري: الخلق. وذو قسطاس: عادل حكيم.
- (٢٤) يبلي: يُخْلِقُ. والجدّة: مصدر جدّ الشيء يجدّ جدّة فهو جديد، وهو خلاف القديم البالي.
- (٢٥) السداد: ما تسدّ به الخلة والحاجة، من قولهم: سداد من عوز. والمسغبة: الجوع، أو الجوع مع التعب. والنغبة: الجرعة، من قولهم: نغب الطائر، أي حسا من الماء، ونغب الانسان في الشرب، إذا جرع الشراب وابتلعه. والحاسي: اسم فاعل من حسوت المرق ونحوه أي شربته شيئاً بعد شيء.
- (٢٦) بمكرها: أي بمكر الدنيا وخداعها وسوء منقلبها. والمكاس: مصدر ماكسه في البيع مماكسة ومكاساً، أي شاحه وجادله بنقص الثمن.
- (٢٧) غير الدهر: أحداثه ونوازله وأحواله المتغيرة.
- (٢٨) شماس: صعوبة، وأصله مصدر شمست الدابة، أي شردت وجمحت، ومنعت ظهرها.
- (٢٩) أرابكما: ساءكما، وأزعجكما، وأراكما ما تكرهان. والوحشة: الهَمّ، وهي خلاف الأنس والطمأنينة. واستمخضاه اليسر: اطلبوا إليه اليسر، واستخرجاه منه. والإيناس: مصدر آنسه، أي أدخل عليه الأنس والطمأنينة.
- (٣٠) الروائم: النوق والدواب التي ترام أولادها وتحبها وتألّفها وتعطف عليها، الواحدة رائم أو رائمة. وتدرّ: مضارع أدرت الناقة ونحوها، أي درّ لبنها وكثر. واللّبون من الشاء والإيل: ذات اللبن. والإبسّاس: التلطف والرفق في حلبها.

فَلَرَّبُّ صَعْبٍ عَادَ سَهْلًا بَعْدَمَا
 قَطَعَتْ عَلَيْهِ مَرَائِرُ الْأَنْفَاسِ (٣١)
 مَا كُلُّ مَا طَلَبَ الْفَتَى هُوَ مُدْرَكٌ
 إِنَّ الْأُمُورَ بِحِكْمَةٍ وَقِيَّاسٍ (٣٢)
 وَقَالَ :

وَذِي نَخْوَةٍ نَازَعَتْهُ الْكَأْسَ مَوْهِنًا
 عَلَى غِرَّةِ الْأَحْرَاسِ وَاللَّيْلُ دَامِسٌ (١)
 فَمَا زِلْتُ أَسْقِيهِ وَأَشْرَبُ مِثْلَهُ
 إِلَى أَنْ هَفَا سُكْرًا وَإِنِّي لَجَالِسٌ (٢)
 فَبِتُّ أَقْيَمُهُ الشُّوْءَ إِذْ كَانَ صَاحِبِي
 وَأَحْرُسُهُ إِنِّي لَدَى الْخَوْفِ حَارِسٌ
 لَدَى مَوْطِنٍ لَا يَصْحَبُ الْمَرْءَ قَلْبُهُ
 حَذَارًا وَلَا تَسْرِي إِلَيْهِ الْهَوَاجِسُ (٣)
 عَدُوٌّ وَلَيْلٌ مُظْلِمٌ وَصَوَاهِلُ
 تَجَادِبُ فِي أَرْسَانِهَا وَتَمَارِسُ (٤)
 فَلَمَّا اسْتَهَلَّ النُّورُ وَانْحَسَرَ الدُّجَى
 قَلِيلًا وَحَنَّتْ لِلصَّبَاحِ النَّوَاقِسُ (٥)
 دَنَوْتُ أَفْذِيهِ وَأَغْمِزُ كَفَّهُ
 بِرَفْقٍ وَأَدْعُو بِاسْمِهِ وَهُوَ نَاعِسٌ (٦)

- (٣١) المرائر: جمع مرارة، وهي كيس لاذق بالكبد يتأثر بالتعب والإجهاد.
 (٣٢) الحكمة: العدل والعلم والحلم. والقياس: مصدر قاس الإنسان الشيء بغيره أو عليه، إذا قدره على مثاله.
 (١) النخوة: الكبر والفخر والعظمة. ونازعت: عاطيته وناولته. والموهن: نحو من نصف الليل، أو هو بعد ساعة منه، أو هو حين يدبر الليل. وعلى غرة: على غفلة. والأحراس: جمع حارس.
 ودامس: شديد الظلمة.
 (٢) هفا سكرًا: تمايل واهتز من السكر.
 (٣) الموطن: المشهد من مشاهد الحرب والقتال. والهواجس: الخواطر، وما يدور في النفس من الأحاديث والأفكار.
 (٤) صواهل: أي خيل صواهل. وأرسانها: أعتتها وأزمتها، جمع رسن وهو الحبل، وما كان من الزمام على أنف الدابة. وتمارس: أصلها تتمارس، وهي بمعنى تتجاذب وتتضارب.
 (٥) استهمل: ظهر، أو أبصر. وانحسر: انكشف. والدجى: جمع دجية، وهي الظلمة وسواد الليل. وحنّت: صوتت وصلصلت. والنواقس: جمع ناقوس، وهو الذي يضرب به النصارى لأوقات الصلوات.
 (٦) فذاه يفذيه تفذية: قال له: جعلت فداك.

فَجَاوَبَنِي وَالسُّكْرُ فِي لِحَظَاتِهِ
فَقُلْتُ أَفِقْ هَذَا هُوَ الصُّبْحُ مُقْبِلٌ
وَنَاولْتُهُ كَأَسَافَ مَدَّ بَنَانَهُ
فَمَا ذَاقَهَا حَتَّى تَهَلَّلَ ضَاحِكًا
وَمِنْ شِيَمِي بَذَلُ الْوِدَادِ لِأَهْلِهِ
وَقَالَ :

خَلَّ الْمِرَاءَ لِفِتْيَةِ الدَّرْسِ
نُورٌ تَوَقَّدَ بَيْنَ آنِيَةِ
هِيَ جَوْهَرٌ كَالنَّفْسِ مَا بَرِحَتْ
قَدْ شَاكَلَتْهَا فَهِيَ تَأْلُفُهَا
رَقَّتْ وَدَقَّتْ فِي قَرَارَتِهَا
يَسْقِيكَهَا خِنْثٌ شَمَائِلُهُ
وَاعْكُفْ عَلَى صَفْرَاءَ كَالْوَرْسِ (١)
كَبِيَّاصِ صُبْحِ شَفِّ عَنْ شَمْسِ (٢)
تُهْدِي السُّرُورَ لِكُلِّ ذِي نَفْسِ
وَالجِنْسُ يَأْلُفُ صُحْبَةَ الجِنْسِ (٣)
فَسَمَتْ عَنِ الإِذْرَاكِ بِالجِسِّ (٤)
تَدْعُو إِلَى التَّقْبِيلِ وَاللُّمْسِ (٥)

(٧) لحظاته: نظراته. وعابس: جهم كالح، قد قطب وجهه من الغضب ونحوه.

(٨) الحنادس: جمع حندس وهو الظلمة.

(٩) بنانه: أصابعه، الواحدة بنانة. وآيس: يائس قانط.

(١٠) تهلل: تلالأ، والمراد انبسطت أسارير وجهه واستبشر. وأنس: مطمئن.

(١١) الشيم: جمع شيمة، وهي الخلق والغريزة والطبيعة.

(١) المراء: المجادلة. وأعكف: أقبل وواظب. والورس: نبت أصفر يزرع باليمن ويصبغ به، وهو

يشبه الكركم، وقيل: هو صنف منه. والمراد بالصفراء الشبيهة بالورس: الخمر.

(٢) شف عن الشيء: أبداه وأظهره.

(٣) شاكلتها: شابهتها، أي النفس.

(٤) دقت: خفيت. وقرارتها: مستقرها، والمراد آنيتها وأوعيتها.

(٥) خنث: ساق فيه انخناث، أي تكسر وتثن. وشمائله: طبائعه وأخلاقه، جمع شمال.

فَأَهْنَا بِعَيْشٍ لَيْسَ يُوجَدُ فِي
غَيْرِ الْكُرَى أَوْ عَالَمِ الْحَدْسِ (٦)
وَقَالَ :

يَارُبُّ لَيْلٍ بَتُّ أُسْقَى بِهِ
كَأَنَّهَا فِي كَأْسِهَا شُعْلَةٌ
مَشْمُولَةٌ صَفْرَاءُ كَالْوَرْسِ (١)
مَقْبُوسَةٌ مِنْ كَوَكَبِ الشَّمْسِ (٢)
وَقَالَ :

أَحْمَى الْجَزِيرَةَ مَطْلَعُ الشَّمْسِ
خَرَجَتْ إِلَى الْبُسْتَانِ لَاهِيَةً
فَتَبِعْتُ مَسْرَاهَا عَلَى عَجَلٍ
فَسَتَرْنَهَا عَنِّي وَسِرْنَ بِهَا
فَوَقَفْتُ مَطْوِيًّا عَلَى كَمَدٍ
تِلْكَ الَّتِي لَوْلَا هَوَايَ بِهَا
هَيَّاتَ أَنْسَى حُسْنَ صُورَتِهَا
أَمْ لَاحَ ضَوْؤُ غَزَالَةِ الْإِنْسِ؟ (١)
تَخْتَالُ بَيْنَ كَوَاعِبِ خَمْسِ (٢)
حَتَّى ظَفَرْتُ بِنَظْرَةٍ خَلَسِ (٣)
فِي رَوْضَةٍ فَيْنَانَةٍ الْغَرَسِ (٤)
وَمَضْتُ عَلَى آثَارِهَا نَفْسِي (٥)
مَا بَتُّ مِنْ أَمَلٍ عَلَى يَأْسٍ
وَحَوَادِثُ الْأَيَّامِ قَدْ تُنْسِي

(٦) الكرى: النعاس والنوم. والحدس: الظن والتخمين.

(١) مشمولة: خمر باردة، وذلك إذا عرّضت لريح الشمال فبردت. والورس: نبت أصفر.

(٢) مقبوسة: مأخوذة.

(١) الحمى: المكان المحمي الذي لا يقرب، ولا يجترأ عليه، وحمى الجزيرة: أرضها، ولعله يريد جزيرة روضة المقياس بنهر النيل، غربي مصر القديمة. والغزالة: الطيبة تشبه بها الحسناء في جمال العينين والجيد، ولطف الحركة والتثني. وغزالة الإنس: أي التي تشبه الغزالة وهي من الإنس.

(٢) تختال: تزهى وتعجب. وكواعب: جمع كاعب، وهي الجارية التي كعب ثديها أي نهده وظهر.

(٣) خلص: مصدر خلست الشيء، إذا اختطفته بسرعة على غفلة.

(٤) الروضة: أرض ذات خضرة، أو البستان، أو الموضع يجتمع إليه الماء، ويكثر فيه النبت.

وفينانة: طويلة حسنة كثيرة الأفنان والعصون. والغرس: الشجر الذي يفرس.

(٥) كمد: حزن شديد. ومضت على آثارها: ذهبت في إثرها، وتبعتها.

وقال * :

نَزَعْتُ عَنِ الصَّبَا وَعَصَيْتُ نَفْسِي
وَقُلْتُ لِصَبَوَتِي وَالْعَيْنُ غَرَقِي
فَقَدْ وَلَّى الصَّبَا إِلَّا قَلِيلاً
وَمَنْ يَكُ جَاوَزَ الْعِشْرِينَ تَتْرَى
فَقَدْ سَفَرَتْ لِعَيْنَيْهِ اللَّيَالِي
نَظَرْتُ إِلَى الْمِرَاةِ فَكَشَفْتُ لِي
وَكُنْتُ وَكَانَ فَيَنَاناً أَثِيثاً
فَعُدْتُ وَقَدْ ذَوَى مِنْ بَعْدِ لَيْلِي
وَدَافَعْتُ الْغَوَايَةَ بِالتَّاسِي (١)
بِأَذْمُعِهَا رُوَيْدِكَ لَا تَمَسِّي (٢)
أُنَازِعُ سُورَةَ بِفُضُولِ كَأْسِي (٣)
وَأُرْدَفُهَا بِأَرْبَعَةٍ وَخَمْسِ (٤)
وَبَانَ لَهُ الْهُدَى مِنْ بَعْدِ لُبْسِ (٥)
قِنَاعاً لَاحَ فِيهِ قَتِيرُ رَأْسِي (٦)
أُنَازِعُ شِرْتِي وَأَذُودَ بَأْسِي (٧)
أَدَارِي صَبَوَتِي وَأَسِرُّ بِأَسِي (٨)

(★) نظم البارودي هذه السينية سنة ١٨٦٨ وهو في التاسعة والعشرين، بعد أن تزوج «عديلة يكن» بنحو سنة. وفي هذه القصيدة أن يومه وأمه، أي حاضره وماضيه متباينان مختلفان، وأن سنة ١٨٦٨ فصلت بين طورين مختلفين متناقضين من أطوار حياته: طور اللهو والغواية، وطور الجد والهداية.

(١) نزع عن الشيء: أقلت عنه وتركته. والغواية: الجهل والضلال. والتأسي: التعزي والتسلي والتصبر، أو هو مصدر تأسيت بفلان، أي اقتديت به، وأتبعته فعله.

(٢) رويدك: أمهلي وتأني وارفقي. ولا تمسي: لا تقربي.

(٣) ولي: أدبر وذهب. والصبا: الصغر، والمراد الفتاة والشباب. وأنزع: أجاذب. وسور الصبا: بقيته.

(٤) تترى: متواترة. وأردفها: أتبعها.

(٥) سفرت: اتضح وظهرت. ولبس: غموض وإبهام واختلاط.

(٦) القناع: ما يقنع به الرأس، أي يغطي، والمراد الشعر. والقشير: أول ما يظهر من الشيب.

(٧) شعر فينان: كثير، له أفنان كأفنان الشجر، أي أغصانه. وأثيث: كثير طويل. والشرة: النشاط وقوة الشباب. وأذود: أذفع. والبأس: الشدة والقوة والإقدام.

(٨) ذوى: ذبل وضعف. ويريد باللين: النضارة والغضاضة. ويريد بالصبوة: الولوع بالشباب، والحسرة على فواته، والحنين إلى مرجه ودواعيه.

فَمَا أُمْسِي كَيَوْمِي جِئِنَ أَغْدُو
وَمَا الْأَيَّامُ إِلَّا صَائِبَاتُ
أَبَادَتْ قَبْلَنَا إِرْمًا وَعَادًا
وَأَلَوْتُ بِالْمُضَلَّلِ وَاسْتَمَالَتْ
فَلَا « جَمَشِيدُ » دَافَعَ إِذْ أَتَتْهُ
عَلَى هَذَا يَسِيرُ النَّاسُ طُرًّا
عَلَى كَيْبَرٍ وَمَا يَوْمِي كَأُمْسِي
تَمُرُّ بِكُلِّ سَابِغَةٍ وَتُرْسٍ (٩)
وَطَارَتْ بَيْنَ ذُبْيَانٍ وَعَبْسٍ (١٠)
عِمَادَ الشَّنْفَرَى وَهَوَتْ بِقُسِّ (١١)
بِحَادِثِهَا وَلَا رَبُّ الدَّرْفَسِ (١٢)
وَيَبْقَى اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ نَفْسٍ (١٣)

وَقَالَ فِي تَهْنِئَةِ الْخُدَيْوِي « عَبَّاسُ بَاشَا حَلَمِي الثَّانِي » (★) بِعِيدِ الْفِطْرِ :

أَمْوَلَايَ دُمٌ لِلْمُلْكِ رَبًّا تَسْوُسُهُ
بِحِكْمَةِ مَطْبُوعٍ عَلَى الْجِلْمِ وَالْبَاسِ (١)

(٩) السابغة: الدرع الواسعة. والترس: المجنّ ونحوه، مما يستتر به المقاتل، لانتقاء النبال وغيرها.

(١٠) أبادت: أهلكت، أي الأيام. وإرم: قبيلة عاد الأولى، وهي من القبائل العربية البائدة. وعاد:

من سلالة إرم السابقة، وتسمى عاداً الأخرى تسمية لها باسم جدّها عاد بن عوص بن إرم بن سام بن نوح، وقصّتها مذكورة في القرآن الكريم. وطارت بينهم: فرقتهم وأهلكتهم. وعبس وذبيان: قبيلتان عظيمتان من العرب المستعربة، وهما أختان من سلالة قبيلة غطفان، وكانت بينهما في الجاهلية حروب طويلة مشهورة

(١١) ألوت به الأيام: أهلكته. والمضلل: امرؤ القيس الكندي، أشهر شعراء الجاهلية. واستمالت

عماده: كناية عن إبادته وإهلاكه. والشنفرى: شاعر جاهليّ قحطانيّ من الأزد، وكان فاتكاً شجاعاً عدّاء. وقسّ بن ساعدة الإياديّ: خطيب العرب وحكيمها في الجاهلية.

(١٢) جمشيد: لقب ملك عظيم من ملوك الفرس الأقدمين، قيل إنه أول من علّم الناس اتّخاذ

الأسلحة، وكانوا يحاربون قبلها بالحجارة والعصي، وأول من كشف صناعة النسيج، واستخرج

اللاّليّ من البحر، والمعادن من بطن الأرض. والدرفس: العلم الفارسيّ الكبير. ولعلّ

الشاعر يعني برّب الدرفس: كسرى أنوشروان.

(١٣) طرّاً: جميعاً.

(★) عباس باشا حلمي الثاني ابن الخديوي توفيق باشا ابن الخديوي إسماعيل باشا، ولي مصر بعد

وفاة أبيه في ٨ من جمادى الآخرة سنة ١٣٠٩ هـ (٨ من يناير سنة ١٨٩٢ م)، ثم خلع سنة

١٩١٤ عقب نشوب الحرب العظمى.

(١) الرّب: المالك. وتسوسه: تقوم بما يصلحه، وترعاه وتدبّر أمره. ومطبوع: مفطور مخلوق.

والحلم: الأناة والعقل. والبأس: الشدّة والشجاعة.

وَلَا زَالَتِ الْأَعْيَادُ تَجْرِي سَعُودَهَا عَلَيْكَ وَتَحْطَى مِنْ عَلَاكَ بِإِنْسَانٍ^(٢)
فَلَوْلَاكَ مَا فَازَتْ يَدُ الْقَطْرِ بِالْمَنَى وَلَا نَشَأَتْ رُوحَ الْعَدَالَةِ فِي النَّاسِ
وَهَذَا لِسَانَ الشُّكْرِ يَدْعُو مُؤَرِّخًا حَوَى الْعِيدُ أَنْوَاعَ الْفَخَارِ بِعَبَّاسٍ^(٣)
وَقَالَ يَهْجُو :

يُقُولُ أَنَسٌ وَالْعَجَائِبُ جَمَّةٌ مَتَى أَصْبَحَ الْوَزَانُ رَبَّ مَجَالِسٍ^(١) ؟
نَرَى كُلَّ يَوْمٍ عُصْبَةً فِي فَنَائِهِ تُجَاذِبُهُ أَطْرَافَ تِلْكَ الْوَسَاوِسِ^(٢)
فَقُلْتُ لَهُمْ لَا تَعْجِبُوا لِاجْتِمَاعِهِمْ لَدَيْهِ فَإِنَّ الْحُشَّ مَاوَى الْخَنَافِسِ^(٣)

وَقَالَ :

أَمَلْتُ رَجَائِي فِي عَدِّ فَاَنْتَظَرْتُهُ فَمَا جَاءَ حَتَّى طَالَ حُزْنِي عَلَى أُمِّي^(١)
وَقَلَّبْتُ أَمْرِي فِيكَ حَتَّى إِذَا انْقَضَتْ وَسَائِلُ مَا آتَى بِكَيْتُ عَلَى نَفْسِي^(٢)

(٢) السعود: جمع السعد، وهو اليمن والبركة والخير. وتحظى: تنال وتظفر، من قولهم: حظي فلان بالخير والمال.
(٣) الفخار: مصدر فخر، أي ابتهى، وتمدح بما فيه، وما في أهله وقومه من المناقب، والمحامد، والمكارم.

(١) جمّة: كثيرة. وربّ مجالس: صاحب أندية ومحافل، يجلس إليه الناس فيها ويتحدثون.
(٢) عصبه: جماعة. والفناء: سعة أمام الدار كالساحة. وأطراف الأحاديث: نواحيها، وما اختير منها، جمع طرف. ويريد بالوساوس: الأحاديث، وهي في الأصل: حديث النفس والشيطان بما لا نفع فيه ولا خير، وفي التعبير بها إشارة إلى أن أحاديثهم تافهة فارغة ساقطة.
(٣) الحش: المرحاض، وأصله البستان، لأنهم كانوا يقضون حوائجهم في البساتين.
(١) أملت: رجوته وترقبته.
(٢) يريد بتقليب أمره في المرجو: أنه بذل جميع الحيل، وطرق كل باب. ومعنى «انقضت وسائل ما آتى»: أن حيله نفدت، وأنه أخفق.

قافية الشين

قال وهو بسرنديب :

مَتَى تَرُدُّ الْهَيْمُ الْخَوَامِسُ مِنْهَلًا تَبُلُّ بِهِ الْأَكْبَادَ وَهِيَ عِطَاشُ؟ (١)
 أَرَى الْغَيْثَ عَمَّ الْأَرْضَ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ وَمَوْضِعُ رَحْلِي لَمْ يُصْبَهُ رَشَاشُ؟ (٢)
 فَهَلْ نَهَلَةٌ مِنْ جَدُولِ النَّيْلِ تَرْتَوِي بِهَا كَبِدُ ظِمَانَةٍ وَمُشَاشُ؟ (٣)
 وَهَلْ مِنْ مَقِيلٍ تَحْتَ أَفْنَانِ سِدْرَةٍ لَهَا مِنْ زَرَابِي النَّبَاتِ فِرَاشُ؟ (٤)
 لَدَى أَيْكَةٍ رِيًّا الْغُصُونِ كَأَنَّمَا عَلِيَّهَا مِنَ الزَّهْرِ الْجَنِيِّ رِيَاشُ؟ (٥)
 تَرَى الزَّهَرَ أَلْوَانًا يَطِيرُ مَعَ الصَّبَا كَمَا هَاجَ إِبَانُ الرَّبِيعِ فَرَاشُ؟ (٦)

- (١) ورد البعير وغيره الماء يرده وروداً: أشرف عليه، وبلغه، ووافاه. والهيم: الإبل العطاش.
 والخوامس: الشديدة الظماً. والمنهل: المشرب.
- (٢) الغيث: المطر. والرحل: المسكن، وما يستصعبه المرء من الأثاث. والرشاش: ما ترشش من الماء، جمع الرش، وهو المطر القليل.
- (٣) نهلة: اسم مرة من النهل، وهو أول الشرب. والمشاش: رؤوس العظام اللينة. الواحدة مشاشة. والمشاش أيضاً: النفس.
- (٤) مقيل: اسم مكان من قال، أو هو مصدر بمعنى القيلولة. والأفنان: الأغصان. والسدرية: شجرة النبق. وزرابي النبات: النبات الشبيه بالزرابي، وهي البسط والتمارق، والزرابي من النبات: ما اصفر واحمرّ وفيه خضرة.
- (٥) الأيكة: الشجر الكثير الملتف. ورياً: مؤنث ريان، صفة من الري، والمراد غضة ناضرة. والرياش: اللباس الحسن الفاخر، والزينة.
- (٦) الصبا: ريح تهبّ من مطلع الشمس في بلاد العرب، وهي أحبّ الرياح إليهم. وهاج: احتاج وثار. وإبان الربيع: زمانه.

دِيَارُ يَعِيشُ الْمَرءُ فِيهَا مُنْعَمًا وَأَطْيَبُ أَرْضِ اللَّهِ حَيْثُ يُعَاشُ
فِيَارَبِّ رِشْنِي كَيْ أَعِيشَ مُسَدَّدًا فَقَدْ يَسْتَقِيمُ السَّهْمُ جِئِنَ يُرَاشُ^(٧)

وَقَالَ فِي الْغَزْلِ :

رَمَيْتُ فَلَمْ أُصِبْ وَرَمَتْ فَأَصُمْتُ فَيَا عَجَبًا لِسَهْمٍ لَا يَطِيشُ!^(١)
حَوَاجِبُهَا الْقِسِيُّ وَلِحَظَّتَاهَا بِهَا سَهْمَانِ وَالْأَهْدَابُ رِيشُ^(٢)

(٧) رشنِي : أمر للدعاء، من راسه الله تعالى، إذا أنعشه وأعانه وقواه، وأصلح حاله، ويسر أمره. وأصله من راش النابل السهم، إذا ألزق عليه الريش. ومسدد: موفق للسداد والقصد والصواب.

(١) أصميت الصيد: إذا رميته فقتلته وأنت تراه. وطاش السهم عن الهدف يطيش: إذا عدل عنه وانحرف ولم يصبه.

(٢) القسي: جمع القوس التي يرمى عنها بالنبل والسهم ونحوها. ولحظتاها: المراد عيناها، مثني لحظة، وهي النظرة بمؤخر العين. والأهداب: جمع هدب، وهو ما نبت من الشعر على أشفار العين.

قافية الصاد

قال يصفُ غَيْضَةً (★) احتلَّها في « قَنْدِيَّة (★★) » أَيَّامَ الْحَرْبِ :

وَمُرْتَبِعٍ لُدْنَا بِهِ غِبُّ سُبْحَرَةٍ وَلِلصُّبْحِ أَنْفَاسٌ تَزِيدُ وَتُنْقُصُ (١)
 وَقَدْ مَالَ لِلْغَرْبِ الْهَلَالُ كَأَنَّهُ بِمِنْقَارِهِ عَنِ حَبَّةِ النُّجْمِ يَفْحَصُ (٢)
 رَقِيقِ حَوَاشِي النَّبْتِ أَمَا غُصُونُهُ فَرِيًّا وَأَمَّا زَهْرُهُ فَمُنْصَصُ (٣)
 إِذَا لَاعَبَتْ أَفْنَانُهُ الرِّيحُ خَلَّتْهَا سَلَاسِلَ تُلَوِي أَوْغَدَائِرَ تُعْقَصُ (٤)
 كَأَنَّ صِحَافَ الزُّهْرِ وَالطَّلُّ ذَائِبٌ عُيُونٌ يَسِيلُ الدَّمْعُ مِنْهَا وَتَشْخَصُ (٥)

(★) الغيضة: الأجمة، ومجتمع الشجر في مغيض ماء.

(★★) قندية مدينة في شمالي «أقريطش» (بفتح أوله وكسر الراء والطاء)، وهي جزيرة كريد المشهورة ببحر الروم (البحر الأبيض المتوسط) إلى الجنوبي الشرقي من بلاد اليونان، وكان أهلها قد خرجوا على الدولة العثمانية، وأعلنوا العصيان والثورة سنة ١٢٨٢ هـ (١٨٦٥ م)، فأرسلت الدولة جيشاً لإخماد هذه الفتنة، وساعدتها مصر بحملة حربية كان البارودي من ضباطها.

- (١) المرتبع: المكان الذي يرتبع فيه القوم، أي يقيمون به زمن الربيع. ولذنا به: لجأنا إليه. وغب: بعد. والسحرة: آخر الليل قبيل الصبح.
- (٢) حبة النجم: النجم الشبيه بالحبة، لما شبّه الهلال بالطائر، ورمز إليه بالمنقار حسن تشبيه النجم بالحبة. ويفحص: يبحث.
- (٣) حواشي النبات: جوانبه وأطرافه. ورياً: مؤنث ريان، صفة من الري، والمراد أنها غيضة ناضرة. ومنصص: ظاهر مرفوع، بعضه فوق بعض.
- (٤) الغدائر: جمع غديرة، وهي الذؤابة من الشعر إذا كانت مرسلة، غير ملوثة ولا معقوصة. وتعقص: تضفر وتلوى.
- (٥) الصحاف: آنية الطعام التي يؤكل فيها. والطل: الندى، وقطرات الماء التي تسقط على أوراق الشجر والزهر في الصباح. وتشخص: تنفتح، ولا تطرف.

يَكَادُ نَسِيمُ الْفَجْرِ إِنْ مَرَّ سُحْرَةً بِسَاحَتِهِ الشَّجَرَاءِ لَا يَتَخَلَّصُ ^(٦)
كَأَنَّ شُعَاعَ الشَّمْسِ وَالرَّيْحَ رَهْوَةً إِذَا رُدَّ فِيهِ سَارِقٌ يَتَرَبَّصُ ^(٧)
يَمُدُّ يَدَا دُونَ الثَّمَارِ كَأَنَّمَا يُحَاوِلُ مِنْهَا غَايَةً ثُمَّ يَنْكُصُ ^(٨)
عَظَفْنَا إِلَيْهِ الْخَيْلَ فَلَّ مَسِيرَةَ وَلِلْقَوْمِ طَرْفٌ مِنْ أَدَى السُّهْدِ أَخْوَصُ ^(٩)
فَمَا أَبْصَرْتُهُ الْخَيْلُ حَتَّى تَمَطَّرَتْ بِفُرْسَانِهَا وَاسْتَتَلَعَتْ كَيْفَ تَخْلُصُ ^(١٠)
مَدَى لِحَظَّةٍ حَتَّى أَتَتْهُ وَمَاؤُهُ عَلَى زَهْرِهِ وَالظَّلُّ لَا يَتَقَلَّصُ ^(١١)
فَمَدَّتْ بِهِ الْأَعْنَاقَ تَعْطُو وَتَخْتَلِي نِهَابًا وَتُغْلِي فِي النَّبَاتِ وَتُرْحِصُ ^(١٢)
أَقْمَنَا بِهِ شَمْسَ النَّهَارِ وَكُلْنَا عَلَى مَا بِهِ مِنْ شِدَّةِ الْعُجْبِ يَحْرِصُ ^(١٣)
فَلَمَّا اسْتَرَدَّ الشَّمْسَ جُنْحٌ مِنَ الدُّجَى وَأَعْرَضَ تَيْهُورٌ مِنَ اللَّيْلِ أَعْوَصُ ^(١٤)

(٦) ساحته: ناحيته أي المرتبع.

(٧) الرهو: الرقيق، والسير السهل الخفيف. ورتبص: ينتظر.

(٨) ينكص: يحجم ويرجع ويتأخر.

(٩) عطفنا إليه الخيل: أملنا إليه، أي إلى المرتبع. وفل مسيرة: أي منفلة مثلثة متعبة من السير.

والسهد: السهر، وعدم النوم. وأخوص: ضيق، صغير، غائر، ضعيف.

(١٠) تمطرت: أسرعت وجرت. واستتلعت: أي مدت أعناقها متطاولة، ورفعت أبصارها، وفتحت

أعينها شاخصة لا تطرف. وخلص إلى الشيء: وصل إليه.

(١١) المدى: الغاية. وماؤه على زهره: يريد أنها أتته وقت الصباح، قبل إشراق الشمس، وذهاب

الندى. وظله لا يتقلص: أي ظليل وارف دائم.

(١٢) تعطو: تتناول. وتختلي: تقطع الخلى وتأكله، وهو النبات الرطب الرقيق. والنهاب: جمع

نهب، وهو الغنيمة. وإغلاؤها وإرخاصها في النبات: كناية عن تصرفها فيه، وتقلبها في

نواحيه، فهي ترتع، وتأكُل، وترعى كيف شاءت.

(١٣) يقول: إننا أقمنا بذلك المرتبع طول النهار، وكل منا يحرص على ما في نفسه من لذة

الإعجاب بهذا المرتبع.

(١٤) استرد الشمس: طلب ردها، والمراد أخفاها وغيبها. والجنح: الطائفة، والجانب. والدجى:

دَعَوْنَا بِأَسْمَاءِ الْجِيَادِ فَأَقْبَلَتْ لَوَاعِبَ فِي أَرْسَانِهَا تَتَرَقَّصُ (١٥)
وَقُمْنَا وَكُلُّ بَعْدَ مَا كَانَ لَاهِيَا بِأُظْلَالِهِ كُرَّةَ الرَّحِيلِ مُنْغَصُ (١٦)
يَوْدُ الْفَتَى أَلَّا يَزَالَ بِنِعْمَةٍ وَلَيْسَ لَهُ مِنْ صَوْلَةِ الدَّهْرِ مَخْلَصُ (١٧)
فَلِلَّهِ عَيْنَا مَنْ رَأَى مِثْلَ حُسْنِهِ وَمَا أَنَا فِي مَا قُلْتَهُ أَتَخْرَصُ (١٨)
ظَفِرْتُ بِهِ فِي حِقْبَةٍ فَقَنَصْتُهُ عَلَى غِرَّةِ الْأَيَّامِ وَاللَّهُوُ يُفْنَصُ (١٩)

وَقَالَ فِي الْحِكْمَةِ :

بَادِرِ الْفُرْصَةَ وَاحْدَرِ فَوْتَهَا فَبُلُوغُ الْعِزِّ فِي نَيْلِ الْفُرْصِ (١)
وَاعْتَنِمِ عُمْرَكَ إِبَانَ الصَّبَا فَهُوَ إِنْ زَادَ مَعَ الشَّيْبِ نَقْصُ (٢)
إِنَّمَا الدُّنْيَا خَيَالٌ عَارِضُ قَلَّمَا يَبْقَى وَأَخْبَارُ تَقْصُ (٣)
تَارَةً تَدْجُو وَطَوْرًا تَنْجَلِي عَادَةُ الظِّلِّ سَجَا ثُمَّ قَلْصُ (٤)

جمع دجية، وهي الظلمة. وأعرض: ظهر. والتهيور: موج البحر المرتفع، والمراد ظلمات الليل على التشبيه. وأعوص: صعب شديد.
(١٥) أرسانها: أزمتها وأعتتها، الواحد رسن، وهو الحبل. وترقص: ترقص وترتفع وتنخفض في لعب ومرح.

(١٦) الأظلال: الظلال، جمع الظل. ومنغص: مكدر.

(١٧) صولة الدهر: سطوته وبطشه واستطالته.

(١٨) أتخرص: أكذب.

(١٩) ظفرت: فزت. وقنصته: صدته. وعلى غرة: على غفلة.

(١) بادر الفرصة: عاجلها، وسارع إليها. وفوتها: ذهابها.

(٢) اغتنم عمرك: المراد انتفع به، ولا تضيعه. وإبان الصبا: وقت الصغر.

(٣) عارض: باد، ظاهر.

(٤) تدجو: تظلم، والمراد تسوء وتنجلي، تنكشف وتتضح. وسجا: امتد وسكن ودام. وقلص:

انقبض وانزوى وانضم.

فَابْتَدِرْ مَسْعَاكَ وَاعْلَمْ أَنَّ مَنْ
 لَنْ يَنَالَ الْمَرْءُ بِالْعَجْزِ الْمُنَى
 يَكْدَحُ الْعَاقِلُ فِي مَأْمِنِهِ
 إِنَّ ذَا الْحَاجَةِ مَا لَمْ يَغْتَرِبْ
 وَلَيْكُنْ سَعْيُكَ مَجْدًا كُلَّهُ
 وَاتْرُكِ الْجِرْصَ تَعِشْ فِي رَاحَةٍ
 قَدْ يَضُرُّ الشَّيْءُ تَرْجُو نَفْعَهُ
 مَيِّزِ الْأَشْيَاءَ تَعْرِفْ قَدْرَهَا
 وَاجْتَنِبْ كُلَّ غَيْبٍ مَائِقٍ
 إِنَّمَا الْجَاهِلُ فِي الْعَيْنِ قَدَى

- (٥) مسعاك: سعيك في الخير وصالح الأعمال.
- (٦) يريد بالعجز: التواني وضعف الهمة. وهم بالشيء: أراده. ونص: المراد أنفذ ما هم به، من قولهم: نص الرجل ناقته: إذا استخرج أقصى ما عندها من السير، ونص الشيء: حركه.
- (٧) يكدح: يكد ويجتهد. ومأمنه: مكان آمنه، والمراد بلده ووطنه. والمراد بضيق الأمر: الفقر والضعف وسوء الحال. وشخص: انتقل وارتحل وهاجر.
- (٨) الحمى: المكان المحظور الذي لا يقرب، والمراد به هنا: الوطن.
- (٩) الأحص: النكد المشؤوم الويل الذي لا خير فيه، والأصل: حص الشعر، أي تساقط، وتناثر.
- (١٠) الحرص: الجشع والشه.
- (١١) ظمان: صفة من الظما، وهو العطش، أو أشده.
- (١٢) قدر الشيء: مقداره ومبلغه ودرجته. والغرة: بياض مستحسن في جبهة الفرس. والبرص: بياض يظهر في ظاهر البدن لفساد مزاج، وهو من الأدواء البشعة الفظيعة
- (١٣) مائق: أحق، غيب، سيء المخلوق. والعمير: الحمار. وقمص الحمار ونحوه: اضطرب في سيره واستن، وهو أن يرفع يديه، ويطرحهما معاً، ويعجن برجليه.
- (١٤) القذى: ما يقع في العين فيهيجه ويؤذيها. والغصص: مصدر غصصت بالطعام والشراب، والغصة: ما غصص به الإنسان من طعام.

واحدِرِ النَّمَامَ تَأْمَنُ كَيْدَهُ فَهُوَ كَالْبُرْغُوثِ إِنْ دَبَّ قَرَصُ (١٥)
يَرْقُبُ الشَّرْفَانَ لَأَحْتُ لَهُ فُرْصَةٌ تَصْلُحُ لِلخِتْلِ فَرَصُ (١٦)
سَاكِنُ الْأَطْرَافِ إِلَّا أَنَّهُ إِنْ رَأَى مَنْشَبَ الْأَظْفُورِ رَقَصُ (١٧)
وَاخْتَبِرْ مَنْ شِثَّتْ تَعْرِيفُهُ فَمَا يَعْرِفُ الْأَخْلَاقَ إِلَّا مَنْ فَحَصُ (١٨)
هَذِهِ حِكْمَةٌ كَهَلٍ خَابِرٍ فَاقْتِنِصْهَا فَهِيَ نِعْمَ الْمُقْتِنِصُ (١٩)
وَقَالَ فِي مَا يَجِبُ عَلَى الْحَاكِمِ :

إِذَا سُدَّتْ فِي مَعْشَرٍ فَاتَّبِعْ سَبِيلَ الرَّشَادِ وَكُنْ مُخْلِصًا (١)
وَوَالِ الْكَرِيمَ وَدَارِ السَّفِيهَ وَصِلْ مَنْ أَطَاعَ وَخُذْ مَنْ عَصَى (٢)
وَنَقَّبْ لِتَعْلَمَ غَيْبَ الْأُمُورِ فَإِنَّ مِنَ الْحَزْمِ أَنْ تَفْحَصَا (٣)

(١٥) النَّمَامُ: صفة من النَمِّ والنميمة، وهي رفع الحديث على وجه الإشاعة والإفساد، أو تزيين الكلام بالكذب. والكيد: الختل والخديعة والروغان. ودبّ: سار على هيبته سيراً لئناً.

وقرص: لسع

(١٦) يَرْقُبُ الشَّرْفَانَ: ينتظره ويرصده ويتوقعه. والختل: مصدر ختله، أي خدعه وأراد به المكروه من حيث لا يعلم. وفرص الفرصة: انتهزها وأصابها واغتنمها.

(١٧) منشب: اسم مكان من نشب الشيء في الشيء، أي علق فيه، وأمسك به. والأظفور: الظفر، والمراد بمنشب الأظفور: مجال الشر، وموضع السعاية والنميمة مهما صغرت.

(١٨) فحص: بحث.

(١٩) الكهل: الرجل إذا وخطه الشيب، أي خالطه، والمراد بالمجرب العاقل. واقتنصها: أمر من الاقتنص، وهو الصيد.

(١) معشر: جماعة. والرشاد: الصلاح والقصد والهدى والصواب.

(٢) وال الكريم: تودد إليه، من الموالاتة، وهي ضدّ العداوة. والسفيه: الجاهل الطائش، صفة من السفه، وهو الطيش والحمق وخفة العقل. وصل: أمر من الوصل، وهو ضدّ الهجران. وخذ من عصي: المراد عاقبه بذنبه، وهو العصيان.

(٣) نقب: ابحت وفتش. وتفحص: تبحت.

وَلَا تُبْقِيَنَّ عَلَيَّ فَاجِرٌ
وَأَنْ خَفِيَ الْحَقُّ فَاصْبِرْ لَهُ
وَأَخْلِصْ لِرَبِّكَ فِي كُلِّ مَا
فَمَا الدُّهْرُ إِلَّا خَيْالٌ سَرَى
فَإِنَّ اللَّئَامَ عَبِيدُ الْعَصَا^(٤)
وَبَادِرُ إِلَيْهِ إِذَا حَصْحَصَا^(٥)
نَوَيْتَ تَجِدُ عِنْدَهُ مَخْلَصَا^(٦)
وَوَيْلٌ إِذَا مَا سَجَا قَلْصَا^(٧)
وَقَالَ مُفْتَخِرًا :

لَعَمْرُ أَبِيكَ مَا خَفْتُ حَصَاتِي
وَمَا قَصُرْتُ فِي طَلَبِ الْمَعَالِي
لِنَازِلَةٍ وَلَا ارْتَعَدَ الْفَرِيصُ^(١)
وَلَكِنْ رُبَّمَا خَابَ الْحَرِيصُ^(٢)

-
- (٤) الفاجر: الفاسق الكاذب الشرير. ومعنى عبيد العصا: أنهم أذلاء، يضربون بالعصا.
(٥) حصحص الحق: ظهر وبان، بعد خفاء وكتمان.
(٦) مخلص: اسم مكان من خلص الشيء من التلف أي نجا وسلم، أو هو مصدر بمعنى الخلوص والسلامة والنجاة.
(٧) سجا الظل: سكن وامتد. وقلص: انقبض وانزوى وذهب.
(١) الحصاة: العقل والرزانة والرأي. وخفة الحصاة: ضعف الرأي والعقل، وهذا كله كناية عن الجزع والاضطراب وعدم الصبر. والنازلة: الشديدة من شدائد الدهر تنزل بالناس.
والفريص: جمع فريصة، وهي لحمة بين الجنب والكتف، ترتعد عند الفزع.
(٢) الحريص: المجتهد.

قافية الصاد

قال في الغزل :

أَيْنَ لِيَالِينَا بِوَادِي الْغَضَى ؟ ذَلِكَ عَهْدُ لَيْتَهُ مَا انْقَضَى (١)
كُنْتُ بِهِ مِنْ عَيْشَتِي رَاضِيًا حَتَّى إِذَا وُلَّى عَدِمْتُ الرُّضَا
أَيَّامٌ لَهْوٍ وَصَبَا كَلَّمَا ذَكَرْتُهَا ضَاقَ عَلَيَّ الْفَضَا
فَأَهْ مِنْ دَهْرٍ بِأَحْكَامِهِ جَارَ عَلَيْنَا وَقَضَى مَا قَضَى !
أَيُّ قِنَاعٍ مِنْ شَبَابٍ سَرَا ؟ وَأَيُّ ثَوْبٍ مِنْ نَعِيمٍ نَضَا ؟ (٢)
قَدْ بَيَّضَ الْأَسْوَدَ مِنْ لِمَّتِي يَا لَيْتَهُ سَوَدَ مَا بَيَّضَا (٣)
عَهْدُ كَطَيْفٍ زَارَ حَتَّى إِذَا أَشْرَقَ صُبْحٌ مِنْ مَشِيبي مَضَى (٤)
مَا كَانَ إِلَّا كَنَسِيمٍ سَرَى وَعَارِضٍ غَامٍ وَبَرَقٍ أَضَا (٥)

(١) الغضى: شجر، وخشبه من أصلب الخشب، الواحدة غضاة. ووادي الغضى: مكان بنجد،

ويريد به الشاعر: منزل الحب، ومجال اللهو والصبا والهوى.

(٢) القناع: ما تتقنع به المرأة، أي تغطي به رأسها ومحاسنها، وقد شبه الشاعر به سواد شعر الرأس في عهد الشباب. وسرا الثوب عنه يسروه: كشفه وألقاه وخلعه، وكذلك نضاه ينضوه.

(٣) اللمة: الشعر المجاوز شحمة الأذن.

(٤) الطيف: الخيال الطائف في المنام.

(٥) العارض: السحاب يعترض في الأفق. وغام: المراد تراكم وأطبق واجتمع.

وَلَمْ يُعْقِبْ سِوَى حَسْرَةٍ بَيْنَ الْحَشَا كَالصَّارِمِ الْمُتَضَى (٦)
 لَوْلَا الْغَضَى وَهُوَ مَطَافُ الْهُوَى مَا شَبَّ فِي قَلْبِي جَمْرُ الْغَضَى (٧)
 أَسْتَوْدِعُ اللَّهَ بِهِ شَادِنًا عَذَّبَنِي بِالصُّدِّ بَلْ أَرْمَضَا (٨)
 مُغْتَدِلُ الْقَامَةِ ذُو لَحْظَةٍ تَعَلَّمَ الْخَطِيءُ مِنْهُ الْمَضَا (٩)
 ظَنِّي حِمَىً مُذْ غَرَبَتْ شَمْسُهُ عَنْ نَاطِرِي بِالْبَيْنِ مَا غَمَضَا (١٠)
 قَدْ سَرَّنِي حِينَ أَتَى مُقْبِلًا وَسَاءَنِي حِينَ مَضَى مُعْرِضَا (١١)
 حَمَلَنِي مِنْ وَجْدِهِ لَوْعَةً لَوْنَهُضَ الدُّهْرُ بِهَا خَفْضَا (١٢)
 قَدْ أَخَذَ النَّوْمَ وَمَا رَدَّهُ وَاسْتَلَبَ الْقَلْبَ وَمَا عَوْضَا
 مَا بَالُهُ مَا طَلَّ فِي وَعْدِهِ ؟ أَلَمْ يَحْنُ لِلذَّيْنِ أَنْ يُقْتَضَى ؟ (١٣)

(٦) لم يعقب: لم يتبع. والحشا: ما اجتمعت عليه الضلوع، وما حواه الجوف. والصارم: السيف القاطع. والمتضى: المسلول المجرد من غمده.

(٧) لولا الغضى: أي وادي الغضى، والغضى: شجر خشبه من أصلب الخشب، ولهذا يكون في فحمة صلابه، وهو من أجود الوقود عند العرب. والشاعر يشير إلى ما ذكره في مطلع هذه القصيدة من أن وادي الغضى كان مجال لهوه، ومرتع صباه ومرحه.

(٨) الشادن: الظبي إذا قوي واشتد واستغنى عن أمه، وتشبه به الفتاة الحسنة في جمال الجيد والعينين، والرشاقة، ولطف الحركة. والصد: الإعراض والهجران. وأرمض: يريد أرمضني، أي أوجعني وأحرقني.

(٩) اللحظة: النظرة بمؤخر العين، والمراد النظرة الفاتنة الساحرة. والخطي: الرمح، نسبة إلى الخط من بلاد البحرين، وكانت تشتهر بتجارة الرماح. والمضاء: مصدر مضى الرمح والسيف ونحوهما، أي نفذ.

(١٠) الظبي: الغزال. والحمى: المكان المحمي المحظور الذي لا يقرب، ولا يجترأ عليه، وتشبيه الحبيب بظبي الحمى يفيد أنه مصون محجّب مخدّر عزيز الجانب. والناظر: العين والبين: الفراق والبعد.

(١١) معرضاً: صاداً هاجراً.

(١٢) خفّض: المراد خفّضها، أي طرحها وألقاها من العجز والإعياء.

(١٣) ما طله بدينه وحقه مما طلة ومطالاً: سوفه بوعده الوفاء مرة بعد أخرى.

قَاضِيَتُهُ عِنْدَ مَلِيكَ الْهَوَى فَغَلَّ حَقِّي وَأَسَاءَ الْقَضَا (١٤)
 فَمَنْ لَهُ أَشْكُو وَقَدْ سَامَنِي جَوْرًا وَحَقُّ الْجَوْرِ أَنْ يُرْفَضَا (١٥)
 تَالِهَ لَوْلَا خَوْفُ هِجْرَانِهِ مَا بَاتَ قَلْبِي عَانِيًا مُحْرَضَا (١٦)
 فَإِنَّ لِي مِنْ عَزْمَتِي صَاحِبًا يَمْنَعُنِي فِي الرَّوْعِ أَنْ أُدْحَضَا (١٧)
 وَلَسْتُ مِمَّنْ إِنْ دَجَا حَدِيثُ أَلْقَى زِمَامَ الْأَمْرِ أَوْ فَوْضَا (١٨)
 لَكِنِّي أَلْقَى الرَّدَى حَاسِرًا وَأَصْدَعُ الْخَصْمَ إِذَا عَرَضَا (١٩)
 اسْتَحَقَبُ الشَّهْدَ لِمَنْ وَدَّيَ وَأَنْفُثُ السَّمَّ لِمَنْ أَبْغَضَا (٢٠)
 جَرَّدْتُ نَفْسِي لِطَلَابِ الْعُلَا وَالسَّيْفُ لَا يُرْهَبُ أَوْ يُتَضَى (٢١)
 وَلِي مِنَ الْقَوْلِ نَصِيرٌ إِذَا دَعَوْتُهُ فِي حَاجَةٍ أَوْفَضَا (٢٢)
 سَلَّ عَنِّي الْمَجْدَ وَلَا تَحْتَشِمُ فَالْمَجْدُ يَذْرِي أَيَّ سَيْفٍ نَضَا (٢٣)

- (١٤) قاضيته: حاكمته. ومليك الهوى: ملك الحب. وغل: خان.
- (١٥) سامه الأمر: حمله عليه، وأولاه إياه، أو كلفه إياه، وأكثر ما يستعمل السوم في العذاب والشر.
- (١٦) العاني: الأسير، والخاضع المستكين. ومحرض: مدنف، قد أذابه العشق.
- (١٧) العزمة: الجذ والاجتهاد في الأمر. والروع: الفزع والخوف. وأدحض: أزل وأسقط.
- (١٨) دجا: أظلم، ودجا حادث: اشتد وصعب واستبهمت معه الأمور، وصعب المخلص منه. والزمام: المقود والحبل أو الخيط يزم به الشيء، أي يشد ويربط، وإلقاء زمام الأمر: كناية عن التخلي عنه، وعدم الاهتمام به.
- (١٩) الردى: الهلاك. والحاسر: المنكشف الذي لا درع له ولا بيضة ولا مغفر، وهو خلاف الدارع. وأصدع الخصم: أرديه وأهلكه. وعرض له وبه: إذا قال قولاً وهو يعنيه، من التعريض، وهو ضد التصريح.
- (٢٠) استحقب: أحمل، وأصله من قولهم: استحقب المسافر الشيء إذا احتمله خلفه. والشهد: العسل في شمعها. وأنفث السم: أتفله.
- (٢١) ينتضي: يسل، أي يخرج من غمده.
- (٢٢) أوفض: أسرع.
- (٢٣) تحتشم: تنقبض، من الاحتشام، وهو الخجل والانقباض والاستحياء.

وَقَالَ يَصِفُ نَاقَةً مِنَ النُّعْمَانِيَّاتِ (★) :

وَرَوْعَاءِ الْمَسَامِيعِ مَا تَمَطَّتْ بِحَمَلٍ بَيْنَ سَائِمَةٍ مَخَاضِ (١)
خَرَجْتُ بِهَا عَلَى الْبَيْدَاءِ وَهَنَاءُ خُرُوجِ اللَّيْثِ مِنْ سَدَفِ الْغِيَاضِ (٢)
تُقَلِّبُ أَيْدِيًا مُتَسَابِقَاتٍ إِلَى الْغَايَاتِ كَالنُّبْلِ الْمَوَاضِي (٣)
مَدَدْتُ زَمَامَهَا وَالصُّبْحُ بَادٍ فَمَا كَفُكْفَتْهَا وَاللَّيْلُ غَاضِي (٤)
فَمَا بَلَغَتْ مَغِيبَ الشَّمْسِ حَتَّى أَضَافَتْ آتِيًا مِنْهُ بِمَاضِي
أَحَالَ السَّيْرُ جِرَّتَهَا رَمَادًا فَرَاخَتْ وَهِيَ خَاوِيَةٌ الْوِفَاضِ (٥)
وَمَا كَانَتْ لِتَسَامَ غَيْرَ أَنِّي رَمَيْتُ بِهَا اعْتِزَامِي وَاعْتِرَاضِي (٦)

(★) النوق النعمانيات: نسبة إلى النعمان بن المنذر، من أشهر ملوك الحيرة في الجاهلية، كان له نجائب، أي إبل كريمة، يقال لها عصافير النعمان، ويروى أنه أمر للنابعة الذبياني بمائة ناقة منها. ولعل الشاعر يريد بالنعمانيات هنا: فتايا النوق ونجائبها.

(١) روعاء: حديدة قوية، يرتاع لحدتها. والتمطي: التبخر، ومدّ اليدين في المشي، وهو أيضاً التمّدد. وما تمطت بحمل: ما تمّدد بطنها بحمل، أو ما سارت به تمّديديها وتتثاقل كالمتبخرّة. والمعنى أنها لم تحمل، فهي فتية قوية. والسائمة: الماشية الراعية، والمراد الإبل والنوق. والمخاض: الحوامل من النوق.

(٢) البيداء: الفلاة والمفازة والصحراء. ووهناً: حين أدبر الليل. والسدف: الظلمة. والغياض: جمع غيضة، وهي الشجر الكثير الملتفت.

(٣) المواضي: جمع ماض أو ماضية، بمعنى نافذة، يصفها بسرعة السير، والدأب والجد.

(٤) الزمام: المقود، أي الحبل الذي تقاد به الدابة. وكفكفتها: منعتها. وغاض: مظلم قد ألبس كل شيء.

(٥) أحال: صير. والجرّة: ما يجتره البعير ونحوه. وتكنّي العرب عن ذهاب الشيء وفنائه بصيرورته رماداً، ومن هذا القبيل قول الشاعر هنا: «أحال السير جرّتها رماداً». وخواوية: خالية. والوفاض: جمع وفضة، وهي الخريطة يضع فيها الراعي زاده، والجعبة من آدم، والوفاض أيضاً: الجلدة توضع تحت الرحي، والمكان يمسك الماء.

(٦) الاعتراض: مصدر اعتراض لعدوّه بسهم: إذا أقبل به قبله فرماه فقتله، واعتراض الرجل البعير: إذا ركبته وهو صعب.

هَتَكَتْ بِهَا سُتُورَ اللَّيْلِ حَتَّى
وَقَالَ يَعْتَذِرُ :
خَرَجْتُ مِنَ السَّوَادِ إِلَى الْبَيَاضِ (٧)

رَبِّ الْفُتُوَّةِ لَا تَسْبِقْ إِلَى عَذْلِ
فَإِنْ تَكُنْ هَفْوَةً أَوْ زَلَّةً عَرَضَتْ
وَقَالَ :
بَيْتٌ مِنْ مَسِّهِ قَلْبِي عَلَى مَضَضٍ (١)
فَالسَّهْمُ يَصْدِفُ أحياناً عَنِ الْغَرَضِ (٢)

إِذَا أَنْتَ أَبْغَضْتَ امْرَأً فَاخْشَ ضَرَّهُ
فَإِنَّ قُلُوبَ النَّاسِ تَمْتَازُ فِطْرَةً
وَعَاشِرٌ مِنَ الْخُلَّانِ مَنْ كَانَ سَالِمًا
فَقَدْ لَا يُفِيدُ الْقَوْلُ نَصْحًا وَحِكْمَةً
وَقَالَ :
فَأَنْتَ لَدَيْهِ مِثْلُ ذَاكَ بَغِيضُ
فَمِنْهَا لِبَعْضِ آلِفٍ وَنَقِيضُ (١)
فَلَيْسَ سَوَاءً سَالِمٌ وَمَرِيضُ (٢)
إِذَا حَالَ مِنْ دُونِ الْقَرِيضِ جَرِيضُ (٣)

تَحَبَّبَ إِلَى الْإِخْوَانِ بِالْحِلْمِ تَغْتَنِمُ
مَوَدَّتَهُمْ فَالْحِلْمُ لِلشَّرِّ يَرْحَضُ (١)

(٧) هتكت: خرقت ومزقت. وستور الليل: ظلماته. ويريد بالسواد: ظلمة الليل، وبالبياض: ضوء النهار.

(١) رب الفتوة: صاحب الكرم. والعذل: اللوم. والمضض: الألم والوجع.

(٢) الهفوة: السقطة، ومثلها الزلة. ويصدف: يميل عن القصد، وينحرف عن الهدف.

(١) فطرة: خلقه. وآلف: اسم فاعل من آلفته إلفاً، إذا أنست به وأحبيته.

(٢) الخلان: الأصدقاء، جمع خليل. وسالماً: المراد السلامة من الأمراض الخلقية، كالرياء والحق.

(٣) القريض ما يجتره البعير ونحوه. والجريض: الغصة، وهي ما ينص به الإنسان وغيره، أي ما يعترض وينشب في حلقه من طعام وغيره، من قولهم: «جرضت بريقي»، أي غصصت به، و«حال الجريض دون القريض»: مثل عربي يضرب لكل أمر يعوق دونه عائق، أو لكل أمر كان مقدوراً عليه، فحال دونه حائل.

(١) تغتنم: تنتهز وتكسب. يرحضه: يغسله.

فَإِنَّ قَرِينَ السُّوءِ مَا لَمْ تُجَازِهِ بِأَفْعَالِهِ وَافَاكَ بِالْعُذْرِ يَرْكُضُ^(٢)
وقال :

أَبَيْتُ الرَّدَّ لِلسُّؤَالِ عِلْمًا
فَإِمَّا عَائِلٌ فَأَصُونُ مِنْهُ
بِمَا فِي ذَاكَ مِنْ بَسْطٍ وَقَبْضِ^(١)
وَإِمَّا فَاجِرٌ فَأَصُونُ عِرْضِي^(٢)

وقال :

رَضِيتُ بِالْبَيْنِ إِشَارًا عَلَى سَكْنِ
فَمَا أَسَيْتُ لِشَيْءٍ كُنْتُ أَمْلِكُهُ
فِي مَعْشَرٍ وَدُهُمْ إِنْ أَخْلَصُوا مَرَضُ^(١)
فِي فَقْدِ أَوْجُهُمْ عَنْ ثُرُوتِي عَوْضُ^(٢)

-
- (٢) القرين : المصاحب . وجازاه بأفعاله : عاقبه . ووافاك : أتاك .
(١) أبيت : امتنعت . والسؤال : جمع سائل وهو المجتدي . والبسط : مصدر بسطت الثوب والفراش ، أي نشرته ، وضده القبض .
(٢) عائل : فقير محتاج . وأصون منه : أقيه وأحفظه ، والمراد أقضي بعطائي بعض حوائجه . وفاجر : فاسق كاذب غير محتاج .
(١) البين : الفراق والبعد . وإيثاراً : مصدر آثرت الشيء على غيره ، أي قدمته وفضلته . وسكن : إقامة واستقرار . ويريد بالمرض : الرياء والنفاق والملق والمداهنة ونحوها .
(٢) أسيت : حزنت .

قافية الطاء

قَالَ يَرُوضُ الْقَوْلَ :

هَلْ فِي الزَّمَانِ لَنَا حُكْمٌ فَشَتَرِطُ ؟
نَبِيَّ عَلَى غَيْرِ شَيْءٍ ثُمَّ يُضْحِكُنَا
وَكَيْفَ نَرْجُو مِنَ الْأَيَّامِ عَافِيَةً
نَرَعَى مِنَ الدَّهْرِ غَيْثًا نَبْتُهُ أَسْفُ
فَلَا يَغْرُنْكَ مِنْ دَهْرٍ بِشَاشَتُهُ
لَا يُدْرِكُ الْغَايَةَ الْقُصْوَى سِوَى رَجُلٍ
إِنْ مَسَّهُ الضَّمِيمُ نَاجَى السَّيْفِ مُتَّصِرًا
أَمْ تِلْكَ أُمْنِيَّةٌ فِي طَيْهَا قَنْطُ (١)
مَا لَيْسَ فِيهِ لَنَا بَقِيَا فَنَخْتَلِطُ (٢)
وَصِحَّةُ الْمَرْءِ مَقْرُونٌ بِهَا السَّقْطُ ؟ (٣)
لِلرَّائِدِينَ وَرَوْضًا زَهْرُهُ شَطَطُ (٤)
فَإِنَّمَا هُوَ بِشَرِّ تَحْتَهُ سَخَطُ (٥)
ثَبَّتَ الْعَزِيمَةَ مَاضٍ حَيْثُ يَنْخَرِطُ (٦)
أَوْ هَمَّهُ الْأَمْرُ لَمْ يَعْلُقْ بِهِ الثَّبُطُ (٧)

(١) في طيها: في ما انطوت عليه . وقنط: قنوط، ويأس .

(٢) نختلط: من الاختلاط، وهو فساد العقل .

(٣) السقط: العثرات والزلات .

(٤) الغيث: الكلا، وأصله المطر . والمراد بنبته: ثمره . والرائد: الذي يرسل في طلب الكلا .

والروض: جمع روضة، وهي أرض ذات بقل وعشب وزهر وماء . والشطط: الجور والظلم ومجاوزة القدر في كل شيء .

(٥) لا يغرنك: لا يخدعك . والبشاشة: البشر والفرح وطلاقة الوجه . والسخط: الغضب .

(٦) ماض: نافذ مقدم . وينخرط: يتجه ويسرع، من قولهم: انخرط في العدو إذا أسرع .

(٧) مسه الضميم: أصابه الظلم . وناجاه: ساره، والمراد بمناجاة السيف: الاعتماد عليه في دفع

الظلم . وهمه الأمر: حزنه وأقلقه . ويعلق: ينشب . والثبط: الضعف والتواني والكسل .

فَأَقْذِفْ بِنَفْسِكَ فِي أَقْصَى مَطَالِهَا
 قَدْ يَظْفَرُ الْفَاتِكُ الْأَلْوَى بِحَاجَتِهِ
 وَإِنْ شَاتَكَ الْمُنَى فَاقْنَعْ بِأَقْرَبِهَا
 لَا تَعْفُلَنَّ إِذَا أُمْنِيَّةٌ عَرَضَتْ
 إِنِّي وَإِنْ كَانَتْ الْأَيَّامُ قَدْ أَخَذَتْ
 فَقَدْ أَذُودُ السَّبْتَى عَنْ فَرِيَسَتِهِ
 وَأَصْدَعُ الْجَيْشَ وَالْفُرْسَانَ مِنْ مَرَحٍ
 فَمَا بِنَصْلِي إِنْ لَأَقَى ضَرِيْبَتَهُ
 وَرُبَّ يَوْمٍ طَوِيلِ الْعُمْرِ قَصْرُهُ
 كَأَنَّما الْوَحْشُ مِنْ تَلْهَابِ جَمْرَتِهِ
 إِنَّ النَّجَّاحَ بِسَعْيِ الْمَرءِ مُرْتَبِطٌ
 وَلَيْسَ يُدْرِكُهَا الْهَيَّابَةُ الْخَلِطُ^(٨)
 فَلَيْسَ فِي كُلِّ حِينٍ يُدْرِكُ الْوَسْطُ^(٩)
 فَإِنَّمَا الْعَيْشُ فِي هَذَا الْوَرَى لَقَطٌ^(١٠)
 مِنِّي وَأَخْنَى عَلَيَّ الضَّعْفُ وَالشَّمْطُ^(١١)
 وَأَفْجَأُ الْبَطْلَ الْحَامِي فَأَخْتَبُ^(١٢)
 تَحْتَ الْعَجَاجِ بِأَطْرَافِ الْقَنَا نُخْطُ^(١٣)
 نَكْلٌ وَلَا فِي جَفِيرِي أَسْهُمٌ مُرْطٌ^(١٤)
 جَرِي السَّوَابِقِ وَالْوَحَاةُ النُّشْطُ^(١٥)
 مُبَدِّدًا تَحْتَ أَشْجَارِ الْغَضَى خَبْطُ^(١٦)

(٨) يظفر: يفوز. والفاتك: الجريء. والألوى: الجدل الشديد الخصومة، والمراد الجريء الشجاع المقدم. والهيابة: الخائف الجبان. والخلط: الأحمق الضعيف.

(٩) شاتك: سبقتك، والمراد بعدت عنك، ولم تواتك.

(١٠) عرضت: ظهرت وسنحت. والورى: الخلق. واللقت: ما التقط.

(١١) أخذت الأيام منه: أضعفته. وأخنى عليه: بلغ منه، وثقل عليه وطال. والشمط: بياض شعر الرأس يخالط سواده، والمراد الشيب.

(١٢) أذود: أذفع وأطرد. والسبتى: النمر، أو الأسد لجرأته وشدة بأسه. وأختبطه: أضربه ضرباً شديداً.

(١٣) أصدع: أشق وأفرق. والعجاج: الغبار تثيره سنايك الخيل، وحركات المتحاربين. والقنا: الرماح، الواحدة قناة. ونخط: لاعبون بالرماح شجاعة وبطولة.

(١٤) النصل: حديدة الرمح والسهم والسيف ونحوها. والضريبة: ما ضربته بالسيف ونحوه، ونكل: نبؤ وتواعد، مصدر نكل عن عدوه إذا جبن ونكص وتأخر. والجفير: الجعبة، وهي كنانة السهام. وأسهم مرط: لا ريش عليها.

(١٥) السوابق: العاديات من الخيل. والوَحَاةُ: المسرعة، صفة من الوحد، وهو سعة الخطوف في المشي مع الإسراع، أو هو أن يرمي البعير ونحوه بقوائمه كمشي النعام.

(١٦) المراد بتلهاب جمرة: اشتداد حره. ومبدداً: مفرقاً. والغضى: شجر من نبات الأراضي

تَرَى بِهِ الْقَوْمَ صَرَغَى لَا حَرَكَ بِيَهُمْ
 وَلَيْلَةَ ذَاتِ تَهْتَانٍ وَأَنْدِيَةَ
 لَفِّ الْغَمَامِ أَقَاصِيهَا بِبُرْدَتِهِ
 بَهْمَاءَ لَا يَهْتَدِي السَّارِي بِكُوكِبِهَا
 يَكَادُ يَجْهَلُ فِيهَا الْقَوْمُ أَمْرَهُمْ
 يَطْفَى بِهَا الْبَرْقُ أَحْيَانًا فَيَزْجُرُهُ
 كَأَنَّمَا الْبَرْقُ سَوَاطِئُ وَالْحَيَا نُجُبُ
 كَأَنَّهُ صَارِمٌ يَرْفُضُ مِنْ عَلَقٍ
 مَزَّقَتْ جَلْبَابَهَا بِالْخَيْلِ طَالِعَةَ
 كَأَنَّهُمْ مِنْ عَتِيقِ الْخَمْرِ قَدْ سَقَطُوا
 كَأَنَّمَا الْبَرْقُ فِيهَا صَارِمٌ سَلِطٌ (١٧)
 وَأَنْهَلُ فِي حَجْرَتَيْهَا وَابِلٌ سَبِطٌ (١٨)
 مِنَ الْغَمَامِ وَلَا يَتَدَوَّبُ بِهَا نَمَطٌ (١٩)
 لَوْلَا صَهِيلُ جِيَادِ الْخَيْلِ وَاللُّغَطُ (٢٠)
 مُخْرَنْطُمٌ زَجَلٌ مِنْ رَعْدِهَا خِمِطٌ (٢١)
 يَلُوحُ فِي جِسْمِهَا مِنْ مَسِّهِ حَبِطٌ (٢٢)
 بِالْأَفْقِ يُغْمَدُ أَحْيَانًا وَيُخْتَرِطُ (٢٣)
 مِثْلَ الْحَمَائِمِ فِي أَجْيَادِهَا الْعُلُطُ (٢٤)

الرملية، وخشبه من أصلب الخشب، الواحدة غصاة. والخبط: ما يسقط تحت الشجر من ورق ونحوه.

(١٧) التهتان: مطر ضعيف دائم، أو هو مطر ساعة، ثم يفتر، ثم يعود. وأندية: جمع ندى، وهو البلبل. والصارم: السيف القاطع. والسלט: الذي لا نتوء في نصله.

(١٨) الغمام: السحاب، الواحدة غمامة. والمراد بالأقاصي: الأطراف والنواحي وآفاق السماء. والبردة: كساء يلتحف به. وانهل: انصب وسال بشدة. وحجرتها: ناحيتها. ووابل: مطر غزير شديد. وسبط: شديد متدارك.

(١٩) بهماء: سوداء مظلمة، وهي صفة لليلة. والنمط: الطريق.

(٢٠) الصهيل: صوت الفرس. واللغط: الأصوات المبهمة المختلطة والجلبة.

(٢١) يزجره: يمنعه وينهاه وينتهره. ومخرنطم: غضبان، وهو اسم فاعل من اخرنطم الرجل، أي رفع أنفه واستكبر وغضب. وزجل: عالي الصوت. وخمط: غضوب نائر

(٢٢) الحيا: المطر، والمراد السحب. والنجب: كرام الخيل والإبل وعتاقها وجيادها، المفرد نجيب. والحبط: آثار السياط بالبدن، أو الآثار الوارمة التي لم تشقق.

(٢٣) صارم: سيف قاطع. ويرفض: يسيل وينهل ويقطر ويترشش ويتفرق. والعلق: الدم. ويغمد: يدخل في غمده. ويخترط: يسأل ويجرد من غمده.

(٢٤) الجلباب: القميص، أو هو ثوب واسع دون الملحفة، أو هو الملاعة. ويريد بتمزيقه جلباب هذه الليلة: أنه سار في ظلماتها في سرعة ومضاء. وأجياها: أعناقها، جمع جيد. والعلط:

وَقَدْ تَخَلَّلَ خَيْطُ النُّورِ ظُلْمَتَهَا
 كَأَنَّهَا وَصْدِيعُ الْفَجْرِ يَصْدَعُهَا
 وَمَرْبَعِ لِنَسِيمِ الْفَجْرِ هَيْئَةً
 كَأَنَّهَا الْقَطْرُ دُرٌّ فِي جَوَائِبِهِ
 وَلِلنَّسِيمِ خِلَالَ النَّبْتِ غُلْفَةً
 وَالرَّيْحُ تَمْحُوسُ طَوْرًا ثُمَّ تُثْبِتُهَا
 وَلِلسَّمَاءِ خُيُوطٌ غَيْرُ وَاهِيَةٍ
 كَأَنَّهَا وَأَكْفُ الرِّيحِ تَضْرِبُهَا
 فَالضُّوءُ مُحْتَسِبٌ وَالْمَاءُ مُنْطَلِقٌ
 لُدْنَا بِأَطْرَافِهِ وَالطَّيْرُ عَاكِفَةٌ

جمع علاط، وهو من الحمامة طوقها في صفحتي عنقها بسواد، والعلاط أيضاً: حبل يجعل في
 عنق البعير ونحوه.
 (٢٥) يريد بخيط النور: بياض الصبح. واللّمة: ما جاوز شحمة الأذن من شعر الرأس. والوخط:
 الشيب القليل.
 (٢٦) الصديع: الفجر، لأن الليل ينصدع، أي ينشق عنه، والصديع أيضاً: انصداع الصبح، أي
 انفطاره وانفلاقه. ويصدعها: يشقها. وأدهم: فرس أسود. والنبط: بياض في بطن الفرس.
 (٢٧) المربع: الموضع يرتبع القوم فيه، أي يقيمون به زمن الربيع. والهينمة: صوت كأنه كلام
 خفي لا يفهم، أو قراءة غير بيّنة. واللغظ: الجلبة والأصوات المختلطة.
 (٢٨) يريد بالقطر: الندى وقطرات الماء التي على أوراق الشجر والزهر. والدرّ: اللآلئ، الواحدة
 درّة. والصدف: المحار، وصدف الدرّة: غشاؤها الذي يشتمل عليها ويغطيها، الواحدة
 صدفة.
 (٢٩) اللّمة: الشعر المجاوز شحمة الأذن، والمراد شعر الرأس مطلقاً.
 (٣٠) يريد بخيوط السماء: ما تساقط وتتابع من مطرها كالسلوك. وواهية: ضعيفة.
 (٣١) السلوك: الخيوط. والعقد: القلادة. وتواهت: بليت وضعفت. وتنخرط: تنتشر وتنفرق.
 (٣٢) لاذ به: لجأ إليه وعاذ به. وأطرافه: نواحيه، أي المربع، الواحد طرف. وعاكفة عليه: مقبلة
 مقيمة به لنضرتة وغضارته.

فِي فِتْيَةٍ رَضِعُوا ثَدْيَ الْوَفَاقِ فَمَا
 تَحَالَفُوا فِي صَفَاءِ الْوُدِّ وَاجْتَمَعُوا
 كَالغَيْثِ إِنْ وَهَبُوا وَاللَّيْثِ إِنْ وَثَبُوا
 تَكْشَفَ الدَّهْرُ عَنْهُمْ بَعْدَ غُمَّتِهِ
 مِيلٌ بِأَبْصَارِهِمْ نَحْوِي لِيَسْتَمِعُوا
 إِنْ سِرْتُ سَارُوا وَإِنْ أَضَعَدْتُ إِلَى نَشْرِ
 يَمْشُونَ حَوْلِي كَمَا يَمْشِي الْقَطَا بَدَدًا
 إِنْ يَكْنُفُونِي مِنْ حَوْلِي فَلَا عَجَبُ
 نَمْشِي بِهِ بَيْنَ أَشْجَارٍ كَأَنَّ عَلَيَّ
 مِثْلَ الطَّوَاوِيسِ فِي أذْنَابِهَا عَجَبُ

فِيهِمْ إِذَا مَا انْتَشَرُوا جَوْرٌ وَلَا شَطَطٌ (٣٣)
 عَلَى الْوَفَاءِ طَوَالَ الدَّهْرِ وَاشْتَرَطُوا
 وَالْمَاءِ إِنْ عَدَلُوا وَالنَّارِ إِنْ قَسَطُوا (٣٤)
 كَمَا تَكْشَفُ عَنْ مَكُونِهِ السَّفَطُ (٣٥)
 قَوْلِي وَكُلُّ لَأْمِرِي طَائِعٌ نَشِطٌ
 كَانُوا صُعُودًا وَإِنْ أَهْبَطُ بِهِمْ هَبْطُوا (٣٦)
 فَإِنْ مَضَى بَقَطٌ مِنْهُمْ أَتَى بَقَطٌ (٣٧)
 لَا يَسْقُطُ الطَّيْرُ إِلَّا حَيْثُ يَلْتَقِطُ (٣٨)
 أَفْنَانِهَا مِنْ بُرُودِ الْيَمْنَةِ الرِّيْطُ (٣٩)
 لِلنَّاطِرِينَ وَفِي أَجْيَادِهَا عَنْطُ (٤٠)

- (٣٣) الجور: الظلم، وهو ضد القصد. والشطط: مجاوزة القدر، والميل عن القصد.
- (٣٤) الغيث: المطر. والليث: الأسد. وقسطوا: جاروا وظلموا، والمراد: انتقموا من أعدائهم.
- (٣٥) الغمة: الكرب والشدة. ومكونه: مستوره وما خفي فيه. والسفط: الذي يعبأ فيه الطيب وما أشبهه من أدوات النساء.
- (٣٦) النشز: ما ارتفع من الأرض.
- (٣٧) القطا: ضرب من الحمام، الواحدة قطة. وبددًا: متفرقًا. والبقط: الفرقة، والقطعة من الشيء، والجماعة المتفرقة.
- (٣٨) يكنفونني: يحيطون بي.
- (٣٩) أفنانها: أغصانها. والبرود: الثياب المرقومة المطرزة الموشية. واليمنة: اليمن، وكان مشهوراً بصنع البرود الجيدة. والريطة: الملاءة إذا كانت قطعة واحدة، وهي كل ثوب لئين رقيق، وجمعها في المعجمات ريط ورياط.
- (٤٠) الطواويس: جمع الطاووس، وهو طائر يمتاز بمنظر بهي، وريش جميل، وذيل عجيب يشبه المروحة إذا بسطه. والأجياد: جمع جيد، وهو العنق. وعنط: طول وحسن وملاحة. شبه الأشجار المزهرة بالطواويس في بهائها وجمال ألوانها.

كَأَنَّهِنَّ جِمَالَاتٌ مُوقَّرَةٌ تَمُورٌ مَوْرًا عَلَى أَثْبَاجِهَا الْغُبُطُ (٤١)
وَلِلْفَوَاحِتِ فِي أَفْنَانِهَا هَزْجٌ قَدْ مَاجَ مِنْ لَحْنِهِنَّ السَّهْلُ وَالْفَرْطُ (٤٢)
خُضِرُ الْجَنَاحَيْنِ وَالْأَطْوَاقِ تَحْسِبُهَا أَطْفَالَ مَلِكٍ لَهَا مِنْ سُنْدُسٍ قُمُطُ (٤٣)
حَتَّى إِذَا حَلَّ ضَاجِي الْيَوْمِ حَبْوَتَهُ وَكَادَتِ الشَّمْسُ بَيْنَ الْغَرْبِ تَنْهَيْطُ (٤٤)
رُحْنَا نَجْرُ ذُيُولِ الْعِزِّ ضَافِيَةً وَكُنْنَا بِنَعِيمِ الْعَيْشِ مُغْتَبِطُ (٤٥)
يَوْمٌ مِنَ الدَّهْرِ أَهْوَى لَوْ بَدَلْتُ لَهُ مَا شَاءَ فِي مِثْلِهِ لَوْ كَانَ يَشْتَرِطُ |

وَقَالَ :

تَمَهَّلْ وَلَا تَعْجَلْ إِذَا رُمْتَ حَاجَةً فَقَدْ يَلْحَقُ الْخُسْرَانُ مَنْ يَتَوَرَّطُ (١)
فَذُو الْحَزْمِ يَرَعَى الْقَصْدَ فِي كُلِّ حَالَةٍ وَذُو الْجَهْلِ إِمَّا مُفْرَطٌ أَوْ مُفَرَّطُ (٢)

(٤١) جمالات: جمع جمال، وهذه جمع جمل. وموقرة: مثقلة بأحمالها. وتمور: تتحرك وتهتز وتضطرب. وأثباجها: ظهورها، جمع ثبج، وهو ما بين الكاهل إلى الظهر. والغبط: جمع غبيط، وهو الرجل يوضع على ظهر البعير ويشد عليه الهودج.
(٤٢) الفواخت: ضرب من الحمام المطوق، الواحدة فاخنة. وهزج: صوت مطرب. والهزج: من الأغاني وفيه ترنم. واللحن: من الأصوات المصوغة الموضوعة، وجمعه ألحان ولحون، والمراد غردها. والفرط: الأكمة تكون دون الجبل.
(٤٣) الأطواق: جمع طوق وهو حلي يجعل في العنق، والمطوق من الحمام: ما كان في عنقه شبه الطوق من الريش. والسندس: رقيق الديباج ورفيعه. والقمط: جمع قماط وهو ما يلف فيه الطفل من الثياب.
(٤٤) الضاحي: المشرق المضيء، وأصله البارز للشمس في غير ما يظله ويكنه. والاحتباء بالثوب: الاشتمال به، واحتبى الرجل: إذا جمع بين ظهره وساقيه بعمامة ونحوها، وحل اليوم حبوته: كناية عن ذهابه وإدباره. وتنهيط: تنزل وتنحط.
(٤٥) رحنا: عدنا آخر النهار. وضافية: سابعة واسعة. ومغبتط: مسرور حسن الحال.
(١) يتورط: يرتبك ويقع في الورطة، وهي الشدة، والأمر الشاق الذي يصعب التخلص منه.
(٢) القصد: الاعتدال والاستقامة، والوسط بين الإفراط والتفريط. ومفرط: مصدر أفرط فلان في الأمر، إذا جاوز فيه الحد. ومفرط: اسم فاعل من التفريط، وهو التقصير.

قافية الظاء

قال في الغزل :

سَكِرَتْ بِخَمْرِ حَدِيثِكَ الْأَلْفَاظُ وَتَكَلَّمْتُ بِضَمِيرِكَ الْأَلْحَاظُ
يَا دُمِيَّةً لَوْلَا التَّقِيَّةُ لَأَسْتَوْتُ فِي حُبِّهَا الْفُتَّاكَ وَالْوُعَاظُ^(١)
مَا لِي مَنَحْتُكَ خُلَّتِي وَجَزَيْتِنِي نَاراً لَهَا بَيْنَ الضُّلُوعِ شُوَاطُ؟^(٢)
هَلَّا مَنَنْتَ إِذِ امْتَلَكْتَ فَطَالَ مَا مَنِ الْكَرِيمُ وَقَلْبُهُ مُغْتَاطُ^(٣)
فَلَقَدْ هَجَرْتُ إِلَيْكَ جُلَّ عَشِيرَتِي فَقَلُوبُهُمْ أَبَدًا عَلَيَّ غِلَاظُ^(٤)
وَنَفَيْتَ عَنِّي الْمَنَامَ فَمَا لَهَا غَيْرَ الْمَدَامِعِ وَالسُّهَادِ لَمَاظُ^(٥)
هَذَا وَمَا اخْتَضَبْتُ لِغَيْرِكَ أَسْهُمُ بِدَمِي وَلَا اخْتَكَمْتُ عَلَيَّ لِحَاظُ^(٦)

(١) الدمية: الصورة المنقشة من العاج وغيره، ويكنى بها عن المرأة الحسنة. والفتاك: جمع فاتك، وهو القاتل الجريء.

(٢) خلتي: صداقتي المختصة. وجزيتني: كافأني. والشواط: لهب لا دخان فيه.

(٣) مننت: أنعمت، يريد مننت عليّ بالوصال. وامتلكت: يريد أنها امتلكت أمره.

(٤) غلاظ: جمع غليظ، صفة من الغلظة، وهي ضد الرفق والرحمة والحنان.

(٥) السهاد: الأرق والسهر، وهو نقيض الرقاد. ولماظ: شيء تذوقه، من قولهم: ليس له لماظ، أي شيء يذوقه ويتلمظ به.

(٦) الخضاب: ما يختضب به كالحناء ونحوه. واختضبت الأسهم بالدم: صبغت به، كأنه الخضاب فوقها. وتشبه نظرات الحسان بالسهم في شدة تأثيرها في قلوب العشاق. واختكمت عليّ: سيطرت. والمراد باللحاظ: النظرات الفاتنة الساحرة.

فَعَلَامَ تَسْتَمِيعِينَ مَا يَأْتِي بِهِ
فَصَلِي مُجِبًا مَا أَصَابَ خَطِيئَةً
يَهْوَاكِ حَتَّى لَا يَمِيلُ بِطَبْعِهِ
نَابِي الْمَضَاجِعِ لَا تَزُورُ جُفُونَهُ
مُتَحَمِّلٌ مَا لَوْ تَحَمَّلَ بَعْضُهُ
فَإِذَا اسْتَهَلَّ تَرَبَّعُوا فِي مَا جَرَى
هَذَا هُوَ الْحُبُّ الَّذِي ضَاقَتْ بِهِ

وَقَالَ :

مَتَى يَجِدُ الْإِنْسَانَ خِلًا مُوَافِقًا
فَإِنِّي رَأَيْتُ النَّاسَ بَيْنَ مُخَادِعٍ

وَقَالَ :

مَنْ لِقَلْبِي بِشَادِنٍ لَمْ يُمَتِّعْ بِحَظِّهِ؟ (١)

(٧) الجَوَاطُ: الكثير الكلام في الشر.
(٨) الإِحْفَاطُ: مصدر أحفظه، أي أغضبه.
(٩) نابي المضاجع: قلق أرق مسهد لا ينام. وسنة الكرى: أوائل النوم. وأولو الهوى: العاشقون المحبون.

(١٠) فَاظُوا: هلكوا وماتوا.
(١١) اسْتَهَلَّ: انصب وجرى، أي دمه. وتربّع البعير: أكل الربيع، أي الكلال، وتربّع القوم بمكان كذا: أقاموا فيه زمن الربيع، والضمير في «تربّعوا» يعود على أهل المحبة في البيت السابق، وتربّعهم في ما جرى من دمه. وقاظ القوم بالمكان: أقاموا به زمن القيظ، وهو صميم الصيف حين يشتد الحر.

(١) الخل: الصديق المختص. والكلفة: المشقة. والمتحفظ: المتوقفي المحترس المتيقظ.

(٢) متغيظ: مغتاظ، وهو غضب كامن للعاجز.

(١) الشادن: الغزال إذا قوي وترعرع، واستغنى عن أمه.

قَدْ سَبَّانِي بِطَرْفِهِ وَشَجَّانِي بِلَفْظِهِ (٢)
كُلُّ شَيْءٍ سَيْرَعَوِي غَيْرَ قَلْبِي وَلِحْظِهِ (٣)

وَقَالَ :

أَنْتَ مِنْنِي مَا بَيْنَ فِكْرٍ وَلَفْظٍ فَمَتَى يَشْتَفِي بِقُرْبِكَ لِحْظِي ؟
غَبَّتْ عَنِّي مَدَى ثَلَاثِ فِرَادَاتٍ حَسْرَاتِي وَغَابَ أُنْسِي وَحَظِّي
فَأَجِبْ دَعْوَتِي وَلَا تَنْسَ وَعْدًا لَكَ بِالْوَصْلِ لَا يَزَالُ بِحِفْظِي

(٢) سباني : أسرني . والطرف : العين . وشجاني : طربني وهيجني .

(٣) يرعوي : يحسن رجوعه عما هو فيه .

قافية العين

قال يَرُوضُ الْقَوْلَ * :

مَتَى أَنْتَ عَنْ أُحْمُوقَةَ الْغَيِّ نَازِعٌ وَفِي الشَّيْبِ لِلنَّفْسِ الْأَبْيَّةِ وَازِعٌ (١)
 أَلَا إِنَّ فِي تِسْعٍ وَعِشْرِينَ حِجَّةً لِكُلِّ أَخِي لَهْوٍ عَنِ اللَّهْوِ رَادِعٌ (٢)
 فَحَتَّامٌ تُصَيِّبُكَ الْغَوَانِي بِدَلَّهَا وَتَهْفُو بِلَيْتِيكَ الْحَمَامُ السَّوَاجِعُ؟ (٣)
 أَمَّا لَكَ فِي الْمَاضِينَ قَبْلَكَ زَاجِرٌ يَكْفُكَ عَنْ هَذَا بَلَى أَنْتَ طَامِعٌ (٤)
 وَهَلْ يَسْتَفِيقُ الْمَرْءُ مِنْ سَكْرَةِ الصَّبَا إِذَا لَمْ تُهَذَّبْ جَانِيهِ الْوَقَائِعُ؟
 يَرَى الْمَرْءُ عُتْوَانَ الْمُنُونِ بِرَأْسِهِ وَيَذْهَبُ يُلْهِي نَفْسَهُ وَيُصَانِعُ

(★) نظم الشاعر هذه العينية الطويلة الرائعة الخالدة سنة ١٨٦٨ م، وهو في التاسعة والعشرين،

بعد عودته من حرب «كريد»، وبعد أن تزوج «عديلة يكن» بنحو سنة.

(١) الأحموقة: اسم من الحماقة، وهي قلة العقل، ووضع الشيء في غير موضعه، مع العلم بقبحه. والغَيِّ: الجهل والضلال. والأبيَّة: صفة من الإباء، وهو كراهية الشيء والامتناع منه.

ووازع: اسم فاعل من وزعه، أي كَفَّه وزجره ومنعه.

(٢) حِجَّة: سنة. وراذع: اسم فاعل من رذعه عن الشيء، أي كَفَّه وزجره.

(٣) تصيبك: تشوقك وتفتنك، وتدعوك إلى الصبا والبحنين والغرام. والغواني: جمع غانية، وهي المرأة التي غنيت بحسنها عن الزينة. ودل المرأة: حسن حديثها، وحسن مزحها، وجمال

هيئتها. والليتان: صفحتا العنق، مثنى الليت، وهو صفحة العنق وجانبه. والسواجع: جمع ساجعة، من سجمت الحمامة، إذا هدلت وطربت في صوتها، ووالته على طريق واحد.

(٤) زاجر: كاف رادع.

أَلَا إِنَّمَا هَذِي اللَّيَالِي عَقَابِرُ
 فَلَا تَحْسَبَنَّ الدَّهْرَ لُغْبَةً هَازِلٍ
 فَيَارُبَّمَا بَاتَ الْفَتَى وَهُوَ آمِنٌ
 فَفِيمَ اقْتِنَاءِ الدَّرْعِ وَالسَّهْمِ نَافِذٌ؟
 يَوَدُّ الْفَتَى أَنْ يَجْمَعَ الْأَرْضَ كُلَّهَا
 فَقَدْ يَسْتَحِيلُ الْمَالَ حَتْفًا لِرَبِّهِ
 أَلَا إِنَّمَا الْأَيَّامُ تَجْرِي بِحُكْمِهَا
 فَلَا تَقْعُدَنَّ لِلدَّهْرِ تَنْظُرُ غِيبَهُ
 فَلَوْ أَنَّ مَا يُعْطَى الْفَتَى قَدَّرَ نَفْسِهِ
 وَدَعَى كُلَّ ذِي عَقْلٍ يَسِيرُ بِعَقْلِهِ
 فَمَا النَّاسُ إِلَّا كَالَّذِي أَنَا عَالِمٌ
 وَلَسْتُ بِعِلَّامِ الْغُيُوبِ وَإِنَّمَا
 تَدِبُّ وَهَذَا الدَّهْرُ ذَنْبٌ مُخَادِعٌ^(٥)
 فَمَا هُوَ إِلَّا صَرْفُهُ وَالْفَجَائِعُ^(٦)
 وَأَصْبَحَ قَدْ سُدَّتْ عَلَيْهِ الْمَطَالِعُ^(٧)
 وَفِيمَ ادِّخَارِ الْمَالِ وَالْعُمْرُ ضَائِعٌ؟^(٨)
 إِلَيْهِ وَلَمَّا يَذِرْ مَا اللَّهُ صَانِعٌ
 وَتَأْتِي عَلَى أَعْقَابِهِنَّ الْمَطَامِعُ^(٩)
 فَيُحْرَمُ ذُو كَدٍّ وَيُرْزَقُ وَادِعٌ^(١٠)
 عَلَى حَسْرَةٍ فَاللَّهُ مُعْطٍ وَمَانِعٌ^(١١)
 لَمَّا بَاتَ رَبِّبَالُ الشَّرَى وَهُوَ جَائِعٌ^(١٢)
 يُنَازِعُ مِنْ أَهْوَائِهِ مَا يُنَازِعُ
 قَدِيمًا وَعِلْمُ الْمَرْءِ بِالشَّيْءِ نَافِعٌ
 أَرَى بِإِلْحَاطِ الرَّأْيِ مَا هُوَ وَاقِعٌ

(٥) تدبّ: تسير سيراً ليئناً.

(٦) صرف الدهر: حدثانه ونوائبه. والفجائع: المصائب الشديدة الفادحة، الواحدة فجيجة.

(٧) المطالع: المسالك والطرق ومواضع الطلوع.

(٨) الدرع: لبوس الحديد، يلبسها المحارب، ليتقي بها السهام والسيوف والرماح ونحوها، والمراد باقتناء الدرع: الاحتراس والحذر والتوقي. والمراد بالسهم: قدر الله وقضاؤه الذي لا يردّه شيء.

(٩) حتفاً: هلاكاً. وربّه: صاحبه ومالكه. وتأتي على أعقابهنّ المطامع: المراد أنها ترتدّ فلا يدركها مؤمّلها.

(١٠) الكدّ: الشدّة في العمل، وطلب الكسب، والإلحاح في محاولة الشيء. والوادع: الساكن الهادي.

(١١) غبه: عاقبته وآخره.

(١٢) الرّببال: الأسد. والشري: موضع تكثر فيه الأسد، وتنسب إليه.

وَذَرَّهُمْ يُخَوِّضُوا إِنَّمَا هِيَ فِتْنَةٌ
 فَلَوْ عَلِمَ الْإِنْسَانُ مَا هُوَ كَائِنٌ
 وَمَا هَذِهِ الْأَجْسَامُ إِلَّا هَيَاكِلُ
 فَأَيْنَ الْمُلُوكُ الْأَقْدَمُونَ تَسَنَّمُوا
 مَضَوْا وَأَقَامَ الدَّهْرُ وَأَنْتَابَ بَعْدَهُمْ
 أَرَى كُلَّ حَيٍّ ذَاهِبًا بِيَدِ الرَّدَى
 أَنْادِي بِأَعْلَى الصَّوْتِ أَسْأَلُ عَنْهُمْ
 فَإِنْ كُنْتَ لَمْ تَسْمَعْ نِدَاءً وَلَمْ تُجِرْ
 خَيَالُ لَعْمَرِي لَيْسَ يُجِدِي طِلَابُهُ
 فَمَنْ لِي وَرَوْعَاتُ الْمُنَى طَيْفُ حَالِمٍ
 أَشَاطِرُهُ وَدِّي وَأَفْضِي لِسَمْعِهِ
 لَعَلِّي إِذَا صَادَفْتُ فِي الْقَوْلِ رَاحَةً

لَهُمْ بَيْنَهَا عَمَّا قَلِيلٍ مَصَارِعُ^(١٣)
 لَمَّا نَامَ سُمَارٌ وَلَا هَبَّ هَاجِعُ^(١٤)
 مُصَوَّرَةٌ فِيهَا النُّفُوسُ وَدَائِعُ
 قِلَالِ الْعُلَا فَالْأَرْضُ مِنْهُمْ بِلَاقِعُ^(١٥)
 مُلُوكٌ وَبَادُوا وَاسْتَهَلَّتْ طَلَائِعُ^(١٦)
 فَهَلْ أَحَدٌ مِمَّنْ تَرَحَّلَ رَاجِعُ؟^(١٧)
 فَهَلْ أَنْتَ يَا دَهْرَ الْأَعَاجِبِ سَامِعُ؟
 جَوَابًا فَأَيُّ الشَّيْءِ أَنْتَ أَنْزَعُ^(١٨)
 وَمَأْسَفَةٌ تُذْمَى عَلَيْهَا الْأَصَابِعُ
 بِذِي خُلَّةٍ تَزْكُو لَدَيْهِ الصَّنَائِعُ؟^(١٩)
 بِسِرِّي وَأُمْلِيهِ الْمُنَى وَهُوَ رَابِعُ^(٢٠)
 نَضَحْتُ غَلِيلًا مَا رَوْتَهُ الْمَشَارِعُ^(٢١)

(١٣) ذرهم: اتركهم. والفتنة: الابتلاء والاختبار والامتحان، وهي أيضاً المحنة واختلاف الناس بالأراء. ومصارع: مهالك.

(١٤) السُّمَارُ: جمع سامر، من السمر، وهو حديث الليل. وهبَّ: انتبه واستيقظ. وهاجع: نائم.

(١٥) تَسَنَّمُوا: ركبوا وعلوا. وقلال العلا: ذراها وأعاليتها. وبلاقع: خالية مقفرة.

(١٦) انتاب بعدهم ملوك: أي توالى بعدهم ملوك، وبادوا: هلكوا. والمراد بالطلائع هنا: جماعات الناس.

(١٧) الردى: الهلاك والموت. وترحل: انتقل وذهب، والمراد مات.

(١٨) أنزع: أجاذب وأخاصم، والمراد أحاور.

(١٩) روعات المنى: الأمانى الرائعة. والطيف: الخيال الطائف في المنام. والخلة: الصداقة المختصة بالخالصة. وتزكو: تنمو وتزيد. والصنائع: جمع صنعة، وهي العطية والكرامة والإحسان واليد والمعروف تسديه إلى إنسان لتصطنعه به.

(٢٠) رابع: اسم فاعل من ربع بمعنى وقف وتحبس وانتظر، أو بمعنى أقام واطمان.

(٢١) الغليل: شدة العطش وحرارته، وربما سميت حرارة الحب والحزن غليلاً. والمشارع: موارد

لَعْمُرُ أَبِي وَهُوَ الَّذِي لَوْ ذَكَرْتُهُ
لَمَا نَازَعْتَنِي النَّفْسُ فِي غَيْرِ حَقِّهَا
وَمَا أَنَا وَالْدُنْيَا نَعِيمٌ وَلَذَّةٌ
فَلَا السَّيْفُ مَقْلُوبٌ وَلَا الرَّأْيُ عَازِبٌ
وَلَكِنِّي فِي مَعْشَرٍ لَمْ يَقُمْ بِهِمْ
لَوَاعِبُ بِالْأَسْمَاءِ يَبْتَدِرُونَهَا
وَهَلْ فِي التَّحْلِيِّ بِالْكُنْيِ مِنْ فَضِيلَةٍ
أَعَاشِرُهُمْ رَغْمًا وَوُدِّي لَوْ أَنَّ لِي
فِي قَوْمٍ هُبُوبًا إِنَّمَا الْعُمْرُ فُرْصَةٌ

لَمَا اخْتَالَ فَخَارٌ وَلَا اخْتَالَ خَادِعٌ (٢٢)
وَلَا ذَلَّلْتَنِي لِلرَّجَالِ الْمَطَامِعُ (٢٣)
بِذِي تَرَفٍ تَحْنُو عَلَيْهِ الْمَضَاجِعُ
وَلَا الزُّنْدُ مَغْلُوبٌ وَلَا السَّاقُ ظَالِعٌ (٢٤)
كَرِيمٌ وَلَمْ يَرْكَبْ شَبَا السَّيْفِ خَالِعٌ (٢٥)
سَفَاهًا وَبِالْأَلْقَابِ فَهِيَ بَضَائِعُ (٢٦)
إِذَا لَمْ تُزَيِّنْ بِالْفَعَالِ الطَّبَائِعُ (٢٧)
بِهِمْ نَعْمًا أَدْعُو بِهِ فَيْسَارِعُ (٢٨)
وَفِي الدَّهْرِ طُرُقٌ جَمَّةٌ وَمَنَافِعُ (٢٩)

الشاربية، والمواضع التي ينحدر المستقي منها إلى الماء، والمراد بالمشارع: مياهها الغزيرة، الواحدة مشرعة.

(٢٢) اختال: زهى وتكبر. وفخار: صيغة مبالغة من الفخر، وهو التمدح بالخصال، وعدّ القديم، والمباهاة بالمكارم والمناقب من حسب ونسب وغيرهما. المراد بالاحتيال هنا: المخادعة.

(٢٣) نازعتني: جاذبتني وخاصمتني. وذلك: أخضعه وحمله على الذل والهوان.

(٢٤) مفلول: مثلم متكسر. والرأي: العقل والتدبير ونفاذ البصيرة والحدق بالأمور. وعازب: غائب بعيد. ومغلول: مقبوض مقيد ممنوع من العمل. وظالع: صفة من الظلع وهو غمز في المشي يشبه العرج.

(٢٥) المعشر: الجماعة من الناس، والمراد جماعة من قومه وبنى وطنه. وشبابة كل شيء: حدّه. وخالع: المراد شاب قوي قادر على حمل السلاح والمجالدة والقتال. وركوب شبا السيف: كناية عن ركوب الأخطار، واقتحام المخاوف.

(٢٦) يبتدرونها: يعالجونها ويسارعون إليها. والسفاه: الجهل وخفة العقل والحمق، وهو نقيض الحلم.

(٢٧) التحلي: التزيين. والكنى: جمع كنية، والمراد|بها ما يطلق على الرجل للتعظيم والتوقير. والطبائع: جمع طبيعة، وهي الخليقة والسجية التي جبل الإنسان عليها.

(٢٨) أعاشرهم رغماً: أي أخالطهم وأعيش معهم على كره مني. والنعم: الإبل ونحوها.

(٢٩) جمّة: كثيرة، والمراد بالطرق الجمّة: الوسائل الكثيرة المختلفة التي يكسب بها العامل المجدّ الشرف والنباهة والعزة في الحياة.

أَصْبِرًا عَلَى مَسِّ الْهَوَانِ وَأَنْتُمْ
 وَكَيْفَ تَرَوْنَ الذَّلَّ دَارَ إِقَامَةٍ
 أَرَى أَرُؤُسًا قَدْ أُيْنَعَتْ لِحَصَادِهَا
 فَكُونُوا حَصِيدًا خَامِدِينَ أَوْ أَفْزَعُوا
 أَهْبْتُ فَعَادَ الصَّوْتُ لَمْ يَقْضِ حَاجَةً
 فَلَمْ أَدْرِ أَنَّ اللَّهَ صَوَّرَ قَبْلَكُمْ
 فَلَا تَدْعُوا هَذِي الْقُلُوبَ فَإِنَّهَا
 وَدُونَكُمْوَمَا صَعْدَةٌ مَنْطِقِيَّةٌ
 تَسِيرُ بِهَا الرُّكْبَانُ فِي كُلِّ مَنْزِلٍ
 فَمِنْهَا لِقَوْمٍ أَوْشَحُ وَقَلَائِدُ
 عَدِيدُ الْحَصَى إِنِّي إِلَى اللَّهِ رَاجِعٌ (٣٠)
 وَذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ فِي الْأَرْضِ وَاسِعٌ
 فَأَيْنَ وَلَا أَيْنَ السُّيُوفُ الْقَوَاطِعُ؟ (٣١)
 إِلَى الْحَرْبِ حَتَّى يَذْفَعَ الضَّمِيمَ دَافِعٌ (٣٢)
 إِلَيَّ وَلِبَّانِي الصُّدَى وَهُوَ طَائِعٌ (٣٣)
 تَمَائِيلَ لَمْ يُخْلَقْ لَهُنَّ مَسَامِعُ
 قَوَارِيرُ مَخْنِي عَلَيْهَا الْأَضَالِعُ
 تَفْلُ شَبَا الْأَرْمَاحِ وَهِيَ شَوَارِعُ (٣٤)
 وَتَلْتَفُّ مِنْ شَوْقٍ إِلَيْهَا الْمَجَامِعُ (٣٥)
 وَمِنْهَا لِقَوْمٍ آخِرِينَ جَوَامِعُ (٣٦)

- (٣٠) الهوان: الذل والخزي. وعديد الحصى: مثله في العدد والكثرة، يقال: هم عديد الحصى، إذا كانوا لا يحصون كثرة، كما يعز الحصى على الإحصاء.
- (٣١) أينعت: أدركت ونضجت وحن قطفها، أي الرؤوس على تشبيهها بالثمار. والحصاد: مصدر حصدت الزرع والنبات أي قطعت بالمنجل ونحوه.
- (٣٢) الحصيد: الزرع المحصود. وخامدين: موتى ساكتين هامدين. والضميم: الظلم.
- (٣٣) أهاب بصاحبه: دعاه وناداه وصاح به. ولباني: أجنبي.
- (٣٤) دونكموها: خذوها، أي خذوا هذه القصيذة المشتملة على المشورة والنصيحة. والصعدة: القناة التي تنبت مستوية، فلا تحتاج إلى تثقيف. ومنطقية: نسبة إلى المنطق أي الكلام. وتفل: تتلم وتكسر. وشباة الرمح ونحوه: حذاه وسنانه، والجمع شبا. وشوارع: مسددة موجهة إلى الأعداء.
- (٣٥) الركبان: جماعة الركاب في السفر. والمجامع: جمع مجمع، وهو اسم للمجتمعين من الناس.
- (٣٦) الأوشح: جمع وشاح، وهو كرسان، أي نظمان أو فرعان من لؤلؤ وجوهر منظومان مخالف بينهما، معطوف أحدهما على الآخر تتوشح المرأة به، والوشاح أيضاً: شبه قلادة ينسج من أديم عريضاً ويرصع بالجوهر وتشده المرأة بين عاتقها وكشحتها. والقلائد: جمع قلادة، وهي

أَلَا إِنَّهَا تِلْكَ الَّتِي لَو تَنَزَّلْتُ
عَلَى جَبَلٍ أَهْوَتْ بِهِ فَهَوْ خَاشِعٌ (٣٧)
وَقَالَ :

أَتَرَى الْحَمَامَ يُنُوحُ مِنْ طَرَبٍ مَعِي
مَا لِلنَّسِيمِ بَلِيلَةٌ أَذْيَالُهُ ؟
بَلْ مَا لِهَذَا الْبَرْقِ مُلْتَهَبَ الْحَشَا ؟
لَمْ أَذِرْ هَلْ شَعَرَ الزَّمَانُ بِلَوْعَتِي
فَالغَيْثُ يَهْمِي رِقَّةٌ لَصَبَابَتِي
خَطَرَاتُ شَوْقٍ أَلْهَبَتْ بِجَوَانِحِي
وَجَوَى كَأَطْرَافِ الْأَسِنَّةِ لَمْ يَدْعُ
يَأْهْلَ ذَا النَّادِي أَلَيْسَ بِكُمْ فَتَى
وَنَدَى الْغَمَامَةِ يَسْتَهْلُ لِمَذْمِعِي ؟ (١)
أَتَرَاهُ مَرَّ عَلَى جَدَاوِلِ أَدْمِعِي ؟
أَسَمَتْ إِلَيْهِ شَرَارَةٌ مِنْ أَضْلُعِي ؟ (٢)
فَرَثَى لَهَا أَمْ هَاجَتِ الدُّنْيَا مَعِي ؟
وَالطَّيْرُ تَبْكِي رَحْمَةً لِتَوْجُعِي (٣)
نَاراً يَدِبُّ أَرِيزُهَا فِي مِسْمِعِي (٤)
لِلصَّبْرِ بَيْنَ مَقِيلِهِ مِنْ مَفْزَعِ (٥)
يَرْتِي لِيَوِيَلَاتِ الْمَشُوقِ الْمُوَلَعِ ؟ (٦)

ما يجعل في العنق للزينة كالعقد ونحوه. والجوامع: الأغلال، وهي الأطواق الحديدية التي تجعل في الأعناق، الواحدة جامعة.

(٣٧) خاشع: ساكن خاضع، والمراد أنه تصدع وتداعى واستوى بالأرض.

(١) نوح الحمام: سجعه وهديله إذا أشبه نوح المرأة. والطرب (هنا): الشوق، وخفة تعترني من يشتد به الحزن والهم. والندى (هنا): الغيث والمطر. والغمامة: السحابة. ويستهل: يشتد انصبابه.

(٢) الحشا: ما اشتملت عليه الضلوع، وما حواه الجوف. وسمت. علت وارتفعت.

(٣) الغيث: المطر. ويهمي: يسقط وينصب ويسيل. والصبابة: رقة الهوى، وحرارة الشوق.

(٤) خطرات الشوق: خواطره وهواجسه ونزعاته. وألهبت: أشعلت وأوقدت. والجوانح أضلاع الصدر، الواحدة جانحة. ويدب: يمشي ويسير. وأزير النار: صوت التهابها في الحطب ونحوه.

(٥) الجوى: حرقه الهوى، وشدة الوجد. والأسنة: جمع سنان، وهو نصل الرمح، وحديدته التي يطعن بها. والمراد بمقيل الجوى: مستقره وموضعه من القلب أو النفس. والمفزع: الملجأ.

(٦) النادي: مجلس القوم ومجتمعهم. ويرثي: يرق ويتوجع.

أُبْكِي فَيَرْحَمُنِي الْجَمَادُ وَلَا أَرَى
فَإِذَا دَعَوْتُ بِصَاحِبٍ لَمْ يَلْتَفِتْ
وَمِنَ الْعَجَائِبِ أَنِّي أَشْكُو الْهَوَى
قَدْ طَالَمَا يَا قَلْبُ قُلْتَ لَكَ احْتَرِسْ
أَوْقَعْتَ نَفْسَكَ فِي حَبَائِلٍ خُدْعَةٍ
يَا ظَلِيَّةَ الْمِقْيَاسِ هَذَا مَدْمَعِي
إِنْ كَانَ لَا يُرْضِيكَ إِلَّا شِقْوَتِي
أَنَا مِنْكَ بَيْنَ صَبَابَةٍ لَا تَنْقُضِي
فَيْقِي بِمَا تُمْلِيهِ أَلْسِنَةُ الْهَوَى
لَا تَحْسَبِي قَوْلِي خَدِيعَةَ مَآكِرٍ
إِنِّي لِأَقْنَعُ مِنْ هَوَاكَ بِنَظَرَةٍ
هَدِي مُنَايَ وَحَبِّذَا لَوْنَلْتُهَا

وَقَالَ :

هَلْ مِنْ فَتَى يَنْشُدُ قَلْبِي مَعِي بَيْنَ خُدُورِ الْعَيْنِ بِالْأَجْرَعِ؟ (١)

- (٧) الخَلْ: الصديق. ورق لشكاته: استمع لشكواه في رحمة وعطف.
- (٨) الحبائل: جمع حباله، وهي الشرك ونحوه مما يصاد به. ويراد بالخدعة هنا: فتنة الحب، وبلوى الغرام. ولا تستقال: المراد لا ترد، ولا يرجى التخلص منها.
- (٩) الظبية: الفتية من الغزلان، تشبه بها الفتاة في جمال الجيد والعينين والرشاقة، ولطف الحركة، وحسن الثني. وروضة المقياس: جزيرة في النيل شرقي الجيزة وغربي مصر القديمة وفي جنوبها مقياس النيل المشهور.
- (١٠) الصبابة: رقة الهوى، وحرارة الشوق. والغواية: الضلال والانهماك في الجهل، والمراد بها هنا فتنة الحب، وبلوى الغرام. وتقلع: تنجلي وتنكشف وتزول.
- (١) ينشد قلبي: يطلبه، ويبحث عنه. والخدور: جمع خدر، وهو ستر يمد للجارية في ناحية

كَانَ مَعِيَ ثُمَّ دَعَاهُ الْهَوَىٰ
 فَهَلْ إِذَا نَادَيْتُهُ بِاسْمِهِ
 هَيْهَاتَ يَلْقَى رَشْدًا بَعْدَمَا
 فَيَا دُمُوعَ الْقَطْرِ سَيْلِي دَمًا
 وَأَنْتِ يَا نَسْمَةَ وَاوْدِي الْغَضَى
 وَأَنْتِ يَا عُصْفُورَةَ الْمُنْحَنَى
 وَأَنْتِ يَا عَيْنُ إِذَا لَمْ تَفِي
 صَبَابَةٌ أَغْرَتْ عَلَيَّ الْأَسَى !
 وَيَلَاةٌ مِنْ نَارِ الْهَوَىٰ إِنَّهَا
 أَبَيْتُ أَرْعَى النَّجْمَ فِي سُدْفَةٍ
 فَمَرٌّ بِالْحَيِّ وَلَمْ يَرْجِعْ
 يُفِيقُ مِنْ سَكْرَتِهِ أَوْ يَعِي ؟
 أَغْوَاهُ لَحْظُ الرَّشَاءِ الْأَتْلَعِ (٢)
 وَيَا بَنَاتِ الْأَيْكِ نُوجِي مَعِيَ (٣)
 مُرِّي بِرِيَّاكِ عَلَيَّ مَرْبَعِي (٤)
 بِاللَّهِ غَنِّي طَرِبًا وَأَسْجَعِي (٥)
 بِذِمَّةِ الدَّمْعِ فَلَا تَهْجَعِي (٦)
 وَذَلَّتِ السُّهْدَ عَلَيَّ مَضْجَعِي ! (٧)
 لَوْلَا دُمُوعِي أَحْرَقْتَ أَضْلُعِي
 ضَلَّ بِهَا الصُّبْحُ فَلَمْ يَطْلُعْ (٨)

البيت، وقد يطلق على كل ما وارك من بيت ونحوه. والعين: جمع عيناء، وهو عظم سواد العين وسعتها. والأجرع: أرض رملية طيبة المنبت والهواء، لا وعودة فيها، ولا وخامة.
 (٢) أغواه: أضله وفتنه. واللحظ: النظر بمؤخر العين، والمراد باللحظ هنا: النظر الفاتن الساحر، أو العيون الجميلة الساحرة. والرشاء: الطبي إذا قوي واشتد، ومشى مع أمه، وقد جرى الشعراء على تشبيه الحسان من النساء بالظباء والغزلان. والأتلع: صفة من التلع، وهو حسن طول العنق.

(٣) القطر: المطر. والأيك: جمع أيكة، وهي الشجر الكثير الملتفت. وبنات الأيك: الطيور.
 (٤) الغضى: نوع من الشجر يكثر بنجد، وقد اشتهر خشبه بالقوة والصلابة، كما اشتهر جمره ونازه بشدة الاشتعال، وطول التوقد. والشاعر يشير بوادي الغضى إلى منزل الحب وديار الحبيبة. والريا: الريح الطيبة، أو طيب الرائحة. ومربعي: منزلي ومكان إقامتي.
 (٥) اسجعي: أمر من سجعت الحمامة أي هدرت ورددت صوتها على وجه واحد.
 (٦) لا تهجعي: لا تنامي، والمراد الدعاء عليها بعدم الهجوع.
 (٧) الصبابة: رقة الهوى، وحرارة الشوق. وأغرت عليّ الأسى: جعلتني محزوناً كثير الهم والكآبة. والسهد: الأرق والسهر. والمضجع: مكان الضجوع، وهو النوم على الجنب.
 (٨) أرعى النجم: أراقبه وأنتظر مغيبه. والسدفة: الظلمة. وضلّ بها الصبح: ضلّ بسبب السدفة عن طريقه، ولم يهتد إلى مطلعه.

لَا أَهْتَدِي فِيهَا إِلَى حِيلَةٍ تَقِي حَيَاتِي مِنْ يَدَي مَضْرَعِي
طَوْرًا أَدَارِي لَوْعَتِي بِالْمُنَى وَتَارَةً يَغْلِبُنِي مَدْمَعِي^(٩)
فَهَلْ إِلَى الْأَشْوَاقِ مِنْ غَايَةٍ؟ أَمْ هَلْ إِلَى الْأَوْطَانِ مِنْ مَرْجَعٍ؟
لَا تَأْسَ يَا قَلْبُ عَلَى مَا مَضَى لَا بُدَّ لِلْمِخْنَةِ مِنْ مَقْطَعٍ^(١٠)

وَقَالَ :

فُوَادُ بِأَقْمَارِ الْأَكَلَّةِ مُوَلَعُ وَعَيْنٌ عَلَى إِثْرِ التَّفَرُّقِ تَدْمَعُ^(١)
وَشَوْقٌ كَنَصْلِ السَّيْفِ لَوْ شِمْتُ حَدَّهُ عَلَى بَطْلٍ لَأَنْقَدَ مِنْهُ الْمُقَنَّعُ^(٢)
أَحَاوِلُ كِتْمَانَ الْهَوَى فَتَشِي بِهِ غُرُوبٌ مِنَ الْعَيْنِ الْقَرِيحَةِ تَهْمَعُ^(٣)
وَمَا الْحُبُّ إِلَّا نَفْثَةٌ بَابِلِيَّةٌ يَكَادُ الصَّفَا مِنْ مَسَّهَا يَتَصَدَّعُ^(٤)
خَلِيلِي هَلْ بَعْدَ الصَّبَابَةِ سَلْوَةٌ؟ وَهَلْ لِشَبَابٍ فَاتٍ بِالْأَمْسِ مَرْجَعُ؟^(٥)

(٩) طوراً: تارة.

(١٠) لا تأس: لا تحزن. والمحنة: البلوى.

(١) الأكلة: جمع للإكليل، وهو منزل من منازل القمر. ومولع: مغرى مغرم.

(٢) نصل السيف: حديدته القاطعة. وشمت السيف: سللته، أي انتزعته وأخرجته من غمده. وانقَدَ: انشق وانقطع. والمقنَّع: المتغطى، والمراد الرأس المغطى بالمغفر والخوذة ونحوهما.

(٣) وشى به: نم عليه وأظهره. والغروب: الدموع حين تخرج من العين. وقريحة: مجروحة. وتهمع: تسيل.

(٤) النفثة: من النفث، وهو شبه نفخ لطيف بلا ريق، يكون من الراقي والساحر. وبابلية: منسوبة إلى «بابل»، وهي مدينة من أعظم مدن العالم القديم، على الجانب الأيسر من نهر الفرات. وإليها ينسب السحر والخمر. والصفاء: جمع صفات، وهي صخرة عريضة ملساء، أو هي الحجر الصلد الضخم الذي لا يثبت شيئاً.

(٥) خليلي: مثني خليل، وهو الصديق، ونداء الصديقين، ومخاطبة الرفيقين من مزايا لغة الشعر. والصبابة: رقة الهوى، وحرارة الشوق. والسلوة: اسم مرة من سلاه وسلا عنه، أي نسيه، وصبر على غيابه وفراقه.

أَبَيْتُ أَمْنِي النَّفْسَ طَوْرًا فَتَرَعَوِي
وَمَا ذِكْرُ رِيْعَانِ الصَّبَا غَيْرُ حَسْرَةٍ
فَلَا رَحِمَ اللهُ الْمَشِيْبَ وَعَصْرَهُ
نَهَارُ مَشِيْبٍ سَاءَ نِي وَهُوَ أَبْيَضُ
إِذَا شَابَ رَأْسُ الْمَرْءِ شَابَ فُوَادُهُ
وَأَيُّ نَعِيمٍ فِي مَشِيْبٍ وَرَاءَهُ
لِيَبِكَ الصَّبَا قَلْبِي وَطَرْفِي كِلَاهُمَا
زَمَانٌ تَوَلَّى غَيْرَ أَعْقَابِ ذُكْرَةٍ

وَقَالَ فِي الْغَزْلِ :

كَتَمْتُ الْهَوَى خَوْفَ إِفْشَائِهِ
فَلَمَّا خَشِيتُ عَلَى مُهْجَتِي
فَالْهَبَ نَارَ الْغَضَى فِي ضُلُوعِي (١)
أَذَعْتُ الْهَوَى بِلِسَانِ الدُّمُوعِ (٢)

- (٦) طورا: تارة. وترعوي: تكف وتصرف عما هي فيه من هم وضجر.
(٧) ريعان كل شيء: أوله وأفضله. والصبأ: الصغر، والمراد بريعان الصبا: زمن الشباب.
والعزيز: القوي المنيع.
(٨) أثناء الشيء: تضاعيفه، واحدها ثني.
(٩) أسفع: أسود، صفة من السفعة، وهي سواد أشرب حمرة.
(١٠) الطرف: العين. والنجيع: الدم، أو دم الجوف خاصة، أو الدم المصبوب، أو ما كان منه إلى السواد.
(١١) تولى: أدبر وأعرض وذهب. وأعقاب الشيء: أواخره ونهاياته وعواقبه. وتترع: تقتلع وتزهق.
(١) الإفشاء: مصدر أفضيت السر ونحوه. أي أظهرته. وألهبت النار: أوقدتها وأضرمتها وأشعلتها.
والغضى: نوع من الشجر خشبه من أصلب الخشب، ونهذا يكون في فحمه صلابه، وفي ناره شدة وقوة.
(٢) المهجة: الروح والنفس، ولا بقاء للنفس بعد ما تراق مهجتها.

وقال :

أَلَا بِأَبِي مَنْ حُسْنُهُ وَحَدِيثُهُ
رَأَى مُقَلَّتِي تَرَعَى رِيَاضَ جَمَالِهِ
إِذَا مَا التَّقِينَا لَذَّةَ الْعَيْنِ وَالسَّمْعِ
فَعَاقَبَهَا حَدِيثِنِ بِالسُّهُدِ وَالذَّمْعِ

وَقَالَ فِي الْعِتَابِ :

أَلَيْسَ مِنَ الْعَدْلِ أَنْ تَسْمَعَا ؟
أَطَاعَ لَهُ الْمَاءُ حَتَّى اسْتَقَى
أَتَاكَ فَأَغَشَيْتَهُ مَنْزِلًا
فَأَبْدَعَ مَا شَاءَ فِي فِرْيَةٍ
صَنَاعَ اللِّسَانِ خَلُوبُ الْبِيَا
حَرِيصٌ عَلَى الشَّرِّ لَا يَنْشِي
يَسِيرُ مَعَ الرَّفْقِ حَتَّى إِذَا
وَمَا كَانَ لَوْلَا خِلَاجُ الظُّنُونِ
فَأَشْكُو إِلَيْكَ نُمُومًا سَعَى (١)
وَأَمَكَّنَهُ الرَّعْيُ حَتَّى رَعَى (٢)
رَجِيبًا وَأَرْعَيْتَهُ مِسْمَعًا (٣)
تَأَنَّقَ فِي صُنْعِهَا وَادَّعَى (٤)
نِ يَخْلُقُ مِنْ ضِحْكِهِ أَدْمَعًا (٥)
عَنِ الْقَصْدِ مَا لَمْ يَجِدْ مَنْزَعًا (٦)
تَمَكَّنَ مِنْ فُرْصَةٍ أَوْضَعًا (٧)
لِيَرْغَبَ فِي الْقَوْلِ أَوْ يَطْمَعًا (٨)

(١) النوم: المنام، صيغة مبالغة من النيمة، وهي تزيين الكلام بالكذب، والسعي بين الناس بالفتنة والتفرقة والفساد.

(٢) استقى من النهر والبئر ونحوهما: أخذ من مائهما. وأمكنه الأمر: سهل عليه وتيسر.

(٣) أغشيته منزلًا: أنزلته به، وجعلت المنزل يغشاه ويحويه.

(٤) أبدعت الشيء: اخترعته لأعلى مثال. والفرية: اسم من افتري عليه كذبًا، أي اختلقه. وتأَنَّقَ في الأمر: أجاده، وأتقنه وأحكمه. وادَّعَى كذا: زعم.

(٥) صناع اللسان: لبق ماهر فصيح بليغ حاذق في صناعة الكلام. وخلوب: خداع. والبيان: الفصاحة واللسن والمنطق الفصيح.

(٦) لا ينشي: لا يكف، ولا ينصرف. والمراد بالقصد هنا: ما يقصده من الشر والسعاية والنيمة. ومنزع: من نزع فلان عن الأمر، أي كف عنه وانتهى.

(٧) أوضع: أسرع.

(٨) خلاج الظنون: اضطرابها وتحركها في نفس الإنسان، من قولهم: خالج قلبي أمر، أي نازعني

وَلَا وَحِفَاظِكَ وَهُوَ الْيَمِيمُ
وَلَكِنَّهَا نَزَغَاتُ الْوُشَاةِ
وَلَيْسَ مَلَامِي عَلَى مَنْ وَشَى
أَيَجْمَلُ بِالْعَهْدِ أَنْ يُسْتَبَاحَ
فَشْتَانُ مَا بَيْنَنَا فِي الْوِدَا
وَمَنْ أَشْرَكَ النَّاسَ فِي أَمْرِهِ
فَخُذْهَا إِلَيْكَ عِتَابِيَّةً
وَلَوْلَا مَكَانُكَ مِنْ مُهْجَتِي
نُ مَا حُلْتُ عَنْ عَهْدِكُمْ إِضْبَعًا^(٩)
أَصَابَتْ هَوَى فَلَوتُ أَخْدَعًا^(١٠)
وَلَكِنْ مَلَامِي عَلَى مَنْ وَعَى^(١١)
لِوَأَشٍ وَلِلْوُدِّ أَنْ يُقْطَعَ؟^(١٢)
دِخِلُ أَضَاعَ وَخِلُ رَعَى^(١٣)
دَعْتُهُ الضَّرُورَةُ أَنْ يُخْدَعًا^(١٤)
تَرُدُّ عَصِيَّ الْمُنَى طِيْعًا^(١٥)
لَمَّا قُلْتُ لِابْنِ عِثَارٍ لَعَا^(١٦)

وَقَالَ فِي الْوَدَاعِ :

إِنَّ قَلْبِي وَهُوَ الْأَبِيُّ دَهْتُهُ
فُرْقَةٌ صَيْرْتُهُ نَهَبًا مُشَاعًا^(١)

منه فكر، وخالجني هم، وتخالجنتي الهموم: تجاذبتني. ورغبت في الشيء: أردته، وهو ضد رغبت عنه.

(٩) الحفاظ: الدفاع عن الحرم والمحافظة عليها.

(١٠) النزغات: جمع نزغة، اسم مرة من النزغ وهو الإفساد بين الناس، وإلقاء العداوة والبغضاء بينهم، وهو أشبه بالسعاية والنميمة. والوشاة: جمع الواشي، من وشى به، أي نم عليه، وسعى به. والأخدع: عرق في جانب العنق قد خفي وبطن، وهما أخدعان في جانبي الرقبة.

(١١) الملام: اللوم. ورعى: حفظ وفهم.

(١٢) يستباح: يستحل ويسلب وينتهب.

(١٣) الخل: الصديق.

(١٤) أشرك الناس في أمره: جعلهم شركاءه فيه.

(١٥) عتابية: منسوبة إلى العتاب، ويريد بالعتابية هذه القصيدة التي عاتبه بها.

(١٦) مهجتي: نفسي. وعثار: اسم من عثر الماشي في سيره، إذا زل وكبا وسقط، وابن العثار: العاثر. ولعا: كلمة يدعى بها للعاثر، يقولون له: «لعا لك» إذا أرادوا الدعاء له بالانتعاش والارتفاع. والمراد بابن العثار هنا: المعاتب.

(١) دهته: أصابته. والنهب: الغنيمة والشيء الذي ينهب.

لَا تَرَى غَيْرَ وَاقِفٍ يَسْفَحُ الدَّمَ
عَ وَسَاهٍ لَا يَسْتَطِيعُ زَمَاعًا^(٢)
وُضْلَةً قَرَبْتُ بِعَادَاً وَيَبِينُ
مِنْ حَبِيبٍ أَجْدُ فِيهِ اجْتِمَاعًا^(٣)
كُنْتُ أَخْشَى الْوَدَاعَ حَتَّى إِذَا مَا
فَارَقُونِي أَمْسَيْتُ أَرْجُو الْوَدَاعَا

وَقَالَ :

إِذَا كَانَ أَمْرُ اللَّهِ حَتْمًا مُقَدَّرًا
فَمَاذَا يُفِيدُ الْجِرْصُ وَالْأَمْرُ وَاقِعٌ ؟
وَقَالَ :

إِنَّ النَّصِيحَةَ لَا تَحُضُّ
ضُ عَلَى الْأَذَى إِنْ لَمْ تَزَعْ^(١)
فَأَسْمَعُ فَإِنْ خَيْرًا أَصْبُ
تَ فَخُذْ وَإِنْ شَرًّا فَدَعْ
وَقَالَ :

لِكُلِّ قَوْلٍ مَنَارٌ يَسْتَقِيمُ بِهِ
عِنْدَ الْخِطَابِ فَمَلْفُوظٌ وَمَسْمُوعٌ^(١)
فَالْعَتَبُ إِنْ جَاَزَ حَدَّ الْعَدْلِ مَقْطَعَةٌ
وَالنُّصْحُ مَا لَمْ يَكُنْ فِي السَّرِّ تَقْرِيعٌ^(٢)

(٢) يسفح الدمع: يذرفه ويرسله ويصبه. وساه: ذاهل غافل. والزماع: المضاء في الأمر، والعزم عليه.

(٣) البين: الفراق. وأجد فلان الأمر: أحدثه، أو صيره جديداً.

(١) لا تحض على الأذى: لا تحث على الضرر، ولا تدعو إلى الشر، ولا تحرض عليه. وتزع: تكف وتنهى وتمنع.

(١) المنار: علم الطريق، والحد يوضع بين الشيئين لتمييز أحدهما من الآخر، ويراد بالمنار هنا: الأوصاف والعلامات التي تدل على إخلاص القائل، أو خبثه وسوء نيته. وملفوظ: المراد مطروح مرمى ساقط غير مقبول، ففي الكلمة تورية. ومسموع: المراد مقبول نافع.

(٢) العتب: لومك غيرك على إساءة وقعت منه. وجاز حد العدل: تعذاه. ومقطعة: يحمل على القطيعة والهجران. والتقريع: التأنيب والتعنيف، والإيجاع باللوم، والتوبيخ، والعدل الشديد.

وَقَالَ (★) يَرْتِي صَدِيقَهُ « أَحْمَدُ فَارِسٍ » (★★) وَيُعْزِي ابْنَهُ :

مَتَى يَشْتَفِي هَذَا الْفُؤَادُ الْمَفْجَعُ وَفِي كُلِّ يَوْمٍ رَاحِلٌ لَيْسَ يَرْجِعُ؟ (١)
نَمِيلُ مِنَ الدُّنْيَا إِلَى ظِلِّ مُزْنَةٍ لَهَا بَارِقٌ فِيهِ الْمَنِيَّةُ تَلْمَعُ (٢)
وَكَيْفَ يَطِيبُ الْعَيْشُ وَالْمَرْءُ قَائِمٌ عَلَى حَذَرٍ مِنْ هَوْلٍ مَا يَتَوَقَّعُ؟ (٣)
بِنَا كُلَّ يَوْمٍ لِلْحَوَادِثِ وَقَعَةٌ تَسِيلُ لَهَا مِنَّا نَفُوسٌ وَأَدْمَعُ (٤)
فَأَجْسَادُنَا فِي مَطْرَحِ الْأَرْضِ هَمْدٌ وَأَرْوَاحُنَا فِي مَسْرَحِ الْجَوْرُتُعُ (٥)
وَمِنْ عَجَبٍ أَنَا نَسَاءٌ وَنَرْتَضِي وَنُذْرِكُ أَسْبَابَ الْفَنَاءِ وَنَطْمَعُ (٦)
وَلَوْ عَلِمَ الْإِنْسَانُ عُقْبَانَ أَمْرِهِ لَهَانَ عَلَيْهِ مَا يَسُرُّ وَيَفْجَعُ (٧)

(★) نظم البارودي هذه المراثية في منفاه سنة ١٨٨٧م، فهي من سرنديبياته.

(★★) أحمد فارس بن يوسف بن منصور الشهير بالشدياق (١٢١٩ - ١٣٠٤ هـ / ١٨٠٤ -

١٨٨٧م) عالم لغوي أديب كاتب شاعر، ولد في إحدى قرى لبنان، وتآدب في مصر، وتنقل بين مالطة وأوربا، ثم سافر إلى تونس، واعتنق فيها الدين الإسلامي، ثم دعي إلى القسطنطينية، فأقام بها حتى مات، وأصدر بها «جريدة الجوائب» المشهورة، وله مؤلفات كثيرة منها «كنز الرغائب في منتخبات الجوائب» و«الجاسوس على القاموس» و«الساق على الساق فيما هو الفارياق»، و«الواسطة في أحوال مالطة».

(١) المفجع: من فجعته المصيبة تفجيعاً، أي أوجعته. والمراد بالراحل الذي ليس يرجع: الميت.

(٢) المزنة: السحابة، أو السحابة البيضاء. وبارق: اسم فاعل من برق البرق، أي بدا وظهر وتلألأ ولمع، والمراد: لها برق بارق.

(٣) الحذر: الخوف والتحرز والاحتراس. والهول: الأمر الشديد المخوف.

(٤) حوادث الدهر: نوبه ونوازله وأحداثه. والوقعة: صدمة الحرب. وتسيل النفوس: تزهق.

(٥) المراد بمطرح الأرض: القبور التي تطرح فيها أجساد الموتى. وهمد: جمع هامد، صفة من الهمود، وهو السكوت والسكون والموت. ورتع: جمع راتع وراتعة، صفة من رتعت الماشية أي رعت كيف شاءت وأكلت ما شاءت، وذهبت وجاءت وتنقلت في المرعى، ولا يكون الرتوع إلا في الخصب والسعة، والمراد برتوع الأرواح: انطلاقها وتنقلها.

(٦) ساءه: فعل به ما يكره. والفناء: الهلاك، وهو نقيض البقاء.

(٧) عقبان كل شيء: آخره ونهايته. ويفجع: يوجع ويسوء ويحزن، من الفجع وهو أن يوجع الإنسان بشيء يكرم عليه، فيعدمه.

تَسِيرُ بِنَا الْأَيَّامِ وَالْمَوْتُ مَوْعِدٌ
عَفَاءٌ عَلَى الدُّنْيَا فَمَا لِعِدَاتِهَا
أَبْعَدَ سَمِيرِ الْفَضْلِ « أَحْمَدَ فَارِسٍ »
كَفَى حَزْناً أَنَّ النَّوَى صَدَعَتْ بِهِ
وَمَا كُنْتُ مِجْزَاعاً وَلَكِنَّ ذَا الْأَسَى
فَقَدْنَاهُ فَقَدَانَ الشَّرَابِ عَلَى الظَّمَا
وَأَيُّ فُؤَادٍ لَمْ يَبْتَ لِْمُصَابِهِ
إِذَا لَمْ يَكُنْ لِلدَّمْعِ فِي الْخَدِّ مَسْرَبٌ
مَضَى وَوَرِثْنَاهُ عُلُوماً غَزِيرَةً
إِذَا تَلَيْتَ آيَاتِهَا فِي مَقَامِهِ

وَتَدْفَعُنَا الْأَرْحَامُ وَالْأَرْضُ تَبْلَعُ
وَفَاءٌ وَلَا فِي عَيْشِهَا مُتَمَتُّعٌ^(٨)
تَقَرُّ جُنُوبٌ أَوْ يُبْلَاثِمُ مَضْجَعُ؟^(٩)
فُؤَاداً مِنَ الْجِدَثَانِ لَا يَتَصَدَّعُ^(١٠)
إِذَا لَمْ يُسَاعِدْهُ التَّصَبُّرُ يَجْزَعُ^(١١)
فَفِي كُلِّ قَلْبٍ غُلَّةٌ لَيْسَ تَنْقَعُ^(١٢)
عَلَى لَوْعَةٍ أَوْ مُقْلَةٍ لَيْسَ تَدْمَعُ؟^(١٣)
رَوِيٌّ فَمَا لِلْحُزْنِ فِي الْقَلْبِ مَوْضِعُ
تَظَلُّ بِهَا هَيْمُ الْخَوَاطِرِ تَشْرَعُ^(١٤)
تَنَافَسَ قَلْبٌ فِي هَوَاهَا وَمَسْمَعُ^(١٥)

(٨) العفاء: الدروس والإمحاء والهلاك والفناء، والعفاء أيضاً: التراب. والعداء: جمع عدة وهي الوعد.

(٩) السمير: المسامر، صفة من المسامرة وهي الحديث بالليل. وسمير الفضل: قرينه وجليسه ومحدثه، والمراد أن المرثي كان فاضلاً خيراً كريماً. ويلاثم: يوافق. والمضجع: مكان الضجوع، وهو النوم على الجنب.

(١٠) النوى: البعد، أو هي الوجه الذي ينويه المسافر من قرب أو بعد. وصدعت: شقت وفرقت. وحدثنان الدهر: نوبه ونوازله وأحداثه وخطوبه. ولا يتصدع: لا ينشق ولا يتفرق.

(١١) مجزاع: صيغة مبالغة من الجزع، يقال جزع الرجل إذا ضعفت قوته عن حمل ما نزل به، ولم يجد صبراً. والأسى: الأسف والحزن. والتصبر: تكلف الصبر.

(١٢) الغلّة: شدة العطش وحرارته. وتنقع: تذهب، يقال نقع الماء العطش: أي سكنه وأذهب.

(١٣) المصاب: الإصابة، والمصيبة. واللوعة: حرقه الحزن. والمقلة: العين.

(١٤) هيم: عطاش، جمع أهيم، صفة من الهيام وهو أشد العطش. والخواطر: جمع خاطر، وهو الهاجس، وكل ما يخطر في القلب من تدبير أو أمر، والمراد بالخواطر هنا: العقول والأفكار.

وشرعت الدواب في الماء: خاضت ودخلت، وشرع الوارد، أي تناول الماء بفيه.

(١٥) تليت: قرئت. وآياتها: عباراتها. والمقامة: الجماعة من الناس يجتمعون في مجلس، ومقامات الناس: مجالسهم ومجتمعاتهم.

سَقَى جَدَثًا فِي أَرْضِ « لُبْنَانَ » عَارِضُ (١٦)
فَإِنَّ بِهِ لِمَكْرُمَاتٍ حُشَّاشَةٌ
فَإِنْ يَكُنِ « الشُّدْيَاقُ » خَلَى مَكَانَهُ
وَمَا مَاتَ مَنْ أَبْقَى عَلَى الدَّهْرِ فَاضِلًا
رَزِينُ حِصَاةِ الحِلْمِ لَا يَسْتَخِفُّهُ
تَلُوحٌ عَلَيْهِ مِنْ أَبِيهِ شَمَائِلُ
فَصَبْرًا جَمِيلًا « يَا سَلِيمُ » فَإِنَّمَا
إِذَا الْمَرْءُ لَمْ يَصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَهُ
وَمِثْلُكَ مَنْ رَازَ الْأُمُورَ بِعَقْلِهِ
فَلَا تُعْطِينَ الحُزْنَ قَلْبَكَ وَاسْتَعِينُ

مِنَ الْمُزْنِ فَيَاضُ الجَدَاوِلِ مُتْرَعٌ (١٦)
طَوَاهَا الرَّدَى فَالْقَلْبُ حَرَّانٌ مُوجَعٌ (١٧)
فَإِنَّ ابْنَهُ عَنِ حَوْزَةِ المَجْدِ يَدْفَعُ (١٨)
يُؤَلَّفُ أَشْتَاتَ المَعَالِي وَيَجْمَعُ (١٩)
إِلَى اللّهُوَ طَبِيعٌ فَهُوَ بِالجِدِّ مُوَلَعٌ (٢٠)
تَدُلُّ عَلَى طِيبِ الخِلَالِ وَتَنْزِعُ (٢١)
يُسَيِّغُ الفَتَى بِالصَّبْرِ مَا يَتَجَرَّعُ (٢٢)
فَمَاذَا تُرَاهُ فِي المَقْدَرِ يَصْنَعُ؟ (٢٣)
وَأَدْرَكَ مِنْهَا مَا يَضُرُّ وَيَنْفَعُ (٢٤)
عَلَيْهِ بِصَبْرٍ فَهُوَ فِي الحُزْنِ أَنْجَعُ (٢٥)

- (١٦) الجدث: القبر. والعارض: السحاب الذي يعترض في أفق السماء. والمزن: السحاب، أو أبيضه، أو الممطر منه، الواحدة مزنة.
- (١٧) الحشاشة: بقية الروح في المريض المحتضر، وقد تطلق على كل بقية. وطواها: أخفاها وذهب بها، على التشبيه بطي الثوب. والردي: الهلاك والموت. وحران: شديد العطش، والمراد أصابته حرقة الأسي، وحرارة الحزن.
- (١٨) الحوزة: الناحية. ويدفع: يدافع ويحمي.
- (١٩) أشتات المعالي: ما تفرقت منها. والمعالي: جمع معلاة وهي الرفعة والشرف، كالعلاء.
- (٢٠) الحصاة: العقل والرزانة والوقار، ورزين حصاة الحلم: ثابت الرأي، راجح العقل، جيد التدبير، صبور وقور. واستخفه طبعه إلى اللهو: حمله على أن يخف له ويستطير.
- (٢١) شمائل: جمع شمال، بمعنى الطبع والخلق. والخلال: الخصال، الواحدة خلة. وتنزع: تحن وتميل.
- (٢٢) الصبر الجميل: حبس النفس عند الجزع. وساغ الشراب والطعام: سهل مدخله في الحلق. وتجرعت الشراب: ابتلعت.
- (٢٣) يراد بالمقدر: ما يقدره الله تعالى على الإنسان من البليات والنوازل والخطوب.
- (٢٤) راز الأمور: جربها وخبرها، وامتحنها وقدرها.
- (٢٥) أنجع: اسم تفضيل من نجع الدواء والطعام ونحوهما في الإنسان، أي نفع وأفاد.

وَهَاكَ عَلَى بُعْدِ الْمَزَارِ قَرِيبَةً إِلَى النَّفْسِ يَدْعُوهَا الْوَفَاءُ فَتَبْعُ (٢٦)
رَعَيْتُ بِهَا حَقَّ الْوِدَادِ عَلَى النَّوَى وَلِلْحَقِّ فِي حُكْمِ الْبَصِيرَةِ مَقْطَعُ (٢٧)

وَقَالَ يُجِيبُ الْأَمِيرَ « شَكِيبُ أَرْسِلَانِ » عَنْ قَصِيدَةٍ لَهُ :

رُدِّي التَّحِيَّةَ يَا مَهَاةَ الْأَجْرَعِ وَصَلِي بِحَبْلِكَ حَبْلَ مَنْ لَمْ يَقْطَعْ (١)
وَتَرَفَّقِي بِمُتَمِّمٍ عَلِقَتْ بِهِ نَارُ الصَّبَابَةِ فَهَوَذَا كِي الْأَضْلَعِ (٢)
طَرِبِ الْفُؤَادِ يَكَادُ يَحْمِلُهُ الْهَوَى شَوْقًا إِلَيْكَ مَعَ الْبُرُوقِ اللَّمَعِ
لَا يَسْتَنِيمُ إِلَى الْعِزَاءِ وَلَا يَرَى حَقًّا لِيَصْبُوتِهِ إِذَا لَمْ يَجْزَعْ (٣)
ضَمَّتْ جَوَانِحَهُ إِلَيْكَ رِسَالَةً عُنْوَانَهَا فِي الْخَدِّ حُمْرُ الْأَدْمَعِ (٤)
فَمَتَى يُيُوحُ بِمَا أَجَنَّ ضَمِيرُهُ إِنْ كُنْتَ عَنْهُ بِنَجْوَةٍ لَمْ تَسْمَعِي؟ (٥)

(٢٦) هاك: خذ. والمزار: الزيارة، أو موضعها القبر. وقريبة: أي قصيدة قريبة إلى النفس. وتتبع الوفاء: تسير في أثره.

(٢٧) رعيت: حفظت. والنوى: البعد. والبصيرة: الاستبصار في الشيء والعقل، والعلم والخبرة. ومقطع الحق: ما يقطع به الباطل.

(١) المهواة: البقرة الوحشية، تشبه بها الحسناء من النساء في جمال العيون واتساعها. والأجرع: المكان الواسع الذي فيه حزونة وخشونة، أو الأرض ذات الحزونة تشاكل الرمل، أو الرملة السهلة المستوية.

(٢) متيم: اسم مفعول من تيمه الحب، أي عبده وذلكه أو استولى عليه، وذهب بعقله. والصبابة: رقة الهوى، وحرقة الحب، وحرارة الشوق. وذلك: اسم فاعل من ذكت النار إذا اشتد لهبها واشتعلت.

(٣) لا يستنيم: لا يسكن ولا يستقر. والعزاء: الصبر والسلوان. والصبوة: الهوى والغرام. والجزع: نقيض الصبر، جزع جزعاً: إذا ضعفت قوته عن حمل ما نزل به، ولم يجد صبراً.

(٤) الجوانح: ضلوع الصدر، سميت بذلك لما فيها من جنوح وميل وتقوس وانحناء. ويريد بالرسالة: الصبوة والحب والهوى والصبابة.

(٥) أجن الشيء: ستره وأخفاه. والضمير: ما تضمرة وتخفيه في قلبك، والمراد به هنا: القلب على التجوز. والنجوة: ما ارتفع من الأرض، فلم يعله السيل، ولم يصل إليه.

أَصْبَحْتُ بَعْدَكَ فِي دِيَاغِرِ غُرْبَةٍ
لَا يَهْتَدِي فِيهَا لِرَحْلِي طَارِقُ
أُرْعَى الْكَوَاكِبَ فِي السَّمَاءِ كَأَنَّ لِي
زُهْرٌ تَأَلَّقُ بِالْفَضَاءِ كَأَنَّهَا
وَكَأَنَّهَا حَوْلَ الْمَجْرِّ حَمَائِمُ
وَتَرَى الثَّرِيَّا فِي السَّمَاءِ كَأَنَّهَا
بِيَضَاءٍ نَاصِعَةٌ كَبِيضِ نَعَامَةٍ
وَكَأَنَّهَا أَكْرَتْ وَقَدْ نُورَهَا
وَاللَّيْلُ مَرْهُوبُ الْحَمِيَّةِ قَائِمُ
مَا لِلصَّبَاحِ بِلَيْلِهَا مِنْ مَطْلَعِ (٦)
إِلَّا بِأَنَّةِ قَلْبِي الْمُتَوَجِّعِ (٧)
عِنْدَ النُّجُومِ رَهِينَةٌ لَمْ تُدْفَعِ (٨)
حَبِّبٌ تَرَدَّدَ فِي غَدِيرِ مُتْرَعِ (٩)
بِيضٌ عَكْفَنَ عَلَى جَوَانِبِ مَشْرَعِ (١٠)
حَلَقَاتُ قُرْطٍ بِالْجُمَانِ مُرْصَعِ (١١)
فِي جَوْفِ أُدْحِيٍّ بِأَرْضِ بَلْقَعِ (١٢)
(بِالْكَهْرَبَاءَةِ) فِي سَمَاوَةِ مَصْنَعِ (١٣)
فِي مِسْحِهِ كَالرَّاهِبِ الْمُتَلَفِّعِ (١٤)

(٦) الدياجر: الظلمات، الواحد ديجور.

(٧) الرجل: منزل الإنسان ومسكنه وبيته. وطارق: اسم فاعل من طرقت القوم إذا أتيتهم ليلاً.
والأنة: اسم مرة من الأنين، وهو التأوه.

(٨) أرعى الكواكب: أراقبها، وأنتظر مغيبها، ورعى الكواكب من أمارات السهاد والهم. والرهينة: الرهن بمعنى المرهون، وهو اسم لما يضعه الراهن عند غيره، لينوب مناب ما أخذه منه.

(٩) زهر: بيضاء مضيئة لامعة، جمع أزهر وزهراء. وحجب الماء: نفاخاته وبقايعه التي تطفو على سطحها كأنها القوارير، واسمها اليعاليل. وتردد: اضطرب وتحرك. ومترع: مملوء.

(١٠) المجرّ: المجرة، وهي البياض المعترض في السماء الناشئ عن أشعة نجوم كثيرة متقاربة خفية. وعكف على الشيء: أقبل عليه وأقام وواظب. والمشرع: الموضع الذي ينحدر منه المستقي إلى الماء، والمراد به هنا: الغدير أو النهر.

(١١) الثريا: علم على سبعة كواكب معروفة في السماء، أو على أربعة وعشرين نجماً، سميت بذلك لكثرة كواكبها مع صغر مراتها، فكانها كثيرة العدد بالإضافة إلى ضيق المحل، وفي خلال أنجم الثريا الظاهرة كواكب خفية كثيرة العدد.

(١٢) الأدحي: الموضع الذي تبيض فيه النعامة وتفرخ، وتتخذ عادة في رمال الصحراء. وأرض بلقع: خالية ملساء قفر لا شيء فيها.

(١٣) أكر: جمع أكرة، لغة في الكرة. والسماوة: السقف. والمصنع: القصر العظيم.

(١٤) مرهوب: مخوف. والحمية: الأنفة والاستنكاف والاستكبار. والمسح: ثوب غليظ من

مَتَوَشَّحُ بِالنِّيَرَاتِ كَبَاسِلٍ مِنْ نَسْلِ حَامٍ بِاللَّجِينِ مُدْرَعٍ (١٥)
 حَسِبَ النُّجُومَ تَخَلَّفَتْ عَنْ أَمْرِهِ فَوَحَى لَهُنَّ مِنَ الْهَلَالِ بِإِصْبَعٍ (١٦)
 مَا زِلْتُ أَرْقُبُ فَجْرَهُ حَتَّى أَنْجَلِي عَنْ مِثْلِ شَادِخَةِ الْكُمَيْتِ الْأَتْلَعِ (١٧)
 وَتَرَنَّمْتُ فَوْقَ الْأَرَاكِ حَمَامَةً تَصِفُ الْهَوَى بِلسَعَانِ صَبِّ مُوَلَعٍ (١٨)
 تَدْعُو الْهَدِيلَ وَمَا رَأَتْهُ وَتِلْكَ مِنْ شِيَمِ الْحَمَائِمِ بِدَعَاةٍ لَمْ تُسْمَعِ (١٩)
 رِيًّا الْمَسَالِكِ حَيْثُ أُمَّتٌ صَادَفَتْ مَا تَشْتَهِي مِنْ مَجْثَمٍ أَوْ مَرْتَعٍ (٢٠)
 فَإِذَا عَلَتْ سَكَنْتَ مَظْلَّةً أَيَكَّةَ وَإِذَا هَوَتْ وَرَدَتْ قَرَارَةَ مُنْبَعٍ (٢١)

الشعر، يلبسه الرهبان عادة. والراهب: المتعبّد في صومعته. والمتلفّع: اسم فاعل من تلفّعت
 بالثوب، أي اشتملت به والتحفّت وتغطّيت.
 (١٥) متوشّح: مشتمل متلفّف متغطّط. والنيّرات: النجوم المنيرة المشرقة. وباسل: شجاع. وحام:
 أحد أولاد نبيّ الله نوح عليه السلام، وهو أبو السودان. واللجين: الفضة. ومدرع: عليه
 الدرع، وهي لبوس الحديد.
 (١٦) وحى: أوما وأشار.
 (١٧) الشادخة: غرّة الفرس إذا سالت وآنست وطالت وانتشرت، وغشّت الوجه من الناصية إلى
 الأنف، أو ملأت الجبهة. والكميت من الخيل: ما كان لونه بين السواد والحمرة. والأتلع:
 الطويل العنق.
 (١٨) ترنّمت: هدرت ورجّعت صوتها وصدحت. والأراك: شجر طويل، أخضر ناعم، كثير الورق
 والأغصان، خوار العود، يستاك بفروعه، وله حمل كعناقيد العنب، واحدته أراكة. وصبّ:
 عاشق مشوق.
 (١٩) الهديل: فرخ للحمام كان على عهد نوح عليه السلام، فمات ضيعة وعطشاً أو صاده جارح
 من جوارح الطير، فما من حمامة إلا وهي تبكي عليه. وتلك: إشارة إلى دعاء الحمامة
 للهديل، والبكاء عليه. وشيم: جمع شيمة وهي الجبلّة والغريزة والطبيعة. والبدعة: الأمر
 المستحدث أو العجيب.
 (٢٠) رياء المسالك: عامرة بالماء والغذاء. وأمّت: قصدت. والمراد بالمجثم: الوكر، والعش.
 والمرتع: موضع الرتوع، وهو الأكل والشرب رغداً في الريف.
 (٢١) علت: سمت وارتفعت، أي الحمامة. والمظلة: بيت كبير للأعراب، يكون من الشعر أو
 الثياب، وهي أوسع من الخباء، وقد تطلق المظلة على الخيمة والعريش المتخذ من جريد

أُمَلَّتْ عَلَيَّ قَصِيدَةٌ فَجَعَلْتُهَا « لِشَكِيبَ » تُحْفَةً صَادِقٍ لَمْ يَدْعِ (٢٢)
 هِيَ مِنْ أَهَازِيحِ الْحَمَامِ وَإِنَّمَا ضَمَّتُهَا مَدْحَ الْهَمَامِ الْأُرُوعِ (٢٣)
 هُوَ ذَلِكَ الشُّهُمُ الَّذِي بَلَغْتَ بِهِ مَسْعَاتُهُ أَمَدَ السَّمَاءِ الْأَرْفَعِ (٢٤)
 نِبْرَاسُ دَاجِيَةٍ وَعُقْلَةٌ شَارِدٍ وَخَطِيبُ أَنْدِيَةِ وَقَارِسُ مَجْمَعِ (٢٥)
 صَدُوقُ الْبَيَّانِ أَعْضُ « جَرُولَ » بِاسْمِهِ وَثَنِي « جَرِيرًا » بِالْجَرِيرِ الْأَطْوَعِ (٢٦)
 لَمْ يَتَّخِذْ بَدْرَ « الْمُقْنَعِ » آيَةً بَلْ جَاءَ خَاطِرُهُ بِآيَةِ « يُوشَعَ » (٢٧)

النخل المستور بالثمام. والأيكة: واحدة الأيك وهو الشجر الكثير الملتف، وقد شبه الشاعر
 الأيكة بالمظلة. وورد الإنسان وغيره الماء: أشرف عليه، أو بلغه ووافاه.
 (٢٢) أملت: أقلت، من الإملاء. والتحفة: ما أتحتف به صاحبك من البر واللفظ.
 (٢٣) الأهازيج: الأغاني، وأهازيج الحمام: هديرها وسجعاتها المتوالية المتقاربة. وضمتها:
 أودعتها. والهمام: السيد العظيم الهمة، أو الشجاع السخي. والأروع: الذكي.
 (٢٤) الشهم: الذكي الفؤاد، المتوقد، الجلد. والمسعاة: واحدة المساعي، وهي مآثر أهل الشرف
 والفضل، لسعيهم فيها، كأنها مكاسبهم وأعمالهم. والأمد: الغاية. والسماك: كوكب نير
 لامع، يضرب به المثل في الارتفاع.
 (٢٥) النبراس: السراج والمصباح. والداجية: الظلمة. وعقلة شارد: المراد أنه يعتقله ويقيده،
 عقل الرجل البعير. والأندية: جمع الندى وهو مجلس القوم ومتحدثهم، كالنادي والمنتدى.
 (٢٦) جرول: لقب الحطيئة الشاعر المخضرم المشهور المتوفى سنة ٥٩ هـ. والجرول: الأرض
 ذات الحجارة، أو هو الحجارة. وأعضه باسمه: جعله يعض الحجر، وهذا كناية عن إخماله
 والتفوق عليه. وجرير: هو أبو حزرة جرير بن عطية بن الخطفي التميمي اليربوعي، أحد فحول
 الشعراء الإسلاميين، ولد باليمامة، ومات سنة ١١٠ هـ. والجرير: الحبل يقاد به البعير
 ونحوه، أو هو حبل يجعل للبعير بمنزلة العذار للفرس.
 (٢٧) المقنع: لقب دجال من بني الشيطان، اسمه ثور بن عميرة، ادعى الألوهية أو النبوة بخراسان
 في منتصف القرن الثاني الهجري، وكان يوهم الناس أنه يطلع البدر كل ليلة، ويريهم في الجوّ
 شيئاً يشبهه، ويظهره لهم احتيلاً، ولما اشتهر أمره، وأتضح كذبه قصده الناس، وحاصروه في
 قلعتهم، فلما استيقن الهلاك قتل نساءه وأهله بالسّم، ثم قتل نفسه به. وآية: علامة. ويوشع بن
 نون بن عازر، صاحب موسى ووصيه، وابن أخته. وآية يوشع التي يشير إليها الشاعر هي
 الشمس، وكان يوشع قد سأل الله أن يؤخر غروبها ساعة حتى ينتهي من قتال أعداء الله
 الجبارين، فأجاب الله دعاءه.

أَحْيَا رَمِيمَ الشُّعْرِ بَعْدَ هُمُودِهِ وَأَعَادَ لِلْأَيَّامِ عَصْرَ « الْأَصْمَعِيِّ » (٢٨)
 كَلِمٌ لَهَا فِي السَّمْعِ أَطْرَبُ نِعْمَةٍ وَيُحْجِرَةَ الْأَسْرَارِ أَحْسَنُ مَوْعٍ (٢٩)
 كَالزُّهْرِ خَامِرُهُ النَّدَى فَتَأْرَجَتْ أَنْفَاسُهُ بِالْعَنْبَرِ الْمُتَضَوِّعِ (٣٠)
 يَعْنُو لَهَا الْخَضْمُ الْأَلْدُ وَيَغْتَذِي بِلَبَائِنِهَا ذَهْنُ الْخَطِيبِ الْمِصْقَعِ (٣١)
 هِيَ نُجْعَةُ الْأَدَبِ الَّتِي مِنْ أُمَّهَا أَلْقَى مَرَّاسِيَهُ بِوَادِ مُمْرِعِ (٣٢)
 مَلَكَتْ هَوَى نَفْسِي وَأَحْيَيْتْ خَاطِرِي وَرَوْتُ صَدَى قَلْبِي وَلَذْتُ مِسْمَعِي (٣٣)
 فَاسْلَمْ « شَكِيبٌ » وَلَا بَرَحَتْ بِنِعْمَةٍ تَحْنُو عَلَيْكَ بِأَيْكِهَا الْمُتَفَرِّعِ (٣٤)
 فَلَأَنْتَ أَجْدَرُ بِالثَّنَاءِ لِمِنَّةِ أَوْلَيْتَهَا وَالْبِرُّ أَفْضَلُ مَا رُعِي (٣٥)
 أَرَهَفْتَ حَدِّي فَهُوَ غَيْرُ مُفْلَلٍ وَرَعَيْتَ عَهْدِي فَهُوَ غَيْرُ مُضَيِّعِ (٣٦)

(٢٨) الرميم: البالي. والأصمعي (١٢٢ - ٢١٦ هـ): هو أبو سعد عبد الملك بن قريب، ونسبته إلى جد له اسمه «أصمع»، وكان الأصمعي إماماً في الأخبار والنوادر والملح والغرائب واللغة ورواية الشعر.

(٢٩) النجمة: جرس الكلمة، وحسن وقعها في النفس، والمراد أن لبيانه وشعره نغمات حلوة شديدة التأثير في النفس، وأن سامعه يطرب له أشد الطرب. والمراد بحجرة الأسرار: القلب.

(٣٠) خامره: خالطه. وتأرجت أنفاسه: فاحت رائحته الطيبة وانتشرت. والعنبر: نوع من الطيب. والمتضوع: اسم فاعل من تضوع المسك والطيب ونحوه، أي تحرك فانتشرت رائحته.

(٣١) يعنو: يخضع. والألد: الشديد الخصومة. وخطيب مصقع: بليغ تنقاد له المعاني والألفاظ، أورفيع الصوت.

(٣٢) النجعة: اسم من الانتجاع، وهو طلب الكلا في موضعه. وأمها: قصدها. وألقى مراسيه: كناية عن الاستقرار والاطمئنان والثبات. وواد ممرع: خصيب كثير المرعى والكلا.

(٣٣) الصدى: شدة العطش.

(٣٤) تحنو: تعطف وتميل. والأيك: جمع أيكة، وهي الشجر الكثير الملتف. والمتفرع: الكثير الفروع والأغصان.

(٣٥) أجدر: أحق وأولى. والمنة: النعمة والإحسان والصنيعة والمعروف، والمراد بالمنة هنا: القصيدة التي بعث بها الممدوح إليه مثنياً فيها عليه. والبر: الخير.

(٣٦) إرهاف السيف: سنه وترقيق حده. أرهفت حدتي: قويت عزمي، وضاعفت همتي. ومفلل: مثلم مكسر.

وَبَثَّتْ لِي مِنْ فَيْضِ بَحْرِكَ جَدُولًا غَمَرَ الْبِحَارَ بِسَيْلِهِ الْمَتَدَفِّعِ (٣٧)
 عَذَّبْتَ مَوَارِدَهُ فَلَوْ أَلْقَتْ بِهِ هَيْمُ السَّحَابِ دِلَاءَهَا لَمْ تُقْلِعِ (٣٨)
 وَزَهَتْ فَرَائِدُهُ فَصَارَتْ غُرَّةً لِجَبِينِ كُلِّ مُتَوَجِّحٍ وَمُقْنَعِ (٣٩)
 هُوَ ذَلِكَ النَّظْمُ الَّذِي شَهِدَتْ لَهُ أَهْلُ الْبِرَاعَةِ بِالْمَقَالِ الْمُبْدَعِ
 أَبْصَرْتُ مِنْهُ أَخَا «إِيَادٍ» خَاطِبًا وَسَمِعْتُ «عَنْتَرَةَ الْفَوَارِسِ» يَدْعِي (٤٠)
 وَحَلَمْتُ أَنِّي فِي خَمَائِلِ جَنَّةٍ وَمِنْ الْعَجَائِبِ حَالِمٌ لَمْ يَهْجَعْ (٤١)
 فَضْلٌ رَفَعَتْ بِهِ مَنَارَ كَرَامَةٍ صَرَفَ الْعُيُونَ عَنِ الْمَنَارِ «لِتُبْعِ» (٤٢)
 فَمَتَى أَقُومُ بِشُكْرِ مَا أَوْلَيْتَنِي وَالنَّجْمُ أَقْرَبُ غَايَةٍ مِنْ مَنْزِعِي

- (٣٧) بثقت: أجريت. وفيض بحرك: بحرك الفياض الطامي الكثير الماء. والمتدفع: المنصب الغزير السريع الذي يدفع بعضه بعضاً.
- (٣٨) الهيم: الإبل العطاش، المفرد هيم وهيماء. ولم تقلع: لم تكف، ولم تترك، والمراد لم تكف عن الشرب.
- (٣٩) زهت: لمعت وأشرقت وأضاءت. والفرائد: اللآلئ والدرر التي تفصل بين الذهب في القلادة المفصلة، الواحدة فريدة. والغرة: بياض مستحسن مستدير في وسط جبهة الفرس. والجبين: ناحية الجبهة فوق الصدغ، وهما جبينان عن يمين الجبهة وشمالها، وقد يطلق الجبين ويراد به الجبهة.
- (٤٠) أخو إياد: قس بن ساعدة بن عمرو بن عدي بن مالك، من بني إياد، أحد حكماء العرب في الجاهلية، وخطيبهم، وواعظهم المضروب به المثل في اللسن والفصاحة والبلاغة. مات نحو سنة ٢٣ ق. هـ. وعنترة الفوارس: عنترة بن عمرو بن شداد العبسي، من أهل نجد، كان من فرسان العرب المعدودين، وشعرائهم المشهورين، مات مقتولاً حوالي سنة ٢٢ ق. هـ.
- (٤١) الخمائل: جمع خميلة، وهي الشجر الكثير المجتمع الملتف. والجنة: الحديقة ذات الشجر والنخيل والأعناب. ولم يهجع: لم ينم.
- (٤٢) المنار: أعلام الطريق التي يهتدي بها المسافرون في الصحارى ونحوها. ورفع منار الكرامة: كناية عن إظهارها إظهاراً تاماً. ومنار «تبع» أعلامه التي كان يقيمها على طريقه في مغازبه وحروبه ليهتدي بها، ولقب بذئ المنار واسمه أبرهة بن الحارث.

رُزْتُ الْمَقَالَ فَلَمْ أُجِدْ مِنْ مَقْنَعٍ (٤٣)
وَحَيِيرٍ عَافِيَةٍ وَعَيْشٍ أَمْرَعٍ (٤٤)

فَاعْذِرْ إِذَا قَصَرَ الشَّاءُ فَإِنِّي
لَا زِلْتُ تَرْفُلُ فِي وَشَاءِ سَعَادَةٍ

وَقَالَ :

هَيْهَاتَ قَدْ ذَهَبَ الْمَتْبُوعُ وَالتَّبَعُ (١)
يَنَئِي بِهِ الْخَوْفُ أَوْ يَدْنُو بِهِ الطَّمَعُ؟ (٢)
لِلْمَلِكِ مِنْهَا لِوَفْدِ الْعِزِّ مُرْتَبِعٌ (٣)
وَلَا سَمِيعَ إِذَا نَادَيْتَ يَسْتَمِيعُ
بِالْأَمْرِ كَادَتْ قُلُوبُ النَّاسِ تَنْصَدِعُ (٤)
طَيْرُ الْحَوَادِثِ مِنْ أَوْكَارِهَا وَقَعُوا (٥)
بِهِ الْحَوَادِثُ مَا شَادُوا وَلَا رَفَعُوا (٦)
أَيْدِي سَبَا وَتَخَلَّتْ عَنْهُمْ الشِّيْعُ (٧)

هَلْ بِالْحِمَى عَنْ سَرِيرِ الْمَلِكِ مَنْ يَزْعُ ؟
هَدِي « الْجَزِيرَةُ » فَانظُرْ هَلْ تَرَى أَحَدًا
أَضَحَتْ خَلَاءً وَكَانَتْ قَبْلُ مَنْزِلَةً
فَلَا مُجِيبَ يَرُدُّ الْقَوْلَ عَنْ نَبِيٍّ
كَانَتْ مَنَازِلَ أَمْلَاقٍ إِذَا صَدَعُوا
عَاشُوا بِهَا حِقْبَةً حَتَّى إِذَا نَهَضَتْ
لَوْ أَنَّهُمْ عَلِمُوا مِقْدَارَ مَا فَغَرَّتْ
دَارَتْ عَلَيْهِمْ رَحَى الْأَيَّامِ فَانْشَعَبُوا

(٤٣) رزت المقال: اخترت القول، وقدرته، وامتحنته.

(٤٤) رفل في ثيابه: جرّ ذيله، وركضه برجله متبخرًا، وهو كناية عن الغبطة والنعيم والرفاهة.
والوشاء: الثياب الموشاة المختلفة الأصبغ والألوان. والحبير من البرود والثياب: الجديد
الناعم. وأمرع: من قولهم مرع المكان وأمرع، أي أخصب فيه العشب والكلأ والنبات.
(١) الحمى: المكان المحمي الذي لا يقرب ولا يجترأ عليه. ويزع: يكف، ويمنع، ويدافع.
وهيهات: كلمة تبعيد.

(٢) ينأى: يبعد. ويدنو: يقرب.

(٣) الوغد: جمع وافد، اسم فاعل من وفد فلان على الملك والأمير، أي قدم وورد رسولاً.
والمرتبع: المكان الذي ينزل فيه الناس أيام الربيع، والمراد بالمرتبع: المكان الخصب.

(٤) أملاك: ملوك. وصدعوا بالأمر: جهروا به، وأعلنوه. وتنصدع: تنفطر وتنشق.

(٥) عاشوا: أفسدوا، وقد تكون محرفة عن «عاشوا». والحقبة من الدهر: مدة غير محدودة.
وحوادث الدهر: نوبه ونوازل. والأوكار: جمع وكر، وهو عش الطائر.

(٦) فغرفاه: فتحه.

(٧) دارت عليهم رحى الأيام: المراد اشتدت عليهم الخطوب والنوازل. وانشعبوا: تشتتوا وتفرقوا.

كَانَتْ لَهُمْ عُصْبٌ يَسْتَدْفِعُونَ بِهَا كَيْدَ الْعَدُوِّ فَمَا ضَرُّوا وَلَا نَفَعُوا^(٨)
أَيْنَ الْمَعَاقِلِ بَلْ أَيْنَ الْجَحَافِلِ بَلْ أَيْنَ الْمَنَاصِلِ وَالْخِطِيَّةِ الشَّرْعُ^(٩)
لَا شَيْءَ يَدْفَعُ كَيْدَ الدَّهْرِ إِنْ عَصَفَتْ أَحْدَاثُهُ أَوْ يَبْقِي مِنْ شَرِّ مَا يَقَعُ
زَالُوا فَمَا بَكَتِ الدُّنْيَا لِفُرْقَتِهِمْ وَلَا تَعَطَّلَتِ الْأَعْيَادُ وَالْجُمُعُ
وَالدَّهْرُ كَالْبَحْرِ لَا يَنْفَكُ ذَا كَدْرٍ وَإِنَّمَا صَفْوُهُ بَيْنَ الْوَرَى لَمَعُ^(١٠)
لَوْ كَانَ لِلْمَرْءِ فِكْرٌ فِي عَوَاقِبِهِ مَا شَانَ أَخْلَاقَهُ حِرْصٌ وَلَا طَبَعُ^(١١)
وَكَيْفَ يُذْرِكُ مَا فِي الْغَيْبِ مِنْ حَدِيثٍ مَنْ لَمْ يَزَلْ يَغْرُورِ الْعَيْشِ يَنْخَدِعُ
دَهْرٌ يَغْرُ وَأَمَالٌ تُسْرُ وَأَعْمُ مَارَ تَمُرٌ وَأَيَّامٌ لَهَا خُدَعُ
يَسْعَى الْفَتَى لِأُمُورٍ قَدْ تَضُرُّ بِهِ وَلَيْسَ يَعْلَمُ مَا يَأْتِي وَمَا يَدَعُ
يَأْيَهَا السَّادِرُ الْمُزَوَّرُ مِنْ صَلْفٍ مَهْلًا فَإِنَّكَ بِالْأَيَّامِ مُنْخَدِعُ^(١٢)

وتبددوا. وسبأ: لقب عبد شمس بن يشجب بن يعرب بن قحطان أبي القبائل اليمنية، أو بلدة بلفيس، أو مدينة مأرب، وكانت على مسيرة ثلاث ليال من صنعاء، والمراد بسبأ: القبائل اليمنية القديمة، والعرب تضرب بهم المثل في الفرقة، لأنهم لما غرقت بلادهم في الجاهلية بسيل العرم، وذهبت جناتهم تبددوا في البلاد. والأيدي: جمع اليد، بمعنى الطريق، أي فرقتهم طرقهم التي سلكوها.

(٨) عصب: أشباع وأنصار. ويستدفعون: يدفعون ويصدون. وكيد العدو: خداعه ومكره وشره.
(٩) المعائل: الحصون. والجحافل جمع جحفل، وهو الجيش الكثير يتألف من الفرسان والمشاة. والمناصل: السيوف. والخطيئة: الرماح، نسبة إلى الخط، وهو مرفأ السفن بالبحرين على خليج فارس، وكانت الرماح تباع فيه. والشرع: جمع شارع، اسم فاعل من شرع الرمح، أي تسدد.

(١٠) الورى: الخلق.

(١١) شان: عاب. والطبع: الشين والدنس والعيب.

(١٢) السادر: الذي لا يهتم لشيء، ولا يبالي ما صنع. والمزور: المنحرف المائل. والصلف: التكبر، أو أن يتمدح الإنسان بما ليس عنده، أو مجاوزة قدر الظرف، والادعاء فوق ذلك تكبراً.

دَعَّ مَا يَرِيبُ وَخُذْ فِي مَا خَلَقْتَ لَهُ
 إِنَّ الْحَيَاةَ لَشَوْبٌ سَوْفَ تَخْلَعُهُ
 وَقَالَ وَهُوَ بِسَرْنَدِيْبَ * :

لَيْبِكَ يَا دَاعِي الْأَشْوَاقِ مِنْ دَاعِي
 مُرْنِي بِمَا شِئْتَ أَبْلُغُ كُلَّ مَا وَصَلْتَ
 فَلَا وَرَبُّكَ مَا أَضْغِي إِلَى عَذْلِ
 إِنِّي امْرُؤٌ لَا يَرُدُّ الْعَذْلُ بَادِرْتِي
 أَجْرِي عَلَى شِيْمَةٍ فِي الْحُبِّ صَادِقَةٍ
 لِلْحُبِّ مِنْ مُهْجَتِي كَهْفٌ يَلُودُ بِهِ
 بَدَلْتُ فِي الْحُبِّ نَفْسِي وَهِيَ غَالِيَةٌ
 أَشْكُو إِلَيْهِ وَلَا يُضْغِي لِمَعْدِرْتِي

أَسْمَعْتَ قَلْبِي وَإِنْ أَخْطَأْتُ أَسْمَاعِي (١)
 يَدِي إِلَيْهِ فَإِنِّي سَامِعٌ وَاعِي
 وَلَا أُبِيحُ حِمَى قَلْبِي لِخَدَّاعِ (٢)
 وَلَا تَفُلُّ شَبَابَةَ الْخَطْبِ إِزْمَاعِي (٣)
 لَيْسَتْ تَهْمٌ إِذَا رِيَعْتُ بِإِقْلَاعِ (٤)
 مِنْ غَدْرِ كُلِّ امْرِيٍّ بِالشَّرِّ وَقَاعِ (٥)
 لِبَاخِلٍ بِصَفَاءِ الْوُدِّ مَنَاعِ
 مِنْ غَيْرِ ذَنْبٍ جَنَّتُهُ النَّفْسُ أَوْ دَاعِي

(١٣) رث: بلى وخلق وذهبت جدته.

(★) قبيل وفاة البارودي سنة ١٩٠٤ م بقصر الجزيرة الذي قضى فيه رداً من حياته المترفة الناعمة
 اللاهية وهو ياور «للخديوي اسماعيل» فهاجته ذكريات ذلك العهد السعيد، وهو في ريعان
 شبابه، وعنفوان فتوته، فنظم هذه العينية الخالدة.

- (١) لبيك: لزوماً لطاعتك، أو أنا مقيم على طاعتك.
 (٢) العذل: اللوم. وأبحتك الشيء: أحلته لك. وحمى قلبي: قلبي الشبيه بالحمى، وهو المكان
 المحمي الذي لا يقرب، ولا يجترأ عليه.
 (٣) البادرة: ما يبدر من الإنسان عند حدته وغضبه من قول أو فعل، والمراد بالبادرة هنا: شدة
 العزم، وقوة الإرادة. وتفل: تكسر وتضعف. وشبابة السنان أو السيف: حدّه وشفرته.
 والخطب: النازلة الشديدة من نوازل الدهر. والإزماع: العزم.
 (٤) شيمة: خلق وطبيعة. وريعت: أخيفت. والإقلاع عن الأمر: تركه والكف عنه.
 (٥) المهجة: دم القلب والنفس والروح، والمراد بها هنا: القلب. والكهف: كالمغارة والبيت
 المنقور في الجبل. ويلود به: يلجأ إليه، ويعود به. ووقاع: يغتاب الناس، من الوقعة، وهي
 الغيبة.

وَيَلَاهُ مِنْ حَاجَةٍ فِي النَّفْسِ هَامَ بِهَا
 أَسْعَى لَهَا وَهِيَ مِنِّي غَيْرُ دَانِيَةٍ
 يَا حَبِّذَا جُرْعَةً مِنْ مَاءٍ مَحْنِيَةٍ
 وَنَسَمَةً كَشَمِيمِ الْخُلْدِ قَدْ حَمَلْتُ
 يَا هَلْ أَرَانِي بِذَاكَ الْحَيِّ مُجْتَمِعاً
 وَهَلْ أَسُوقُ جَوَادِي لِطُرَادٍ إِلَى
 مَنَازِلُ كُنْتُ مِنْهَا فِي بُلْهَنِيَةٍ
 إِذَا أَشْرْتُ لَهُمْ فِي حَاجَةٍ بَدَرُوا
 يَخْشَى الْبَلِيغُ لِسَانِي قَبْلَ بَادِرْتِي

(٦) المراد بالحاجة: قربه من ديار الحبيب، وهي مصر. وقصر: عجز، ولم يقدر. والباع: مسافة ما بين الكفين إذا بسطتهما يميناً وشمالاً، أو قدر مدّ اليدين، والمراد به: الجهد والقدرة.

(٧) الشأو: الغاية والأمد.

(٨) المحنية من الوادي: منعرجه ومنعطفه، أي الموضع الذي ينحني فيه وينعطف. والضجعة: اسم مرة من الضجوع، وهو النوم. والقاع: أرض واسعة سهلة مستوية مطمئنة.

(٩) رياً الأزهير: ريحها الطيبة. والميث: جمع ميثاء، وهي الأرض السهلة الدمثة اللينة من غير رمل، وتميئت الأرض: مطرت فلانت وبردت، أو هي الرملة السهلة، أو الرايبة الطيبة. والأجرع: جمع جرع، وهو الأرض الرملية السهلة الطيبة المنبت.

(١٠) الحي من أحياء العرب: جماعة ينسبون إلى أب واحد كالقبيلة، وكثيراً ما يطلق ويراد به المنازل والديار، والمراد به هنا: الديار المصرية. وأشياعي: أتباعي وأنصاري.

(١١) الطراد: مطاردة الوحش وصيده. والجاذر: جمع جؤذر، وهو ولد البقرة الوحشية.

(١٢) البلهنية: الرخاء والرفاهية وسعة العيش وطيب الحياة.

(١٣) بدر إلى الشيء: أسرع. والإلماع: مصدر ألمع بيده إلى الشيء، أي أشار.

(١٤) البادرة: ما يبدر من الإنسان عند حدته وغضبه، والمراد بها هنا ما بيده به الشاعر غيره في حال الخصومة والجدل ونحوهما. ويرعد: يرتعد ويضطرب من الفزع والخوف. والإيقاع: مصدر أوقعت بالعدو، أي قتلت وأثخنت.

فَالْيَوْمَ أَصْبَحْتُ لَا سَهْمِي بِذِي صَرِدٍ
 أَيْتُ فِي قُنَّةٍ قَنَوَاءٍ قَدْ بَلَغْتُ
 يَسْتَقْبِلُ الْمُزْنَ لِيَتِيَهَا بِوَابِلِهِ
 يَظَلُّ شِمْرَاخُهَا يَبْسَاءً وَأَسْفَلُهَا
 إِذَا الْبُرُوقُ أَزْمَهَرَّتْ خِلَتْ ذِرْوَتُهَا
 تَكَادُ تَلْمِسُ مِنْهَا الشَّمْسُ دَانِيَةً
 أَظَلُّ فِيهَا غَرِيبَ الدَّارِ مُبْتَسِئاً
 لَا فِي « سَرَنْدِيبٍ » خِلُّ اسْتَعِينُ بِهِ
 يَظُنُّنِي مَنْ يَرَانِي ضَاغِكاً جَذِلاً
 إِذَا رَمَيْتُ وَلَا سَيْفِي بِقَطَّاعٍ (١٥)
 هَامَ السَّمَاءِ وَقَاتَتْهُ بِأَبْوَاعٍ (١٦)
 وَتَصْدِمُ الرِّيحُ جَنْبَيْهَا بِزَعْرَاعٍ (١٧)
 مُكَلَّلًا بِالنَّدَى يَرَعَى بِهِ الرَّاعِي (١٨)
 شَهْمًا تَدْرَعُ مِنْ تَبْرِ بِأَذْرَاعٍ (١٩)
 وَتَحْسِبُ الْبَدْرَ عَنْ سَيْرٍ وَإِقْلَاعٍ (٢٠)
 نَابِي الْمَضَاجِعِ مِنْ هَمٍّ وَأَوْجَاعٍ (٢١)
 عَلَى الْهُمُومِ إِذَا هَاجَتْ وَلَا رَاعِي (٢٢)
 أَنِي خَلِيٌّ وَهَمِّي بَيْنَ أَضْلَاعِي (٢٣)

- (١٥) صرد: مصدر صرد السهم، أي أصاب ونفذ، يقال سهم صارداً، أي خرجت شبة حده من الرمية، وسهم نافذ، أي خرج بعضه، وسهم مارق، أي خرج كله.
- (١٦) القننة: أعلى الجبل، أو هي الجبل المنفرد المستطيل في السماء. وقنواء: عالية مرتفعة.
- وهام: جمع هامة، وهي رأس كل شيء وأعلاه. والسماك: نجم نير، يضرب به المثل في الارتفاع. والأبواع: جمع الباع أو البوع، وهو مسافة ما بين الكفين إذا بسطتهما، أو قدر مذي اليدين وما بينهما من البدن.
- (١٧) المزن: السحاب، أو أبيضه، أو ذو الماء منه، الواحدة مزنة. والليتان: صفحتا العنق عليهما ينحدر القرطان، مثني لبت. والوابل: المطر الغزير. وريح زعزع وزعزاع: شديدة تزعزع الأشياء وتحركها.
- (١٨) شمراخها: رأسها وأعلاها، أي القننة.
- (١٩) ازمهرت: لمعت. والشهم: الجلد الشجاع، الذكيّ الفؤاد. والتبر: الذهب. يشبه ذروة القننة إذا لمع فيها البرق بشهم محارب تدرع بدرع من الذهب.
- (٢٠) إقلاع: تحوّل وانتقال.
- (٢١) نبو المضاجع: كناية عن القلق وعدم النوم.
- (٢٢) الخل: الصديق المختص.
- (٢٣) جذلاً: فرحاً. وخلي: خال فارغ من الهم والحزن، وهو خلاف الشجي.

وَلَا وَرَبُّكَ مَا وَجَدِي بِمُنْدَرِسٍ
 لَكِنِّي مَالِكُ حَزْمِي وَمُنْتَظَرُ
 أَكْفُ غَرْبِ دُمُوعِي وَهِيَ جَارِيَةٌ
 فَإِنْ يَكُنْ سَاءَنِي دَهْرِي وَغَادَرَنِي
 فَإِنَّ فِي مِضْرٍ إِخْوَانًا يَسْرُهُمْ
 عَلَى الْبِعَادِ وَلَا صَبْرِي بِمِطْوَاعٍ (٢٤)
 أَمْرًا مِنَ اللَّهِ يَشْفِي بَرْحَ أَوْجَاعِي (٢٥)
 خَوْفَ الرَّقِيبِ وَقَلْبِي جِدُّ مُلْتَاعٍ (٢٦)
 زَهْنِ الْأَسَى بَيْنَ جَدْبٍ بَعْدَ إِمْرَاعٍ (٢٧)
 قُرْبِي وَيُعْجِبُهُمْ نَظْمِي وَإِبْدَاعِي

(٢٤) مندرس: ذاهب، زائل. ومطواع: مطيع، منقاد.

(٢٥) البرح: الشدة.

(٢٦) أكف: أمتع. وغرب دموعي: انهمالها وضياعها. والتاع فؤاده: احترق من الشوق والهم.

(٢٧) الجذب: المحل، وهو انقطاع المطر، وبس الأرض، وخلوها من الكلا والنبات، ونقيضه الخصب والإمراع، يقال: أمرع القوم، إذا أخصبوا. «بين جذب بعد إمراع»: أصبح في شقاء بعد سعادة.

قافية الفاء

وَقَالَ يُجِيبُ بَعْضَ السَّادَةِ عَنْ قَصِيدَةٍ أَرْسَلَهَا إِلَيْهِ مِنَ الْهِنْدِ يَخْطُبُ بِهَا مَوْدَتَهُ * :

قَلِيلٌ بِآدَابِ الْمَوْدَةِ مَنْ يَفِي	فَمَنْ لِي بِخَلِّ أَصْطَفِيهِ وَأَكْتَفِي؟ ^(١)
بَلَوْتُ بَنِي الدُّنْيَا فَلَمْ أَرِ صَاحِبًا	يَدُومُ عَلَيَّ وَدَّ بَغَيْرِ تَكَلُّفٍ ^(٢)
فَهَلْ مِنْ فَتَى يَسْرُو عَنِ الْقَلْبِ هَمَّهُ	بِشِيمَةِ مَطْبُوعٍ عَلَيَّ الْمَجْدِ مُسْعِفٍ؟ ^(٣)
رَضِيْتُ بِمَنْ لَا تَشْتَهِي النَّفْسُ قُرْبَهُ	وَمَنْ لَمْ يَجِدْ مَنْدُوحَةً يَتَكَلَّفُ ^(٤)
وَلَوْ أَنَّ نِيَّ صَادَفْتُ خِلًّا يَسْرُنِي	عَلَى عُدْوَاءِ الدَّارِ لَمْ أَتْلَهْفِ ^(٥)

(★) كان البارودي بطبعه الشاعر، وإحساسه المرهف حفيماً بالأدباء، ورواة شعره، والمتوددين إليه . ولما نفي إلى «سرنديب» اشتدت حفاوته بهم لشدة احتياجه إلى من يواسيه، ويصفيه الود والإخاء في غربته ومنفاه، وكثر التراسل بينه وبين أهله وصحبه بمصر، والمعجبين بأدبه في شتى بقاع الأرض وأقطارها . ومن هؤلاء أديب شاعر هندي، اسمه «علي» أرسل إليه من الهند قصيدة من شعره يخطب بها مودته، فأجاب البارودي عنها بهذه القصيدة الطويلة الرائعة، شاكرًا له، مثنيًا عليه، منوهاً بأدبه وفضله وسحر بيانه، وتوقد ذكائه، متوسماً فيه الخير قبل لقائه .

(١) آداب المودة: محامدها ومحاسنها ومقتضياتها . والخل: الصديق المختص . وأصطفيه: أختاره .

(٢) بلوت: اختبرت، وامتحنت وجربت . والتكلف: مصدر تكلفت الشيء، أي تجشمته، وحملته على مشقة .

(٣) يسرو: يكشف ويزيل . ومطبوع: مفظور مخلوق .

(٤) مندوحة: سعة وفسحة .

(٥) عدواء الدار: بعدها .

وَلَكِنِّي أَصْبَحْتُ فِي دَارِ غُرْبَةٍ مُقِيمًا لَدَى قَوْمٍ عَلَى الْبَدِّ عَكْفٍ (٦)
 زَعَانِفٌ هَدَاجُونَ فِي عَرَصَاتِهِمْ كَخَيْطِ نَعَامٍ بَيْنَ جَرْدَاءَ صَفْصَفٍ (٧)
 حُفَاءَ عُرَاةٍ غَيْرِ أَخْلَاقِ صُدْرَةٍ تَطِيرُ كَنَسَجِ الْعَنْكَبُوتِ الْمُسَدِّفِ (٨)
 يَمْجُونَ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ رَشْحَ مُضْغَةٍ كَنَضْحِ دَمٍ يَنْهَلُ مِنْ أَنْفِ مُرْعَفٍ (٩)
 إِذَا رَاطَنُوا بَعْضًا سَمِعْتَ لِصَوْتِهِمْ عَزِيفًا كَجَنِّ فِي الْمَفَاوِزِ هُتْفٍ (١٠)
 فَهَا أَنَا مِنْهُمْ بَيْنَ شَمَلٍ مُبَدَّدٍ وَمِنْ حَسْرَاتِي بَيْنَ شَمَلٍ مُؤَلَّفٍ (١١)
 أَحِنُّ إِلَى أَهْلِي وَأَذْكَرُ جِيرَتِي وَأَشْتَاقُ خُلَانِي وَأَصْبُو لِمَالْفِي (١٢)
 فَلَا أَنَا أَسْلُو عَنْ هَوَايَ فَاَنْتَهِي وَلَا أَنَا أَلْقَى مَنْ أَحِبُّ فَاشْتَفِي (١٣)

(٦) البدّ: الصنم. وعكف: جمع عاكف اسم فاعل من عكف المرء على الشيء أي أقبل عليه مواظباً.

(٧) زعانف: أرذال، أو أدعياء، أو ليسوا من أصل واحد، أو قصار القامات. وهداجون: يمشون في ارتعاش واضطراب كمشية الشيخ الهرم، جمع هداج. والعرصات: جمع عرصة، وهي كل بقعة بين الدور واسعة ليس فيها بناء، أو هي ساحة الدار ووسطها. والخيط: الجماعة من النعام. وأرض جرداء: واسعة لا نبات فيها. وصفصف: ملساء مستوية لا نبات فيها.

(٨) أخلاق: جمع خلق، وهو الثوب القديم البالي. والصدرة: القميص الصغير، أو هي ثوب يغطي الصدر والظهر.

(٩) يمجون: يخرجون ويرمون، مجّ الشراب والشيء من فيه: رمي به. والرشح: العرق، والمراد به هنا: اللعاب الذي يسيل من أفواههم. ونضح الدم: ما ترشش منه وتفرّق. وينهل: ينصبّ ويسيل. ومرعف: شخص أصيب بالرعاف، وهو خروج الدم من الأنف.

(١٠) راطنه: كلمه بلسان أعجمي لا تفهمه العرب. والعزيف: جرس يسمع بالمفاوز في الليل، تزعم العرب أنه صوت الجنّ. والمفاوز: جمع مفازة، وهي الفلاة والصحراء.

(١١) الشمل: الاجتماع. ومبدّد: مفرّق مشتت. ومؤلف: مجتمع.

(١٢) أصبو: أحنّ وأنزع وأشتاق وأميل. والمالّف: اسم مكان من ألّف الشيء، أي أنست به وأحببته واطمأننت إليه، ويراد بالمالّف هنا: الوطن.

(١٣) سلاه، وسلا عنه: نسيه.

وَإِنِّي عَلَى مَا كَانَ مِنْ سَرَفِ النَّوَى
سَجِيَّةُ نَفْسٍ لَا تَمِيلُ مَعَ الْهَوَى
وَمَا كُلُّ مَوْشِيٍّ الْحَدِيثِ بِصَادِقٍ
تَشَابَهَتْ الْأَخْلَاقُ إِلَّا بَقِيَّةً
وَمَا شَرَفُ الْإِنْسَانِ إِلَّا بِنَفْسِهِ
وَلَوْ كَانَ نَيْلُ الْفَضْلِ سَهْلًا لَزَاحَمْتُ
فَإِنْ أَخْلَفْتُ نَفْسُ طَوِيَّةَ مَا وَأَتُ
هُمَامٌ دَعَا بِاسْمِي فَلَبَّيْتُ صَوْتَهُ
وَلَوْ صَاحَ بِي فِي غَارَةٍ لَوَزَعْتُهَا
وَلَكِنِّي لَبَّيْتُ دَعْوَةَ نَظْمِهِ

لَبَاقٍ عَلَى وَدِّي لِمَنْ كُنْتُ أَصْطَفِي (١٤)
وَذِمَّةُ عَهْدٍ بَيْنَ سَيْفٍ وَمُصْحَفٍ (١٥)
وَلَا كُلُّ مَنْسُوبٍ إِلَى الْوَدِّ بِالْوَفِيِّ (١٦)
بِهَا يُعْرَفُ الْمَاضِي مِنَ الْمُتَخَلِّفِ (١٧)
وَإِنْ كَانَ ذَا مَالٍ تَلِيدٍ وَمُطْرِفٍ (١٨)
رِجَالُ الْخَنَا أَهْلُ الْعُلَا وَالتَّعَطُّفِ (١٩)
فَلِي مِنْ «عَلِيٍّ» صَاحِبٌ غَيْرُ مُخْلِفِ (٢٠)
بِيَا مَرْحَبَاهُ مِنْ فُوَادٍ مُكَلَّفِ (٢١)
عَلَى مَتْنٍ مَحْبُوكِ السَّرَاةِ بِمُرْهَفِ (٢٢)
بِأَسْمَرَ مَشْقُوقِ اللُّسَانِ مُحَرَّفِ (٢٣)

- (١٤) السرف: مجاوزة الحد، وهو ضدّ القصد والاعتدال. والنوى: البعد. وأصطفي: أختار.
(١٥) السجّية: الغريزة والطبيعة والخلق. والذمة: الحقّ والحرمة.
(١٦) موشى الحديث: كلامه مزخرف مزين.
(١٧) المراد بالماضي: الهمام الصاعد في مراتب الفضل والشرف والعلو.
(١٨) المال التليد: القديم الموروث، وهو نقيض الطريف المستحدث.
(١٩) المراد بالفضل هنا: الشرف والسيادة والرفعة. والخنا: الفحش، والمراد برجال الخنا: ذوو الأخلاق الوضيعة الدنيئة.
(٢٠) الطوية: النية والضمير. ووأت: وعدت.
(٢١) همام: سيد شجاع سخّي، عظيم الهمة. فؤاد مكلف: قلب محبّ لك، مغرم بك.
(٢٢) صاح بي: ناداني. والغارة: الخيل المغيرة. ووزعتها: كلفتها ودفعتها ورددتها. ومحبوك: شديد قوتي محكم الخلق، وفرس محبوبك المتن: مدمج الظهر، فيه استواء مع ارتفاع. والسراة: الظهر، وسراة كلّ شيء: أعلاه، أو ظهره، أو وسطه. والمرهف: السيف المرقق الحادّ القاطع المسنون.
(٢٣) دعوة نظمه: دعوة الودّ التي وجهها إليّ في قصيدته. وأسمر: صفة من السمرة، وهي منزلة بين البياض والسواد، وكنى بالأسمر المشقوق اللسان عن القلم، والمراد باللسان: الموضوع

إِذَا حَرَّكَتْهُ رَاحَتِي فَوْقَ مُهْرَقٍ بِذِكْرِ عُلَاهُ بَزْ كُلِّ مُثَقَّفٍ (٢٤)
 هُوَ الْبَطْلُ السَّبَاقُ فِي كُلِّ غَايَةٍ يَهَابُ رَدَاهَا الْمَرْءُ قَبْلَ التَّعَسُّفِ (٢٥)
 إِذَا قَالَ لَمْ يَتْرُكْ بَيَانًا لِقَائِلٍ وَإِنْ سَارَ لَمْ يَتْرُكْ مَجَالًا لِمُقْتَفِي (٢٦)
 لَهُ قَلَمٌ لَوْ كَانَ لِلسَّيْفِ حَدُّهُ لَفَلَّ حَبِيكَ السَّرْدِ فِي كُلِّ مَوْقِفٍ (٢٧)
 وَشُعْلَةٌ فِكْرٍ لَوْ بِمِثْلِ ضِيَائِهَا أَنْارَ سِرَاجِ الْأَفْقِ مَا كَانَ يَنْطَفِي (٢٨)
 فَسِيحُ مَجَالِ الْفِكْرِ ثَبَّتْ يَقِينُهُ بَعِيدُ مَنَاطِ الْهَمِّ حُرُّ التَّصَرُّفِ (٢٩)
 أُدِيبُ لَهُ فِي جَنَّةِ الشُّعْرِ دَوْحَةٌ أَفَاءَتْ عَلَيَّ الدُّنْيَا بِأَجْمَلِ زُخْرَفِ (٣٠)

المبري من القلم، على التشبيه باللسان جارحة الكلام. ومحرف: اسم مفعول من حرفت
 القلم تحريفاً، أي قطعته محرّفاً مائلاً غير مستو.
 (٢٤) المهرق: الصحيفة البيضاء، وورق الكتابة، وهي من الكلمات الفارسية المعربة. وبز: غلب
 وسبق وفاق. ومثقف: اسم مفعول من ثقفت الريح ونحوه، أي سوته وقومته وعدلته.
 (٢٥) يهاب: يخاف. والردى: الهلاك. والتعسف: ركوب الأمر بلا تدبير، ولا روية، والمراد
 بالتعسف هنا: اقتحام الأمر، والإقدام عليه.
 (٢٦) المجال: موضع الجولان والتطواف. والمقتفي: اسم فاعل من اقتفى أثره، أي تبعه ولحقه
 وسار في طريقه.
 (٢٧) فله: ثلمه وكسره. وحبك: أي محبوبك موثق مشدود محكم متين قوي، وقد يطلق الحبك
 على المغافر والخوذات وبيضات الحديد، الواحدة حبيكة. والسرد: اسم جامع للدروع
 الحديدية وسائر الحلق، سمي سرداً لأنه يسرد، أي يثقب طرفاً كل حلقة منه بالمسمار.
 (٢٨) المراد بسراج الأفق: الشمس. وانطفأؤها: أفلها وغياها.
 (٢٩) فسيح مجال الفكر: فكره حرّ طليق. واليقين: العلم وزوال الشك. والمناط: موضع النوط،
 وهو التعليق. والهم: أول العزيمة، وما هممت به، أي أردته، والمراد به هنا: الهمة والعزم
 القوي.
 (٣٠) الدوحة: الشجرة العظيمة. وأفاءت: رجعت، وفي القاموس: الفيء: الرجوع كالإفاءة، وفي
 اللسان: فاء إلى الأمر رجوع إليه، وأكبر الظن أن الشاعر استعمل «أفاء» في موضع «فاء»،
 يقال: فاء عليه الظل، أي امتد وانتشر، ويقوي هذا الظن استعماله كلمة «دوحة»، والدوحة
 مصدر الفيء والظل. والزخرف: الزينة، وكمال حسن الشيء.

إِذَا نَوَّرَتْ أَفْنَانَهَا غِيبٌ دِيْمَةٌ
 تَرْنَمٌ فِيهَا مِنْ ثَنَائِي بُلْبُلٌ
 حَفِيْتُ لَهُ بِالْوُدِّ مِنِّي وَكَيْفَ لَا
 تَأَلَّفَ نَفْسِي بَعْدَ مَا زَالَ أَنْسَهَا
 وَحَرَّكَ أَسْلَاكَ التَّرَاسُلِ بَيْنَنَا
 وَفِي النَّاسِ مَعْطُوفٌ عَلَى الْوُدِّ قَلْبُهُ
 تَوَسَّمْتُ فِيهِ الْخَيْرَ قَبْلَ لِقَائِهِ
 وَمَا حَرَكَاتُ النَّفْسِ إِلَّا دَلَالَةٌ
 فَقَدْ تَكْذَبُ الْعَيْنُ الْفَتَى وَهُوَ غَافِلٌ
 وَقَيْتُ بِوَعْدِي فِي الثَّنَاءِ وَإِنْ يَكُنْ
 مِنَ الْفِكْرِ جَاءَتْ بِالْبَدِيعِ الْمُفَوِّفِ (٣١)
 يَلْحَنُ لَهُ فِي السَّمْعِ نَبْرَةٌ مِعْزَفِ (٣٢)
 أَسَابِقُهُ فِي وَدِّهِ وَهُوَ بِي حَفِيٌّ؟ (٣٣)
 وَنَوْهٌ بِأَسْمِي بَعْدَ مَا كَادَ يَخْتَفِي (٣٤)
 بِسَيَّالٍ وَدُّ لَفْظُهُ لَمْ يُحَرْفِ (٣٥)
 وَمِنْهُمْ سَقِيمُ الْعَهْدِ بَادِي التَّحَرْفِ (٣٦)
 وَأَحْمَدْتُ مِنْهُ الْخُبْرَ بَعْدَ التَّعْرِفِ (٣٧)
 عَلَى صِدْقٍ مَا قَالُوا بِهِ فِي التَّعْيِفِ (٣٨)
 وَيَصْدُقُ ظَنُّ الْعَاقِلِ الْمُتَشَوِّفِ (٣٩)
 مَقَالِي بِهَاتِيكَ الْفَضَائِلِ لَا يَفِي

(٣١) نَوَّرَتْ: أزهرت، وهي الدوحة. وأفنانها: أغصانها، والواحد فنن. وغيب ديمة: بعدها، والديمة: المطر الذي ليس فيه رعد ولا برق. والمفوف: الموشى المزين.
 (٣٢) تَرْنَمٌ: غرّد. واللحن: واحد الألحان واللحون، وهي الأصوات الموسيقية المصوغة الموضوعة للأغاني. والنبرة: الصوت. والمعزف: من آلات اللهب والطرب التي يضرب بها، كالعود والطنبور والدف.
 (٣٣) حَفِيٌّ بِهِ حَفَاوَةٌ: تَلَطَّفَ بِهِ، وَبَالِغٌ فِي إِكْرَامِهِ.
 (٣٤) تَأَلَّفَ نَفْسِي: أَنْسَهَا. وَنَوْهٌ بِأَسْمِي: أَشَادَ بِهِ، وَرَفَعَ ذِكْرِي، وَأَظْهَرَهُ وَشَهْرَهُ.
 (٣٥) الْأَسْلَاكُ: جَمْعُ سَلَكٍ، وَهُوَ الْخَيْطُ الَّذِي يَخَاطُ بِهِ الثَّوْبَ، وَالْمُرَادُ بِهِ هُنَا: أَسْلَاكُ الْبِرْقِ. وَسَيَّالٌ: صَيْغَةٌ مَبَالِغَةٌ مِنْ سَالَ الْمَاءُ وَنَحْوَهُ، أَي جَرَى. وَلَمْ يَحَرْفْ: لَمْ يَغْيِّرْ وَلَمْ يَبْدَلْ.
 (٣٦) مَعْطُوفٌ: مَائِلٌ مَنْحَنٌ مَطْوِيٌّ. وَسَقِيمٌ: مَرِيضٌ مَعْتَلٌ.
 (٣٧) تَوَسَّمْتُ فِيهِ الْخَيْرَ: تَفَرَّسْتُ، وَتَبَيَّنْتُ فِيهِ أَثْرَهُ. وَالْخَبْرُ: الْخَبْرَةُ وَالْعِلْمُ وَالْمَعْرِفَةُ وَالِاخْتِبَارُ.
 (٣٨) يَرِيدُ بِحَرَكَاتِ النَّفْسِ: الْإِحْسَاسَ الْخَفِيِّ، وَصِدْقَ الْحَدْسِ، وَصَوَابَ الظَّنِّ، وَسَدَادَ التَّخْمِينِ. وَالتَّعْيِفُ: التَّكْهَنُ، وَمَحَاوَلَةُ تَعْرِفِ الْغَيْبِ بِزَجْرِ الطَّيْرِ، وَهُوَ أَنْ تَعْتَبِرَ بِأَسْمَائِهَا وَمَسَاقِطِهَا وَأَصْوَاتِهَا فَتَتَيَّمَنُ أَوْ تَتَشَاءَمُ، وَقَدْ تَكُونُ الْعِيَاةُ بِالْحَدْسِ وَالتَّخْمِينِ.
 (٣٩) غَافِلٌ: اسْمُ فَاعِلٍ مِنَ الْغَفْلَةِ، وَهِيَ غَيْبَةُ الشَّيْءِ عَنِ بَالِ الْإِنْسَانِ، وَعَدَمُ تَذَكُّرِهِ لَهُ. وَالْمُتَشَوِّفُ: اسْمُ فَاعِلٍ مِنْ تَشَوَّفَ لِلشَّيْءِ، إِذَا طَمَحَ بِبَصْرِكَ إِلَيْهِ، وَتَطَلَّعَ وَتَطَاوَلَ.

وَكَيْفَ وَإِنْ أُوتِيَتْ فِي النُّظْمِ قُدْرَةٌ أَضْمُّ شَتَاتِ الْكَوْنِ فِي بَعْضِ أَحْرَفِ؟ (٤٠)

وَقَالَ فِي الْغَزَلِ :

لَمَوَى جِيْدُهُ وَأَنْصَرَفَ	فَمَا ضَرَّهُ لَوْ عَطَفَ؟ (١)
غَزَالَ لَهُ نَظْرَةٌ	أَعَانَتْ عَلَيَّ الْكَلْفَ (٢)
تَبَسَّمَ عَنْ لَوْلُؤٍ	لَهُ مِنْ عَقِيْقٍ صَدَفَ (٣)
وَتَاهَ فَلَمْ يَلْتَفِتْ	وَشَأْنُ الْجَمَالِ الصَّلْفَ (٤)
جَرَى الْبِنْدُ فِي خَضْرِهِ	عَلَى حَرَكَاتِ الْهَيْفِ (٥)
وَمَا ذَاكَ خَالٌ بَدَا	وَلَكِنْ وَسَامُ التَّرْفِ (٦)
رَأَيْتُ بِهِ مُوَلَعًا	فَعَاتَبَنِي وَأَنْحَرَفَ (٧)

(٤٠) أضْمٌ : أجمع . وشتات : اسم من شت الشيء ، أي تفرق .

(١) الجيد : العنق ، وليّ الجيد : كناية عن الصد والإعراض . وعطف عليه : حنا عليه ، ومال إليه .
(٢) الغزال : من ولد الطباء ، والشادن إذا تحرك ومشى وقوي واستغنى عن أمه . ويشبه الشاعر حبيته بالغزال في جمال الجيد واتساع العينين وحسنهما ، والرشاقة ولطف الحركة وحسن الثني .
والكلف : الغرام والهوى والحب الشديد .

(٣) اللؤلؤ : الدرّ ، وتشبه به الأسنان في البياض والنقاء والصفاء ، الواحدة لؤلؤة . والعقيق : حجر كريم تتخذ منه فصوص الخواتم ، ويكثر باليمن ، وأجود أنواعه الأحمر . والصدف : غشاء الدرّ وغلافه ، الواحدة صدفة .

(٤) تاه : تكبر . والشأن : الأمر والحال . والصلف : التمدح بما ليس عندك ، ويراد به هنا : التيه والكبر .

(٥) البند : كلمة فارسية معربة ، ويراد بها هنا : المنطقة والحزام وشبههما . والهيْف : رقة الخصر ، وضمور البطن ، وهو من محاسن النساء .

(٦) الخال : شامة أو نكتة سوداء تكون في خد الإنسان . والوسام : العلامة . والترف : النعيم والرفاهية .

(٧) انحرف : مال وانصرف . وإنما عاتبه لأنه يشهره ، ويهتف باسمه .

وَلَمْ يَذِرْ أَنِّي بِهِ عَلَى جَمَرَاتِ التَّلْفِ (٨)
 فَقُلْتُ لَهُ سَيِّدِي! تَرَفَّقُ بِصَبِّ دَنِفٍ (٩)
 فَقَالَ أَخَافُ الْعِدَا أَفَقُلْتُ لَهُ لَا تَخَفْ
 فَإِنِّي عَفِيفُ الْهَوَى وَمَا كُلُّ صَبٍّ يَعِيفُ (١٠)
 وَأَنْشَدْتُهُ قِطْعَةً وَشِعْرِي إِحْدَى الطَّرْفِ (١١)
 فَأَصْغَى لَهَا بِاسِمَاءَ وَبَانَ عَلَيْهِ الْأَسْفُ
 وَنَمَّتْ بِهِ خَجَلَةٌ تَدُلُّ عَلَى مَا اقْتَرَفُ (١٢)
 وَقَالَ أَهَذَا الضَّنَى جَنَاهُ عَلَيْكَ الشُّغْفُ؟ (١٣)
 فَقُلْتُ نَعَمْ سَيِّدِي! وَأَبْرَحُ مِمَّا أَصِيفُ (١٤)
 فَصَدَّقَ لَكِنَّهُ تَجَاهَلَ لِمَا عَرَفَ
 وَقَالَ أَطَعْتَ الْمُنَى وَبَعْضُ الْأَمَانِي سَرَفُ (١٥)
 وَمَا كُلُّ ذِي حَاجَةٍ يَفُورُ بِهَا إِنْ عَكَفُ (١٦)

(٨) التلف: الهلاك والعطب.

(٩) صبب: عاشق مشتاق. ودفن: براه المرض حتى أشفى على الموت، صفة من الدنف، وهو المرض الملازم المخامر، وأكثر ما يستعمل فيمن برح به الهوى والحب، وأضنته الصبابة والغرام.

(١٠) عفيف: صفة من العفة، وهي الكف عما لا يحل ولا يجمل.

(١١) الطرف: جمع طرفة، وهي الشيء المستحدث الطريف الممتع المعجب.

(١٢) نمت: ظهرت. واقترف الإنسان الذنب وغيره: اكتسبه وأتاه وفعله.

(١٣) الضنى: مرض مخامر كلما ظن برؤه نكس. والشغف: مصدر شغفه الحب، أي أحرق قلبه، أو أمرضه، أو اخترق شغاف قلبه.

(١٤) أبرح: أشد برحاً وشدة وعذاباً.

(١٥) السرف: مجاوزة القصد.

(١٦) عكف على الشيء: أقبل عليه مثابراً مواظباً.

فَأَشْفَقْتُ مِنْ قَوْلِهِ وَلَكِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ (١٧)
فَلَمَّا رَأَى أَدْمُعِي تَوَالَّتْ وَقَلْبِي رَجَفْتُ
تَبَسَّمَ لِي ضَاحِكًا وَمَنَعَ ثُمَّ انْعَطَفُ (١٨)
فَأَغْرَمْتُهُ قُبْلَةً (عَفَا اللَّهُ عَمَّا سَلَفُ)

وَقَالَ :

مَنْ لِي بِظَبْيَةِ خِذْرِ كُلَّمَا وَعَدْتُ بِزُورَةٍ أَعْقَبْتُ لِلْوَعْدِ إِخْلَافًا (١)
تَحْكِي الْغَزَالََةَ الْحَاطِظًا إِذَا نَظَرْتُ وَالْوَرْدَ خَدًّا وَغُصْنَ الْبَانَ أُعْطَافًا (٢)
تَاهَتْ بِنُقْطَةِ خَالٍ فَوْقَ وَجْنَتِهَا زِيدَتْ بِهَا عَشْرَاتُ الْحُسْنِ أَضْعَافًا (٣)

وَقَالَ :

بَكَرَ النَّدَى وَتَرَفَعَ السُّدْفُ وَأَتَتْ وَفُودُ اللَّهْوِ تَخْتَلِفُ (١)

(١٧) أشفقت: خفت وجزعت.

(١٨) انعطف: مال.

(١) الظبية: الغزالة، وتشبه بها الحسنة في ملاحه الجيد، وجمال العينين واتساعهما، وفي الرشاقة، ولطف الحركة، وحسن الثني. والخدر: ستر، كان يمد للجارية في ناحية البيت، ثم أطلق على كل ما وارى وستر من بيت ونحوه.

(٢) تحكي: تشبه. والألحاظ: جمع اللحظ، مصدر لحظه ولحظ إليه، أي نظر إليه بمؤخر عينه، والمراد بالألحاظ: النظرات الوادعة الفاتنة. والبان: شجر يسمو ويطول في استواء، مثل نبات الأثل، وله هذب طوال شديدة الخضرة، وثمرته تشبه قرون اللوبيا، إلا أن خضرتها شديدة، ولها حب يستخرج منه دهن البان، والشعراء يشبهون الحسنة الناعمة المعتدلة القامة بالبان. والأعطاف: جمع عطف، وهو الجانب، وعطفا الإنسان: جانباه.

(٣) تاهت: زهيت وتكبرت. والخال: شامة أو نكتة سوداء تكون في خد الإنسان. والأضعاف: جمع ضعف، وضعف الشيء: مثله أو مثلاه أو أمثاله، وهو زيادة غير محصورة.

(١) السدف: ظلمة الليل. وتختلف: مختلفة، كثيرة الأنواع، أو هو من الاختلاف بمعنى التردد. المراد بوفود اللهو: دواعي اللعب، وأسباب الهوى والطرب.

وَدَعَتْ إِلَى شُرْبِ الصُّبُوحِ وَقَدْ
 فَانْهَضَ عَلَى قَدَمِ الرَّبِيعِ فَمَا
 وَأَنْظَرَ فَتَمَّ غَمَامَةٌ أَنْفٌ
 زَهْرٌ يَرْفُ عَلَى كَمَائِمِهِ
 فَالَطَّلُ مُنْتَشِرٌ وَمُنْتَظَمٌ
 وَالرَّوْضُ يَرْفُلُ فِي مُعْصِفَةٍ
 عُنِي الرَّبِيعُ بِنَسْجِ بُرْدَتِهَا
 لَا شَيْءَ أَحْسَنُ مِنْ بُلْهِنِيَّةٍ
 وَعِصَابَةٍ غَلَبَ الْكَمَالَ عَلَى
 رَقِّ الظَّلَامِ حَمَائِمٌ هُتِفُ (٢)
 فِي نَيْلِ أَيَّامِ الصَّبَا سَرْفُ (٣)
 تُوَلِّي الْجَمِيلَ وَرَوْضَةَ أَنْفُ (٤)
 وَنَدَى يَشْفُ وَمُزْنَةٌ تَكْفُ (٥)
 وَالْغُضْنُ مُفْتَرِقٌ وَمُؤْتَلِفُ (٦)
 بِالزَّهْرِ لِلأَبْصَارِ تَخْتَطِفُ (٧)
 إِنَّ الرَّبِيعَ لَصَائِعٌ ثَقْفُ (٨)
 فِي الْعَيْشِ قَلْدٌ جِيدَهَا الشَّغْفُ (٩)
 أَخْلَاقِهِمْ وَغَذَاهُمْ التَّرْفُ (١٠)

- (٢) الصبوح: الخمر تشرب في الصباح. ورق الظلام: ضعف فلم يبق منه إلا القليل، وذلك إذا أخذ في الانقشاع وقت الفجر.
- (٣) على قدم الربيع: على أثره، أو في إبانته. والسرف: الإسراف ومجاورة القصد، وهو ضد الاعتدال.
- (٤) الغمامة: السحابة. وأنف: ملأى، والمراد ماطرة. وتولي: تهب وتعطي وتسدي. والروضة: أرض ذات كلاً ونبات وشجر وزهر وماء. وأنف: جديدة النبات، لم يرعها أحد.
- (٥) يرف: يهتز نضارة وحسناً، ويتلألأ ويشرق ماؤه. والكمائم: جمع كمامة، وهي وعاء الزهرة وغطاؤها. ويشف: يرق ويصفو، حتى يرى ما خلفه. والمزنة: السحابة، أو السحابة البيضاء، أو ذات الماء. وتكف: تسيل وتنصب شيئاً فشيئاً.
- (٦) الطل: أخف المطر وأضعفه، وقد يسقط من السماء وهي صحو.
- (٧) يرفل: يزهي ويتبختر، رفل في ثيابه، أي أطالها وجرحها متبختراً مرحاً معجباً بنفسه. وفي معصفرة: في ثياب معصفرة، أي مصبوغة بالعصفر، وهو نبات تصبغ به الثياب وغيرها، والمراد بمعصفرة هنا: موشاة مزينة.
- (٨) البردة: كساء يلتحف به، أو الشملة المخططة. وثقف: حاذق وماهر.
- (٩) البلهنية: سعة العيش ورفاهيته ونعموته. والجند: العنق. والشغف: الهوى والحب، وقلد جيدها الشغف: زينها الحب والعشق، كما تزين القلادة جيد لابسها.
- (١٠) العصابة: الجماعة من الناس وغيرهم، وهي من العشرة إلى الأربعين. والترف: التنعم والرفاهية وطيب العيش وسعته ولينه.

نَازَعْتُهُمْ طَرْفَ الْحَدِيثِ وَقَدْ
 قَلْبِي بِهِمْ كَلِيفٌ وَنَاطِرَتِي
 فَمَحَبَّتِي لَهُمْ كَمَا عَرَفُوا
 اللَّهُ أَيَّامٌ بِهِمْ سَلَفَتْ
 إِذْ لِمَتِي فَيُنَانَةٌ وَيَدِي
 أَجْرِي عَلَى إِثْرِ الشُّبَابِ وَلَا
 ضَافِي الْغَدِيرَةَ عَارِمٌ شَرِسٌ
 إِنْ سِرْتُ سَارَ النَّاسُ لِي تَبَعًا
 فَلَانَ أَصْبِحُ طَائِرِي وَقِعٌ
 جَرَتِ الْكُؤُوسُ بِنَا فَمَا اخْتَلَفُوا (١١)
 عَنْ حُسْنِهِمْ تَاللهِ تَنَحَّرِفُ (١٢)
 صِدْقٌ وَوَجْدِي فَوْقَ مَا أَصِفُ (١٣)
 لَوَأْنَهَا بِالْوَضَلِ تُؤْتَنَفُ (١٤)
 فَوْقَ الْأَكْفِ وَقَامَتِي الْإِفُ (١٥)
 يَمْشِي إِلَى سَاحَاتِي الْجَنْفُ (١٦)
 صَعْبُ الْمَرِيرَةِ سَادِرٌ أَنْفُ (١٧)
 وَإِذَا وَقَفْتُ لِحَاجَةٍ وَقَفُوا
 بَعْدَ السُّمُوِّ وَصَبَوْتِي أَسْفُ (١٨)

(١١) نازعتهم: جاذبتهم. وطرف كل شيء: انتهاه، أو جانبه وناحيته، أو الطائفة منه، والمختار من الشيء.

(١٢) كلف: مولع مغرم، شديد الحب والتعلق. والناطرة: العين. وتنحرف: تميل، والمراد: لا تنحرف.

(١٤) سلفت: ذهبت ومضت. وتؤتنف: تستأنف وتستعاد.

(١٥) اللمة: الشعر يلتم بالمنكب، أي يقرب منه، أو هي الشعر الذي يجاوز شحمة الأذن، وشعر فينان: طويل حسن، كأفنان الشجر. والألف: حرف الهجاء المعروف، يشبهه به الشيء في الاستقامة والاعتدال.

(١٦) الجنف: الميل والجور والحيف، والمراد أنه ينقاد لدواعي الفتاء، وصبوة الحدائث والشباب، في غير ميل ولا جور، ولا انحراف عن الجادة.

(١٧) ضاف: اسم فاعل من ضفا الشعر ونحوه، أي كثر وطال. والغديرة: الذؤابة، وهي الضفيرة من الشعر، إذا كانت مرسلة، غير ملوثة ولا معقوصة. وعارم: شديد قوي. وشرس: عسر شديد صعب. وصعب المريرة: قوي الشكيمة، مستحکم الأمر، لا يلين، ولا ينقاد. وساذر: لا يهتم لشيء، ولا يبالي ما صنع. وأنف: صفة من قولهم: أنف فلان من الشيء، أي تنزه عنه واستنكف منه وكرهه.

(١٨) وقع: وقع الطائر يقع وقوعاً، نزل عن طيرانه. والسمو: مصدر سما، أي علا وارتفع. والصبوة: جهلة الفتوة واللهم من الغزل. والأسف: أشد الحزن.

وَعَدَوْتُ بَعْدَ الْكِبْرِيَاءِ عَلَى
 وَكَذَلِكَ الْأَيَّامُ آخِرُهَا
 وَالْمَرْءُ مَهْمَا طَالَ طَائِلُهُ
 فَلَيْشَ مَا قَدِمَ الْمَشِيبُ بِهِ
 وَقَالَ يَصِفُ غَيْثًا :

وَذِي نَعْرَاتٍ يَقْطَعُ الْأَرْضَ سَارِيًا
 لَهُ فَوْقَ أَعْنَاقِ الرِّيَّاحِ سَبَائِبُ
 كَانَ « سُلَيْمَانَ بْنَ دَاوُدَ » فَوْقَهُ
 يَجِدُ بِنَا فِي أَمْرِهِ وَهُوَ لَاعِبٌ
 تَلَهَّبُ فِيهِ النَّارُ وَالْمَاءُ سَافِحٌ
 عَلَى غَيْرِ سَاقٍ وَهُوَ بِالْأَرْضِ أَعْرَفُ (١)
 مُجَبَّرَةٌ مِنْهَا قَاصِرٌ وَمُسْدَفُ (٢)
 عَلَى عَرْشِهِ وَالْجِنُّ بِالْجَنِّ تَعْزِفُ (٣)
 وَيَضْحَكُ أَحْيَانًا وَعَيْنَاهُ تَذْرِفُ (٤)
 فَلَا الْمَاءُ يُطْفِئُهَا وَلَا النَّارُ تَضْعُفُ (٥)

(١٩) الوري: الخلق.

(٢٠) الطائل: الفضل والقدرة والغنى والسعة والعلو. والردى: الموت والهلاك، والمراد بصائبة الوردى: سهام الموت الصائبة التي لا تخطيء، ولا تنحرف.
 (٢١) ولي: أدبر وذهب وانصرف. والسلف: جمع سالف، اسم فاعل من سلف الشيء، أي مضى وانقضى، والمراد به هنا: الشباب.

(١) سارياً: سائراً. والساق من الإنسان: ما بين الركبة والقدم.

(٢) فوق أعناق الرياح: يشير إلى أن الرياح تحمل السحاب وتسوقه وتثيره. وسبائب: جمع سبيبة، وهي الذؤابة والخصلة من الشعر. ومجبرة: محسنة. ومسدف: مرسل مرخي.

(٣) سليمان بن داود: من سلالة يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم، وكلهم من أنبياء الله، صلوات الله عليهم أجمعين. تعزف: تصوت، من العزيف، وهو - فيما تزعم العرب - جرس أصوات الجن.

(٤) يضحك: المراد يلمع فيه البرق، والعرب تسمي السحاب إذا برق ضاحكاً على سبيل المجاز. وذرفت العين: جرى دمعها وسال وانصب.

(٥) تلهب: تتقد وتشتعل. والمراد بالنار: البرق اللامع. وسافح: منصب سائل مهراق.

إِذَا سَارَ عَنْ أَرْضٍ غَدَّتْ وَهِيَ جَنَّةٌ وَإِنْ حَلَّ عَمَّهَا مِنْهُ زُخْرُفٌ^(٦)
 يَكُونُ حَيَاةً لِلنُّفُوسِ وَرُبَّمَا ضَبَّتْ مِنْهُ نَارٌ أَوْ سَطَا مِنْهُ مُرْهَفٌ^(٧)
 لَهُ زَفْرَةٌ تَتْرَى وَعَيْنٌ سَخِيَّةٌ وَقَلْبٌ كَزَهْرَاءِ الْمَصَابِيحِ يَرْجُفُ^(٨)
 يَسِيرُ عَلَى مَتْنِ الْهَوَاءِ وَتَارَةٌ يُخْضِخُضُ سَجَلًا فِي الْبِحَارِ فَيَغْرِفُ^(٩)
 أَضْرَبُ بِأَعْنَاقِ النَّعَائِمِ حَمْلُهُ فَأَلَقَتْ بِهِ عَنْ ظَهْرِهَا فَهَوِيَ يَرْسُفُ^(١٠)
 لَهُ هَيْدَبٌ مِْلُءُ الْفَضَاءِ كَأَنَّهُ مَنَاقِبُ أَطْوَادٍ عَلَى الْأَرْضِ تَرْحَفُ^(١١)
 فَزِعْنَا إِلَيْهِ نَحْسَبُ الْجَوْنَ عَسْكَرًا يَسِيرُ فَشِمْنَا بَرْقَهُ وَهُوَ يَخْطَفُ^(١٢)
 فَقُلْنَا سَحَابٌ يَا سَقَى اللَّهُ أَرْضَنَا بِهِ وَرَوَانَا فَهَوِيَ بِالنَّاسِ أُرَافٌ^(١٣)
 فَمَا تَمَّ أَنْ سَارَتْ بِهِ الرِّيحُ سَيْرَةً إِلَيْنَا وَوَأْفَى رَائِدُ الْحَيِّ يَحْلِفُ^(١٤)

(٦) عمَّها: شملها. وزخرف: زينة ونضرة وبهاء.

(٧) ضبته النار تضبوه: أحرقتة وشوته. ومرهف: سيف بتار حاد قاطع.

(٨) الزفرة: اسم من زفر الإنسان، أي أخرج نفسه بعد مدّه إيّاه، كما يفعل المغموم ونحوه. وتترى: متواترة متوالية، واحدة بعد واحدة. وعين سخيّة: كريمة تجود بالدمع الغزير. وزهراء المصابيح: المصابيح المنيرة المضيئة.

(٩) تارة: مرّة. ويخضخض: يحرك. والسجل: الدلو العظيمة إذا كان فيها ماء.

(١٠) النعائم: جمع النعامي، وهي ريح الجنوب، لأنها أبلّ الرياح وأرطبها أو هي ريح تهبّ بين الصبا والجنوب. ورسف المقيّد في قيده: مشى فيه رويداً كالمتحامل.

(١١) هيدب السحاب: ذبوله وأطرافه، أو ما يتدلّى منه ويدنو، كأنه هدب القطيفة. ومناكب: جمع منكب، وهو مجتمع عظم العضد والكتف من الإنسان وغيره. والأطواد: الجبال العظيمة، الواحد طود.

(١٢) فزعنا إليه: استغثنا بهذا السحاب، ولجأنا إليه عند الفزع. والجون: الأبيض، والأسود، وهو هنا وصف للسحاب. وشمنا برقه: نظرنا إليه لنعرف أين يقصد، وأين يمطر. والخطف: الأخذ في سرعة واستلاب، أو سرعة الاجتذاب.

(١٣) روانا: سقانا. وأراف: اسم تفضيل من الرأفة، وهي أشدّ الرحمة.

(١٤) وافي: أتى. والرائد: الذي يرسل في طلب النجعة، والتماس الكلاء، والمراد به هنا: الخبير

فَقُمْنَا إِلَيْهِ وَاثْقَيْنَ بِجَوْدِهِ
 ذَنَا فَتَنَاوَلْنَا خَيَاشِيمَ مُزْنِهِ
 وَطَافَتْ بِهِ الْوِلْدَانُ يَخْلِجْنَ مَاءَهُ
 فَلَايَا بِلَايٍ مَا تَوَلَّتْ حُدَاءَهُ
 فَأَبْقَى لَنَا أَثْرًا حَمِيدًا وَنِعْمَةً
 كَذَلِكَ مَا كُنَّا لِنَكْفُرَ صُنْعَهُ
 نَسِيرٌ وَيَعْرُونَ السُّرُورُ فَهَتِفُ (١٥)
 قُعُودًا فَظَلَّتْ وَهِيَ بِالْمَاءِ تَرْعُفُ (١٦)
 بِأَكْوَابِهَا وَالْهَمُّ يَدْنُو فَيَغْرِفُ (١٧)
 مُزْمَجِرَةٌ هَوَجَاءُ بِالْقَاعِ تَعْصِفُ (١٨)
 لَهَا مَسْحَبٌ نَضْرُ وَجَيْبٌ مَفُوفٌ (١٩)
 عَلَى أَنَّ بَعْضَ النَّاسِ بِالشَّرِّ أَكْلَفُ (٢٠)

وَقَالَ وَهُوَ مُتَرَجِّمٌ مِنَ الْفَارِسِيَّةِ :

هَتَفَ الدِّيكِ سُحْرَةً
 بِشَرَابٍ كَعَيْنِهِ
 فَاصْطَبَحْنَا لِهَتِفِهِ (١)
 وَكَبَابٍ كَعُرْفِهِ (٢)

بأحوال السحب وأنواعها. والحي: البطن من بطون العرب، والجماعة ينسبون إلى أب واحد، ومحلّة القوم.

- (١٥) واثقين بجوده: واثقين بغزارته، مطمئنين إلى اتساعه وكثرته. ويعرونا: يغشانا.
- (١٦) الخياشيم: جمع الخيشوم وهو أقصى الأنف، وقد يطلق على الأنف. والمزن: السحاب، أو أبيضه، الواحدة مزنة. وترعف بالماء: المراد يسيل منها وينصب.
- (١٧) الولدان: الأطفال والصبيان. ويخلصن: يجذبن ويتزعن. والهم: الشيخ الكبير البالي.
- (١٨) تقول العرب: فعلت ذلك بعد لأي، أي بعد احتباس ولبث وإبطاء وشدة وجهد ومشقة. والحداء: حث الإبل على السير وسوقها والغناء لها، ومن المجاز: الريح تحدو السحاب. ومزمجرة: لها صوت شديد مسموع. وهوجاء: شديدة عاصف تثير الغبار وتقلع البيوت.
- (١٩) مسح: اسم مكان من سحبه، أي جره، يقال سحبت الثوب والذيل، والمراد بالمسحب هنا: الذيل. ونضر: حسن. ومفوف: موشى مزين فيه خطوط بيض.
- (٢٠) أكلف: اسم تفضيل، والمراد كلف، صفة من كلفت بالشيء: أي لهجت به، وأغرمت، وأولعت، وأحببته، وتعلقت به.
- (١) السحرة: وقت السحر، وهو آخر الليل قبيل الصبح. واصطبحنا: شربنا الصبوح وهو كل ما شرب في الصباح، وكثر إطلاقه على الخمر التي تشرب في الصباح.
- (٢) كعينه: كعين الديك في النقاء والصفاء. عرف الديك: لحمة مستطيلة في أعلى رأسه، ووجه الشبه بين الكباب وعرف الديك الحمرة مع الدكنة.

وَقَالَ :

حَيَاتِي فِي الْهَوَى تَلَفُ وَأَمْرِي فِيهِ مُخْتَلِفُ^(١)
أَبِيتُ اللَّيْلَ مُكْتَبًا وَقَلْبِي فِي الْحَشَا يَجِفُ^(٢)
فَنَوْمِي كُلُّهُ سَهْرُ وَعَيْشِي كُلُّهُ أَسْفُ^(٣)
وَمَا أَخْفِيهِ مِنْ وَجْدِي وَحُزْنِي فَوْقَ مَا أَصْفُ^(٤)
فَهَلْ مِنْ صَاحِبٍ يَرْتِي لِمَا أَلْقَى فَيَنْعَطِفُ^(٥)
أَيَقْتُلْنِي الْهَوَى ظُلْمًا وَمَا فِي النَّاسِ لِي خَلْفُ^(٦)
وَهَبْنِي فَارِسَ الْهَيْجَا ءِ أَغْشَاهَا فَتَنْكَشِفُ^(٧)
أَلَيْسَ الْعِشْقُ سُلْطَانًا لَهُ الْأَكْوَانُ تَرْتَجِفُ^(٨)
إِذَا كَانَ الْهَوَى خَضَمِي فَقُلْ لِي كَيْفَ أَنْتَ صِفُ^(٩)

وَقَالَ :

قَلْبِي عَلَيْكَ يَرْفُ وَعِبْرَتِي لَا تَجِفُ^(١)
وَأَنْتَ يَا نُورَ عَيْنِي بِلَوْعَتِي تَسْتَجِفُ^(٢)

- (١) التلف: الهلاك والعطب. ومختلف: غير متفق، والمراد مضطرب.
(٢) الحشا: ما حواه الجوف، وما اشتملت عليه الضلوع. ويجف: يضطرب، ويخفق خفقاناً شديداً.
(٣) ينعطف: يحنو ويشفق ويرحم.
(٤) خلف: عوض وبدل.
(٥) الهيجاء: الحرب. وأغشاهها: أجيئها، والمراد أخوض غمارها.
(٦) يرف عليك: المراد يهواك، ويتعلق بك ويحبك، أو يحوطك ويصونك. والعبرة: الدمعة، أو الدمعة قبل أن تفيض، أو هي أن ينهمل الدمع، ولا يسمع البكاء.
(٧) اللوعة: رقة الحب وشدة، ووجع القلب من الهوى والوجد والحزن.
(٨) يرف عليك: المراد يهواك، ويتعلق بك ويحبك، أو يحوطك ويصونك. والعبرة: الدمعة، أو الدمعة قبل أن تفيض، أو هي أن ينهمل الدمع، ولا يسمع البكاء.
(٩) اللوعة: رقة الحب وشدة، ووجع القلب من الهوى والوجد والحزن.

قَدْ شَفَّنِي طُولُ وَجْدِي وَالْحُبُّ دَاءٌ يَشْفُ^(٣)
فَارْحَمْ فَدَيْتِكَ صَبًّا إِلَى لِقَاكَ يَخْفُ^(٤)

وَقَالَ :

عَيْنِي لِبُعْدِكَ أَضَبَحْتُ لَا تَسْتَقِلُّ الْجَفْنَ ضُعْفًا^(١)
إِنْسَانَهَا فِي غَمْرَةٍ مِنْ أَدْمُعِي يَبْدُو وَيَخْفَى^(٢)

وَقَالَ يَحْتُ عَلَى السَّعْيِ :

تَغَرَّبْتُ إِذَا أَتَرَبْتُ وَالتَّمِسِ الْغِنَى فَمَا الْعِزُّ إِلَّا مِنْ وَرَاءِ التَّعَسُّفِ^(١)
فَقَدْ يَعْذَمُ الْإِنْسَانُ فِي عُقْرِ دَارِهِ مُنَاهُ وَيَلْقَى حَظَّهُ فِي التَّطَوُّفِ^(٢)
فَكُلُّ مَكَانٍ يَضْمَنُ الرِّزْقَ لِلْفَتَى إِذَا لَمْ يَكُنْ فِيهِ عَدِيمَ التَّصْرُفِ^(٣)

(٣) شَفَّنِي الحزن والحب: لذع قلبه وأحرقه، أو هزله وأنحلله وأضممه.

(٤) صَبًّا: عاشقاً مستهماً مشتاقاً. ويخف إلى لقاءك: يبادر ويسارع.

(١) لا تستقل الجفن: لا تستطيع حمله، ولا تقوى على رفعه.

(٢) إنسان العين: ناظرها. والغمرة: الماء الكثير.

(١) أتربت: قل مالك وافتقرت. والتمس: أمر من الالتماس، وهو الطلب. والتعسف في اللغة: الأخذ على غير الطريق، والسير بغير هداية، والمراد به هنا: الجرأة والإقدام.

(٢) عدت الشيء: فقدته. وعقر الدار: وسطها. والتطوف: مصدر تطوف حول الشيء، أي طاف به وأحاط به واستدار.

(٣) يضمن الرزق: يتكفل به ويلتزمه.

قافية القاف

قَالَ يَرُوضُ الْقَوْلَ وَيُنَعْتُ الْبَازِيَّ وَالْأَسَدَ وَالْحَيَّةَ :

سَكَنَ الْفُؤَادُ وَجَفَّتِ الْأَمَاقُ وَمَضَتْ عَلَى أَعْقَابِهَا الْأَشْوَاقُ^(١)
وَنَزَعْتُ عَنْ نَزَقِ الشَّبِيَّةِ وَالصَّبَا بَعْدَ الْمَشِيبِ وَلِلشَّبَابِ نِزَاقُ^(٢)
لَا الدَّارُ دَارٌ بَعْدَ مَا رَحَلَ الصَّبَا عَنِّي وَلَا تِلْكَ الرَّفَاقُ رِفَاقُ
وَلَقَدْ جَرَيْتُ مَعَ الْغَوَايَةِ وَالصَّبَا جَرِي الْكُمَيْتِ وَلِلْغَرَامِ سِبَاقُ^(٣)
وَلَبِستُ هَذَا الدَّهْرَ مِنْ أَطْرَافِهِ وَنَزَعْتُهُ وَقَمِيصُهُ أَخْلَاقُ^(٤)
فَإِذَا الشَّبَابُ وَدِيعةٌ وَإِذَا الْفَتَى هَدِي لِفَاغِرَةِ الْمُنُونِ يُسَاقُ^(٥)
لِلَّهِ أَيَّامٌ لَنَا مَعْرُوفَةٌ سَبَقْتُ وَلَيْسَ لِسَبْقِهِنَّ لِحَاقُ^(٦)

(١) الأماق: جمع مؤق، وهو طرف العين مما يلي الأنف. ومضت على أعقابها: ولت وانصرفت وذهبت.

(٢) نزع: كفت وأقلعت وانتهيت. ونزق الشبيبة: طيش الشباب، وخفة الحداثة.

(٣) الغواية: الضلال والانهماك في الجهل. والكميت من الخيل: ما كان لونه بين الحمرة والسواد.

(٤) لبست هذا الدهر: من قولهم: فلان قد لبس الناس، أي عاش معهم، يقولون: لكل زمان لبسة أي حالة يلبس عليها، من شدة ورخاء. ونزعته: خلعته وقلعته. وشيء خلق: بال، قد فنى، وذهبت جدته

(٥) الهدى: ما يهديه الحاج ونحوه إلى بيت الله الحرام بمكة من النعم والمال والمتاع، وأكثر ما يطلق على النعم، أي المال الراعية، كالإبل والغنم. وفاغرة: اسم فاعل من فغر الحيوان فاه، أي فتحه.

(٦) سبقت: ذهبت ومضت مسرعة.

حَيْثُ الصَّبَا نَهَبٌ وَسَلْسَالُ الْهَوَى
 فِي جَنَّةِ خَضْرَاءٍ وَرَدُّ خُدُودِهَا
 سَفَرَتْ بِهَا الْأَقْمَارُ مِنْ أَطْوَاقِهَا
 فَالِنُّطْقُ جَهْرٌ وَالتَّحِيَّةُ قُبْلَةٌ
 لَا يَسَامُونَ اللَّهَوِيِّينَ مَلَاعِبٍ
 يَفْتَنُ عَقْلُ الْمَرْءِ فِي تَصْوِيرِهَا
 فَعَلَى الْمُرُوجِ مِنَ الْخَمَائِلِ رَفْرَفٌ
 بَعَثَ الرَّيِّعُ لَهْنًا مِنْ أَنْفَاسِهِ
 دُنْيَا نَعِيمٍ لَا بَقَاءَ لِحُسْنِهَا
 فَلَقَدْ مَضَى ذَاكَ الزَّمَانُ بِحُسْنِهِ
 عَذْبٌ وَآنِيَةُ السُّرُورِ دِهَاقٌ (٧)
 زَاهٍ وَغَيْثٌ مُدَامِهَا غَيْدَاقٌ (٨)
 وَتَجَمَّعَتْ بِفِنَائِهَا الْعُشَّاقُ (٩)
 بَيْنَ الْأَحْبَةِ وَالسَّلَامِ عِنَاقٌ
 قَدْ قَامَ فِيهَا لِلْخَلَاعَةِ سَاقٌ (١٠)
 وَتَحَارُّ فِي تَمْثِيلِهَا الْأَحْدَاقُ (١١)
 وَعَلَى الْخَمَائِلِ لِلْغُيُومِ رُوقٌ (١٢)
 فَسَمَتْ طِبَاقٌ فَوْقَهُنَّ طِبَاقٌ (١٣)
 وَنَعِيمٌ دُنْيَا مَا لَهَا مِيثَاقٌ
 وَسَمَا إِلَيَّ الْهَمُّ وَالْإِيرَاقُ (١٤)

(٧) نهب: غنيمة. والسلسال: الماء السلس العذب السائغ البارد الصافي النقي. وكأس دهاق: مترعة ملأى.

(٨) زاه: نضير حسن. والغيث: المطر. والمدام: الخمر. وغيداق: غزير كثير.

(٩) سفرت: أشرفت وأضاءت. ويراد بالأقمار: الحسان من النساء. والأطواق: جمع طوق، وهو ما أحاط بالعنق من حلوى وزينة. وفناء الحديقة: ما أتسع من أرجائها ونواحيها.

(١٠) سثم الإنسان الشيء، وستم منه: مل منه وضجر. والخلاعة: الاستهتار والاستخفاف والتهتك والمجون. والساق: ما بين الكعب والركبة.

(١١) افتن فلان في حديثه افتناناً: أخذ في فنون وضروب من القول، وجاء بالأفانين، أي الأنواع المختلفة. والأحداق: العيون، جمع حدقة.

(١٢) الخمائيل: جمع خميلة، وهي الروضة ذات الشجر. والررفرف: الرف، أو ما تدلّى من جوانب الخباء، واحدته رفرقة، وررفرف القميص ونحوه: أسفله وذيله. والرواق: سقف في مقدّم البيت.

(١٣) المراد بأنفاس الربيع: النسيم المعطر بأريج أزهاره. وسمت: علت وارتفعت.

(١٤) الإيراق: مصدر آرقه، أي أسهره، أو هو مصدر أورك الصائد، إذا أخطأ وخاب.

وَغَدَوْتُ حَرَّانَ الْفُؤَادِ كَأَنَّمَا
 نَفَسْتُ عَلَيَّ بَنُو الزَّمَانِ شَمَائِلِي
 حَسِبُوا التَّحَوُّلَ فِي الطُّبَاعِ خَلِيقَةً
 تَأَلَّهَ أَهْدَا أَوْ تَقُومُ قِيَامَةً
 تَرْتَدُّ عَيْنُ الشَّمْسِ فِي سَتْرَاتِهَا
 شَعْوَاءُ تَلْتَهُمُ الْفَضَاءُ وَيَرْتَقِي
 أَنَا لَا أَقْرُ عَلَى الْقَيْحِ مَهَابَةً
 قَلْبِي عَلَى ثِقَةٍ وَنَفْسِي حُرَّةٌ
 فَعَلَامَ يَخْشَى الْمَرْءُ فُرْقَةَ رُوحِهِ
 فَارْغَبْ بِنَفْسِكَ وَهِيَ فِي أَثْوَابِهَا
 ضَاقَتْ عَلَيَّ بِرُحْبِهَا الْآفَاقُ (١٥)
 فَلَهُمْ بِذَلِكَ خِيفَةٌ وَنَزَاقُ (١٦)
 وَتَحَوُّلُ الْأَخْلَاقِ لَيْسَ يُطَاقُ (١٧)
 فِيهَا الدَّمَاءُ عَلَى الدَّمَاءِ تُرَاقُ (١٨)
 وَيَضِلُّ فِي هَبَوَاتِهَا الْإِشْرَاقُ (١٩)
 مِنْهَا عَلَى حُبِّكَ السَّمَاءُ نِطَاقُ (٢٠)
 إِنَّ الْقَرَارَ عَلَى الْقَيْحِ نِفَاقُ (٢١)
 تَأْبَى الدُّنْيَى وَصَارِمِي ذَلَّاقُ (٢٢)
 أَوْ لَيْسَ عَاقِبَةُ الْحَيَاةِ فِرَاقُ ؟
 إِنْ لَمْ تَكُنْ شَامٌ فِتْلِكَ عِرَاقُ (٢٣)

(١٥) حرارة الفؤاد كناية عن الضجر والقلق، وغلبة الهم، وذهاب السكينة والطمأنينة. والرحب: السعة.

(١٦) نفس فلان علي الشيء: حسدني عليه، ولم يرني أهلاً له. والشمائيل: جمع شمال بمعنى الخلق والطبيعة والسجية. والخفة: الطيش. والنزاق: النزق، وهو الخفة والطيش والجهل والحمق.

(١٧) الخليفة: الطبيعة والسجية.

(١٨) تأله أهدأ: تأله لا أهدأ. والمراد بالقيامة: الحرب والقتال. وتراق: تصب.

(١٩) يراد بارتداد عين الشمس: احتباسها واختفاء نورها. والسترات: جمع سترة وهي ما يستتر به. والهبوات: جمع هبوة، وهي الغبرة، ومثلها الهباء، وهو دقاق التراب الثائر في الجو كالدخان.

(٢٠) غارة شعواء: متفرقة فاشية منتشرة. وتلتهم: تبتلع. وحبك السماء: طرائقها، أو طرائق نجومها. والنطاق: كل ما شددت به وسطك.

(٢١) لا أقر على القبيح: لا أستقر عليه، ولا أطمئن إليه، ولا أسكت عنه. والمهابة: الحذر والخوف. والنفاق: أن يظهر الإنسان خلاف ما يضمُر.

(٢٢) الدني: الخسيس الدون. والصارم: السيف القاطع الذي لا ينثني. وذلاق: حاد ماض نافذ بتار، من ذلق السنان والسكين ونحوهما أي ذرب وصار حديداً ماضياً.

(٢٣) رغبت بنفسي عن الشيء: اجتويته وزهدت فيه وكرهته، فالشاعر يريد بالنفس: الروح، ويريد بالأثواب: الجسم والبدن.

لَا خَيْرَ فِي عَيْشِ الْجَبَانِ يَحُوطُهُ
 عَابُوا عَلَيَّ حَمِيَّتِي وَنَكَائِي
 فَاضْرَحَهُمْ ضَرَحَ الْعُيُونِ قَدَاتَهَا
 فَالنَّاسُ أَشْبَاهُ وَشَتَى بَيْنَهُمْ
 فَاعْرِفُهُمْ واحْذَرُ تَشَابُهَ أَمْرِهِمْ
 لَا تَحْسَبَنَّ الرَّفْقَ يَنْزِعُ غِلَّهُمْ
 شَرُوا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَى وَاعْتَرَّهُمْ
 فَتَرَى الْفَتَى مِنْهُمْ كَأَنَّ بِرَأْسِهِ
 مُتَلَوُّنُ الْأَخْلَاقِ بَيْنَ عَشِيرِهِ
 لَهْجٌ بِعَارِيَةِ الْحَيَاةِ وَمَا دَرَى
 مِنْ جَانِبِيهِ الذُّلُّ وَالْإِمْلَاقُ (٢٤)
 وَالنَّارُ لَيْسَ يَعْيبُهَا الْإِحْرَاقُ (٢٥)
 وَحَذَارٍ لَا تَعْلُقُ بِكَ الْعُلَاقُ (٢٦)
 تَذْنُو الْجُسُومَ وَتَبْعُدُ الْأَخْلَاقُ (٢٧)
 لَا تَسْتَوِي الْأَغْلَالُ وَالْأَطْوَاقُ (٢٨)
 الشَّرُّ دَاءٌ مَا لَهُ إِفْرَاقُ (٢٩)
 لَيْنُ الْحَيَاةِ وَمَاؤُهَا الرَّقْرَاقُ (٣٠)
 نَزَعُ الْجُنُونِ فَلَيْسَ فِيهِ لَيَاقُ (٣١)
 جَهْلًا كَمَا يَتَلَوْنَ الشَّقْرَاقُ (٣٢)
 أَنَّ الْحَيَاةَ إِلَى الْمُنُونِ مَسَاقُ (٣٣)

- (٢٤) الإملاق: الفقر.
- (٢٥) الحمية: الغضب والأنفة والاستنكاف وإباء الضيم. والنكاية: اسم من قولك نكيت في العدو: إذا قتلت وجرحت وأثخنت.
- (٢٦) الضرح: التنحية والرمي. والقذاة: واحدة القذى، وهو كل ما سقط في العين فأذاها وهاجها.
- (٢٧) قوم شتى: متفرقون مختلفون.
- (٢٨) الأغلال: جمع غل، وهو طوق من حديد يجعل في العنق. والأطواق: جمع طوق، وهو حلي يجعل في العنق.
- (٢٩) الغل: الحقد والضغن. وإفراق: براء وشفاء.
- (٣٠) شروا: ابتاعوا واشتروا، والمراد، استبدلوا، وهم حساده وأعداؤه الذين وصمهم بالجبن والمهانة، والانطواء على الحقد والبغضاء. والرقراق: المتلألئ اللامع.
- (٣١) النزغ: مصدر نزغه، أي نخسه وطعنه. والمراد بنزع الجنون: اللوثة والهوس والحمافة. واللياق: الاستقرار والرزانة والثبات في الأمر.
- (٣٢) الشقراق: طائر يسمى الأخیل، في حجم الهدهد، مرقط بحمرة وخضرة وبياض وسواد.
- (٣٣) لهج: مولع مغري، شديد التعلق. والعارية: ما تستعيره من غيرك، كأنها منسوبة إلى العار، لأن طلبها عار وعيب، أو هي من قولهم: تعاوروا الشيء واعتوروه، إذا تداولوه.

لَوْ كَانَ يَسْلَمُ فِي الزَّمَانِ مِنَ الرَّدَى
 أَرَبَى عَلَى شِمْرَاخٍ أُرْعَنَ بَادِخٍ
 نَهْمَانٌ يَعْتَلِقُ الْقَطَا بِمَخَالِبِ
 لَا يَسْتَقِرُّ بِهِ الْجَنَاحُ وَطَرْفُهُ
 بَيْنَا كَذَلِكَ إِذَا أَصَابَ عِصَابَةٌ
 فَسَمَا فَحَلَقَ فَاسْتَدَارَ فَصَكَّهَا
 تَسْمُو فَيَتَّبِعُهَا فَتَهْوِي وَهَوِي
 مَذْعُورَةٌ تَبْغِي الْفِرَارَ مِنَ الرَّدَى
 حَتَّى إِذَا فَتَرَتْ وَحَطَّ بِهَا الْوَنَى
 حَيٌّ لِعَاشٍ بِجَوْهٍ السَّيْدَاقُ (٣٤)
 سَامٍ لَهُ فَوْقَ السَّحَابِ طَاقُ (٣٥)
 حُجْنٍ لَهْنٌ بِوَقْعِهَا تَصْعَاقُ (٣٦)
 مُتَقَلِّبٌ يَسْمُوبُهُ الْإِرْشَاقُ (٣٧)
 لِلطَّيْرِ أَرْسَلَهَا صَدَى مِحْرَاقُ (٣٨)
 بِمُذْرَبٍ تَمْكُولُهُ الْأَعْنَاقُ (٣٩)
 آثَارَهَا مَرَّ الشَّهَابِ جِرَاقُ (٤٠)
 إِنَّ الْفِرَارَ مِنَ الْمُنُونِ وَثَاقُ (٤١)
 سَقَطَتْ فَلَيْسَ لِنَفْسِهَا أَرْمَاقُ (٤٢)

- (٣٤) الردى: الهلاك والموت. والسيداق: الصقر، أو الشاهين، أو البازي، أو كل صائد من جوارح الطير، كالبزة والشواهين.
- (٣٥) أربى: سما وعلا وارتفع. والشمراخ: رأس الجبل وقمته. وجبل أرعن: ذو رعان طوال، واحدها رعن، وهو أنف عظيم يتقدم الجبل. وبادخ: شامخ عال. وسام: شامق مرتفع. والطاق: جزء عظيم مرتفع، يبدو بارزا خارجا من الجبل.
- (٣٦) النهم: الشهوة في الطعام. والقطا: نوع من الحمام، الواحدة قطاة. والمخالب: جمع مخلب، وهو لجوارح الطير والسباع كالظفر للإنسان. وحجن: معوجة. والوقع: الوقوع والسقوط. والتصعاق: مصدر صعق أي غشي عليه، ومات.
- (٣٧) لا يستقر به الجناح: لا يثبت، ولا يهدأ. ويسموبه: يرفعه ويعليه. والإرشاق: إحداد النظر.
- (٣٨) أصاب: وجد. وعصابة للطير: جماعة من الطير. والصدى: العطش الشديد.
- (٣٩) صكها: ضربها ضرباً شديداً. ومذرب: حاد قاطع. ومكا الجرح يمكو: فهق ونفخ بالدم أي سال منه الدم وتصبب، وتمكوله الأعناق: تتمزق الأعناق بمخلبه المذرب، ويتفجر منها الدم.
- (٤٠) الشهاب: ما ينقض من أجرام الكواكب، يضرب به المثل في سرعة الانقراض. وحراق: شديد.
- (٤١) مذعورة: مفزعة خائفة. والردى: الهلاك والموت. والوثاق: ما يشد به الأسير ونحوه من قيد وحبل ونحوه.
- (٤٢) فتت: انكسرت وضعفت. والونى: الضعف والفتور والكلال والإعياء والتعب. والأرماق: جمع رمق، وهو بقاء الحياة في الجريح والمذبوح والمحتضر.

فَأَتَى فَمَزَقَهَا كَمَا حَكَمَ الرَّدَى وَلِكُلِّ نَفْسٍ مَرَّةً إِزْهَاقٌ (٤٣)
أَفْذَاكَ أَمْ ضِرْغَامٌ خَيْسٍ مُدْهِسٌ تَنْجَابٌ عَنِ أَنْيَابِهِ الْأَشْدَاقُ؟ (٤٤)
مَنَّعَ الطَّرِيقَ فَمَا تَجُوسُ خِلَالَهُ فِي سَيْرِهَا الطُّرَاقُ وَالْمُرَاقُ (٤٥)
غَضَبَانُ يَضْرِبُ ذَيْلَهُ وَيَلْفُهُ مِنْ جَانِبَيْهِ كَأَنَّهُ مِخْرَاقُ (٤٦)
عَصَفَتْ عَلَيْهِ النَّائِجَاتُ وَخَابَ مِنْ هَامِ الْوُحُوشِ لَهُ حَشَاءٌ وَصِفَاقُ (٤٧)
فَسَمَا فَأَبْصَرَ رَاعِيَيْنِ تَخَلَّفَا بِالْعَيْرِ تَصَدَّحُ بَيْنَهُنَّ نِيَاقُ (٤٨)
فَأَجَمَّ قُوَّتَهُ وَشَدَّ بِوَثْبَةٍ صُمُّ الصُّخُورِ لِيُوقِعَهَا أَفْلَاقُ (٤٩)

- (٤٣) الإزهاق: مصدر أزهق الله تعالى نفس الحي، أي أخرج روحه وأماته.
- (٤٤) الضرغام: الأسد، أو الضاري الشديد المقدام من الأسود. والخيس: الأجمة، والشجر الكثير المجتمع الملتف، والخيس أيضاً: عرين الأسد ومأواه. ومدهس: اسم فاعل من أدهس الإنسان وغيره إدهاساً، أي سار في الدهس، وهو الأرض يثقل فيها المشي، أو هو المكان السهل اللين لا يبلغ أن يكون رملاً. والأشداق: جمع شداق، وهو جانب الفم، وانجياب أشداق الأسد عن أنيابه: كناية عن ضراوته.
- (٤٥) جاس المرء خلال المكان: سار فيه، وتردد بين أجزائه جيئة وذهاباً. والطرّاق: جمع طارق، اسم فاعل من طرق فلان القوم، أي جاءهم ليلاً. والمرّاق: جمع مارق، اسم فاعل من المروق، وهو سرعة الخروج من الشيء.
- (٤٦) يضرب ذيله: المراد يحركه ويبسطه ويطويه ويلفّه ويضمّه ويجمعه. والمخراق: المنديل ونحوه يلف ليضرب به، وجمعه مخاريق، وهي ما يتلاعب به الصبيان من الخرق المفتولة.
- (٤٧) عصفت: اشتدت. والنائجات: الرياح تمرّراً سريعاً، ولها صوت، صفة من النسيج. والهام: جمع هامة، وهي الرأس. والحشا: المعى والكرش. والصفاق: الجلد الأسفل تحت الجلد الذي عليه الشعر، أو ما بين الجلد والمصران.
- (٤٨) العير: الإبل التي تحمل الميرة، أو الإبل مطلقاً. وتصدح: المراد ترغو وتصوت، من الصدح، وهو شدة الصوت وحدته.
- (٤٩) أجم: جمع. وشد: حمل وهجم على عدوه في القتال، أي حمل عليه وهجم. وصم: جمع أصم وصماء، يقال صخرة صماء، وحجر أصم، إذا كان صلباً مصمتاً شديداً قوياً. وأفلاق: متفلق متشقق.

حَتَّى إِذَا اعْتَرَضَ الرَّحَالَ إِذَا بِهَا يَقِظُ تَلِينَ لِكَفِّهِ الْأَرْزَاقُ^(٥٠)
 مُتَقَلِّدٌ سَيْفًا تَرِفٌ مُتُونُهُ رَفٌ الْمَصَابِحِ شَفْهُنٌ لِيَاقُ^(٥١)
 فَتَصَاوَلَا حَتَّى إِذَا مَا اسْتَنْفَدَا مَا كَانَ عِنْدَهُمَا وَضَاقَ خِنَاقُ^(٥٢)
 هَمًّا بِيَعْضِهِمَا فَمَاتَا مَيْتَةً لَهُمَا بِهَا حَتَّى الْمَعَادِ وَفَاقُ^(٥٣)
 أَمْ أَرْقَشُ مَرِسٌ يَسِيلُ كَأَنَّهُ بَيْنَ الْخَمَائِلِ جَدْوَلٌ ذَفَاقُ^(٥٤)
 يَتَنَادَرُ الرَّاقُونَ سُمُّ لُعَابِهِ رُغْبًا فَلَيْسَ لِمَسِّهِ دِرْيَاقُ^(٥٥)
 تَسِمُ الظَّلَامَ ذُبَالَتَانِ بِرَأْسِهِ تَقْدَانِ لَيْسَ عَلَيْهِمَا أَطْبَاقُ^(٥٦)
 يَسْرِي فَيَقْتَحِمُ السَّرَارَ وَيَرْتَمِي بِسَنَاهُمَا الْمُتَبَّيْلُ الْمِرْشَاقُ^(٥٧)

(٥٠) الرحال: جمع رحل، وهو مركب للبعير يشد على ظهره، كالسرج للفرس، والمراد باعتراض الأسد للرحال: أنه وقف في طريق العير، وتصدى لها، وأراد افتراسها. ولين الأرزاق لكفه: كناية عن قوته وقدرته على الكسب والارتزاق.

(٥١) ترف: تبرق وتتلأ وتلمع. والمتون: جمع متن، وسط الرمح والسهم، والمراد بمتون السيف: ما صلب واشتد من صفحته. وشفهن: أضعفن. واللياق: شعلة النار، والمراد اشتعالها.

(٥٢) تصاولا: صال كل منهما على الآخر، وسطا عليه، ووثب. وضيق الخناق: كناية عن الجهد والشدة والمشقة، ونفاد الحيلة.

(٥٣) همًا ببعضهما: هم كل منهما بقتل صاحبه والقضاء عليه. ولهما: للراعي والأسد. والمعاد: العودة والمرجع والمصير إلى الله تعالى يوم القيامة.

(٥٤) أرقش: فيه نقط سواد وبياض. ومرس: قوي شديد البأس. والخمائل: جمع خميلة وهي الروضة الطيبة المشرقة، أو الشجر الكثير الملتف.

(٥٥) يتنادر الراقون: ينذر بعضهم بعضاً، أي يحذر ويخوف. والراقون: جمع الراقي، اسم فاعل من الرقية، وهي العوذة وكانت العرب تفرع بالملدوغ إلى الراقي، فيرقيه ويعوذه. والدرياق: الترياق، وهو دواء السموم.

(٥٦) تسم الظلام: تعلمه، وترك فيه أثراً، والمراد تثقبه وتضيئه وسماً وسمية. والذبالتان: مشى ذبالة، وهي فتيلة المصباح التي توقد فتضيء، والمراد بالذبالتين هنا: عينا الأرقش. والأطباق: جمع طبق، وهو غطاء كل شيء، والمراد بالأطباق هنا: الأجفان.

(٥٧) السرار: آخر ليلة من الشهر حين يستسر القمر، أي يختفي ويستتر. والسنا: الضوء. والمرشاق: صيغة مبالغة من رشقه بالنبل وغيره أي رماه به.

تَرَكَ الْوُحُوشُ لَهُ الْفَلَاةَ وَأَوْغَلَتْ
حَتَّى إِذَا ظَنَّ الظُّنُونُ بِنَفْسِهِ
أَنْحَى فَأَقْصَدَهُ الزَّمَانَ بِسَهْمِهِ
حِكْمٌ تَحَيَّرَتِ الْبَرِّيَّةُ دُونَهَا
فَاسْمَعْ فَمَا كُلُّ الْكَلَامِ بِطَيِّبٍ
نَزَلَ الْكَلَامُ إِلَيَّ مِنْ شُرْفَاتِهِ
وَقَالَ فِي الْغَزْلِ :

عُودِي بِوَصْلِ أَوْ خِذِي مَا بَقِيَ
أَيُّ فُؤَادٍ بِكَ لَمْ يَعْلَقِ
عَلَّمْتَنِي الذُّلَّ وَكُنْتُ أَمْرًا
فَارْحَمِ فُؤَادًا أَنْتَ أَبْلَيْتَهُ
فَقَدْ تَدَاعَى الْقَلْبُ مِمَّا لَقِيَ (١)
وَأَنْتِ صِنُّو الْقَمَرِ الْمُشْرِقِ؟ (٢)
أَفْعَلُ مَا شِئْتُ وَلَا أَتَّقِي (٣)
وَمُقَلَّةٌ لَوْلَاكَ لَمْ تَأْرُقِ (٤)

(٥٨) الفلاة: المفازة والقفر من الأرض، أو هي الصحراء الواسعة، أو الأرض لا ماء فيها، ولا أنيس. وأحذاق: مقطوع.
(٥٩) ظن الظنون بنفسه: المراد اغتر بقوته وانخدع. والتهيه: الصلف والكبرياء والعجب. وأعماق الأرض: نواحيها.
(٦٠) أنحى عليه: أقبل عليه، واتجه إليه، وقصده. وأقصده: رماه فلم يخطئه، أو أصابه فقتله. وميفاق: يحسن الرمي بالنبال، أو موفق في أمره.
(٦١) الشاعر يريد بالحكم هنا: ما اشتمل عليه الكون من عجائب وغرائب وعظمت بالغة، وسنن مطردة، لا تبدل فيها ولا تغيير. وتحيرت: حارت ودهشت ولم تهتد لسبيلها. والبرية: الخلق والناس. وتنازعوا الشيء: تناولوه وتجادبوه. والحذاق: جمع حاذق، اسم فاعل من الحذق وهو المهارة.

- (١) تداعي: ضعف وأشرف على الهلاك.
(٢) علقه وعلق به: هويه وتعلق به وأحبه. وصنو: شبه ومثل.
(٣) لا أتقي: لا أتوقى، ولا أحترس، ولا أخاف.
(٤) أبلت الثوب ونحوه: أخلقته، وأذهبت جدته. والمقلة: العين. وتأرق: تسهر.

لَمْ أَدْرِ حَتَّى أَقَاسِي الْجَوَى يَا وَيْحَ قَلْبِي مِنْكَ مَاذَا لَقِي؟^(٥)
 إِذَا تَذَكَّرْتُكَ فِي خَلْوَةٍ هَوَتْ بِدَمْعِي زَفْرَةٌ تَرْتَقِي^(٦)
 تَاللهِ مَا أَنْصَفَ مَنْ لَأَمَنِي فِيكَ وَهَلْ لَوْمْ عَلَى مُشْفِقٍ؟
 وَكَيْفَ لَا أُعَشِّقُ مَنْ حُسْنُهُ يَدْعُو إِلَى الصَّبْوَةِ قَلْبَ التَّقِي؟^(٧)
 لَكَ الْجَمَالَ التَّمُّ دُونَ الْوَرَى وَلَيْسَ لِبَدْرِ سِوَى رَوْنَقِ^(٨)
 فَأَعِطَفَ عَلَى قَلْبٍ بِهِ لَوْعَةٌ يَنْزُولَهَا فِي الصَّدْرِ كَالزُّنْبِقِ^(٩)
 يَكَادُ يَرْفُضُ هَوَى كَلْمَا لَاحَ لَهُ الْبَرْقُ مِنَ الْأَبْرِقِ^(١٠)
 جَمَى بِهِ مَا شِثَّتْ مِنْ صَبْوَةٍ لَوْ كَانَ فِيهِ مَنْ يَفِي أَوْ يَقِي^(١١)
 حَاطَتْ بِهِ الْفُرْسَانُ حُورَ الْمَهَا يَا مَنْ رَأَى الرَّبْرَبَ فِي الْفَيْلِقِ^(١٢)
 مِنْ كُلِّ هَيْفَاءٍ كَخُوطِ الْقَنَا بِلَحْظَةٍ كَاللَّهُذَمِ الْأَزْرَقِ^(١٣)

(٥) الجوى: الهوى الباطن، والحزقة، وشدة الوجد. وويح: كلمة رحمة، أو هي بمعنى ويل، وويل كلمة عذاب.

(٦) تذكره في خلوة: تذكره في حال الوحدة والانفراد. والزفرة: تنفس طويل ممدود من شدة الغم والحزن والهم. وترتقي: تعلق وتصعد.

(٧) الصبوة: الميل إلى الجهل والفتوة، واشتغال قلب العاشق بالمعشوق. والتقي: صفة من التقوى، وهي الاحتراز بطاعة الله من عقوبته.

(٨) الورى: الخلق. والرونق: الطلاوة والحسن والإشراق.

(٩) اللوعة: وجع القلب من الحب وغيره. وينزو: يشب ويضطرب.

(١٠) يرفض: يسيل ويتفرق. والأبرق: أرض غليظة، فيها حجارة ورمل وطين مختلطة، وعلم على مواضع كثيرة في شبه جزيرة العرب، تغنى ببعضها الشعراء الغزلون، وأكثروا من الحنين إليها.

(١١) الحمى: المكان المحمي الذي لا يقرب، ولا يجترأ عليه، والمراد به منزل الحبيب.

(١٢) حور: جمع أحور وحوراء، صفة من الحور، أن يشتد بياض العين وسوادها. وبيض ما حوالها، في شدة بياض الجسد. والمها: جمع مهاة، وهي البقرة الوحشية تشبه بها الحسناء من النساء في حور العيون. والربرب: القطيع من بقر الوحش أو الظباء. والفيلق: الجيش، أو الكتيبة العظيمة منه.

(١٣) هيفاء: صفة من الهيف، وهو رقعة الخصر، وضمور البطن. والخوط: الغصن الناعم، والعرب

تَخْطِرُ فِي الْفَيْنَانِ مِنْ فَرْعِهَا
أَرْنُو إِلَيْهَا وَهِيَ فِي شَأْنِهَا
فَمَا تَرَانِي صَانِعاً وَهِيَ لَا
يَا رَبَّةَ الْقُرْطِقِ هَلْ نَظْرَةٌ
إِنْ كَانَ يُرْضِيكَ ذَهَابُ الَّذِي
لَمْ تُبْقِ مِنِّي صَدَمَاتُ الْهَوَى
قَدْ كُنْتُ قَبْلَ الْحُبِّ ذَا تُدْرَأِ
فَالْيَوْمَ أَصْبَحْتُ عَدِيمَ الْقُوَى
وَالْحُبُّ مَلِكٌ نَافِذُ حُكْمِهِ
فَلْيُقِلِّ الْعَاذِلُ مَا شَاءَهُ

فَهِيَ عَلَى التَّمْثِيلِ كَالْبَيْرِقِ (١٤)
كَنْظَرَةُ الْعَانِي إِلَى الْمُطْلَقِ (١٥)
تَسْمَعُ مَا أُسْرُدُ مِنْ مَنْطِقِي؟ (١٦)
أَحْيَا بِهَا يَا رَبَّةَ الْقُرْطِقِ! (١٧)
أَبْقَيْتِ مِنِّي فَخْذِي مَا بَقِيَ
غَيْرَ صَدَى بَيْنَ حَشَا مُحْرَقِ (١٨)
أَفْتَجِمُ الْهَوْلَ وَلَمْ أُفْرِقِ (١٩)
يَسْبِقُنِي الذَّرُّ وَلَمْ أَلْحَقِ
مِنْ مَغْرِبِ الْأَرْضِ إِلَى الْمَشْرِقِ
فَالْعِشْقُ دَابُّ الشَّاعِرِ الْمُفْلِقِ (٢٠)

- تشبه به قد الحسنة في اللين والمرونة، والنعمية، والنضرة، والاعتدال. والقنا: جمع قناة، وهي الرمح، وكل عصاً مستوية. واللحظة: النظرة الفاتنة الساحرة. واللهمذم: القاطع من الأسنه. والزرقة من الصفات المستحسنة في الأسنه والنصال، الدالة على جودتها.
- (١٤) تخطر في مشيتها: تمايل وتبختر. وشعر فينان: له خصل وأفنان كأفنان الشجر. وفرع المرأة: شعرها التام. والتمثيل: التشبيه. والبيرق: كلمة فارسية، معناها العلم والراية.
- (١٥) أرنو إليها: أديم النظر إليها مع سكون الطرف. والعاني: الأسير المحبوس. والمطلق: ضد العاني، اسم مفعول من أطلقه إطلاقاً.
- (١٦) أسرد المنطق: أقص الحديث، وأتابع الكلام.
- (١٧) القرطق: ملبوس يشبه القباء، وهو من ملابس العجم، فارسي معرب.
- (١٨) الصدى: العطش الشديد، والمراد بالصدى هنا: ما يضمه العاشق من الحنين والوجد والشوق المبرح. والحشا: ما اجتمعت عليه الضلوع، وما حواه الجوف، كالقلب والكبد وغيرهما. ومحرق: اسم مفعول من الإحراق، والمراد أن حرق الوجد قد اشتدت عليه، وبرحت به.
- (١٩) ذو تدراً: ذو عدة وقوة على دفع أعدائه، لا يتوقى، ولا يهاب. والهول: الخوف والفرع، والمراد مواطن الهول. والفرق: الخوف.
- (٢٠) العاذل: اللائم. والداب: العادة الملازمة. والمفلق: المجيد المبدع.

لَوْ لَمْ أَكُنْ ذَا شِيمَةٍ حُرَّةٍ لَمْ أَقْرِضِ الشُّعْرَ وَلَمْ أَعْشَقِ (٢١)
وَقَالَ :

أَيُّ قَلْبٍ عَلَى صُدُودِكَ يَبْقَى ؟ أَيُّ قَلْبٍ عَلَى صُدُودِكَ يَبْقَى ؟
لَمْ تَدْعُ مِنِّي الصَّبَابَةَ إِلَّا لَمْ تَدْعُ مِنِّي الصَّبَابَةَ إِلَّا
وَدُمُوعاً أَسَالَهَا الْوَجْدُ حَتَّى وَدُمُوعاً أَسَالَهَا الْوَجْدُ حَتَّى
فَتَصَدِّقُ بِنَظْرَةٍ مِنْكَ تَشْفِي فَتَصَدِّقُ بِنَظْرَةٍ مِنْكَ تَشْفِي
كَانَ أَبْقَى مِنْهُ الْغَرَامُ قَلِيلاً كَانَ أَبْقَى مِنْهُ الْغَرَامُ قَلِيلاً
لَا تَسَلِّنِي عَنْ بَعْضٍ مَا أَنَا فِيهِ لَا تَسَلِّنِي عَنْ بَعْضٍ مَا أَنَا فِيهِ
سَلِّ إِذَا شِئْتَ أَنْجِمَ اللَّيْلَ عَنِّي سَلِّ إِذَا شِئْتَ أَنْجِمَ اللَّيْلَ عَنِّي
نَفْسٌ لَا يَبِينُ ضَعْفًا وَجِسْمٌ نَفْسٌ لَا يَبِينُ ضَعْفًا وَجِسْمٌ
فَتَرَفَّقُ بِمُهْجَةٍ شَفَّهَا الْوَجْدُ فَتَرَفَّقُ بِمُهْجَةٍ شَفَّهَا الْوَجْدُ
إِنْ يَكُنْ دَابُّكَ الصُّدُودَ فَقَلْبِي إِنْ يَكُنْ دَابُّكَ الصُّدُودَ فَقَلْبِي
فَعَلَيْكَ السَّلَامُ مِنِّي فَإِنِّي فَعَلَيْكَ السَّلَامُ مِنِّي فَإِنِّي
وَقَالَ :

أَلَيْلَى ! مَا لِقَلْبِكَ لَيْسَ يَرْتِي لِمَا أَلْقَاهُ مِنْ أَلَمِ الْفِرَاقِ ؟

(٢١) الشيمة: الطبيعة والخلق. والقرض: قول الشعر.

(١) الصدود: الإعراض والصدوف والهجران.

(٢) الصبابة: رقة الهوى، وحرارة الشوق. وشقه: أنحله وهزله، وأوهنه وأضعفه. والسقام: المرض. ودق: هزل وضعف.

(٣) الغمامة: السحابة، وأدمعها: المطر، على التجوز.

(٤) يبين: يظهر ويتضح. والضعف: المرض والهزال والضعف. وملقى: مطروح مرمي.

(٥) المهجة: الروح والنفس. وليس ترقا: ليست ترقا، بمعنى تجف وتقطع.

كَتَمْتُ هَوَاكَ حَتَّى نَمَّ دَمْعِي
 وَرَقَّتْ لِي قُلُوبُ النَّاسِ حَتَّى
 تَلُومِينِي عَلَى عَبْرَاتِ عَيْنِي ؟
 وَمِنْ عَجَبِ الْهَوَى يَا لَيْلُ أَنِّي
 وَمَا إِنْ عِشْتُ بَعْدَ الْبَيْنِ إِلَّا
 وَلَوْلَا أَنِّي فِي قَيْدِ سُقْمٍ
 وَذَابَتْ مُهَجَّتِي مِمَّا الْإِقْي (١)
 بَكَى لِي كُلُّ سَاقٍ فَوْقَ سَاقٍ (٢)
 وَلَوْلَا الْحُبُّ لَمْ تَجِرِ الْمَاقِي (٣)
 فَنَيْتُ صَبَابَةً وَهَوَاكَ بَاقِي (٤)
 لِمَا أَرْجُوهُ مِنْ وَشَكِ التَّلَاقِي (٥)
 لَطَرْتُ إِلَيْكَ مِنْ فَرْطٍ اشْتِيَاقِي (٦)

وَقَالَ :

رَبِّ خُذْ لِي مِنَ الْعُيُونِ بِحَقِّي
 قَدْ تَوَقَّيْتُ مَا اسْتَطَعْتُ مِنَ الْحُبِّ
 وَتَرَفَّقْتُ بِالْفُؤَادِ وَلَكِنْ
 لَا تَلْمِنِي عَلَى الْهَوَى فَعُمُوضِ الـ
 سَلْ دَمُوعِي فَهَنْ يُنِيثَنَّ عَمَّا
 وَأَجْرُنِي مِنْ ظَالِمٍ لَيْسَ يُبْقِي (١)
 بَ وَلكِنْ مَاذَا يَرُدُّ التَّوَقِّي ؟
 غَلَبَتْ لَوْعَةُ الصَّبَابَةِ رَفْقِي (٢)
 حَقُّ عَذْرٍ يَرُدُّ كُلَّ مُجِوِّ
 فِي ضَمِيرِي وَيَعْتَرِفَنَّ بِصِدْقِي

(١) نَمَّ الإنسان الحديث: أظهره وأفشاه، والمهجة: الروح والنفس، والمهجة أيضاً: دم القلب، وقد يراد بها القلب نفسه.

(٢) الساق: الحمام الذكر، أو الذكر من القماري، واسمه ساق حرّ، واسمه أيضاً الورشان. والساق: جذع الشجرة.

(٣) العبرات: جمع عبرة، وهي الدمعة، أو الدمعة قبل أن تفيض. والمآقي: جمع المآقي، أو المؤقي، وهو مجرى الدمع من العين. والمراد بالمآقي هنا: الدموع، على التجوّز.

(٤) يا ليل: يا ليلي. والصبابة: رقة الهوى، وحرارة الشوق.

(٥) البين: الفراق. ووشك التلاقي: قرب اللقاء وسرعته.

(٦) السقم: المرض. والفراط: اسم من الإفراط، وهو مجاوزة الحد في الأمر.

(١) أجزني: أنقذني.

(٢) لوعة الصبابة: حرقه الحب، وتبريح الشوق.

كَيْفَ لِي بِالنَّجَاةِ مِنْ شَرِّكَ الْحُبِّ
 قَدْ تَلَقَّيْتُ لَوْعَتِي مِنْ عُيُونِ
 وَرَشَوْتُ الْهَوَى بِلَوْلُؤِ دَمْعِي
 فَلَعَلِّي أَفُوزُ يَوْمًا بِوَصْلِ
 وَقَالَ وَهُوَ بِسَرْنَدِيْبٍ يَتَشَوَّقُ إِلَى وَطَنِهِ :

هَلْ مِنْ طَيْبٍ لِدَاءِ الْحُبِّ أَوْ رَاقِي ؟
 قَدْ كَانَ أَبْقَى الْهَوَى مِنْ مُهَجَّتِي رَمَقًا
 حُزْنٌ بَرَانِي وَأَشْوَاقٌ رَعَتْ كَبِدِي
 أَكَلَفُ النَّفْسِ صَبْرًا وَهِيَ جَازَعَةٌ
 لَا فِي « سَرْنَدِيْب » لِي خِلُّ الْوُذُبِ بِهِ
 أَيْتُ أَرَعَى نُجُومَ اللَّيْلِ مُرْتَفَقًا

يَشْفِي عَلِيًّا أَخَا حُزْنٍ وَإِيرَاقِي (١)
 حَتَّى جَرَى الْبَيْنُ فَاسْتَوْلَى عَلَى الْبَاقِي (٢)
 يَا وَبِحَ نَفْسِي مِنْ حُزْنٍ وَأَشْوَاقِي (٣)
 وَالصَّبْرُ فِي الْحُبِّ أَعْيَا كُلِّ مُشْتَاقِي (٤)
 وَلَا أُنَيْسُ سِوَى هَمِّي وَإِطْرَاقِي (٥)
 فِي قَنَةِ عَزْمَرِقَاهَا عَلَى الرَّاقِي (٦)

(٣) الشرك: حباتل الصيد، وما ينصب للطير، وما يصاد به. والرق: العبودية، اسم من استرق السيد مملوكه، أي استعبده.
 (٤) رشاه: أعطاه الرشوة، وهي ما يعطى لإبطال حق، أو إحقاق باطل، وما تعطيه الحاكم وغيره ليحكم لك.

(١) راق: اسم فاعل من رقاها يرقيه، أي عوّذه، أو قرأ عليه بعض الأدعية. والعليل: المريض. والإيراق: السهاد والسهر.
 (٢) المهجة: الروح والنفس. والرمق: بقية الحياة، أو بقية الروح في المذبوح والمحتضر ونحوهما. والبين: الفراق.
 (٣) براني: هزلني وأضعفني. ورعت: أضعفت وأضمرت.
 (٤) جازعة: اسم فاعل من الجزع، وهو أن يضعف الإنسان، ولا يقوى على احتمال ما نزل به من المكروه. وأعياه: أتعبه، أو أعجزه.
 (٥) الخل: الصديق المختص. والوذبه: أعوذ به وألجأ إليه.
 (٦) أرعى نجوم الليل: أراقبها وأنتظر مغيبها، وهذا كناية عن الأرق والهَمّ.

تَقَلَّدَتْ مِنْ جُجَمَانِ الشُّهْبِ مِنْطَقَةً مَعْقُودَةً بِوِشَاحٍ غَيْرِ مَقْلَاقٍ (٧)
كَأَنَّ نَجْمَ الثُّرَيَّا وَهُوَ مُضْطَرِبٌ دُونَ الْهَلَالِ سِرَاجٌ لَاحَ فِي طَاقٍ (٨)
يَا «رَوْضَةَ النَّيْلِ» لَا مَسَّتْكَ بَائِقَةٌ وَلَا عَدْتُكَ سَمَاءٌ ذَاتُ أَغْدَاقٍ (٩)
وَلَا بَرِحْتَ مِنَ الْأُورَاقِ فِي حُلَلٍ مِنْ سُنْدُسٍ عَبَقَرِيٍّ الْوُشِيِّ بَرَّاقٍ (١٠)
يَا حَبْبًا نَسَمٌ مِنْ جَوْهَا عَبِيقٌ يَسْرِي عَلَى جَدُولٍ بِالْمَاءِ دَفَاقٍ (١١)
بَلْ حَبًّا دَوْحَةٌ تَدْعُو الْهَدِيدَ بِهَا عِنْدَ الصَّبَاحِ قَمَارِيٍّ بِأَطَوَاقٍ (١٢)
مَرَعَى جِيَادِي وَمَأْوَى جِيرَتِي وَحِمَى قَوْمِي وَمَنْبِتُ آدَابِي وَأَعْرَاقِي

(٧) تقلد الرجل السيف: احتمله، ووضع نجاده على منكبه. ويظهر لنا أن الشاعر استعمل هنا «تقلد» بمعنى انتطق، أي شدّ وسطه بالنطاق. وجمان الشهب: الشهب الشبيهة بالجمان، وهو اللؤلؤ، والشهب: النجوم. والمنطقة: ما يشدّ به الإنسان وسطه شبيهاً بالإزار أو الحزام. والوشاح: أديم عريض يرصع بالجواهر تشده المرأة بين عاتقها وكشحتها. وغير مقلّاق: ثابت محكم الوضع.

(٨) الثريا: علم على سبعة كواكب، أو أربعة وعشرين نجماً، سميت بذلك لكثرة كواكبها مع صغر مرآتها. والسراج: المصباح الزاهر. والطاق: تجويف في الحائط يشبه الكوة والمشكاة.

(٩) الروضة: البستان الناضر، والمراد بروضة النيل، روضة المقياس التي طالما حنّ الشاعر إليها، وتغنّى بها. والبائقة: الداهية والبليّة والشرّ. والأغداق: جمع غدق، وهو الماء الكثير، أو المطر الكثير العام.

(١٠) الحلل: جمع حلّة، وهي إزار ورداء، ولا تكون حلّة إلا من ثوبين، أو من ثوب له بطانة، أو هي الثوب الساتر لجميع البدن. والسندس: رقيق الديباج ورفيعه. والوشي: النقش والنمنمة والزخرفة والتحسين.

(١١) عبق: طيب عطر. ودفاق: ممتلىء كثير الدفق، يفيض منه الماء.

(١٢) الدوحة: الشجرة العظيمة المتسعة. وتدعو الهديل: تصيح به، وتناديه، والهديل: ذكر الحمام، أو فرخها، أو هو - فيما تزعم العرب - فرخ للحمام كان على عهد نوح عليه السلام، فمات ضيعة، أو عطشاً، أو صاده جارح من جوارح الطير، فما من حمامة إلا وهي تبكي عليه. والقماري: جمع قمرية، اسم لنوع جميل من الحمام، حسن التغريد والتطريب. وأطواق: جمع طوق، وهو حلي للعنق يحيط به، والمراد به هنا: ما يحيط بعنق القمرية من ريش متميز بلون خاص.

أَصْبُو إِلَيْهَا عَلَى بُعْدٍ وَيُعْجِبُنِي أَنِّي أَعِيشُ بِهَا فِي ثَوْبِ إِمْلَاقٍ (١٣)
وَكَيْفَ أَنَسَى دِيَاراً قَدْ تَرَكْتُ بِهَا أَهْلًا كِرَامًا لَهُمْ وَدِي وَإِشْفَاقِي ؟
إِذَا تَذَكَّرْتُ أَيَّاماً بِهِمْ سَلَفْتُ تَحَدَّرْتُ بِغُرُوبِ الدَّمْعِ آمَاقِي (١٤)
فَيَا بَرِيدَ الصَّبَا بَلِّغْ ذَوِي رَحِمِي أَنِّي مُقِيمٌ عَلَى عَهْدِي وَمِيثَاقِي (١٥)
وَإِنْ مَرَزْتَ عَلَى « الْمَقْيَاسِ » فَاهْدِ لَهُ مِنِّي تَحِيَّةَ نَفْسٍ ذَاتِ أَعْلَاقٍ (١٦)
وَأَنْتَ يَا طَائِرًا يَبْكِي عَلَى فَنَنِ نَفْسِي فِدَاؤُكَ مِنْ سَاقٍ عَلَى سَاقٍ (١٧)
أَذْكَرْتَنِي مَا مَضَى وَالشَّمْلُ مُجْتَمِعٌ « بِمِصْرَ » وَالْحَرْبُ لَمْ تَنْهَضْ عَلَى سَاقٍ (١٨)
أَيَّامَ أُسْحَبِ أَدْيَالَ الصَّبَا مَرِحاً فِي فِتْيَةٍ لَطْرِيْقِ الْخَيْرِ سُبَّاقٍ
فَيَا لَهَا ذُكْرَةَ شَبِّ الْغَرَامِ بِهَا نَاراً سَرَتْ بَيْنَ أُرْدَانِي وَأَطَوَاقِي (١٩)
عَصْرُ تَوَلَّى وَأَبْقَى فِي الْفُؤَادِ هَوَى يَكَادُ يَشْمَلُ أَحْشَائِي بِإِحْرَاقٍ
وَالْمَرْءُ طَوْعُ اللَّيَالِي فِي تَصَرُّفِهَا لَا يَمْلِكُ الْأَمْرَ مِنْ نُجْحٍ وَإِخْفَاقٍ (٢٠)

(١٣) أصبو: أحنّ وأشتاق وأميل. والإملاق: مصدر أملق المرء، أي افتقر واحتاج.

(١٤) سلفت: ذهبت ومضت. وتحدرت: انحدرت ونزلت. والغروب: الدموع حين تخرج وتنهلّ وتسيل من العين، أو هي الدلاء العظيمة، مفردها غرب، والمراد بغروب الدمع: الدمع الغزير الكثير. والآماق: جمع مؤق، أو ماق، وهو طرف العين مما يلي الأنف، وهو مجرى الدمع من العين.

(١٥) الصبا: ريح تهبّ في شبه جزيرة العرب من ناحية المشرق، وكانت أحبّ الرياح إليهم. وذو الرحم: الأقارب.

(١٦) ذات أعلاق: ذات هوى وحبّ.

(١٧) الفنن: الغصن. والساق: الحمام الذكر، أو الذكر من القمري، والساق: جذع الشجرة.

(١٨) شمل القوم: أمرهم وعددهم. ونهوض الحرب على ساقها: كناية عن اشتدادها، وفضاعة أمرها.

(١٩) الأردان: جمع ردن، وهو الكمّ، أو أصله، أو مقدّمه، أو أسفله. والأطواق: جمع طوق، وهو حلّي للعنق، وكلّ ما استدار بشيء، ولعلّ المراد بالطوق هنا: جيب القميص، ليناسب الرदन، ولعلّه يريد بما بين أردانه وأطواقه: قلبه المعذب بنار الصباية، وحرق الشوق.

(٢٠) في تصرّفها: في تقلّبها واختلاف أحوالها.

عَلِيَّ شَيْمُ الْغَوَادِي كُلَّمَا بَرَقَتْ
فَلَا يَعْبِنِي حُسُودٌ أَنْ جَرَى قَدْرٌ
أَسَلَمْتُ نَفْسِي لِمَوْلَى لَا يَخِيبُ لَهُ
وَهَوْنُ الْخَطْبِ عِنْدِي أَنِّي رَجُلٌ
يَا قَلْبُ صَبْرًا جَمِيلًا إِنَّهُ قَدْرٌ
لَا بُدَّ لِلضُّيْقِ بَعْدَ الْيَأْسِ مِنْ فَرَجٍ
وَمَا عَلِيٌّ إِذَا ضَنْتُ بِرَقْرَاقٍ (٢١)
فَلَيْسَ لِي غَيْرُ مَا يَقْضِيهِ خَلْأِي
رَاجٍ عَلَى الدَّهْرِ وَالْمَوْلَى هُوَ الْوَاقِي
لَاقِي مِنَ الدَّهْرِ مَا كُلُّ امْرِئٍ لَاقِي (٢٢)
يَجْرِي عَلَى الْمَرْءِ مِنْ أَسْرٍ وَإِطْلَاقٍ
وَكُلُّ دَاجِيَةٍ يَوْمًا لِإِشْرَاقٍ (٢٣)

وَقَالَ يَصِفُ رَوْضَةً كَثِيرَةَ الْأَشْجَارِ غَزِيرَةَ الْمِيَاهِ فِي « كَنْدِي (★) » مِنْ جَزِيرَةِ

« سَرَنْدِيبَ » :

دَعَانِي إِلَى غَيِّ الصَّبَا بَعْدَ مَا مَضَى
فَسَيْحُ مَجَالِ الْعَيْنِ أَمَا غَدِيرُهُ
كَسَا أَرْضَهُ ثَوْبًا مِنَ الظِّلِّ بَاسِقُ
مَكَانَ كَفَرْدُوسِ الْجِنَانِ أُنَيْقُ (١)
فَطَامٍ وَأَمَا غُضْنُهُ فَرَشِيقُ (٢)
مِنَ الْأَيْكِ فَيَنَانُ السَّرَاةِ وَرَيْقُ (٣)

(٢١) شيم: من در شام الإنسان البرق، إذا نظر إلى سحابته أين تقصد، وأين تمطر. والغوادي: جمع غادية، وهي السحابة تنشأ غدوة أي في أول النهار، وشيم البرق والسحاب من العادات العربية القديمة. وضنت: بخلت.

(٢٢) الخطب: الأمر المكروه، والنازلة الشديدة من نوازل الدهر.

(٢٣) داجية: مظلمة.

(★) كندي: من بلاد جزيرة سرنديب، وتقع في بقعة تعدّ من محاسن الدنيا، وأجمل بقاع الأرض وأخصبها.

(١) غي الصبا: جهل الفتاء، ولهه الشفاء. والفردوس: البستان الواسع الحسن الذي يجمع كل ما يكون في البساتين، والمراد بفردوس الجنان: خير الجنات، وأجمل البساتين.

(٢) نام: ممتلىء زاخر.

(٣) باسق: طويل مرتفع عال. والأيك: الشجر الكثير الملتف، الواحدة أيكة. وفينان: كثير الأفنان والأغصان. والسراة: أعلى كل شيء. ووريق: كثير الأوراق.

سَمَتْ صُعْدًا أَفْنَانُهُ فَكَأَنَّهَا (٤)
يَمُدُّ شُعَاعُ الشَّمْسِ فِي حَجَرَاتِهَا
وَيَشْدُو بِهَا الْقُمْرِيُّ حَتَّى كَأَنَّهُ
تَمْرٌ طُيُورُ الْمَاءِ فِيهَا عَصَائِبًا
إِذَا أَبْصَرَتْ زُرْقَ الْمَوَارِدِ رَفَرَفَتْ
غَدُونًا لَهُ وَالْفَجْرُ يَنْصَاحُ ضَوْؤُهُ
وَلِلطَّيْرِ فِي مَهْدِ الْأَرَاكِةِ رَنَّةٌ
مَلَاعِبُ زَانَتِهَا الرَّفَاقُ وَلَمْ يَكُنْ
وَمَنْزِلُ أَنْسٍ قَدْ عَقَدْنَا بِجَوِّهِ
جَمَعْنَا بِهِ الْأَشْتَاتَ مِنْ كُلِّ لَذَّةٍ

- (٤) سمت صعداً: عظم ارتفاعها، وزاد علوها. والنيرات: النجوم والكواكب.
- (٥) يمدّ: يبسط وينشر. وفي حجراتها: في حجرات الأفنان، أي نواحيها، الواحدة حجرة.
- (٦) يشدو: يطرب ويفرد. والقمرى: نوع من الحمام المطوق، حسن التغريد، جميل التطريب. وأخو صبوة: عاشق مستهام. والرحيق: الخمر، أو أطيبها وأفضلها وأعتقها.
- (٧) عصائب: جماعات، الواحدة عصابة. والركب: جماعة الراكبين، وأكثر ما يطلق الركب على ركبان الإبل.
- (٨) الموارد: جمع مورد، وهو موضع ورود الماء. والعرب تريد بزرقة الماء: صفاءه ونقاءه.
- (٩) ينصاح: ينشق ويتشرب ويفيض. والأقطار: النواحي والجوانب، المفرد قطر.
- (١٠) الأراكة: شجرة طويلة ناعمة، كثيرة الورق والأغصان، خوّارة العود، يستاك بقضبانها، ولها ثمر كعناقيد العنب، يسمّى البرير، ومهد الأراكة: الأراكة الشبيهة بالمهد، وقد جعل الأراكة مهذاً للطير، لأنها تستمهدها وتسكن فيها. والرنة: الصوت. والطلّ: أخفّ المطر وأضعفه، أو الندى. والثغر: مقدّم الأسنان، وما يبدو منها عند الابتسام.
- (١١) جوّ المنزل ونحوه: حيّزه. والرتائم: جمع رتيمة، وهي خيط يعقد على الأصبع أو الخاتم لتستذكر به الحاجة.
- (١٢) أشتات اللذة: أنواعها وما تفرّق منها. وحقيق: خليق جدير.

وَغَنَى لَنَا شَادٍ أَعْنُ مُقَرَطُقٌ
 إِذَا مَدُّ مِنْ صَوْتٍ وَرَجَعَ أَقْبَلْتُ
 فَيَا حُسْنَهُ مِنْ مَنْزِلٍ لَمْ يَطْفُ بِهِ
 جَعَلْنَاهُ تَارِيخًا لِأَيَّامِ صَبُوءَةٍ
 أَقْمَنَّا بِهِ يَوْمًا طَلِيْقًا وَلَيْلَةً
 فَلَمَّا اتَّعَدْنَا لِلرَّوَّاحِ تَرَوَّعْتُ
 فَلِلَّهِ قَلْبٌ بِالْفِرَاقِ مُرَوِّعٌ
 وَقَالَ لِي الْخُلَّانُ صِفْ حُسْنَ يَوْمِنَا
 رَفِيقٌ بِجَسِّ الْمِلْهَيَاتِ لَبِيقُ^(١٣)
 عَلَيْنَا وَجُوهُ الْعَيْشِ وَهُوَ رَفِيقُ^(١٤)
 غُويٌّ وَلَمْ يَحْلُلْ جِمَاهُ لَصِيقُ^(١٥)
 إِذَا ذُكِرَتْ مَسَّ الْقُلُوبَ حَرِيقُ^(١٦)
 دُجَاهَا بِأَلَاءِ الْمُدَامِ طَلِيقُ^(١٧)
 قُلُوبُ النَّدَامَى وَالْمُجِبُّ شَفِيقُ^(١٨)
 حَزِينٌ وَجَفْنٌ بِالدُّمُوعِ شَرِيقُ^(١٩)
 فَأَنْتَ بِنَجْدِي الْكَلَامِ خَلِيقُ^(٢٠)

(١٣) أَعْنُ: صفة من الغنة، وهي صوت في الخيشوم، أو صوت فيه ترخيم من نحو الخياشيم بعون من نفس الأنف، أو أن يجري الكلام في اللهاة. ومقرطق: عليه قرطق، وهو ملبوس من ملابس العجم يشبه القباء، يقال: قرطقته فتقرطق، أي ألبسته القرطق فلبسه. والملهيات: آلات اللهو، وأدوات الغناء والطرب. ولبيق: رفيق حاذق ماهر.

(١٤) رَجَعَ المَغْنَى صوته: رَدَّه.

(١٥) غُويٌّ: صفة من الغواية أو الغي، وهو الضلال والخيبة والانهماك في الجهل والفساد. والحمى: المكان المحمي المصون الذي لا يقرب ولا يجترأ عليه. ولصيق: دعي دخيل.

(١٦) جعلناه تاريخاً: أي جعلنا حلولنا بذلك المنزل تاريخاً. والصبوة: جهلة الفتوة، وهو الشباب ومرحه.

(١٧) يوم طليق: المراد ضاحك مشرق. والدجى: الظلمة. والمدام: الخمر. ولأاؤها: صفاؤها ونقاؤها وإشراقها ولمعانها.

(١٨) اتَّعَدْنَا: تواعدنا، والمراد هنا: العزم والتأهب والاستعداد. والرواح: العودة آخر النهار. وتروَّعت: ارتاعت وفزعت وخافت. والندامي: جمع ندمان، وهو من يشاربك، وقد يطلق على الرفيق والمصاحب والمسامر.

(١٩) شريق: المراد مغرورق.

(٢٠) نجدِيّ الكَلَامِ: نسبة إلى نجد، وهو من جزيرة العرب كل ما ارتفع عن تهامة إلى أرض العراق، وكانت تسكنه، وتتنقل في نواحيه قبائل كثيرة من أفصح القبائل العربية، فالمراد بنجدِيّ الكَلَامِ: الكلام الفصيح البليغ، والوصف الممتع الرائع. وخليق: حقيق وجدير.

فَرَوَيْتُ شَيْئاً ثُمَّ جِئْتُ بِمَنْطِقٍ ذِكِّي يَفُوقُ الْمِسْكَ وَهُوَ فَتِيْقُ (٢١)
وَكَيْفَ يَغْبُ الْقَوْلُ عَنِّي وَفِي فَمِي لِسَانُ كَعْرَبِ الْمَشْرِفِي ذَلِيْقُ؟ (٢٢)

وَقَالَ يُعْرَضُ بِرُؤْسَاءِ الْجُنْدِ الَّذِينَ تَخَاذَلُوا فِي الثَّوْرَةِ الْعَرَابِيَّةِ * :

لِأَيِّ خَلِيلٍ فِي الزَّمَانِ أَرَأَيْتُ وَأَكْثَرُ مَنْ لَأَقَيْتُ حِبُّ مُنَافِقُ؟ (١)
بَلَوْتُ بَنِي الدُّنْيَا فَلَمْ أَرِ صَادِقاً فَأَيْنَ لَعَمْرِي الْأَكْرَمُونَ الْأَصَادِقُ؟ (٢)
أَحَاوِلُ أَمْراً قَصَّرتُ دُونَهُ النُّهَى وَشَابَتْ وَلَمْ تَبْلُغْ مَدَاهُ الْمَفَارِقُ (٣)
وَأَعْظَمُ مَا تَرْجُوهُ مَا لَا تَنَالُهُ وَأَكْثَرُ مَنْ تَلَقَّاهُ مَنْ لَا يُوَافِقُ

(٢١) رَوَيْتُ فِي الْأَمْرِ: نَظَرْتُ وَفَكَّرْتُ. وَالْمَرَادُ بِالْمَنْطِقِ الذِّكْيُ: الْكَلَامُ الْبَلِيغُ، الْمَعْجَبُ الرَّائِعُ. وَالْمِسْكَ: نَوْعٌ مَعْرُوفٌ مِنَ الطَّيْبِ، وَهُوَ أَطْيَبُ الطَّيْبِ عِنْدَ الْعَرَبِ، وَكَانَتْ تَسْمِيهِ الْمَشْمُومَ. وَفَتِيْقُ: مَخْلُوطٌ بغيره مِنْ أَنْوَاعِ الطَّيْبِ.
(٢٢) يَغْبُ: يَغِيْبُ، أَوْ يَبْعَدُ. وَالْمَشْرِفِي: السَّيْفُ، نِسْبَةٌ إِلَى الْمَشَارِفِ، وَهِيَ قَرْيٌ مِنْ أَرْضِ الْيَمَنِ، أَوْ هُوَ مَنْسُوبٌ إِلَى مَشَارِفِ الشَّامِ، أَيِ قَرَاهِ، وَغَرَبِ الْمَشْرِفِي: حُدَّةُ الْقَاطِعِ. وَذَلِيْقُ: فَصِيْحٌ، صِفَةٌ مِنَ الذَّلَاقَةِ.

(★) فِي تَارِيخِ الثَّوْرَةِ الْعَرَابِيَّةِ أَنَّ الْعَرَابِيْنَ اتَّجَهُوا إِلَى إِقَامَةِ بَعْضِ الْأَسْتِحْكَامَاتِ وَخَطُوطِ الدَّفَاعِ فِي الْمِيْدَانِ الشَّرْقِيِّ، فِي التَّلِّ الْكَبِيْرِ وَالصَّالِحِيَّةِ، وَنَقَطَ أُخْرَى، بَعْدَ أَنْ سَقَطَتِ الْإِسْكَانْدَرِيَّةُ فِي قَبْضَةِ جَيْشِ الْإِنْجِلِيزِيِّ، وَسَيَّطَرَتِ السَّفْنُ الْحَرْبِيَّةُ الْبَرِيْطَانِيَّةُ عَلَى قَنَاةِ السُّوَيْسِ. وَكَانَ الْبَارُودِيُّ يَقُوْدُ قُوَّاتٍ غَيْرَ نِظَامِيَّةٍ فِي مَوَاقِعِ الصَّالِحِيَّةِ، ثُمَّ اسْتَدْعِيَ لِلْمِشَارَكَةِ فِي مَوْقِعَةِ الْقِصَاصِيْنَ بِتَارِيْخِ ٢٨ مِنْ أَيْسُطُسِ سَنَةِ ١٨٨٢ فَضَلَّ الطَّرِيْقَ، فَتَأَخَّرَ عَنْ مَوْعِدِهِ، وَفَاجَأَهُ الْعَدُوُّ بِنِيْرَانِ مَدَافِعِهِ، فَتَخَاذَلَ جَنْدُهُ، وَجَدُّوا فِي الْفِرَارِ، وَلَقِيَ الْأَمْرِيْنَ مِنَ الْخِيَانَةِ، وَالْجَهْلِ وَالْجَبْنِ. وَكَانَتْ لَهُ فِي السِّيَاسَةِ وَالْحَرْبِ خَطَطٌ وَأَرَاءٌ لَمْ يُؤْخَذَ بِهَا. وَفِي هَذَا الْجَوْ النَّفْسِيِّ، وَفِي ذَلِكَ التَّارِيْخِ أَوْ فِي مَا يَقْرَبُ مِنْهُ نَظَمَ هَذِهِ الْقَصِيْدَةَ.

(١) الْخَلِيْلُ: الْبَصِيْقُ. وَالْحَبُّ: الْخَدَّاعُ.

(٢) بَلَوْتُ: خَبِرْتُ وَجَرَّبْتُ وَامْتَحَنْتُ.

(٣) حَاوَلْتُ الشَّيْءَ: عَالَجْتَهُ، وَطَلَبْتَهُ بِالْحِيلَةِ. وَالنُّهَى: الْعَقُولُ. وَمَدَاهُ: حُدَّةُ وَغَايَتُهُ وَمَتْنَهَا. وَالْمَفَارِقُ: جَمْعُ مَفْرُقٍ، وَهُوَ وَسْطُ الرَّأْسِ حَيْثُ يَفْرُقُ الشَّعْرُ.

وَمَا كُلُّ مَنْ حَدَّ الرَّوِيَّةَ حَازِمٌ
 أَضَعْتُ زَمَانِي بَيْنَ قَوْمٍ لَوْ أَنَّ لِي
 فَإِنَّ أَكْ مُلَقَى الرَّحْلِ فِيهِمْ فَإِنِّي
 مَعَاشِرُ سَادُوا بِالنَّفَاقِ وَمَا لَهُمْ
 فَأَعْلَمُهُمْ عِنْدَ الْخُصُومَةِ جَاهِلٌ
 طَلَاقَةٌ وَجْهٍ تَحْتَهَا الْغَيْظُ كَاشِرٌ
 وَأَخْلَاقٌ صَبِيَانٍ إِذَا مَا بَلَوْتَهُمْ
 تَعَلَّمْتُ كَظْمَ الْغَيْظِ فِيهِمْ وَإِنَّهُ
 دَعَاؤِي إِلَى الْجُلَى فَقُمْتُ مُبَادِرًا
 فَلَمَّا اسْتَمَرَ الْجِدُّ سَاقُوا حُمُولَهُمْ
 وَلَا كُلُّ مَنْ رَامَ السَّوِيَّةَ فَارِقٌ^(٤)
 بِهِمْ غَيْرُهُمْ مَا أَرْهَقْتَنِي الْبَوَائِقُ^(٥)
 لَهُمْ بِالْخِلَالِ الصَّالِحَاتِ مُفَارِقٌ^(٦)
 أَصُولٌ أَظَلَّتْهَا فُرُوعٌ بَوَاسِقُ^(٧)
 وَأَتَقَاهُمْ عِنْدَ الْعَفَافَةِ فَاسِقُ^(٨)
 وَنَعْمَةٌ وَدٌّ بَيْنَهَا الْغَدْرُ نَاعِقُ^(٩)
 عَلِمْتَ بِأَنَّ الْجَهْلَ فِي النَّاسِ نَافِقُ^(١٠)
 لِحِلْمٌ وَلَكِنْ لِلْحَفِيظَةِ مَاحِقُ^(١١)
 وَإِنِّي إِلَى أَمْثَالِ تِلْكَ لَسَابِقُ^(١٢)
 إِلَى حَيْثُ لَمْ يَبْلُغْهُ حَادٍ وَسَائِقُ^(١٣)

(٤) حدّ الرويّة: أجال الفكر، وأطال التدبّر. والسويّة: العدل والنصفه. ويريد بالفارق: الفاصل بين الحقّ والباطل.

(٥) البوائق: جمع البائقة، وهي الداهية والنازلة والشرّ الشديد.

(٦) إلقاء الرحل: كناية عن الإقامة. والخلال: الخصال والسجايا والأخلاق.

(٧) المعاشر: جماعات الناس، الواحد معشر. وبواسق: جمع باسق، أي طويل عال ممتدّ.

(٨) الخصومة: الجدل. وأتقى: اسم تفضيل من التقوى، وهي أن يطيع المرء ربّه، ويحفظ نفسه

مما يغضبه. وفاسق: اسم فاعل من الفسوق، وهو عصيان الله تعالى، والخروج عن طاعته.

(٩) طلاقه الوجه: البشاشة. وكاشر: كاشف عن أنيابه للاغتيال. وناعق: اسم فاعل من النعاق أو

النعيق، وهو صوت الغراب، والمراد أنّ غدرهم ظاهر محسوس.

(١٠) بلوتهم: خبرتهم وجربتهم. ونافق: رائج شائع منتشر.

(١١) كظم الغيظ: ردّه وحبسه. والحفيظة: الحميّة والغضب عند حفظ الحرمة. وماحق: اسم

فاعل من محقه، أي أبطله ومحاه.

(١٢) الجُلَى: الأمر الشديد، والخطب العظيم.

(١٣) الحمول: الإبل التي عليها الهودج، وسوق الحمول هنا: كناية عن التخاذل والفرار. وحاد: اسم فاعل من الحدو، وهو سوق الإبل والغناء لها.

فَلَا رَجِمَ اللَّهُ امْرَأً بَاعَ دِينَهُ
عَلَىٰ أَنِّي حَذَرْتُهُمْ غِبُّ امْرِهِمْ
وَقُلْتُ لَهُمْ كُفُّوا عَنِ الشَّرِّ تَغْنَمُوا
فَظَنُّوا بِقَوْلِي غَيْرَ مَا فِي يَقِينِهِ
فَهَلْ عَلِمُوا أَنِّي صَدَعْتُ بِحُجَّتِي
فَتَبَّالَهُمْ مِنْ مَعْشَرٍ لَيْسَ فِيهِمْ
ظَنَنْتُ بِهِمْ خَيْرًا فَأَبْتُ بِحَسْرَةٍ
فِيَا لَيْتَنِي رَاجَعْتُ حِلْمِي وَلَمْ أَكُنْ
وَيَا لَيْتَنِي أَصْبَحْتُ فِي رَأْسِ شَاهِقٍ
هُمُ عَرَضُونِي لِلْقَنَا ثُمَّ أَعْرَضُوا
وَقَدْ أَقْسَمُوا أَلَّا يَزُولُوا فَمَا بَدَا
مَضَوْا غَيْرَ مَعْدُورِينَ لَا النَّقْعُ سَاطِعٌ
بَدُنِّيَا سِوَاهُ وَهُوَ لِلْحَقِّ رَامِقٌ
وَأَنْذَرْتُهُمْ لَوْ كَانَ يَفْقَهُ مَاثِقٌ (١٤)
فَلِلشَّرِّ يَوْمٌ لَا مَحَالَةَ مَا حِقُّ (١٥)
عَلَىٰ أَنِّي فِي كُلِّ مَا قُلْتُ صَادِقٌ
وَقَدْ ظَهَرْتُ بَعْدَ الْخَفَاءِ الْحَقَائِقُ (١٦)
رَشِيدٌ وَلَا مِنْهُمْ خَلِيلٌ مُصَادِقٌ (١٧)
لَهَا شَجْنٌ بَيْنَ الْجَوَانِحِ لِاصِقٌ (١٨)
زَعِيمًا وَعَاقَتَنِي لِذَاكَ الْعَوَائِقُ
وَلَمْ أَرَمَا آلَتْ إِلَيْهِ الْوَثَائِقُ (١٩)
سِرَاعًا وَلَمْ يَطْرُقْ مِنَ الشَّرِّ طَارِقُ (٢٠)
سَنَا الْفَجْرِ إِلَّا وَالنِّسَاءُ طَوَالِقُ (٢١)
وَلَا الْبَيْضُ فِي أَيْدِي الْكُمَاةِ دَوَالِقُ (٢٢)

(١٤) غِبُّ امْرِهِمْ: مغيبته وعاقبته ونهايته. وماثق: أحقق.

(١٥) لا محالة: لا بد منه. وماحق: مهلك.

(١٦) الحجّة: الدليل والبرهان. وصدعت بها: بينتها وأظهرتها.

(١٧) تَبَّالَهُمْ: هلاكاً لهم وخسراناً.

(١٨) أبت: رجعت. والشجن: الحزن. والجوانح: أضلاع الصدر، أو الأضلاع التي تحت الترائب، وهي مما يلي الصدر كالضلع مما يلي الظهر، الواحدة جانحة.

(١٩) في رأس شاهق: في قمة جبل عال، ممتنع طولاً. وآلت: رجعت وصارت.

(٢٠) القنا: الرماح، الواحدة قناة. وطرق، فهو طارق: إذا جاء ليلاً.

(٢١) سنا الفجر: ضوءه.

(٢٢) النقع: الغبار. وساطع: مرتفع ثائر. والبيض: السيوف. والكمأة: جمع الكمي، وهو

الشجاع الذي كمي نفسه بالسلاح، أي سترها. ودوالق: جمع دالق، اسم فاعل من دلق السيف دلوقاً، أي خرج من غمده.

وَلَكِنْ دَعَتْهُمْ نَبَأَةٌ فَتَفَرَّقُوا
فَكَمْ آبِقٍ تَلْقَاهُ مِنْ غَيْرِ طَارِدٍ
إِذَا أَبْصَرُوا شَخْصًا يَقُولُونَ جَحْفَلُ
أَسُودَ لَدَى الْأَبْيَاتِ بَيْنَ نَسَائِهِمْ
إِذَا الْمَرْءُ لَمْ يَنْهَضْ بِقَائِمِ سَيْفِهِ
كَمَا انْقَضَ فِي سِرْبٍ مِنَ الطَّيْرِ بَاشِقُ (٢٣)
وَكَمْ وَاقِبٍ تَلْقَاهُ وَالْعَقْلُ آبِقُ (٢٤)
وَجُبْنُ الْفَتَى سَيْفٌ لِعَيْنَيْهِ بَارِقُ (٢٥)
وَلَكِنَّهُمْ عِنْدَ الْهِيَاجِ نَقَاتِقُ (٢٦)
فِيَا لَيْتَ شِعْرِي كَيْفَ تُحْمَى الْحَقَائِقُ (٢٧)

وَقَالَ :

إِنَّ ابْنَ آدَمَ ذُو طَبَائِعٍ أَرْبَعٍ
تَبْدُو فَوَاعِلُهَا عَلَى حَرَكَاتِهِ
فَإِذَا تَغَلَّبَ وَاحِدٌ مِنْهَا عَلَى
مَجْمُوعَةِ الْأَجْزَاءِ فِي أَخْلَاقِهِ (١)
فِي بَطْشِهِ وَسُكُونِهِ وَنَزَاقِهِ (٢)
أَقْرَانِهِ أَدَى إِلَى إِقْلَاقِهِ (٣)

(٢٣) نبأة: صوت. والسرب: الجماعة من الطير والظباء والوحش والخيل والحمر والنساء وغيرها.
والباشق: طائر من الجوارح.

(٢٤) آبق: هارب. وطارِد: اسم فاعل من طرده، أي أبعدته ونحاه، والمراد من غير أن يحمل عليه
قرنه ويقاتله.

(٢٥) الجحفل: الجيش الكثير.

(٢٦) الهياج: اسم من هاج الشيء، أي ثار، والمراد عند استحرار القتال، وتوقد نار الحرب.
والنقاتق: جمع نقتق، وهو الظليم، أي الذكر من النعام، ويضرب به المثل في الجبن وسرعة
الفرار.

(٢٧) قائم السيف: مقبضه، كقائمه. وليت شعري: ليتني أشعر وأعلم.

(١) الطبائع: الخلائق والسجايا التي جبل الإنسان عليها، أي فطر وخلق، الواحدة طبيعة، والشاعر
يريد بالطبائع هنا: الأمزجة التي كان الأقدمون ينسبونها إلى النار، والهواء، والماء.

(٢) فواعلها: المراد تأثيراتها. وحركاته: المراد أعماله وتصرفاته التي تشمل الحركة والسكون.
والبطش: مصدر بطش به، أي أخذه بالعنف والسطوة والشدة. والنزاق: النزق وهو الطيش
والخفة.

(٣) واحد منها: أحد هذه الأشياء، وهي الطبائع. والأقران: جمع قرن، وهو الكفاء والنظير
والمثيل.

بَيْنَا تَرَاهُ كَالزُّلَالِ لَطَافَةٌ أَلْفَيْتَهُ كَالنَّارِ فِي إِحْرَاقِهِ (٤)
أَوْ كَالثُّرَابِ يَهِيلُ مِنْ عَقْدَاتِهِ أَوْ كَالهَوَاءِ يَجُولُ فِي آفَاقِهِ (٥)
فَإِذَا تَعَادَلْ جَمْعُهَا وَتَوَازَنْتْ حَرَكَاتُهَا كَانَتْ دَلِيلَ وَفَاقِهِ (٦)
وَالْمَرءُ مَهْمَا كَانَ فِي أَعَالِهِ لَا يَنْتَهِي إِلَّا إِلَى أَعْرَاقِهِ (٧)

وَقَالَ :

أَضِنُّ بِصَاحِبِي وَأَذُودُ عَنْهُ وَأَمْنَحُهُ السُّوِيَّةَ فِي الْحُقُوقِ (١)
وَإِنْ غَدَرَ الزَّمَانُ بِهِ فَإِنِّي أَقُومُ بِنَضْرِهِ فِعْلَ الصُّدِيقِ
إِذَا مَا الْمَرءُ لَمْ يَنْفَعِ أَحَاهُ عَلَى الْحَالَيْنِ فِي سَعَةِ وَضِيقِ
فَدَعُهُ غَيْرَ مَا سُوفِ عَلَيْهِ فَخَيْرٌ مِنْهُ إِخْوَانُ الطَّرِيقِ (٢)

وَقَالَ :

إِذَا الْمَرءُ لَمْ يَرْمِ الْهِنَاةَ بِمِثْلِهَا لِيَدْفَعَ ضَيْمًا فَهوَ بِالذُّلِّ أُخْلَقُ (١)
وَمَنْ شَهِدَ الْهَيْجَاءَ مِنْ غَيْرِ آلَةٍ يَذُودُ بِهَا عَنْ نَفْسِهِ فَهوَ أَحْمَقُ (٢)

(٤) الزلال: الماء العذب الصافي البارد السائغ السهل السلس . وألفيته : وجدته وصادفته ولقيته .
(٥) هال عليه التراب يهيله : أرسله وصبه ودفعه . وعقدات الرمل والتراب : ما تعقد منه واجتمع وتراكم ، والواحدة عقدة .

(٦) تعادل جمعها : اعتدلت هذه الطبائع جميعها ، وتساوت وتناسبت وأتزنّت ، ومثلها توازنت .
(٧) أعراقه : أصوله ، الواحد عرق .

(١) ضننت بالشيء : بخلت به ، وحرصت عليه . وأذود : أذفع وأصد .
(٢) المراد بإخوان الطريق : من يعرفهم المرء في طريقه معرفة عارضة لا يرجي منها خير كثير .
(١) الهنأة : الداهية ، ويرمي الهنأة بمثلها : يقابل العدوان بالعدوان ، ويدفع الشرّ بمثله . والضميم : الظلم . وأخلق : أحق وأولى وأجدر .
(٢) شهد : حضر . والهيجاء : الحرب . ويذود : يدفع . وأحمق : قليل العقل ، سىء التصرف .

وَقَالَ :

أَكْتُمُ ضَمِيرَكَ مِنْ عَدُوِّكَ جَاهِدًا
وَلَرُبَّمَا أَنْقَلَبَ الصُّدِيقُ مُعَادِيًا
وَحَذَارٍ لَا تُطْلَعُ عَلَيْهِ رَفِيقًا^(١)
وَلَرُبَّمَا رَجَعَ الْعَدُوُّ صَدِيقًا

وَقَالَ يَفْتَخِرُ بِشِعْرِهِ :

تَرَنَّمُ بِأَشْعَارِي وَدَعُّ كُلِّ مَنْطِقٍ
هُوَ الْعَسَلُ الْمَازِي طُورًا وَتَارَةً
يُغْنِي بِي شَادٍ وَيَحْدُو رِكَابَهُ
فَطُورًا تَرَاهُ زَهْرَةً بَيْنَ مَجْلِسٍ
وَمَا كَلَفِي بِالشُّعْرِ إِلَّا لِأَنَّهُ
عَلِقْتُ بِهِ طِفْلًا وَشَبْتُ وَلَمْ يَزَلْ
فَمَا بَعْدَ قَوْلِي مِنْ بَلَاغٍ لِمُفْلِقٍ^(١)
يُثْوِرُ الشُّجَا مِنْهُ مَكَانَ الْمُخَنِقِ^(٢)
بِهِ كُلُّ حَادٍ بَيْنَ بَيْدَاءٍ سَمَلِقٍ^(٣)
وَطُورًا تَرَاهُ لَهْذَمًا بَيْنَ فَيْلِقٍ^(٤)
مَنَارٍ لِسَارٍ أَوْ نَكَالٍ لِأَحْمَقٍ^(٥)
شَدِيدًا بِأَهْدَابِ الْكَلَامِ تَعْلِقِي^(٦)

(١) الضمير: السر.

(١) ترنم: أمر من الترنم، وهو التطريب، وتحسين الصوت والغناء. وبلاغ: كفاية وغناء. ومفلق: اسم فاعل من أفلق الشاعر، إذا أتى بالفلق، أي الأمر العجيب، والقول الرائع البديع.

(٢) الماذي: الأبيض اللين الرقيق. والطور والتارة: الحين والمرّة. والشجا: ما اعترض في الحلق من عظم وغيره، فمنع من البلع.

(٣) يحدو: يسوق ويغني، من الحداء، وهو سوق الإبل، والغناء لها. والركاب: الإبل التي يسار عليها، الواحدة راحلة، ولا واحد لها من لفظها. والبيداء: الفلاة والصحراء. والسملق: القاع الصفصف المستوي الأملس، والقفر الأجرد الذي لا شجر فيه، ولا نبات.

(٤) للهزم: الحادّ القاطع من الأسنة. والفيلق: الجيش العظيم.

(٥) كلفي: ولوعي وإغرامي وتعلقي. والنكال: شبه العقوبة والانتقام والعبرة. وأحمق: ناقص العقل، سيء التصرف.

(٦) علقت به: أحببته وأغرمت به. وأهداب الكلام: حواشيه وأطرافه. ويراد بالكلام هنا: الشعر، أو المراد البيان، والقول الفصيح البليغ، والأدب شعره ونثره.

إِذَا قُلْتُ بَيْتاً سَارَ فِي الدَّهْرِ ذِكْرُهُ
يَهِيمُ بِهِ رَبُّ الحُسَامِ حَمَاسَةً
بَلَّغْتُ بِشِعْرِي مَا أَرَدْتُ فَلَمْ أَدْعُ
فَهَذَا نَمِيرُ الشُّعْرِ فاقْصِدْ حِيَاضَهُ
مَسِيرَ الحَيَا مَا بَيْنَ غَرْبٍ وَمَشْرِيقٍ (٧)
وَتَلْهُو بِهِ ذَاتُ الوُشَاحِ المُنْمَقِ (٨)
بَدَائِعَ فِي أَكْمَامِهَا لَمْ تُفْتَقِ (٩)
لِتَرَوِي وَهَذَا مُرْتَقَى الفَضْلِ فَارْتَقِي (١٠)
وَقَالَ :

سَلِ القَلَكِ الدُّوَارَ إِنْ كَانَ يَنْطِقُ
نَسَائِلُهُ عَن شَأْنِهِ وَهُوَ صَامِتٌ
فَلَا سِرُّهُ يَبْدُو وَلَا نَحْنُ نَرَعُوِي
وَكَيْفَ تَنَالُ النَّفْسُ مِنْهُ لُبَانَةً
فَضَاءً يَرُدُّ العَيْنَ حَسْرَى وَمَسْرَحَ
وَكَيْفَ يُجِيرُ القَوْلَ أُخْرَسُ مُطْرَقُ ؟
وَنَخْبِرُ مَا فِي نَفْسِهِ وَهُوَ مُطْبِقُ (١)
وَلَا شَأُوهُ يَدْنُو وَلَا نَحْنُ نَلْحَقُ (٢)
وَأَقْرَبُ مَا فِيهِ عَنِ الظَّنِّ أُسْحَقُ ؟ (٣)
يَقْصُ جَنَاحَ الفِكْرِ وَهُوَ مُحَلِّقُ (٤)

(٧) الحيا: المطر، ويراد به هنا: السحاب.

(٨) رب الشيء: صاحبه ومالكه. والحسام: السيف القاطع. والوشاح: كرسان، أي نظامان من لؤلؤ وجوهر منظومان مخالف بينهما، معطوف أحدهما على الآخر، تتوشح المرأة به، وهو من حلى النساء، والوشاح أيضاً: أديم عريض يرصع بالجواهر تشده المرأة بين عاتقها وكشحتها. والمنمق: اسم مفعول من التمنيق، وهو النقش والتزيين والتحسين.

(٩) بدائع: جمع بديعة، مؤنث بديع، وهو المبتدع المخترع. والأكمام: جمع كم، وهو غطاء النور، والغلاف الذي ينشق عن الثمر، ويحيط به.

(١٠) النمير: الماء الزاكي الكثير الناجع المروي. والحياض: جمع حوض، وهو مجتمع الماء. والفضل: الخير والنفعة.

(١) الشأن: الأمر والحال. ونخبر: نبلو ونختبر ونمتحن. ومطبق: اسم مفعول من الإطباق، بمعنى التغطية.

(٢) نرعوي: نكف ونرجع. والشأو: الغاية والأمد.

(٣) اللبانة: الحاجة.

(٤) عين حاسر، وحاسرة وحسير: أصابها الحسور، وهو الإعياء والكلال والتعب وانقطاع النظر من

أَقَامَ عَلَى رَغْمِ الْفَنَاءِ وَكُلُّ مَا
 فَكَّمْ ثَلُّ عَرْشاً وَاسْتَبَاحَ قَبِيلَةَ
 تَحَسَّى مَرَارَاتِ الْكُبُودِ فَلَمْ تَزَلْ
 نَهَارٌ وَلَيْلٌ يَدَابَانَ وَأَنْجُمٌ
 تَرِفُّ كَزَهْرٍ طَوْحَتْهُ عَوَاصِفٌ
 سَوَابِحٌ لَا تَنْفِكُ تَجْرِي لِعَايَةِ
 فَيَأْيُهَا السَّارِي عَلَى غَيْرِ هُدْيَةٍ
 أَتَحَسَبُ أَنَّ الظَّنَّ يُدْرِكُ بَعْضَ مَا
 وَكَيْفَ يَنَالُ الْحِسُّ وَهُوَ مُحَدَّدٌ
 فَلَا تَتَّبِعِ رَبِّبَ الظُّنُونِ فَكُلُّ مَا

تَرَاهُ عَلَى وَجْهِ الْبَسِيطَةِ يَنْفُقُ^(٥)
 وَفَرَّقَ جَمْعاً وَهُوَ لَا يَتَفَرَّقُ^(٦)
 بِهِ صِبْغَةً مِنْ لَوْنِهَا فَهُوَ أُرْزَقُ^(٧)
 تَغِيبُ إِلَى مِيقَاتِهَا ثُمَّ تَشْرُقُ^(٨)
 بِلُجَّةِ مَاءٍ فَهُوَ يَطْفُو وَيَغْرُقُ^(٩)
 يُقْصِرُ عَنْهَا الْكَاهِنُ الْمُتَعَمِّقُ^(١٠)
 رُوَيْدًا فَإِنَّ الْبَابَ دُونَكَ مُغْلَقٌ^(١١)
 تُحَاوِلُهُ وَالظَّنُّ لِلْمَرْءِ مُوَبِقٌ؟^(١٢)
 سَرِيرَةٌ غَيْبٍ دُونَهَا الْحِسُّ يَصْعَقُ؟^(١٣)
 تَصَوْرَةٌ الْإِنْسَانُ وَهَمٌّ مُلْفَقٌ^(١٤)

طول مدى، وما أشبه ذلك. والمسرح: المرعى، والمراد به الموضع والمجال الذي يسرح فيه الفكر، أي يجول وينطلق.

(٥) أقام: استقر وثبت ودام. وينفق: يفنى ويزول ويهلك ويموت.

(٦) استباحهم: استأصلهم.

(٧) تحسيت الشراب: شربته في مهلة وتؤدة. والمراد بمرارات الكبود: دماؤها الوريدية المائلة إلى الزرقاء.

(٨) يدابان: المراد يتعاقبان باستمرار. وإلى ميقاتها: في وقتها وميعادها.

(٩) ترف: تهتز وتضطرب في ضياء وتلاؤ. وطوحه تطويحاً: رماه وطرحه، وذهب به هنا وهناك. ولجة الماء: معظمه.

(١٠) سوابح: تسيير وتجري جرياً سهلاً لطيفاً. والكاهن: من يخبر عن الكائنات في مستقبل الزمان، ويدعي معرفة الأسرار، ومطالعة علم الغيب.

(١١) هدية الأمر: جهته، والهدية أيضاً: القصد.

(١٢) موبق: مهلك.

(١٣) محدد: محدود، أي له حد ونهاية. والسريرة: السر الذي يكتتم. ويصعق: يغشى عليه ويهلك ويموت، والمراد أن الحس ينقطع قبل الوصول إلى سريرة الغيب.

(١٤) الريب: الشك. وملفق: مزخرف مموه بالباطل.

وَلَا تَحْسَبَنَّ الْحَدْسَ يُدْرِكُ مَا نَأَى وَآيْنَ مِنَ الْمَخْلُوقِ إِدْرَاكَ حِكْمَةٍ
 فَمَا كُلُّ جِينٍ قَائِفٌ الْحَدْسِ يَصْدُقُ (١٥)
 بِهَا يُنْشِئُ اللَّهُ الْقُرُونَ وَيَمْحَقُ؟ (١٦)
 فَلَوْ عَلِمَ الْإِنْسَانُ حَالَةَ نَفْسِهِ إِذَا الْمَرْءُ لَمْ يَمْلِكْ بَوَادِرَ وَهْمِهِ
 كَفَاهُ وَلَكِنَّ ابْنَ آدَمَ أُخْرَقُ (١٧)
 عَنِ الْقَوْلِ فِي مَا لَمْ يُفِدْ فَهُوَ أَحْمَقُ
 يَزُولُ وَمَلْبُوسُ الْجَدِيدَيْنِ يَخْلُقُ (١٨)
 سَتَخْشُنُ مِنْ بَعْدِ اللَّيَانِ وَتَخْرُقُ (١٩)
 فَإِيَّاكَ وَالْدُنْيَا فَإِنْ نَعِيمَهَا
 فَإِنَّ هِيَ أَعْطَتْكَ اللَّيَانَ فَإِنَّهَا
 فَلَا وَدَّهَا يَبْقَى وَلَا صَفْوُ عَيْشِهَا
 فَكَمْ أَخْلَفَتْ وَعَدَاً وَمَلَّتْ صَحَابَةَ
 يَدُومُ وَلَا مَوْعُودُهَا يَتَحَقَّقُ
 وَخَانَتْ وَفِيَّاءَ فَهِيَ بَلْهَاءُ تَنْزُقُ (٢٠)
 سَقِيمٌ يُغَادِي بِالْهُمُومِ وَيُطْرَقُ؟ (٢١)
 لَعَمْرُ أَبِي إِنَّ الْحَيَاةَ وَإِنْ صَفَتْ
 مَسَافَةَ يَوْمٍ فَهُوَ صَفْوٌ مَرْتَقٌ (٢٢)

- (١٥) الحدس: الظن والتخمين والتوهم. ونأى: بعد. والقائف: الذي يتبع الآثار ويعرفها، وقائف الحدس: من يتعرف الآثار بطريق الحدس والتخمين.
- (١٦) ينشئ: يخلق ويوجد. والقرون: الأمم والشعوب والأجيال، المفرد قرن، وهم أهل زمن مخصوص. ويمحق: يهلك ويعدم.
- (١٧) أخرق: جاهل أحمق.
- (١٨) الجديدان: الليل والنهار، وملبوس الجديدين: ما يلبسه الجديدان، ويتعاقبان عليه من الإنسان والحيوان والنبات والجماد، وكل ما في الحياة الدنيا من عتاد ومتاع. ويخلق: يبلى وتذهب جدته، وأخلق إخلاقاً مثله.
- (١٩) هي: أي الدنيا. وتخرق: تكذب، أو هو من الخرق: ضد الرفق، والمراد أنها تنتكر لك، وتعنف بك وتشتد.
- (٢٠) تنزق: تطيش وتسيء التصرف.
- (٢١) الدهر: الزمان الطويل. والأسى: الحزن. وسقيم: مريض. ويغادي: يباكر، أي تغاديه الهموم وتباكره وتتابه وتصيبه غدوة، أي صباحاً. ويطرق: ينزل به ليلاً.
- (٢٢) مرتق: مكدر.

فَفِيمَ يَوَدُّ الْمَرْءُ طُولَ حَيَاتِهِ
وَمَا الدَّهْرُ إِلَّا مُسْتَعِدُّ لِمُؤْتَبَةٍ
كَأَنَّ هِلَالَ الْأَفْقِ سَيْفٌ مُجْرَدٌ
أَبَادَ بَنِيهِ ظَالِمًا غَيْرَ رَاحِمٍ
فَلَا تَبْتِئُ بِالْأَمْرِ تَخْشَى وَقُوعَهُ
فَمَا كُلُّ مَا تَهْوَاهُ يَأْتِيكَ بِالْمُنَى
وَكُنْ وَاثِقًا بِاللَّهِ فِي كُلِّ مِحْنَةٍ

وَقَالَ وَهُوَ «بِسَرْنَدِيْبَ» :

أَسَلَّةُ سَيْفٍ أَمْ عَقِيْقَةٌ بَارِقِ
لَوَى الرِّكْبُ أَعْنَاقًا إِلَيْهَا خَوَاضِعًا
وَفِي حَرَكَاتِ الْبَرْقِ لِلشُّوقِ آيَةٌ
أَضَاءَتْ لَنَا وَهْنَا سَمَاوَةَ بَارِقِ (١)
بِزَفْرَةٍ مَحْزُونٍ وَنَظْرَةٍ وَامِقِ (٢)
تَدُلُّ عَلَيَّ مَا جَنَّهُ كُلُّ عَاشِقِ (٣)

(٢٣) شمل الهناء: ما اجتمع من دواعيه وأسبابه

(٢٤) مجرد: مسلول مخرج من غمده، وذلك عند الكفاح والقتال. وتفويق السهم: كتجرید السيف، أي إعداده للرمي بوضعه في وتر القوس.

(٢٥) أباد: أهلك وقتل.

(٢٦) لا تبتئس: لا تحزن، ولا تهتم. ويفرق: يفرع ويخاف.

(٢٧) المحنة: اسم من محنه أي امتحنه وابتلاه واختبره. وأولى: أحق وأجدر.

(١) سلّة: اسم مرّة من سلّ الرجل سيفه أي انتزعه وأخرجه من غمده. والعقيقة: ما يبقى في السحاب من شعاع البرق، أو هي البرقة التي تستطيل وتمتد في عرض السحاب. ووهناً: في نصف الليل، أو بعد ساعة منه، أو الوهن: حين يدبر الليل. وبارق: موضع قريب من الكوفة، وقد أراد به الشاعر هنا: وطنه وديار أهله.

(٢) الركب: ركاب الإبل في السفر، وهم العشرة فما فوقها، وقد يطلق على ركبان الخيل وغيرها، مفردة راكب. ولّى جماعة الراكبين أعناقهم إليها: كناية عن هيامهم، وشدة تعلقهم، وفرط اشتياقهم. ووامق: اسم فاعل من ومقه، أي أحبه وأغرم به وتعلق.

(٣) آية: علامة. وجنّه: ستره وأخفاه.

تَفْضُ جُفُوناً عَنْ دُمُوعِ سَوَائِلٍ
وَكَيْفَ يَعْجِي سِرَّ الْهَوَى غَيْرُ أَهْلِهِ
لَعَمْرُ الْهَوَى إِنِّي لَدُنْ شَفْنِي النَّوَى
كَفَى بِمَقَامِي فِي « سَرْنَدِيبَ » غُرْبَةً
وَمَنْ رَامَ نَيْلَ الْعِزِّ فَلْيُضْطَبِرْ عَلَى
فَإِنْ تَكُنِ الْأَيَّامُ رَنْقَنَ مَشْرَبِي
فَمَا غَيْرَتْنِي مِحْنَةٌ عَنْ خَلِيقَتِي
وَلَكِنِّي بَاقٍ عَلَى مَا يَسُرُّنِي
فَحَسْرَةٌ بُعْدِي عَنْ حَبِيبِ مُصَادِقِي
فَتَيْلَكَ بِهَذِي وَالنَّجَاةُ غَنِيمَةٌ

وَتَفْرِي صُدُوراً عَنْ قُلُوبِ خَوَافِقِي (٤)
وَيَعْرِفُ مَعْنَى الشُّوقِ مَنْ لَمْ يُفَارِقِ (٥)
لَفِي وَلَهُ مِنْ سَوْرَةِ الْوَجْدِ مَا حَقِي (٦)
نَزَعْتُ بِهَا عَنِّي ثِيَابَ الْعَلَائِقِ (٧)
لِقَاءِ الْمَنَايَا وَاقْتِحَامِ الْمَضَائِقِ (٨)
وَتَلْمَنَ حَدِّي بِالْخُطُوبِ الطَّوَارِقِ (٩)
وَلَا حَوْلَتْنِي خُدَعَةٌ عَنْ طَرَائِقِي (١٠)
وَيُغْضِبُ أَعْدَائِي وَيُرْضِي أَصَادِقِي (١١)
كَفَّرَحَةَ بُعْدِي عَنْ عَدُوِّ مَمَازِقِي (١٢)
مِنَ النَّاسِ وَالدُّنْيَا مَكِيدَةٌ حَازِقِي (١٣)

(٤) تفضّ: تزيل وتكشف. وتفري: تشق وتقطع.

(٥) يعي: يخفظ ويعرف.

(٦) لعمر الهوى: قسم بحياة الهوى. ولدن: ظرف زمني بمعنى منذ. وشفني: هزلني وأصناني وأضعفني. والنوى: البعد. والوله: شدة الحزن، أو ذهاب العقل من الحزن. وسورة الوجد: حدته وشدته. وماحق: مهلك.

(٧) العلائق: الصلات والروابط، الواحدة علاقة.

(٨) الاقتحام: مصدر اقتحم فلان عقبة أو وهدة أو نهراً، أي رمى بنفسه فيها على شدة ومشقة. والمضايق: الصعاب والشدائد.

(٩) رنقن: كدرن وعكرن. وتلمن: فلن وكسرن. وحدي: بأسى وقوتي. والخطوب: النوازل والشدائد، الواحد خطب. والطوارق: جمع طارق، اسم فاعل من طرق الطارق الباب، أي قرعه، أو من طرقنا فلان طروقاً، أي جاءنا ليلاً.

(١٠) المحنة: البلوى. والخليقة: الطبيعة. والطرائق: جمع طريقة، وهي المذهب.

(١١) أصادقي: أصدقائي وأحبائي.

(١٢) ممَازق: غير مخلص، اسم فاعل من ماذقه في الوداد مذاقاً، أي كذب وناق ولم يخلص.

(١٣) هذي: إشارة إلى الفرحة. والمكيدة: اسم من كاده كيداً، أي خدعه ومكره به. وحاذق: صفة من الحذق، وهو المهارة.

أَلَا أَيُّهَا الزَّارِي عَلَيَّ بِجَهْلِهِ
 تَعَزَّزَ عَنِ الْعَلْيَاءِ بِاللُّؤْمِ وَأَعْتَزَلَ
 فَمَا أَنَا مِمَّنْ تَقْبَلُ الضِّيمَ نَفْسُهُ
 إِذَا الْمَرْءُ لَمْ يَنْهَضْ لِمَا فِيهِ مَجْدُهُ
 وَأَيُّ حَيَاةٍ لِأَمْرِيءٍ إِنْ تَنَكَّرَتْ
 فَمَا قَذَفَاتُ الْعِزِّ إِلَّا لِمَاجِدٍ
 يَقُولُ أَنَا سٌ إِنِّي تُرْتُ خَالِعاً
 وَلَكِنِّي نَادَيْتُ بِالْعَدْلِ طَالِباً
 أَمَرْتُ بِمَعْرُوفٍ وَأَنْكَرْتُ مُنْكَرًا
 فَإِنْ كَانَ عِصْيَانًا قِيَامِي فَإِنِّي
 وَلَمْ يَذُرْ أَنِّي دُرَّةٌ فِي الْمَفَارِقِ (١٤)
 فَإِنَّ الْعُلَا لَيْسَتْ بِلُغْوِ الْمَنَاطِقِ (١٥)
 وَيَرْضَى بِمَا يَرْضَى بِهِ كُلُّ مَائِقٍ (١٦)
 قَضَى وَهُوَ كُلُّ فِي خُدُورِ الْعَوَاتِقِ (١٧)
 لَهُ الْحَالُ لَمْ يَعْقِدْ سُبُورَ الْمَنَاطِقِ؟ (١٨)
 إِذَا هُمْ جَلَى عَزْمُهُ كُلُّ غَاسِقٍ (١٩)
 وَتِلْكَ هَنَاتٌ لَمْ تَكُنْ مِنْ خَلَائِقِي (٢٠)
 رِضَا اللَّهِ وَاسْتَنْهَضَتْ أَهْلَ الْحَقَائِقِ (٢١)
 وَذَلِكَ حُكْمٌ فِي رِقَابِ الْخَلَائِقِ
 أَرَدْتُ بِعِصْيَانِي إِطَاعَةَ خَالِقِي

- (١٤) الزاري: اسم فاعل من زرى عليه، أي عابه، أو استهزأ به، أو أنكر عليه فعله. والدرّة: اللؤلؤة العظيمة. والمفارق: جمع مفرق، وهو وسط الرأس حيث يفرق الشعر.
- (١٥) اللغو: أخلاط الكلام وباطله. والمناطق: جمع منطق، وهو القول.
- (١٦) الضيم: الظلم. ومائق: أحمق غبي.
- (١٧) قضى: هلك، ومات. وكل: ثقيل، لا خير فيه. وخدور: جمع خدر، وهو الستر، ويطلق الخدر على البيت إن كان فيه امرأة. والعواتق: جمع عاتق، وهي الشابة أول ما أدركت، أو الجارية إن لم تتزوج.
- (١٨) تنكّرت: تغيّرت. والسيور: جمع سير، وهو ما يقدّ من الجلد. والمناطق: جمع منطق أو منطقة، وهو كل ما شددت به وسطك، ومثلهما النطاق، وقريب منه الحزام، وإنما يكون الانتطاق عند معاناة الأشغال، وعقد سيور المناطق: كناية عن الاستعداد للأمر.
- (١٩) قذفات العز: أعاليه، ومراتبه الرفيعة، ودرجاته السامية، وهو مستعار من قذفات الجبل. وهم بالشيء: أراده. وجلّى: كشف. وغاسق: مظلم.
- (٢٠) خالعا: خارجاً عن الطاعة. وهنات: خصال سوء. وخلائقي: طبائعي، الواحدة خليقة، وهي الطبيعة والخلق والسجية.
- (٢١) في الأصل المخطوط نقص. ولفظ الجلالة (الله) تكلمة أقمنا بها وزن البيت. واستنهضته

وَهَلْ دَعْوَةُ الشُّورَى عَلَيَّ غَضَاضَةٌ
 بَلَى إِنَّهَا فَرَضٌ مِنَ اللَّهِ وَاجِبٌ
 وَكَيْفَ يَكُونُ الْمَرْءُ حُرًّا مُهْتَدِبًا
 فَإِنْ نَافَقَ الْأَقْوَامُ فِي الدِّينِ غَدْرَةٌ
 عَلَيَّ أَنِّي لَمْ آلُ نَصْحًا لِمَعْشَرٍ
 رَأَوْا أَنْ يَسُوسُوا النَّاسَ قَهْرًا فَاسْرَعُوا
 فَلَمَّا اسْتَمَرَ الظُّلْمُ قَامَتْ عِصَابَةٌ
 وَشَايَعَهُمْ أَهْلُ الْبِلَادِ فَأَقْبَلُوا
 يَرُومُونَ مِنْ مَوْلَى الْبِلَادِ نَفَادًا مَا
 فَلَمَّا أَبَى الْحُكَّامُ إِلَّا تَمَادِيًا
 وَفِيهَا لِمَنْ يَبْغِي الْهُدَى كُلُّ فَارِقٍ؟ (٢٢)
 عَلَى كُلِّ حَيٍّ مِنْ مَسُوقٍ وَسَائِقٍ (٢٣)
 وَيَرْضَى بِمَا يَأْتِي بِهِ كُلُّ فَاسِقٍ؟ (٢٤)
 فَإِنِّي بِحَمْدِ اللَّهِ غَيْرُ مُنَافِقٍ
 أَبِي غَدْرُهُمْ أَنْ يَقْبَلُوا قَوْلَ صَادِقٍ (٢٥)
 إِلَى نَقْضِ مَا شَادَتْهُ أَيْدِي الْوَثَائِقِ (٢٦)
 مِنَ الْجُنْدِ تَسْعَى تَحْتَ ظِلِّ الْخَوَافِقِ (٢٧)
 إِلَيْهِمْ سِرَاعًا بَيْنَ آتٍ وَلَا حَقِ (٢٨)
 تَأَلَّاهُ مِنْ وَعْدِ إِلَى النَّاسِ صَادِقٍ (٢٩)
 وَحَالَ طِلَابُ الْحَقِّ دُونَ التَّوَافِقِ (٣٠)

للأمر: دعوته إليه، وحضضته عليه. والمراد بأهل الحقائق: حماة البلاد، والذائدون عن
 الوطن والحافظون لحقوقه، أو هو يريد: أهل الحق الذين يعرفونه، ويستجيبون له.
 (٢٢) الشورى: اسم من تشاور القوم، واشتروا، وشاورته في كذا، واستشرته، أي راجعته، لأرى
 رأيه فيه، فأشار عليّ بكذا، أي أراني ما عنده فيه من المصلحة. وغضاضة: نقص وعيب.
 وكلّ فارق: المراد كل فارق بين الحق والباطل، والهدى والضلال.
 (٢٣) يريد بالمسوق: المحكوم، وبالسائق: الحاكم.
 (٢٤) فاسق: اسم فاعل من الفسوق، وهو مخالفة أمر الله تعالى، والخروج عن طاعته.
 (٢٥) لم آل نصحا: لم أقصر في إسداء النصح. والمعشر: الجماعة من الناس.
 (٢٦) يسوسون الناس: يحكمونهم، ويقومون بأمرهم، ويدبرون شؤونهم.
 (٢٧) عصابة: جماعة. ويراد بالخوافق: الرايات والأعلام، والسعي تحت ظلّ الخوافق: كناية عن
 الالتجاء إلى القوة.
 (٢٨) شايعهم: تابعهم.
 (٢٩) مولى البلاد: سيدها وحاكمها، والمراد به الخديوي «توفيق باشا». وتألاه: أقسم عليه
 وحلف.
 (٣٠) يريد بالحكّام: بطانة الخديوي توفيق ووزراء الذين أعانوه على خلف الوعد، وزينوا له

أَنَسُ شَرَوْا حِزْيَ الضَّلَالَةِ بِالْهُدَى
 فَجَاؤُوا إِلَيْهِمْ يَنْصُرُونَ ضَالَّاهُمْ
 فَلَمَّا اطْمَأَنَّنُوا فِي الْبِلَادِ وَأَيَّقُنُوا
 أَقَامُوا وَقَالُوا تِلْكَ يَا قَوْمُ أَرْضُنَا
 وَعَاثُوا بِهَا يَنْفُونَ مَنْ خِيفَ بِأَسْهُ
 وَأَصْبَحَ وَادِي النَّيْلِ نَهْبًا وَأَصْبَحَتْ
 فَهَذَا هُوَ الْحَقُّ الْمُبِينُ فَلَا تَسْلُ
 قِيَا « مِصْرُ » مَدَّ اللَّهُ ظِلَّكَ وَارْتَوَى
 نِفَاقًا وَبَاعُوا الدِّينَ مِنْهُمْ بِدَانِقٍ (٣١)
 بِخُدْعَةٍ مُغْتَالٍ وَحِيلَةٍ سَارِقٍ (٣٢)
 بِعَجْزِ الْمُحَامِي دُونَهَا وَالْمَوَاتِقِ (٣٣)
 وَمَا أَحَدٌ مِّنَّا لَهَا بِمُفَارِقِ
 عَلَيْهِمْ وَكَانَتْ تِلْكَ إِحْدَى الْبَوَاتِقِ (٣٤)
 إِمَارَتُهُ الْقَعْسَاءُ نُهْزَةً مَارِقِ (٣٥)
 سِوَايَ فَإِنِّي عَالِمٌ بِالْحَقَائِقِ (٣٦)
 ثَرَاكِ بِسَلْسَالٍ مِنَ النَّيْلِ دَافِقِ (٣٧)

الاستبداد بالحكم، والتنكر لدعاة الشورى. وتمادى في غيّه تمادياً: لَجَّ فيه، ودام عليه، وبلغ مداه، أي غايته.

(٣١) خزي الضلالة: الضلالة المخزية المردية. وناقق نفاقاً: أظهر خلاف ما يبطن. والدانق: سدس الدرهم، وباعوا الدين منهم بدانق: أي باعوا دينهم بثمان بخس.

(٣٢) الخدعة: الحيلة الممقوتة، والمكر السيء. ومغتيال: اسم فاعل من اغتاله اغتيالاً، أي أخذه من حيث لا يدري، وقتله غيلة، أي بالخديعة، أو أهلكه على غرة، أي على غفلة.

(٣٣) المحامي: المدافع. والمواتق: المعاهد، ويراد بالمحامين والمواتقين: الوطنيون المخلصون الصادقون من رجال الثورة العرابية الذين توثقوا على الدفاع عن وطنهم، ونصرته وحمائته، والجهاد في سبيل عزته.

(٣٤) عاثوا: أفسدوا. والبأس: الشجاعة والقوة والشدة. والبواتق: الشرور، والغوائل والدواهي، جمع بائقة. و«تلك»: إشارة إلى نفيهم من خافوا بأسه وشجاعته وانقضاضه عليهم.

(٣٥) وادي النيل: مصر والسودان، وملحقاته، وما كان تحت سيطرة مصر من البلاد الأفريقية. والنهب: الغنيمة. والإمارة: الولاية والحكم والسلطان، أو منصب الأمير، وهو الوالي والحاكم والملك. والقعساء: العزيزة المنيعة الثابتة. والنهزة: الفرصة. ومارق: اسم فاعل من مرق من دينه: أي خرج منه بضلالة أو بدعة.

(٣٦) المبين: الواضح الظاهر.

(٣٧) مدَّ الله ظلك: دعاء لها بزيادة الخضرة والنضرة، واتساع الرقعة. والثرى: الأرض. وسلسال: ماء عذب.

وَلَا بَرِحَتْ تَمْتَارُ مِنْكَ يَدُ الصَّبَا
 فَأَنْتِ حِمَى قَوْمِي وَمَشْعَبُ أُسْرَتِي
 بِبِلَادٍ بِهَا حَلُّ الشَّبَابِ تَمَائِمِي
 إِذَا صَاغَهَا بَهْزَارُ فِكْرِي تَصَوَّرْتُ
 تَرَكْتُ بِهَا أَهْلًا كِرَامًا وَجِيرَةً
 هَجَرْتُ لَدِيدَ الْعَيْشِ بَعْدَ فِرَاقِهِمْ
 فَهَلْ تَسْمَحُ الْأَيَّامُ لِي بِإِلْقَائِهِمْ
 لَعْمَرِي لَقَدْ طَالَ النُّوَى وَتَقَطَّعَتْ
 أُرَيْجًا يُدَاوِي عَرْفُهُ كُلُّ نَاشِقٍ (٣٨)
 وَمَلْعَبُ أْتْرَابِي وَمَجْرَى سَوَابِقِي (٣٩)
 وَنَاطَ نِجَادَ الْمَشْرِفِي بِعَاتِقِي (٤٠)
 لِعَيْنِي فِي زِيٍّ مِنَ الْحُسْنِ رَائِقٍ (٤١)
 لَهُمْ جِيرَةٌ تَعْتَاذُنِي كُلُّ شَارِقٍ (٤٢)
 وَوَدَّعْتُ رِيْعَانَ الشَّبَابِ الْغُرَانِقِ (٤٣)
 وَيَسْعَدُ فِي الدُّنْيَا مَشُوقٌ بِشَائِقِي ؟
 وَسَائِلُ كَانَتْ قَبْلُ شَتَى الْمَوَائِقِ (٤٤)

(٣٨) تمّار: تستفيد. والصبأ: ربح تهبّ في بلاد العرب من مطلع الشمس، وهي أحبّ الرياح إليهم. والأريج: توهج ربح الطيب. والعرف: الرائحة الطيبة. يدعو لمصر بأن تبقى على الدوام ناضرة مخصبة، كثيرة النبات، طيبة الزهر.

(٣٩) الحمى: المكان المحميّ المصون، الذي لا يقرب ولا يجترأ عليه. ومشعب: مجمع، اسم مكان من شعبت الشيء، أي جمعته. والمراد أن أسرته نمت في مصر وانشعبت وتفرّعت. والأتراب: جمع تراب، وهو اللدة، أي من ولد معك، وكانت سنّه مثل سنك. ويريد بالسوابق: خيله الجياد.

(٤٠) التمايم: جمع تميمة، وهي عوذة تعلق على الإنسان في طفولته، لتدفع عنه العين، أو هي خرزة رقطاء تنظم في السير، ثم يعقد في العنق، وحلّ التمايم: كناية عن مجاوزة الإنسان طور الطفولة. وناط فلان الشيء بالشيء: علّقه به. ونجاد السيف: حمالته وعلاقته. والمشرفي: السيف المنسوب إلى مشارف الشام، أي قراها وبلادها. والعاتق: ما بين المنكب والعنق، وهو موضع الرداء.

(٤١) صاغها: استحضرت صورتها. وبهزار: من البهزر وهو الحصيف العاقل، والشريف، أو هو «بهزاد»: أي فكري الشبيه بهزاد (١٤٥٠ - ١٥٣٧) (كمال الدين أستاذ): مُصَوِّرُ رَسَامِ فَنَانِ خَطَّاطٍ، ولد في «هراة» وهو أشهر مُصَوِّرِي الفُرْسِ. والزّي: الهيئة. ورائق: معجب رائع، اسم فاعل من راقني الشيء: أي أعجبنى.

(٤٢) الشارق: الشمس حين تشرق، والمراد وقت الشروق.

(٤٣) ريعان الشباب: أفضله وأوله ومقبله. والغرائق: التأم الجميل الناعم.

(٤٤) النوى: الفرقة والبعد. والوسائل: الذرائع والأسباب والروابط، الواحدة وسيلة، وهي ما

فَإِن تَكُنِ الْأَيَّامُ سَاءَتْ صُرُوفُهَا فَإِنِّي بِفَضْلِ اللَّهِ أَوَّلُ وَائْتِ (٤٥)
فَقَدْ يَسْتَقِيمُ الْأَمْرُ بَعْدَ اغْوَجَاجِهِ وَيَرْجِعُ لِلْأُوطَانِ كُلِّ مُفَارِقِ

يتقرب به إلى الشيء. وشئى : متفرقة مختلفة، والمراد كثيرة منوعة. والمواثق : جمع موثق، وهو الميثاق والعهد.
(٤٥) صروف الأيام : أحداثها ونوائبها. وفضل الله : خيره ورحمته وبره وإحسانه.

قافية الكاف

قال في الغزل :

غَلَبَ الْوَجْدُ عَلَيْهِ فَبَكَى وَتَوَلَّى الصُّبْرُ عَنْهُ فَشَكَا^(١)
وَتَمَنَّى نَظْرَةَ يَشْفِي بِهَا عِلَّةَ الشُّوقِ فَكَانَتْ مَهْلَكَا
يَا لَهَا مِنْ نَظْرَةٍ مَا قَارَبَتْ مَهْبِطَ الْحِكْمَةِ حَتَّى انْهَتَكَا^(٢)
نَظْرَةٌ ضَمَّ عَلَيْهَا هُدْبَهُ ثُمَّ أَغْرَاهَا فَكَانَتْ شَرَكَا^(٣)
غَرَسَتْ فِي الْقَلْبِ مِنِّي حُبَّهُ وَسَقَتَهُ أَذْمُعِي حَتَّى زَكَا^(٤)
أَوْ مِنْ بَرْحِ الْهَوَى إِنْ لَهُ بَيْنَ جَنْبَيَّ مِنَ النَّارِ ذَكَا^(٥)
كَانَ أَبْقَى الْوَجْدُ مِنِّي رَمَقًا فَاحْتَوَى الْبَيْنُ عَلَى مَا تَرَكََا^(٦)
إِنْ طَرَفِي غَرَّقَلْبِي فَمَضَى فِي سَبِيلِ الشُّوقِ حَتَّى هَلَكََا
قَدْ تَوَلَّى إِثْرَ غِرْلَانِ النَّقَا لَيْتَ شِعْرِي أَيَّ وَاذٍ سَلَكََا؟^(٧)

(١) تولى : أدبر وذهب .

(٢) المهبط : كنى بمهبط الحكمة عن القلب . وانتهك : انشق وتقطع وتمزق .

(٣) أغراها : المراد سلطها على المحب ، ووجهها إليه . والشرك : حبال الصيد ، وما ينصب للطير .

(٤) زكا : نما وترعرع .

(٥) برح الهوى : شدة الوجد ، وتبريح الغرام . وذكا : مصدر ذكت النار ، أي اشتد لهبها ، وعظم اتقادها .

(٦) الرمق : بقية الحياة في المحتضر والمذبوح ونحوهما .

(٧) النقا : الكتيب من الرمل ، أو القطعة منه تنقاد محدودة . وليت شعري : ليتني أشعر وأعلم .

لَمْ يَعُدْ بَعْدُ وَظَنِّي أَنَّهُ
وَنَحَ قَلْبِي مِنْ غَرِيمٍ مَاطِلٍ
ظَنَّ بِي سُوءاً وَقَدْ سَاوَمْتُهُ
فَاغْتَفِرْهَا زَلَّةً مِنْ خَاطِيءٍ
يَا غَزَالاً نَصَبْتَ أَهْدَابَهُ
قَدْ مَلَكَتِ الْقَلْبَ فَاسْتَوْصِرْ بِهِ
لَا تُعَذِّبُهُ عَلَى طَاعَتِهِ
غَلَبَ الْيَأْسُ عَلَى حُسْنِ الْمُنَى
فَالِي مَنْ أَشْتَكِي مَا شَفَّنِي
سَلَكْتُ نَفْسِي سَبِيلاً فِي الْهَوَى
وَقَالَ فِي الْغَزْلِ أَيْضاً :

يَا وَنَحَ نَفْسِي مِنْ هَوَى شَادِنٍ
ذِي نَظْرَةٍ كَالسُّحْرِ لَوْ صَادَفْتُ
غَازَلَ قَلْبِي لَحَظُهُ فَا نَهَتْكَ (١)
غَمَزْتُهَا لَيْتَ وَغَى مَا فَتَكَ (٢)

- (٨) لَجَّ فِي الْأَمْرِ: لَازَمَهُ، وَوَاظَبَ عَلَيْهِ، وَأَمَعَنَ فِيهِ، وَالْحَ .
(٩) الْغَرِيمُ: الَّذِي عَلَيْهِ الدَّيْنُ، وَقَدْ يَسْتَعْمَلُ الْغَرِيمَ بِمَعْنَى الدَّائِنِ .
(١٠) أَزَوَّرَ: انْحَرَفَ وَأَعْرَضَ. وَفَرَكَ: أَبْغَضَ وَكَرِهَ، يُقَالُ: فَلَانَةٌ فَارَكَ مِنَ الْفَوَارِكِ، وَهِيَ خِلَافُ الْعُرُوبِ، وَقَدْ فَرَكَتْ زَوْجَهَا فَرَكَاً، نَقِيضُ عَشَقْتَهُ عَشَقاً .
(١١) تَيَمَّتْهُ: عَبَدَتْهُ وَذَلَّلَتْهُ .
(١٢) شَفَّهُ الْهَمُّ وَالْمَرَضُ: هَزَلَهُ وَأَوْهَنَهُ وَأَضْنَاهُ وَأَضْعَفَهُ .
(١) الشَادِنُ: وَلَدُ الظَّبْيَةِ إِذَا قَوِيَ وَتَرَعَرَعَ وَاسْتَعْنَى عَنِ أُمِّهِ، وَمِثْلُهُ أَوْ قَرِيبٌ مِنْهُ الْغَزَالُ، وَبِهِ تَشْبَهُ الْحَسَنَاءِ مِنَ النِّسَاءِ فِي الرِّشَاقَةِ، وَلَطْفِ الْحَرَكَةِ، وَحُسْنِ التَّنْيِ، وَجَمَالِ الْجِيدِ وَالْعَيْنَيْنِ، وَفِي التَّشْبِيهِ إِشَارَةٌ إِلَى حَدَاثَةِ سَنِّ الْحَسَنَاءِ، وَهِيَ أَوْتَمُّ فِي الْجَمَالِ. وَأَنهَتْكَ: انشَقَّ أَوْ تَقَطَّعَ وَتَمَزَّقَ .
(٢) ذِي: صَاحِبِ، وَهُوَ نَعْتٌ لِشَادِنٍ فِي الْبَيْتِ السَّابِقِ. وَغَمَزْتُهَا: إِشَارَتُهَا وَحَرَكَتُهَا. وَاللَّيْثُ:

فَكَيْفَ أَحْمِي مُهْجَتِي بَعْدَمَا
خَامَرَهَا الْوَجْدُ فَطَارَتْ بِتَكَ؟ (٣)
فَلَا يَلْمَنِي غَافِلٌ فَالْهَوَى
سَيْفٌ إِذَا مَرَّ بِشَيْءٍ بِتَكَ (٤)
مَاذَا عَلَى مَنْ بَخِلْتَ نَفْسُهُ
بِالْوَصْلِ لَوْ قَبِلْتُ طَرْفَ الْأَتَكِ؟ (٥)
وَقَالَ :

تَاللَّهِ لَسْتُ بِهَالِكٍ جُوعاً وَلَا
لَاقٍ وَإِنْ طَوَّفْتَ إِلَّا رِزْقَكَ (١)
إِنْ كُنْتَ تُؤْمِنُ بِالَّذِي خَلَقَ الْوَرَى
وَأَقَاتَهُ فَعَلَامَ تَقْتُلُ نَفْسَكَ؟ (٢)
وَقَالَ فِي الزُّهْدِ :

يَا قَلْبُ مَا لَكَ لَا تُفِي
تُ مِنْ الْهَوَى يَا قَلْبُ مَا لَكَ؟
أَوْ مَا بَدَا لَكَ أَنْ تَعُو
دَعَنِ الصَّبَا؟ أَوْ مَا بَدَا لَكَ؟
أَمْ خِلْتَ أَنْ يَدَ الزَّمَا
نِ قَصِيرَةٌ عَنْ أَنْ تَنَالَكَ
هَيْهَاتَ صَدُّ بِكَ الْهَوَى
عَنْ أَنْ تَرِيحَ وَلَنْ أَخَالَكَ (١)
سَلِّمْ أُمُورَكَ لِالَّذِي
أَنْشَاكَ مِنْ عَدَمٍ وَعَالَكَ (٢)

- الأسد، وهو مستعار هنا للرجل الشجاع. والوغى: الحرب. وفتك: جرؤ وأقدم وحارب وقتل وجرح.
- (٣) مهجتي: نفسي. وخامرها: خالطها وداخلها. وبتك: جمع بتكة، وهي القطعة من الشيء المبتوك، أي المقطوع، من ريش أو شعر أو غيرهما.
- (٤) بتك: قطع.
- (٥) الأتك: الذيل، وهي كلمة غير عربية.
- (١) طوّفت: أكثرت الطواف والتجوال، والمراد الاجتهاد، وكثرة السعي في طلب الرزق.
- (٢) الورى: الخلق. وأقاته: حفظه ورزقه.
- (١) صدّ بك الهوى: أي أمعنت فيه، فابتعد بك. ورايح يريح: عاد، ورجع. و«لن أخالك»: أي ولن أظنك مقلعاً عن الهوى، عائداً إلى الهدى.
- (٢) أنشاك: أصله الهمز، من الإنشاء، وهو الخلق والإيجاد. وعالك: كفلك، ورزقك، وسر لك أسباب المعيشة والحياة.

وَدَعِ التَّعَلُّقَ بِالْمُحَا
فَعَسَاكَ تَنْزِعُ مِنْ يَدِ الْ
لِ فَإِنَّهُ يَبْرِي مِحَالِكَ (٣)
أَهْوَاءِ يَا قَلْبِي جِبَالِكَ
وَقَالَ :

يَا بَانَةَ مَنْ لِي بِضَمِّكَ ؟
يَا بِنْتَ سَيِّدَةِ النُّسَا
مَا فِيَّ مِنْبِتُ شَعْرَةٍ
كَلًّا وَلَا فِي مُهَجَّتِي
أُضْبَحْتُ مُمْتَنِعَ الْكَرَى
إِنْ لَمْ تَجُودِي بِاللُّقَا
فَتَسَامِجِي لِي مَرَّةً
يَا زَهْرَةَ مَنْ لِي بِشَمِّكَ ؟ (١)
ءِ تَرْفُقِي بِحَيَاةِ أُمَّكَ
إِلَّا بِهِ أَثْرُ لِسَهْمِكَ
مِنْ طُولِ صَدِّكَ غَيْرُهُمْكَ (٢)
لَمَّا جَفَانِي بَدْرُ تَمِّكَ (٣)
ءِ عَلَى الْمُجِبِّ وَلَا بِلَثْمِكَ (٤)
حَتَّى أَفُوزَ بِلَثْمِ كُمَّكَ

(٣) المُحَال: ما اقتضى الفساد من كلِّ وجه، ومن معانيه الباطل والمعوج، وغير الممكن.
والمِحَال: القوَّة والقدرة.

(١) البانَة: واحدة البان، وهو ضرب من الشجر، سَبَطُ القوام، وفيه مع السبُوطَة والاعتدال لين
ومرونة، وورقه كورق الصُّفصاف. وبالبان تشبَّه حسان النساء في حسن الطول، وجمال القد،
واعتدال القوام، والمرونة.

(٢) المهجة: النفس، والروح، ودم القلب، وقد تطلق ويراد بها القلب. والصدَّ، والصدود:
الإعراض، والقطيعة، والصدوف، والهجران. والهَمُّ: الحزن والقلق.

(٣) الكرى: النوم، والنعاس. وجفاني: أعرض عني، وهجرني. والبدر: القمر ليلة كماله، وتمام
ضياته في منتصف الشهر العربي.

(٤) اللثم: التقبيل.

قافية الالام ذم الحكام وحض الناس على طلب العدل في الأحكام

وقال يذم سيرة الحكام ، ويحضّ الناس على طلب العدل في الأحكام ، وذلك في عهد « إسماعيل (*) باشا » خديوي مصر :

قَلَّدْتُ جِيدَ الْمَعَالِي حَلِيَّةَ الْغَزَلِ وَقُلْتُ فِي الْجِدِّ مَا أُغْنِي عَنِ الْهَزْلِ (١)
يَأْبَى لِي الْغِيَّ قَلْبٌ لَا يَمِيلُ بِهِ عَنْ شَرَعَةِ الْمَجْدِ سِحْرُ الْأَعْيُنِ النُّجْلِ (٢)

(*) إسماعيل باشا : الخديوي إسماعيل بن إبراهيم باشا بن محمد علي باشا ، ولد بالقاهرة سنة ١٨٣٠ م ، وتربى بمصر في طفولته ، ومستهلّ شبابه ، ثم أرسله جدّه إلى فرنسا ، فأتمّ تعلّمه بكلية « سنت سير » الحربية . ولما توفي الخديوي « سعيد » في ١٨ من يناير سنة ١٨٦٣ تولى بعده حكم مصر ، فنهض بها في شتى النواحي الاقتصادية ، والتعليمية ، والعمرائية ، والسياسية ، وعني بالحربية والبحرية . ومنح لقب « خديوي » ، وهي كلمة فارسية الأصل ، معناها « سيّد » . وفي عهده تمّ حفر قناة السويس .

وقد جاءت هذه القصيدة في سبعين بيتاً ، افتتحت بها قافية اللام في الديوان المخطوط . ولا ريب أن الشاعر نظمها في أواخر حكم الخديوي إسماعيل لما ساءت الأحوال ، وارتبكت مالية مصر ، وأرهقتها الديون المتراكمة ، وتدخّل الأجانب في شؤونها ، وتبرّم الأهالي بهذا الحكم السفه الفاسد ، وأجمع الناس على وجوب خلع ذلك الحاكم .

(١) قَلَّدْتَهُ الْقَلَادَةَ : جعلتها في عنقه . والقلادة : ما يزين العنق من الحلّي ونحوه . والجيد : العنق . وحلية الغزل : الغزل الشبيه بالحلية ، جعل غزله بالمعالي حلية . ومعنى الشطر الثاني : أنه نظم هذه القصيدة في الجّد ومعالي الأمور مستغنياً بها عن الهزل والدعابة والمزاح .

(٢) يَأْبَى : يمتنع ، ويأبى له قلبه الغيّ : ينزّهه عن الغيّ ، وهو الجهل ، والضلال . ولا يميل

أَهِيْمُ بِالْبَيْضِ فِي الْأَعْمَادِ بِأَسِمَةٍ عَنْ غُرَّةِ النَّصْرِ لَا بِالْبَيْضِ فِي الْكِلِّ (٣)
لَمْ تُلْهِنِي عَنْ طِلَابِ الْمَجْدِ غَانِيَةٌ فِي لَذَّةِ الصَّحْوِ مَا يُغْنِي عَنِ الثَّمَلِ (٤)
كَمْ بَيْنَ مُنْتَدِبٍ يَدْعُو لِمَكْرَمَةٍ وَبَيْنَ مُعْتَكِفٍ يَبْكِي عَلَى طَلَلٍ (٥)

به : لا يميله ، ولا يصرفه . وشرعة المجد : طريقه ومنهاجه . وسخره : استماله ، وقتنه .
وعين نجلاء : واسعة في حسن وجمال .

وهذا البيت تفصيل وتأکید لمعنى البيت السابق ؛ فقلبه متعلق بمنهج المجد ومعالي الأمور ، مترفع عن الهزل واللهو ، بعيد عن الغواية والضلالة ، لا يصرفه عن غاياته المجيدة ما يفتن الرجال من ربّات الحجال ولا يعرقل مساعيه الحميدة ما يخلب الأبواب ، ويستهوئ الأفتدة من محاسنهن وسحر عيونهن .

(٣) هام العاشق بمعشوقته : شغفته حباً . وهيامه بالبيض : شدة تعلقه بها ، وحبّه لها . والبيض في الشطر الأول : السيوف ، واحدها أبيض . وفي الشطر الثاني : الحسان الجميلات من النساء ، الواحدة بيضاء . والأعماد : جمع غمد ، وهو جفن السيف ، وغلافه . وباسمة : لامعة ، مصقولة . وغرّة النصر : طلعتة ، مستعار من غرّة الفرس ، وهي بياض مستحسن في جبهته . والكلل : جمع كلة (بوزن علة وعلل) ، وهي الستر الرقيق . وفي الكلل تصان الحسان المحجّبات من النساء . والعربيّ يهيم بالفتاة المحجّبة ، لا السافرة . والباروديّ يجنح لمحاكاة قدامى الشعراء ، ويولع بالبيئة العربيّة البدويّة ، فهو لا يفتأ يعرض في شعره الكثير من صورها وخصائصها .

وصلة هذا البيت بالبيتين السابقين واضحة وثيقة ؛ فإنّ الجّد ، ومعالي الأمور كثيراً ما تتطلّب الكفاية الحربيّة ، والقوّة العسكريّة ، وكثيراً ما تستدعي الجهاد والجلاد ، والكفاح بالسلاح . أمّا الهيام بالبيض الحسان المحجّبات فإنه أشبه بالهزل والغيّ ، واللهو والمجانة .
(٤) لم تلهني : لم تشغلني ، ولم تصرفني . وطلاب المجد : طلبه ، والسعي في تحصيله . والغانية : المرأة المستغنية عن الزينة بجمالها الخلقّي ، وحسنها الطبيعيّ . والثمل : السكر . والشطر الثاني تذييل في معنى الشطر الأول ؛ كأنّ التلهي بالغواني سكر يخدر العقل ويخمره ، والسعي في طلب المجد صحو ينبهه ويذكّيه .

(٥) « كم » : هنا خبرية ، بمعنى كثير ، أي كم فارق بين الداعي إلى المكرمات والمعتكف على الأطلال يبكي ويتحسّر . ومنتدب : داع ، موجه .

والمعنى : أن الفرق شاسع ، بين الداعي إلى المكرمات ، والباكي على ارتحال المعشوقات ، والوقوف على الأطلال ، وبكاء الديار (شأن شعراء النسيب أو التشبيب في العصور القديمة) .

لَوْلَا التَّفَاوُتُ بَيْنَ الْخَلْقِ مَا ظَهَرَتْ مَزِيَّةُ الْفَرْقِ بَيْنَ الْحَلِيِّ وَالْعَطَلِ (٦)
فَانْهَضُ إِلَى صَهَوَاتِ الْمَجْدِ مُعْتَلِيًا فَلَبَّازُ لَمْ يَأْوِ إِلَّا عَالِي الْقُلَلِ (٧)
وَدَعَّ مِنَ الْأَمْرِ أَدْنَاهُ لِأَبْعَدِهِ فِي لُجَّةِ الْبَحْرِ مَا يُغْنِي عَنِ الْوَشَلِ (٨)
قَدْ يَظْفَرُ الْفَاتِكُ الْأَلْوَى بِحَاجَتِهِ وَيَقْعُدُ الْعَجْزُ بِالْهَيْبَةِ الْوَكَلِ (٩)

(٦) التفاوت : التباين ، والاختلاف . والخلق (بفتح فسكون) : الناس ، أو هو الخلق (بضم فسكون) ، كالخلق (بضميتين) ومعناه السجية ، والطبيعة ، وجمعه أخلاق . ومزية الفرق : تمام الفرق . أي الفرق التام الواضح . والحلي : هو ما تزدان به المرأة من مصوغ المعادن ، كالأساور ، والقلائد الذهبية ونحوها . والعطل : ضد الحلي .
والمعنى : أن الناس يتفاوتون ويتفاضلون في أخلاقهم وهمتهم وكفائاتهم ومساعدتهم ، وأن هذا التفاوت يظهر ما بينهم من فوارق واضحة ، وصفات متباينة ، وأعمال مختلفة .
وصلة هذا البيت بالذي قبله : أن الداعي للمكرمات حال فاضل ، والباكي على الأطلال ناقص عاطل :

(٧) الصهوات : جمع صهوة وهي مقعد الفارس من ظهر الفرس . واعتلى الشيء : ارتفع . واعتلاه : علاه . واللباز : من جوارح الطير التي تصيد ، وتطير في الطبقات العليا من الجو . والقلل : جمع قلة ، وهي من كل شيء قمته ، وأعلاه . وقلل الجبال قممها وأعاليها .
في البيت الخامس أظهر الفارق العظيم الواسع بين الداعي للمكرمات ، والباكي على الدمن والأطلال . ووصل السادس بهذا المعنى ، فقرر أن الناس متفاوتون في أخلاقهم وأعمالهم ومساعدتهم ، وأن فيهم الحالي والعاطل ، والفاضل والناقص .
وفي هذا البيت حض على النهوض ، وبعد الهمة ، وقوة العزم ، واعتلاء صهوات العز والشرف .

(٨) دع : أترك . والأمر : الشأن والحال . وأدناه : أقربه . واللجة : معظم الماء وكثرته ، ومنه بحر لحي . والوشل (بفتحيتين) : الماء القليل ، وهو هنا ضد اللجة .
والمعنى : اطلب الجليل الرفيع من الأمور يجزئك عن التافه الحقير القريب ، كالمستغني بالماء الكثير عن القليل .

(٩) الألوى : الشديد العسر ، الذي يلتوي على خصمه ، أي يستعصي عليه . والهيابة : الجبان الشديد الخوف . والوكل (بفتحيتين ، أو بفتح فكس) : الجبان ، والضعيف العاجز ، يتكل على غيره .

ينوه بالقوة والجرأة ، ويزدري الضعف والعجز ؛ فحاجات القوي الجريء ميسرة له ، رهينة بطلبه . أما العاجز الجبان فإن عجزه يقعه ويشله ، فلا يكاد يصل إلى شيء من مطالبه ورغائبه .

وَكُنْ عَلَى حَذَرٍ تَسْلَمُ فَرُبُّ فَتَى أَلْقَى بِهِ الْأَمْنُ بَيْنَ الْيَأْسِ وَالْوَجَلِ (١٠)
وَلَا يَغُرُّنَكَ بِشْرُ مِنْ أُخِي مَلَقٍ فَرَوْتُكَ الْآلِ لَا يَشْفِي مِنَ الْغَلْلِ (١١)
لَوْ يَعْلَمُ الْمَرْءُ مَا فِي النَّاسِ مِنْ دَخَنِ لَبَاتَ مِنْ وُدِّ ذِي الْقُرْبَى عَلَى دَخَلِ (١٢)
فَلَا تَثِقْ بِوَدَادِ قَبْلِ مَعْرِفَةٍ فَالْكُحْلُ أَشْبَهُ فِي الْعَيْنَيْنِ بِالْكَحْلِ (١٣)
وَإِخْشَ النَّمِيمَةَ وَاعْلَمْ أَنَّ قَائِلَهَا يُصْلِيكَ مِنْ حَرِّهَا نَاراً بِلَا شُعْلِ (١٤)

(١٠) اليأس : مصدر يش منه ، أي انقطع أمله فيه ، وفقد رجاءه . والوجل (بفتحيتين) : الخوف .

يحصن على الحذر والتهيؤ والاحتراس ؛ فإن الحذر المحترس جدير بالسلامة من الأخطار والآفات ، والأمن الغافل يلقي به أمله وغفلته بين المخاوف وخيبة الرجاء .
لما حصن على الجرأة والإقدام في البيت السابق رأى أن يدعو في هذا البيت إلى الحذر والاحتراس ، كأنه ينهى الجريء المقدم عما يرديه من الغفلة والإهمال ، والتهور والاندفاع .
(١١) لا يغرنك : لا تنخدع . والبشر : البشاشة وطلاقة الوجه . والملق : الود الكاذب ، والالطف المتكلف . ورونق الشيء : حسنه وبهاؤه . والآل : السراب . والغلل (بفتح الغين وفتح اللام) : العطش ، أو شدته وحرارته .

في البيت السابق قال : إن السلامة مرجوة بالحذر والاحتراس ، لا بالغفل والاندفاع .
وفي هذا البيت عرض صورة من صور الغفلة ، وهي الانخداع بملق المتملق ، ونهى عن الاغترار به ، والركون إليه ؛ فإن ما يظهره هذا المخادع من الود والبشاشة ، والملق والنفاق يشبه السراب ، له حسن ورواء ، ولكنه لا يروي غلة ، ولا يطفىء ظمأ .
(١٢) الدخن (بفتح الدال وفتح الخاء) الحقد ، وفساد الباطن ، وسوء الخلق . ومن كلامهم : « هدنة على دخن » . والدخل هنا : الشك والريبة .

(١٣) الرداد : المودة والمحبة . والكحل (بضم فسكون) : كل ما وضع في العين ، يستشفى به ، وليس بسائل ، كالإثمد ونحوه . والكحل (بفتحيتين) سواد يعلو جفون العيون ، خلقة من غير اكتحال ، وهو مصدر كحلت العين : أي اسودت أجفانها خلقة .
يقول : لا تثق بمودة امرئ ، ولا تطمئن لإقباله عليك ، وتقربه إليك قبل أن تجربته وتتعرف صدقه ، وتستبين إخلاصه ؛ فإن الود يتشابه صادقته وكاذبه ؛ كما يتشابه المصنوع والمطبوع من الكحل والكحل .

(١٤) النميمة : الوشاية والسعي بالوقية والفتنة . ويصليكَ ناراً : يلقيكَ فيها ، ويحرقك بها . والشعل : جمع شعلة ، وهي لهب النار وتوقدها .
يحذرك النميمة ، والتأثر بها ، والإنصات لقائلها ، ويشبهها بالنار ، يصلها ويحترق

كَمْ فِرْيَةٍ صَدَعَتْ أَرْكَانَ مَمْلَكَةٍ وَمَزَقَتْ شَمْلَ وَدٍّ غَيْرِ مُنْفَصِلِ (١٥)
 فَاقْبَلْ وَصَايِي وَلَا تَصْرِفْكَ لِأَغِيَةِ عَنِّي فَمَا كُلُّ رَامٍ مِنْ بَنِي تُعَلِ (١٦)
 إِنِّي أَمْرٌ كَفَّنِي حِلْمِي وَأَدْبَنِي كَرُّ الْجَدِيدَيْنِ مِنْ مَاضٍ وَمُقْتَبَلِ (١٧)

بحرّها من يستمعها ، وإن لم يبصر لها توقّداً ولهيأاً . ولا ريب أن المستمع للنميمة مخدوع ؛ فإن ضررها يصيبه قبل أن يصيب المنموم عليه .

(١٥) الفرية : الكذب . وصدعت : حطمت وكسرت . وشمل الودّ : ما اجتمع واتّصل من الوداد والمحبة بين الناس ، يقال : جمع الله شملهم : أي ما تشئت من أمرهم ، وفرّق الله شملهم : أي ما اجتمع من أمرهم . ومزقت الفرية شمل الودّ : أي مزقت حال المتحابين ، وما اجتمعوا عليه من الوداد والمحبة .

يشير بهذا البيت إلى بعض آثار النميمة والكذب ، كإيقاد نيران الفتنة ، وتمزيق شمل الودّ ، والتفرقة بين الأخلاء .

(١٦) الوصاة : الوصية ، ويراد بالوصية هنا : ما قدّمه الشاعر في الأبيات السابقة من النصح والإرشاد . ولا تصرفك : لا تبعدك . ولاغية : كلمة ذات لغو ، وهو الباطل ، والخطأ ، والسقط . وتُعل (بوزن عَمَر) : ابن عمرو بن العوث ، من طييء ، وهو جدّ جاهليّ ، اشتهر بنوه بإجادة الرمي ، وإصابة المرمى .

والشطر الثاني من هذا البيت ينطوي على التمدح بإتقان ما أسداه إلى الناس في الأبيات السابقة من الوصايا ، والنصائح والإرشادات ، والحكم والأمثال .

يقول : تقبل وصيّي ، وانتفع بها ، ولا يصرفك عن الناصح الأمين لغو اللادين ، وهذر الهاذرين ؛ فما كلّ متكلم يزن الكلام ، ويحبك القول ، ويتحرى الرشد ، ويخلص لك النصح ، ويصيب شاكلة الصواب .

وفي الأبيات الستة الأولى من هذه القصيدة افتخر الشاعر بعدة مزايا ، تدور كلّها حول إثارة الجدّ ، وطلب المجد ، والتشبّث بمعالي الأمور ، والاعتماد على الكفاح وقوة السلاح ، والدعوة إلى الفضائل والمكرمات .

وفي الأبيات التسعة التي تليها انتقل إلى النصح والإرشاد ، فدعا إلى اعتلاء صهوات المجد ، والسعي إلى الجليل العظيم من الأمور . ونوّه بالقوة والجرأة وأثارهما ، وأوصى بالحدز والحيطه ، ونهى عن الاغترار بملق المتملقين ، وأوجب اختبار المتودّدين قبل الثقة بودادهم ، وفطّح النميمة والكذب ، وأشار إلى بعض آثارهما .

وفي الأبيات ١٦ - ٢٠ عاد إلى التمدح والفخر بنفسه ، وعرض بعض مزاياه التي تؤهله للقيادة ، وترشحه لما كان يرغب فيه ويطمح إليه من المناصب الرفيعة ، والآمال الوسيعة .
 (١٧) كفني حلمي : منعني عما لا يليق ، وحال بيني وبين ما لا ينبغي . والحلم : الأناة .

فَمَا سَرَيْتُ قِنَاعَ الْجِلْمِ عَنْ سَفَهِهِ وَلَا مَسَحْتُ جِيبِينَ الْعِزِّ مِنْ خَجَلِهِ (١٨)
 حَلَبْتُ أَشْطَرَ هَذَا الدَّهْرِ تَجْرِبَةً وَذُقْتُ مَا فِيهِ مِنْ صَابٍ وَمِنْ عَسَلِ (١٩)
 فَمَا وَجَدْتُ عَلَى الْأَيَّامِ بَاقِيَةً أَشْهَى إِلَى النَّفْسِ مِنْ حُرِّيَّةِ الْعَمَلِ (٢٠)

وأدبني : راضني على محاسن الأخلاق . والجديدان : الليل والنهار . وكَرَّهما : أي توالي الأزمته ، وتتابع الليل والنهار . ومقتبل : مستقبل ، مُستأنف .

يريد بالشطر الثاني : أن تتابع الليل والنهار في ماضيه وحاضره قد راضه على محاسن الأخلاق ، وأدب الحياة ، وأنه من الماضي والحاضر اكتسب ذخيرة من الآداب أعدها لمستقبل الزمان .

يفخر بحلمه وعقله ، ورزاقته واستقامته ، ومكارم أخلاقه ، وحميد خلاله ، وترفعه عن كل ما لا يليق بمثله ، وانتفاعه في ماضيه وحاضره ومستقبله بتجارب الحياة ، وتتابع الأيام والليالي .

(١٨) سریت الثوب عني أسريه : نزعت ، وأزلته ، وكشفت ما كان يغطيه من جسمي . والسفه : الخفة ، والطيش ، والجهل .

ومعنى الشطر الأول : أنه إذا خرج من حلمه ، وغضب ، فإنما يغضب عن روية وحكمة ، وحق وعقل ، لا عن سفه وطيش ، وجاهل ونزق .

ومعنى الشطر الثاني : أنه عزيز أبي ، يأنف من الدنيا ، ويستنكف من القبائح ، ويترفع عما يشينه ، ولا يرتكب ما يخجله .

افتخر بأصالة حلمه ، ورزاقته ، واستقامته ، ورجاحة عقله ، وتمسكه بالحكمة والروية في رضاه وغضبه ، كما افتخر بعزة نفسه ، وبعده عن السفه ، وعن كل ما يندى منه الجبين حياءً وخجلاً .

(١٩) معنى « حلب الدهر أشطره » أو « حلب أشطر الدهر » : خبر ضروب الزمان ، ومر به خيره وشره ، وتمرس برخائه وشدته ، وجربه تجربة تامة . وجربت الشيء تجريباً وتجربة : اختبرته مرة بعد أخرى . والصاب : شجر مرّ ، أو هو عصارة ذلك الشجر ، أي ما يسيل منه إذا عصر ، وواحدة الصاب : صابة .

ومعنى الشطر الثاني من هذا البيت : توضيح ، وتفصيل ، وتأکید لمعنى الشطر الأول ؛ فإن الذي يحلب أشطر الدهر مجرب خبير ، متمرس ، يذوق بالتجربة الصادقة مرارته وحلاوته .

يفخر الشاعر بسعة خبرته ، وكثرة تجاربه ، فقد مارس أمور الزمان ، وخبر ضروبه ، ومر به خيره وشره ، وذاق الحلو والمر من أحواله .

(٢٠) باقية على الأيام : أي تبقى بقاء الأيام ، وتدوم دوام الدهر . وأشهى : ألد ، وأطيب . ويريد

لَكِنَّا غَرَضٌ لِلشَّرِّ فِي زَمَنِ
 أَهْلُ العُقُولِ بِهِ فِي طَاعَةِ الخَمَلِ (٢١)
 قَامَتْ بِهِ مِنْ رِجَالِ السُّوءِ طَائِفَةٌ
 أَدَهَى عَلَى النَّفْسِ مِنْ بؤْسٍ عَلَى ثَكَلِ (٢٢)
 مِنْ كُلِّ وَغْدٍ يَكَادُ الدَّسْتُ يَدْفَعُهُ
 بُغْضًا وَيَلْفِظُهُ الدِّيوانُ مِنْ مَلَلِ (٢٣)

بحرية العمل : العمل الحرّ الطليق ، البعيد عن نطاق الحكومة ؛ فإن العمل الحكومي مقيد بشتى القيود ، والعمل الحرّ منطلق فسيح ممتع ، وهو أطيّب الأعمال وأكرمها ، وأشهى ما تشتهيهِ نفس الحرّ ؛ إذ يجد فيه الحرية الباقية الدائمة .

في هذا البيت يشير الشاعر إلى إحدى تجاربه الصادقة في مجال الأعمال ، فيمتدح العمل الحرّ ، وينوّه به ، ويعرّض بالمناصب الحكومية التي لا تبقى لأصحابها ، وهي مع هذا تقيد حريتهم ، وتضعف شخصيتهم .

(٢١) الغرض : الهدف الذي يرمى . والخمل (بفتح الخاء والميم) : جمع خامل ، وهو الساقط الذي لا نباهة له ، ولا يعتدّ به . يقول الشاعر : إن العقلاء النابهين مكرهون في زمانه على إطاعة الحكّام الخاملين الساقطين .

والشاعر ينتقل في هذا البيت والأبيات التالية إلى هجاء خصومه السياسيين من ولاية الحكم ، الذين ساء ظنّه بهم ، ورآهم فاسدين مفسدين .

(٢٢) الهاء في « به » تعود على « زمن » في البيت السابق ، والمراد قامت بالحكم في زمن البارودي طائفة من رجال السوء ؛ أو تعود على « الشرّ » في البيت السابق أيضاً ، والمراد اقترفت الشرّ طائفة من رجال السوء . والطائفة : الجماعة من الناس . وأدهى : أثقل ، وأمر ، وأوجع ، وآلم . والبؤس : شدة الحاجة . والثكل (بوزن التعب) : فقدان الحبيب والولد ، وثكلت الأم ولدها أي : فقدته .

يهجو الحكّام في زمانه بأنهم رجال شرّ وفساد ، وأن قيامهم بالحكم أشدّ إيلاًماً لنفس الحرّ من البؤس والثكل مجتمعين .

(٢٣) الوغد (بفتح فسكون) : الدنيء الرذل ، أو الأحمق الخفيف العقل . والدست : (بفتح فسكون) كلمة فارسية معرّبة ، ومن معانيها : صدر البيت ، وصدر المجلس . ويراد بها هنا مجلس الحكم ، أو كرسيّ الرئاسة ، أو مقعد الإمارة والسلطان . ودست الوزارة : منصبها . ودفع الشيء يدفعه : نحاه ، وأزاله بقوّة . والبغض : المقت والكراهية . ويلفظه : يخرجّه . والديوان : مكان الكتابة والمستخدمين ، ويراد به وباليدست هنا : المناصب الكبيرة التي يشغلها هؤلاء الحكّام المهجورون من رجال الخديوي إسماعيل وأعوانه . والملل : السامة والضجر .

وصمهم بالدناءة والرذالة والحماقّة وقال : إن الديوان ، أو المجالس ، أو كراسي

ذَلَّتْ بِهِمْ مِصْرُ بَعْدَ الْعِزِّ وَاضْطَرَبَتْ
وَأَصْبَحَتْ دَوْلَةً « الْفُسْطَاطِ » خَاضِعَةً
قَوْمٌ إِذَا أَبْصَرُونِي مُقْبِلًا وَجَمُّوا
فَإِنْ يَكُنْ سَاءَهُمْ فَضْلِي فَلَا عَجَبُ
نَزَّهْتُ نَفْسِي عَمَّا يَدْنُسُونَ بِهِ
قَوَاعِدُ الْمُلْكِ حَتَّى ظَلَّ فِي خَلَلٍ (٢٤)
بَعْدَ الْإِبَاءِ وَكَانَتْ زَهْرَةَ الدُّوَلِ (٢٥)
غَيْظًا وَأَكْبَادُهُمْ تَنْقَدُ مِنْ دَغَلٍ (٢٦)
فَالشَّمْسُ وَهِيَ ضِيَاءٌ آفَةٌ الْمُقْلِ (٢٧)
وَنَحْلَةُ الرَّوْضِ تَأْبَى شِيْمَةَ الْجَعَلِ (٢٨)

الحكم ، أو المناصب التي يتولونها متبرمة بهم ، ضجرة منهم ، ساخطة عليهم . وهي لشدة كراهيتها لهم ، ومقتها لانحرافهم وفسادهم تكاد تقذف بهم ، وتزيلهم بالقوة من مناصبهم .
(٢٤) بهم : بالحكام المهجوين ، أي بسبب انحرافهم وفسادهم . وقواعد الملك : أسسه وأصوله .

يقول : كانت مصر في عزة وقوة ومنعة ، فلما ولي أمرها هؤلاء الأوغاد المفسدون أساءوا إليها ، وأفسدوا أمورها ؛ فهوت إلى حضيض الذل والضعف والهوان ، واختل الملك من قواعده ، ولم يبق له ضابط أو نظام .

(٢٥) دولة الفسطاط : الدولة المصرية ، والفسطاط (في الأصل) : السرادق . والفسطاط : مدينة مصر العتيقة التي بناها عمرو بن العاص في موضع فسطاطه . وخاضعة : ذليلة . والإباء : العز والمنعة . وزهرة الدول : زيتها ، وبهجتها .

يقول : كانت الدولة المصرية بهجة الدول ، وزينة الممالك ، ففسد أمرها بفساد هؤلاء الحكام ، وذلت بعد عز ، وخضعت بعد إباء .
(٢٦) يريد بالقوم من يهجوهم . ووجموا : عبسوا . وتنقد : تنشق ، وتقطع . والدغل (بفتحين) : الحقد المكتوم ، وفساد الباطن .

(٢٧) الآفة : كل ما يصيب شيئاً فيفسده . والمقل : العيون ، واحدها مقلة (بوزن مُهَجِّةٍ ومُهَجِّ) .

في هذا البيت والذي قبله قال : إن المهجوين من خصومه السياسيين حاقدون عليه أشد الحقد ؛ لما يعرفونه من كفاياته ومحامده ، فإذا رآوه مقبلاً عليهم ثار الغضب الكامن في قلوبهم ، ومزق الحنق أكبادهم ؛ فتجهّموه ، وكرهوا لقاءه ، وبدا عليهم الكمد والوجوم .
ولا غرو أن يسوءهم فضله ، وضياء الشمس يؤدي العيون ، ويفسد الأبصار .

والشطر الثاني من هذا البيت تذييل يوضح معنى الشطر الأول ، ويقوم مقام الحجّة والدليل والبرهان ، فالشاعر بفضائله ومزاياه يسوء حاسديه ، ويحزن الحاقدين عليه . والشمس بنورها الوهاج تؤدي العيون ، وتعاسر الأبصار .

(٢٨) نزه نفسه عما يشينها : ترفع بها عنه ، وأبعدها ، ودنس الثوب ونحوه : توسخ ، وتلطخ .

بُشِيَ الْعَشِيرُ وَبِئْسَتْ مِصْرُ مِنْ بَلَدٍ أَضْحَتْ مُنَاخًا لِأَهْلِ الزُّورِ وَالْخَطَلِ (٢٩)
 أَرْضٌ تَأْتِلُ فِيهَا الظُّلْمُ وَأَنْقَذَتْ صَوَاعِقُ الْغَدْرِ بَيْنَ السَّهْلِ وَالْجَبَلِ (٣٠)
 وَأَصْبَحَ النَّاسُ فِي عَمِيَاءٍ مُظْلَمَةٍ لَمْ يَخْطُ فِيهَا أَمْرٌ إِلَّا عَلَى زَلَلٍ (٣١)
 لَمْ أَدْرِ مَا حَلَّ بِالْأَبْطَالِ مِنْ خَوَرٍ بَعْدَ الْمِرَاسِ وَبِالْأَسْيَافِ مِنْ فَلَإٍ (٣٢)

ومن المجاز : دنس عرضه . والشيمة : الخلق ، والغريزة . والجعل : حشرة كالخنفساء ، تألف الأقدار .

يفتخر بأنه ترفع بنفسه وعرضه عما انحطت إليه نفوس المهجورين وأعراضهم من النقائص والمثالب . مثله ومثلهم كمنحلة الرياض والخنفساء ؛ فإن النحلة لا تفتأ تخالط الزهر والثمر ، وتحرص أشد الحرص على الطهر والنقاء ، وترفع بطبيعتها عن طبع الخنافس والجعلان التي تهوى الأقدار .

(٢٩) العشير : المعاشر ، والمخالط ، والمراد أهل مصر الذين رضوا بالضيم ، وأقاموا على الهوان . والمناخ : المقام والمنزل ، وهو في الأصل : مبارك الإبل . اسم مكان من أناخ الرجل الجمل إناخة : أي أبركه . والزور : الكذب ، والباطل . والخطل (بفتحيتين) : الخطأ والفحش ، والمنطق الفاسد . ومن معاني الخطل : الحماقة ، والطيش ، والخفة ، والنزق . ويريد بأهل الزور والخطل : من يهجوهم من حكام مصر الفاسدين الذين استتب لهم الأمر ، وطال ما يقاسيه الوطن من خطلهم وفسادهم .

(٣٠) يريد بالأرض : أرض مصر . وتأئل : تأصل ، وتجمع . والقذف : الرمي القوي البعيد . والصواعق : جمع صاعقة ، وهي النازلة لا تصيب شيئاً إلا دكتته وأحرقته ، أو هي كل عذاب مهلك . وصواعق الغدر : الغدر الشبيه بالصواعق .

يصف مصر ، في أواخر عهد الخديوي إسماعيل ؛ إذ تجمعت المظالم ورسخت ، وكثرت المفسدات ، وعمت الخيانات ، ونزلت ضروب الغدر بالناس نزول الصواعق . (٣١) في عمياء : في ضلالة وجهالة وكرب وبلاء ، وعمى عليه الأمر : التبس وخفي . وزلل : مصدر زلت قدمه ، أي زلقت في طين ونحوه ، فسقط .

يصور سوء الأحوال في عهد أولئك المهجورين ؛ إذ أصبح الناس في جهالة وضلالة وكرب وبلاء . ظلمات بعضها فوق بعض ، إذا خطا فيها المرء لم يسلم من العثار والسقوط .

(٣٢) الخور (بفتحيتين) : الضعف والانكسار . والمراس (بكسر الميم) : البأس ، والشدة ، وممارسة الأمور ، أي معالجتها بصبر وكفاية عالية . وفلل السيف : انشلام حدّه ، وتكسّر مضاربه . وقد يراد بتفلل السيوف هنا : أنها تعطلت ، وتوقفت عن العمل مع شدة الحاجة إليها ؛ لأنها لا تكاد تجد الأيدي القوية ، والقلوب الجريئة . ونفي الدراية عن نفسه في أول

أَصْوَحَتْ شَجَرَاتُ الْمَجْدِ أَمْ نَضَبَتْ عُذْرُ الْحَمِيَّةِ حَتَّى لَيْسَ مِنْ رَجُلٍ ؟ (٣٣)
لَا يَدْفَعُونَ يَدًا عَنْهُمْ وَلَوْ بَلَغَتْ مَسَّ الْعَقَافَةِ مِنْ جُبْنٍ وَمِنْ خَزَلٍ (٣٤)
خَافُوا الْمَنِيَّةَ فَاخْتَالُوا وَمَا عَلِمُوا أَنَّ الْمَنِيَّةَ لَا تَرْتَدُّ بِالْحَيْلِ (٣٥)

البيت يُشعر بما تملكه من العجب والدهش والأسى والأسف .
يعجب ويأسى لما نزل بأبطال مصر وحماتها من ضعف وخذلان ، وصبر ممقوت على
الذل والهوان ، وعهده بهم أنهم أولو قوة ، وأولو بأس شديد . ويدخل في دائرة العجب
والأسى ما صارت إليه السيوف وأدوات الحرب والقتال من تثلم وتكسر ، أو توقّف وتعطل .
في الأبيات ٢١ - ٣١ هجا وذم ، وفخر وتمدح ، وندد بمثالب الحكام ، ورثى لسوء أحوال
البلاد والناس في عهدهم . وفي هذا البيت والأبيات الآتية حضّ على الثورة العارمة في
وجوههم ، وإزاحتهم عن كراسيهم ، ودفع الظلم بقوة السلاح .
(٣٣) صَوَّحَ الشَّجَرُ : يبس وجفّ . ونضب الماء : غاض ، وغار ، وانقطع . والغدر والغدران
(بضم فسكون فيهما) : الأنهار والجداول ومجري المياه ، واحدها غدِير ، وهو في الأصل :
القطعة من الماء يغادرها السيل ، أي يتركها وراءه . والحميّة : الأنفة ، والاستنكاف ، والترفع
عن الدنيا والنقاص . والاستفهام في أول هذا البيت للتعجب ، أو الاستنكار . والغرض
استنهاض الهمم ، وشحذ العزائم .

استفهم في تعجب وأسى واستنكار لإقامة الرجال على الضيم ، وضياع الأنفة والحميّة .
والغرض استنهاض قومه ، وشحذ عزائمهم لمكافحة الظلم والطغيان ، واسترداد العزّة
والمجد .
(٣٤) مَسَّ الْعَقَافَةَ : لمسها ، أي لجبنهم وضعفهم لا يدفعون عن أنفسهم يد العدوان ، حتى ولو
أصابت صميم أعراضهم ، ومستّ منهم موضع العفة . والخزل (بفتححتين) : الاسترخاء
والضعف ، والتناقل والانكسار .

يستنكر استكانة المحكومين لهؤلاء الحكام ، وإحجامهم عن حماية ما يحميه الأبى بنفسه
ودمه من عرضه وشرفه ، ويرميهم بالجبن والخور . وهو في الحقيقة يريد تحميسهم ، وإثارة
حميتهم لمكافحة الظالمين المفسدين ، وإسقاط دولة الاستبداد والاستعباد .
(٣٥) المنية : الموت . واحتال : طلب الشيء بالحيلة ، وهي جودة النظر ، والقدرة على دقة
التصرّف ، والحدق في تدبير الأمور ، وتقليب الفكر حتى يُهتدى إلى المقصود ، جمعها حيل
(بكسر ففتح) .

والمعنى : أن الجبناء يخافون الموت ، ويحتالون لدرثه ، ويطلبون لأنفسهم السلامة
بالجبن والإحجام ، وكأنهم يجهلون أن الموت لا تردّه الحيل ولا مناص منه . ولو استيقنوا هذه
الحقيقة الواضحة لكانوا شجعاناً ، ودفَعوا بشجاعتهم الضيم والطغيان .

فَفِيمَ يَتَّبِعُهُمُ الْإِنْسَانُ خَالِقَهُ وَكُلُّ نَفْسٍ لَهَا قَيْدٌ مِّنَ الْأَجَلِ ؟ (٣٦)
هِيَ هَاتِ يَلْقَى الْفَتَى أَمَّنَا يَلِدُ بِهِ مَا لَمْ يَخْضُ نَحْوَهُ بَحْرًا مِّنَ الْوَهْلِ (٣٧)
فَمَا لَكُمْ لَا تَعَافُ الضَّيْمَ أَنْفُسَكُمْ وَلَا تَزُولُ غَوَاشِيَكُمْ مِّنَ الْكَسْلِ ؟ (٣٨)
وَتَلْكَ مِصْرُ الَّتِي أَفْنَى الْجِلَادُ بِهَا لَفَيْفَ أَسْلَافِكُمْ فِي الْأَعْصِرِ الْأَوَّلِ (٣٩)

(٣٦) « فيم ؟ » : « لماذا ؟ » ، والاستفهام هنا : للاستنكار والاستهجان . والقيد : حبل ونحوه يجعل في رجل الدابة وغيرها ، فيمسكها . والأجل : مدّة الشيء ، والوقت الذي يحدّد لانتهائه . يقال : ضربت له أجلاً ، أي وقتاً محدداً . وجاء أجله : إذا حان موته . وأجل الإنسان : المدة المضروبة لحياته في الدنيا . وجمعه آجال . ومعنى الشطر الثاني : أن كل نفس مقيدة بأجلها ، لا تحيد عنه ، وأن خوف الجبناء من الموت ، واحتياهم لدرته اتهام الله تعالى ، وسوء ظنّ به ، وشكّ فيما ورد عنه من تحديد الآجال ؛ ولهذا أنكر عليهم هذا الاتهام ، ورآه مغرّقاً في البطلان ؛ فكلّ نفس ذائقة الموت ، وهي مقيدة بالمدّة المضروبة لحياتها ﴿ ولن يؤخر الله نفساً إذا جاء أجلها ﴾ . الآية رقم ١١ من سورة المنافقون .

(٣٧) هيهات : كلمة تبيد ، اسم فعل ماض ، معناه بعد . وخاض الخائض الماء : مشى فيه . والوهل : الخوف ، والفرع .

يستبعد أن يصل المرء إلى ما يلذّه ويشتهيهِ من الأمن والطمأنينة إلا إذا ركب إليهما المخاوف والأهوال ، واقتحم الصعاب والعقبات .

(٣٨) تعاف : تأبى ، وتكره . والضيم : الظلم . والغواشي : جمع الغاشية ، اسم من غشيه الأمر ، أي غطاه . والغاشية : الداهية ؛ لأنها تصيب الإنسان وتدهاه ، وتغشاه . والغاشية : النازلة من الشرّ أو المكروه .

غشيه الكسل والخمول والتراخي ؛ فاستكانوا ، ورضوا بالذلّ ، واحتملوا الظلم ، وأقاموا على الضيم والهوان . وفي البيت لوم ، وتعيير ، وتعنيف ، وتقريع يقصد به التحميس والتحريض ، وإحياء الهمم ، وشحذ العزائم .

(٣٩) الجلاذ : الحرب والقتال . واللفيف : جماعات الناس وأخلاقهم . والأسلاف : جمع سلف ، وهم الماضون من الآباء والأجداد الذين اجتمعوا على العزّة والحرية ، والمنعة والقوّة ، والإباء والكرامة ، والجرأة والشجاعة ، ثم طواهم الموت ، ونشرهم التاريخ . والأعصر : جمع العصر ، وهو الدهر والزمان . ويلاحظ أن الشاعر ذمّ مصر في البيت التاسع والعشرين حينما أضحت مناخاً لأهل الزور والخطل ، وعظّمها في هذا البيت إذ كانت موطناً للأعزّة الأحرار المجالدين الذين أفنّاهم الجهاد في سبيل العزّة والمجد .

في الأبيات ٣٢ - ٣٨ ضروب من القول ، قصد بها الشاعر تحميس قومه ، وتحريضهم

قَوْمٌ أَقْرَأُوا عِمَادَ الْحَقِّ وَامْتَلَكُوا
 جَنُودًا ثِمَارَ الْعُلَا بِالْبَيْضِ وَأَقْتَطَفُوا
 فَاَصْبَحَتْ مِصْرُ تَزْهُو بَعْدَ كُذْرَتِهَا
 لَمْ تَنْبُتِ الْأَرْضُ إِلَّا بَعْدَمَا اخْتَمَرَتْ
 أَرْزَمَةَ الْخَلْقِ مِنْ حَافٍ وَمُنْتَعِلٍ (٤٠)
 مِنْ بَيْنِ شَوْكِ الْعَوَالِي زَهْرَةَ الْأَمَلِ (٤١)
 فِي يَانِعٍ مِنْ أَسَاكِبِ النَّدَى خَضِلٍ (٤٢)
 أَقْطَارُهَا بِدَمِ الْأَعْنَاقِ وَالْقَلَلِ (٤٣)

على دفع الظلم بقوة السلاح .

وفي هذا البيت والأبيات الثمانية التالية فنّ آخر من فنون هذا التحريض ، وهو التنويه بالأبء ، ونشر شيء من سيرهم ، والإشادة بأعمالهم وآثارهم ؛ ليتشبه بهم الأبناء في الكفاح والجلاد ، والاستهانة بالموت ، وبذل النفس ؛ لدفع الضيم ، وإحقاق الحق ، وكسب النصر ، وبسط السلطان ، وارتداء المجد ، وبلوغ الأمل .

(٤٠) يريد بالقوم : السلف القويّ العزيز الكريم الذي نوه به في البيت السابق ، وقال : إن الجلاد أرواه وأفناه . وأقروا : أرسوا ، وأرسخوا ، وثبتوا . وعماد الحق : ما يعتمد عليه ، ويستند إليه من المبادئ والمثل العليا . والأزمة : جمع زمام ، وهو المقود الذي تقاد به الدابة من حبل ونحوه . والخلق : الناس . وامتلاك أزمة الناس : كناية عن السيطرة عليهم . والحافي : غير المنتعل . والمنتعل : لابس النعل وشبهها . ويراد بالحافي والمنتعل من الخلق : الناس أجمعون على اختلاف مراتبهم وأحوالهم وأجناسهم .

(٤١) البيض : السيوف ، واحدها أبيض . والعوالي : أسنة القنا ، وأطراف الرماح ، الواحدة عالية ، وهي أعلى الرمح ، أي رأسه الحادّ القاطع ، ومثلها السنان والنصل . وشوك العوالي : العوالي الشبيهة بالشوك . وزهرة الأمل : الأمل المشرق باسم ، الشبيهة بالزهرة . يقول لمن يحاول تحميسهم وتحريضهم من مواطنيه : إن أسلافكم بلغوا المعالي ، وحققوا الآمال بالجلاد والكفاح ، وقوة السلاح .

(٤٢) تزهو : تشرق وتضيء . والكدر : لون يميل إلى السواد والغبرة . ويانع : أحمر قانيء ، أي شديد الحمرة ، يميل إلى السواد . والأساكيب : جمع أسكوب (بوزن أسلوب وأساليب) وهو المطر الدائم السكوب ، أي الانصباب . والندى : المطر . وخضل : مبتل .

و« في يانع من أساكيب الندى خضل » : أي في دم قانيء ، ينصب بغزارة ، وبترشش ، كأنه دفعات المطر . يشير بهذا إلى دماء القتلى والجرحى من أبطال مصر وأعدائهم في الحروب الكثيرة التي خاضها المصريون في الأزمنة السابقة لإقرار الحق ، وكسب النصر ، وبناء المجد ، وتوسيع السلطان ، وتحقيق الآمال . ويشير بالتزهو إلى صفاء الحال بالعبارة والغلبة ، واستتباب الأمن والنظام . ويشير بالكدر إلى ما كانت تعانيه مصر قبل هذه الحروب من الضيم والغدر ، واضطراب الأمر ، وفساد الحكم .

(٤٣) اختمرت : تغطت ، واستترت . والأقطار : النواحي والجوانب ، واحدها قطر (بوزن

سَنُوا بِهَا غَارَةً أَلْقَتْ بِرَوْعَتِهَا
 حَتَّى إِذَا أَصْبَحَتْ فِي مَعْقِلٍ أَشْبِ
 أَخْنَى الزَّمَانُ عَلَى فُرْسَانِهَا فَغَدَتْ
 فَأَيَّ عَارٍ جَلَبْتُمْ بِالْخُمُولِ عَلَى
 أَمَّا يُؤَلَّفُ بَيْنَ الذُّبِّ وَالْحَمَلِ (٤٤)
 يَرُدُّ عَنْهَا يَدَ الْعَادِي مِنَ الْمِلَلِ (٤٥)
 مِنْ بَعْدِ مَنْعَتِهَا مَطْرُوقَةَ السُّبُلِ (٤٦)
 مَا شَادَهُ السَّيْفُ مِنْ فَخْرٍ عَلَى زُحْلِ (٤٧)

قفل) . ويراد بالقلل هنا : رؤوس القتلى ، الواحدة قلّة ، وهي من كل شيء أعلاه .
 والمعنى أن أرض مصر لم تنبت لأهلها العزّة والقوّة ، والغلبة والكرامة إلا بعد أن غطتها
 دماء أعناق المحاربين ورؤوسهم .

(٤٤) بها : بالأرض (في البيت السابق) . والغارة : الإغارة ، والهجوم الخاطف المفاجيء .
 وشننا على أعدائنا الغارة : وسعنا مداها ، وفرقناها عليهم من كل وجه . والروعة : الرهبة .
 ويضرب المثل بالذئب في ولوعه بالحملان ، والتربص لها ، وشدة الفتك بها .
 والمعنى : أن أسلافنا بحروبهم العنيفة الطاحنة ، وغاراتهم الشديدة الواسعة مدّوا ظلال
 الأمن في أرجاء البلاد . ويبلغ من انتشاره واستتبابه واستقراره أن ألف الحمل الذئب ، وأمن
 سطوته ، وغيلته .

(٤٥) المعقل (بوزن المجلس) : الحصن . وأشب (بفتح فكسر) : منيع حصين . والعادي :
 العدو المعتدي . والملل : جمع ملة وهي في الأصل الدين ، والمراد أصحاب الملل
 والمذاهب والأجناس المختلفة .

(٤٦) أخنى عليهم الدهر : أهلكهم . والمنعة (بفتح النون وسكونها) : العزّة والقوّة والامتناع .
 ومطروقة : مسلوكة ، يطرقها الناس ، ويسيرون فيها . والسبل : الطرق . و« مطروقة
 السبل » : كناية عن ضعفها ، وهوانها ، واستكانتها ، وزوال منعتها .

ومعنى هذا البيت والذي قبله : أن مصر كانت منيعة محصنة عزيزة الجانب ، قويّة
 البأس ، ترتد عنها أيدي العادين على اختلاف طوائفهم وأجناسهم ومللهم ، ولا يجرؤ عليها
 عدو أو طامع ، وذلك بفضل رجالها الأعرّة المحاربين الأشداء الشجعان ، فلما أخنى عليهم
 الدهر فقدت بعدهم عزّتها ومنعتها ، وصارت مركباً ذلولاً للطامعين المستغلين من الغزاة
 والمستعمرين ، والحكام المستبدين .

(٤٧) أي لقد جلبتم بخمولكم عاراً شنيعاً هائلاً قبيحاً . والخطاب في « جلبتم » للمصريين الذين
 فرّطوا في حقّ وطنهم ، وقصروا عن مساعي أسلافهم ، وضيعوا مجد آبائهم ، واستكانوا لظلم
 حكامهم ، وتركوا بلادهم نهبة للطامعين من الغزاة والمستعمرين والمستغلين . والخمول :
 ضد النباهة . ورجل خامل : ساقط ، لا نباهة له . وزحل (بوزن عمر) : أعظم الكواكب
 السيّارة ، وأرفعها ، وأبعدها في النظام الشمسيّ . وهو ممنوع من الصرف ، أي التنون ،

إِنْ لَمْ يَكُنْ لِلْفَتَى عَقْلٌ يَعِيشُ بِهِ فَإِنَّمَا هُوَ مَعْدُودٌ مِنَ الْهَمَلِ (٤٨)
فَبَادِرُوا الْأَمْرَ قَبْلَ الْفَوْتِ وَانْتَرِعُوا شِكَاةَ الرِّيثِ فَالِدُنْيَا مَعَ الْعَجَلِ (٤٩)

ويجرّ بالفحّة ، وإنما جرّ بالكسرة هنا لضرورة الشعر .

يقول : إن هؤلاء المصريين جلبوا بخمولهم وتوانيتهم عاراً فظيماً على مفاخر آبائهم التي كسبوها بالكفاح ، وشيّدوها بقوة السلاح ، فانبهت شأنهم ورفعتهم فوق منازل الكواكب والنجوم .

(٤٨) الهمل (بفتحتين) : الماشية ، أي الأبل ، والبقر ، والغنم ، تسرح من غير راع ، وترك سدى بلا عناية ، والمفرد هامل .

والمعنى : أن المرء إنما يعتبر آدمياً بعقله الذي يحيا به حياة طيبة عزيزة ، فإذا أهمله خرج من عداد بني الإنسان ، ولم يكن إلا من البهائم والأنعام المهملة الضالّة التي تهيم في الأرض على وجوهها بلا ضابط أو رعاية .

والشاعر يشير بهذا إلى أن المصريين يهملون عقولهم ، ويحيون حياة الأنعام إذا أقاموا على اللزيم ، ورضوا بما هم فيه من ذلّ وهوان ، وتركوا بلادهم نُهْبَةً يتحكّم فيها ويستبدّ بها الغاصبون والمستغلون والمستعمرون والحكّام المسبّدون .

أجرى الشاعر هذا البيت مجرى الحكم والأمثال ، ونوّه بالعقل وعظّمه ؛ ليحضّ قومه على الاعتزاز بعقولهم ، واستخدامها في الوسائل والأعمال التي تحيي مجدهم ، وتنتشلهم من حياة الهمل ، أي حياة الذلّ والهوان ، وتعطيل العقل والإدراك .

(٤٩) بادروا الأمر : عاجلوه ، وسارعوا إليه . والأمر : يراد به أمر التبصّر ، والتيقّظ للحوادث ، وسرعة التخلّص من الذلّة والمهانة . والفوت : الفوات . والمراد فوات الوقت ، وضياع الفرصة . وانتزعوا : اقتلعوا . والشكّال (بوزن كتاب) : العقّال ، أي القيد . والريث : البطء . وشكّالة الريث : أي البطء المعوّق . والمراد بالدنيا : دنيا النصر والغلبة ، وحياة العزة والسعادة .

في البيت السابق نوّه بالعقل ، وعظّم شأنه . ومن حسن استخدام العقل المسارعة إلى التخلّص من سوء الحال ، وحياة الهمل قبل ضياع الفرصة ، وفوات الوقت . كأنه يرى أن الوقت الذي نظم فيه هذه اللامية في أواخر عهد إسماعيل هو الوقت الملائم ، والفرصة المؤاتية . ولهذا حرّضهم على المبادرة والمسارعة ، ونهاهم عن التريث الممقوت ، والتواني الذي يعقل الهمم ، ويشلّ العزائم ، ويحبط الأعمال ، ويضيع الآمال . ولا ريب أن الدنيا في مثل هذه الحالة تتطلّب العجلة ، وتعتمد عليها ، وتقبل معها ، ولا ريب أن الأمر قبل هذا وبعده يتطلّب القيادة الحكيمة ، والقائد الكفء .

وَقَلَّدُوا أَمْرَكُمْ شَهْمًا أَخَاثِقَةً يَكُونُ رِدْءًا لَكُمْ فِي الْحَادِثِ الْجَلَلِ (٥٠)
 مَاضِي الْبَصِيرَةِ غَلَّابٌ إِذَا اشْتَبَهَتْ مَسَالِكُ الرَّأْيِ صَادَ الْبَازَ بِالْحَجَلِ (٥١)
 إِنَّ قَالَ بَرٌّ وَإِنْ نَادَاهُ مُنْتَصِرٌ لَبَّى وَإِنْ هَمَّ لَمْ يَرْجِعْ بِلَا نَفْلِ (٥٢)

(٥٠) قلَّدناه الأمر أو العمل : فوضناه إليه ، وألزمناه إيَّاه . وأمركم : أمر قيادتكم ، أو أمر حكومتكم . والشهم : القويّ الصبور ، النشيط المتوقد ، الذكيّ الفؤاد . والردء : المعين ، والنصير . والجلل : العظيم الكبير الخطير .

ومما يدخل في حسن استخدام العقل ، ومبادرة الأمر ، أي في معنى البيتين السابقين ، أن يختاروا من بينهم رجلاً شهماً ، عالي الكفاية ، متوقد الذهن ، يثقون به ؛ فيلقون إليه مقاليد أمورهم ، ويستدفعون به الأسواء ، ويستعينون بهمته وشهامته في الجلل المهمّ الخطير من الحوادث والنوازل والملمّات .

(٥١) ماضي البصيرة : ذكيّ الفؤاد ، متوقد الذهن ، حادّ الفكر ، ينفذ بعلمه وضياء قلبه في مجاهل الأمور ، فلا يلتبس عليه شيء . ويقال لقوة القلب المدركة : بصيرة . وهي للقلب بمنزلة البصر للعين ؛ فالبصيرة : نور القلب الذي به تستبصر . والبصر : نور العين الذي به تبصر . وغلاب : صيغة مبالغية من الغلب ، أي كثير الغلبة . واشتبهت : التبتت ، وخفيت . ومسالك : طرق . والباز : لغة في البازي ، وهو كالصقر ، والشاهين ؛ من جوارح الطير التي تصيد وتفترس . والحجل : من بغاث الطير وصافرها ، أي الجبان الضعيف الذي يصاد ، ولا يصيد ، واحدته حجلة (بوزن قصبة وقصب) ، وهي طائر في حجم الحمامة ، أحمر المنقار والرجلين ، طيب اللحم . و«صاد الباز بالحجل» : صاد جوارح الطير ببغائها ، وصقورها بصافرها ، وقويها بضعيفها . والمراد أن الذي يختار للقيادة والحكم والزعامة ، وتلقى إليه مقاليد الأمور ينبغي أن يكون حاذقاً ماهراً ، واسع الحيلة ، شديد الدهاء ؛ فصيد البازي بالحجل : كناية عن الكياسة ، وحسن السياسة ، فهو ينال بالحيلة ما تعجز عنه القوة ، أو ينال أصعب الأمور بأيسر السبل ، أو يحلّ الأمور المعقدة بقليل من الحيلة .

(٥٢) برٌّ : صدق . من البرّ ، وهو التوسّع في فعل الخير . واستعمل البرّ في الصدق : لكونه بعض الخير المتوسّع فيه . ومنتصر : مستنصر ، أي طالب للنصرة ، أو النصر . ولبّى : أجاب ، أي أجاب المنتصر ، وأقبل عليه ، ونصره . وهمّ بالشيء : أراده ، وطلبه . والنفل : الغنيمة ، وجمعه أنفال .

وصفه بالصدق في القول ، وأنه ينصر المنتصر ، ويعين من استعان به ، ويجيب من ناداه . وإذا همّ بالحرب أقدم عليها ، وخاض غمارها ، ولم يعد منها إلا بالنصر والغنيمة .

يَجْلُو الْبِدِيهَةَ بِاللَّفْظِ الْوَجِيزِ إِذَا عَزَّ الْخِطَابُ وَطَاشَتْ أَسْهُمُ الْجَدَلِ (٥٣)
وَلَا تَلْجُوا إِذَا مَا الرَّأْيُ لَاحَ لَكُمْ إِنَّ اللَّجَاجَةَ مَدْعَاةٌ إِلَى الْفُشْلِ (٥٤)
قَدْ يُدْرِكُ الْمَرْءُ بِالتَّدْبِيرِ مَا عَجَزَتْ عَنْهُ الْكُمَاةُ وَلَمْ يَحْمِلْ عَلَى بَطْلِ (٥٥)
هَيْهَاتَ مَا النَّصْرُ فِي حَدِّ الْأَسِنَّةِ بَلْ بِقُوَّةِ الرَّأْيِ تَمْضِي شَوْكَةُ الْأَسْلِ (٥٦)

(٥٣) يجلو : يوضح ، ويظهر . والبدية : أول كل شيء ، وما تبده به غيرك من الكلام وغيره ، وما يبدئك به ، أي يبدؤك به ، ويفجؤك ، وبياعتك . وعزّ الخطاب : شق ، وصعب ، أو ضعف . وطاش السهم : انحرف عن الهدف ، ولم يصب الرمية . والجدل : مفاوضة فيها منازعة ، ومخاصمة ، ومغالبة بالحجج والأدلة والبراهين .

من صفات الشهم الذي تقلّدونه أمركم أن يكشف باللفظ الوجيز البليغ ما يفاجأ به من بدائه الكلام ، وعوارض الأفهام ، إذا عجز غيره عن الخطاب ، وانحرف المجادلون عن الصواب .
(٥٤) لَجَّ : تمادى في الخصومة والجدل . ولاح : بدا ، وظهر .

ينهى قومه عن التماذي في الجدل ، والمماحكة ، والخصومة إذا بدا لهم وجه الرأي والتدبير ، وظهر مذهب الحق والصواب ؛ فإن التماذي في المماحلة والمنازعة يدعو إلى الضعف ، ويفسد الرأي ، ويمزق شملهم ، ويذهب ريحهم ، وينتهي بهم إلى الهزيمة والخسران .

(٥٥) التدبير : التفكير في الأمر ، وتقليب وجوهه ، والنظر في عاقبته ، أي آخره ونهايته . ودبّر الأمر ، ودبّر في الأمر : ساسه ، وفعله عن فكر ، وفهم ، وتقدير ، وروية . والكمأة : جمع كميّ ، وهو الشجاع ، الجريء ، المقدام ، ولولم يتسلّح . وحمل المحارب : كره وهجم . والواو في الشطر الثاني : واو الحال . والجملة الفعلية التي بعدها حالية .
وفي هذا البيت نوه بجودة الرأي ، وإتقان التدبير ، وعظّم شأنهما ؛ فبهما وبالمسالمة والمهادنة ينال المسالم ما يعجز عن نياله المحاربون الشجعان بعنف القتال ، وشدة النزال ، وكثيراً ما تحقّق السياسة المآرب ، وتغني عن الحروب .

(٥٦) « هيهات » : كلمة تبعيد ، اسم فعل ماض ، بمعنى بعد ، ومعناها هنا مؤكّد لمعنى النفي الذي بعدها ، أي هيهات أن يكون النصر في حدّ الأسنة وحدها . والأسنة : جمع سنان (بوزن كتاب) ، وهو نصل الرمح ، أي حديدته التي يطعن بها . وحدّ السنان : طرفه المحدّد ، القاطع . وتمضي : تنفذ ، وتقطع . والأسل : الرماح ، وقد يطلق على السيوف والسكاكين ونحوها ، الواحدة أسلة (بوزن قصبه وقصب) .

والمعنى : أن الأسنة والأسلحة وأدوات القتال لا تكفي وحدها لإحراز النصر ، وكسب المعارك . وإنما ينتصر المحاربون ، وتكتسب أسلحتهم المضاء والحدّة بقوة الرأي ، وإحكام التدبير .

وَطَائِبُوا بِحُقُوقِ أُصْبَحَتْ غَرَضًا لِكُلِّ مُتَنَزِعٍ سَهْمًا وَمُخْتَلٍ (٥٧)
وَلَا تَخَافُوا نَكَالًا فِيهِ مَنْشُوكُمْ فَالْحُوتُ فِي الْيَمِّ لَا يَخْشَى مِنَ الْبَلَلِ (٥٨)
عَيْشُ الْفَتَى فِي فَنَاءِ الذَّلِّ مَنْقَصَةٌ وَالْمَوْتُ فِي الْعِزِّ فَخْرُ السَّادَةِ النَّبْلِ (٥٩)
لَا تَتْرُكُوا الْجِدَّ أَوْ يَبْدُو الْيَقِينُ لَكُمْ فَالْجِدُّ مِفْتَاحُ بَابِ الْمَطْلَبِ الْعَضْلِ (٦٠)

وهو بهذا يفضل قوة الرأي على قوة السلاح ، أو يقدم الأولى على الثانية ، أو يجعل قوة السلاح من قوة الرأي ؛ فالسلاح لا يكون قوتاً نافذاً إلا إذا استخدم عن رأي قوي ، وتدبير محكم ، ومعنى هذا البيت تأكيد وتعزيز لمعنى البيت السابق .
(٥٧) الغرض : الهدف . ومختل : مخادع .

رأى الشاعر حقوق المصريين في زمانه هدفاً للمعتدين عليها بقوة السلاح ، ونُهِية لمستليها بالمخاتلة والخداع ؛ فنبه وحمس ، وأيقظ الشعور الوطني ، وحض على المطالبة بها في جراءة وإقدام ، وعزم وتصميم .

(٥٨) نكّل به تنكيلاً : عاقبه أو عذبه ليردعه ، ويروع غيره ويحذره . ومنشؤكم : نشأتكم أو نشوؤكم . والحوت : العظيم من السمك . والشطر الثاني تذييل جار مجرى المثل .

والمعنى : لا تخشوا النكال يصبه عليكم من تخرجون عليهم من الطغاة الظالمين ، والغاصبين المستبدين ؛ فقد نشأتم في النكال والعذاب ، وتمرستم بالبلايا والنوائب . مثلكم في هذا مثل الحوت ، لا يهرب البحر ، ولا يباله ؛ لأنه ابن البحر ، والناس في .

(٥٩) فناء الذلّ : ساحة المذلة والمهانة . ومنقصة : عيب ونقيصة . والنبل (بفتحين) : النبلاء ، جمع نبيل .

ما زال الشاعر ينصح ، ويحمس ، ويحرض على إبناء الضيم ، وإسقاط حكم الإذلال والاستعباد ؛ فمن النقيصة والعار أن يرضى المرء بالذلة والهوان ، ويحيا حياة الضعف والاستخذاء . ومن النبل والفضل ، ودواعي الابتغاء والافتخار أن يموت في سبيل العزة والمنعة ، والقوة والأنفة ، والسيادة والكرامة .

(٦٠) الجدّ (بفتح الجيم) : الاجتهاد في الأمر ، وضده الهزل ، والاسم منه الجدّ (بكسر الجيم) : أي التزموا الجد إلى أن يبدو لكم اليقين . والعضل (بفتح فكسر ، أو بفتح فضم) : العسير ، الصعب .

يحضهم على التزام الجدّ ، والاجتهاد ، ومواصلة الكفاح والنضال ، حتى ينجلي لهم وجه الحق ، ويستيقنوا إصابة أهدافهم ، وتحقيق مقاصدهم ، وبلوغ آمالهم ؛ فإن الجدّ يدلل الصعاب ، ويفتح الأبواب ، ويسر المعضل العسير من المطالب ، ويقرب النائي البعيد من المآرب .

طَوْرًا عِرَاكًا وَأَحْيَانًا مُيَاسِرَةً رِيَاضَةُ الْمُهْرِ بَيْنَ الْعُنْفِ وَالْمَهْلِ (٦١)
 حَتَّى تَعُودَ سَمَاءُ الْأَمْنِ ضَاحِيَةً وَيَرْفُلَ الْعَدْلُ فِي ضَافٍ مِنَ الْحُلْلِ (٦٢)
 هَذِي نَصِيحَةٌ مَنْ لَا يَبْتَغِي بَدَلًا بِكُمْ وَهَلْ بَعْدَ قَوْمِ الْمَرْءِ مِنْ بَدَلٍ؟ (٦٣)
 أَسْهَرْتُ جَفْنِي لَكُمْ فِي نَظْمٍ قَافِيَةٍ مَا إِنْ لَهَا فِي قَدِيمِ الشَّعْرِ مِنْ مَثَلٍ (٦٤)
 كَالْبَرْقِ فِي عَجَلٍ وَالرَّعْدِ فِي زَجَلٍ وَالغَيْثِ فِي هَلَلٍ وَالسَّيْلِ فِي هَمَلٍ (٦٥)

- (٦١) العراك : الخصام ، والقتال . ومياسرة : مساهلة ، وملاينة ، وضدّها المعاصرة . والمهر : ولد الفرس . ورياضته : تمرينه ، وتدريبه . والمهل (بفتحيتين) : التؤدة ، والرفق ، واللين .
 في هذا البيت وسّع الشاعر مجال الجد ، ونوع وسائله ، ونصح أن يسلكوا إلى غاياتهم شتى السبل ، ويتذرّعوا بمختلف الأساليب من ملاينة ومخاشنة ، ومهادنة وقتال ، فإن التنوع والتوسيع من العقل والرأي والتدبير ، وهو كفيل بتحقيق المطالب ، وبلوغ المآرب ، كالمهر يستعان على رياضته وتذليله بالمراوحة بين اللين والعنف ، والرفق والشدة .
- (٦٢) ضاحية : ظاهرة ، صافية ، نقيّة . ورفل في ثيابه : أطلها وجرحها في سيره فاجراً متبخترأ .
 والضافي من الثياب ونحوها : الواسع ، الفضفاض . والحلل : الثياب ، الواحدة حُلّة (بوزن قُلة) ، وهي إزار ورداء . ولا تسمى حُلّة حتى تكون من ثوبين من جنس واحد .
 والشاعر في هذا البيت والبيتين قبله ينصح لقومه ، ويدعوهم إلى التزام الجدّ ، ومواصلة الجهاد مع تنوع أساليبه حتى يظهر الأمن ويستتبّ ، ويتمّ العدل ويستقرّ .
- (٦٣) أراد بالنصيحة : ما قدّمه إلى قومه في هذه القصيدة من لوم وعتاب ، وتوجيه وإرشاد ، وحضّ وإغراء وتبشير وتحذير . . . والنصيحة : قول فيه دعوة إلى صلاح ، ونهي عن فساد .
 يقول : هذه نصيحة يسديها إليكم أخ لكم ، مستهام بكم ، حريص عليكم ، لا يريد منكم بدلاً ، ولا يبغى عنكم حولاً ؛ لأنكم قومه وأهله ، وعترته وعشيرته . وهيهات أن يستبدل المرء بقومه غيرهم .
- (٦٤) يقول : إنه بدافع من إخلاصه ، ووطنيته ، وحبّه لقومه ، وحرصه عليهم ، وتعلّقه بهم ، بذل جهداً ، وعانى مشقةً ، وتجافى جنبه عن مضجعه ، واحتمل الأرق والسهر ، حتى نظم لهم هذه القصيدة البديعة الفريدة ، الرائقة ، الفائقة ، التي لا نظير لها في شعر الأوائل والأواخر .
 وفي البيت السابق لخصّ في كلمة « نصيحة » ما دعا إليه قومه في الأبيات التي قبله من رشد وصلاح ، وما نهاهم عنه من ضعف واستكانة . وفي هذا البيت والأبيات الستة بعده فخر بهذه اللامية المطوّلة الخالدة ، وتنويه بمحاسنها ومزاياها . والغرض : زيادة التنبيه عليها ، والترغيب فيها ، وتأكيد ما قدّمه من نصح وإرشاد ، وتوجيه وتحسيس .
- (٦٥) الزجل : الجلبة ، والصوت المرتفع العالي . والغيث : المطر . والهلل (بفتحيتين) : أول

غَرَاءُ تَعَلَّقُهَا الْأَسْمَاعُ مِنْ طَرَبٍ وَتَسْتَطِيرُ بِهَا الْأَلْبَابُ مِنْ جَذَلٍ (٦٦)
حَوْلِيَّةٌ صَاغَهَا فِكْرٌ أَقْرَلَهُ بِالْمُعْجَزَاتِ قَبِيلُ الْإِنْسِ وَالْخَبَلِ (٦٧)

المطر . ويراد به هنا انصبابه ، واندفاعه . والسييل : الماء الكثير الغزير السائل . وهمل السيل
(بفتح الهاء والميم) : فيضانه ، وجريانه ، واندفاعه . والهمل : الماء السائل ، لا مانع
يحجزه .

والمعنى : أن هذه القصيدة تسرع إلى الأفهام إسراع البرق ، وتضيء إضاءته ، وترك في
الأسماع مثل دوي الرعد ، وتنصب في الأذهان انصباب المطر ، وتجري جريان السيل .
وصفها بالوضوح ، والبلاغة ، والسلاسة ، والانسجام ، وروعة التعبير ، وقوة التأثير .
وفي البيت ترابط وثيق ، وتناسق تام بين المتعاطفات . وفيه من المحسنات البديعية جناس
بين « عجل » و « زجل » ، ثم بين « همل » و « همل » . وفيه تشطير ، وهو في الشعر كالسجع
في النثر .

(٦٦) غَرَاءُ : واضحة ، مشهورة ، مميّزة . وتعلقها : تحفظها ، وتعيها . والطرب : مصدر طرب
منه ، أو طرب له ، أي خفّ ، واهتزّ من فرط فرح وسرور ، أو فرط حزن وغمّ . وتستطير :
تطير وترتفع . ويراد بالاستطارة هنا : شدة التأثير . والألباب : العقول ، واحدها لبّ .
والجذل : الفرح .

يقول : إن لاميته هذه اتضحّت ، واشتهرت ، وامتازت من غيرها بما انفردت به من
الخصائص ، والمزايا ، والمحاسن . ثم نوّه بقوة تأثيرها ، وقوة تأثير الناس بها ، فقال : إنهم
يسمعونها ، فيطربون لها ، ويعجبون بها ، وتعيها أسماعهم ، وتستظهرها عقولهم ، وتهتزّ لها
مشاعرهم .

(٦٧) حوليّة : نسبة إلى الحول (بفتح فسكون) ، أي السنة ، أو العام . والمراد أنه أمضى وقتاً
طويلاً في نظم هذه القصيدة ، وتنقيحها ، وتحريها ، وتهذيبها ؛ حتى أخرجها محبوكة
النسج ، مختارة اللفظ ، غزيرة الحكمة ، ساحرة البيان ، تامّة المحاسن ، رائعة التعبير ، قوية
التأثير ، باقية بقاء الدهر ، كحوليات زهير بن أبي سلمى ، وهو شاعر جاهليّ من أصحاب
المعلقات . وصاغها : أنشأها ، ونظمها . وأقرّ له بكذا : اعترف له به ، وأثبتته .
والمعجزات : جمع معجزة ، وهي في الأصل أمر خارق للعادة ، يظهره الله على يد نبيه تأييداً
لرسالته ، وإثباتاً لنبوته . والمعجزة مما يعجز البشر أن يأتوا بمثله . ويراد بالمعجزات هنا : ما
يستعصي على غير الباروديّ من جيّد الشعر وفائقه . والقبيل : الجماعة من أقوام شتى .
والخبل (بفتح حين) : الجنّ .

يفتخر بأن هذه القصيدة حوليّة من صياغة فكره العبقريّ الألمعيّ الذي اعترفت جماعات
الإنس والجنّ بتفوّقه وسبقه ، وامتيازه وإعجازه .

تَلُوْحُ أَيْبَاتُهَا شَطْرَيْنِ فِي نَسَقٍ كَالْمَشْرِفِيَّةِ قَدْ سُلَّتْ مِنَ الْخِلَلِ (٦٨)
 إِنَّ أُخْلَقْتَ جِدَّةُ الْأَشْعَارِ أَثْلَهَا لَفْظٌ أَصِيْلٌ وَمَعْنَى غَيْرُ مُتَّحِلِ (٦٩)
 تَفَنَّى النُّفُوسُ وَتَبَقَّى وَهِيَ نَاصِرَةٌ عَلَى الدُّهُورِ بَقَاءَ السَّبْعَةِ الطُّوْلِ (٧٠)

(٦٨) تلوح : تظهر مشرقة متألثة . وأبياتها : أبيات هذه القصيدة . وشطر كل شيء : نصفه ، ومنه شطر البيت من الشعر . وكل بيت من الشعر شطران . وفي نسق : في اتساق ، على نظام واحد . والمشرقية : السيوف المنسوبة إلى مشارف الشام ، أو مشارف اليمن ، أو مشارف العراق ، وهي قرى من أرض العرب تدنو من الريف . أو المراد بها مشارف الشام ؛ إذ كانت مشهورة بصناعة السيوف وتجارتها . ومشارف الأرض : أعاليها . وتوضيح التشبيه هنا : أن السيف المشرقي إذا سل من غمده بدا له صفحتان متألثتان لامعتان مشرقتان . وكذلك أبيات هذه القصيدة ؛ فلكل بيت منها شطران كصفحتي المشرقي . وسلت من الخلل : أخرجت من أغمادها . سللت السيف : انتضيته ، أي جرّده ، وأخرجته من غمده . والخلل : جمع خلة (بوزن علة وعلل) وهي جفن السيف ، أي غمده .

يقول : تظهر أبيات هذه القصيدة متوافقة متناسقة ، كل بيت منها شطران متسقان على نظام واحد ، كأنها السيوف جرّدت من أغمادها ، فبهرتك بلألها ، وتساويها ، وبديع نظامها ، وحسن تنسيقها .

(٦٩) أخلق الثوب ونحوه : ذهب جِدَّتْه ، وأخلقت جدّة الأشعار : أي كانت جديدة ، ثم أخلقت ، أي بليت بمرور الزمن ، وذهبت بهجتها ونضارتها ، وضعف تأثيرها . وأثلها : أثل هذه اللامية ، أي أصلها وجعلها ذات أصل ثابت راسخ ، لا يصيبه البلى ، ولا ينال منه القدم . ولفظ أصيل : جيّد ، قويّ ، متميّز . وأصالة اللفظ والأسلوب : جودته ، واستحكامه ، وحبك تأليفه . وغير متحلل : مبتدع ، مبتكر ، غير مسبوق ، أو غير مسروق . انتحل فلان الشيء : أي ادّعاه لنفسه ، وهو في الحقيقة لغيره .

يفتخر بأن قصيدته هذه جيّدة اللفظ ، محبوكة النسيج ، متينة التركيب ، متميّزة الأساليب . ومعانيها إلى هذا مبتدعة مبتكرة غير مسبوق ، فإذا بليت أشعار غيره من الشعراء ، وذهب الزمان بجِدَّتْها ونضارتها ، بقيت هذه القصيدة جديدة فريدة ، ناصرة زاهرة ، بليغة التعبير ، شديدة التأثير بأصالة ألفاظها ، وبديع معانيها .

(٧٠) « هي ناصرة » : أي حسناء ، رائقة . والسبع الطول من القرآن الكريم : سورة البقرة ، وآل عمران ، والنساء ، والمائدة ، والأنعام ، والأعراف ، والسابعة سورة يونس ، أو سورة الأنفال ، أو الأنفال ومعها التوبة (براءة) ؛ لأنهما سورة واحدة عند بعض المفسرين ، ومجموعهما السورة السابعة من السبع الطول . والسبع الطول من الشعر : معلقات امرئ القيس ، وزهير ، وعمرو بن كلثوم ، ولييد ، وطرفة ، وعنترة ، والحارث بن حلزة . والطول

وَقَالَ وَهُوَ بِحُلْوَانَ* ، وَقَدْ أَقَامَ بِهَا مُدَّةً ، لِمُلَازِمَةِ الْحَمَامَاتِ :

طَرِبْتُ وَلَوْلَا الْحَلْمُ أَذْرَكَنِي الْجَهْلُ وَعَاوَدَنِي مَا كَانَ مِنْ شِرَّتِي قَبْلُ^(١)
فَرُحْتُ كَأَنِّي خَامَرْتَنِي سَبِيئَةً مِنْ الرَّاحِ مَنْ يَعْلُقُ بِهَا الدَّهْرَ لَا يَسْلُو^(٢)

(بوزن الكُبرى) : جمع الطُولَى (بوزن الكُبرى) : مؤنث الأطول .
في الأبيات السابقة افتخر البارودي بهذه القصيدة ، وأطراها ، ونوّه بمحاسنها ومزاياها .
وفي هذا البيت بلغ باعتداده وفخره بها القمّة ، فقال : إن الناس يفنون ، وتبقى بعد فنائهم
خالدة خلود الدهر ، محتفظة برونقها ونضرتها ، وبهائها وجدتها .
ومن مبالغاته المقبولة أن يقرن بقاءها ببقاء المعلقات السبع ، وهي أبلغ ما أثر وحُفظ من
الشعر العربي القديم .

(*) « حلوان » : بلدة مصرية ، على الضفة الشرقية لنهر النيل ، وعلى بعد خمسة وعشرين
كيلومتراً جنوبي القاهرة . وقد اشتهرت من قديم الزمان بعيون معدنية ، بنيت عليها حمامات ،
يستشفى بمياهها الكبريتية الساخنة من الأمراض الجلدية ، ومن أمراض أخرى غيرها . وبعد
عودة البارودي من منفاه في ١٢ من سبتمبر سنة ١٨٩٩ استجاب لنصيحة أطبائه ، فقصده إلى
هذه المدينة ، وأقام بها فترة للاستشفاء بجوّها وهوائها ، وبيئتها الطبيعية ، ومياهها المعدنية .
(١) طربت : اهتزت فرحاً من الطرب . والحلم : الأناة ، والعقل ، والرزانة ، والوقار . وضده
الجهل : وهو الخفة ، والسفه ، والحماسة ، والطيش . وأدركني : لحقني ، وأصابني ،
وتمكن مني . وعادوني : رجع إليّ بعد الانصراف عني . وشرة الشباب : مرحة ، وخفته .
استقرّ بحلوان مقام الشاعر ، وانتفع بجوّها وحماماتها ؛ فعادت إليه صحته ونشاطه ؛ فاهتزّ
فرحاً وسروراً . ولولا حلمه وعقله لاستخفه الطرب ، وأصابه جهل الفتوة ، وعاد إليه ما كان له
من صبوة الصبا ومرح الشباب .

ومن هذا البيت انتقل الشاعر في الأبيات الثمانية الآتية إلى وصف الخمر ، وبيان آثارها ،
وهيام نفوس شاربها بها .

(٢) خامرتني : خالطتني ، ومازجت دمي وجسمي ، وظهر أثرها في حواسي وعقلي . وسبيئة :
فعيلة ، من سبأت الخمر ، أي اشتريتها لأشربها لا لأتجر فيها . والراح : الخمر . ويعلق
بها : يتعلق . وسلوت الحبيب ، وسلوت عنه : نسيته ، وصبرت على فراقه .

والمعنى : أني طربت لرؤية « حلوان » واستقراري بها ، وانتفاعي بحماماتها ، فرحت
لهذا كله ، أي هشتت له ، وتملكتني خفة ، وهزة ، ونشاط ، كأني مخمور بخمر جيّدة ، من
شربها اعتادها ، وتعلق بها ، وواظب عليها ، أبد الدهر ، لا يستطيع على فراقها صبراً ، ولا
يطيق عنها سلواناً .

سَلِيلَةٌ كَرَمٍ شَابَ فِي الْمَهْدِ رَأْسُهَا وَدَبَّ لَهَا نَسْلٌ وَمَا مَسَّهَا بَعْلٌ^(٣)
 إِذَا وَلَجَتْ بَيْتَ الضَّمِيرِ رَأَيْتَهَا وَرَاءَ بَنَاتِ الصُّدْرِ تَسْفُلُ أَوْ تَعْلُو^(٤)
 كَأَنَّ لَهَا ضِغْنًا عَلَى الْعَقْلِ كَامِنًا فَإِنَّ هِيَ حَلَّتْ مَنْزِلًا رَحَلَ الْعَقْلُ^(٥)

(٣) سليلة : ابنة ، مؤنث السليل ، وهو الولد حين يخرج من بطن أمه . والكرم (بفتح فسكون) : العنب ، أو شجر العنب . وشيبة رأس الخمر في المهد : كناية عن الحجاب ، أو الزبد ، أي الرغوة البيضاء التي تعلقو الخمر ، وتطفو فوقها ، وهي في دنها ، في الطور الأول من أطوار اختمارها وتعتيقها . ودبّ : مشى مشياً رويداً ، أي ليئناً ، هادئاً ، رقيقاً ، ومنه ديبب الطفل الصغير . ولها : للخمر . والنسل : الولد ، والذرية . ونسل الخمر : ما ينفصل منها ، متحركاً في خلالها ، في أثناء تفاعلها ، واتحاد عناصرها وهي تختمر . ودبيبها : حركته الهيئته ، اللينة . وبعل المرأة : زوجها . وما مسها : أي لم يخالطها ، ولم يتصل بها . مسّ الرجل زوجته : أي تغشاها ، وخالطها .

وفي البيت الأول أعلن الشاعر طربه ، لاستقراره بحلوان ، واستمتاعه بمزاياها ، مع احتفاظه بحلمه ، ورزاقته ، وهيبته ، ووقاره .

وفي البيت الثاني شبه طربه بطرب المخمور ، واستطرد لوصف الخمر ، وبيان بعض آثارها ، وتعلق شاربيها بها .

وفي هذا البيت أشار إلى الطور الأول من أطوار تخميرها وتعتيقها ؛ فالرغوة ، أو الزبد ، أو الحجاب يطفو فوقها وهي تختمر ، كأنه الشيب يعمّ شعر الرأس . وفي جوفها حركات التفاعل الكيميائي . ومن هذا التفاعل انفصال كثير من جزئياتها ، وتحركها في خلالها ، كأنها نسلها يدبّ ديبياً .

(٤) ولجت : دخلت ، أي الخمر . والضمير : المضمّر ، أي ما تضمّره في نفسك ، وتكنمه ، ويراد بالضمير هنا : قلب شارب الخمر . ورأيتها : أحسست بها . وبنات الصدر : الهموم والأحزان . ومن كلامهم : « غلبتني بنات الصدر » : أي أرهقتني همومي وأحزاني . والخمر تسفل وتعلو وراء بنات الصدر : أي تجيش وتضطرب في جوف شاربها طاردة بنات الصدر . والخمر - في زعم شاربيها وتخيلهم - تذهب همومهم ومتاعبهم ، وتنسيهم أحزانهم وأشجانهم .

(٥) لها : للراح ، أي الخمر . والضغن ، والضغينة : الحقد الشديد ، والانطواء على العداوة والبغضاء . وكامن : مستتر . مضمّر ، خفيّ ، مكتوم . وحلّ المكان ، وحلّ به : نزل به . يقول : إن الخمر والعقل لا يكادان يلتقيان ، كأنهما عدوان متضاغان ؛ فالخمر تضمّر للعقل أشدّ الحقد ، وتظهر له كلّ الكراهية والبغضاء ، فإن هي نزلت في جوف شاربها لم يسع العقل إلا أن يشدّ رحاله ، ويعجّل ترحاله .

تُعْبَرُ عَنْ سِرِّ الضَّمِيرِ بِالسُّنِّ
 مِنْ السُّكْرِ مَقْرُونٍ بِصِحَّتِهَا النُّقْلُ (٦)
 مُحَبَّبَةٌ لِلنَّفْسِ وَهِيَ بِلَاؤُهَا
 كَمَا حُبِّتْ فِي فَتْكِهَا الْأَعْيُنُ النُّجْلُ (٧)
 يَكَادُ يَذُودُ اللَّيْثَ عَنْ مُسْتَقَرِّهِ
 إِذَا مَا تَحَسَّى كَأْسَهَا الْعَاجِزُ الْوُغْلُ (٨)
 تَرَى لِخَوَابِيهَا أَزِيزاً كَأَنَّهَا
 خَلَايَا تَغْنَّتْ فِي جَوَابِهَا النُّحْلُ (٩)

(٦) عبّر عما في نفسه : أعرب ، وأظهر ، وأفصح . وسرّ الضمير : ما يبالي المرء في إخفائه وكتمانه ، والسر والضمير هنا كلمتان مترادفتان . أي أن الخمر تسكر المخمور ، فيحمله السكر على إفشاء أسراره ، وفضح نفسه ، وكشف ما انطوى عليه ضميره بعبارات وكلمات مقرون بصحتها النقل . ومقرون : اسم مفعول من قرّن الشيء بالشيء ، أي وصل به ، وربط ، وجمع . و« بصحتها » : بصحة الألسن ، أي بصدق ما ترويه ، وتخبر به . والنقل : مصدر نقلت الخبر أو الكلام عن صاحبه ، أي رويته عنه ، وأبلغته غيره . ومعنى « مقرون بصحتها النقل » أن ما تنقله الألسنة ، وتخبر به صحيح صريح ، لا شك فيه . أو أن العبارات والأنباء التي يخبر بها السكران غير منقولة من سرّه وضميره نقلاً صحيحاً صريحاً لا ريب فيه .

والمعنى : أن الخمر تظهر أسرار المخمور ، وتحمله على إفشائها ؛ فهو يطلع عليها مجالسيه ، أي كانوا في غير موارد ، وبلا تحرج ، أو احتراس . إن السكران - بسبب سكره - ينقل إلى غيره نقلاً صحيحاً صحيحاً ما كان يحرص كل الحرص على كتمانه وإضماره من الأسرار والأخبار قبل أن تمزق الخمر إزاره ، وتهتك أستاره .

(٧) محببة : أي الراح محببة للنفس . وبلاؤها : بلاء النفس . والبلاء : المحنة ، والفتنة ، والشر ، والعذاب . و« في » : للظرفية أي كما حبيت الأعين النجل إلى العاشقين في حال فتكها بهم . أو هي بمعنى « مع » . والنجل : جمع نجلاء ، أي واسعة حسناء .

والمعنى : أن الخمر محببة إلى نفوس مدمنيها ، وهي - مع ولوعهم بها ، وحبهم لها - شرّ لهم ، ووبال عليهم ، كعيون الحسان فتك بالعشاق ، وتحمل إليهم بلايا العشق ، وهمومه ، وهم على الرغم من هذا كله يستعذبونه ، ويهيمون بالمعشوقات وعيونهن ، كأنما يطلبون المزيد من العذاب والأوصاب .

(٨) يذود : يدفع ، ويطرد . وفاعله : ضمير « العاجز » . والليث : الأسد . ومستقرّه : عرينه . وتحسّى الماء وغيره : شربه شيئاً فشيئاً ، أو جرعة بعد جرعة . والوغل (بفتح فسكون) : الضعيف الجبان ، والنذل الساقط .

والمعنى : أن الخمر تجعل الضعيف الجبان شجاعاً مقداماً .

(٩) يلاحظ أن الشاعر وضع « ترى » موضع « تسمع » ؛ فالأزيز ونحوه من الأصوات يسمع ، ولا يرى . ولخوابيها : لخوابي الخمر ، جمع خابية ، وهي الحُبّ أو الدن ، أو شبههما من

سَوَاكِنُ آطَامٍ زَفَّتْهَا مَعَ الضُّحَى يَدَا عَاسِلٍ يَشْتَارُ أَوْ خَابِطٍ يَفْلُو^(١٠)
دَنَا نَمَّ أَلْقَى النَّارَ بَيْنَ بُيُوتِهَا فَطَارَتْ شَعَاعاً لَا يَقْرُّ لَهَا رَحْلُ^(١١)
مُرْوَعَةٌ هَيْجَتْ فَضَلَّتْ سَبِيلَهَا فَسَارَتْ عَلَى الدُّنْيَا كَمَا انْتَشَرَ الرَّجُلُ^(١٢)
فَبِتُّ أَدَارِي الْقَلْبَ بَعْضَ شُجُونِهِ وَأَزْجُرُ نَفْسِي أَنْ يُلِمَّ بِهَا الْهَزْلُ^(١٣)

الأوعية والآنية التي تحفظ فيها الخمر وتعتق . والأزيز : صوت غليانها . أزت القدر ، أو الخابية ، أو نحوهما : تحرك ما فيها ، واضطرب وصوت من شدة الغليان . والخلايا : جمع الخلية ، وهي بيت النحل الذي تسكنه ، وتأوي إليه ، وتعتسل فيه . وتغنى المغني : غنى ، وطرب ، وترنم .

شبه ما يسمع من نشيش الخمر وأزيرها في دنانها إبان غليانها بغناء النحل في جوانب خلاياها .

(١٠) سواكن : جمع ساكنة . ويراد بالأطام هنا : خلايا النحل وبيوتها ، جمع أطم (بضم فسكون ، أو بضميتين) وهو في الأصل الحصن والبيت المرتفع . وزفتها : طردتها . والعاسل : من يأخذ عسل النحل من خلاياها ، ومثله المشتار . واشتار : استخرج العسل من الخلية ، واجتناه ، وجمعه . وخابط : من خبطت الشجرة بالمخبط ، أي ضربتها ، ليسقط ورقها . وفلاه : خبطه ، وضربه .

في هذا البيت قال : إن هذه النحل المغنية الهائلة كانت ساكنة مطمئنة في بيوتها ، فضاحاها عاسل مشتار ، أو خابط فال ؛ فأزعجها وأثارها ، وهاجها وطردها ، وفرق جمعها ، وشتت شملها .

(١١) طارت شعاعاً : طارت متفرقة منتشرة . وقر يقرّ : ثبت ، وسكن ، واستقر . والرحل : مسكن الإنسان . وعدم قرار رحل النحل : كناية عن تفرقها ، وانزعاجها ، وانتشارها ، فهو تكرار وتأکید لمعنى « طارت شعاعاً » .

يقول : إن العاسل المشتار ، أو الخابط الفالي اقترب من خلايا النحل ، ثم طرح بينها شعل النار ؛ فأقلقها ، وأزعجها ، وشتت شملها ، فذهبت متفرقة ، وهامت على وجوهها ، لا تلوي على شيء .

(١٢) مرّوعة : مفرّعة ، مخوّفة ، مدعورة . وهيجت : أثيرت . وهاجهم : أثارهم . وضلت سبيلها : لم تهتد إلى طريقها . وسارت على الدنيا : هامت على وجوهها ، متحيرة ، مضطربة لا تدري أين تتوجه . والرجل (بكسر فسكون) : الطائفة العظيمة من الجراد .

(١٣) الشجون : الهموم ، والأحزان . ويراد بالشجون هنا : أشجان العشق وهموم الغرام . ومن معاني الشجن : الحاجة الشاغلة ، وهوى النفس . وقد يكون هذا المعنى هو المراد هنا .

وَمَا كُنْتُ أُدْرِي وَالشَّبَابُ مَطِيئَةٌ إِلَى الْجَهْلِ أَنَّ الْعِشْقَ يَعْقُبُهُ الْخَبْلُ (١٤)
 رَمَى اللَّهُ هَاتِيكَ الْعُيُونَ بِمَا رَمَتْ وَحَاسِبَهَا حُسْبَانَ مَنْ حُكِمَهُ الْعَدْلُ (١٥)
 فَقَدْ تَرَكْتَنِي سَاهِي الْعَقْلِ سَادِرًا إِلَى الْغِيِّ لَا عَقْدٌ لَدَيَّ وَلَا حَلٌّ (١٦)
 أَسِيرٌ وَمَا أُدْرِي إِلَى أَيْنَ يَنْتَهِي بِي السَّيْرُ لَكِنِّي تَلَقَّفَنِي السُّبُلُ (١٧)
 فَلَا تَسْأَلْنِي عَنْ هَوَايَ فَإِنِّي وَرَبِّكَ أُدْرِي كَيْفَ زَلَّتْ بِي النُّعْلُ؟ (١٨)

وزجره : منعه ، وكفه ، ونهاه . وألم به يلتم : حل به ، ونزل . والهزل : الهزال ، والضعف .

(١٤) المطيئة من الدواب : ما يمتطي ، ويركب . والخبيل : الجنون ، وفساد العقل ، والبله ، والهوج ، ومثله الخبال .

والمعنى : أن الفتيان يمتطون نشاط فتوتهم إلى الجهل ، والخفة ، والطيش ، والسفاهة ، وما لا خير فيه من اللهو والعبث ، والهزل والمجون . ومن الجهل وقوع الفتى في مهوى الهوى والغرام .

(١٥) رمى الله ظالمي بالبلايا : دعاء على العيون التي تيمته ، ويريد بها : عيون الحسان اللاتي أوقعنه في شرك الهوى والغرام . و « بما رمت » : بمثل ما رمت به عشاقها من السهر ، والوصب ، والمتاعب ، والآلام .

(١٦) تركتني : أي عيون الحسان . وساهي العقل : ذاهب العقل . والسادر : المتحير التائه . والغى والغواية : الخيبة ، والانهماك في الجهل ، والإمعان في الضلال ، وضده الرشد . و « لا عقد لدي ولا حل » : كناية عن عجزه وقصوره .

يقول : تركتني عيون الحسان مشتركاً ، مخبولاً ، شارداً الذهن ، تائهاً في الضلال ، لا تواتيني حيلة ، ولا أجد وسيلة .

(١٧) تلقفني : أصلها « تلقفني » ، ثم حذف إحدى التاءين تخفيفاً : مضارع تلقفت الشيء ، أي تناولته بسرعة . والسبل (بوزن كتب) : جمع سبيل ، وهو الطريق . وسكنت الباء هنا للتخفيف ، وضرورة وزن الشعر .

يصف بعض آثار الهيام ، وسهو العقل ، والخبال ؛ فالشوارع تتلقفه ، والطرقات تتداوله ، فيسير فيها هائماً في غير وعي ، وعلى غير هدى ، لا يدري أين يتوجه ، ولا يكاد يعرف لسيره هدفاً أو مقصداً .

(١٨) أدري : لا أدري ولا أعرف ولا أعلم ، بتقدير « لا » النافية ؛ فإن الكلام يشير إليها ، ويدل عليها . وزلت قدمه في طين ونحوه : زلجت ، وزلقت ، وسقطت . والنعل : الحذاء ونحوه .

فَمَا هِيَ إِلَّا أَنْ نَظَرْتُ فُجَاءَةً
إِلَى نِسْوَةٍ مِثْلِ الْجُمَانِ تَنَاسَقَتْ
بِحُلْوَانِ حَيْثُ أَنْهَارَ وَأَنْعَقَدَ الرَّمْلُ (١٩)
فَرَائِدُهُ حُسْنًا وَأَلْفَهُ الشَّمْلُ (٢٠)
كَذَابًا فَلَا عَهْدَ لَهُنَّ وَلَا إِلٍ (٢١)
يُجَنُّ جُنُونًا عِنْدَ رُؤْيَتِهِ الْعَقْلُ (٢٢)
أَرُودُ الْفَيَافِي لَا صَدِيقٌ وَلَا خِلٌ (٢٣)

والمعنى : لا تسألني عن عشقي وغرامي سؤال العاذل اللائم ؛ فقد وقعت فيه على غرة ، ولم أدر كيف أوثقتني حباله ، وطوقتني أغلاله .
(١٩) يقول : فلم تكن حالي ، أو قصة ذلك العشق إلا نظرة فجائية غير مقصودة ، وقعت مني بمدينة حلوان على نسوة مثل الجمان . . . فكان الذي لولاه ما درت هائماً . . .
(٢٠) الجمان : الدر أو اللؤلؤ ، الواحدة جمانة ، وتشبه بها المرأة في البياض والنقاء والصفاء . وفرائده : فرائد الجمان ، أي وحداته ، وجواهره ، جمع فريدة ، وهي الجوهرة النفيسة . وألفه : ألف الجمان ، أي جمعه ، ونظمه ، ورتبه ، ونسقه . والشمل : اجتماع الأمر ، أي اجتماع أمر هذا الجمان ، واثتلاف حباته .
وقع نظره فجأة ، وبلا قصد ، على هؤلاء النسوة الجميلات الساحرات العيون ، فشبهن في جمالهن ، واجتماع شملهن ، وانتظامهن . . . بعقد من لؤلؤ تناسقت وحداته ، واثتلت فرائده ، وتألقت ، وتشابهت في الحسن والبهاء ، والرونق والرواء .
(٢١) الماطلات : جمع ماطلة ، اسم فاعل من مطل المدين الدائن دينه ، أو بدينه ، ومطله حقه ، أو بحقه ، إذا سوفه بوعده الوفاء ، وأجله مرة بعد أخرى . ويراد بالمرء هنا : المحب العاشق المستهام . والعهد : الموثق ، والوفاء ، ومثله « الإل » .
والمعنى : أن هؤلاء الحسان قد يعذن العشاق باللقاء والوصال ، وهن يضمنن الكذب والمطال ؛ فلا وفاء لهن ، ولا سبيل إليهن .
(٢٢) تكتفنا فلاناً : أحطنا به من كل جانب .
يقول : إن هؤلاء النسوة الجميلات اللاتي وقع نظره عليهن فجأة قد أحطن من كل جانب بفتاة منهن باهرة الرواء ، غاية في البهاء ، كأنها تمثال للحسن ، أجاد المثال صناعته ، وأحكم صياغته ؛ فإذا رآها المرء فتين فتوناً وجن جنوناً .
(٢٣) « كان » : تامة ، ومعناها : وجد ، أو حصل ، أو وقع . وفاعله « الذي » ، أي فكان الحب أو العشق ، أو الغرام الذي لولاه ما دار هائماً ، أي متحيراً في أمره ، يسير على غير هدى . وهائماً : اسم فاعل من « هام » ، أي خرج على وجهه في الأرض ، لا يدري أين يتوجه . وهام

فَوَيْلٌ لِّمَا مِنْ نَظْرَةٍ مَضْرِحِيَةٍ رُمِيتُ بِهَا مِنْ حَيْثُ وَاجَهَنِي الْأَثْلُ (٢٤)
 رُمِيتُ بِهَا وَالْقَلْبُ خِلْوٌ مِنَ الْهَوَى فَمَا بَرِحَتْ حَتَّى اسْتَقَلَّ بِهِ شُغْلُ (٢٥)
 لَقَدْ عَلِقْتُ مَا لَيْسَ لِلنَّفْسِ دُونَهَا غَنَاءٌ وَلَا مِنْهَا لِذِي صَبْوَةٍ وَضَلُّ (٢٦)

في الأمر : تحير فيه ، واضطرب ، وذهب كل مذهب . وراد الشيء يروده : طلبه ، وابتغاه .
 والفيافي : الفلوات ، والقفار ، والصحاري ، والمفاوز لا ماء فيها ، ولا حياة . الواحدة فيفاء
 (بوزن صحراء) . والخِلُّ (بكسر الخاء وتشديد اللام) : الصديق المختصّ الودود ، ومثله
 الخليل .

عشق الشاعر الفتاة التي أشار إليها في البيت السابق ، وبلغ به العشق مداه ؛ فتدلّه ،
 وتولّه ، وهام على وجهه في الفيافي والفلوات ، فريداً وحيداً ، لا يكاد يجد خليلاً يزيل
 وحشته ، أو صديقاً يخفف لوعته .

(٢٤) « ويلمها » : أصلها ويل لأمتها . والويل : الشر ، والعذاب . واستعملوها في التعجب ، أو
 التفجع . فكأنه قال : عجباً لها من نظرة . . . أو أتفجع منها ، وأتوجع ، وأتألم ؛ لأنها جنت
 عليّ ، وأسأت إليّ . ومضرحية : صفة لـ « نظرة » ، ومعناها صائدة صائبة ، نسبة إلى
 المضرح ، وهو الصقر ، أو النسر الطويل الجناح ، ومثله المضرحي . والأثل (بفتح
 فسكون) : شجر طويل مستقيم يُعمّر ، جيد الخشب ، كثير الأغصان ، متعقدها ، دقيق
 الورق ، طويله ، لا ثمر له ، وواحدته أثلة (بوزن تمره وتمر) .

تعجّبته نظرة الحسناء إليه واستهوته ، وأوقعته في شرك الحب ، وحبائل العشق . ويبدو أنه
 لما نظر إلى النسوة نظرتة الفجائية التي أشار إليها في البيتين التاسع عشر والعشرين صادفت
 نظرتة إليهن نظرتها إليه ؛ فكانت الفاتنة المولّهة ، وكان ما كابده وضائنه من الوجد والهيام ،
 والهوى والغرام .

(٢٥) استقل بالأمر : تفرد به واستبد .

أحبّ الشاعر هذه الحسناء ، وهام بها على أثر نظرتها إليه ، وكان قلبه قبلها فارغاً من
 الهوى ، ولم تكذ تفارقه حتى استبدّ الحبّ بفؤاده ، وذهبت به شواغل العشق ، وهموم
 الغرام .

(٢٦) علقت : هويت ، وأحبّت . وليس لنفس العاشق غناء بغير هذه المعشوقة ، أي أن نفسه لا
 تستغني عنها ، ولا تسلوها ، ولا تجد صبراً على فراقها . وغناء (بوزن سناء) : استغناء
 واكتفاء . والصبوة : الميل ، والحنين ، والشوق . وذو الصبوة : العاشق ، المحبّ ،
 المشتاق . والوصل : ضدّ القطيعة . « ولا منها لذي صبوة وصل » : أي لا يرجى منها وصل
 للصبّ العاشق المستهام .

لاقت نظرتة إليها نظرتها إليه ، فعلقها عرضاً من غير قصد ، ولكنه ما لبث أن هام بها ولم يجد ما

فَتَاةٌ يَحَارُ الطَّرْفُ فِي قَسَمَاتِهَا لَهَا مَنْظَرٌ مِنْ رَائِدِ الْعَيْنِ لَا يَخْلُو (٢٧)
لَطِيفَةٌ مَجْرَى الرُّوحِ لَوْ أَنَّهَا مَشَتْ عَلَى سَارِبَاتِ الذَّرِّ مَا آدَهُ الْحِمْلُ (٢٨)
لَهَا نَظْرَةٌ سَكْرَى إِذَا أُرْسِلَتْ بِهَا إِلَى كَبِدِ فَالْوَيْلُ مِنْ ذَاكَ وَالثُّكْلُ (٢٩)
تُرِيْقُ دِمَاءً حَرَّمَ اللَّهُ سَفْكَهَا وَتَخْرُجُ مِنْهَا لَا قِصَاصٌ وَلَا عَقْلُ (٣٠)

يسليه، أو يغنيه عنها. ثم رآها متمنعة مترفعة، فزادت بالهجران عذابه، وضاعفت بالصدود أوصابه.

(٢٧) الطرف : البصر، والنظر. حار بصره يحار : نظر إلى شيء، فغشيه منه ضوء، فلم يقو على النظر إليه، وارتد عنه. وقسماتها : محاسنها، واحدها قسمة. ومنظرها : مفاتها، وما يعجبك منها، ويستهوئك إذا نظرت إليه. ولا يخلو من رائد العين : أي لا يخلو من عين تروده وتعوده، وتبتغيه، وتسرح فيه.

يقول : إن منظر هذه الفتاة بهيج جميل، فاتن ساحر، لا يكاد يخلو من عين تتجه إليه، وتقبل عليه، مفتونة ببهجته وجماله، مسحورة بحسنه وروائه، فمحاسنها على الدوام تحير الأبصار، وجمالها مراد الأنظار.

(٢٨) مجرى الروح : كناية عن الجسم، أي الجسد، أو البدن. والسارب : اسم فاعل من سرب، أي مضى، وذهب. والذَّرُّ : صغار النمل، الواحدة ذرة. وآده الحمل : أثقله، وأجهده.

وصف جسمها بالخفة واللطافة، قائلاً : لو مشت هذه الحسناء على الساربات في الأرض من صغار النمل لم تستثقل حملها. وهذه مبالغة غير سائغة.

(٢٩) نظرة سكرى : نظرة فاترة ساكنة، كأنها ناعسة. والعرب تستحسن الفتور في عيون النساء، وتتغزل به. وأرسلت بها إلى كبد العاشق : وجَّهتها إلى قلبه. والثكل (بضم فسكون) : الموت والهلاك. ويراد بالويل والثكل : ما يضانيه الصبّ المستهام من تباريح الوجد، ولوعة الغرام.

(٣٠) تريق : تصب، وتسيل. وسفك الدم : إراقته، وإسالته. وتخرج منها : تخرج من الدماء، أي من وزر سفكها، وتبعات إراقتها. والعقل : الدية، وهي المال الذي يدفعه القاتل، أو أهله إلى وليّ المقتول أو ورثته تعويضاً من دمه، ومثلها العدل.

والمعنى : أن غرام العشاق بهذه الحسناء يلوعهم ويضنيهم، وأنها تضاعف لوعتهم وأوصابهم، وتوردهم موارد الردى والهلاك بالصدّ والقطيعة، والإعراض والهجران. ومن عجيب أمرها أنها تخرج من هذه التبعات والأوزار كلّها آمنة مطمئنة، لا يؤخذ منها عدل، ولا يقع عليها قصاص.

لَنَا كُلُّ يَوْمٍ فِي هَوَاهَا مَصَارِعُ يَهِيحُ الرَّدَى فِيهَا وَيَلْتَهُبُ الْقَتْلُ (٣١)
 مَصَارِعُ شَوْقٍ لَيْسَ يَجْرِي بِهَا دَمٌ وَمَرَمَى نَفُوسٍ لَا يَطِيرُ بِهِ نَبْلٌ (٣٢)
 هَنِئًا لَهَا نَفْسِي عَلَى أَنَّ دُونَهَا فَوَارِسَ لَا خُرْسُ الصَّفَاحِ وَلَا عُزْلٌ (٣٣)
 مِنْ الْقَوْمِ ضَرَّابِي الْعَرَاقِيبِ وَالطُّلَى إِذَا اسْتَنْتِ الْغَارَاتُ أَوْ فَعَرَ الْمَحْلُ (٣٤)

(٣١) مصارع : جمع مصرع ، ويراد بالصرع : القتل . ويهيج : يشور ، ويشتد . والردى : الهلاك . ويلتهب : يشتد ، ويكثر . مستعار من التهاب النار ، أي توقدها واشتعالها .
 (٣٢) النبل : السهام العربية .

والمعنى : أن المصارع التي ذكرها في البيت السابق ليست معارك تجري فيها دماء الجرحى والقتلى ، وترمى فيها النفوس بالسهام والنبال . وإنما هي مصارع شوق وغرام ، ووجد وهيام ، وكثيراً ما يصرع الشوق الواجد المستهام .
 (٣٣) هنؤ الشيء هناءة فهو هنيء : تيسر من غير مشقة ، ولا عناء . ودونها فوارس : دون نفسي فرسان ، أي يحميها ويحيط بها فرسان . وسيف أخرس : أي لا صوت له . ويراد بالصفاح هنا : السيوف ، وسائر أسلحة الحرب والقتال . وعزل (بضم فسكون) : جمع أعزل ، وهو من لا سلاح معه .

والمعنى : أن هذه المعشوقة قد تيمته ، وسيطرت عليه ، وتملكت نفسه بسلطان الحب ، وسطوة الغرام على الرغم من أنه عزيز أبي ، منبع قوي ، محصن محمي بمحاربين أشداء أقوياء ، شجعان بسلاء ، وكماة مدججين بأسلحة لها قعقة وصليل ، وفرسان من قومه أولي قوة ، وأولي بأس شديد .
 وفي الأبيات التالية إلى آخر القصيدة ينتقل من الغزل إلى الفخر بقومه ، والإشادة بمزاياهم .

(٣٤) « من القوم » : بيان للفوارس في البيت السابق . وضراب : صيغة مبالغة ، تدل على كثرة الضرب ، وشدته ، وعنفه . والعراقيب : جمع عرقوب (بوزن عصفور وعصافير) ، وهو من الإنسان وتر أو عصب غليظ خلف كعبي القدم ، وفوق العقب ؛ ومن الدابة ما يكون في رجلها بمنزلة الركبة في يدها . ومن عادة العرب أن يضربوا عراقيب الإبل ونحوها تمهيداً لذبحها . وقد يكون المعنى : أنهم يضربون عراقيب أعدائهم المنهزمين أمامهم . والطللى : الأعناق ، الواحدة طُلِيَّة (بوزن كُلِّيَّة وكُلِّي) . واستنتت : نشطت ، واشتدت . والغارات : جمع الغارة ، وهي الخيل المغيرة المسرعة والهجوم على العدو . والقوم يهجمون على غيرهم . وفغرفاه : فتحه . وفغرفاه : انفتح . والمحل : الجذب والشدة وانقطاع المطر ، ويسب الأرض من الكلاً والنبات . وانفغار المحل : كناية عن اشتداد الجذب واتساعه .

إِذَا نَامَتِ الْأَضْغَانُ عَنْ وَتْرَاتِهَا
 رِجَالٌ أُولُو بَأْسٍ شَدِيدٍ وَنَجْدَةٌ
 إِذَا غَضِبُوا رَدُّوا إِلَى الْأَفْقِ شَمْسَهُ
 مَسَاعِيرُ حَرْبٍ لَا يَخَافُونَ ذِلَّةً
 فَقَوْمِي قَوْمٌ لَا يَنَامُ لَهُمْ ذَحْلٌ (٣٥)
 فَقَوْلُهُمْ قَوْلٌ وَفِعْلُهُمْ فِعْلٌ (٣٦)
 وَسَالَ بِدُفَاعِ الْقَنَا الْحَزْنَ وَالسَّهْلُ (٣٧)
 إِلَّا إِنَّ تَهْيَابَ الْحُرُوبِ هُوَ الذُّلُّ (٣٨)

(٣٥) الأضغان : جمع ضغن (بكسر فسكون) ، وهو الحقد الشديد . والوترات : جمع وتره (بوزن سجدة) : اسم مرة من وترت الرجل ، أدركته بمكروه ، أو قتلت حميمه ، فأفردته منه . ومثلها الترة ، والوتر ، والثار . والذحل : الضغن ، والحقد ، والعداوة ، والبغضاء . وهو أيضاً الثار . ولا ينام لهم ذحل : لا تنام عداوتهم لمن عاداهم ، ولا يسكن غضبهم حتى ينتقموا لأنفسهم منه . أو لا ينام ثأرهم ، ولا تهدأ ثورتهم إلا إذا أخذوا بثأرهم . يقول : إذا همدت عداوات الناس ، وأهملوا الأخذ بثاراتهم ، فإن قومي لا يهدأ لهم بال ، ولا يستقر لهم قرار حتى يدركوا الترات ، ويقتصوا ممن جنى عليهم . وإدراك الثار قصاص ، وعدل ، وقوة .

(٣٦) أولو بأس : أي أصحاب بأس . والبأس : القوة ، والشجاعة ، والإقدام في القتال ، والشدة في الحرب . والنجدة : الشجاعة في القتال ، والإقدام ، وسرعة الإغاثة .

(٣٧) ردوا إلى الأفق شمسهم : أي جعلوا الشمس تعود غاربة إلى مطلعها في السماء . والمراد أنهم حجبا ضياءها بكثرة أسلحتهم ، وكثرة ما ينعقد في جوار المعارك من غبار تشيره سنابك خيلهم ، وحركات كرمهم وفرهم . والدُّفَاع : السيل العظيم الهائل ، يندفع بقوة وشدة وعنف ، ويدفع ما يصادفه في طريقه ويكسحه . والقنا : الرماح ، الواحد قناة ، وهي عصا يركب في طرفها سنان من الحديد الصلب ، يطعن به المحارب عدوه ، والطرف الذي فيه السنان هو رأس القناة أو الرمح . ودفاع القنا : القنا الشبيهة بالسيل الجارف ، في قوته ، وشدة اندفاعه . والحزن (بفتح فسكون) : ما غلظ من الأرض وخشن ، وهو خلاف السهل .

يقول : إذا غضب قومه لشرفهم ، وثاروا لحميتهم ، أججوا نيران الحرب ؛ فحجبا بغبارها ودخانها ضياء الشمس ، وملأت رماحهم وأسلحتهم حزون الأرض وسهولها ، كأنها السيل العظيم الجارف ، المندفع المتموج .

(٣٨) مساعير : جمع مسعار (بوزن مفتاح) : اسم آلة من سعرت النار ، أي أوقدتها ، وألهبتها . وقومه مساعير حرب : أي يقدمون على الحرب فيؤججون ناراها . وتهياب : اهتياب ، وخشية ، وحذر ، وخوف .

والمعنى : أن قومه لا يتهيبون الحرب في سبيل الدفاع عن الحق والشرف ، والمحافظة على العزة والكرامة ، بل يقدمون عليها ، ويوقدون ناراها في حماسة وشجاعة ، وقوة وإقدام ،

إِذَا أَطْرَقُوا أَبْصَرْتَ بِالْقَوْمِ خِيفَةً لِإِطْرَاقِهِمْ أَوْ بَيْنُوا رَكَدَ الْحَفْلِ (٣٩)
وَأِنْ زَلَّتِ الْأَقْدَامُ فِي دَرْكِ غَايَةٍ تَحَارُّ بِهَا الْأَلْبَابُ كَانَ لَهَا الْخِصْلُ (٤٠)
أَوْلَيْكَ قَوْمِي أَيُّ قَوْمٍ وَعُدَّةٍ فَلَا رَبُّهُمْ مَحَلٌّ وَلَا مَاؤُهُمْ ضَحْلُ (٤١)
يَفِيضُونَ بِالْمَعْرُوفِ فَيُضًا فَلَيْسَ فِي عَطَائِهِمْ وَعَدُّ وَلَا بَعْدُهُ مَطْلُ (٤٢)

وبأس شديد ؛ فإن النصر والظفر والغلبة لمن ركب الأهوال والأخطار ، وخاض المعامع والوقائع ، واثقاً بالنصر ، مطمئناً إليه . والهزيمة والذلّ والهوان لمن تهيب الحروب ، وأحجم عنها ، وخشي مغبتها .

(٣٩) أطرق إطراقاً : أمال رأسه إلى صدره ، وسكت ، فلم يتكلم . وبينوا : تكلموا ، من التبيين : وهو الكلام ، والإفصاح ، والبيان ، والإيضاح . وركد : هداً ، وسكن . والحفل : الحشد ، وجماعة الناس .

يصف قومه بالمهابة والجلال ، ساكتين ، ومتكلمين ؛ فإذا أطرقوا خشي الناس عاقبة هذا الإطراق ، وأوجسوا منه خيفة ، وأقلقهم ما قد ينطوي عليه من كوارث . وإذا تكلموا سكن الناس ، واستمعوا لقولهم ، وسكت كل متكلم سواهم احتياباً لهم وإجلالاً .
(٤٠) درك : من أدركت الشيء إدراكاً ، أي لحقته ، وبلغته ، ووصلت إليه ، وظفرت به . والخصل : قصب السبق ، أو الغاية ، أو الهدف الذي يخاطر عليه المتخاصلون ، أي يتراهن عليه المتسابقون ، وهم المتراهنون في النضال والمراماة .

يقول : إذا زلت أقدام الناس ، أي تعثروا وكبوا في إدراك غاية من الغايات البعيدة التي تحير الألباب ، كان لقومي الفوز بها ، والسبق إليها ، والاستيلاء عليها .

(٤١) « أي » في مثل هذا المقام : تدلّ على معنى الكمال ، وتقع صفة للنكرة ، وحالاً للمعرفة .

والمعنى : أن قوميّة قومه تامة كاملة ، مبرأة من الخلل ، أو الضعف ، أو النقص ، أو العيب . والعدّة : ما أعدده لحوادث الدهر من المال ، والسلاح ، وغيرهما . والربع : المنزل . ومجل : جديب ، لا خير فيه . والمحل : الشدّة ، والجذب ، واحتباس المطر ، وقحول الأرض ، ويبسها . وماء ضحل : قليل على الأرض ، لا عمق له .

يشير إلى قومه ، معتزاً بصلته بهم ، مفتخراً بانتسابه إليهم ؛ فقوميّتهم كاملة تامة ، وعتادهم كثير موفور ، ووطنهم عزيز منيع ، وواديهم خصيب مريع .

(٤٢) فاض الماء : أي كثر حتى سال على ضفة الوادي . ومن المجاز : « رجل فياض » : أي سخّي ، كريم ، جواد ، معطاء . ويفيضون بالمعروف : أي معروفهم كثير فياض عام . وليس في عطائهم وعد : أي عطاؤهم كلّ ناجز ، غير موعود . وإذا كان كلّ ناجزاً ، مقضياً ،

فَزُرُّهُمْ تَجِدُ مَعْرُوفَهُمْ دَانِي الْجَنَى عَلَيْكَ وَبَابَ الْخَيْرِ لَيْسَ لَهُ قُفْلٌ (٤٣)
تَرَى كُلَّ مَشْبُوبِ الْحَمِيَّةِ لَمْ يَسِرْ إِلَى فِئَةٍ إِلَّا وَطَائِرُهُ يَعْغَلُو (٤٤)
بَعِيدُ الْهُوَى لَا يَغْلِبُ الظَّنُّ رَأْيَهُ وَلَا يَتَهَادَى بَيْنَ تَسْرَاعِهِ الْمَهْلُ (٤٥)
تَصِيحُ الْقَنَا مِمَّا يَدُقُّ صُدُورَهَا طِعَانًا وَيَشْكُو فِعْلَ سَاعِدِهِ النَّصْلُ (٤٦)

معجلاً ، فلا يتصور أن يكون بعده مطل : أي تأخير ، أو تسويق . مصدر مطلته حقه وبحقه : أي أجلت موعد الوفاء به مرة بعد أخرى ، ومثله ماطله مطالاً ، ومماطلة .
(٤٣) دانٍ : قريب . والجنى : كل ما يجنى من ثمار الأشجار . ومعروفهم داني الجنى : أي خيرهم ميسر ، سهل ، قريب لمن أراد اجتناءه .
يقول : إذا زرت قومي وجدت معروفهم دانياً ، وبرهم قريباً ، تجتنيه في يسر وسهولة . كما تجد لديهم أبواب الخير والإحسان مفتحة لكل إنسان . وهو تكرار وتأكيد لمعنى البيت السابق .

(٤٤) مشبوب : متوقد . شبيت النار : أي أوقدتها . والحمية : الأنفة ، والنخوة ، والمروءة ، والحماسة . وطائر الإنسان : عمله ، وحظه من الخير والشر . وفي القرآن الكريم : « وكل إنسان ألزمناه طائره في عنقه » : أي عمله الذي طار عنه ، من خير ، أو شر .
يمدح كل رجل من قومه بالحماسة ، والمروءة ، والنخوة ، والحمية العالية القوية ، وأنه كلما سار إلى طائفة من أعدائه محارباً ، ظهر في القتال عمله ، وعظم من النصر حظه ، وطار في الناس صيته ، وارتفعت بينهم مكانته .
(٤٥) بعيد الهوى : بعيد الهمة ، تتعلق نفسه بمعالي الأمور ، وترتاد المقاصد الرفيعة النبيلة . ومعنى « لا يغلب الظن رأيه » : أنه يرى الرأي واضحاً ، قاطعاً ، صريحاً ، لا لبس فيه . ويتهادى : يتمايل في مشيته ، ويتباطأ . والتسراع : مصدر بمعنى السرعة ، أو الإسراع ، ويفيد مع هذا المبالغة والتكثير . والمهل : التؤدة ، والتباطؤ .
في البيت السابق مدح رجال قومه بالحمية المشبوبة ، واقتران مسيراتهم كلها بالنصر والغلبة ، وتحقيق الآمال .

وفي هذا البيت أشاد بظموحهم ، وبعد هممهم ، وتعلقهم بالرفيع العالي من المقاصد والمطامح ، يسارعون إليها في غير تردد ، أو تباطؤ ، أو إحجام . وهم يمتازون إلى هذا كله بإجادة التدبير ، والحدق في التفكير ؛ فالواحد منهم يرى الرأي - بقوة بصيرته - واضحاً ، قاطعاً ، صريحاً ؛ فيستيقنه ، ولا يساوره فيه ظن أو شك ، أو ارتياب .
(٤٦) دق الشيء : كسره ، أو ضربه بشيء فهشمه . وصدور القنا : عواليها ، وهي الجزء الذي يلي السنان من القناة . والنصل : حديدة الرمح والسكين ونحوهما ، وهي التي تجرح وتقتل .

إِذَا صَالَ رَوَى السَّيْفُ حَرَّ غَلِيلِهِ وَإِنْ قَالَ أَوْرَى زَنْدَهُ الْمَنْطِقُ الْفَصْلُ (٤٧)
لَهُ بَيْنَ مَجْرَى الْقَوْلِ آيَاتُ حِكْمَةٍ يَدُورُ عَلَى آدَابِهَا الْجِدُّ وَالْهَزْلُ (٤٨)
تَلُوحُ عَلَيْهِ مِنْ أَبِيهِ وَجَدُّهُ مَخَائِلُ سَاوَى بَيْنَهَا الْفَرْعُ وَالْأَصْلُ (٤٩)
فَأَشْيَيْنَا فِي مُلْتَقَى الْخَيْلِ أَمْرُدٌ وَأَمْرُدْنَا فِي كُلِّ مُعْضِلَةٍ كَهْلُ (٥٠)

يمدح الرجل من قومه بأنه محارب طعان ضراب ، شديد البأس ، قوي المراس . ويصور هذه القوة بأن القنا والرماح في يده تصيح بأعلى صوتها وهو يطاعن بها ، ويدق عواليها في صدور أعدائه ، وأن النصال والأسنة تشكو قوة ساعده ، وشدة بطشه ، ولا تكاد تستريح من حركات يديه . وقد أسلفنا أنه من السادة النابهين في قومه ، وأن مزاياهم مزاياه ، وفضائلهم فضائله ؛ فهو يمدحهم ، ومديحة لهم فخر بنفسه .

(٤٧) صال : وثب للقتال . وصال المحارب على عدوه : سطا عليه ، وهجم ليقهره ، ويفتك به . ورواه تروية : أزال عطشه بالماء ، أو الشراب . والغليل : العطش الشديد . والغليل أيضاً : الغيظ . وأوريت الزند : ضربت به الزنده ، فأخرجت الشرار والنار . والمنطق الفصل : القول السديد ، الصائب البليغ . وأورى المنطق الفصل زنده : أي أظهر قوله السديد مزيته وفضله . يقول : إذا هجم الرجل منا على المحاربين من أعدائه ، سفك بسيفه دماءهم ، وأروى بهذه الدماء حرارة تعطشه إليها ، أو شفى بسفكها عداوته وغيظه . وإذا تكلم في محفل أظهر منطقته الحق الواضح ، وقوله السديد الفاصل . . . فحسم الخلاف ، وأزال الخصومات ، وحلّ المشكلات .

(٤٨) معنى البيت : أن جدّه وهزله يجريان في نطاق الحكمة ، ويلتزمان آدابها . وليس بمستغرب أن يمدح المرء بالتزام الحكمة في جدّه وهزله ؛ فقد كان النبي - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - يمزح ولا يقول إلا حقاً .

يقول : يتكلم الرجل منا ، فينطلق لسانه بالحكمة وفصل الخطاب . ولا يكاد يفارق الحكمة جاداً ، أو هازلاً ؛ فجده وهزله يجريان في نطاقها ، ويلتزمان آدابها .

(٤٩) تلوح : تبدو ، وتظهر . ومخايل : دلائل وعلامات . والمراد : مخايل مجد ونجابه . ويراد بالفرع : الأولاد ، والحفدة . ويراد بالأصل : الآباء ، والأجداد .

والمعنى : أنك ترى في الرجل منا مخايل فضل ونجابه ، وأمارات نبيل ومجادة ، ورثها عن أبيه وجدّه ، وأورثها أولاده وحفدته ، وهي متساوية ومتمثلة في أصولنا وفروعنا .

(٥٠) أشيينا : الشائب منا ، وهو الشيخ إذا طعن في السنّ ، وابيض شعره . وملتقى الخيل : ساحات القتال ، وميادين الحرب والنزال . والأمرد : الشاب الذي نبت شاربه ولم تنبت لحيته . والمعضلة : المشكلة الصعبة . والكهل : من جاوز الثلاثين إلى نحو الخمسين .

لَنَا الْفَضْلُ فِيمَا قَدْ مَضَى وَهُوَ قَائِمٌ لَدَيْنَا وَفِيمَا بَعْدَ ذَلِكَ لَنَا الْفَضْلُ (٥١)

وَقَالَ ، وَكَتَبَ بِهَا إِلَى الْأُسْتَاذِ الْعَلَامَةِ الشَّيْخِ « حُسَيْنِ الْمَرْصَفِيِّ » (*) :
مَضَى اللَّهْوُ إِلَّا أَنْ يُخَبَّرَ سَائِلٌ وَوَلَّى الصَّبَا إِلَّا بِوَاقٍ قَلَائِلُ (١)
بَوَاقٍ تَمَارِيهَا أَفَانِينَ لَوْعَةٍ يُؤَرِّثُهَا فِكْرٌ عَلَى النَّأْيِ شَاغِلُ (٢)

والمعنى : أنك ترى الأشيب منا في معامع القتال ، وساحات النزال كالشباب في نشاطه ،
وفتوته ، وحماسته ، وشجاعته ، وشدة بأسه ، وقوة مراسه .
وترى الشاب منا حلالاً للمعضلات ، هادياً لأوجه المشكلات ، كأنه الشيخ حنكته
التجارب ، وحلب الدهر أشطره .
(٥١) الفضل ، والفضيلة : الخير ، والبر . وافتخاره بالفضل هنا افتخار بالسبق ، والتفوق ،
والمحامد ، والمناقب ، والفضائل ، والمكرمات التي ترفع أصحابها إلى مراتب التمجيد
والتمجيد .

يقول : كان الفضل من شيم الماضين من آبائنا وأجدادنا ، وهو قائم مستقر في الحاضرين
منا ، وسيبقى ملازماً للآتين من أولادنا وحفدتنا .

والخلاصة أنهم أصحاب فضل تالد وطريف ، وأن الفضل باق لهم على مدى الزمان .
(*) الشيخ حسين بن أحمد حسين المرصفي ، نسبة إلى « مرصفا » إحدى قرى مركز « بنها »
بمحافظة القليوبية من البلاد المصرية : عالم ، لغوي ، أديب ، تعلم في الأزهر ، ونبغ في
علوم اللغة العربية وآدابها ، ثم تولى تدريسها في الأزهر ، ودار العلوم . وكان من أوائل أولئك
الأفذاذ الذين ردوا على اللغة العربية في العصر الحديث ما كان لها من القوة والبهاء في العصر
القديم . ومن تلاميذه وأصحابه الذين انتفعوا بفضله وأدبه : حفي ناصف ، والبارودي ،
وعبد الله فكري . ومن مؤلفاته « الوسيلة الأدبية للعلوم العربية » جزءان في مجلدين . وكان
ضريراً ، توفي سنة ١٣٠٧ هـ / ١٨٨٩ م .

(١) ولّى : أدبر ، وذهب ، وانقضى . والصبا (بكسر الصاد) : الحداثة ، وصغر السن ، ومنه
الصبي ، وهو الصغير . وبواق : جمع باقية .

يقول متحسراً : انقضى عهد اللهو ، وانتهت لذاته ، وذهبت بذهابه مسرّاته . ولم يبق منه
إلا ذكريات أجيب بها السائل وأخبر المستخبر . ومضى الشباب وملاهيته وملابساته ، ولم يبق
منه إلا بقية قليلة من آثاره وأخباره .

(٢) تماريها : تثيرها وتذكئها . والممارسة (في الأصل) : المجادلة ، والمناظرة . والأفانين :
جمع أفنون (بوزن عصفور) ، وهو النوع من الفن . وأفانين الكلام : أساليبه ، وطرقه .
وأفانين اللوعة : ضروبها ، وأنواعها . ويؤرثها : يوقد نارها ويؤججها ، ويذكئها . والفكر :

فَلِلشُّوقِ مِنِّي عَبْرَةٌ مُهْرَاقَةٌ وَخَبَلٌ إِذَا نَامَ الْخَلِيُّونَ خَابِلٌ^(٣)
 أَلْفَتْ الضَّنَى إِلْفَ السُّهَادِ فَلَوْ سَرَى بِي الْبُرءُ غَالَتَنِي لِذَاكَ الْغَوَائِلِ^(٤)
 فَلِلَّهِ هَذَا الشُّوقُ أَيُّ جِرَاحَةٍ أَسَالَ بِنَا حَتَّى كَأَنَّا نُقَاتِلُ^(٥)
 رَضِينَا بِحُكْمِ الْحُبِّ فِينَا وَإِنَّا لَلدُّ إِذَا التَّفَّتْ عَلَيْنَا الْجَحَافِلُ^(٦)

النظر في الأمر ، وتأمله ، وتدبره ، وإعمال الخاطر فيه . والنأي : البعد .
 فارق الشاعر أهله وأحبائه ؛ فجدد الفراق حسرته ، وضاعف لوعاته ، وشغلته في نأيه
 الأفكار والوساوس .

(٣) العبرة : الدمعة قبل أن تفيض وتسيل . ومهراقة : منصبة جارية غزيرة . والخبل : المرض
 الذي يؤثر في العقل والفكر فيورثه اضطراباً عقلياً كالجنون ، ومثله الخيال والخبول .
 والخليون : جمع الخلي (بوزن الغني) ، وهو الخالي من الوجد والهَمّ ونحوهما ، وضده
 الشجي . وفي المثل : « ويل للشجي من الخلي » .

والمعنى : أن الشوق برّح به حتى أبكاه وحرمه أمانة النعاس . وما زال به الأرق والوجد
 حتى اختبل عقله وذهب فؤاده . على حين أن الخليين ينامون ملء جفونهم ، وينعمون
 بالعافية ، واجتماع الشمل ، ورخاء البال .

(٤) ألفت الشيء إلفاً : أنست به ، وتعودته . والضنى : المرض ، والهزال ، والضعف .
 والسهاد : الأرق . والبرء : الشفاء ، والسلامة من المرض . والغائلة : المهلكة ، جمعها
 الغوائل .

والمعنى : أنه تعود الضنى ، وأنس به ، وسكن إليه ، كما تعود الأرق ، وأحبه ، وارتاح
 له ؛ ولذا يحرص عليهما حرصه على سببهما ؛ وهو الشوق والصبابة ، والوجد والغرام . ويرى
 أن سيرة البرء في جسمه ، وإبلاله من الضنى والسهاد معناه أن يسلو أحبائه ، وينسى أخلاءه ،
 وتطيب نفسه بفراقهم . ومثل هذا السلوان يغتاله ، ويهلكه ، ويرديه ؛ كأنما يرى حياته
 وسلامته ، وهناءته وسعادته في بقاء الحب وآثاره ، ودوام الشوق وأضراره .

(٥) لله هذا الشوق : تعجب من شدته ، وحرارته . وأسال بنا : المراد جرحنا ، وعمق جرحنا ،
 وأسال بالجراحة دماءنا .

يعجب ، ويعجب غيره من هذا الشوق الذي برّح به ، واشتد ، وجرحه جرحاً عظيماً
 عميقاً ، تصبب منه الدم غزيراً ، حتى كأنها جراحات جلاذ وقتال ، وهذا كله تصوير حسي
 لتبريح الشوق ، وشدّة أثره .

(٦) لُدّ : جمع ألدّ ، صفة من اللدد (بوزن التعب) ، وهو شدّة الخصومة . ويراد بالألدّ هنا :
 القوي ، العنيد ، الشديد البأس في الحرب والقتال . واللام المفتوحة الداخلة على « لُدّ » :

وَأَنَا رَجَالٌ تَعْلَمُ الْحَرْبُ أَنَّنَا بُنُوهَا وَيَدْرِي الْمَجْدُ مَاذَا نُحَاوِلُ (٧)
 إِذَا مَا ابْتَنَى النَّاسُ الْحُصُونِ فَمَا لَنَا سَوَى الْبَيْضِ وَالسُّمْرِ اللَّدَانِ مَعَاقِلُ (٨)
 فَمَا لِلْهُوَى يَقْوَى عَلَيَّ بِحُكْمِهِ ؟ أَلَمْ يَدْرِ أَنِّي الشَّمْرِيُّ الْحُلَاحِلُ ؟ (٩)
 وَإِنِّي لَثَبْتُ الْجَاشِ مُسْتَحْصِدُ الْقُوَى إِذَا أَخَذَتْ أَيْدِي الْكُمَاةِ الْأَفَاكِلُ (١٠)

لام الابتداء . وهي هنا تفيد التوكيد . والجحافل : الجيوش الكثيرة ، واحدها جحفل (بوزن جعفر) ، وهو الجيش الكبير .

والمعنى : نحن في الحب نرضى بحكم الحبيب ، ونخضع لسلطان الهوى . وفي الحرب نشدد على أعدائنا ، ونصمد لجحافلهم إذا أحاطت بنا ، وتجمعت حولنا . وبصمودنا وقوة مراسنا نمزق هذه الجحافل ، ونغلبها .

يريد أن انقيادنا لسيطرة الحب لا ينتقص قوتنا وشجاعتنا وشدة بأسنا في القتال .

(٧) ابن الحرب : البطل الشجاع المرموق في القتال .

والمعنى : أننا تمرسنا بالحروب ، وألفناها ، وتعودنا أن نخوض غمارها بشجاعة وبأس شديد . وأن المجد يعرفنا ، ويعلم أننا على الدوام نحاول مكاسب الشرف ، ونزوم معالي الأمور ، ونتعلق بها ، ونتجه إليها .

(٨) البيض : السيوف ، ومفردها أبيض . والسمر : الرماح ، جمع الأسمر ، وهو الرمح يسمر لونه إذا صلب . واللدان : اللينة ، المرنة في صلابه وقوة ، واحدها لدن (بوزن سهل) . واللدانة ، أو اللدونة من الصفات المستحسنة في الرماح ، ومن أمارات جودتها . والمعازل : الحصون والقلاع ، والملاجيء ، جمع معقل .

يقول : إذا شيد الناس الحصون والقلاع والمعازل ؛ ليلجأوا إليها ، ويتمنعوا بها ، فإننا لا نلجأ إلا إلى سيوفنا ورماحنا .

يفتخر بالشجاعة ، والبسالة ، والإقدام ، والهجوم في الحروب ؛ فإن المعتمدين على أسلحتهم اليدوية ، الظاهرين لأعدائهم ، أشجع وأقوى ، وأشد بأساً ، وأجدر بالإعجاب والتقدير والفخر من المعتصمين بحصونهم ، اللاتذنين بمعاقلمهم .

(٩) الشمري : الرجل المجد ، البصير ، الماضي في الأمور بإرادة قوية ، وعزم شديد . والحلاجل : السيد في عشيرته ، والشجاع ، والرزين الوقور .

يستنكر ، أو يتعجب من سيطرة الهوى عليه ، مع علمه وإقراره بعزته وسيادته ، ووقاره ورزاقته ، ومضاء عزمه ، وشدة بأسه .

(١٠) ثبت : ثابت ، لا يلين ، ولا يتزعزع . والجاش : النفس ، والقلب . ورجل ثبت الجاش : شجاع ، جريء ، مقدام ، ثابت القلب ، لا تهوله الأهوال . ومستحصد : مستحکم ،

إِذَا مَا اعْتَقَلْتُ الرُّمَحَ وَالرُّمَحُ صَاحِبِي عَلَى الشَّرِّ قَالَ الْقِرْنُ إِنِّي هَازِلٌ (١١)
لَطَاعَنْتُ حَتَّى لَمْ أَجِدْ مِنْ مُطَاعِينَ وَنَازَلْتُ حَتَّى لَمْ أَجِدْ مَنْ يُنَازِلُ (١٢)
وَشَاغَبْتُ هَذَا الدَّهْرَ مِنِّي بِعَزْمَةٍ أَرْتِنِي سَبِيلَ الرُّشْدِ وَالغِيَّ حَائِلُ (١٣)
إِذَا أَنْتَ أَعْطَتِكَ الْمَقَادِيرُ حُكْمَهَا فَأَضِيعُ شَيْءٌ مَا تَقُولُ الْعَوَادِلُ (١٤)

مجتمع ، شديد ، متين . والكماة : الشجعان ، البواسل ، جمع كام (بوزن رام ورماة) ، ومثله الكمي (بوزن الغني) : وهو لابس السلاح ، والشجاع المقدم الجريء ، ولو لم يكن عليه سلاح . والأفاكل : جمع أفكل (بوزن أحسد) ، وهو الرعدة ، أي اضطراب الجسم ، وارتعاشه ، وارتجافه ، وارتعاده من فزع . وأخذت الأفاكل أيدي الكماة : أي ارتجفت أيديهم ، وارتعدت أجسامهم ، واضطربت .

يفتخر برباطة جأشه ، وثبات جنانه ، واستحصاد قواه ، وشدة بأسه في ميادين الحرب والقتال ، وساحات الوغى والنزال إذا ارتعد الكماة ، وفزعوا من ضراوة الحرب وأهوالها . (١١) اعتقل الرامح رمحه : أي وضعه بين الركاب والسرج . وقد يكون المراد باعتقال الرمح هنا : مطلق حمله للطعان والقتال . و « الرمح صاحبي على الشر » : أي أن رمحه يصاحبه ويرافقه على الدوام في الحرب والقتال . أو المعنى : أن رمحه هو الذي يعينه على مكافحة الشر ، وكسر شوكته ، وإخماد جذوته في الحرب وغيرها . وقرنك : نظيرك . وهازل : من الهزل ، وهو المزاح .

(١٢) نازله في الحرب منازلة ونزالاً : قابله وجهاً لوجه ليقاتله .

يفتخر بأنه طاعن ونازل ، وجالد وقاتل ، حتى فرّ أمامه مطاعنوه ، وانهمز منازلوه ، ولم يجد بعد هذا من يصمد له ، أو يقف في وجهه ، أو يجروء على منازلته . (١٣) الشغب : الخصام ، والجلبة ، وتهيج الشر ، وإثارة الفتن والاضطراب . وشاغبه : أكثر الشغب معه . وشاغب الدهر : قاومه ، وكافحه ، وغالبه . والعزمة : الإرادة القاطعة القوية ، والثبات والصبر فيما تعزم عليه . وسبيل الرشد : طريقه الواضح المستقيم . وحائل : حاجز ، حاجب .

يفتخر بصلابة عزمته ، وقوة إرادته ، وصبره وثباته في الشدائد والملمات ؛ وبهذا استطاع أن يكافح شرور زمانه ، ويقاوم حوادثه ، كما استطاع أن يستبين طريق الهدى والرشد ، ويسلك مسالك الاستقامة والاعتدال ، على الرغم من حيلولة الغي والفساد ، وظلمات الجهل والضلال .

(١٤) المقادير : جمع مقدور ، وهو الأمر المحتوم . ومعنى « أعطتك المقادير حكمها » : جرت أمور الحياة على ما تحب وتهوى ، وترغب . والعوادل : جمع عاذلة : اسم فاعل من عدله ، أي لامة .

وَمَا الْمَرْءُ إِلَّا أَنْ يَعِيشَ مُحْسَدًا تَنَازَعُ فِيهِ النَّاجِذِينَ الْأَنَامِلُ (١٥)
لَعَمْرُكَ مَا الْأَخْلَاقُ إِلَّا مَوَاهِبُ مُقَسَّمَةٌ بَيْنَ الْوَرَى وَفَوَاضِلُ (١٦)
وَمَا النَّاسُ إِلَّا كَادِحَانِ فَعَالِمٌ يَسِيرُ عَلَى قَصْدٍ وَآخِرُ جَاهِلٌ (١٧)
فَذُو الْعِلْمِ مَاخُودٌ بِأَسْبَابِ عِلْمِهِ وَذُو الْجَهْلِ مَقْطُوعُ الْقَرِينَةِ جَافِلٌ (١٨)

والمعنى : إذا انقادت لك المقادير ، وجرت أمور الحياة على ما تحبّ وتهوى ، فلوم اللاتيمات ضائع مهمل ، لا قيمة له ، ولا ينبغي أن يطاع .

ينهاه عن الاستماع لعذل العواذل إذا واتته المقادير ، وجرت الأمور على ما يشتهي ؛ لأن التأثير باللوم يقعه عن الإقدام والمضي ، وانتهاز الفرص السانحة المواتية لإصابة الأهداف العالية ، وتحقيق الآمال الواسعة .

(١٥) محسد : اسم مفعول من التحسيد ، أي الحسد . والنواجذ : أقصى الأضراس ، وهي أربعة . وقد تسمى أضراس الحلم ، أو أضراس العقل ، ومفردا ناجذ . والأنامل : رؤوس الأصابع ، واحدها أنملة . وعضّ الأنامل بالناجذين أو بالنواجذ : كناية عن الغيظ والحسرة ، والحقد والندم .

والمعنى : لا قيمة للرجل إلا بأن يحيا حياة العظمة ونباهة الشأن ، ويقتعد غارب العلياء ، ويتسّم ذورة المجد ، ويحوز النعم الكثيرة ؛ وبهذا يكثر حسّاده ، ويشتدّ حسدهم له ، ويستشعرون الحسرة والكمد ، ويعضون عليه الأنامل من الغيظ .

(١٦) « لعمرك » : أحلف ، أو أقسم بحياتك . والورى : الخلق ، والناس . والفواضل : الدرجات الرفيعة في الفضل ، والهبات ، والنعم ، والعطايا ، وأعمال البرّ والخير والإحسان ، الواحدة فاضلة .

والمعنى : أن الأخلاق الكريمة ليست إلا هبات يهبها الله لمن يشاء من عباده ، ويقسمها بينهم بحسب إرادته وحكمته .

(١٧) كادحان : مثني كادح ، اسم فاعل من كدح : أي كدّ ، وعمل ، وسعى ، ودأب . والقصد : الرشد ، والهدى ، والصلاح ، واستقامة الطريق .

والمعنى : إنما الناس عاملان جاهدان ، أحدهما عالم يهتدي بعلمه ، ويستضيء بعرفانه ، ويتحرى الرشد ، ويتوخى الصلاح والقصد . والآخر جاهل يعسف الظلماء ، ويخبط خبط عشواء ، وتفرّق به السبل ، وتلتوي عليه الأمور ، وتردّي في المهالك .

(١٨) القرينة : النفس . والقرينة : مؤنث القرين ، وهو المقارن والمصاحب والعشير . وجافل : اسم فاعل من جفل البعير ونحوه ، أي نفر ، وشرذ ، وحاد عن الطريق .

عرض صورتى العالم والجاهل ؛ ليظهر ما بينهما من مضادة ، وتناقض ، وتباين ،

فَلَا تَطْلُبْنَ فِي النَّاسِ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ مِنْ أُوْدٍ أُمَّ أُوْدٍ فِي النَّاسِ هَابِلٌ (١٩)
 مِنَ الْعَارِ أَنْ يَرْضَى الْفَتَى غَيْرَ طَبْعِهِ وَأَنْ يَصْحَبَ الْإِنْسَانَ مَنْ لَا يُشَاكِلُ (٢٠)
 بَلَوْتُ ضُرُوبَ النَّاسِ طُرّاً فَلَمْ يَكُنْ سِوَى الْمَرْصِفِيِّ الْحَبْرِيِّ النَّاسِ كَامِلٌ (٢١)

واختلاف شديد . فالعالم متصل بالناس ، ينتفعون بعلمه ، ويهتدون بهديه ، ويسلكون طريقه ، ويتوددون إليه ، ويعقدون بينهم وبينه أوثق الصلات ، وأشرف العلاقات .
 والجاهل شقي بجهله ، منقطع عن الناس ، كالبعير يند ، ويشرد ، فلا يلبث أن يضل ، وينفرد ، وتتقطع به الأسباب ، وتلتوي عليه الأمور ، وتستبهم أمامه السبل .
 (١٩) هابل : اسم فاعل من هبلته أمه ، أي ثكلته ، وفقدته . و « أم الوُد في الناس هابل » : أم الوُد ثكلى ، والوُد مهبول ، أي مثكول ، مفقود ، لا وجود له بين الناس .
 يش الشاعر ، وأيأس غيره من مودات الناس وتراحمهم ، قائلاً : إن محاولتك في هذا الشأن غير مجدية ، ولو كان ما تحاوله قليلاً ضئيلاً غاية في القلة والضلالة ؛ لأنك إنما تحاول شيئاً مفقوداً لا وجود له .
 والبيت ينم على جو نفسي قاتم قد يحيط بالمرء إذا جفاه أخلاقه ، وتنكر له أوداؤه . ولعل صلته بالذي قبله شيوع الجهل في الناس ، وأن الجاهل الجافل لا يرتجى وده ، ولا يطمع في خيره .

وفي هذا البيت وغيره من الأبيات السابقة شبه تمهيد للغرض الأساسي من هذه القصيدة ، وهو المديح في الأبيات الثمانية الأخيرة .
 (٢٠) المعنى : أن الذي يصاحب من لا يشاكله راض غير طبعه ، متكلف ما ليس في خليقته ، منقاد لغيره ، مفرط في عزته وكرامته . وهذا كله مما يعاب عليه ، ويعير به .
 لذلك : اظهر للناس على حقيقتك ، وحافظ على شخصيتك ، وتحل بالشجاعة الأدبية ، وكن جريئاً ، واضحاً ، صريحاً ، ولا تصاحب إلا من يماثلك وتمائله .
 وفي البيت نهى ضمني عن الملق والرياء والنفاق ، والتذلل المتصنع ، والخضوع الممقوت ، والتفريط في العزة والكرامة .

(٢١) بلاه : اختبره ، وجربه ، وامتحنه . وضروب الناس : أجناسهم ، وأنواعهم ، وأجيالهم . وطراً : جميعاً . أي فلم يوجد في الناس كلهم رجل كامل سوى « المرصفي » الحبر . والحبر : العالم أو الصالح .

يقول : إنه اختبر الناس ، وجربهم على اختلاف أجناسهم وأجيالهم ، فلم يجد فيهم رجلاً جمع المناقب ، وحميد الأعمال ، وشرف الخلال والخصال سوى « المرصفي » العالم الصالح .

هُمَامٌ أَرَانِي الدَّهْرَ فِي طَيِّ بُرْدِهِ وَفَقَّهَنِي حَتَّى اتَّقَتْنِي الْأَمَائِلُ (٢٢)
أَخٌ حِينَ لَا يَبْقَى أَخٌ وَمُجَامِلٌ إِذَا قَلَّ عِنْدَ النَّائِبَاتِ الْمُجَامِلُ (٢٣)
بَعِيدٌ مَجَالِ الْفِكْرِ لَوْ خَالَ خَيْلَةٌ أَرَاكَ بِظَهْرِ الْغَيْبِ مَا الدَّهْرُ فَاعِلٌ (٢٤)
طَرَحْتُ بَيْنَ الْأَيَّامِ لَمَّا عَرَفْتُهُ وَمَا النَّاسُ عِنْدَ الْبَحْثِ إِلَّا مَخَائِلُ (٢٥)

(٢٢) همام : عظيم الهمة ، قوي العزم ، سيد ، شجاع ، سخي . والبرد : ثوب مخطط ، أو هو كساء مخطط يلتحف به ، الواحدة بردة . وفي طيِّ برده : فيما انطوت عليه ثيابه ، كناية عن شخصه . وأراني الدهر في طيِّ برده : أراني حُنْكَة الدهر ، وتجاربه ، وخبراته . أو أراني في شخصه الهمة العالية ، والإرادة القوية ، وغاية الفضل ، أو غاية ما كنت آمله وأرتجيه . وأتقاه : توقاه ، وحذره ، وخشيه ، وخافه . وأمائل القوم : خيارهم ، وأفاضلهم ، وشرفاؤهم . واتقته الأمائل : تهيّبه ، وأجلّوه ، وأكبروه ، وعظّموه لفقّه ، وعلمه ، وفطنته ، وعظيم مزياه .

مدح صديقه وأستاذه الشيخ حسيناً المرصفيّ بعظم الهمة ، وقوة الإرادة ، وواسع الخبرة ، والكرم والسيادة . وأحسن الثناء على ما استفاده من فقه الممدوح وعلمه ، وفهمه ، ومعارفه وتجاربه . وقد بلغ الشاعر من هذا كلّه درجة رفيعة ، ومرتبة عالية ، حتى تهيّبه وعظّمه خيار الناس وأفاضلهم .

(٢٣) جامله مجاملة : أحسن عشرته ، وعامله بالجميل والمعروف . ومجامل : اسم فاعل من المجاملة . والنائبات : النوازل ، والشدائد والخطوب ، والمصائب ، الواحدة نائبة .

(٢٤) مجال : مصدر ميميّ من جال في المكان ، أي طاف ، ودار . والظهر : ما غاب عنك ، وهو معنى « الغيب » . وإضافة « ظهر » إلى « الغيب » من إضافة الشيء إلى مرادفه للتأكيد ، كنسيم الصبا ، وحقّ اليقين ، وجنة الفردوس .

والمعنى : يفكر الممدوح تفكيراً عميقاً ، واسع الأفق ، بعيد الغاية . وإذا ظنّ ظناً ، أراك بهذا الظنّ ما يكون في مستقبل الزمان ، وأطلعك على الغيب الذي لا يستطيع إدراكه إلا ذو الفكر الثاقب .

(٢٥) طرحه : رماه ، وألقاه . وبنو الأيام : الناس . والمخايل : جمع مخيلة وهي الظنّ ، أو المظنّة : أي المكان الذي يظنّ وجود الشيء فيه .

ومعنى الشطر الثاني أنك - مع طول البحث والتفتيش ، والاجتهاد ، والتدقيق في تعرّف طبائع الناس ، وأخلاقهم ، وسرائرهم ، وما انطوت عليه نفوسهم - لا تستطيع عرفانهم إلا في نطاق الظنّ والحدس والتخمين ؛ فإنهم مظانّ لأموار وأحوال كثيرة خفية متباينة متناقضة .

عرف الشاعر ممدوحه معرفة صحيحة صادقة ؛ فأثره بوّده ، وأفرده بصحبته ، واستغنى بفضله عن غيره من الناس .

فَلَوْ سَأَمْنِي مَا يُورِدُ النَّفْسَ حَتْفَهَا
لَأُورِدْتُهَا وَالْحُبُّ لِلنَّفْسِ قَاتِلُ (٢٦)
فَلَا بَرِحْتُ مِنِّي إِلَيْهِ تَحِيَّةُ
تَنَاقُلُهَا عَنِّي الضُّحَى وَالْأَصَائِلُ (٢٧)
وَلَا زَالَ غَضُّ الْعُمَرِ مُمْتَنِعِ الذُّرَا
مَرِيَعِ الْفِنَا تَطْوَى إِلَيْهِ الْمَرَاحِلُ (٢٨)
وَقَالَ فِي الْفَخْرِ :

عَصَيْتُ نَذِيرَ الْحِلْمِ فِي طَاعَةِ الْجَهْلِ
وَأَغْضَبْتُ فِي مَرَضَةِ حُبِّ الْمَهَا عَقْلِي (١)

(٢٦) سامه كذا : جشمه إياه ، وطلبه منه . والحنف : الردى ، والهلاك ، والموت . ويورد النفس حتفها : يسوقها إلى الهلاك . والأصل : « أوردت الإبل وغيرها الماء » : أي أوصلتها إليه ، وبلغتها مورده . ومن المجاز : « أورده المهالك » : أي دفعه إليها ، وأوقعه فيها .
أخلص الشاعر لممدوحه المحبة والمودة ، واشتد إقباله عليه ، وتعلقه به ، وانطباعه له ، حتى بلغ الغاية في هذا كله ؛ فلو كلفه الممدوح أمراً يورده موارد التهلكة لأقدم عليه بلا تردد أو توان ، ولو كان فيه حتفه وهلاكه .

(٢٧) التناقل : التنازع ، والتجاذب ، والتنافس في نقل تحية الشاعر إلى ممدوحه . والأصائل : جمع الأصيل ، وهو الوقت حين تصفر الشمس قبيل غروبها . أو هو الوقت بين العصر والمغرب . أو هو العشي . ويراد بالضحي والأصائل هنا : كل أوقات النهار والليل .

(٢٨) غَضُّ : ناضر ، ناعم . والعمر : الحياة ، والمعيشة . وغضاضة العمر : نضارة الحياة ، ورقتها ، ونعومتها ، وصفاؤها ، وإشراقها . وممتنع : منيع حصين . والذرا (بضم الذال) : جمع ذُرْوَة ، وهي من كل شيء أعلاه . أو هو الذرا (بفتح الذال) : لكل ما استترت به ، وأويت إليه ، تقول : أنا في ذرا فلان : أي في كنفه ، وسنره ، وجماه . ومريع : مُمرع ، خصيب ، كثير الكلا والمرعى . والفناء ممدود (وقصر هنا لضرورة وزن الشعر) : كناية عن العزة والمنعة . ومرع الفناء : كناية عن رفاهة العيش ، وبسطة الرزق . والمراحل : جمع مرحلة (بوزن مرتبة ومراتب) وهي المسافة التي يقطعها المسافر على الإبل في نحو يوم . والطَيِّ (في الأصل) : ضدّ النشر . ومن المجاز : « طوينا إليه المراحل » : أي سلكناها ، وقطعناها مرحلة بعد مرحلة . وتطوى إلى الممدوح المراحل : أي يسافر إليه من الجهات النائية ، والأقطار البعيدة . وهذا إنما يكون للعظيم الكريم ، النابه الشأن ، الرفيع القدر ، الذاهب صيته في الناس ؛ فهم يقصدونه من أقاصي البلاد معتنفين ، طالبين علمه ، وأدبه ، وفضله ، ومعروفه .

(١) النذير : الإنذار ، وهو الإعلام مع التخويف ، والتحذير والتنبيه على سوء العاقبة . والحلم : العقل ، والوقار ، والأناة . والمها : البقر الوحشي ، وتشبه به حسان النساء في جمال

وَنَازَعْتُ أَرْسَانَ الْبَطَالَةِ وَالصَّبَا إِلَى غَايَةٍ لَمْ يَأْتِهَا أَحَدٌ قَبْلِي (٢)
فَخُذْ فِي حَدِيثٍ غَيْرَ لَوْمِي فَإِنِّي بِحُبِّ الْغَوَانِي عَنْ مَلَامِكَ فِي شُغْلٍ (٣)
إِذَا كَانَ سَمْعُ الْمَرْءِ عُرْضَةً أَلْسِنٍ فَمَا هُوَ إِلَّا لِلْخَدِيعَةِ وَالْخُتْلِ (٤)

العيون ، وحسن اتساعها . الواحدة مهاة .

والمعنى : أنه خلع عذاره ؛ فانقاد لجهل الصبا ، وأطاع لهو الشباب ، ولم يُأَبَهُ بحلمه حينما أُنذره ، وحذّره ، وبصره بوخامة العُقْبِي ، وسوء المصير . ومن الانهماك في الغي أنه أحبّ الحسان ، وأرضى هواه بمغازلتهم ، والصبوة إليهنّ مغضباً عقله حينما دعاه إلى الرشد ، وحضّه على السلوان ، فخالفه وعصاه .

(٢) نازعت البطالة والصبأ أرسانهما : المراد أنه انقاد لدواعيهما ، وانطلق في مجالهما انطلاقاً بعيد المدى ، لا يحده وازع ، أو مانع . والأرسان : جمع رسن (بوزن سبب وأسباب) وهو جبل يشدّ على أنف البعير ونحوه ، ليقاد به . والصبأ (بكسر الصاد) : جهلة الفتوة ، أي لهو الفتيان ، وعبثهم .

جعل الشاعر البطالة والصبأ أفراساً أو نحوها ، امتطأها ، وجاذبها مقاودها ، أي حملها على الجري والإسراع إلى غاية بعيدة ، لم يصل إليها أحد قبله .

والمراد : أنه ركب الهوى ، وانقاد لدواعيه انقياداً بعيد المدى ، حتى بزّ الخلعاء المتبطلين ، وسبق اللاهين المتهتكين .

(٣) أخذ في كذا ، وأخذ يفعل كذا : شرع فيه ، وبدأ . والغواني : جمع غانية ، وهي المرأة الغنيّة بحسنها وجمالها عن الحلبي والزينة .

والمعنى : في استطاعتك أن تخوض معي فيما شئت من الأخبار والأقوال والأحاديث إلاّ حديث لومي وعذلي ، ومحاولة صرفي عن الهوى والغرام ؛ فإنها محاولة مخففة غير منتجة ، وحديث لا جدوى فيه ، ولا فائدة منه ، ولن يجد مني سمعاً صاعياً ، ولا قلباً واعياً ؛ فقد شُغِل عن سماع الملامة بحبّ الحسان الغانيات .

(٤) جعل سمعه عرضة للألسن : استمع لعذل العاذلين ، وتأثر بلوم اللائمين . والألسن : جمع لسان ؛ ويراد به هنا : الكلام والقول ، أي قول العاذلين وكلامهم . و« هو » : أي المرء ، أو سمعه .

أي أن الإنسان يقع بسهولة في حبائل المخادعين إذا هو استمع لكلّ قول يلقي إليه . يريد : إذا استمع العاشق لعذل العاذلين ، فإنما يستمع للخديعة والختل ، والمكر والدهاء ، والتضليل والإفساد .

رُوَيْدَكَ لَا تَعْجَلْ بِلَوْمِ عَلَيَّ أَمْرِي
 أَصَابَ هَوَى نَفْسٍ فِيهِ الدَّهْرُ مَا يُسْلِي (٥)
 فَلَيْسَتْ بِعَارِ صَبْوَةِ الْمَرْءِ ذِي الْحِجَا
 إِذَا سَلِمَتْ أَخْلَاقُهُ مِنْ أَذَى الْخَبْلِ (٦)
 وَإِنِّي وَإِنْ كُنْتُ ابْنَ كَأْسٍ وَلَذَّةٍ
 لَذُو تُدْرَأُ يَوْمَ الْكَرْيَهَةِ وَالْأَزْلِ (٧)
 وَقُورٍ وَأَحْلَامِ الرَّجَالِ خَفِيفَةٌ
 صَبُورٌ وَنَارُ الْحَرْبِ مِرْجَلُهَا يَغْلِي (٨)

(٥) رويدك : تمهل . و « لا تعجل » : تأكيد لمعنى « رويدك » . وأسلاه يسليه : حملة على السلوان . يقال : سلا العاشق معشوقته ، وسلا عنها : إذا نسيها ، وطابت نفسه بعد فراقها . يقول لعاذله : لقد وجدت من تهواها نفسي ، فعشقتها ، وتعلقت بها ، فلا تعجل بعذلي ؛ فإن في صروف الدهر ، ما قد يصرف العاشق عن معشوقته ، ويحملة على السلوان والنسيان ؛ فيلتقي مع عاذليه على ما يشتهون ويحبون .
 (٦) الصبوة : الحنين إلى المحبوب . والحجا : العقل ، والفظنة . والخبل : الفساد ، خيله الحب وغيره .

والمعنى : إنما يعاب المرء ويعير بفساد أخلاقه ، وانحراف سلوكه ، ونقصان عقله ، فإذا سلمت أخلاقه وسلوكه وعقله من العيب والضرر والفساد ، كان جديراً بالتقدير والاحترام ، ولو وقع في شرك الهوى والغرام .

(٧) « وإن كنت ابن كأس ولذة » : الشاعر هنا يفخر بأنه ذو تدرأ وإن كان ابن كأس ولذة : أي مع كونه ابن كأس ولذة ؛ فإن المرء إذا لازم الكأس واللذة فقد يتهم بالركون إلى الدعة ، والإحجام في مواطن الإقدام ، والتفريط في مقتضيات العزة والكرامة ؛ والشاعر ينفي هذا الاتهام ، ويقرر نقيضه . وابن الكأس : مدمن الخمر . والتدراً : الحفاظ ، والمنعة ، والقوة . وذو تدرأ : مدافع ، ذو عزة ومنعة . والكريهة : الشدة في الحرب ، وجمعها كرائه . والأزل : الضيق ، والشدة ، والأزمة ، أو شدة الزمان .

افتتح الشاعر هذه القصيدة بسبعة أبيات في حديث الحب والهوى ، والإغراق في الكأس واللذة . وفي هذا البيت والأبيات التالية ينتقل من حديث اللهو والمجانة إلى حديث الجد والصرامة ، مفتخراً بكثير من محامده ومناقبه ، وقد يجنح في أثناء فخره للنصح والإرشاد ، أو للحكمة والمثل .

(٨) الأحلام : جمع حلم ، وهو العقل ، والوقار ، والأناة ، والصبر . وخفة أحلام الرجال : كناية عن الذعر ، والفرع ، والخوف الشديد . والمرجل : القدر . وغيلان مرجل الحرب : كناية عن شدتها ، وتأجج نيرانها .

يفتخر بأنه إذا خفت أحلام الرجال ، وتملكهم الذعر والفرع في النوازل والأحوال بقي له وقاره وثباته ، ورزاقته ، وحلمه ، وعقله .

إِذَا رَاعَتِ الظُّلْمَاءُ غَيْرِي فَإِنَّمَا
 أَنَا ابْنُ الوَغَى وَالخَيْلِ وَاللَّيْلِ وَالظُّبَا
 فَكُلٌّ لِلَّذِي ظَنَّ الْمَعَالِي قَرِيبَةً
 فَمَا تَصُدُّكَ الْأَمَالُ إِلَّا لِفَاتِكِ
 هَلَالُ الدُّجَى قَوْسِي وَأَنْجُمُهُ نَبْلِي (٩)
 وَسُمِرِ الْقَنَا وَالرَّأْيِ وَالْعَقْدِ وَالْحَلِّ (١٠)
 رُوَيْدًا فَلَيْسَ الْجِدُّ يُدْرِكُ بِالْهَزْلِ (١١)
 إِذَا هَمَّ لَمْ تَعْطِفْهُ قَارِعَةُ الْعَذْلِ (١٢)

(٩) راعه : أفرعه ، وأخافه ، فارتاع . وفي الشطر الثاني تشبيهان مقلوبان : « هلال الدجى قوسي ، وأنجمه نبلي » : فقوسه كهلال الدجى ، ونبله كنجوم الليل ، أو كالنجوم التي تبدو في السماء كأنها قريبة من الهلال ؛ وكلاهما يبذد الدجى ، ويمزق الظلمات .
 يعتز بعدته وسلاحه ، ويفخر بشجاعته وإقدامه على الأهوال والأخطار إذا أحجم غيره ، وتملكه الفزع .

(١٠) ابن الوغى : الشجاع المقدام ، المتمرس بالقتال . وابن الخيل : الفارس الماهر . وابن الليل : راكب الأهوال والمخاوف ، الذي لا يتهيب الأخطار ، ولا يبالها . والظُّبَا : جمع ظبة ، وهي حد السيف ، أو حد السنان . وابن الظبا والقنا : كناية عن خبرته بالأسلحة وأدوات الحرب والقتال ، وتمرسه بها . وابن الرأي : الفائق في صحة التفكير ، وإحكام التدبير ، وقوة الإدراك .

جمع الشاعر في هذا البيت ثمانية من مناقبه ومفاخره في الحرب والسلام ، فهو فارس محارب ، شديد البأس ، صلب المراس ، يقتحم الظلماء ، ويصول في الهيجاء معتمداً على عدته وسلاحه ، لا يبالى المخاطر والمخاوف ، ولا يكثرث للأهوال والشدائد .
 وهو إلى هذا كله سيّد مطاع في قومه ، راجح العقل ، شديد الرأي ، صائب التدبير ، قوي الإرادة ، واسع الحيلة ، يتصرف في الأمور العامة بحذق وبصيرة ، ويسوس الناس بلباقة وكياسة ؛ ولهذا يرجعون في مشكلاتهم إليه ، ويعتمدون في المهمات عليه .
 (١١) المعالي : جمع المعلاة ، وهي الرفعة والشرف . ورويداً : مهلاً . والمعنى : أن المعالي من الجد الذي لا يعقل أن ينال بالهزل ؛ فالضدان لا يلتقيان .

في هذا البيت نصح وأرشد ؛ فقال للذي ظن المعالي دانية قريبة ، هينة يسيرة ؛ فتمناها بأيسر الوسائل ، وأهون الأسباب : تمهّل ، واتّيّد ، فلن تدرك العلياء إلا بالجد والصرامة ، والدأب والاجتهاد .

(١٢) هم بالشيء : أراده ، وقصده ، وعزم على القيام به . ولم تعطفه : لم تنه ، ولم تصرفه . وقارعة العذل : ما يقرع سمعه من اللوم . والقارعة أيضاً : القارصة . وقوارع اللسان : قوارص الكلم . والعذل : مصدر عذله ، أي لومه .
 يقول : إن الأماني لا تتحقّق إلا للرجل الماضي الجريء الشجاع ، الذي يهتم بالأمر ، فيقدم عليه ، ويمضي فيه ؛ لا يصرفه عنه لوم اللائمين ، وعذل العاذلين .

لَهُ بِالْفَلَا شُغْلٌ عَنِ الْمُدْنِ وَالْقَرَى وَفِي رَائِدَاتِ الْخَيْلِ شُغْلٌ عَنِ الْأَهْلِ (١٣)
 إِذَا ارْتَابَ أَمْرًا أَلْهَبَتْهُ حَفِيزَةٌ تَمِيتُ الرِّضَا بِالسُّخْطِ وَالْحِلْمَ بِالْجَهْلِ (١٤)
 فَلَا تَعْتَرِفُ بِالذُّلِّ خَوْفَ مَنِيَّةٍ فَإِنَّ احْتِمَالَ الذُّلِّ شَرٌّ مِنَ الْقَتْلِ (١٥)
 وَلَا تَلْتَمِسْ نَيْلَ الْمُنَى مِنْ خَلِيقَةٍ فَتَجْنِي ثِمَارَ الْيَأْسِ مِنْ شَجَرِ الْبُخْلِ (١٦)

(١٣) الفلا : الفلوات ، الواحدة فلاة (بوزن قناة) ، وهي القفر ، والمفازة لا ماء فيها ، والصحراء الواسعة . ورائدات : جمع رائدة ، من راد الشيء ، أي ذهب ، وجاء . ويريد بالفلوات ، ورائدات الخيل : حياة المخاطرة والمغامرة ، والتنقل في طلب المعالي . ويريد بالمدائن والقري ، والأهل والعشيرة : حياة الإقامة والدعة ، وعيش النعيم والرفاهية . والمعنى : إنما تتحقق الأماني ، وتصدق الآمال لفاتك همام ، وفارس مقدم ، مشغول عن أهله وعشيرته ، ونضارة العيش وراحته بجوب الفلوات ، وقطع المفازات ، وركوب الأخطار ، لبلوغ الأوطار .

(١٤) ارتاب فيه ، وارتاب منه ارتياباً : وجد فيه ما يريبه ، أي ما يوقعه في الريبة ، وهي الظنة ، وقلق النفس ، وانزعاجها ، واضطرابها . وارتاب به : اتهمه . وألهبته : هيّجته ، وحمسته ، مستعار من ألهبت النار إلهاباً : أي أوقدتها . والحفيظة : الحمية ، والغضب في الشيء الذي ينبغي أن يحفظ ويصان ، وهي حماية المحارم ، وصيانتها ، والدفاع عنها . والحلم : الصبر والأناة . ومعنى الشطر الثاني : أن الحفيظة تثير في نفس الفاتك السخط والجهل فيتغلبان على الرضا والحلم ؛ فلا يبقى لهما أثر أو حياة .

يقول : إذا راب ذلك الفاتك أمر ، ورأى فيه ما يكرهه ، اشتدّت لدفعه حماسته ، وقويت لمنعه حميته ، وعاجله بالسخط والغضب ، والجهل والبطش ؛ وهو في هذه الحالة لا يرضى ، ولا يهدأ ، ولا يعرف سبيل الحلم أو الهوادة أو الأناة .

(١٥) اعترفت بالشيء : أقررت به على نفسي ؛ ومنه الاعتراف بالذنب . واعترفت للشيء : انقدت له ، وهبرت عليه . وتأويل العبارة مع « الباء » : لا تصبر متلبساً بالذل مخافة الموت ؛ أو لا تعترف بأنك ذليل ، بل أنكر الذل ، وكافحه ، ولا تقم عليه . والمنية : الموت . والمعنى : أن الحياة الطيبة العزيزة الكريمة لا تكون إلا مع الحرية ، والعزة ، والكرامة ؛ فادفع عن نفسك المذلة والهوان ، ولو قتلت في سبيل ذلك ؛ فإن الموت في هذا السبيل شرف وخلود .

(١٦) لا تلتمس : لا تطلب . والمنى : الأماني ، والآمال ، واحدتها منية . وثمار اليأس : اليأس الشبيه بالثمار ، جمع ثمرة . وشجر البخل : البخل الشبيه بالشجر . والمعنى : أن البخل غالب في الناس ، مسيطر عليهم ؛ فإذا أملتهم ، ورجوت خيرهم انقطع أملك ، وخاب فيهم رجاؤك .

فَمَا النَّاسُ إِلَّا حَاسِدٌ ذُو مَكِيدَةٍ وَأَخْرَمَ مَخْنِي الضُّلُوعِ عَلَى دَخَلِ (١٧)
تَبَاعُ هَوَى يَمْشُونَ فِيهِ كَمَا مَشَى وَسَمَاعٌ لَغْوٍ يَكْتُبُونَ كَمَا يُمْلِي (١٨)
وَمَا أَنَا وَالْأَيَّامُ شَتَّى صُرُوفُهَا بِمُهْتَضِمٍ جَارِي وَلَا خَاذِلٍ خَلِي (١٩)
أَسِيرٌ عَلَى نَهْجِ الْوَفَاءِ سَجِيَّةٌ وَكُلُّ أَمْرٍ فِي النَّاسِ يَجْرِي عَلَى الْأَصْلِ (٢٠)
تَرَكْتُ ضَغِينَاتِ النَّفُوسِ لِأَهْلِهَا وَأَكْبَرْتُ نَفْسِي أَنْ أُبَيِّتَ عَلَى دَخَلِ (٢١)

(١٧) الدخول : فساد الطوية ، والعيب ، والمكر ، والخديعة .

حصر الناس ، وقصرهم على فريقين : حاسد كائد ، وفاسد الطوية معيب ، وبهذا
وصمهم بالتحاسد ، والتباغض ، والتخادع ، والخبث ، والمكر السيئ وكل ما تحتويه
كلمات الحسد ، والكيد ، والدخول من النقائص ، والمساوىء ، والمعائب ؛ فعالي في
السخط عليهم ، والتنديد بهم .

(١٨) تباع : أي الناس تباع هوى ، جمع تبيع (بوزن سريع) ، وهو التابع الذي يتبع غيره ، وينقاد
له . والهوى : مصدر هوى الشيء ، أي مال إليه ، وأكثر ما يستعمل في الميل المذموم ، وهو
المراد هنا ، أي ميل النفس إلى الشهوات التي يستنكرها العقل والدين . ويمشون فيه :
يمشون في الهوى ، أي في مسالكه وطرقه . وسَمَاعٌ : جمع سامع . واللغو : الباطل ،
والسقط ، وما لا خير فيه من الكلام . وأملى عليه الكتاب إملاء : قال له ، فكتبه عنه ؛ فهم لا
يكتفون بسماعه ، بل يحرصون على كتابته ، وتقييده ، وحفظه ، وتدوينه .

(١٩) شتى : جمع شتيت (بوزن مريض ومرضى) ، وهو الشيء المشتت ، المفرق . وصرف
الدهر : حَدَثَانَهُ ، ونوائبه ، وجمعه صروف . ومهتضم : اسم فاعل من « اهتضمه » ، أي
ظلمه ، وغصبه . وخاذل : اسم فاعل من خذله ، أي أسلمه ، وخيَّبه ، وتخلَّى عنه .
والجِل : الصديق ، الودود ، ومثله الخليل .

يتمدح بوفائه لجيرانه ، وبره بهم ، ونصرته لخلانه ، ومواساته لهم ، إذا ساءت الأيام ،
واختلفت صروف الزمان ، وتوالت نوائب الحداث .

(٢٠) النهج : الطريق المستقيم الواضح . والسجية : الطبيعة ، والخلق ، وجمعها سجايا . وأصل
الشيء : أساسه الذي يقوم عليه .

يفتخر في الشطر الأول بأن الوفاء من أخلاقه وسجاياه ، يجري فيه على طبيعته وفطرته ،
بلا تكلف أو تصنع . والشطر الثاني معناه : أن المرء يجري في سيرته ، وأعماله ، وسلوكه ،
وتصرفاته على ما ورثه ، واعتاده ، وفطر عليه ، وتأصل فيه من الأخلاق ، والطبائع ،
والسجايا .

(٢١) الضغينات ، والضغائن : جمع الضغينة ، وهي الحقد . ولأهلها : لأهل الضغينات ، أي

كَذَلِكَ دَأْبِي مُنْذُ أَبْصَرْتُ حُجَّتِي وَلَيْدًا وَحُبُّ الْخَيْرِ مِنْ سِمَةِ النَّبْلِ (٢٢)
 وَرُبُّ صَدِيقٍ كَشَفَ الْخُبْرُ نَفْسَهُ فَعَايَنْتُ مِنْهُ الْجَوْرَ فِي صُورَةِ الْعَدْلِ (٢٣)
 وَهَبْتُ لَهُ مَا قَدْ جَنَى مِنْ إِسَاءَةٍ وَلَوْ شِئْتُ كَانَ السَّيْفُ أَدْنَى إِلَى الْفَضْلِ (٢٤)
 وَمُسْتَخْبِرٍ عَنِّي وَمَا كَانَ جَاهِلًا بِشَأْنِي وَلَكِنْ عَادَةُ الْبُغْضِ لِلْفَضْلِ (٢٥)
 أَتَى سَادِرًا حَتَّى إِذَا قَرَأُوجَسْتُ سُوَيْدَاؤُهُ شَرًّا فَاغْضَى عَلَيَّ ذُلًّا (٢٦)

للحاقدين . وأكبرت نفسي عن كذا : ترفعت بها عنه . والدُّخْلُ : العداوة ، والحقْد . وبات على الذحل ، أضمره .

والمعنى : أنه ترك الحاقدين عليه يشقون بحقدهم ، وعظم نفسه ، وتعالى بها عن هذا الخلق الوضيع ، فلم يجارهم فيه ، ولم يؤاخذهم به .

(٢٢) دأبي : عادتي ، وشأني . والحجة : الدليل ، والبرهان . وأبصرت حجتي : رأيته ، وعرفتها ، وهذا كناية عن الرشد ، والتمييز ، والإدراك ، ونضج العقل والفكر . ووليداً : صبيّاً ، أو غلاماً . والسمة : الأمانة ، والعلامة . والنبل : الفضل ، والشرف .

يقول : إنه اعتاد منذ صغره الفضائل . وفي البيت فخر بأنه بلغ الرشد وهو وليد ، وامتناز بنضج العقل ، وصحة التفكير ، وإقامة الحجّة مذ كان غلاماً ناشئاً . « وحبّ الخير من سمة النبل » : تذييل جار مجرى المثل .

(٢٣) كَشَفَ الشَّيْءَ تَكْشِيفًا : مبالغة في كشفه ، أي أظهره . والخبر (بتثليث الخاء) : الاختبار ، والتجربة . وعاينت : رأيت وأبصرت . والجور : الظلم .

يقول : وكم صديق كَشَفْتُ بالاختبار والتجربة حقيقته ، وما انطوت عليه نفسه ، فرأيته يجور عليّ ، ويظلمني كاسياً ظلمه ثوب العدل .

(٢٤) وهبتُ له الشيء : أعطيته إياه بلا عوض . ووهبتُ له إساءته : عفوتُ عنه ، ولم أعاقبه بها . وجنى جناية : ارتكب ذنباً . و« كان السيف أدنى إلى الفضل » : يشعر أن إساءة صاحبه إليه كانت مثيرة جداً ، وأنه حينما كظم غيظه ، إنما تجاوز عن ذنب فظيع ، يكاد يحمل على الانتقام بالإعدام .

(٢٥) ومستخبر : وربّ مستخبر ، اسم فاعل من استخبرته ، أي سألته عن الخبر .

والمعنى : وربّ حاسد حاقد مغيط ، يستخبر عني وهو يعرفني ، ويؤمن بفضائلي ؛ وإنما كان استخباره من تجاهل العارف ، الذي لم يقصد به غير محاولة الحطّ من قدرتي ، والتغافل عني ، ولا غرو ؛ فإن هذه عادة ذوي النقص الذين يمتقنون من يفوقهم بفضله ، ولا يعترفون بشيء من مزاياه ؛ وإنما يعرف الفضل من الناس ذوهه .

(٢٦) سادراً : غير مهتمّ ، ولا مبال ما صنع . ورجل سادر في الغي : تائه في الضلال . وقرّ :

وَمَنْ حَدَّثَتْهُ النَّفْسُ بِالْغِيِّ بَعْدَ مَا تَنَاهَى إِلَيْهِ الرَّشْدُ سَارَ عَلَى بَطْلٍ (٢٧)
وَأِنِّي لِأَسْتَحْيِي مِنَ الْمَجْدِ أَنْ أَرَى صَرِيحَ مَرَامٍ لَا يَفُوزُ بِهَا خَصْلِي (٢٨)
أَقُولُ وَأَتْلُو الْقَوْلَ بِالْفِعْلِ كَلَّمَا أَرَدْتُ وَبِئْسَ الْقَوْلُ كَانَ بِلا فِعْلٍ (٢٩)

استقرّ، وسكن . وأوجست : أحست ؛ وقد يحمل الإيجاس معنى التخوّف . وسويداء القلب : حبه ؛ ويراد بالسويداء هنا : القلب . وأغضى على الأمر : سكت عليه ، وصبر . والذل : الضعف والهوان .

والمعنى : أن هذا الذي استخبر عني ، حاسداً لي ، حاقداً عليّ ، مغيضاً مني ، متجاهلاً فضلي ، جاء متكبراً ، سادراً في غيه ، تائهاً في ضلاله ، لا يهتم ، ولا يبالي ما صنع ، حتى إذا سكن ، واستقرّ ، وعاد إليه شيء من رشده ، وانتباهه ، وصوابه أحسّ أنه ارتكب ذنباً ، واقترب جرماً ؛ فاستشعر قلبه الفزع والخوف ، وتوجّس الشر ، وسوء الجزاء ؛ فسكت سكوت الذليل المهين ، وأغضى إغضاء الضعيف الحقير .

(٢٧) حدّثته نفسه بالغي : زيّتته له ، ودعته إليه ، وأوقعته فيه . والغيّ : مصدر غوى (كرمى) ، أي أمعن في الجهل والضلال ، ومثله الغواية ، وضده الرشد . وتناهى إليه : بلغه ، ووصل إليه . والبطل : الباطل ، والضياع ، ومثله البطلان ، ونقيضه الحق .

والمعنى : أن الذي يجنح للغيّ ، ويؤثر الضلال ، بعد أن يرى الرشد ، ويدوق حلاوته ، ويستبين مسالك الاستقامة والصلاح ، إنما يستبدل الشر بالخير ، ويشتري الضلالة بالهدى ، ويخبط في ظلمات الفساد والبطلان ، ويختار لنفسه الضياع والخسران .

(٢٨) الاستحياء : الاحتشام ، والخجل . وصريح : مصروع طريح ، من صرعه ، أي طرحه ، وألقاه على الأرض . والمرامي : الأهداف ، والغايات ، جمع المرمى ، وهو الهدف . والخصل : السعي . وهو في الأصل مصدر خصل الهدف : أي أصابه . ومن كلامهم : أحرز فلان خصله ، أو أصاب خصله : إذا فاز وغلب .

يفخر بأنه عزيز ، شريف ، طموح ، ولهذا يخجل من أن يراه الناس مخففاً في شيء من هذا ، أو صريعاً دون أغراض لم تظفر بها همته ؛ فكلها مقرونة بالفوز ، ومجده يحفزه - على الدوام - إلى الظفر بما يتناضل فيه أمثاله من المقاصد البعيدة النبيلة .

(٢٩) تلاه يتلوه : تبعه يتبعه . وأتلو القول بالفعل : أجعل فعلي تالياً لقولي ؛ فهو يتبعه ، ويصدّقه . « وبئس القول كان بلا فعل » معناه : أن القول الذي لا يصدّقه الفعل ، ولا يقترن بالعمل ، كاذب ، فاسد ، لا قيمة له .

يفخر بأن إرادته قوية صارمة ، وأنه إذا قال قولاً قرنه بالفعل الذي يصدّقه ؛ فأقواله على الدوام صادقة ، متبوعة بالأعمال التي تشرفه .

أَرَى السَّهْلَ مَقْرُوناً بِصَعْبٍ وَلَا أَرَى
 وَيَوْمٍ كَانَ النَّقْعَ فِيهِ غَمَامَةً
 بَغَيْرِ اقْتِحَامِ الصَّعْبِ مُدْرَكَ السَّهْلِ (٣٠)
 لَهَا أَثْرٌ مِنْ سَائِلِ الطَّعْنِ كَالْوَبْلِ (٣١)
 وَحَسْبُ الْفَتَى أَنْ يَطْلُبَ النَّصْرَ بِالنَّصْلِ (٣٢)
 وَقُلْتُ لِذَهْرِي وَنِكَ فَاْمُضِ عَلَيَّ رَسُلِ (٣٣)
 وَلَا يَرْكَبُ الْأَخْطَارَ إِلَّا فَتَى مِثْلِي (٣٤)

وَقَالَ يَذْكُرُ مَقَامَهُ فِي « سِيلَانَ » (*) وَتَشَوُّقُ إِلَى الْأَهْلِ وَالْأَوْطَانِ :

(٣٠) أرى (هنا) : بمعنى أعلم ، وأعتقد . ومقرون : مقترن ، متصل . واقتحام الصعب :
 تخطيه ، وتجاوزه ، والمراد معاناته . ومدرك : إدراك ، وبلوغ ، مصدر ميمي لأدركت الشيء
 إدراكاً ، أي لحقته ، وبلغته ، ووصلت إليه .
 يقول : إن أيسار الأمور مقرونة بصعابها ، وإن الهين السهل منها لا ندركه إلا إذا تخطينا
 إليه العسير الصعب .

(٣١) النقع : الغبار . وفيه : في ذلك اليوم الذي يصف شدة القتال فيه . وغمامة : سحابة . وأثر
 الغمام : المطر . ويراد بسائل الطعن هنا : الدماء الغزيرة الجارية ، التي تسيلها طعنات
 الرماح ، وضربات السيوف . والوبل : المطر الغزير ، الشديد .

(٣٢) تقحمته : أي دخلت فيه ، وخضت غماره بجرأة وإقدام وشجاعة . وفرداً : وحيداً .
 والنصل : حديدة محددة قاطعة جارحة ، تكون للرمح ، والسهم ، والسيف .

(٣٣) لويت به كفي : لويت بالنصل كفي . وبه : عليه . ودهر المرء : مدة حياته . و«وي» : كلمة
 تعجب ؛ وقد تأتي للزجر والسيطرة والتهديد ، وهو المراد هنا ؛ وقد يكنى بها عن الويل ، وهو
 العذاب ، والشر . والكاف المتصلة بها هنا : كاف الخطاب . وامض على رسل : مثدأً ،
 وامش متأنياً ، وتمهل .

(٣٤) يبعث الغارات : يثيرها ، ويهيجها ، جمع الغارة ، اسم من أغار المحاربون على أعدائهم
 إغارة ، أي هجموا عليهم ، وأوقعوا بهم . ويراد بالغارات هنا : الهجمات الشديدة ، الظافرة
 المنتصرة . والمهند : السيف المطبوع من حديد الهند ، وكان خير السيوف .

ختم الشاعر هذه القصيدة مفتخراً بفتوته وشجاعته ، وإقدامه على اقتحام المخاوف ،
 وركوب الأهوال ، واعتماده في هذا ونحوه على سلاحه ، وحسن استخدامه لعتاد الحرب ،
 وأدوات القتال ؛ وبهذه المزاي يوقع بأعدائه ، ويبالغ في قتالهم ، ويفجؤهم بهجمات الخاطفة
 المظفرة .

(*) « سيلان » : جزيرة بالمحيط الهندي ، مجاورة للهند ، وقد استعمرها البريطانيون ، وسيطروا

رُدُّوا عَلَيَّ الصَّبَا مِنْ عَصْرِي الْخَالِي وَهَلْ يَعُودُ سَوَادُ اللَّمَّةِ الْبَالِي؟ (١)
 مَاضٍ مِنَ الْعَيْشِ مَا لَاحَتْ مَخَايِلُهُ فِي صَفْحَةِ الْفِكْرِ إِلَّا هَاجَ بَلْبَالِي؟ (٢)
 سَلَّتْ قُلُوبٌ فَفَقَرْتُ فِي مَضَاجِعِهَا بَعْدَ الْحَيْنِ وَقَلْبِي لَيْسَ بِالسَّالِي (٣)
 لَمْ يَذِرْ مَنْ بَاتَ مَسْرُوراً بِلَذَّتِهِ أَنِّي بِنَارِ الْأَسَى مِنْ هَجْرِهِ صَالِي (٤)

عليها من سنة ١٨٠٢م إلى أن استقلت في نطاق « الكومنولث » سنة ١٩٤٨م ؛ وهي معروفة لتجار العرب وملاحيتهم من قديم الزمان ، وهم الذين سموها « سرنديب » ، وإليها نفي الشاعر عقب إخفاق الثورة العراقية ، وفي ذلك المنفى نظم أجود شعره .

(١) الصبا : الحداثة ، والصغر . واللِّمَّة : ما جاوز شحمة الأذن من شعر الرأس ؛ والمراد شعر الرأس مطلقاً . والبالي : اسم فاعل من بلي الثوب ، أي رث ، وذهبت جدته . وكنى بسواد اللمة البالي عن الصبا في عصره الخالي ؛ لأن سواد الشعر من مظاهر الحداثة والصبا ، فإذا ذهب ذهب معه الشباب ومرحه ولهوه ، وحل محله بياض الشيب ، وهموم الهرم ، ومتاعب الشيخوخة .

(٢) العيش : المعيشة ، والحياة . ولاحت : بدت ، وظهرت . والمخايل : جمع المخيلة ، وهي في الأصل الظن أو المظنة ؛ ويراد بالمخايل هنا : صور ذلك الماضي السعيد ، وذكرياته العزيزة المحبوبة . وهاج : ثار ، وتحرك . والبلبال : شدة الهم ، والوساوس . يقول : كلما مرت بخاطري صور ذلك الماضي السعيد ، عَظُمَ تَلَهُّفِي ، واشتدت حسرتي ، وثار همومي وأشجاني .

(٣) سلاه ، وسلاه عنه : نسيه ، وهجره . ولعله يريد بالقلوب : قلوب أحبائه الذين كانوا يعطفون عليه ، ويحتنون إليه ، فلما فرَّق النفي بينه وبينهم سلَّوا عنه ، وطابت نفوسهم بعد فراقه . وَقَرَّتْ : استقرت ، وسكنت . والمضاجع : جمع المضجع ، وهو موضع الضجوع .

(٤) « بلذته » : بلدة السلوان ، أي برحاء البال المكنى عنه في البيت السابق باستقرار القلوب في مضاجعها . والأسى : الحزن ، أو شدته ؛ فهو يصلي نار الأسى بسبب هجران أحبائه له ، وسلوهم عنه . وصال : اسم فاعل من صلى النار ، وبالنار : أي قاسى حرها ، أو احترق بها .

يقول - في التبايع وأسى شديد - هجرني أحبائي ، ونسوا ما كان بيننا من حب ووداد ، وطابت نفوسهم بعد فراقني ، وباتوا ناعمين مسرورين بلذة حياتهم بعدي ، أو بلدة السلوان ، ورحاء البال . وهم لا يكادون يعرفون ما أكابده ، فقد اشتد أسفي لهذا الهجران ، وبت احترق بلوعة الوجد والشوق .

يَا غَاظِبِينَ عَلَيْنَا هَلْ إِلَى عِدَّةٍ
 غِبْتُمْ فَأَظْلَمَ يَوْمِي بَعْدَ فُرْقَتِكُمْ
 قَدْ كُنْتُ أَحْسَبُنِي مِنْكُمْ عَلَى ثِقَةٍ
 لَمْ أَجْنِ فِي الْحُبِّ ذَنْبًا اسْتَحِقُّ بِهِ
 وَمَنْ أَطَاعَ رُوَاةَ السُّوءِ نَفَّرَهُ
 بِالْوَصْلِ يَوْمٌ أَنَاغِي فِيهِ إِقْبَالِي (٥)
 وَسَاءَ صُنْعُ اللَّيَالِي بَعْدَ إِجْمَالِ (٦)
 حَتَّى مُنِيتُ بِمَا لَمْ يَجْرِ فِي بَالِي (٧)
 عَتَبًا وَلَكِنَّهَا تَحْرِيفٌ أَقْوَالِ (٨)
 عَنِ الصَّدِيقِ سَمَاعُ الْقِيلِ وَالْقَالَ (٩)

(٥) العدة : الوعد ، مصدر وعده الأمر ، وبالأمر : أي مناه به ؛ فهو يتمنى أن يظفر بوعده الوصال من أحبائه الذين غضبوا عليه ، وأعرضوا عنه بعد الحب والحنين ؛ وبذلك الوعد المأمول يسترد ماضيه السعيد ، وعيشه الرغيد ، وتعود إليه راحته وهناءته . وناغاه : قاربه . وناغيت الصبي : لاطفته بالمحادثة والملاعبة .

تمنى على أحبائه الغاضبين عليه ، المعرضين عنه أن يعودوا إلى الرضا والإقبال ، ويعدوه بالوصال ؛ لينعم ، ويهنأ ، وتقبل عليه الدنيا بخيرها .

(٦) أظلم يومي : اسود ، من الظلام ، أو الظلمة . وإظلام يومه : كناية عن تكدر معيشته ، ونكد الدنيا عليه . وصنع الليالي : عملها ، وتصرفها . و« ساء صنع الليالي » : تكرر ، وتأکید لمعنى « أظلم يومي » . والإجمال : الإحسان . مصدر أجملت الشيء : أي حسنته ، وصيرته جميلاً .

شكا الشاعر ما يقاسيه من فراق أحبائه ، وغيبتهم ؛ فأوقاته بعدهم مظلمة قاتمة ، وعيشته كدرة نكدة ، والزمن يعاسره ، ويخاشنه ، ويسيء إليه ، بعد مياسرة ، وملاينة ، وإحسان .
 (٧) مُنِيتُ : ابتليتُ وأصبتُ . والبال : الخاطر ، والنفس . وجرى الشيء في باله : خطر ، ووقع . ومُنِيَّ بما لم يجر في باله : فوجيء بما لم يكن يتوقعه .

كان يظن أن الصلة بينه وبين المعاتيين وثيقة ، والوداد خالص ، والبر والوفاء موفوران دائماً في العسر واليسر ، والشدة والرخاء ؛ فلما أصابته محنة النفي والإبعاد ، ومسه الضر ، مُنِيَّ بما لم يكن يتوقعه من القطيعة والهجران ، والإعراض والسلوان ؛ فخاب الأمل ، وتزعزعت الثقة ، واشتد به الكرب والبلاء .

(٨) لم أجن : لم أقترف . والعتب : الموجدة ، واللوم . ولكنها : ولكن القصة ، أو الحالة . وتحريف الكلام : إمالته عن وجهه ، وتغييره عن مواضعه .

يقرر أن حبه قائم على الصدق والإخلاص ، والبر والوفاء ، وأنه لم يقترف فيه ما يعيبه ، أو يؤاخذ به ؛ ولكن الوشاة لا يفتأون يحرفون كلام المتحابين عن مواضعه ، ويُخَرِّجُونَهُ تخريجاً سيئاً للوقعة والإفساد .

(٩) رواة السوء : الوشاة المولعون بالنميمة والسعاية ، وتزيين الكذب ، والإفساد بين المتحابين .

أُذْهِى الْمَصَائِبِ غَدْرٌ قَبْلَهُ ثِقَةٌ وَأَقْبَحُ الظُّلْمِ صَدٌّ بَعْدَ إِقْبَالِ (١٠)
لَا عَيْبَ فِي سِوَى حُرِّيَّةِ مَلَكَتْ أَعْتَيْتِي عَنْ قَبُولِ الذُّلِّ بِالْمَالِ (١١)
تَبِعْتُ خُطَّةَ آبَائِي فَسِرْتُ بِهَا عَلَى وَتَيْرَةِ آدَابٍ وَأَسَالِ (١٢)
فَمَا يَمُرُّ خَيْالُ الْغَدْرِ فِي خَلْدِي وَلَا تَلُوحُ سِمَاتُ الشَّرِّ فِي خَالِي (١٣)

ونفره تنفيراً : حملة على النفور ، أي الانقباض ، والسخط ، والإعراض والهجران .
يحدّر الاستماع للواشين ورواة السوء ؛ فإن دأبهم تحريف الكلام ، والإفساد بين
المتحابين ؛ فمن أقبل عليهم ، وانقاد لهم نفروهم بسبعائهم من أصدقائه وأحبائه ؛ فخرس
صدقاتهم وودهم ؛ وتقطعت بينه وبينهم الأسباب .

(١٠) الصد : الإعراض والهجران ، وضده الإقبال والوصال .

جعل غدر أحبابه به ، ونقضهم لعهد ، بعد ثقته بهم ، وثقتهم به مصيبة دونها كل
المصائب ؛ ومما أثقلها عليه ، وفظعها لديه أنها أتته من مأمنه ، ودته ممن وثق بهم ، واطمأن
إليهم . كما عدّ إعراضهم عنه بعد إقبالهم عليه ظلماً قبيحاً ؛ بل عدّه أقبح الظلم ، وأشنعه ،
وأفظعه ، وأدهاه ؛ فإذا أضيف إلى هذا كله أن الصد والغدر أصاباه وهو في منفاه علمنا أن
أزمته النفسية بلغت أقصى غايات القسوة والشدة .

(١١) الأعنة : جمع عنان ، وهو سير اللجام الذي تمسك به الدابة . وملكت الحرية أعنتي :
سيطرت عليّ ؛ فجريت على سننها ، ولم أحد عن طريقها ؛ وهذا كناية عن استمساكه بها ،
وحرصه عليها ، ودفاعه عنها .

استنكف الشاعر أن يقبل المذلة والهوان ، وأبى أن يبيع عزته ، وكرامته ، وحرية بلاده بما
قدمه إليه المعتدي الغاصب من الأموال والوعود المغربية .

(١٢) سرت بها : سرت بالخطئة ، أي سرت على نورها ، والتزمت ما تهدي إليه . وسرت بها :
سيرتها ، أي أحبيتها بالانقياد لها . والوتيرة : الطريقة المطردة ، والمداومة على الشيء .
وأسال : شبه ، وعلامات ، وأخلاق ، وشمائل . ومن كلامهم : « فلان على أسال من
أبيه » : أي على شبه منه . وتأسل أباه : أشبهه ، واقتدى به ، وتخلّق بأخلاقه .

يفخر بأنه يسير على ما ورثه عن آبائه من آداب رفيعة ، وأخلاق كريمة ، وشمائل عالية .
(١٣) الخلد : البال ، والقلب ، والنفس . وتلوح : تظهر . وسمات : علامات ، وأمارة ،
واحدتها سمة .

نفى عن نفسه الغدر وضروب الشرّ كلها بأسلوب قويّ بليغ ؛ فهو لا يكاد يتصوّر الغدر ، أو
يتخيّله ، أو يفكر فيه .

وعلامات الشرّ وضروبه كلها بعيدة كل البعد عن ظنه ، وتوهمه ، وتفكيره ، وتدبيره ؛
وإنما هو رجل خير وبرّ ، واستقامة وأمانة ، وصدق ووفاء .

قَلْبِي سَلِيمٌ وَنَفْسِي حُرَّةٌ وَيَدِي مَأْمُونَةٌ وَلِسَانِي غَيْرُ خَتَّالٍ (١٤)
 لِكِنِّي فِي زَمَانٍ عَشْتُ مُغْتَرِبًا فِي أَهْلِهِ حِينَ قَلَّتْ فِيهِ أُمَثَالِي (١٥)
 بَلَوْتُ دَهْرِي فَمَا أَحْمَدْتُ سِيرَتَهُ فِي سَابِقٍ مِنْ لِيَالِيهِ وَلَا تَالِي (١٦)
 حَلَبْتُ شَطْرِيهِ مِنْ يُسْرِ وَمَعْسُرَةٍ وَذُقْتُ طَعْمِيهِ مِنْ خِصْبٍ وَإِمْحَالٍ (١٧)
 فَمَا أَسِفْتُ لِبُؤْسٍ بَعْدَ مَقْدَرَةٍ وَلَا فَرِحْتُ بِوَفْرِ بَعْدَ إِقْلَالٍ (١٨)
 عَفَافَةٌ نَزَهَتْ نَفْسِي فَمَا عَلِقْتُ بِلَوْثَةٍ مِنْ غَبَارِ الذَّمِّ أَذْيَالِي (١٩)

(١٤) قلبي سليم : يريد سلامته من الآفات والنقائص ، والعبوب النفسية والخلقية ، كإضمار الشر ، والحقد ، والحسد ، والضعينة ونحوها . ونفسي حرّة : عزيزة ، كريمة ، قوية . ويدي مأمونة : أمينة ، يوثق بها ، ويطمأن إليها . وغير ختال : غير خداع ، صيغة مبالغة من ختله ، أي غرّه ؛ فهو ينفي عن نفسه الختل في جميع ضروبه وصوره ، ومراتبه وألوانه . ولساني غير ختال : صادق ، صريح ، واضح ، لا يخاتل ، ولا يخادع ، ولا يظهر غير ما يضمرة قلبي السليم .

(١٥) المغترب : الغريب ، النازح ، البعيد عن وطنه وأهله . يفخر بقلة أشباهه ونظرائه في زمانه ؛ ولهذا يحيا بين الكثرة الغالبة من أهل هذا الزمان حياة الاغتراب والعزلة ، والوحشة ، والجفوة ؛ إذ لا يشبههم ، ولا يشبهونه ، ولا يألفهم ، ولا يألفونه .

(١٦) بلوت : اختبرت ، وامتحنت . وما أحمدت سيرته : لم أجدها محمودة . ويراد بالسابق والتالي من لياليه : أوقاته كلّها . وقد جرى الناس قديماً وحديثاً على شكوى الدهر والزمان ؛ وهم ينسبون إليه ما يتقلبون فيه من الخير والشر ، والرخاء والشدة ؛ فإن أصابتهم فتنة ، تبرّموا بالدهر ، وأعلنوا ضجرهم منه ، وسخطهم عليه .

يقول : إنه اختبر الزمان الذي يعيش فيه ، وجرب السابق واللاحق من أيامه ولياليه ، فلم يجد في سيره وسيرته وأعماله وتصرفاته معه شيئاً يستحق الحمد وحسن الثناء .

(١٧) حلبت شطريه : حلبت شطري دهرى ، أي جربت أموره ، واختبرت أحواله كلها ، وقالوا : « حلبت الدهر أشطره » و« حلبت الدهر شطريه » : أي خبرته ، وتمرست بخيره وشره . والخصب : كثرة العشب والنبات والخير ، ورغد العيش . وضده الإمحال : وهو الإجداب .

(١٨) يقول : إنه لطول تمرّسه بتقلبات دهره ، لا يكاد يبالي هذه التقلبات ، أو يهتمّ بها ، أو يكثرث لها ؛ فالفقر بعد الغنى لا يسوؤه ، ولا يحزنه ؛ والغنى بعد الفقر لا يفرحه ، ولا يبطره .

(١٩) عفّ عفةً وعفّافة : كفّ عن الحرام ، وامتنع عما لا يحلّ ولا يجمل من قول أو فعل . ونزّه

فَالْيَوْمَ لَا رَسَنِي طَوْعُ الْقِيَادِ وَلَا
لَمْ يَتَّقَ لِي أَرْبُ فِي الدَّهْرِ أَطْلُبُهُ
وَأَيْنَ أُدْرِكُ مَا أَبْغِيهِ مِنْ وَطَرٍ
لَا فِي « سَرَنْدِيبَ » لِي إِلْفٌ أَجَادِبُهُ
قَلْبِي إِلَى زَهْرَةِ الدُّنْيَا بِمَيْالٍ (٢٠)
إِلَّا صَحَابَةٌ حُرٌّ صَادِقِ الْخَالِ (٢١)
وَالصَّدْقُ فِي الدَّهْرِ أَعْيَا كُلِّ مُحْتَالٍ ؟ (٢٢)
فَضَلَ الْحَدِيثِ وَلَا خِلُّ فَيْرَعَى لِي (٢٣)

نفسه عن القبيح تنزيهاً : أبعدا عنه ، وصانها منه . واللوثة : اسم مرّة من لاث الثوب ونحوه في التراب ، أو الطين ، أو نحوهما ، أي لطحه به . والذمّ : العيب . والأذيال : جمع الذيل ، وهو أسفل الثوب ، وآخر كلّ شيء . وما علقت أذيالي بلوثة من غبار الدم : ما دنس شيئاً من ثيابي شيء من العيب ، أو المنكر ، أو القبيح المستهجن ؛ وهذا كناية عن عفّته ، وطهارة نفسه ، ونقاء عرضه .

(٢٠) الرّسن : الحبل ، أو المقود ، أو الزمام يجعل في رأس الدابة ، أو يشدّ في أنفها لتقاد به . والطوع : الانطباع ، والانقياد . ومعنى « لا رسني طوع القياد » : لا أستكين ، ولا أنقاد ؛ فالتعبير كناية عن عزته ، وأنفته ، وحميته . وزهرة الدنيا : حسنها ، وبهجتها .

والمعنى : أنه اليوم لا ينقاد لنزوات النفس ، ولا ينخدع بمتاع الحياة الدنيا ، ولا يكاد يتعلّق بها أو يبالها ؛ وهذا هو الزهد الذي يفزع إليه المرء إذا أصيب بمثل ما أصيب به الشاعر من الاضطهاد ، والتجريد ، والنفي ، والتشريد .

(٢١) الأرب : الحاجة ، أو البغية ، أو الأمنية . والخال : الظن ؛ وما توسّمت من خير . وصادق الخال : يصدق ظنه بي ، ويصدق ظني به ، أو أتوسّم فيه الخير ، فتصدّق فراستي ، وأراه عند ظني .

كان للشاعر حاجات أو أماني في دهره ، أو في أهل دهره ، انقطعت كلها وخابت ، ولم يبق منها غير أمنية واحدة ، هي أن يعثر على صاحب وصدیق حرّ كريم ، طيب شريف ، يحقّق الظن ، ويقيم على الودّ ، ويصدّق الإخاء ، ويدين بالوفاء .
(٢٢) ما أبغيه : الذي أطلبه ، وأريده . والصدق في الدهر : صدق الزمان ، ووفاءه ، أو صدق أهل الزمان .

(٢٣) « سرنديب » : « سيلان » وقد عرّفنا بها في عنوان هذه القصيدة . وإلف : مؤانس . وأجاذبه فضل الحديث : أتحدّث إليه ، ويتحدّث إليّ بما يكون بين الإلفين المتحابين . والخلّ (بكسر الخاء وضمها) : الصديق المختص الودود ، ومثله الخليل . يشكو خلوته ، ووحدته ، ووحدته في منفاه ، فهو غريب فيه ، متبرّم به ، بعيد عن وطنه ، منقطع عن أهله ، لا يكاد يجد من يحادثه ، ويؤانسه ، ويخفّف عنه وحشته ، ويرعى له خلّته من الآلاف والأخلاء .

أَبِيْتُ مُنْفَرِدًا فِي رَأْسِ شَاهِقَةٍ مِثْلَ الْقَطَامِيِّ فَوْقَ الْمِرْبَأِ الْعَالِيِ (٢٤)
 إِذَا تَلَفْتُ لَمْ أَبْصِرْ سِوَى صُورِ فِي الذُّهْنِ يَرْسُمُهَا نَقَاشُ آمَالِيِ (٢٥)
 تَهْفُوبِي الرِّيحُ أَحْيَانًا وَيَلْحَفُنِي بَرْدُ الطَّلَالِ يُبْرِدُ مِنْهُ أَسْمَالِ (٢٦)
 فِي السَّمَاءِ غُيُومٌ ذَاتُ أَرْوَقَةٍ وَفِي الْفَضَاءِ سُيُولٌ ذَاتُ أَوْشَالِ (٢٧)
 كَانَ قَوْسَ الْغَمَامِ الْغُرْقَنْطَرَةَ مَعْقُودَةً فَوْقَ طَامِيِ الْمَاءِ سَيَّالِ (٢٨)

(٢٤) بات يبيت : أدركه الليل ، وبات في مكان كذا ، والمراد هنا : الإقامة المطلقة الدائمة ، ليلاً ونهاراً . والقطامي (بفتح القاف وضمها) : الصقر الحديد البصر ، يرفع رأسه وينظر إلى الصيد ، ويرقبه . والمربأ (بوزني المذهب والمنبر) : المكان العالي المرتفع ، يقف فوقه من يشرف على شيء ، ويرقبه .

(٢٥) نقاش : صيغة مبالغة من نقش الشيء ، أي لونه ، وزينه بلونين ، أو بألوان .
 والشاعر في هذا البيت ، يُكثر من التلفت بوجهه يمنة ويسرة ، ويدور ببصره فيما حواليه فوق ذلك المرتبأ العالي ، فلا يرى غير صور في ذهنه لما كان يرتقبه ويرجوه ، ويأمله ويتمناه من انفراج أزمته ، وزوال شدته ؛ أو هي صور ما كان يتوق إليه من آمال كبيرة واسعة لم يتحقق له منها شيء .

(٢٦) تهفوبي الريح : تُحركني ، وتهزني . والطلال : جمع الطل ، وهو الندى ، أو المطر الضعيف . وبرد الطلال : المطر البارد . والبرد : ثوب مخطط ، أو هو كساء من الصوف الأسود يلتحف به . وبرد أسمال ، وثوب أسمال : خلق ، بال . ويراد بالبرد الأسمال ، أو البرد المهلهل : ما تساقط فوق الشاعر ، وكساه ، وغطاه من ذلك المطر الضعيف ؛ فقد شبهه - لضعفه وخفته ورقته - بالثوب الخلق البالي الأسمال الهلهال .

وصف بعض ما كان يعانيه في ذلك المرتبأ العالي من الظواهر الطبيعية ؛ فقد تشتد الرياح ، فتحركه ، وتهزه هزاً عنيفاً ؛ وقد يبرد الجو ، وتمطر السماء مطراً خفيفاً ، فتساقط عليه قطراته الباردة ، وتكسوه برداً سميلاً خلقاً ، بالياً هلهالاً .
 (٢٧) أروقة : جمع رواق ، وهو سقف في مقدم البيت . ورواق الليل : مقدمه . والأوشال : مياه تسيل من أعراض الجبال ؛ فتجتمع ، ثم تساق إلى المزارع ، والأوشال أيضاً : جمع وشل ، وهو الماء الكثير الغزير .

(٢٨) الغمام : السحاب ، واحده غمامة . وقوس الغمام : قوس قزح . وغمامة غراء ، وغمام غر : أبيض حسن . وطام : كثير ، غزير .

إِذَا الشُّعَاعُ تَرَاءَى خَلْفَهَا نَشَرَتْ بَدَائِعاً ذَاتَ أَلْوَانٍ وَأَشْكَالٍ (٢٩)
 فَلَوْ تَرَانِي وَيُرِيدِي بِالنُّدَى لَثِقْتُ لَخِلْتَنِي فَرِخَ طَيْرٍ بَيْنَ أَدْغَالٍ (٣٠)
 غَالِ الرَّدَى أَبْوَيْهِ فَهُوَ مُنْقَطِعٌ فِي جَوْفِ غَيْنَاءٍ لَا رَاعٍ وَلَا وَالِيٍّ (٣١)
 أَزْيِغَبَ الرَّأْسِ لَمْ يَيْدُ الشُّكَيْرُ بِهِ وَلَمْ يَصُنْ نَفْسَهُ مِنْ كَيْدِ مُغْتَالٍ (٣٢)
 كَأَنَّهُ كُرَّةٌ مَلَسَاءٍ مِنْ أَدَمٍ خَفِيَّةُ الدَّرَزِ قَدْ عُلَّتْ بِجِرْيَالٍ (٣٣)

(٢٩) نشرت: بسطت، وأظهرت. من النشر، وهو خلاف الطي. أي أن قوس الغمام تريك ما يروعك، ويعجبك من منظرها الفريد، وشكلها البديع العجيب.

يقول: إذا بدت أشعة الشمس المنعكسة وراء قوس الغمام، نشرت ما يروقك من بدائع الألوان والأشكال.

(٣٠) البرد: الثوب. والندى: المطر، والبلل. ولثقت: نديت، مبتل. وخلصني: ظننتني. والأدغال: جمع دغل (بوزن سبب وأسباب): وهو الشجر الكثيف، الملتف.

(٣١) غاله (من باب قال): اغتاله. والردى: الهلاك، والموت. ومنقطع: مقطوع عن أهله، ووطنه، عاجز عن العودة؛ وفي الانقطاع معنى الانفراد، والوحشة، والقلق، والضجر... وسائر ما يعانیه السجين في سجنه، ويضاييه المنفي في منفاه. وفي جوف غيناء: في جوف أرض، أو بقعة غيناء، مؤنث الأعين: وهو الأخضر، الطويل، الناعم، الكثير الورق، الملتف الأغصان من الشجر والنبات.

والمشابه كثيرة واضحة بين الشاعر وهذا الفرخ الفريد الوحيد، اليتيم اللطيم الذي فقد راعيه وواليه، وانقطع عن أهله ووطنه، في جوف تلك الغيناء الموحشة المظلمة المخيفة.

ويلاحظ أن معنى «الأدغال» في البيت السابق قريب جداً من معنى «الغيناء» في هذا البيت؛ وفي كل منهما الظلمة، والوحشة، والخوف، والقلق، وتوقع الشر، والعدوان، والأذى، والمكروه.

(٣٢) «أزيغب» (بالنصب): صفة لـ «فرخ طير»، تصغير «الأزغب»، وهو ما له زغب من الطير. والزغب: صغار الشعر والريش، وأول ما يبدو منهما. أو هو الشعيرات الصفر على ريش الفرخ الصغير. والشكير: صغار الريش النابتة بين كبارها، وكذلك صغار الشعر. والكيد: المكر السيء، والخبث، والخديعة.

يقول: إنه فرخ صغير ضعيف، لا حول له، ولا قوة، ولا يستطيع أن يرد عن نفسه كيد الكائد، واغتيال المغتال.

(٣٣) الأدم (بفتحتين، أو بضميتين): جمع الأديم، وهو الجلد المدبوغ. والدرز: موضع

يَظَلُّ فِي نَصَبٍ حَرَّانَ مُرْتَقِبًا نَقَعَ الصَّدَى بَيْنَ أَسْحَارٍ وَأَصَالٍ (٣٤)
يَكَادُ صَوْتُ الْبُزَاةِ الْقُمْرِ يَقْذِفُهُ مِنْ وَكْرِهِ بَيْنَ هَابِي التُّرْبِ جَوَّالٍ (٣٥)
لَا يَسْتَطِيعُ انْطِلَاقًا مِنْ غِيَابَتِهِ كَأَنَّمَا هُوَ مَعْقُولٌ بِعُقَّالٍ (٣٦)
فَذَاكَ مِثْلِي وَلَمْ أَظْلِمْ وَرُبَّتَمَا فَضَلَّتْهُ بِجَوَى حُزْنٍ وَإِعْوَالٍ (٣٧)
شَوْقٌ وَنَأْيٌ وَتَبْرِيحٌ وَمَعْتَبَةٌ يَا لِلْحَمِيَّةِ مِنْ عَدْرِي وَإِهْمَالِي (٣٨)

الخيطة . وعلت : سقيت مرة بعد أخرى . والجريال : صبغ أحمر ، أو خمري اللون . وفي بعض المعجمات أنه صبغ أصفر اللون .

(٣٤) النَّصَبُ : الإعياء ، والتعب . وحران : شديد العطش . ومرتقب : منتظر . والنقع : مصدر نقع الماء العطش ، أي أذهب ، وأطفأه ، وسكّنه . والصدى : شدة العطش . والأسحار : جمع السحر وهو آخر الليل ، قبيل الفجر . والأصال : جمع الأصيل ، وهو الوقت حين تصفر الشمس لمغربها ، أو هو الوقت بين العصر والمغرب ؛ ويراد بالأسحار والأصال : أوقات الليل والنهار كلها .

والبيت تصوير لما يقاسيه هذا الفرخ في جوف تلك الغيناء طوال النهار والليل من شدة العطش ، والإعياء وطول ارتقابه ما ينقع صداه ، ويطفئ ظمأه ؛ ولا ريب أن خوفه وانقباضه ، وضعفه وانقطاعه . . . أقعده عن السعي وراء طعامه وشرابه .

(٣٥) البزاة : جمع البازي ، وهو طير من الجوارح ، أو ضرب من الصقور يصاد به . والقمر : جمع الأقر ، صفة من القمرة ، وهي لون بين البياض والخضرة . وهابي التراب : ما دق من التراب ، وثار ، وانتشر . والهباء : الغبار . وجوال : نائر ، متحرك ، منتشر ، مرتفع . ويراد بهابي التراب الجوال : الوهاد ، والأودية ، والأراضي المنخفضة التي يرقّ ترابها ، ويثور غبارها .

(٣٦) الغيابة : كل ما غيب شيئاً ، وستره ، وأخفاه عن العيون . ويراد بغيابة الفرخ هنا : وكره . ومعقول : مربوط ، مقيد . والعقال (بوزن الرمان) : داء يأخذ الدواب في أرجلها ؛ ويراد به هنا : ما يقيد هذا الفرخ ، ويمنعه المشي والحركة ، ويحبسه عن الانطلاق وال الطيران .

(٣٧) ذاك : إشارة إلى فرخ الطير . وفضلته : أي فقته ، وزدت عليه ، وعانيت أكثر مما يعاني . وجوى الحزن : حرقته وشدته . والإعوال : مصدر أعول ، أي رفع صوته بالبكاء .

يقول : إنه حينما شبّه حالته في منفاه بحالة ذلك الفرخ ، لم يتجاوز الحد ، ولم يعد الصواب ؛ بل ربما فاقه بالجوى ، والحرقه ، وشدّة الوجد ، وفرط الحزن .

(٣٨) النأي : البعد ، والفراق . وبرّح به الشوق : ثقل عليه ، وعدّبه . والمعتبة (بفتح التاء

أَصْبَحْتُ لَا أَسْتَطِيعُ الثُّوبَ أَصْحَبُهُ وَقَدْ أَكُونُ وَضَافِي الدِّرْعِ سِرْبَالِي (٣٩)
وَلَا تَكَادُ يَدِي تُجْرِي شَبَا قَلَمِي وَكَانَ طَوْعَ بَنَانِي كُلُّ عَسَالٍ (٤٠)
فَإِنْ يَكُنْ جَفَّ عُودِي بَعْدَ نَضْرَتِهِ فَالدَّهْرُ مَصْدَرُ إِدْبَارٍ وَإِقْبَالٍ (٤١)
عَلَامٌ أَجْزَعُ وَالْأَيَّامُ تَشْهَدُ لِي بِصِدْقِ مَا كَانَ مِنْ وَسْمِي وَإِغْفَالِي (٤٢)
رَاجَعْتُ فَهْرَسَ آثَارِي فَمَا لَمَحْتُ بِصِيرَتِي فِيهِ مَا يُزْرِي بِأَعْمَالِي (٤٣)

وكسرها) : الاسم من عتب عليه ، أي أنكر عليه شيئاً من فعله ، أو لومه في موجدة وتسخط وغضب . والعتب ، أو المعتبة المشار إليها هنا : قد تكون على الشاعر من بعض بني وطنه ، وقد تكون منه عليهم ، وقد تكون من رفقائه في منفاه ؛ فقد نزع الشيطان بينهم بعد إخفاق الثورة العرابية ، وزعزعت الدعايات الكاذبة المسمومة ثقة بعضهم ببعض ؛ فأقبل بعضهم على بعض يتلاومون . و « يا للحمية » : أسلوب استغاثة ، وهي نداء من يخلص من شدة ، أو يعين على دفع بلية . والحمية : بمعنى الأنفة ، والإباء ، والمروءة ، والنخوة ، والغيرة . ويا للحمية : يا لذوي الحمية .

(٣٩) الضافي : السابغ ، التام ، اسم فاعل من ضفا الثوب ، أي سبغ ، وطال إلى الأرض . والدرع : قميص من زرد الحديد ، يلبسه المحارب وقاية لنفسه من سلاح العدو . والسربال : القميص ، أو كل ما يلبس .

(٤٠) شبة القلم : إبرته ، وسنه . والبنان ، أطراف الأصابع . ومن كلامهم : هو طوع بنانك ، وطوع يدك : أي متقادلك . والعسال : الرمح اللدن ، المهترز .

(٤١) كنى بجفاف عوده عن ضعفه ، وعجزه . والنضرة : الرونق ، والحسن . وكنى بنضرة عوده عن قوته ، وشبابه ، وصحته . والإدبار : مصدر أدبر ، بمعنى ذهب ، ومضى . وضده الإقبال : مصدر أقبل . ومن كلامهم : « أقبلت عليه الدنيا » : إذا جاءته بخيرها . وضده « أدبرت عنه » .

(٤٢) « علام » : « ما » الاستفهامية المجرورة بـ « على » ؛ وإذا جرت حذف ألفها ، وبقيت الفتحة دليلاً عليها ؛ والمعنى : على أي شيء ؟ أو لأي شيء أجزع ؟ ، من الجزع ، وهو أبلغ من الحزن ، وأشد ، وأعمق . ووسمه : جعل له علامة يعرف بها . وضده الإغفال : مصدر أغفله ، أي تركه بلا وسم ؛ ويريد بالوسم ؛ ما عمله ، وبالإغفال ؛ ما تركه .

(٤٣) الآثار : جمع أثر ، وهو ما بقي من رسم الشيء ، أو ما خلفه السابق للأحق . ويريد بفهرس آثاره : صحيفة أقواله وأعماله وتصرفاته ، بترتيب أزمنتها وأمكتتها . ولمحت : أبصرت . والبصيرة : الفهم ، والفتنة ، والعقل ؛ وقوة الإدراك . وأزرى به يزري إزراء : عابه ، وشانه ، وحط من قدره .

فَكَيْفَ يُنْكِرُ قَوْمِي فَضْلَ بَادِرَتِي وَقَدْ سَرَتْ حِكْمِي فِيهِمْ وَأُمَثَالِي (٤٤)؟
 أَنَا ابْنُ قَوْلِي وَحَسْبِي فِي الْفَخَارِ بِهِ وَإِنْ غَدَوْتُ كَرِيمَ الْعَمِّ وَالْخَالِ (٤٥)
 وَلِي مِنَ الشُّعْرِ آيَاتٌ مُفْصَلَةٌ تَلُوحُ فِي وَجْنَةِ الْأَيَّامِ كَالْخَالِ (٤٦)
 يَنْسَى لَهَا الْفَاقِدُ الْمَحْزُونُ لَوْعَتَهُ وَيَهْتَدِي بِسَنَاهَا كُلُّ قَوَالِ (٤٧)
 فَانظُرْ لِقَوْلِي تَجِدْ نَفْسِي مُصَوَّرَةً فِي صَفْحَتَيْهِ فَقَوْلِي خَطُّ تِمَثَالِي (٤٨)
 وَلَا تَغْرُنْكَ فِي الدُّنْيَا مُشَاكَلَةٌ بَيْنَ الْأَنَامِ فَلَيْسَ النَّبْعُ كَالضَّالِّ (٤٩)

(٤٤) وجّه الشاعر في هذه القصيدة كثيراً من العتب المرّ إلى من جفوه ، أو أسأؤوا به الظن ، أو سلوا عنه من أحبائه وأهله وبني وطنه . وهو في هذا البيت يفخر بما شاع وذاع في قومه من أدبه الرفيع ، وفضله الواسع ؛ ويعتب عليهم ؛ فيعتبر اتهامهم إياه ، أو إهمالهم شأنه ، أو قعودهم عن نصرته ، أو غدرهم به جهلاً بفضله وأدبه ، وإنكاراً لمزاياه ومفاخره ؛ ولهذا سأل في تعجب ودهش ، أو تقريع وتعنيف : كيف يتأتى منهم هذا الإنكار ، أو الجحود ، أو الجهل ، أو التجاهل ، مع ما يدور بينهم ، ويطرق أسماعهم من حكمه وأمثاله ، وفواضله ومحامده !؟ .

(٤٥) أنا ابن قولي : أنا ابن أدبي وشعري ، يريد أنه منتسب إليه ، معتر به اعتزاز الولد بأبيه ؛ ويكني بهذا عن فصاحته وبلاغته ؛ ومقدرته على نظم الشعر . وغدوت : صرت ، أي وإن كنت مع فخري بقولي كريم العمّ والخال .

افتخر في هذا البيت بفصاحة لسانه ، وسحر بيانه وروائع أدبه وشعره ، واعتزازه بقوله ، وتمكّنه من أساليب الكلام ، وكرم أعمامه وأخواله ، ومجادة حسبه ، وشرف أصوله .
 (٤٦) آيات : جمع آية ، وهي العبرة ، والموعظة . ومفصلة : مبيّنة ، موضحة . وتلوح : تبدو ، وتظهر . والوجنة : ما نتأ ، أي ظهر ، وبرز ، وارتفع من لحم الخدّ . والخال : شامة ، أو نكتة سوداء في البدن .

(٤٧) ينسى لها : ينسى بسببها ، ومن أجلها . والسنا : الضوء الساطع . وقوال : صيغة مبالغة من القول ، ويراد به ، الأديب اللسن الفصيح .

(٤٨) يريد بقوله : أدبه وشعره . وصفحة الشيء : وجهه . ويريد بصفحتي قوله : أدبه كله . وقولي خط تمثالي : أي أدبي وشعري يمثلني ، ويصوّرنني ، ويبرز خصائصي ، وما تنطوي عليه نفسي .

(٤٩) لا تغرنك : لا تخدعنك . والمشاكلة : المشابهة ، والمماثلة . والأنام : الخلق ، والناس . والنبع : شجر ينبت في قلة الجبل ، تتخذ منه القسي والسهام ، وهو أصفر العود ، رزين

إِنَّ ابْنَ آدَمَ لَوَلَا عَقْلُهُ شَبِحَ مُرْكَبٌ مِنْ عِظَامِ ذَاتِ أَوْصَالٍ (٥٠)

وَقَالَ بَعْدَ عَوْدَتِهِ مِنْ « سَرَنْدِيبَ » (*) يَمْدَحُ الْخَيْدِيَّي « عَبَّاسِ حِلْمِي
الثَّانِي » (***) وَيَشْكُرُهُ عَلَى اسْتِدْعَائِهِ إِلَيْهِ ، وَحُسْنِ إِقْبَالِهِ عَلَيْهِ فِي أَثْنَاءِ مُحَادَثَتِهِ مَعَهُ :

سَمَا الْمُلْكُ مُخْتَالًا بِمَا أَنْتَ فَاعِلٌ وَعَادَتْ بِكَ الْأَيَّامُ وَهِيَ أَصَائِلُ (١)
رَبَّاتٌ مِنَ الْعَلِيَاءِ قُنَّةٌ سُودِدٌ يُقْصَرُ عَنْهَا صَاغِرًا مَنْ يُطَاوِلُ (٢)

ثقيل ، وإذا تقادم احمر لونه ، وفيه صلابة وشدة ، مع مرونة ولين ، واحدته نَبْعَةٌ . والضال :
السدر البري ، وهو شجر النبق ، واحدته ضالَّة (بوزن عادة وعاد) ، والنبع أقوى من الضال ،
وأصلب عوداً .

يقول : لا تنخدع بما تراه بين الناس من مشابه ومشاكلات ؛ فإنهم يتشابهون في
خِلْقَتِهِمْ ، ومظاهر حياتهم ؛ ولكنهم يختلفون اختلافاً كبيراً في أخلاقهم ، وطباعهم ، وما
انطوت عليه نفوسهم ؛ مثلهم في هذا مثل شجرتي النبع والضال ؛ فإنهما تتشابهان في
مظهريهما ، وتختلفان في القوة والصلابة .

(٥٠) يراد بشبح ابن آدم : جسمه ، وهيكله العظمي . والأوصال : جمع وصل ، وهو المفصل
(بوزن المجلس) ، أو مجتمع العظام ، أو كل ملتقى عظمين من الجسد .
(*) « سرنديب » أو « سيلان » : سبق التعريف بها .

(**) عباس حلمي باشا الثاني (١٨٧٤ - ١٩٤٤ م) ، تولى منصبه وهو في الثامنة عشرة عقب وفاة
والده في ٨ من يناير سنة ١٨٩٢ . وكان عباس طموحاً ؛ فحاول مقاومة سياسة الاحتلال
البريطاني التي سيطرت على مصر من سنة ١٨٨٢ م .

وفي عهده استردَّ السودان ، وانتشر التعليم ، وأنشئ البنك الأهلي ، وردد خليج
القاهرة ، واتسع العمران ، وكثرت الأندية ، وانتشرت الصحف والمجلات .

(١) سما : علا ، وارتفع . ومختالاً : مزداناً ، مزهواً . وعادت : صارت . وبك : بسبك ، أي
بأعمالك المجيدة ، وسيادتك الرشيدة . والأصائل : جمع الأصيل ، وهو الوقت بين العصر
والمغرب ، أو وقت اصفرار الشمس قبيل مغربها ، والعرب تتغنى بالأصائل ، وتستشعر فيها
الدعة ، والراحة .

(٢) رباً : ارتفع ، وعلا . والعلياء : الرفعة ، والشرف . وقنَّة كل شيء : أعلاه . والسودد :
السيادة ، والعظمة . ويقصر : يعجز . وصاغراً : ذليلاً ، مهيناً .
اعتلى الممدوح أسمى مراتب المجد والسودد ، وانفرد بما ارتبأه من كرم المنصب ،

وَأَدْرَكَتْ فِي عَصْرِ الشَّيْبَةِ غَايَةً
فَخَيْرُكَ مَأْمُولٌ وَفَضْلُكَ وَاسِعٌ
مَسَاعٍ جَلَاهَا الرَّأْيُ فِيهَا كَوَاكِبٌ
يُقَصِّرُ قَابُ الْفِكْرِ عَنْهَا وَيَنْتَهِي
وَكَيْفَ يَنَالُ الْفَهْمُ مِنْهَا نَصِيبَهُ
إِلَيْكَ تَنَاهَى الْمَجْدُ حَتَّى لَوَانَهُ
مِنَ الْفَضْلِ لَمْ يَبْلُغْ مَذَاهِمَ الْأَفَاضِلِ (٣)
وَزَلُّكَ مَمْدُودٌ وَعَدْلُكَ شَامِلٌ (٤)
لَهَا بَيْنَ أَفْلَاكِ الْقُلُوبِ مَنَازِلُ (٥)
أَخُو الْجِدِّ عَنْ إِدْرَاكِهَا وَهُوَ ذَاهِلٌ (٦)
وَأَقْرَبُهَا لِلنِّيَّاتِ حَبَائِلُ ؟ (٧)
أَرَادَ مَزِيداً لَمْ يَجِدْ مَا يُحَاوِلُ (٨)

ورفعة القدر ؛ فلا سبيل إلى مطاولته ، أو مباراته ؛ ومن حاول شيئاً من هذا عجز ، وعاد بالذلة والصغار .

(٣) عصر الشيبية : زمن الشباب . وفي التعريف بالممدوح أنه تولى منصبه وهو في الثامنة عشرة من عمره ، أي في عنفوان شبابه .

(٤) مأمول : مرجو ، مرتقب ، يأمله الناس ، ويرجونه . والظل : ضوء شعاع الشمس إذا استترت عنك بحاجز ، أو هو كل موضع لم تصل إليه الشمس ، وجمعه ظلال ، والعرب تكني بالظل عن العز والمنة .

(٥) المساعي : المكرمات ، أي الخيرات . وجلاها : كشفها ، وأوضحها . ومنازل : جمع منزل ، وهو مكان النزول ، أو جمع منزلة ، وهي المكانة ، والمرتبة .

والمعنى : للممدوح مساع ، ومكرمات ، وتصرفات ، وأعمال مجيدة ، يصدر فيها دائماً عن رأي وبصيرة ، وسداد تفكير ، وحسن تدبير ؛ ولهذا ظهرت ، واشتهرت ، وسمت في عيون الناس كالنجوم المنيرة المضيئة اللامعة ، واحتلت من قلوبهم أرفع المراتب ، وأعلى المكانات .

(٦) القاب : المقدار ، ومن كلامهم : « هو مني قاب قوس » ، أي مقدار قوس ، كناية عن قرب ، ويراد بقاب الفكر هنا : جهده وطاقته ، ومقدرته . وذاهل : اسم فاعل من ذهل ، أي تحيّر ، وغاب عن رشده .

(٧) النيّرات : الكواكب والنجوم المنيرة . والحبائل : جمع حباله ، وهي الشراك ، والمصيصة ، وما يُنصب للطير .

(٨) المجد : العز والشرف .

يقول : لو حاول المجد أن يعظم ويزداد لدى الممدوح لم يجد ما يحاوله ؛ لأنه بلغ أعلى درجاته ، ومنتهى غاياته .

فَمُرِّبَالَّذِي تَهْوَاهُ فَالسَّعْدُ قَائِمٌ بِمَا تَشْتَهِي وَاللَّهُ بِالنَّصْرِ كَافِلٌ^(٩)
فَقَدْ تَصَدَّقُ الْأَمَالَ وَالْحَزْمُ رَائِدٌ وَتَقْتَرِبُ الْغَايَاتُ وَالْجِدُّ عَامِلٌ^(١٠)
وَأَيُّ صَنِيعٍ بَعْدَ فَضْلِكَ يُرْتَجَى وَأَنْتَ مَلِيكَ فِي الْبَرِيَّةِ عَادِلٌ؟^(١١)
يَعْمُ الرُّضَا مَا قَامَ بِالْحَقِّ صَادِعٌ وَتَبْقَى الْعُلَا مَا دَامَ لِلسَّيْفِ حَامِلٌ^(١٢)
فَيَا طَالِباً مَسْعَاتُهُ لِيَنَالَهَا رُوَيْدَكَ إِنَّ الْحِرْصَ لِلنَّفْسِ خَاذِلٌ^(١٣)
فَمَا كُلُّ مَنْ رَاضٍ الْبُدِيهَةَ عَاقِلٌ وَلَا كُلُّ مَنْ خَاضَ الْكَرِيهَةَ بَاسِلٌ^(١٤)
وَلَوْلَا اخْتِلَافُ النَّاسِ فِي دَرَجَاتِهِمْ لَعَادَلَ « قُسّاً » فِي الْفَصَاحَةِ « بَاقِلٌ »^(١٥)

(٩) كافل بالنصر : متكفل به ، ضامن له .

والمعنى : أن الممدوح يستطيع أن يأمر رعيته بما يريد ؛ ويسلك بها ما يشاء من المسالك والمساعي ؛ وهو مطمئن إلى عون الله تعالى ونصره ، وتسديده وتأييده .

(١٠) يقول : تَصَدَّقُ الْأَمَالَ ، وتتحقق الأمانى إذا رادها المرء بالحزم ؛ وتقرب الغايات البعيدة إذا عمل لها طالبها ، وجد واجتهد في تحصيلها .

(١١) « أي » : اسم استفهام ، معناه النفي ، أي لا صنيع يُرْتَجَى بعد فضلك . والصنيع : البر ، والخير ، والمعروف ، والإحسان ؛ ومثله الفضل ؛ كأنه قال : لا صنيع يُرْتَجَى بعد صنعك ؛ أو فلا فضل يُرْتَجَى بعد فضلك .

(١٢) يعم : يشمل ، أي يعم الرضا مدة قيام الصادع بالحق ، ومدة دوام الحامل للسيف . وصادع : اسم فاعل من صدع بالأمر ، أي جهر به ؛ يكنى بهذا عن قوة الكفاح ، وموفور السلاح ؛ ويريد أن العلا تبقى للأمة ، وتبقى لها العزة والمنعة ما بقيت لها الأهبة والاستعداد الحربي التام .

(١٣) المسعاة : المَكْرُمة . ورويدك : تمهّل . والحرص : الجشع . وخاذل : اسم فاعل من خذله ، أي قعد عن نصرته .

(١٤) راض المهر ونحوه : ذلله ، وطوّعه . ورياضة البديهة : تمرين الذهن على سرعة الفهم ، وقوة الإدراك . ويراد بالعاقل هنا : الذكي ، السريع الفهم ، المتوقد الذهن . وخاض الماء : دخله ومشى فيه ، ومن المجاز : خاض الكريهة ، أي الشدة في الحرب . وباسل : بطل ، شجاع ، مقدم .

(١٥) يراد باختلاف الناس : تفاوتهم ، وتباينهم . ودرجاتهم : طبقاتهم ومنازلهم في العقل والتدبير ، والفضل والخير ، والشجاعة والبسالة .

هُوَ الْمَلِكُ الْمَكْفُولُ بِالنَّصْرِ جُنْدُهُ إِذَا أَحْمَرَ بِأَسٍّ أَوْ تَنَمَّرَ بِاطِلٍ (١٦)
لَهُ بَدَهَاتٌ لَا تَغِيبُ وَعَزْمَةٌ مُؤَيَّدَةٌ تَعْنُو إِلَيْهَا الْجَحَافِلُ (١٧)
فَارَاؤُهُ فِي الْمُسْكَلَاتِ كَوَاكِبُ وَهَمَّاتُهُ فِي الْمُعْضَلَاتِ مَنَاصِلُ (١٨)

و « قَسَّ » بن ساعدة ، من بني إياد ، بن نزار ، بن معد ، بن عدنان : خطيب العرب قاطبة ، وأحد حكمائهم في الجاهلية ، وأسقفُ « نجران » ، والمضروب به المثل في البلاغة والحكمة والفصاحة واللِّسَن ، وقوة الحججة ، وسحر البيان ؛ قيل : وهو أول من خطب متوكئاً على سيف أو غصاً ، وأول من كتب « من فلان إلى فلان » وأول من قال في كلامه : « أما بعد » ؛ وكان يفدُّ على قيصر الروم زائراً ؛ ويعظمه ؛ وهو من المعمرين .

و « باقل الربيعي » : ابن عمرو بن ربيعة الإيادي ، رجل جاهلي ، ضرب به المثل في العي والبلاهة . وقالوا : « أعيا من باقل » ، وقابلوا به « قساً » ليظهروا الفارق الواضح بين الضدين ، أو المتناقضين .

(١٦) الكفالة : الضمان . والشاعر يريد هنا : أن الله تعالى تكفل لجند الممدوح بالنصر ، وضمن له الغلبة . والبأس : الشدة في الحرب . واحمرار البأس : كناية عن استحرار القتال . وتنمر : تشبه بالنمر في طبعه القائم على الشراسة ، والشر ، والإضرار ، والعدوان . وتنمر بالباطل : كناية عن تفاقمه ، واشتداده ، واستفحاله .

والمعنى : أن الله تبارك وتعالى يرعى على الدوام الممدوح وجيشه ؛ ويؤيده بنصره فيما يخوضه من معامع الحروب والقتال ؛ وفيما يعالجه من إبطال الباطل ، وإخماد الفتن ، والقضاء على المفاسد .

(١٧) له : للمدوح . ويراد بالبدهات هنا : الآراء ، أو الأفكار ، واحدتها بدهة . ولا تغيب : أي لا تنقطع ، ولا تغيب ، ولا تتخلف . والعزمة : ثبات المرء فيما يعزم عليه . ومؤيدة : مقواة ثابتة . وتعنو : تخضع ، وتذل . والجحافل : جمع جحفل ، وهو الجيش القوي العرمرم ، الشديد .

مدحه بأنه إذا فوجيء بأمر لقيه بسداد الرأي ، وسرعة البديهة ، وحسن التدبير ؛ وقال : إن هذه المزاي ملازمة له ، لا تكاد تفارقه ؛ وهو إلى هذا قوي العزم ، قاطع الإرادة ، شديد البأس ، يقهر الجيوش الجرارة ؛ فتستسلم له في عناء وذلة وهوان .

(١٨) الهمة : جمع همة ، وهي العزم القوي ، والإرادة القاطعة . ومن كلامهم : « له همة عالية . وهو بعيد الهمة » . والمعضلات : المشكلات ، والأمور المستغلقة الشديدة . والمناصل : السيوف ، مفردها مُنْصَل (بوزن مُنْخَل ومناخل) .

مدحه بالاعتدال على حل المشكلات ، وإزالة لبسها ، وإضاءة جوانبها بآرائه السديدة

تَدُلُّ مَسَاعِيهِ عَلَى فَضْلِ نَفْسِهِ
فِيَا مَلِكاً عَمَّتْ أَيْدِيهِ وَالتَّقَتْ
بِكَ اخْضَرَّتِ الْأَمَالَ بَعْدَ ذُبُولِهَا
بَسَطَتْ يَدًا بِالْخَيْرِ فِينَا كَرِيمَةً
وَأَيْقَظَتْ أَلْبَابَ الرَّجَالِ فَسَارَعُوا
وَمَا « مِصْرُ » إِلَّا جَنَّةٌ بِكَ أَصْبَحَتْ
وَلِلشَّمْسِ مِنْ نُورٍ عَلَيْهَا دَلَائِلُ (١٩)
بِهِ فِرْقُ الْأَمَالِ وَهِيَ جَوَافِلُ (٢٠)
وَحَقَّتْ وَعُودُ الظَّنِّ وَهِيَ مَخَايِلُ (٢١)
هِيَ الْغَيْثُ أَوْ فِي الْغَيْثِ مِنْهَا شَمَائِلُ (٢٢)
إِلَى الْجِدِّ حَتَّى لَيْسَ فِي النَّاسِ خَائِلُ (٢٣)
مُنَوَّرَةٌ أَفْنَانُهَا وَالْحَمَائِلُ (٢٤)

النيرة ، وتدبيراته المحكمة الصائبة ؛ ونوه بهممه البعيدة العالية ، وعزماته القوية الماضية التي يحسم بها المعضلات ، ويفتح المستغلقات .
(١٩) يراد بفضل نفسه : أن نفسه فاضلة كريمة خيرة . وللشمس من نور عليها دلائل : أي للشمس أدلة عليها من نورها .

يقول : إن مساعي الممدوح ، ومكرماته ، ومبراته ، وأعماله العظيمة المجيدة ، تدل على فضله ، وسمو نفسه ، كما يستدل على الشمس بضياؤها . وفي هذا التشبيه معنى علو قدر الممدوح ، ورفعة مكانته ، وعظم شأنه .
(٢٠) عَمَّتْ : شَمِلَتْ . والأيدي : جمع اليد ، بمعنى النعمة ، والصنيعة ، والإحسان . والتقت : تلاقت ، واجتمعت . وجوافل : مسرعة ، جمع جافل ، أو جافلة .
(٢١) مخايل : جمع مخيلة (بوزن معيشة ومعاش) ، وهي الظن . يقال : « أخطأت فيه مخيلتي » : أي ظني . ومخايل هنا تكرر لمعنى الظن ، أي تحققت بفضل الممدوح وعود كانت قبله مخايل وأوهاماً وظنوناً .
يقول : أحيا الممدوح بنعمه وأيديه آمال الناس ؛ وكانت الوعود قبله أوهاماً وظنوناً ، فأنجزها وحققها .

(٢٢) بسط يده بالخير : فتحها ، وهو كناية عن جود الممدوح ، وكرمه . والغيث : المطر الكثير النافع . وشمائيل : طباع ، وسجايا .
(٢٣) الألباب : جمع لب ، وهو العقل . والجد : مصدر جد في أمره ، أو في سيره ، أي اجتهد . وخامل : ساقط ، مغمور ، لانباهة له .

أيقظ الممدوح عقول الرجال من سباتها ، ونبههم على ما يحييهم حياة طيبة كريمة فخلعوا أردية التواني ، وسارعوا إلى الجد والاجتهاد ؛ فلم يبق فيهم ضعيف ، أو مغمور .
(٢٤) منورة : ذات نوار ، وورد ، وأزهار . والأفنان : الأغصان . والخمائيل : جمع خميلة ، وهي الشجر المجتمع الملتف ، وكل موضع كثر فيه الشجر خميلة .

طَلَعَتْ عَلَيْهَا طَلَعَةَ الْبَدْرِ أَشْرَقَتْ بِأُلائِهِ الْآفَاقُ وَاللَّيْلُ لَائِلُ (٢٥)
 وَأَجْرَيْتَ مَاءَ الْعَدْلِ فِيهَا فَأَصْبَحَتْ وَسَاحَاتُهَا لِلْوَارِدِينَ مَنَاهِلُ (٢٦)
 وَلَمْ يَأْتِ مِنْ أَوْطَانِهِ « النَّيْلُ » سَائِحاً إِلَى « مِصْرَ » إِلَّا وَهُوَ حَرَّانُ سَائِلُ (٢٧)
 فَيَأْتِيهَا الصَّادِي إِلَى الْعَدْلِ وَالنَّدَى هَلُمَّ فَذَا بَحْرٌ لَهُ الْبَحْرُ سَاحِلُ (٢٨)
 مَلِيكَ أَقْرَ الْأَمْنِ وَالْخَوْفِ شَامِلُ وَأَحْيَا رَمِيمَ الْعَدْلِ وَالْجَوْرُ قَاتِلُ (٢٩)
 فَسَلَّهُ الرِّضَا وَأَنْزَلَ بِسَاحَةِ مُلْكِهِ فَتَمَّ الْأَمَانِي وَالْعُلَا وَالْفَوَاضِلُ (٣٠)

جعل مصر في عهد الممدوح جنة ناضرة ذات خمائل وأفنان ؛ وبأفضاله ومساغيه نورت وأزهرت .

(٢٥) طلع عليه : أقبل عليه . والألاء : الضوء . والآفاق : النواحي ، والجهات ، واحدها أفق .
 وليل لائل : شديد الظلمة ، ومثله ليل أليل .

(٢٦) ماء العدل : العدل الشبيه بالماء في عموم نفعه ، وقيام نظام الحياة عليه ، وشدة احتياج الناس إليه . وفيها : في مصر . والواردين : جمع وارد ، من ورد الإنسان وغيره الماء : صار إليه ، وبلغه ، والمناهل : موارد الماء ، ومواضع الشرب على الطريق .

(٢٧) سائحاً : من ساح الماء ونحوه يسبح ، أي سال ، وجرى على وجه الأرض . وحران : شديد العطش . والمراد بالحران هنا : المشتاق الذي يرحب به الشوق . وسائل : اسم فاعل من سأل سؤالاً ، أي استعطى ، وطلب ، فالنيل يسأل الممدوح فضله وعدله ، ويرجو بره وخيره .
 والمعنى : إنما انتقل نهر النيل إلى مصر من منابعه القاصية البعيدة ؛ لأنه واجد مشتاق إلى لقاء الممدوح ، طامع في فضله وبره ، ونواله وإحسانه .

(٢٨) الصادي : الشديد العطش . والندى : السخاء ، والكرم . وهلم : تعال ، وأقبل . و« بحر له البحر ساحل » : أي الممدوح بحر عظيم جداً ، إذا قرن به البحر الحقيقي تضاعف ، وصغر ، وكان كالساحل للبحر المجازي ، وهو الممدوح .

(٢٩) الرميم : البالي ، الهشيم ، المتفتت . والجور : الظلم .
 والمعنى : كان الخوف شاملاً عاماً ، فأذهبه ذلك الملك العظيم ، وأقر الأمن والطمأنينة والسلام ؛ وكان الظلم مخيفاً قاتلاً ؛ ففضى عليه الممدوح ، ومحا آثاره ، وأحيا العدل ، وبسط سلطانه ، ومدّ ظلاله .

(٣٠) المعنى : إذا أخلصت لهذا الملك العظيم وواليته رضي عنك ، وأقبل عليك ؛ وإذا نزلت في رحابه نعمت بعطاياه العظيمة ، وهباته الجزيلة ، فصحت أحلامك ، وتحققت أمنيتك ، وظفرت بكل ما تأمله وترجوه .

رَعَى اللَّهَ يَوْمًا قَرَّبْتَنِي سَعُودَهُ
لَثَمْتُ بِهَا كَفَّاهِيَ الْبَحْرُ فِي النَّدَى
نَطَقْتُ بِفَضْلِ مِنْكَ لَوْلَاهُ لَمْ يَدُرْ
وَلَا أَدْعِي أَنِّي بَلَغْتُ بِمِدْحَتِي
وَكَيْفَ أَوْفِي مَنْطِقَ الشُّكْرِ حَقَّهُ
إِلَى سُدَّةٍ تَأْوِي إِلَيْهَا الْأَمَائِلُ (٣١)
تَفِيضُ سَمَاحاً وَالْبَنَانَ جَدَاوِلُ (٣٢)
لِسَانِي وَلَمْ يَحْفَلْ بِقَوْلِي فَاضِلُ (٣٣)
عَلَاكَ وَلَكِنْ جُهْدُ مَا أَنَا قَائِلُ (٣٤)
وَدُونَ ثَنَائِي مِنْ عَلَاكَ مَرَاجِلُ؟ (٣٥)

(٣١) رعى الله ذلك اليوم : باركه ، وحفظ ذكره وجددها . وسعوده : سعود ذلك اليوم ، أي بركاته ، جمع السعد ، وهو اليُمن ، والبركة . والسُدَّة : باب الدار ، وفناؤها ، أو ما يُجلس عليه كالمنبر والسرير ؛ ويراد بسُدَّة الممدوح هنا : حضرته ، ومجلسه ، ومقامه . وتأوي إليها : تلجأ إليها ، وتلوذ بها . والأمائل : أفاضل الناس ، وخيارهم .

(٣٢) لثم يده ، أو وجهه : قَبَّلَهُ . والندى : الفضل ، والخير ، والبر . والبنان : الأصابع ، واحدها بنانة . والجداول : جمع جدول ، وهو النهر الصغير .

يعتز بأنه قَبَّلَ يد الممدوح ، ولا غرور ؛ فإنها جديرة باللثم والتقبيل ؛ وقد شَبَّهها بالبحر في الندى والسخاء ، وقال إنها تفيض كرمًا وسماحًا ، وتنسب بالخير الكثير ، والعطاء الجزيل ؛ وجعل أصابعها روافد ، وجداول ، وأنهارًا .

(٣٣) لم يَدُرْ لساني : لم يتحرك ؛ والمراد : لم يستطع النطق ، ولم يتحرك بالكلام . ولم يحفل : لم يبال ، ولم يهتم .

والمعنى : أن فضل الممدوح ، وما أفاضه على الشاعر من البر ، والخير ، والمعروف ، والإحسان ، أنطقه بمدحه وإطرائه ، وحرك لسانه بحسن الثناء عليه ؛ ولولا هذا الفضل ما أجاد الشاعر هذا المديح ، ولا احتفل بقوله فضلاء الأدياء .

(٣٤) المدحة : ما يُمدح به المرء من الشعر . والجهد (بفتح فسكون ، أو بضم فسكون) : الطاقة ، والاستطاعة .

والمعنى : لم أصل بمدحتي هذه إلى المستوى الرفيع العالي الذي يناسب الممدوح ، ويداني سموه وعلاه ؛ ولكنها غاية ما أطيعه وأستطيعه من القول . والبيتان الآتيان متصلان بهذا المعنى ، مؤكدان له .

(٣٥) وفاه حقه توفية : أعطاه إياه وافيًا ، تامًا ، كاملاً ؛ ومثله أوفاه . ومنطق الشكر : الشكر

المنطوق به ، أي الجاري على اللسان . والمراحل : جمع مرحلة (بوزن مرتبة) ، وهي المسافة ، يقطعها السائر على قدميه ، أو المسافر على الإبل في نحو يوم .

والمعنى : أن ما ينطق به من الشكر ، والإطراء ، وحسن الثناء دون ما يستحقه

وَحَسْبِيْ عُدْرًا أَنْكَ الشَّمْسُ رِفْعَةً
لِتَهْنَ بِكَ الدُّنْيَا فَانْتَ جَمَالُهَا
وَدُمَّ لِئَلَّا مَا ذَرَّ بِالْأَفْقِ شَارِقُ
وَلَا زَالَتِ الْأَيَّامُ تَتْلُو مَدَائِحِي
وَكَيْفَ يَنَالُ الْكَوْكَبَ الْمُتَنَاولُ؟ (٣٦)
فَلَوْلَاكَ أَمْسَى جِيدُهَا وَهُوَ عَاطِلُ (٣٧)
وَمَا حَنَّ مِنْ شَوْقٍ عَلَى الْأَيْكَ هَادِلُ (٣٨)
عَلَيْكَ وَيُمْلِيهَا الضُّحَى وَالْأَصَائِلُ (٣٩)
وَقَالَ عَلَى طَرِيقَةِ الْعَرَبِ :

أَلَا حَيٌّ مِنْ « أَسْمَاء » رَسَمَ الْمَنَازِلِ . وَإِنْ هِيَ لَمْ تَرْجِعْ بَيَانًا لِسَائِلِ (١)

الممدوح ؛ فبين ثناء الشاعر ومنزلة الممدوح في العلاء والرفعة مراحل كثيرة واسعة ، ومسافات بعيدة قاصية ، لا يستطيع اجتيازها .
(٣٦) حسبي : يكفيني ، ويغنيني .

يعتذر عن تقصيره في الشكر والثناء بأن الممدوح ارتفع ارتفاع الشمس والقمر ، وعلا علو النجوم والكواكب ؛ وهيهات أن ينالها من يحاولها ، فالشاعر لا يستطيع أن يسمو بشكره ومدىحه وحسن ثنائه إلى المكانة العالية الرفيعة التي يحتلها الممدوح .
(٣٧) لِيَهْنَ : لتفرح ، ولتغبط . يدعو للدنيا أن تدوم لها بدوام الممدوح هناءتها وسعادتها ، كما يدعو للممدوح أن يبقى هائناً للدنيا ، مسعداً إياها . والجيد : العنق ، أو مقدمه ، أو موضع القلادة منه .

يهنىء الحياة الدنيا بالممدوح ؛ فهو زينتها ، وجمالها ، وبهجتها ؛ وبه صارت طيبة ، عزيزة ، كريمة ، يرغب الناس فيها ، ولولا الممدوح لكانت ثقيلة عليهم ، قلقه بهم ، عطلاء من الحلبي والزينة والبهاء ، مجردة من أسباب المتعة والهناء والسعادة .
(٣٨) دم للعلل : أمر مقصود به الدعاء ؛ فالشاعر يدعو أن يدوم الممدوح للمعالي . وذرّ : طلع ، وظهر . والشارق : الشمس حين تشرق . وحنّ : طربّ : أي رجّع صوته . والأيك : الشجر الكثير الملتفّ ، الواحدة أيكة . وهادل : اسم فاعل من هديل الحمام ، وهو هديره ، وصوته الذي يردده في حنجرتة .

يدعو بأن يبقى الممدوح عالي القدر ، سامي المنزلة ، رفيع المكانة ، ما دام يشرق على الكون نجم ، ويغني على الأشجار حمام .

(٣٩) الأصائل : جمع الأصيل ، وهو الوقت حين تصفر الشمس لمغربها ، أو هو الوقت من العصر إلى المغرب . ويراد بالضحي والأصائل : جميع أوقات النهار والليل .

(١) الرسم : ما كان لاصقاً بالأرض من آثار الديار التي ارتحل عنها أهلها ، وجمعه رسوم . ويريد

- خَلَاءٌ تَعَفَّتْهَا الرُّوَامِسُ وَالتَّقَتْ
فَلَأِيًّا عَرَفْتُ الدَّارَ بَعْدَ تَرَسُّمِ
عَدَتْ وَهِيَ مَرَعَى لِلظُّبَاءِ وَطَالَمَا
فَلِلْعَيْنِ مِنْهَا بَعْدَ تَزْيَالِ أَهْلِهَا
فَأَسْبَلَتِ الْعَيْنَانِ فِيهَا بِوَائِكِفِ
دِيَارُ الَّتِي هَاجَتْ عَلَيَّ صَبَابَتِي
- عَلَيْهَا أَهَاضِيبُ الْغُيُومِ الْحَوَافِلِ (٢)
أَرَانِي بِهَا مَا كَانَ بِالْأَمْسِ شَاغِلِي (٣)
غَنَّتْ وَهِيَ مَأْوَى لِلْحِسَانِ الْعَقَائِلِ (٤)
مَعَارِفُ أَطْلَالِ كَوْحِي الرِّسَائِلِ (٥)
مِنَ الدَّمْعِ يَجْرِي بَعْدَ سَحِّ بَوَائِلِ (٦)
وَأَغْرَتُ بِقَلْبِي لِأَعْجَاتِ الْبَلَابِلِ (٧)

بالمنازل : منازل « أسماء » وقومها . ولم ترجع بياناً لسائل : لم تجب عن سؤال السائل ، ولم تردّ تحيته .

(٢) خلاء : أي خالية قد هجرها أهلها . وتعفتها : أبلتها ، ومحتها ، وأزالتها . والروامس : الرياح التي تثير التراب ، فتغطي به آثار الديار ، الواحدة رامسة . والتقت : تلاقت ، واجتمعت . والأهاضيب : دفعات الأمطار المتتابعة ، واحدها أهضوبة (بوزن أعجوبة) . والحوافل : صفة للغيوم ، أي المجتمعمة ، المحتشدة ، أو الممثلة الكثيرة المطر ، جمع حافل ، أو حافلة .

(٣) لأيا عرفت الشيء : أي عرفته بعد معاناة . وبعد ترسم : بعد تفرّس ، وتأمل . وما كان بالأمس شاغلي : أي ما كان في ماضي الزمان شغلي الشاغل .

(٤) غدت : صارت . وغنت : كانت ، أو لبثت ، أو أقامت . والعقائل : جمع عقيلة (بوزن كريمة) ، وهي المرأة ، أو الزوجة ، أو الفتاة الكريمة المصونة المخدّرة .

(٥) منها : من الدار . وتزيال : زوال ، وذهاب . ومعارف الأطلال : ما يعرف منها ، ويتضح . والرحي : الخط ، والكتابة .

والمعنى : أن العين لا تبصر من هذه الديار بعد ارتحال أهلها إلا أطلالاً بقيت على الأرض رسومها ، كأنها رسائل مخطوطة تخبرك بكثير من أحوال ماضيها .

(٦) أسبلت العينان : بكتا . وواكف : سائل . وسح الماء ونحوه سحاً : أي سكب ، وصبه صباً متتابعاً كثيراً . والوائيل : المطر الشديد ، والغزير . وبعد سحّ بوائيل : أي بعد بكاء بدمع غزير ، منسكب منهمر .

(٧) هاجت : هيّجت ، وأثارت . والصبابة : رقة الهوى ، وحرارة الشوق . ولاعجات : محرقات ، جمع لاعجة ، أو لاعج ، وهو المحرق المؤلم من الهوى ، أو الشوق ، أو الهم ، أو الحزن ، أو نحوه . والبلابل : الوسوس ، والهموم الشديدة ، جمع بلبال ، أو بلباله .

مِنْ الْهَيْفِ مِقْلَاقُ الْوِشَاحِينَ عَادَةً (٨)
 إِذَا مَا دَتَّتْ فَوْقَ الْفِرَاشِ لِوَسْنَةٍ
 تَعَلَّقْتُهَا فِي الْحَيِّ إِذْ هِيَ طِفْلَةٌ
 فَلَمَّا اسْتَقَرَّ الْحُبُّ فِي الْقَلْبِ وَأَنْجَلَتْ
 فَيَا لَيْتَ أَنَّ الْعَهْدَ بَاقٍ وَأَنَا
 تَمُرُّ بِنَا رُغْيَانُ كُلِّ قَبِيلَةٍ
 سَلِيمَةٌ مَجْرَى الدَّمْعِ رِيًّا الْخَلَاحِلِ (٨)
 جَفَا خَصْرُهَا عَنْ رِدْفِهَا الْمُتَخَاذِلِ (٩)
 وَإِذَا أَنَا مَجْلُوبٌ إِلَيَّ وَسَائِلِي (١٠)
 غِيَابَتُهُ هَاجَتْ عَلَيَّ عَوَاذِلِي (١١)
 دَوَارِجُ فِي غُفْلٍ مِنَ الْعَيْشِ خَامِلِ (١٢)
 فَمَا يَمْنُحُونَا غَيْرَ نَظْرَةٍ غَافِلِ (١٣)

(٨) الهيف : جمع هيفاء (بوزن بيضاء) ، صفة الهيف (بفتحين) ، وهو ضمور البطن ، ورقة
 الخاصرتين . ومقلاق : شديد القلق ، ويراد به هنا كثرة التحرك . والوشاح : أديم ، أو نسيج
 عريض ، تشده المرأة بين عاتقها وكشحيها ، ومقلاق الوشاحين ، كناية عن ضمور بطنها ،
 ودقة كشحيها . وغادة : ناعمة ، لينة الأعطاف . وسليمة مجرى الدمع : عيناها جميلتان
 سليمتان ، مبرأتان من العيوب والآفات . وقد يراد بمجرى الدمع : الخدان . ورياً : مؤنث
 ريان ، ضد عطشان . وساق ريا : ممتلئة ، نضيرة ، ناعمة . والخلاخل : جمع خلخل
 (بوزني جعفر وبرقع) : حلية الساق ، كالسوار للمعصم ، ومثله الخلخال ، وجمعه
 خلاخيل . ورياً الخلاخل : كناية عن امتلاء ساقها ، وجمالها ونضارتها .

(٩) دنت : قربت . والوسنة : النعاس . وجفا : نبا . ومتخاذل : ضعيف ؛ والمراد أنه ثقيل ،
 لين . وجفا خصرها عن ردفها : أي لم يكن معه في مستوى واحد ؛ فخصرها ناب عن
 الفراش ، غير مطمئن عليه ؛ لضموره ، ونحافته . ودفها ثابت على الفراش ، مطمئن ، مستقر ،
 لامتلأته ، وضخامته .

(١٠) تعلقتها : هويتها ، وأحببتها . ومجلوب : اسم مفعول من الجلب ، وهو سوق الشيء ، أو
 المجيء به . وأراد بكونها مجلوبة إليه أن غيره يعينه عليها . ويمكنه منها ؛ وهذا كله كناية
 عن صغره وطفولته ؛ فالطفل يتولاه وليه ، ويجلب له وسائل الحياة .

(١١) انجلت : انكشفت . وغيابة كل شيء : ما سترك منه . وانجلت غيابة الحب : انكشف ما
 كان يسترنا منه ، ويخفي أمرنا . والمعنى : أن الحب لما استقر في قلبينا ظهرت للناس
 دلائله ، فانجلى للعواذل .

(١٢) يريد بالعهد : عهد الطفولة . ودوارج : جمع دارجة ، اسم فاعل من درج الصبي ونحوه ،
 مشى مشياً رويداً . وشيء غفل : ليست فيه علامة تميزه . وخامل : ساقط ، لا نباهة له ، ولا
 شهرة . ويراد بالعيش الغفل الخامل : الحياة الفطرية التي تلت أنظار الناس .

(١٣) في عهد الطفولة كان رعاة الماشية من شتى القبائل يمرّون به وبحبيته ، فلا يكاد يفتن

صَغِيرَيْنِ لَمْ يَذْهَبْ بِنَا الظَّنُّ مَذْهَبًا بَعِيدًا وَلَمْ يُسْمَعْ لَنَا بِطَوَائِلِ (١٤)
نَسِيرُ إِذَا مَا الْقَوْمُ سَارُوا غَدِيَّةً إِلَى كُلِّ بِهِمِ رَاتِعَاتٍ وَجَامِلِ (١٥)
وَإِنْ نَحْنُ عُدْنَا بِالْعَشِيِّ أَضَافْنَا إِلَيْهِ سَدِيلٌ مِنْ نَقَا مُتَقَابِلِ (١٦)
فَوَيْلٌ لِهَذَا الدَّهْرِ مَاذَا أَرَادَهُ إِلَيْنَا وَقَدْ كُنَّا كِرَامَ الْمَحَاصِلِ ؟ (١٧)
عَلَى عِفَّةٍ قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ أَنَّهَا مُبْرَأَةٌ مِنْ كُلِّ غَيٍّ وَيَاطِلِ (١٨)

لأمرهما منهم أحد ؛ وإذا نظروا إليهما فإنما هي نظرات عابرة غافلة ، وهذا هو الخط الأول من خطوط الصورة التي رسمها الشاعر لعهد الطفولة .

(١٤) مذهب : بمعنى الذهاب . ومعنى لم يذهب ظن الناس بهما مذهباً بعيداً : لم يرتابوا في أمرهما ، لأنهما صغيران ، يمرحان مرح الطفولة . وطوائل : عداوات وخصومات ، واحدها طائلة . ومعنى « لم يسمع لنا بطوائل » : لم يسمع الناس بعداوات وخصومات قامت بيننا وبين غيرنا . ومن معاني الطوائل : الذنوب والآثام ؛ بمعنى أننا في حينا لم نقترف إثماً أو خطيئة ، ولم نكن محلّ تهمة أوربية .

(١٥) غدية (بوزن قضية) : صباحاً ، أول النهار ، ما بين الفجر وطلوع الشمس . والبهم : أولاد الضأن ، والمعز ، والبقر ، الواحدة بهمة (بوزن روضة وروض) . وراتعات : جمع راتعة ، أي رعت ، وأكلت ، وشربت ما شاءت . والجمال : القطيع من الإبل مع رعاته .
(١٦) عدنا : رجعنا . والعشي : آخر النهار ، أو أول الظلام . وأضافنا : ضمنا ، وجمعنا . والسديل (بوزن أمير) : الستر ونحوه ، من سدّل الإنسان الثوب ونحوه ، أرسله ، وأرخاه . والنقا : الكثيب من الرمل .

ختم الشاعر بهذا البيت الصورة التي رسمها لعهد الطفولة الذي تمنى بقاءه له ولحبيبته ؛ إذ كانا يرجعان من المرعى آخر النهار ، فيخلوان منفردين مستترين بكثبان متواجهة من الرمال ، كأنها السدائل والأستار ، تخفيهما عن الأنظار .

(١٧) « ويل » : كلمة شرّ ، وعذاب ، وهلاك . ولهذا الدهر : إشارة إلى زمانهما الذي عاسرهما ، وتنكر لهما ، وبدل حالهما . وكرام : جمع كريم وكريمة ، بمعنى طيب ، محمود . ويراد بالمحاصل : الغايات ، والمقاصد ، جمع محصل ، من حصل على الشيء ، أي أحرزه ، وأدركه . فمعنى « كرام المحاصل » : أن ما قصدا إليه ، وحصلا عليه ، وجمعهما من الحب والغرام ، كان كريماً ، طاهراً عفيفاً ، نزيهاً .

(١٨) « على عفة » : أي كنا كرام المحاصل على عفة . ومبرأة : بريئة ، خالية . والغى : الإمعان

وَلَكِنَّهَا الْأَيَّامُ لَمْ تَأْتِ صَالِحاً
 إِذَا مَا تَذَكَّرْتُ الزَّمَانَ الَّذِي مَضَى
 قَبَائِلُ أَفْتَتَهَا الْحُرُوبُ وَلَمْ تَكُنْ
 قَضَتْ بَعْدَهُمْ نَفْسِي عَزَاءً وَأَصْحَبْتُ
 وَأَصْبَحْتُ مَغْلُولَ الْيَدَيْنِ عَنِ الَّتِي
 صَرِيحَ لِبَانَاتٍ تَقْسُمْنَ نَفْسَهُ
 مِنَ الْأَمْرِ إِلَّا أَعْقَبَتْ بِالتَّنَازُلِ (١٩)
 تَسَاقَطُ نَفْسِي إِثْرَ تِلْكَ الْقَبَائِلِ (٢٠)
 لِتَفْنَى كِرَامَ النَّاسِ مَا لَمْ تُقَاتِلِ (٢١)
 عَشَوَزْتَنِي وَانْقَادَ لِلذُّلِّ كَاهِلِي (٢٢)
 أَحَاوِلُهَا وَالذَّهْرُ جَمُّ الْغَوَائِلِ (٢٣)
 وَغَادَرَنَّهُ نَهَبَ الْأَكْفِ الْخَوَاتِلِ (٢٤)

في الضلال ، والانهماك في الجهل . والباطل : ما لا ثبات له عند الفحص عنه ، وضده الحق ، ويراد بالباطل هنا : الغواية ، والفساد .

(١٩) أتى الأمر : فعله . ولم تأت صالحاً : لم تفعل صالحاً . والأمر : الشأن ، والحال . وأعقبه : خلفه ، وجاء بعده . وتنازل القوم : أي تركوا . يريد أن الأيام قد تسر الناس بتحقيق شيء من أمانهم ، أو صالحات أمورهم ؛ ولكنها لا تلبث أن تحزنهم بإفساد ما حققته ، أو هدمه ونقضه وتبديده .

(٢٠) تساقط : أصلها «تساقط» ثم حذفت إحدى التاءين تخفيفاً ، مضارع تساقط الشيء ، أي تتابع سقوطه . وسقط إثره ، وفي أثره : سقط في عقبه ، أي بعده على التعقيب ، بلا تراخ .

يقول : كلما تذكرت الزمان الماضي ذهبت نفسي حسرات على من فنى من القبائل .

(٢١) أفتتها : أبادتها ، وأهلكتها . وكرام الناس : خيارهم .

يأسى على انقراض تلك القبائل العظيمة الكريمة التي أهلكتها الحروب ، وعفت آثارها ؛ ويشير إلى ما كان من شجاعتهم وشدة بأسهم ، وامتيازهم بالمحامد والمكرمات ، ويقول : إنه لولا القتال ما فنى هؤلاء الكرام .

(٢٢) قضت : هلكت ، وفنيت . وبعدهم : بعد هؤلاء الأعداء الكرام ، أي قضت نفسي بعد هلاكهم وفنائهم ، والمراد كادت نفسي تقضي . وعزاء : بسبب العزاء ، وهو الصبر . وأصحبت : انقادت ، وخضعت . وعشوزنتي : يريد نفسه القوية الأبية ، مؤنث العشوزن ، وهو الصلب ، القوي ، الشديد . وانقاد : خضع ، واستكان . وكاهل الإنسان : ما بين كتفيه ، أو أعلى الظهر مما يلي العنق .

(٢٣) مغلول اليدين : مقيد اليدين ، كناية . عن ضعفه وعجزه . وعن التي أحاولها : عن الغايات التي أريدها . وحاول الشيء : طلبه . وجم : كثير . والغوائل : الدواهي ، والمصائب ، الواحدة غائلة .

(٢٤) صريع : أي أصبحت مغلول اليدين ، صريع لبانات . ويريد بصريع اللبانات نفسه .

كَأَنِّي لَمْ أَعْقِدْ مَعَ الْفَجْرِ رَايَةً وَلَمْ أُدْعَ بِأَسْمِي لِلْكَمِيِّ الْمُنَازِلِ (٢٥)
وَلَمْ أَبْعَثِ الْخَيْلَ الْمُغِيرَةَ فِي الضُّحَا بِكُلِّ رَكُوبٍ لِلْكَرْبِيهَةِ بِأَسِلِ (٢٦)
نَزَائِعَ يَعْلُكُنَ الشُّكِيمَ عَلَى الْوَجَى إِذَا عُرِّتْ أُمَثَالُهَا فِي الْمُنَازِلِ (٢٧)
مِنَ الْقَوْمِ بَادٍ مَجْدُهُمْ فِي شِمَالِهِمْ وَلَا مَجْدَ إِلَّا دَاخِلُ فِي الشَّمَائِلِ (٢٨)
إِذَا مَا دَعَوْتُ الْمَرْءَ مِنْهُمْ لِدَعْوَةٍ عَلَى عَجَلٍ لَبَّاءَ غَيْرَ مُسَائِلِ (٢٩)

وصريع: من صرعه، أي طرحه على الأرض. ولبانات: جمع لبانة، وهي الحاجة من غير فاقة. وتقسمن نفسه: فرقنها. ومن كلامهم: «تقسّمته الهموم» أي شتت خواطره، ووزعت هواجسه. وغادرته: تركته. والنهب: الغنيمة؛ وكل ما انتهب.

(٢٥) عقد مع الفجر راية: أي نظم المحاربين تحت راية الحرب، وقادهم، وقت الفجر. ولم أدع باسمي: لم أجهر باسمي، والمعنى أن المحاربين من جنده وأوليائه كانوا ينادونه في الحرب باسمه، لمنازلة الأبطال من أعدائهم، والفتك بهم. والكمي: لابس السلاح. والمنازل: المقاتل المحارب.

(٢٦) بعث الخيل المغيرة على أعدائه: سلطها عليهم. وأغار على أعدائه: هجم، ودفع عليهم الخيل، وأوقع بهم. والضحا: حين تشرق الشمس. والضحوه: ارتفاع النهار، بعد طلوع الشمس. وركوب: صيغة مبالغة من ركب ركوباً. والكربية: الحرب، أو الشدة فيها. وكثرة ركوبه الكرائه: كناية عن تمرسه بالحروب، وكثرة معاناتها. وباسل: بطل شجاع.

(٢٧) نزاع: نجائب، وكرائم، واحدها نزيعة (بوزن كريمة)، أي تنزع إلى أصل كريم. وعلكت الدابة اللجام: لاكنه، وحركته في فمها. والشكيم: جمع شكيمة (بوزن سفينة)، وهي من اللجام: الحديدية المعترضة في فم الفرس. والوجى: مصدر وجى المشي (كتعب): أي حفي، ورقت قدمه، أو حافره، أو خفه، وكل من كثرة المشي وتابعه. وعريت: المراد تركت في إصطبلاتها مُعراة، أي مجردة من معدّات الركوب والسفر، وأدوات الحرب والقتال. وأمثالها: أمثال النزاع، أي أشباهها ونظائرها. ويراد بالمنازل: إصطبلات الخيل، وحظائرها.

يصف الخيل التي كان يغير بها مع صحبه وأتباعه على الأعداء، بأنها أصيلة كريمة نجبية، وأنها كانت تلوك الشكائم واللُجُم، مع ما بها من الحفي، والكلال، على حين أن أشباهها، مُخلّاة ناعمة رافهة في حظائرها.

(٢٨) باد: ظاهر. والشمال (بوزن كتاب): الخلق، والطبع، والسجية التي جبل الإنسان عليها، والجمع الشمائيل.

(٢٩) دعاه إلى كذا يدعوه: صاح به، وناداه؛ وفي الدعاء هنا معنى الاستعانة، والاستنجاد.

يُكْفِكِفُ أَوْلَى الْخَيْلِ مِنْهُ بِطَعْنَةٍ تَمْجُ دَمًا مَطْعُونُهَا غَيْرُ وَائِلٍ (٣٠)
 يَكُونُ عَشَاءَ الزَّادِ آخِرَ آكِلٍ وَيَوْمَ اخْتِلَاجِ الطَّعْنِ أَوَّلَ حَامِلٍ (٣١)
 قَضَوْا مَا قَضَوْا مِنْ دَهْرِهِمْ ثُمَّ فَوَّزُوا إِلَى دَارِ خُلْدٍ ظِلُّهَا غَيْرُ زَائِلٍ (٣٢)
 وَقَالَ يَرُوضُ (*) الْقَوْلَ فِي بَعْضِ الْأَسَالِبِ :

رَدُّ الصَّبَا بَعْدَ شَيْبِ اللَّمَّةِ الْغَزَلُ وَرَاحَ بِالْجِدِّ مَا يَأْتِي بِهِ الْهَزْلُ (١)

والمعنى : إذا استنجدت الواحد من هؤلاء الأماجد لأمر يكرهك ، سارع إلى إنجادك في غير تردد .

(٣٠) يكفكف : يرد ، ويصد ، ويدفع . ويريد بأولى الخيل : فرسان المحاربين في مقدمة جيش أعدائه ، أي في الصفوف الأولى . أي يصد بطعنة منه هجمات المحاربين على ظهور الخيل في مقدمة جيش أعدائه . و«تمج دماً» : تفجر الدم ، وتُسيله ، وتُجريه من جسم المطعون . وغير وائل : غير ناج .

ما زال الشاعر يبكي هؤلاء الأماجد الكرام الأبطال ، ويرثيهم ، ويذكرهم بعد مماتهم بالخير ، وحسن الشاء ، ويقول : إن كل واحد منهم كان أمة ، يحارب في الصفوف الأولى بشجاعة وبسالة وإقدام ، ويدفع عن نفسه وجيشه المنازلين له من طليعة جيش أعدائه ، ويردهم على أعقابهم بطعنات داميات قاتلات .

(٣١) «عشاء» : مفعول به لـ «آكل» ، قدم عليه . والعشاء : طعام العشي . والزاد : طعام يتخذ للسفر ، أي أن كل امرئ من الذين يرثيهم كان آخر الأكلين إذا حضر عشاء الزاد . واختلاج الطعن : أي اضطراب حركات الطعن ، واشتباكها في الطعان .

يقول : إن كل واحد من هؤلاء الكرام المرثيين كان آخر الأكلين إذا حضر الطعام ، وأول المهاجمين إذا استحر القتال ، واشتد الطعان والنزال .

(٣٢) قضى حاجته : أتمها وفرغ منها . ودهرهم : زمانهم ، ومدة حياتهم . وفوّزوا : رحلوا ، وانتقلوا . ودار الخلد : الجنة . والظل : ضوء شعاع الشمس إذا استترت عنك بحاجز . ويعبر بالظل عن الأمن والطمأنينة ، والراحة والدعة ، والرفاهية والنعيم .

(*) يروض القول : من كلامهم «راض الشاعر القوافي الصعبة ، فارتاضت له» ، أي انقادت ، وانطاعت له ، وسهلت عليه .

(١) رد الغزل الصبا : رجعه ، وأعادته إلى الشاعر . واللمة (بوزن القِمة) : الشعر الذي يجاوز شحمة الأذن ؛ ويراد به هنا : شعر الرأس كله . وراح به : أي راح الهزل وملابساته بالجد

وَعَادَ مَا كَانَ مِنْ صَبْرٍ إِلَى جَزَعٍ
فَلْيُضْرِبِ اللُّومَ عَنِّي مَنْ بَرِمْتُ بِهِ
وَكَيْفَ أَمْلِكُ نَفْسِي بَعْدَ مَا ذَهَبَتْ
تَقَسَّمْتَنِي النَّوَى مِنْ بَعْدِهِمْ وَعَدَتْ
فَالصَّبْرُ مُنْخَذِلٌ وَالدمْعُ مُنْهَمِلٌ
أَرْتَاخُ إِنْ مَرَّ مِنْ تَلْقَائِهِمْ نَسَمٌ
سَارُوا فَمَا اتَّخَذْتُ عَيْنِي بِهِمْ بَدَلًا

بَعْدَ الإِبَاءِ وَأَيَّامُ الْفَتَى دُولُ (٢)
فَلَيْسَ لِلْقَلْبِ فِي غَيْرِ الْهَوَى شُغْلُ (٣)
يَوْمَ الْفِرَاقِ شِعَاعًا إِثْرَ مَنْ رَحَلُوا؟ (٤)
عَنْهُمْ عَوَادٍ فَلَا كُتْبٌ وَلَا رُسُلُ (٥)
وَالْعَقْلُ مُخْتَبِلٌ وَالْقَلْبُ مُشْتَغِلُ (٦)
تَسْرِي بِهِ فِي أَرْبَعِ الْعَنْبَرِ الْأَصْلُ (٧)
إِلَّا الْخِيَالَ وَحَسْبِي ذَلِكَ الْبَدَلُ (٨)

- وملابساته . وملابسات الجد : الصرامة ، والرزانة . وملابسات الهزل وما يأتي به ، وينتجه :
الخفة ، والطيش ، والمزاح ، وما إليه .
- (٢) الجزع : حزن يصرف الإنسان عما هو بصدده ، ويقطعه عنه ، ونقيضه الصبر . والإباء : الامتناع ،
والاستعصاء . وأيام الفتى دُول : أي تسالمة أحياناً ، وتحاربه أحياناً ، وهكذا تياسره
وتعاسره ، وتصالحه وتخاصمه ، وتقبل عليه ، وتعرض عنه ، فمرة له ، ومرة عليه .
- (٣) برم به : ستمه ، ومله .
- والمعنى : أن الحب شغل قلبه ، واستأثر به ، وصرفه عما عداه ؛ فإذا عدله عاذل تبرم به ، وضجر
منه .
- (٤) الاستفهام في أول هذا البيت معناه النفي ؛ فالشاعر لا يملك نفسه بعد ارتحال أحبائه .
وذهبَتْ نفسه شعاعاً : تمزقت ، وتبددت من الهم ونحوه .
- يقول : لما فارقه أحبائه ، افترق شمله ، وتمزق من الوجد قلبه ، وذهبَتْ نفسه عليهم
حسرات .
- (٥) النوى : البعد . وتقسمتني النوى : فرقت شملي ، وشئتت خواطري . والعوادي : جمع
العادية ، وهي الشغل يصرفك عن الشيء .
- (٦) منخذل : ضعيف . ومنهمل : منصب غزير . ومختبل : مضطرب ، فاسد . ومشتغل :
مشغول ، مهموم .
- (٧) نسَم الريح : أولها حين تُقبل بلين ، قبل أن تشتد . وتسري به : أي تسري بالنسَم ، أي
تحركه ، وتسيره . و«الأصل» : جمع أصيل ، وهو الوقت بعد العصر إلى المغرب .
- (٨) المعنى : ارتحل أحبائه ، واستعصى عليه لقاؤهم ؛ فلم يسعه إلا أن يقنع برؤية أخيلتهم ،
ومناجاة أطيافهم ، ويبقى على الدوام حافظاً لعهدهم ، مقيماً على ودهم .

فَخَلَّ عَنْكَ مَلَامِي يَا عَذُولُ فَقَدْ سَرَّتْ فُوَادِي عَلَيَّ ضَعْفِي بِهِ الْعِلْلُ (٩)
لَا تَحْسَبَنَّ الْهُوَى سَهْلًا فَأَيْسَرُهُ خَطْبُ لَعْمُرِكَ لَوْ مَيَّرْتَهُ جَلُّ (١٠)
يَسْتَنْزِلُ الْمَلِكُ مِنْ أَعْلَى مَنَابِرِهِ وَيَسْتَوِي عِنْدَهُ الرَّعْدِيدُ وَالْبَطْلُ (١١)
فَكَيْفَ أَذْرَأُ عَنْ نَفْسِي وَقَدْ عَلِمْتُ أَنْ لَيْسَ لِي بِمُنَاوَاةِ الْهُوَى قَبْلُ ؟ (١٢)
فَلَوْ قَدَرْتُ عَلَى شَيْءٍ هَمَمْتُ بِهِ فِي الْحُبِّ لَكِنْ قَضَاءُ خَطِّهِ الْأَزْلُ (١٣)
وَلِلْمَحَبَّةِ قَبْلِي سُنَّةٌ سَلَفْتُ فِي الذَّاهِبِينَ وَلِي فِيمَنْ مَضَى مَثَلُ (١٤)
فَإِنْ تَكُنْ نَازَعْتَنِي النَّفْسُ بَاطِلَهَا وَأَطْلَعْتَنِي عَلَى أَسْرَارِهَا الْكِلَلُ (١٥)

- (٩) خَلَّ عَنْكَ مَلَامِي : لا تلمني . وعذول : لائم . وسره : طعنه في سرته ، أي في وسط بطنه . والمراد هنا مطلق الطعن والإصابة . وسره سروراً : أفرحه .
- (١٠) أيسره : أيسر الهوى ، أي أسهله ، وأهونه . والخطب : الأمر الشديد . وجلل : عظيم . ولو ميزته : لو عرفته ، وفطنت له ، وأدركت حقيقته .
- (١١) يستنزه : يُنزله ، ويُحطه . ومنابر الملك : مرتبته العالية ، ومنزلته الرفيعة . والرعيد : الجبان يشتد به الجبن ؛ فيكثر ارتعاده .
- والمعنى : أن سلطان الحب قاهر غلاب ، يتعبد الملوك والسوقة ، ولا تصمد أمامه البطولة والشجاعة ؛ فالباطل الشجاع كالرعيد الجبان ؛ يتساويان تحت سيطرة الحب وسطوته .
- (١٢) درأه : دفعه ، وصدّه . وناواه مناواة : عاداه ، وقاومه ، وأصله الهمز . وقبل (بوزن عنب) : طاقة ، ومقدرة .
- (١٣) هم به : أرادته ، وقصده ، وعزم على القيام به ، أي فلو قويت على شيء مستطاع في أمر الحب ، يصرفه أو يحده ، لهمت به . ولكن قضاء : أي ولكنّ الحب قضاء ، أي حكم فاصل ، لا مرد له . وخطه : كتبه ، ورسمه ، وقدره . والأزل : القدم ، ويراد بالقضاء الذي خطه الأزل : أنه قضاء أزلي ، لا سبيل إلى نقضه ، أو الفرار منه .
- (١٤) سنة : مذهب ، وطريقة ، وسيرة . وسلفت : مضت . وفي الذاهبين : أي الماضين من الناس في سالف الزمان .
- (١٥) نازعتني النفس باطلها : عاطفتني نفسي ذلك الباطل ، أي ناولتني إيّاه ، والمراد أنها مهتد لي سبيله ، وأوقعتني فيه ، وأني شاركتها في الباطل ، وشاركتني فيه . ويراد بالباطل هنا : اللهو ، والحب ، والغزل . والكيلل : جمع كلة (بوزن علة علل) ، وهي هنا ثوب رقيق ،

فَقَدْ أَسِيرُ أَمَامَ الْقَوْمِ ضَاحِيَةً وَالْجَوُّ بِالْبَاتِرَاتِ الْبَيْضِ مُشْتَعِلٌ (١٦)
بِكُلِّ أَشْقَرٍ قَدْ زَانَتْ قَوَائِمُهُ حُجُولُهُ غَيْرَ يُمْنَى زَانَهَا الْعَطَلُ (١٧)
كَأَنَّهُ خَاضَ نَهْرَ الصُّبْحِ فَانْتَبَذَتْ يُمْنَاهُ وَأَنْبَثَ فِي أَعْطَافِهِ الطَّفَلُ (١٨)
زُرُقٌ حَوَافِرُهُ سُودٌ نَوَاطِرُهُ خُضِرُ جَحَافِلُهُ فِي خَلْقِهِ مَيْلٌ (١٩)
كَأَنَّ فِي خَلْقِهِ نَاقُوسَ رَاهِبَةٍ بَاتَتْ تُحَرِّكُهُ أَوْ رَاعِدٌ زَجَلٌ (٢٠)

تستتر فيه المرأة. وإطلاع الكلل إياه على أسرارها: كناية عن إحاطته بشؤون الحسان المحجبات، ووقوفه على أسرارهن.

جعل الشاعر هذا البيت تمهيداً لانتقاله من اللهو والهزل، والحب والغزل إلى الفخر بشجاعته وبطولته الحربية، والابتهاؤ بسيره أمام المحاربين يقودهم، ويتقدم صفوفهم.

(١٦) « فقد أسير . . . » : جواب « إن » الشرطية في البيت السابق . ويريد بالقوم : جماعة المحاربين . وضاحية : علانية ، جهاراً . والجو : الفضاء ، ويراد به هنا : جو الحرب ، وميدان القتال . والباترات : جمع باتر ، وهو السيف القاطع . والبيض : جمع أبيض ، وهو السيف . ومشتعل : ملتهب ، وهو هنا من مجاز اللغة ؛ فبريق السيوف ، ولمعانها ، واضطراب حركاتها في جو القتال يشبه اشتعال النيران وتوقدها .

(١٧) بكلّ أشقر : بكلّ فرس أو جواد أشقر ، وهو متعلق بالفعل « أسير » في البيت السابق . وأشقر : صفة من الشقرة ، وهي في الخيل حمرة صافية ، يحمر معها العُرف والذنب . والعرب تقول : « أكرم الخيل وذوات الخير منها سُقرها » . وزانت حجوله قوائمه : جمَلتها ، وحسنتها . وغير يمى : غير قائمة يمى . والعطل هنا : خلاف التحجيل . والمراد أن يمى هذا الجواد خلت من التحجيل .

يقول : إنه يُقدّم قومه محارباً بكلّ جواد أشقر ، ازدانت ثلاثة من قوائمه بالتحجيل ، وخلت منه الرابعة ، وهي رجله اليمى ؛ فزانها هذا الخلو ، وحسنتها ، وجمَلها .

(١٨) نهر الصبح : الصبح الشبيه بالنهر . وانتبذت : اعتزلت ، وتنحت . وانبت : تفرق ، وانتشر . وأعطافه : جوانبه ، جمع عطف (بكسر فسكون) ؛ ويراد بأعطافه : جسمه . وطفل الغداة : الوقت بُعيد طلوع الشمس . وطفل العشي : قبيل غروبها ، حين اختلاط أول الليل بآخر النهار .

(١٩) الجحافل : جمع جحفلة (بوزن كوكبة) ، وهي لذوات الحافر من الخيل والبغال والحمير كالشفة من الإنسان . وفي خلقه : في خلقته . والميل هنا : ما يُعرف في الصافنات الجياد ، ونجائب الخيل من التبخر ، والتمايل ، والتثني ، وحسن المشية .

(٢٠) زجل : صائح صახب ، صفة من زجل ، أي رفع صوته ، وأجلب .

يَمُرُّ بِالْوَحْشِ صَرَغِي فِي مَكَامِنِهَا
يَرَى الْإِشَارَةَ فِي وَحْيٍ فَيَقْهَمُهَا
لَا يَمْلِكُ النَّظْرَةَ الْعَجَلَاءُ صَاحِبُهَا
إِنْ مَرَّ بِالْقَوْمِ حَلُّوا عَقْدَ حَبْوَتِهِمْ
تَقُوْدُهُ بِنْتُ خَمْسٍ فَهُوَ يَتَّبَعُهَا
أَمْضِي بِهِ الْهُولَ مُقْدَاماً وَيُصْحَبُنِي
فَمَا تَبِينُ لَهُ شَدّاً فَتَنْخَذِلُ (٢١)
وَيَسْمَعُ الزَّجْرَ مِنْ بُعْدٍ فَيَمْتَثِلُ (٢٢)
حَتَّى تَمُرَّ بِعَطْفَيْهِ فَتُحْتَبِلُ (٢٣)
وَاسْتَشْرَفَتْ نَحْوَهُ الْأَلْبَابُ وَالْمَقْلُ (٢٤)
وَيَسْتَشِيْطُ إِذَا هَاهِي بِهِ الرَّجُلُ (٢٥)
مَاضِي الْغِرَارِ إِذَا مَا اسْتَفْحَلَ الْوَهْلُ (٢٦)

والبيت في وصف سهيل ذلك الفرس بالقوة والشدة ؛ فهو كصوت أجراس الأديرة والكنائس ، أو صوت السحاب الراعد الزاجل .
(٢١) صَرَغِي : ملقاة على الأرض . ومكائنها : مخابئها . وتبين : تستبين ، وتكشف .
« شَدّاً » : عَدُوّاً ، وجرياً . وتنخذل : تضعف ، وتنهار .
والمعنى : أن هذا الفرس يمر بالوحوش وهي مختبئة في مكائنها آمنة مطمئنة ، لا تخاف عدواً ؛ ولكنه يفاجئها ويباغتها ، قبل أن تلمح ركضه ، أو تحس به ؛ فلا تكاد تجد وسيلة للفرار منه ؛ ولهذا تسقط بين يديه مغلوبة مأخوذة .
(٢٢) يراد بالإشارة : إشارة صاحبه ، أو راكبه ، معبراً بالإيماء والإشارة عن معنى من المعاني التي يقصدها ، كالدعوة إلى الدخول ، أو الخروج ، أو الوقوف ، أو السير ، أو القفز والتخطي .
وفي وَحْيٍ : في خفاء . والزجر : مصدر زجره ، أي منعه ، وكفّه . ويمثل : يطيع ، وينقاد .
(٢٣) الْعَجَلَى (بوزن السكرى) : السريعة ، صفة من العجلة ؛ ولعل الشاعر مد المقصور لضرورة وزن الشعر . وعطفاه : جانباه . وتحتبل (بالبناء للمجهول) : تصاد . احتبل الصائد الصيد : نصب له الحباله ، وهي المصيدة ، فصاده بها .
(٢٤) الحبوة : الاسم من الاحتباء ، مصدر احتبى الإنسان بثوب ، أي أداره على ساقيه وظهره ، فجمع بينها وهو جالس ، ليستند . ويقال : حلّ فلان حيوته : أي قام ونهض . وعقد حيوته : أي جلس ، أو قعد . واستشرفت : نظرت . والألباب : العقول ، أو القلوب . والمقل : العيون ، واحدها مقلة (بوزن غرفة) .
(٢٥) يستشيط : يشتد نشاطه ؛ وتبدو قوته في أشد حالاتها . وهاهي به : دعاه وناداه ، أو زجره ، ونهره .
(٢٦) أمضي : أذهب ، وأزبل . والهول : المخافة ، أو الأمر المخيف المفزع الشديد ؛ ويراد به هنا : الحرب ، وجمعه أهوال ، والأصل : أمضي بجوادي إلى الهول : أذهب بجوادي من

يَمُرُّ بِالْهَامِ مَرَّ الْبَرْقِ فِي عَجَلٍ
تَرَى الرَّجَالَ وَقُوفًا بَعْدَ فَتْكْتِهِ
كَأَنَّهُ شُعْلَةٌ فِي الْكَفِّ قَائِمَةٌ
لَوْلَا الدَّمَاءُ الَّتِي يُسْقَى بِهَا نَهْلًا
يَفُلُّ مَا بَقِيَتْ فِي الْكَفِّ قَبْضَتُهُ
بَلْ رُبَّ سَارِيَةٍ هَطَلَاءَ دَانِيَةٍ
كَأَنَّ آثَارَهَا فِي كُلِّ نَاحِيَةٍ
وَقَتَّ الضَّرَابِ وَلَمْ يَعْلُقْ بِهِ بَلَلٌ (٢٧)
بِهِمْ يُظَنُّونَ أَحْيَاءً وَقَدْ قُتِلُوا (٢٨)
تَهْفُو بِهَا الرِّيحُ أحياناً وَتَعْتَدِلُ (٢٩)
لَكَادَ مِنْ شِدَّةِ اللَّأَلَاءِ يَشْتَعِلُ (٣٠)
كُلُّ الْحَدِيدِ وَلَمْ يَثَارِ بِهِ فَلَلٌ (٣١)
تَنْمُو السَّوَامُ بِهَا وَالنَّبْتُ يَكْتَهِلُ (٣٢)
رَيْطٌ مُنْشَرَةٌ فِي الْأَرْضِ أَوْ حُلَلٌ (٣٣)

أجل ملاقة الهول . ومقداماً : شجاعاً ، جريئاً في الحروب . والماضي : الحاد ، البتار ،
السريع القطع . والغرار : حدّ السيف والرمح ونحوهما . واستفحل الأمر : تفاقم واشتدّ .
والوهل : الذعر ، والفرع .
(٢٧) فاعل « يمرّ » ضمير مستتر ، يعود على « ماضي الغرار » ، أي سيفه البتار في البيت السابق .
والهام هنا : رؤوس المحاربين من الأعداء ، وأجسادهم . والضراب : الجلاد ، والقتال .
ولم يعلق به : لم يعلق بالسيف . والبلل : الندى ، والماء ، ويراد به هنا : دم القتلى ،
والجرحي من الأعداء .
(٢٨) يقول : إن سيفه يفتك بأعدائه فتكاً سريعاً خاطفاً ؛ ولهذه السرعة الخاطفة المذهلة يظنون
برهة واقفين بعد فتكه بهم ؛ فيخيل إلى من يراهم أنهم أحياء ، وهم في الحقيقة قتلى .
(٢٩) كأنه : أي سيفه البتار . والشعلة : لهب النار . وقائمة : ظاهرة . وتهفو بها الريح :
تحركها ، وتميلها .
(٣٠) يسقى بها نهلاً : يسقى بها سقياً مروياً تماماً . واللألاء : ضوء فيه لمعان واضطراب وحركة .
(٣١) يفلل : يثلث ، ويكسر ، أي يفل ما بقيت قبضته في كفي . ويراد بـ « كل الحديد » :
الدروع ، والبيضات ، والخوذات . والفلل : انثلام حدّ السيف ونحوه ، أي تكسر شفرتة .
(٣٢) السارية : السحابة تأتي ليلاً . وهطلاء : هاطلة ، أي ممطرة ، يهطل مطرها متتابعاً .
ودانية : قريبة . والسوام ، والسائمة : الماشية والإبل الراعية . واكتهل النبات : تم طوله ،
وظهر نوره .
وصف هذه السحابة الليلية بأنها غزيرة المطر ، عظيمة الفائدة ، وأشار إلى بعض آثارها
من كثرة المرعى ، واكتهل النبات ، ونماء الماشية .
(٣٣) الریط : جمع ريطة ، وهي الملاءة إذا كانت قطعة واحدة ، ونسجاً واحداً ، وكل ثوب يشبهه

يَمَّمْتُهَا بِرِفَاقٍ إِنْ دَعَوْتُ بِهِمْ لَبُّوا سِرَاعًا وَإِنْ أَنْزِلُ بِهِمْ نَزَلُوا (٣٤)
قَصْدًا إِلَى الصَّيْدِ لَا نَبْغِي بِهِ بَدَلًا وَكُلُّ نَفْسٍ لَهَا فِي شَأْنِهَا عَمَلٌ (٣٥)
حَتَّى إِذَا أَلْمَعَ الرُّوَادُ مِنْ بَعْدِ وَجَاءَ فَارِطُهُمْ يَغْلُو وَيَسْتَفِلُّ (٣٦)
تَغَاوَتِ الْخَيْلُ حَتَّى كِذَّنَ مِنْ مَرَحٍ يَذْهَبْنَ فِي الْأَرْضِ لَوْلَا اللَّجْمُ وَالشُّكْلُ (٣٧)
فَمَا مَضَتْ سَاعَةٌ أَوْ بَعْضُ نَائِبَةٍ إِلَّا وَلِلصَّيْدِ فِي سَاحَاتِنَا نُزْلُ (٣٨)
فَكَانَ يَوْمًا قَضَيْنَا فِيهِ لَذَّتَنَا كَمَا اشْتَهَيْنَا فَلَا غِشٌّ وَلَا دَغْلُ (٣٩)
هَذَا هُوَ الْعَيْشُ لَا لَغْوُ الْحَدِيثِ وَلَا مَا يَسْتَغِيرُ بِهِ ذُو الْإِفْكَةِ النَّمْلُ (٤٠)

الملحفة . ومنشرة : منشورة ، مبسوطة . والحلل : جمع حلة ، وهي الثوب الساتر لجميع
البدن .

(٣٤) يممته : يمت آثار هذه السحابة ، أي قصدتها ، وأردتها ، واتجهت إليها . ورفاق : مع
رفاق . ودعوت بهم : استحضرتهم ، أي إن ناديتهم أجابوني مسرعين ، وإن أنزلتهم في مكان
نزلوا معي مطيعين .

(٣٥) « قَصْدًا » : حال ، بمعنى « قاصدين » ، أي قصدنا إلى الصيد قصدًا .

(٣٦) أَلْمَعَ بيده : أشار . والرَّوَادُ : جمع الرائد ، وهو من يتقدم القوم ؛ ليبرر لهم الكلاً ، ويرود
المرعى . ومن بَعَدَ : من بعيد . وفارطهم : فارط الرواد ، أي متقدمهم ، وسابقهم . ويعلو ،
ويستفل : يرتفع ، ويهبط ، أي يجتاز في عَدْوِهِ ، أو سيره إليهم النجاد والوهاد .

(٣٧) تغاوت (بالغين المعجمة) : جواب « إذا » الشرطية في البيت السابق ، ومعناه : تَأَلَّبَتْ ،
وتجمعت ، ونَشَطَتْ لمطاردة الصيد . واللجم : جمع لجام (بوزن كتاب وكتب) ، وهو
الحديدة في فم الفرس . والشكل : جمع شكال (بوزن كتاب وكتب) ، وهو القيد ، وحبل
تشد به قوائم الدابة .

(٣٨) معنى البيت : سارعنا بخيلنا إلى الطرد ، وما هي إلا برهة يسيرة ، حتى كانت ساحاتنا مستقرًا
لما ظفرنا به من الصيد .

(٣٩) الدغل : الفساد والريبة .

ينوه بيوم الطرد والصيد ، واجتماعه فيه برفاقه على الإخلاص والصفاء والنقاء ، وصدق
الوداد ، وحسن التعاون ؛ وبهذا قَضُوا في ذلك اليوم وطهرهم ، وبلغوا غاية ما تمنّوه واشتهته
نفوسهم من المتعة واللذة .

(٤٠) العيش : المعيشة ، والحياة . ولغو الحديث : سقطه ، وما لا خير فيه ، ولا فائدة .

إِنَّ النَّمِيمَةَ وَالْأَفْوَاهُ تُضَرِّمُهَا
 فَاتَّبِعْ هَوَاكَ وَدَعْ مَا يُسْتَرَابُ بِهِ
 وَاحْذِرْ عَدُوَّكَ تَسْلَمَ مِنْ خَدِيعَتِهِ
 وَعَالِجِ السَّرِّ بِالْكِتْمَانِ تَحْمَدُهُ
 وَلَا تَكُنْ مُسْرِفًا غِرًّا وَلَا بَخِلًا
 وَلَا يَهْمَنَّكَ بَعْضُ الْأَمْرِ تَسَاءَمُهُ
 نَارٌ مُحَرَّقَةٌ لَيْسَتْ لَهَا شَعْلٌ (٤١)
 فَأَكْثَرُ النَّاسِ إِنْ جَرَّبَتْهُمْ هَمَلٌ (٤٢)
 إِنَّ الْعَدَاوَةَ جُرْحٌ لَيْسَ يَنْدَمِلُ (٤٣)
 فَرُبَّمَا كَانَ فِي إِفْشَائِهِ الزَّلْزَلُ (٤٤)
 فَبِئْسَتِ الْخَلَّةُ الْإِسْرَافُ وَالْبَخْلُ (٤٥)
 لَا يَنْتَهِي الشُّغْلُ حَتَّى يَنْتَهِيَ الْأَجَلُ (٤٦)

ويستغير : يغير ، ويهجم . والإفكة : الكذب ، والخداع . وذو الإفكة : الكذاب المخادع .
 والنمل : المنام . والنميلة : النميمة ، والوشاية .
 (٤١) النميمة : اسم من نم الحديث ، أي سعى به ليقع فتنه ، أو أظهره بالوشاية . والشعل :
 جمع شعلة ، وهي لهب النار . وليست لها شعل : كناية عن خفاء هذه النار ، واستتارها ،
 على الرغم من أنها فظيعة التحريق ، شديدة الإتلاف والتمزيق .
 (٤٢) استراب به : رأى منه ما يكرهه ويريبه . ودع ما يستراب به : اجتنب الأمور التي يراها
 الناس ، أو تراها أنت مدعاة للظنة ، والشك ، والتهمة . والهمل : المهمل ، المتروك ، بلا
 رعاية ، ولا عناية .
 (٤٣) يندمل : يلتئم ، ويتمائل ، ويرأ .
 يدعو إلى الاحتراز من العدو ، والإقامة على توقيه ؛ وبهذا يسلم المحترز من شر أعدائه
 ومكرهم ، وختلهم ، وخديعتهم .
 (٤٤) يراد بعلاج السر بالكتمان : المحافظة عليه ، وصيانته ووقايته . والزلل : السقوط والضرر .
 والمعنى : أن السر لا قيمة له ، إلا إذا حوفظ عليه ، وبولغ في صيانته ، بإخفائه
 وكتمانه ؛ أما التفريط فيه ، أو التهاون به ، فإنه يجلب الندم والضرر ، والأذى والزلل ، وسوء
 العواقب .
 (٤٥) الغر : من يجهل الأمور ، ويغفل عنها ، وينخدع إذا خُدع ؛ لقلة تجربته ، وعدم فطنته ؛ وقد
 جعله الشاعر صفة للمسرف . والخلة : الخصلة ، وهي خلق في الإنسان ، يكون فضيلة ، أو
 رذيلة .
 يدعو إلى فضيلة القصد والاعتدال ، ويذم رذيلتي البخل والإسراف ، وينهى عنهما ،
 وعمّا يلابس الإسراف من الغرارة والجهل ، والغفلة والانخداع .
 (٤٦) لا يهمنك : لا يحزنك . وهمه الأمر ، وأهمه : ألقه ، وأزعجه . وسئمه : مله ، وضجر
 منه ، وتبرم به . والأجل : المدة المضروبة لحياة المرء . وجاء أجله : حان موته .

واعْرِفْ مَوَاضِعَ مَا تَأْتِيهِ مِنْ عَمَلٍ فَلَيْسَ فِي كُلِّ حِينٍ يَحْسُنُ الْعَمَلُ (٤٧)
 فَالرِّثْتُ يُحْمَدُ فِي بَعْضِ الْأُمُورِ كَمَا فِي بَعْضِ حَالَاتِهِ يُسْتَحْسَنُ الْعَجَلُ (٤٨)
 هَذَا هُوَ الْأَدَبُ الْمَأْثُورُ فَارْضَ بِهِ عِلْمًا لِنَفْسِكَ فَالْأَخْلَاقُ تَنْتَقِلُ (٤٩)
 مِنْ كُلِّ بَيْتٍ إِذَا الْإِنْشَادُ سَيَّرَهُ فَلَيْسَ يَمْنَعُهُ سَهْلٌ وَلَا جَبَلُ (٥٠)
 لَمْ تُبْنَ قَافِيَةٌ فِيهِ عَلَى خَلَلٍ كَلَّا وَلَمْ تَخْتَلَفْ فِي رَضْفِهَا الْجَمَلُ (٥١)

ومعنى البيت : إذا مارست أمراً من أمور الحياة ، فأهمك بعضه وأضجرك ؛ فلا تبتس ، واستعن عليه بالصبر والرفق والأناة ، وعالجه بالجدِّ والدأب حتى ينطاع لك ، وتتغلب عليه ، فالحياة الدنيا كلها عمل ، والانسان لا ينتهي عمله فيها إلا بانتهاء حياته .
 (٤٧) معنى البيت : إذا أحسن المرء تقسيم أعماله وأوقاته ، وعرف كيف يتخير لكل عمل موضعه ، نجحت أعماله ، فالعمل يحسن ، ويسهل إذا عمل في ما يناسبه من الوقت ، ويتعثر إذا وقع في زمن لا يلائمه .

(٤٨) الريث : الإبطاء ، وضده العَجَل ، ومثله العَجَلَة .
 يدعو الشاعر إلى مراعاة ما يتطلبه كلُّ أمر من الريث ، أو العجلة ؛ ففي بعض الأحوال يستحسن التأنى ، ويطلب ، فتحمد عواقبه . وقد تتطلب الحال العجلة فتؤدي إلى النجاح والسلامة .

(٤٩) هذا : يشير إلى ما حض عليه من الفضائل والمحامد ، ونهى عنه من الرذائل والمقابح .
 والمأثور : المنقول ، ينقله الخلف عن السلف . وعلماً لنفسك : علماً يروض نفسك ، ويؤدبها ، ويمهد لها طرق الخير والسعادة . وانتقال الأخلاق يكون بالقدوة ، والتوجيه ، والتعليم ، ورواية المأثور من الحكم والأمثال ، والإفادة من الوصايا والمواعظ .

(٥٠) « كل بيت » : بيان لشعره الذي نوه به في البيت السابق ، ويعني كل بيت من أبيات هذه اللامية المطولة . وأذاعه : أي جعله سائراً منشوراً ذائعاً بين الناس . ويمنعه : يعوقه .
 والسهل : ما انبسط من الأرض ، وهو خلاف الحزن والهضبة والجبل .
 يفتخر بأن شعره كله ذائع في كل مكان ، وعلى كل لسان ، تجري به الرواية والإنشاد ، ولا يكاد يعوقه شيء .

(٥١) بنى الشاعر القافية أو القصيدة : أقامها ، وأحكم نظمها . وخلل : وهن ، وضعف ، وفساد .
 وخلل القافية : عيوبها .

والمعنى : أن قوافيه كلها سليمة البناء ، مبرأة من العيوب . وجمله كذلك ، لا يعيبها اختلاف ، أو تنافر ؛ بل يزينها الاتساق ، والانسجام ، وإتقان النسيج ، وحسن التأليف .

فَلَا سِنَادٌ وَلَا حَشْوٌ وَلَا قَلْقٌ وَلَا سُقُوطٌ وَلَا سَهُوٌ وَلَا عِلَلٌ^(٥٢)
تَغَايِرَتْ فِيهِ أَسْمَاعٌ وَأَفئِدَةٌ فَكُلُّ نَادٍ «عُكَاظٌ» حِينَ يُرْتَجَلُ^(٥٣)
لَا تُتَكْرَرُ الْكَاعِبُ الْحَسَنَاءُ مَنْطِقُهُ وَلَا يُعَادُ عَلَى قَوْمٍ فَيُبْتَذَلُ^(٥٤)

وَقَالَ يَصِفُ أَيَّامَ الرَّبِيعِ :

عَمَّ الْحَيَا وَاسْتَنْتَ الْجَدَاوِلُ وَفَاضَتِ الْغُدْرَانُ وَالْمَنَاهِلُ^(١)

(٥٢) السناد في القافية : اختلاف ما يراعى قبل الروي من الحروف والحركات ، وهو من عيوب الشعر . والحشو : زيادة في الكلام ، لا قيمة لها ، ولا فائدة منها . والقلق : الاضطراب . وكلام قلق : مضطرب ، فاسد ، غير فصيح ، ولا بليغ ، ولا واضح الدلالة . وقافية قلقة : نائية ، متجافية ، ولا ملائمة . والسقوط : مصدر سقط في الكلام ، أي زل ، وأخطأ . والسهو : مصدر سها عن الشيء ، أي غفل عنه ، وذهب قلبه إلى غيره . ويراد بالسهو هنا : العيوب التي تقع في الكلام والشعر بسبب سهو المتكلم والشاعر ، أو غفلة ، أو قلة فطنته . والعلل : جمع علة ، ويراد بها التغير الذي يلحق بعض أجزاء الشعر ؛ فينقص جمال وزنه ، وروعة موسيقاه .

(٥٣) تغايرت : اختلفت ، بمعنى ترددت ، أي تغايرت أسماع وأفئدة إلى هذا الشعر الرائق الفائق . وقد يكون التغير هنا بمعنى الاختلاف والاختصاص .

والمعنى : أن الناس يختلفون في تعرف هذا الشعر ونقده ، ويختصمون في دراسته وتفهمه ؛ فهو مادة غزيرة فياضة ، ومجال واسع فسيح لاختلاف النظرات والدراسات . وتعاكظوا : تناشدوا الأشعار ، ومنه «عكاظ» (يذكر ، ويؤنث) ، وهو أشهر أسواق العرب في جاهليتهم ، وفيه تجتمع قبائل العرب للتعاكظ . ويرتجل : المراد ، يلقي ، وينشد . يقال : ارتجل الخطيب خطبته والشاعر قصيدته إذا ابتدراها من غير تهيئة ، أو إعداد .

(٥٤) أنكره إنكاراً : جهله ، ولم يعرفه . وأنكر عليه فعله : عابه ، واستهجنه . والكاعب : الناهد ، وهي الفتاة التي كعب ثديها ، أي نهذ ، وبرز ، والجمع كواعب . والمنطق : الكلام . ويعاد : يكرر ، من الإعادة ، وهي التكرار . وبتذل : يمتهن .

والمعنى : أن الكواعب الحسان يعرفن شعره ، ولا يستهجن منه شيئاً ؛ إذ ليس فيه ما يخجل الغانيات ، وإنه ليعاد ، ويردد ، فتبقى له مع الإعادة ، والترديد ، قيمته ، ونفاسته ، وروعته .

(١) الحيا : المطر . واستنت : انصب ، وجرت . والجداول : الترع والأنهار الصغيرة ، مفردا جدول . والغدران : جمع غدير ، وهو القطعة من الماء يغادرها السيل . ويراد بالغدران هنا :

وَأَزَيْنَتْ بِنَوْرِهَا الْخَمَائِلُ	وَعَرَّدَتْ فِي أَيْكِهَا الْبَلَابِلُ (٢)
وَشَمِلَ الْبِقَاعَ خَيْرُ شَامِلٍ	فَصَفَحَةُ الْأَرْضِ نَبَاتٌ خَائِلٌ (٣)
وَجِبْهَةُ الْجَوْغَمَامِ حَافِلٌ	وَبَيْنَ هَذَيْنِ نَسِيمٌ جَائِلٌ (٤)
تَنْدَى بِهِ الْأَسْحَارُ وَالْأَصَائِلُ	كَأَنَّهَا النَّبَاتُ بَحْرٌ هَائِلٌ (٥)
وَلَيْسَ إِلَّا الْأَكْمَاتِ سَاحِلٌ	وَشَامِخُ الدَّوْحِ سَفِينٌ جَافِلٌ (٦)
مُعْتَدِلٌ طَوْرًا وَطَوْرًا مَائِلٌ	تَهْفُوبُهُ الْجَنُوبُ وَالشَّمَائِلُ (٧)
وَالْبَاسِقَاتُ الشُّمُخُ الْحَوَامِلُ	مَشْمُورَةٌ عَنِ سُوقِهَا الذَّلَازِلُ (٨)

القنوات ، ومجاري المياه المتفرعة من النيل وفروعه . والمناهل : الموارد ، أي المشارب ، جمع منهل ، اسم مكان من نهل ، أي شرب .

(٢) أزينت : تجملت . والنور : الزهر ، واحدته نورة ، وجمعه أنوار . والخمائيل والأيك : الشجر الكثير المجتمع . والبلابل : جمع بلبل ، وهو طائر صغير ، يضرب به المثل في طلاقة اللسان ، وحسن الصوت .

(٣) صفحة الأرض : وجهها . ونبات خائل : مهتز بحركة النسيم ، كالمختال المتمايل المعجب بنفسه .

(٤) جبهة الجو : الفضاء بين السماء والأرض . والغمام : السحاب . وحافل : ممتلئ . وبين هذين : بين النبات والغمام . وجائل : متحرك .

(٥) تندى : تجود ، وتسخو . والأسحار : جمع سحر ، وهو الوقت آخر الليل ، قبيل الفجر . والأصائل : جمع الأصيل ، وهو وقت اصفرار الشمس قبيل غروبها . وهائل : عظيم ، رائع .

(٦) الأكمت : التلال ، الواحدة أكمة ، وهي الموضع يرتفع عما حوله . وشامخ : مرتفع عال . والدوح : جمع دوحة ، وهي الشجرة العظيمة المتشعبة . والسفين : الفلك ومراكب البحر ، الواحدة سفينة . والجافل هنا : المهتز المتحرك .

(٧) تهفوبه : تحركه ، وتهزه . والجنوب : الريح التي تهب من جهة الجنوب .

(٨) الباسقات : طوال النخل ، جمع باسقة . والشُمُخُ : جمع شامخ ، اسم فاعل من شمخ ، أي طاب ، وعلا ، وارتفع . والحوامل : المثمرات . ومشمورة : مرفوعة . وسوقها : جمع ساق ، وساق النخلة : جذعها . وذلاذل الثوب أو القميص الطويل : أسافله ، وما يلي الأرض منه . ويراد بالذلاذل هنا : سعف النخل ، وأغصانها .

مَعْقُودَةٌ فِي رَأْسِهَا الْفَلَائِلُ ^(٩)	مَلُوبَةٌ فِي جِيدِهَا الْعَثَاكِلُ
مُخَضَّبٌ كَأَنَّهُ الْأَنَامِلُ ^(١٠)	لِلْبُسْرِ فِيهَا قَانِيَةٌ وَنَاصِلُ
مِنَ الْعَرَاجِينِ لَهَا سَلَاسِلُ ^(١١)	كَأَنَّهُ مِنْ ذَهَبٍ قَنَادِلُ
تَخَالُهَا مَحْزُونَةٌ تُسَائِلُ ^(١٢)	لِلْمَنْجُنُونِ بَيْنَهَا أَزَامِلُ
كَأَنَّهَا أُمَّ بَنِينَ تَأْكِلُ ^(١٣)	لَهَا دُمُوعٌ ذُرْفٌ هَوَامِلُ
مِنَ الْقَوَادِيسِ لَهَا جَلَاجِلُ ^(١٤)	فِي جِيدِهَا مِنْ ضَفْرِهَا حَبَائِلُ

(٩) ملوية : مثنية ، أو معطوفة . والجيد : العنق . والعثاكل : جمع عثكول ، وهو من النخل كالعنقود من العنب . ومعقودة : مربوطة . والفلائل : جمع فليلة ، وهي الشعر المجتمع ، ويراد بها هنا : السعف .

(١٠) البسر : ثمر النخل قبل أن يُرطب ، أو هو البلح إذا لَوَّن ، ولم ينضج ، الواحدة بُسرة . وفيها : في العثاكل . وقانيء : أحمر شديد الحمرة . وناصل : يراد به هنا البلح الأخضر إذا أخذ في الاحمرار . ومخضب : ملون . والأنامل : رؤوس الأصابع .

(١١) كأنه : كأن البسر؛ وهو هنا يصف البلح الأصفر الفاقع الذهبي . وترتيب الكلام : «كأن البسر قنادل من ذهب ، لها سلاسل من العراجين» . وقنادل : مصايح ، جمع قنديل ، وهو مصباح كالكوب وجمعه القياسي قناديل . والعراجين : جمع عرجون ، وهو ما يحمل الثمر ، أو هو العذق ، وهو من النخل كالعنقود من العنب . ويراد بالعراجين : الشماريخ ، جمع شِمراخ وشمروخ ، وهو الذي يجمع البسر وينتظمه . والسلاسل : جمع سلسلة ؛ والقنديل يعلق عادة في سلسلة تحمله .

شَبَّهَ الْبُسْرَ الْأَصْفَرَ الْفَاقِعَ الذَّهَبِيَّ الْمَشْرُقَ الْبَهِيحَ بِقَنَادِيلِ مِنْ ذَهَبٍ ، سَلَسَلِهَا الشَّمَارِيخَ .

(١٢) المنجنون : آلة يرفع بها الماء من الترع ، والأنهار ، والآبار ، لسقي النبات وإروائه . وأزامل : أصوات مختلطة ، مفردها أزمَل (بوزن أفضل) . ومحزونة : حزينة .

(١٣) لها : للمنجنون . وذُرْفٌ : جمع ذارف ، أي سائل ، منهمر . وهوامل : جمع هامل ، من همل الدمع . وثاكل : فقدت ولدها ، يقال : امرأة ثاكل ، وتكلى .

في البيت السابق جعل صوت المنجنون أتيماً ينم على الأسى والحزن . وفي هذا البيت شَبَّهَهَا بِمَنْ فَقدت أَبْنَاءَهَا ؛ فَهِيَ لَا تَفْتَأُ تَبْكِيهِمْ بِدُمُوعِ غَزِيرَةٍ ، فَيَاضَةٌ .

(١٤) في جيدها : في جيد المنجنون . والجيد : العنق . ومن ضفرها : من ضفر باسقات النخيل ، يريد ليفها المضفور : أي المفتول . وحبال : حبال . والقواديس : جمع قادوس ،

تَدُورُ كَالشُّهْبِ لَهَا مَنَازِلُ فَصَاعِدٌ وَدَافِقٌ وَنَازِلٌ (١٥)
وَالْمَاءُ مَا بَيْنَ الْغِيَاضِ سَائِلٌ تَحْنُو عَلَى شُطَانِهِ الْغِيَاظِلُ (١٦)
كَأَنَّهَا حَوَائِمٌ نَوَاهِلُ وَالطَّيْرُ فِي أَفْنَانِهَا هَوَادِلُ (١٧)
تَزْهُو بِهَا الْأَسْحَارُ وَالْأَصَائِلُ فَانْهَضُ إِلَى نَيْلِ الْمُنَى يَا غَافِلُ (١٨)
وَأَنْعَمُ فَأَيَّامُ الصَّبَا قَلَائِلُ وَالْمَرْءُ فِي الدُّنْيَا خِيَالٌ زَائِلُ (١٩)
وَالدَّهْرُ لِلْإِنْسَانِ يَوْمًا آكِلٌ وَكُلُّ شَيْءٍ فِي الزَّمَانِ بَاطِلٌ (٢٠)

وَقَالَ يَصِفُ الْبَحْرَ :

- وهو وعاء يستعمل لغرف الماء من البئر ، أو النهر ، لإرواء النبات والزرع ؛ وهي تصعد ملأى من الماء ، وتهبط فارغة ؛ وبحركات الصعود والهبوط ، واغتراف الماء وتفريغه وصبه تسمع الجلاجل : جمع جلاجلة ، وهي صوت شديد .
- (١٥) الشَّهْبُ : الكواكب والنجوم المتلألئة ، واحدها شهاب . ومنازل : أماكن تنتقل بينها . ودافق : من دفع الماء ، أي صبه بشدة .
- (١٦) الغياض : جمع غيضة ، وهي الموضع يكثر فيه الشجر ، ويلتف . وتحنو : تميل . وشطآن الماء : أي شطآن . القنوات ومجاري المياه . والغياطل : جمع غيطة ، وهي الشجر الكثير الملتف .
- (١٧) كأنها : كأن الغياطل . وحوائم : طيور حوائم ، جمع حائم ، أو حائمة ، وهو الطائر يحوم على الماء . ونواهل : شاربيات مرتويات . وأفنانها : أي أغصانها . وهوادل : جمع هادل ، أو هادلة ، من الهديل : وهو صوت الحمام ، وسجعه .
- (١٨) تزهو : تشرق ، وتجمل . وبها : بالغياطل أو بما وصفه وأشار إليه من محاسن الطبيعة . والأسحار : جمع السحر ، وهو الوقت قبيل الفجر . والأصائل : جمع الأصيل ، وهو الوقت حين تصفر الشمس لمغربها .
- (١٩) أنعم : تمتع ، وتنعم . ويراد بأيام الصبا : عصر الشباب . وفي هذا البيت حض على اغتنام زمن الشباب للاستمتاع بطيبات العيش ، ونعم الحياة قبل فوات هذا الزمن ؛ فإنه قصير ، قليل ، محدود ؛ بل العمر كله كذلك ، والإنسان في الدنيا كالظل ، أو الطيف الذي يظهر برهة ، ولا يلبث أن يذهب ويزول .
- (٢٠) معنى هذا البيت أن الدهر يهلك الإنسان لا محالة ، ويقضي عليه يوم يأتي أجله ؛ وكل مخلوق مصيره في الدنيا إلى البطلان والضياع ، والفناء والهلاك .

وَذِي حَدَبٍ يَلْتَجُّ بِالسُّفْنِ كُلَّمَا	زَفْتَهُ نَوْوَجٌ فَهُوَ يَعْلُو وَيَسْفُلُ ^(١)
كَأَنَّ اطِّرَادَ الْمَوْجِ فَوْقَ سَرَائِهِ	نَعَائِمٌ فِي عَرْضِ السَّمَاءِ جُفْلُ ^(٢)
إِذَا شَاغَبَتْهُ الرِّيحُ جَاشَ عُبَابُهُ	وَوَظَلَّ أَعَالِي مَوْجِهِ يَتَجَفَّلُ ^(٣)
يَهِيحُ فَيَرْغُو أَوْ يَعِجُ كَأَنَّمَا	تَخَبَّطُهُ مِنْ أَوْلَقِ الضُّغْنِ أَرْفَلُ ^(٤)
تَقَسَّمَهُ خُلُقَانٍ لِينٌ وَشِدَّةٌ	بِعَصْفَةِ رِيحٍ فَهُوَ دَاهٍ وَأَرْفَلُ ^(٥)
عَلَوْنَا مَطَاهُ وَهُوَ سَاجٍ فَمَا انْبَرَتْ	لَهُ الرِّيحُ حَتَّى ظَلَّ يَهْفُو وَيَرْفُلُ ^(٦)

- (١) ذو حدب : بحر صاحب حدب ، أي مائج . ويلتج بالسفن : يضطرب بها ، ويهزها بعنف . وزفته : حركته ، وهاجته . ونؤوج : ريح شديدة الهبوب ، سريعة ، ذات صوت شديد .
- (٢) اطراد الموج : تتابعه ، وتلاحقه . وسراة البحر : سطحه . والنعائم : جمع النعامة ؛ ويضرب بها المثل في الخوف والإجفال . والسماوة : صحراء مشهورة بين الشام والعراق ، وتعرف ببادية السماوة . وجفل : نافرات ، مسرعات ، جمع جافل .
- شبه تتابع الموج وتلاحقه في سرعة وقوة فوق سطح البحر ، بنعام انزعجت فأجفلت ، ونفرت متلاحقة متتابعة في عرض البادية .
- (٣) شاغبت الريح : هيجته ، وأثارته . وجاش : اهتاج ، وثار . وعبابه : موجه . ويتجفل : يتفرق ، وينتشر بعد تلبد . يقال : تجفل الديك : إذا تنفش ريش عنقه .
- يقول : إذا أثار الرياح البحر ، اهتاجت لججه ، وارتفعت ، واصطخبت ، وانتفشت أعاليها ، ولعله مع هذا يشير بالتجفل إلى الرغوة ، أو الزبد المنفوش في أعالي الموج إذا اهتاج البحر .
- (٤) يهيج : يثور ، ويضطرب . ويرغو : يقذف بالزبد والرغوة ، أو يضح ويصوت : من الرغاء : وهو صوت الإبل والنعام ونحوها ؛ فهياج البحر ينتج الضجيج ، وما يشبه الرغاء . ويعج : يرفع صوته ، أو يشتد . وتخبطه : مسه ، وأصابه . والأولق : الجنون ، أو شبهه . والضغن : الحقد . والأزفل : الغضب ، والحدة . وترتيب الكلام : كأنما تخبطه أزفل من أولق الضغن ؛ أي كأنما اشتد به الغضب ، فمسته حدة من جنون الحقد والبغضاء .
- (٥) تقسمه : اقتسمه . وداه : اسم فاعل من الدهاء وهو المكر والاحتيال . والأرفل هنا : ضد الداهي ، أي الأخرق الأحمق ، صفة من الرفل ، وهو الخرق ، والحماقة ، وسوء التدبير . والداهاء والرفل هنا متضادان ، يقابلان اللين والشدة ؛ فالبحر في لينه داه ، وفي شدته أرفل .
- (٦) علوناه : صعدهناه ، وركبناه . ومطاه : ظهره . وساج : ساكن ، هادئ . وانبرت له الريح :

كَأَنَّا عَلَىٰ أَرْجُوْحَةٍ كُْلَّمَا وَنَتْ أَحَالَ عَلَيْهَا قَائِمٌ لَيْسَ يَغْفُلُ^(٧)
فَطَوْرًا لَنَا فِي غَمْرَةِ اللَّجِّ مَسْبَحُ وَطَوْرًا لَنَا بَيْنَ السَّمَاكَيْنِ مَحْفِلُ^(٨)
فَلَا هُوَ إِنْ رُعْنَاهُ بِالْجِدِّ يَرْعَوِي وَلَا إِنْ سَأَلْنَاهُ الْهُوَادَةَ يَحْفِلُ^(٩)
عَرُونَا فَأَبْخَلْنَاهُ فَضَلَ حِبَائِهِ وَمِنْ عَجَبٍ إِمْسَاكُهُ وَهُوَ نَوْفَلُ^(١٠)
قَلِيلٌ عَلَىٰ عَهْدِ الْإِخَاءِ ثَبَاتُهُ فَأَسْفَلُهُ عَالٍ وَعَالِيهِ سَافِلُ^(١١)
إِذَا حَرَّكَتُهُ غَضَبَةٌ مَاتَ حِلْمُهُ وَظَلَّ عَلَىٰ أَضْيَافِهِ يَتَأَفَّلُ^(١٢)

اعترضت له ، وتصدت . ويهفو : يهتز ، ويضطرب . ويرفل : يخرج عن سجوه ، وسكونه .
يقول : ركبنا هذا البحر وهو هاديء ساكن ، فلما تصدت له الريح انقلب حاله ، فجعل
يهتز ويضطرب .

(٧) الأرجوحة : ما تترجح براكبها ، وتميل ، وتهتز ، وتعلو ، وتهبط . وونت : توانت ، وفترت ،
وهذأت ، وضعفت حركتها . وأحال عليها : دفعها إلى الحركة ، والاهتزاز ، والترجح .
ويغفل : يسهو ، أو يهمل .

(٨) اللج : معظم الماء ، وكثرته ، وزحمته . وغمرة اللج : ما يغمر السابح ، ويغطيه .
والسماكان : نجمان نيران . والمحفل : المجلس .

والبيت توضيح ، أو تفصيل لصورة الارتجاج في البيت السابق ؛ فإن السفينة المشبّهة
بالأرجوحة كانت تهبط بركابها تارة ؛ فيسبحون في غمرات ذلك البحر اللجّي الهائج الثائر ،
وتارة تعلو بها الأمواج الهائلة علواً كبيراً ، حتى صار الموج يصل بهم إلى السماكين .
(٩) هو : أي البحر . ورعناه : أفرعناه ، وأخفناه . والمراد : لم نعبأ به . والجد : ضد الهزل .
ويراد به هنا : الصبر ، والثبات . ويرعوي : يرجع ، ويكف . والهوادة : الرفق ، واللين .
ويحفل : أي يبالي ، ويهتم .

(١٠) عراه يعروه : قصده طالباً رفته ومعروفه . وأبخلناه : وجدناه بخيلاً غير كريم . وهي جملة
معترضة بين « عرونا » ومفعوله ، وهو « فضل حبائه » . والفضل : الزيادة ، أو الإحسان .
والحباء : العطية . وبخل البحر هنا : إساءته إلى ركابه ، وإزعاجهم بثورانه وهيجانه .
والحباء المقصود هنا : أن يسالم البحر من يعروه ؛ ويحبوه بالأمن والطمأنينة . والإمساك :
الشح ، والبخل . والمعنى أن إمساك البحر وشحه من الأمور المنكرة المستغربة التي تثير
العجب . والنوفل : من أسماء البحر . ورجل نوفل : كريم .

(١١) يقول : إن البحر لا يحفظ موثق الأخوة ، ولا يراعي صحبة صاحب ، فهو متقلب ، متغير .

(١٢) حرّكته : حركت البحر ، أي هاجته ، وأثارته . والغضبة : اسم مرة من الغضب . والحلم :

شَدِيدُ الْحَمِيَّا يَرْهَبُ النَّاسَ بِطُشِّهِ
كَأَنَّ أَعَالِي الْمَوْجِ عِيْنُ مُشَعَّثُ
وَلَكِنَّهُ مِنْ نَفْخَةِ الرِّيحِ يُجْفَلُ (١٣)
بِهِ وَأَنْحِدَارَ السِّيْحِ شَعْرٌ مُفْلَقٌ (١٤)
وَفِي النَّاسِ إِنْ لَمْ يَرْحَمِ اللَّهُ غُفْلٌ (١٥)
بِقَارُورَةٍ صَمَاءٌ وَالْبَابُ مُقْفَلٌ؟ (١٦)
أَضَاءُ مَصَابِيحِ الدُّجَى وَهِيَ أَفْلٌ (١٧)

الأناة ، والصبر . وموت حلم البحر : كناية عن ثورته وهياجه . والأضياف : جمع الضيف ،
ومثله الضيوف ، والضيغان . ويتأفل : يتكبر .

جعل المبحرين ضيوفاً على البحر ، ووصمه بأنه لا يراعي حقوق الضيافة ، بل سرعان ما
يتنكر لهم ، ويتكبر عليهم ، ويفقد حلمه واعتداله إذا أثارته غضبة من الغضبات التي لا تفتأ
تنتابه وتهيجه .

(١٣) حَمِيًّا كل شيء : شدته . والمراد هنا : حميا الغضب ، أي شدته وعنفه . وأجفل إجمالاً :
خاف ، وفزع .

والمعنى : أن البحر - على شدة بأسه ، وخوف الناس من عنفه وبطشه - يجبن أمام
الرياح ، ولا يكاد يصمد لها ، أو يقوى عليها ؛ بل إن نفخة واحدة من نفخاتها تزعجه ؛
فيرتعد ، ويضطرب خوفاً وفزعاً .

(١٤) العهن : الصوف . ومشعث : منتشر ، متفرق . وساح الماء : سال . وانحدار السيح :
هبوطه ، وانحطاطه من علو إلى سفلى . والمراد هنا : مطلق جريانه . وشعر مفلق : مجعد ،
شديد الجعودة .

شبه ما علا وارتفع من الزبد والرغوة فوق أمواج البحر إبان هيجانه واضطرابه بالصوف
المنفوش . وشبه ما سال وجرى من مياهه وقت هدوئه وسكونه ، بالشعر الجعد .

(١٥) ذكر الشيء : استحضره ، وجرى على لسانه ، ومثله تذكره ، أي تذكرنا ماضي ذنوبنا بسبب ما
رأيناه من أهوال البحر . ويراد برحمة الله هنا : المغفرة . وغفل : جمع غافل ، اسم فاعل من
غفل عن الشيء : أي سها عنه .

(١٦) « كيف ترانا صانعين ؟ » : أي ماذا نصنع فيما ترى ؟ ، أي فيما تظن . والقارورة : وعاء أو
إناء من الزجاج أو غيره ، يحفظ فيه الشراب ، أو السوائل . وصماء : مسدودة ، لا يستطاع
فتحها .

(١٧) لا تبتئس : لا تكتئب ، ولا تحزن . والدجى : الظلمات . وأفل : جمع آفل ، اسم فاعل
من آفل النجم ، أي غاب . ومعنى أضاءت مصابيح الدجى في حالة أفولها ، أي قد يقبل
الحظ في أوقات غير منتظرة . ويراد بمصابيح الدجى : النجوم والكواكب النيرة .

فَقَدْ يَبْرَأُ الدَّاءَ الْعُضَالَ وَيَنْجَلِي وَيَنْجَلِي
 وَكَيْفَ يَخَافُ الْمَرءُ حَيْفًا وَرَبَّهُ
 ضَبَابُ الرَّزَايَا وَالْمُسَافِرُ يَقْفُلُ (١٨)
 بِأَحْسَنِ مَا يَرْجُو مِنَ الرَّزْقِ يَكْفُلُ؟ (١٩)
 وَقَالَ يَفْتَخِرُ :

أَهْلَالُ بَيْنَ هَالِهِ؟
 صَادَ بِاللَّحْظِ فِؤَادِي
 أَمْ غَزَالٌ فِي غِلَالِهِ؟ (١)
 غَرْنِي ثُمَّ تَوَلَّى
 أَتَرَى الْهُدْبَ حِبَالَهُ؟ (٢)
 أَنَا مِنْ شَوْقِي إِلَيْهِ
 لَيْتَ شِعْرِي مَا بَدَأَهُ؟ (٣)
 أَيُّهَا الظَّالِمُ هَبْ لِي
 وَأَقِعْ بَيْنَ ضَلَالِهِ؟ (٤)
 وَأَرَعَ لِي حَقَّ وَدَادٍ
 مَرَّةً مِنْكَ الْعَدَالَةَ؟ (٥)
 فِيكَ لَمْ أَقْطَعْ حِبَالَهُ؟ (٦)

(١٨) برىء المريض من مرضه : شفي منه ، وتخلص . والعضال : الشديد المعجز ، يعضل الأطباء : أي يعجزهم . وينجلي : ينكشف ، ويذهب . والرزايا : المصائب ، والبلايا . وقفل المسافر : عاد من سفره ، ورجع .

(١٩) الحيف : الجور ، والظلم .

والمعنى : لا ينبغي أن يخشى الإنسان ظلاماً ، أو نقصاً في رزقه ؛ فإن الله تبارك وتعالى قد كفل لعباده الأرزاق ، وضمن لك أحسن ما ترجوه منها .

(١) الهلال : غرة القمر ، ويريد به : الفتاة الحسنة التي يتغزل بها ؛ ويشبهها بالقمر في حسن

طلعتها ، وإشراق وجهها . وهالة القمر : دارته ؛ ويراد بالهالة هنا : ما ترتديه هذه الحسنة من

أثواب رقيقة ، يشرق منها وجهها . والغلالة : ثوب رقيق يلبس تحت الثياب ملاصقاً للجسم .

(٢) اللحظ : النظر . وهذب العين : الشعر النابت على حروف أجفانها . والحبال : المصيدة .

(٣) غرني : خدعني . وتولى عنه : أعرض عنه ، وتركه . والشعر : العلم ، مصدر شعر به ، أي

علم ، أو أحس به . وليت شعري : ليتني أعلم ، أو أدري .

(٤) واقع بين ضلالة : أي تغمرني الضلالة ، وتحيط بي . ومن معاني الضلالة : التلف ،

والهلاك ، ويراد بها هنا : ما يضانيه العاشق المشوق ، من الحيرة ، والقلق .

(٥) جعل إعراضها عنه ظلاماً له ، لأنها قطعت ما وصله من جبل الود والوفاء ؛ فظلمته بهذه

القطيعة ، وأراد بعدالتها ، إقبالها عليه .

(٦) ارع : أمر من رعى الإنسان الشيء : أي حفظه ، ولم يهمله . والوداد : المودة ، والمحبة .

مَنْطِقُ عَذْبٍ وَمَعْنَى يَبْسِمُ السَّحْرُ خِلَالَهُ^(٧)
 كُلُّ بَيْتٍ كَنَسِيجِ الرُّ رَوْضِ حُسْنًا وَطَّلَالَهُ^(٨)
 أَنَا فِي الشُّعْرِ عَرِيقٌ لَمْ أَرِثُهُ عَنْ كَلَالَهُ^(٩)
 كَانَ « إِبْرَاهِيمُ » خَالِي فِيهِ مَشْهُورَ الْمَقَالَهُ^(١٠)
 وَسَمَا جَدِّي « عَلِيٌّ » يَطْلُبُ النَّجْمَ فَنَالَهُ^(١١)
 فَهُوَ لِي إِرْثٌ كَرِيمٌ سَوْفَ يَبْقَى فِي السُّلَالَهُ^(١٢)

وَقَالَ يَذْكُرُ مَا لِحِقَهُ . وَهِيَ مِنْ لُزُومٍ مَا لَا يَلْزَمُ :

يَا نَاصِرَ الْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ ! خُذْ لِي بِحَقِّي مِنْ يَدَيَّ مَا طَلِي^(١)

(٧) منطق عذب : أي حلو الوقع ؛ على التشبيه بما عذب من الطعام والشراب . وببسم السحر

خلال كلامه ومعانيه : كناية عن بهاء شعره وجماله ، وحسنه وروعته .

(٨) الطلالة : البهجة ، والحسن ، وجمال الهيئة .

يشبه كل بيت من شعره بالروض النضير البهيج ؛ ووجه الشبه بينهما الحسن والرويق .

(٩) هو عريق في كذا : له فيه عرق ، أي أصل ثابت راسخ . والكلالة هنا : القرابة الضعيفة .

يفتخر بأنه أصيل في الشعر ، وأنه ورث هذه الموهبة الشعرية العالية عن آبائه وأقربائه .

(١٠) إبراهيم بن علي آغا البارودي ، كان أديباً ، شاعراً ، مولعاً بقراءة دواوين النابيين من شعراء

العرب والترك ، راوية لأشعارهم ، وكانت داره منتدى لأنداده من الشعراء والأدباء في زمانه .

(١١) سما يسمو سموا : علا ، وارتفع . و« عليٌّ » المنوه به هنا : هو جد « محمود سامي

البارودي » لأمه ، واسمه : « عليٌّ آغا البارودي » ، وكان من فرسان المماليك الجراكسة ،

وأبطالهم الذين كافحوا جيش الاحتلال الفرنسي في صعيد مصر .

(١٢) يقول : إن الشعر تراث كريم نفيس ، ورثه عن آبائه وأصوله ، وسوف يبقى في ذريته

وأولاده .

(١) يشير البارودي بهذا البيت والأبيات التي تليه إلى بعض النكبات التي حلت به عقب إخفاق

الثورة العرابية ، كتجريده من ثروته ، والاستيلاء على أمواله ، ويلاحظ أنه كان من زعماء تلك

الثورة وقادتها ، الضارين في غمرتها .

وقد افتتح هذه المقطوعة ببناء الله تبارك وتعالى ، واستنصاره ؛ أو هو ينادي ، ويستنصر

كل من ترجى نصرته . ويريد بحقه : ما كان حقاً ثابتاً له ، فاستولت عليه الحكومة ، وجرده

جَارَ عَلَى ضَعْفِي بِسُلْطَانِهِ وَمَا رَأَى لِلْمَدْمَعِ الْهَاطِلِ (٢)
أَخْرَجَنِي عَمَّا حَوْتَهُ يَدِي مِنْ كَسْبِي الْحُرِّ بِلَا نَاطِلِ (٣)
مِنْ غَيْرِ مَا ذَنْبٍ سِوَى مَنْطِقٍ ذِي رَوْنِقٍ كَالصَّارِمِ الْقَاطِلِ (٤)
أَتَلُو بِهِ الْحَقَّ وَأَرْمِي بِهِ نَحَرَ الْعِدَا فِي الرَّهَجِ السَّاطِلِ (٥)
فَإِنْ أَكُنْ جُرْدْتُ مِنْ ثَرَوَتِي فَفَضْلُ رَبِّي حَلِيَّةُ الْعَاطِلِ (٦)

وَقَالَ أَيْضًا ، وَهِيَ مِنْ لُزُومٍ مَا لَا يَلْزَمُ :

لَأَمْرِ مَا تَحَيَّرَتِ الْعُقُولُ فَهَلْ تَدْرِي الْخَلَائِقُ مَا تَقُولُ؟ (١)
تَغِيبُ الشَّمْسُ ثُمَّ تَعُودُ فِينَا وَتَذْوَى ثُمَّ تَخْضِرُ الْبُقُولُ (٢)

منه ، وحرمة إياه ، كثروته ، وحريته ، ومنصبه ، وجاهه . وماطل : اسم فاعل من مطله حقه ، أي أجل موعد الوفاء به . ويريد بماطله ، ظالمه الذي هضمه حقه ، وجار عليه . (٢) جار عليه : عدا عليه ، وظلمه . ويريد بضعفه : استسلامه ، وضعف حيلته ، وعجزه عن المقاومة . والسلطان : القوة ، والقهر ، والتسلط . ورثى له : رق له ، ورحمه ، وأشفق عليه . والهاطل : الغزير الكثير .

(٣) كسبه : رزقه ، وثروته ، وماله . ويراد بالحر : الطيب الحلال . والناطل : القليل . والترتيب الأصلي لكلمات هذا البيت : « أخرجني بلا ناطل عما حوته يدي من كسبي الحر » . (٤) منطوق ذو رونق : كلام مشرق ، واضح ، قوي ، بليغ . وكالصارم : كالسيف القاطع ، أي يقطع بالحجة الدامغة الجدل والخصومات ، ويميز الحق من الباطل . والقاطل : بمعنى الصارم .

(٥) تلاه يتلوه : اتبعه . وتلا الكتاب وغيره تلاوة : قرأه . وتلا الخبر : أخبر به . والفجر : الصدر . والرهج : الغبار الثائر . والساطل من الغبار : المرتفع . ويراد بالرهج الساطل : الفتنة ، أو الثورة ، أو الحرب ، أو نحوها .

(٦) الفضل : الإحسان . وحلية : زينة . والعاطل : الخالي من المال ، أو الزينة .

(١) لأمر ما : لأمر مهم خفي غير معلوم . وتحير : تردد ، واضطرب ، وضل الطريق . والخلائق : المخلوقات ؛ والمراد الناس .

(٢) تعود فينا : تعود إلينا . وتذوى : تذبل . والبقل : النبات ، والعشب ، واحدته بقلة ، وجمعه بقول .

طَبَائِعُ لَا تُغِيبُ مُرَدَّدَاتٍ كَمَا تَعْرِى وَتَشْتَمِلُ الْحُقُولُ^(٣)
فَسِيَّانِ الْجَهُولِ إِذَا تَنَاهَتْ بِهِ الْأَيَّامُ وَالْفَطْنُ الْعَقُولُ^(٤)
يَزُولُ الْخَلْقُ طَوْرًا بَعْدَ طَوْرٍ وَتَخْتَلِفُ الْحَقَائِقُ وَالنُّقُولُ^(٥)
فَمَا جَرَّتِ الظُّنُونُ عَلَى يَقِينٍ تَفِيءُ بِهِ وَلَا صَحَّ الْمَقُولُ^(٦)

وَقَالَ ، وَهِيَ مِنْ لُزُومٍ مَا لَا يُلْزَمُ :

مَا الدَّهْرُ إِلَّا ضَوْءُ شَمْسٍ عَلَا وَكَوْكَبٌ غَامٌ وَنَبْتُ بَقْلٍ^(١)
وَرَا حِلُّ أَعْقَبَهُ نَازِلٌ مَا قِيلَ قَدْ خِيمَ حَتَّى اسْتَقْلَ^(٢)

(٣) يراد بالطبائع هنا : طبائع الكون ، وخصائصه ، ومميزاته . ولا تغيب : لا تتخلف ، ولا تتأخر ، مضارع أغب إغياباً .

(٤) سيان : مثلان . وتناهى الشيء : بلغ نهايته . وتناهت به الأيام : انتهت حياته . والفطن : ذو الفطنة ، وهي الحدق ، وحدة الذهن ، وصحة الفهم . والعقول (بوزن الرسول) : العاقل . والمعنى : أن الجاهل ، والعاقل يستويان عند الموت ، ولا يكادان يتميذان .

(٥) النقول : جمع النقل ، مصدر نقلت الكلام أو الخبر ، أي رويته عن قائله . « و زوال الخلق طوراً بعد طور » : فناء المخلوقات والناس جيلاً بعد جيل ، أي هلاكهم على مرات ودفعات . ومعنى « اختلاف الحقائق والنقول » : أن ما عرفه الناس عن طريق النقل والرواية ، قد يخالف الحقائق الثابتة اليقينية التي لا ريب فيها .

(٦) تفيء : تعود ، وترجع . والمقول : القول ، والكلام .

ومعنى هذا البيت والذي قبله : أن الإنسان منذ أقدم العصور إلى اليوم ما زال يقف أمام كثير من طبائع الكون وظواهره ، وحقائق الوجود وخفاياه ، وسر الموت والحياة ، موقف الحيرة والشك والجهل والتردد ؛ على الرغم من شيخوخة الزمان ، وازدهار العمران ، وفناء الأجيال جيلاً بعد جيل ، وعلى الرغم من كثرة المعارف والمعلومات وتتابعها بين معقول ومنقول ، وحققي وظني ؛ ومع هذا كله لم تصل الظنون إلى ما يقنع ويسمو إلى مرتبة اليقين .

(١) غام الكوكب : اختفى ضوءه واحتجب وراء الغيم . وبقل النبات : نبت ، ونشأ .

(٢) « راحل » : معطوف على « ضوء شمس » في البيت الأول : أي ما الدهر إلا كوكب سطرع ضياؤه ثم أفل ، ونبت نبت واخضر وزها ، ثم ذوى وذبل وذهبت نضارته . وأعقبه : خلفه ، وجاء بعده . واستقل : سار ، ومضى .

عَمَايَةٌ يَخْبِطُ فِيهَا النُّهَى عَجْزاً وَلَا تُبْصِرُ فِيهَا الْمُقْلُ (٣)
فَبَادِرِ النُّقْلَةَ وَأَعْمَلْ لَهَا مَا شِئْتَ فَالِدَّهْرُ سَرِيعُ النُّقْلِ (٤)
وَاصُمْتُ عَنِ الشَّرِّ إِذَا لَمْ تُطِقْ دَفْعاً وَإِنْ صَادَفْتَ خَيْراً فَقُلْ (٥)
وَسِرْ إِذَا مَا عَرَضَتْ فُرْصَةٌ فَالْبَدْرُ قَدْ يَنْمُو إِذَا مَا انْتَقَلَ (٦)
مَنْ طَلَبَ الْأَمْرَ بِأَسْبَابِهِ سَاعَدَهُ الْمَقْدُورُ إِمَّا عَقْلُ (٧)
قَدْ يَجْبُنُ الْأَعْزَلُ وَهُوَ الْفَتَى وَيَشْجُعُ النَّكْسُ إِذَا مَا اعْتَقَلَ (٨)

(٣) يراد بالعماية هنا : الحيرة ، والجهل . ويخبط : يسير على غير هدى . والنهى : العقل ، أو العقول . أي يخبط العقل في هذه العماية بسبب عجزه عن إدراك الحقيقة الهادية . والمقل : العيون ، واحدها مقلة .

(٤) النقلة : اسم بمعنى الانتقال والرحيل . وبادر النقلة : تهيأ لها . والمعنى : أن الدهر ينتقل بالناس والمخلوقات تنقلاً سريعاً ، وتتغير فيه أحوالهم تغيرات كثيرة مفاجئة ، ولهذا ينبغي أن تتدبر هذا الانتقال قبل وقوعه .

(٥) المعنى : اسكت عن الشر ، ونزه عنه لسانك وقلبك ، وقل الخير كلما وجدته ، واعمل له ما استطعت .

(٦) عرضت : أمكنت ، وسنحت . يحض على انتهاز الفرصة كلما سنحت بالسير وراءها ، والانتفاع بها . ويضرب المثل بالقمر ينتقل في منازلها ؛ فينمو بهذا التنقل ، ويزيد ضياؤه ، ويبلغ منزلة التمام والكمال والامتلاء .

(٧) الأمر : الشيء المطلوب . والمقدور : الأمر المحتم الذي لا محيص عنه ، ويراد به هنا : ما يقدره الله تبارك وتعالى للمرء .

والمعنى : من اتخذ للأمر عدته ، وحاوله بأسبابه وعلله ووسائله ، وقصده من الطرق الموصلة إليه ، أعانه على تحقيقه قدر الله تعالى وحكمه وقضاؤه .

(٨) الأعزل : من لا سلاح معه . والفتى : الشجاع ، المقدم . والنكس : الضعيف . واعتقل : حمل سلاحه .

يقول : قد يكون المرء شجاعاً مقداماً ، ولكن تجرده من السلاح يضطره إلى الجبن والنكوص والإحجام عن القتال . وقد يكون المرء خائراً ضعيفاً ، فإذا ما تسلح أقدم على الحرب بسلاحه إقدام الجريء الشجاع .

وَقَالَ مُلْتَزِمًا :

لَا تَرُكَنَّ إِلَى الزَّمَانِ فَرُبَّمَا
وَاصِبِرْ عَلَى مَا كَانَ مِنْهُ فَكُلَّمَا
كَفَلَ الشَّقَاءَ لِمَنْ أَنَاخَ بِرَبْعِهِ
يَمْشِي الضَّرَاءَ إِلَى النُّفُوسِ وَتَارَةً
لَا يَرْهَبُ الضَّرْغَامَ بَيْنَ عَرِينِهِ
بَيْنَا تَرَى نَجْمَ السَّعَادَةِ طَالِعًا
خَدَعَتْ مَخِيلَتُهُ الْفُؤَادَ الْغَافِلًا^(١)
ذَهَبَ الْغَدَاةَ أَتَى الْعَشِيَّةَ قَافِلًا^(٢)
وَكَفَى ابْنَ آدَمَ بِالْمَصَائِبِ كَافِلًا^(٣)
يَسْعَى لَهَا بَيْنَ الْأَسِنَّةِ رَافِلًا^(٤)
بِأَسَاءٍ وَلَا يَدْعُ الظُّبَاءَ مَطَافِلًا^(٥)
فَوْقَ الْأَهْلَةِ إِذْ تَرَاهُ آفِلًا^(٦)

(١) ركن إليه : وثق به ، واعتمد عليه . والمخيلة : المظنة ، وجمعها مخايل . وظهرت في فلان مخايل النجابة : أي مظناتها ، وأماراتها . ويراد بمخيلة الزمان هنا : مظهره ، وما قد يتخيل فيه من الخير .

(٢) الغداة : أول النهار ، ما بين الفجر وطلوع الشمس ، وجمعها غدوات . والعشية : آخر النهار ، من زوال الشمس إلى المغرب . وقافل : اسم فاعل من قفل ، أي عاد ، ورجع . يحض على التجلد للزمان ، والصبر على ما يصيبنا من أحداثه وبلاياه ؛ فإنه يغدو ويروح علينا بها كل يوم ؛ فهي متتابعة متوالية ، لا تهادن ، ولا توادع ، ولا علاج لها إلا التجلد والصبر .

(٣) كفل الزمان الشقاء للناس : ضمنه لهم ، والتزمه ، وأوجه على نفسه . وأناخ بالمكان : نزل به ، وخيم ، وأقام . والربع : المنزل ، أو الدار . و« كافلاً » : ضامناً ، أو ملتزماً . والترتيب الأصلي للكلمات الشطر الثاني : « وكفى بالمصائب كافلاً ابن آدم » : أي أن مصائب الدهر تكفل الإنسان ، وتتولاه . وفي هذه الكفالة الكفاية .

(٤) فاعل « يمشي » : ضمير مستتر يعود على « الزمان » في البيت الأول . والضراء (بفتح الضاد) : الاستخفاء . ويسعى لها : يسعى للنفوس . والأسنة : جمع سنان ، وهو نصل الرمح ، أي حديدته التي تصيب المطعون . ورافلاً : أي يسعى متبخراً .

(٥) لا يرهب : لا يخاف . والضرغام : الأسد الضاري الشديد . وعرين الأسد : مأواه ، ومسكنه . ومطافل : جمع مطفل ، أطفلت الأنثى : أي صارت ذات طفل .

(٦) الأهلة : جمع هلال ، ويراد بالأهلة : النجوم . وطلوع نجم السعادة فوق النجوم : كناية عن تمام سعادة المرء . وآفل : اسم فاعل من أفل النجم ، أي غاب .

والمعنى : أن سعادة الزمان لا بقاء لها ، ولا ثبات ، ولا استقرار ؛ فهي تعلو كل العلو ،

فَإِذَا سَأَلْتَ الدَّهْرَ مَعْرِفَةً بِهِ فَاسْأَلْ لِتَعْرِفَهُ النَّعَامَ الْجَافِلًا^(٧)
 فَالدَّهْرُ كَالدُّوَلَابِ يَخْفِضُ عَالِيًا مِنْ غَيْرِ مَا قَصْدٍ وَيَرْفَعُ سَافِلًا^(٨)
 وَقَالَ فِي الْحِكْمَةِ :

إِنْ شِئْتَ أَنْ تَحْوِيَ الْمَعَالِي فَادْرِعْ صَبْرًا فَإِنَّ الصَّبْرَ غُنْمٌ عَاجِلٌ^(١)
 وَاحْلُمْ كَأَنَّكَ جَاهِلٌ وَادْكُرْ كَأَنَّكَ نَكَ ذَاهِلٌ وَافْطِنْ كَأَنَّكَ غَافِلٌ^(٢)
 فَلَقَلَّمَا يُفْضِي إِلَى آرَابِهِ فِي الدَّهْرِ إِلَّا الْعَالِمُ الْمُتَجَاهِلُ^(٣)
 وَقَالَ :

لَا تَحْسَبِ النَّاسَ فِي الدُّنْيَا عَلَى ثِقَةٍ مِنْ أَمْرِهِمْ بَلْ عَلَى ظَنٍّ وَتَخْيِيلِ^(١)

وتظهر أتم الظهور ، ولكنها لا تلبث أن تزول وتختفي ؛ كأنها لم تكن ؛ يشير بهذا إلى سرعة تقلب الدهر بالناس .

(٧) الجافل : من جفل ، أي نفر ، وشرذ ، وهرب مسرعاً .

يقول : إذا حاولت أن تسأل الدهر ؛ لتعرف حقيقته ، أو تقف على شيء من أمره وسره ، فاعلم أنه كالظليم الجافل الذي لا يكاد يستقر أمامك ، أو يحفل بالموادعة والمهادنة . يضاف إلى هذا أنه لا سبيل إلى معرفته ، أو تفهم حقيقته وسره ، أو اتقاء شروبه وحوادثه .

(٨) الدوLAB : كل آلة تدور على محور . شبه الدهر بالدوLAB ؛ فهو يحط الرفيع ، ويرفع الوضيع ، بلا قصد ، ولا إرادة ، ولا تفكير .

(١) حوى الشيء يحويه : جمعه ، وحازه ، وأحرزه . والمعالي : جمع المعلاة ، وهي الرفعة والشرف . وادرع الصبر : تجمل به ، واتخذة وقاية لنفسك . والغنم : الغنيمة .

(٢) احلم : أمر من الحلم ، وهو الصبر ، والأناة . وذاهل : اسم فاعل من الذهول ، وهو النسيان . وافطن : أمر من الفطنة ، وهي حسن الفهم ، ولطف الإدراك .

(٣) يفضي إلى آرابه : يصل إليها ، ويبلغها . والآراب : الحاجات ، والغايات ، والمقاصد .

والمعنى : أن العالم إذا تكلف إظهار الجهل ، استطاع أن يساير العامة ، ويتحجب إليهم ويندمج فيهم ، ويسخرهم في إدراك حاجاته ؛ لأن الجهل في الناس كثير غالب ، وتجاهل العالم صورة من صور الكياسة والدهاء .

(١) الأمر : الشأن ، والحال . والتخييل : التوهم ، وهو قريب من الظن .

حُبُّ الْحَيَاةِ وَبُغْضُ الْمَوْتِ أَوْرَثَهُمْ جُبْنَ الطَّبَاعِ وَتَصْدِيقَ الْأَبَاطِيلِ (٢)
وَقَالَ فِي الْحِكْمَةِ :

أَلَا إِنَّ أَخْلَاقَ الرَّجَالِ وَإِنْ نَمَتْ فَأَرْبَعَةٌ مِنْهَا تَفُوقُ عَلَى الْكُلِّ (١)
وَقَارَ بِلَا كِبِيرٍ وَصَفْحٍ بِلَا أَدَى وَجُودٌ بِلَا مَنْ وَحِلْمٌ بِلَا ذُلٌّ (٢)
وَقَالَ فِي الْحِكْمَةِ أَيْضاً ، وَهِيَ مِنْ لُزُومِ مَا لَا يَلْزَمُ :

تَسَابِقُ فِي الْمَكَارِمِ تَعْلُ قَدْرًا فَسَبَقُ النَّاسِ لِلْخَيْرَاتِ نَضْلٌ (١)
إِذَا ذَهَبَ الْكِرَامُ فَلَا رَجَاءَ وَإِنْ ذَهَبَ الرَّجَاءُ فَلَيْسَ فَضْلٌ (٢)
وَقَالَ :

(٢) معنى هذا البيت والذي قبله : أن الناس بطبعهم يكرهون الموت ، ويحبون الحياة ؛ وبمغالاتهم في هذا جنبوا عن مواجهة حقائق الأشياء ؛ فعميت عليهم ، والتبست ، وفقدوا اليقين والثقة بأمورهم ، وجروا وراء الظنون والأوهام ، وصدّقوا ما يرضي غرائزهم من الترهات والأباطيل .

(١) نمت : كثرت . وتفوق : تفضل وتزيد .

يقول : إن الفضائل التي ينبغي أن يتصف بها كملة الرجال كثيرة ، ولكن المختار الفائق منها أربع .

(٢) الوقار : الرزانة ، والسكون . والكبر : العظمة الممقوتة ، والتجبر . والصفح : العفو . والأذى : الضرر اليسير ، والشر الخفيف . والجود : البذل ، والعطاء . والمن : مصدر من عليه بما صنع (من باب رد) ، أي فخر بنعمته عليه حتى كدرها بهذا الفخر . والحلم : الأناة ، والصبر . والذل : الهوان ، والضعف . وضده العز ، والمنعة .

(١) تسابق القوم : أي سابق بعضهم بعضاً . والمكارم : جمع مكرمة ، وهي فعل الكرم . والكرم بمعناه العام : اسم للأفعال الحميدة ، والأخلاق العظيمة ، والمحاسن الكبيرة التي تظهر من الإنسان . والقدر : الشأن ، والمرتبة ، والمنزلة . ونضله ، نضلاً : سبقه ، وغلبه .

(٢) الكرام : جمع الكريم ، وهو الجواد ، السخي ، المعطاء . والرجاء : الأمل . والمعنى : إنما يرجى للخير الكرماء من الناس ؛ فإذا ذهبوا ذهب الرجاء بذهابهم ، ولم يبق من يأمله الناس لمكرمة ، وإن ذهب هذا الرجاء ذهب معه الفضل ، والبر ، والخير .

إِذَا سَتَرَ الْفَقْرُ أَمْراً ذَا نَبَاهَةٍ فَلَا بُدَّ يَوْماً أَنْ يُشِيدَ بِهِ الْفَضْلُ^(١)
فَإِنَّ لَهَيْبَ النَّارِ مَهْمَا كَفَاتَهُ إِلَى أَسْفَلٍ قَسْراً فَلَا بُدَّ أَنْ يَعْلُو^(٢)
وَقَالَ :

لَعَمْرُكَ مَا الْإِنْسَانُ إِلَّا ابْنُ يَوْمِهِ وَمَا الْعَيْشُ إِلَّا لُبْثَةٌ وَزِيَالُ^(١)
وَمَا الدَّهْرُ إِلَّا دَفْتَرٌ فِي خِلَالِهِ تَصَاوِيرٌ لَمْ يُعْهَدْ لَهِنَّ مِثَالُ^(٢)
فَفِي صَفْحَةٍ مِنْهُ زَمَانٌ قَدْ انْقَضَى وَفِي وَجْهِ أُخْرَى دَوْلَةٌ وَرَجَالُ^(٣)
وَقَالَ :

طَهَّرْ لِسَانَكَ مَا اسْتَطَعْتَ وَلَا تَكُنْ خِيباً يُقَرَّبُ لِلنُّفُوسِ ضَالاً لَهَا^(١)
إِنَّ الْوَقِيعَةَ لَا تَعُودُ بِخِزْيَةٍ أَوْ سُبَّةٍ إِلَّا عَلَى مَنْ قَالَهَا^(٢)
وَقَالَ :

-
- (١) النباهة : الفطنة ، والفضل ، وعظم الشأن . وأشاد به : نوه به ، وشهره . والفضل : الإحسان ، والخير .
(٢) كفاتهُ : نكسته . والقسر : الإكراه ، والقهر .
(١) ابن يومه : أي عرضة لأن يموت في كل يوم ، فكأن كل يوم نهاية أجله . واللبثة (بضم فسكون) : التوقف اليسير ، والمكث القليل . وزايله مزايلة وزيالاً : بارحه ، وبايته ، وفارقه .
(٢) الدهر : مدة الحياة الدنيا كلها . والدفتر : الكراسة . وفي خلاله : المراد في صفحاته . والتصاویر : الصور . ولم يعهد : لم يعرف . ولهن : للتصاویر . ومثال : شبه ، ومثل ، ونظير .
(٣) الدولة : الغلبة ، والاستيلاء ، والشيء المتداول من مال وغيره ، فيكون مرة لهذا ، ومرة لذاك . ويقال : « لكل زمان دولة ورجال » .
(١) الخب (بكسر الخاء وفتحها) : الخداع الخبيث ، الذي يسعى بالفساد بين الناس .
(٢) الوقیعة : اغتيالك الناس . والخزبة : العار ، والفضيحة . والسبة : العار ، وما يجلب لصاحبه السب ، والشتم ، واللعن .

لَيْسَ الصَّدِيقُ الَّذِي تَعْلُو مَنَاسِبُهُ بَلِ الصَّدِيقُ الَّذِي تَزُكُو شَمَائِلُهُ (١)
 إِنَّ رَابِكَ الدَّهْرُ لَمْ تَفْشَلْ عَزَائِمُهُ أَوْ نَابِكَ الِهْمُّ لَمْ تَفْتُرْ وَسَائِلُهُ (٢)
 يَرْعَاكَ فِي حَالَتِي بَعْدٍ وَمَقْرَبَةٍ وَلَا تُغِيبُكَ مِنْ خَيْرٍ فَوَاضِلُهُ (٣)
 لَا كَالَّذِي يَدَّعِي وُدًّا وَبَاطِنُهُ بِجَمْرٍ أَحْقَادِهِ تَغْلِي مَرَاجِلُهُ (٤)
 يَذُمُّ فِعْلَ أَخِيهِ مُظْهِرًا أَسْفًا لِيُوهِمَ النَّاسَ أَنَّ الْحُزْنَ شَامِلُهُ (٥)
 وَذَاكَ مِنْهُ عِدَاءٌ فِي مُجَامَلَةٍ فَاحْذَرُهُ وَاعْلَمْ بِأَنَّ اللَّهَ خَاذِلُهُ (٦)

وَقَالَ :

- (١) النسب : القرابة ، وجمعه أنساب ، ومثله المنسب ، وجمعه مناسب (بوزن مذهب ومذهب) ؛ ورجل عالي المناسب : نابه الأصول ، معروف حسبه ونسبه . وتزكو : تصلح ، وتطهر ، وتطيب . وشمائله : سجاياه ، وطباعه .
- (٢) رابك : ساءك ، وأزعجك . ولم تفشل عزائمه : لم تضعف هماته ، ولم يقعد عن نصرتك ومعونتك . ونابك : أصابك ، ونزل بك . ولم تفتُر : لم تضعف ، ولم تقصر . والوسائل : جمع الوسيلة ، ما تتقرب به إلى غيرك . ويراد بالوسائل هنا : الصلات الوثيقة ، والروابط المتينة التي تتطلبها الصداقة الصادقة .
- (٣) يرعاك : يحفظك ، ويحفظ لك المودة والمحبة ، في بعدك وقربك ، وغيبتك وحضورك . والمقربة : ضد البعد ، مصدر ميمي من قرب . ولا تغيبك : لا تنقطع عنك . والفواضل : جمع فاضلة ، وهي النعمة العظيمة .
- (٤) الود : المودة ، والمحبة . وباطن الإنسان : سريره ، أي ما يكتمه ، ويسره ، ويخفيه . وبجمر أحقاده : أي بسبب أحقاده المتوقدة توقد الجمر . والمراجل : جمع مرجل ، وهو القدر التي يطبخ فيها . وغليان مراجله : كناية عن شدة غيظه .
- (٥) الأسف : أشد الحزن .

والمعنى : أن هذا الخب المناق الذي يدعي الصداقة ، ويلقي إليك بمودته الكاذبة لا يضمرك لك غير الكراهية ، والحققد . ومن افتنانه في تغطية عداوته المتوقدة أن يغتابك ، ويعيبك ، ويذم أفعالك ، في غيبتك ، أو في حضورك ، مظهرًا للأسف والحزن ، ليوهم الناس أنه غير مغتاب ، أو مخاصم ، وإنما يعيبك إشفاقاً عليك ، وإصلاحاً لشأنك ، ورجبة في تقويمك ، وهدايتك .

(٦) « ذاك » : إشارة إلى الأسف ، والحزن الشامل الذي ذكره في البيت السابق . ومنه : من مدعي الود . وجامله : أحسن معاملته وعشرته . وخاذل : من خذله ، ترك نصرته وإعانته .

الْحُبُّ مَعْنَى لَا يُحِيطُ بِسِرِّهِ
 كَالْكَهْرَبَاءِ دَرَكُهَا مُتَعَذِّرٌ
 وَكَذَلِكَ الْأَرْوَاحُ يَظْهَرُ فِعْلُهَا
 حِكْمٌ تَمَلَّكَهَا الْغُمُوضُ فَلَمْ يُحِطْ
 وَصَفٌ وَلَا يَجْرِي عَلَيْهِ مِثَالٌ^(١)
 وَنَسِيمُهَا مَتَحَدِّرٌ سَيِّالٌ^(٢)
 وَيَغِيبُ عَنَّا سِرُّهَا الْفَعَّالُ^(٣)
 بِرُمُوزِهَا فِي الْعَالَمِينَ مَقَالٌ^(٤)
 وَقَالَ فِي الْغَزْلِ :

لَيْسَ لِي غَيْرَ خَالِكَ الْحَجَرِ الْأَسَدِ
 فَأُثْبِنِي عَلَى الْجَمَالِ زَكَاةً
 وَدِي فِي كَعْبَةِ الْمَحَاسِنِ قِبْلَةً^(١)
 وَزَكَاةَ الْجَمَالِ فِي الْخَدِّ قِبْلَةً^(٢)

- (١) يراد بمعنى الحب هنا : المعنى الروحي الناشئ من تعلق قلب الإنسان بشيء آخر .
 والمعنى : أن الحب الروحي من الأمور الخفية التي لا يكشفها الوصف والبيان ، ولا يظهرها التمثيل والتشبيه ، ولا يجليها التعبير والتصوير .
- (٢) دركها متعذر : أي تعذر على العلماء معرفة كنهها ، ولهذا أشبهت الحب الروحي . والنسيم (في الأصل) : الريح الطيبة اللينة اللطيفة . ويراد بنسيم الكهرباء : التيار الكهربائي .
 شبه الحب الروحي بالكهرباء ؛ فكلاهما مجهول الكنه والحقيقة ، ظاهر الآثار والنتائج .
- (٣) نظم الحب ، والكهرباء ، والروح في سلك واحد ؛ فكل منها مجهول يظهر بآثاره .
- (٤) يراد بالحكم هنا : أمور ثلاثة ، يجمعها الإحكام والإتقان ، وخفاء حقائقها وأسرارها ، وظهور نتائجها وآثارها ، وهي : الحب ، والكهرباء ، والروح . وتملكها : ملكها ، وأحاط بها .
 والرموز : جمع رمز ، وهو الإيماء ، والإشارة .
- والمعنى : أن الحب ، والكهرباء ، والروح من الأشياء التي أحكم الله خلقها ، وأتقن إيجادها ، وأظهر للناس آثارها ؛ ولكنه - جلّ وعلا - أخفى عنهم حقائقها ؛ فعجزوا كل العجز عن إدراك شيء من أسرارها وخفاياها .
- (١) الخال : شامة ، أو نكتة سوداء في البدن ؛ والكثير الغالب المشهور أن يطلق الخال على شامة الخد ، وقد يكون خلقة ، وقد تضعه الحسنة للتجمل والزينة .
 جعل محاسن وجه الحبيب كعبة يستقبلها عشاقه ، كما يستقبل المصلون البيت الحرام ، وفتن فتونا بشامة سوداء في خده ؛ فولى وجهه شطرها ، وتعلق بها بصره ، كأنها الحجر الأسود في الكعبة المشرفة ، ينظر إليه الطائف بها ، ويحرص على تقبيله .
- (٢) « أثبني » : أمر من « أثاب » ، بمعنى منح ، وأعطى ، ووهب .

وَقَالَ :

يَا هَاجِرِي ظُلْمًا بَغَيْرِ خَطِيئَةٍ هَلْ لِي إِلَى الصَّفْحِ الْجَمِيلِ سَبِيلُ؟ (١)
مَاذَا يَضُرُّكَ لَوْ سَمَحْتَ بِنَظْرَةٍ تَحِيًّا بِهَا نَفْسٌ عَلَيْكَ تَسِيلُ؟ (٢)

وَقَالَ :

مَنْ ظَنَّنِي مَوْضِعًا يَوْمًا لِحَاجَتِهِ كُنْتُ الْحَرِيَّ بِأَنْ أُعْطِيَهُ مَا سَأَلَ (١)
لَهُ عَلَيَّ بِحُسْنِ الظَّنِّ مَآثِرَةٌ لَا يَسْتَقِلُّ بِهَا شُكْرِي وَإِنْ جَمَلًا (٢)

وَقَالَ فِي الْغَزْلِ :

عَاتَبْتُهُ لَا لِأَمْرٍ فِيهِ مَعْتَبَةٌ عَلَيْهِ لَكِنْ لِأَرْعَى وَرَدَّةَ الْخَجَلِ (١)
فَأَلْبَسْتُ يَا سَمِينَ الْخَدَّ خَجَلْتُهُ وَرَدًا جَنِيًّا جَنَاهُ رَائِدُ الْمُقَلِّ (٢)

يقول لمن يتغزل بها : إن الجمال كالمال ، يستحق أن تخرج عنه الزكاة ، وأنا ممن يستحقونها ، وزكاة الجمال أن يسمح للعاشق بتقبيل الجميل في خده .

(١) الخطيئة : الذنب ، والإثم ، والجريرة . والصفح : مصدر صفح عنه (من باب نفع) ، أي أعرض عن ذنبه ، وعفا عنه .

(٢) في هذا البيت أشار إلى ما يضافه ويكاد يرديه من لواعج الهوى ورجا أن يقرن هذا الصفح الجميل بنظرة منه لن تضيره إذا سمح بها ، ولكنها تحيي نفس محبه ، وتنقذه ، أو تخفف عنه ضنى الوجد .

(١) الحري : الخلق ، والجدير ، والمستحق . أي من جعلني أهلاً لحاجته ، كنت أهلاً أن أقضيها له ، وأنيله إياها ، وأعطيه ما سألني إياه .

(٢) المآثرة (بفتح الثاء وضمها) : الفعل الحميد ، والمكرمة التي تؤثر ، أي تروى ، وتنقل ، وتذكر ، وجمعها مآثر . ولا يستقل : لا ينهض . وجمل الشكر (بوزن كرم) : حسن ، وكمل ، وتم ، أي لا يستقل بها شكري ولو جمل ، أي ولو في حال جماله وكماله وتمامه .

(١) أرعى : أراقب ، والمراد أستمتع بالنظر ، من قولهم : « رعى النجوم » ، أي راقبها .

لم يكن من حبيبه المتغزل به شيء يستحق العتاب ؛ وإنما عاتبه ليخجله ، فيستمتع بالنظر إلى حمرة الخجل في خديه ؛ أو ليقطف منهما وردتين كانتا نتيجة العتاب .

(٢) ياسمين الخد : الخد الشبيه بالياسمين ، وهو زهر أبيض ذكي الرائحة . والجني (بوزن

وَقَالَ فِي الْحِكْمَةِ ، وَهِيَ مِنْ لُزُومٍ مَا لَا يَلْزَمُ :

دَعِ الْمَخَافَةَ وَاعْلَمْ أَنَّ صَاحِبَهَا وَإِنْ تَحَصَّنَ لَا يَنْجُو مِنَ الْغَيْلِ (١)
لَوْ كَانَ لِلْمَرْءِ عِلْمٌ يُسْتَدَلُّ بِهِ عَلَى الْعَوَاقِبِ لَمْ يَرْكَنْ إِلَى الْحَيْلِ (٢)

وَقَالَ فِي فَقْدِ الشَّبَابِ :

يُعْزَى الْفَتَى فِي كُلِّ رُزْءٍ وَلَيْتَهُ يُعْزَى عَلَى فَقْدِ الشَّبَابِ الْمُزَايِلِ (١)
فَكَمْ بَيْنَ مَفْقُودٍ يُعَاشُ بِغَيْرِهِ وَآخِرٍ يُزْرَى بِالْهُوَى وَالْوَسَائِلِ (٢)

الغنيّ) : الغض ، الطري ، الذي جني لساعته . وجناه : قطفه . والرائد : اسم فاعل من راد قومه ، أورد لهم المياه ، والمراعي ، والمنازل ، أي تلمسها ، وطلبها ، وسعى في أن يجدها لهم . والمقل : العيون ، واحدها مقلة . ورائد المقل . الملتمس للعيون والباحث عنها .

(١) دع المخافة : اترك الخوف . وتحصن : اتخذ لنفسه حصناً يقيه ، ويحميه . والغيل : جمع غيلة ، يقال قتله غيلة : أي قتله على غفلة منه .

(٢) العواقب : جمع عاقبة ، وهي آخر كل شيء ونهايته ، وخاتمته . وركن إليه : مال إليه ، واستند واعتمد عليه . والحيل : جمع الحيلة ، وهي الحذق ، وجودة النظر ، وحسن التدبير ؛ والقدرة على دقة التصرف في الأمور .

(١) يعزى : يدعى له بالعزاء ، ويحمل على الصبر والسلوان . والرزء : المصيبة ، جمعه أرزاء . والمزاييل : المفارق .

والمعنى : أن الناس يعزون المرزوء المصاب ، ويحضونه على الصبر الجميل والسلوان ؛ فليتهم يتقدمون بمثل هذه التعزية إلى من أصيب بفقد شبابه ؛ إذ إن فقدان الشباب من الأرزاء الفادحة .

(٢) المفقود الذي يعيش المرء بغيره : كل شيء عدا الشباب . وآخر : أي ومفقود آخر ، والمراد به الشباب . ويزري بالهوى : أي يزري فقدانه بالهوى ، أي يتهاون به . وأزره ، وأزرى به : عابه ، واستخف به ، وأهانته . والهوى : الحب ، وميل النفس إلى شهواتها . والوسائل : جمع الوسيلة ، وهي الوصلة ، ويراد بالوسائل هنا : وسائل الهوى ، أي وسائله ، وصلاته ، وما يقرب المحب من الحبيب .

والمعنى : شتان بين فقدان الشباب وفقدان غيره ؛ فكل شيء يفقده الإنسان غير شبابه

إِذَا الْمَرْءُ لَمْ يَبِكِ الشَّبَابَ فَمَا الَّذِي يَعِزُّ عَلَيْهِ وَهُوَ أَكْرَمُ رَاحِلٍ؟ (٣)

وَقَالَ يَهْجُو عَثْمَانَ رَفِيقِي * :

كُلُّ صَعْبٍ سِوَى الْمَذَلَّةِ سَهْلٌ وَحَيَاةُ الْكَرِيمِ فِي الضَّمِيمِ قَتْلٌ (١)
لَيْسَ يَقْوَى امْرُؤٌ عَلَى الذُّلِّ مَا لَمْ يَكُ فِيهِ مِنْ صِبْغَةِ اللَّؤْمِ دَخْلٌ (٢)
إِنَّ مَرَّ الْجِمَامِ أَغْدَبُ وَرَدًّا مِنْ حَيَاةٍ فِيهَا شَقَاءٌ وَذُلٌّ (٣)

يمكنه أن يسلوه ، ويتعزى عنه ، ويحيا بدونه ، ويجد عوضاً منه ؛ أما الشباب فلا يستعاض ؛
وذهابه يحرم المرء لذة الهوى ووسائله .

(٣) يعز عليه (بوزن يقل) : يكرم عنده ، ويعظم قدره . وأكرم : أفضل ، وأعز .
يقول : إذا لم يبك المرء شبابه الذاهب ، فلا شيء سواه يكرم عنده ، أو يشق عليه ذهابه ؛
فإن الشباب أعظم مفقود ، وأكرم راحل .

(*) «عثمان رفاقي» ضابط شركسي الأصل ؛ كان ناظراً للجهادية في وزارة «مصطفى رياض» سنة
١٨٨٠ ، وعرف بتعصبه للضباط الجراكسة في الجيش المصري ؛ فسخط عليه الضباط
المصريون بزعامة «أحمد عرابي» وطلبوا إقالته ، فحاولت الحكومة محاكمتهم ، فلم
تستطع ؛ فاضطر الخديوي «توفيق» إلى الصفح عنهم ، وإجابة مطالبهم . وفي السادس من
فبراير سنة ١٨٨١ صدر الأمر بعزل «عثمان رفاقي» وتعيين «محمود سامي البارودي» ناظراً
للجهادية بالإضافة إلى وزارة الأوقاف التي كان يشغلها من قبل . وفي اليوم الثاني من أغسطس
سنة ١٨٨١ استقال من وزارتي الجهادية والأوقاف لما أحس أن الخديوي «توفيقاً» يسيء به
الظن ، ويستمتع للذين يتهمونه بممالة الضباط الثائرين وتشجيعهم . وعلى أثر استقالته هجا
بهذه اللامية من سعى به إلى الخديوي «توفيق» ، وزعزع ثقته به ، ونكبه في مطامحه
الشخصية ، وآماله الوطنية .

(١) الكريم هنا : الحر ، الأبي ، العزيز . والضيم : مصدر ضامه ، أي ضاره ، وأذله ، وأهانه .
وضامه حقه : انتقصه ، وغبنه .

(٢) يقوى امرؤ على الذل : يحتمله ، ويرضى به . ويراد بصبغة اللؤم : اللؤم الذي يصبغ اللثيم ،
ويظهره ، ويميزه ، كما تظهر الصبغة الشيء المصبوغ وتميزه . والدخل : الداء الداخل في
أعماق البدن ، أي أن المرء لا يرضى بالذل إلا إذا كان فيه عيب ، أو فساد ، أو داء من طبيعة
اللؤم ونحيزته .

(٣) الحمام : الموت . والورد : الماء الذي يورد ، أي يقصد إليه العطاش للشرب والارتواء .
ويراد بالورد هنا : المذاق .

أَنَا رَاضٍ بِتَبَرِّكَ مَالِي وَأَهْلِي
لَا يَلُمُّنِي عَلَى الْحَفِيظَةِ قَوْمٌ
أَلْفُوا الضِّيمَ خَشِيَةَ الْمَوْتِ وَالضُّيْمِ
كَيْفَ لَا أَنْصُرُ الرَّشَادَ عَلَى الْغَيِّ
إِنَّمَا الْمَرْءُ بِاللُّسَانِ وَيَبَالِقُدُ
قَدِّكَ يَا نَفْسُ فَالْتَّصَبِّرْ إِلَّا
فَالْعَفَافُ الثَّرَاءُ وَالنَّاسُ أَهْلُ (٤)
غَرَّهُمْ مَنْظَرُ الْحَيَاةِ فَضَلُّوا (٥)
مُ - لَعَمْرِي - فَجَعُ خَسِيسٌ وَتُكَلُّ (٦)
يِ وَعَقْلِي مَعِي وَفِي النَّفْسِ فَضْلُ؟ (٧)
بِ فَإِنْ خَابَ مِنْهُمَا فَهَوَ فَسَلُّ (٨)
فِي لِقَاءِ الْحُرُوبِ غَبْنٌ وَجَهْلُ (٩)

(٤) في هذا البيت افتخر بأنه من هؤلاء الذين مجدهم ، ونوه بهم ، وعظم شأنهم ؛ وفي سبيل حرصه على العزة والحرية والكرامة أصابه ما يصيب الأعداء أباة الضيم ؛ فجرد من ماله وراثته ، وأبعد عن أهله ووطنه ؛ فاستقبل هذه البلايا بالرضا والتجلد والطمأنينة ، وعزى نفسه في الشطر الثاني بأن عفته ثروته ، والناس أهله وعشيرته .

وفي هذا البيت دليل على أن الشاعر نظم هذه القصيدة بعد إخفاق الثورة العرابية ، وبعد الحكم عليه ، وعلى أمثاله بالتجريد والنفي .

(٥) الحفيظة : الأنفة ، والحمية ، والغضب المحمود في المحافظة على الحرمات ، وكل ما ينبغي أن يحافظ عليه . وغره : خدعه ، وأطمعه بالباطل .

(٦) ألف الشيء : تعوده ، وأنس به ، واطمأن إليه . وفجع : مصدر فجعته المصيبة (من باب قطع) ، أي أوجعته ، وآلمته إيلاماً شديداً . وخسيس : رذل ، ذنيء . والشكل (بضم فسكون) : الموت والهلاك . والضيم فجع وتكل : أي الضيم موت وهلاك .

(٧) المعنى : أن عقله ونفسه الفاضلة يدعوانه إلى نصره الراشدين ، أباة الضيم ، وطلاب العزة والحرية على الغواة الأذلاء الراضين بالمهانة والمذلة والصغار .

(٨) يراد بالقلب : العقل . وخاب منهما : خسرهما ؛ والمراد لم يحسن الانتفاع بهما . وفسل : ضعيف ، عاجز .

من الحكم الماثورة : « المرء بأصغريه : قلبه ، ولسانه » ؛ وهذا البيت في معنى هذه الحكمة .

(٩) « قد » : اسم بمعنى « حسب » ، أو اسم فعل بمعنى « كفى » أو « يكفي » . « وقدك يا نفس » : أي حسبك ، أو يكفيك . والتصبر : تكلف الصبر ، أو حمل النفس على الصبر . وغبن : خسران ، أو نقص ، أو ضعف . ومن معاني الجهل : الحماقة ، والسفه ، وقلة العقل ، وسوء التصرف .

فَابْعَثِيهَا شِعْوَاءَ يَحْكُمُ فِيهَا
هو إما الْحَمَامُ أَوْ عَيْشَةَ خَضْرَاءٍ
إِنَّ مُلْكًا فِيهِ «فُلَانٌ» وَزَيْرًا
أَهْوَجُ أَحْمَقُ شَتِيمٌ لَيْتَمٌ
صَغُرَتْ رَأْسُهُ وَأَفْرَطَ فِي الطُّولِ
مُنْصَلٌ صَارِمٌ وَرُمَحٌ مِثْلٌ (١٠)
رَأَى فِيهَا لِمَنْ تَفِيًّا ظِلٌّ (١١)
لَمْبَاحٍ لِلْخَائِنِينَ وَبِلٌ (١٢)
أَغْتَمُّ أَبْلَهُ زَنِيمٌ عُتْلٌ (١٣)
شَوَاهُ وَعَنْقُهُ فَهُوَ صَعْلٌ (١٤)

(١٠) الأمر في أول البيت لنفسه ؛ والغرض منه الإرشاد ، أو التحريض ، أو تهديد الطغاة الضائمين . وبعث الحرب أو الغارة : أثارها ، وهيجها ، وأوقد نارها . وشعواء : منتشرة ، متفرقة ، فاشية في ميدان كبير ونطاق واسع . ويحكم : يقضي ، ويفصل . وفيها : في الحرب والقتال من أجل استرداد حياة العزة والحرية والكرامة ؛ ومكافحة طغيان الطغاة المستبدين الظالمين . والمنصل : السيف . وصارم : حاد . ومثلٌ : قوي ، شديد ، يتلّ المطعون ، أي يصرعه ، ويهلكه ، ويرديه .

(١١) « هو » : أي أمرنا ، أو شأننا ؛ أو حالنا ؛ يريد أن أمرنا بين اثنين لا ثالث لهما : إما الحمام ، وإما العيشة الخضراء . والحمام : الموت . ويراد بالعيشة الخضراء : حياة العزة ، والحرية ، والإباء ، والكرامة . وجملة « فيها لمن تفيًا ظل » : أي عيشة خضراء يتفيًا ظلّالها . والعرب تكني بالظل عن العز والمنعة .

(١٢) « فلان » : كناية عن علم لمذكر عاقل ، أي عن اسم المهجوب بهذه القصيدة . وبيل : مباح . وصم المهجوب بالغدر والخيانة ، وقال : إن الدولة ، أو المملكة التي تستوزر مثله فاسدة مفسدة ، ومرعى خصيب لكل خؤون غدار .

(١٣) أهوج : فيه طيش ، وتسرع . وأحمق : من حماقة ، وهي قلة العقل ، وضعف الرأي ، وسوء التصرف . وشتيم : كرية الوجه ، كالح ، أو هي فعيل بمعنى مفعول ، من شتمه : أي سبه ، وانتقصه . وأغتم : عَيِي ، لا يفصح ، ولا يكاد يبين . وأبله : أحمق ، ضعيف العقل ، عاجز الرأي . والزنيم : الدعي ، أي اللاحق بقوم لا ينتسب إليهم ، وليس منهم . والعتل : الجافي ، الغليظ ؛ أو الشديد الخصومة أو الشحيح الممسك ، البخيل ، المناع للخير . ويلاحظ أن في هذا البيت أربع صفات على وزن « أفعل » : هي أهوج ، وأحمق ، وأغتم ، وأبله ؛ وحقها أن تمنع من الصرف ، أي التنوين ؛ وإنما نونت هنا لضرورة وزن الشعر .

(١٤) لعله يكني بصغر رأس المهجوب عن صغر مخه ودماعه ، وما يتبع هذا من قلة فطنته ، وضعف إدراكه . وأفراط : زاد ، وجاوز الحد . وشواه : أطرافه ، أي يدها ورجلاه . وصعل : دقيق الرأس والعنق ، أو طويل .

أَبْرَزَتْ قُدْرَةَ الطَّبِيعَةِ مِنْهُ شَكَلَ لُؤْمٌ إِنْ كَانَ لِلُؤْمِ شَكْلٌ (١٥)
 هَدَفَ لِلْعُيُوبِ فِي كُلِّ عَضْوٍ مِنْهُ سَهْمٌ لِلطَّاعِنِينَ وَنَصْلٌ (١٦)
 نَسَلْتَهُ مِنْ اسْتِهَا أَمْ سُوءٍ مَا لَهَا غَيْرَ طَائِفِ اللَّيْلِ بَعْلٌ (١٧)
 كُنْ كَمَا شِئْتَ يَا فُلَانُ وَمَا شَا عَتْ رِجَالٌ فَأَنْتَ لِلُؤْمِ أَهْلٌ (١٨)
 لَيْسَ تُغْنِي الْأَلْقَابُ عَنْ كَرَمِ الْأَصْدِ لِمَ فَمَجْدُ الْفَتَى عَفَافٌ وَعَقْلٌ (١٩)

- صورة المهجو في هذا البيت : رجل صغير الرأس ، دقيقه ، طويل العنق ، دقيقه . وفي يديه ورجليه طول مفرط ، ضاعف قبح هذه الصورة المعيبة القبيحة .
- (١٥) المعنى : لو كان للؤم صورة ترى لرأيته بارزة في هذا المهجو .
- (١٦) جعل المهجو غرضاً تلاقت فيه العيوب والردائل ، وهدفاً جمع النقائص والمثالب ؛ كما تتلاقى السهام والنصال في الهدف الذي يقصده الرماة . وقال : إن كل عضو من أعضائه فيه سهم أو نصل من سهام الطاعنين ونصالهم ؛ وهذا كله كناية عن كثرة عيوبه ومثالبه ، وكثرة الطاعنين فيه ، والعائبين له ، وكثرة ما أصابه من طعنات التجريح والتقيح .
- (١٧) نسَلْتَهُ : ولدته . واست المرأة : عجيزتها ، وقد يراد بها : حلقة الدبر . وطائِف الليل : الطائف بالليل ، أي الذي يتخذ من الليل ستاراً لطوافه المريب المزري . وطاف الرجل بالنساء : ألم بهن . وبعل المرأة : زوجها .
- (١٨) المعنى : لتكن كما أردت ، وأراده لك أولو الأمر في مصر من علو المنصب ، وبسطة السلطان ، وعظم الجاه ، وفخامة الألقاب ؛ فإن هذا كله لن يمحو شيئاً من لؤمك ؛ إذ اللؤم متأصل فيك .
- (١٩) اللقب : اسم وضع بعد الإسم الأول للتعريف ، أو التشريف ، أو التحقير ، وجمعه ألقاب ، ويراد بالألقاب هنا : ما كان لكبار المستخدمين في الحكومة المصرية من رتب وألقاب مشعرة بالرفعة والمدح ، مثل صاحب المقام الرفيع ، وصاحب الدولة ، وصاحب المعالي ، وصاحب السعادة ، وصاحب العزة . وكرم الأصل : شرف المحتد ، ومجادة الحسب والنسب ، ونباهة الآباء والأجداد . والمجد : العز ، والشرف ، والرفعة ، والعلاء . والفتى (في الأصل) : الشاب الحدث أول شبابه بين المراهقة والرجولة . ويراد به هنا : الرجل في كل طور من أطوار حياته . والعفاف : مصدر عف (بوزن خف) ، أي كف ، وامتنع ، وترفع عما لا يحل ، ولا يجمل من قول أو فعل ؛ فهو عف ، وعفيف .
- المعنى : إنما يمجد المرء ، ويشرف ، ويسمو في مراتب الرفعة والعلاء برجحان عقله ، وصحة تفكيره ، وسداد رأيه ، وشرف منبته ، ومجادة آبائه وأصوله ؛ هذا إلى عفته ،

أَنْتَ مِنْ عُنْصُرٍ لَوْ اتَّكَأَ الذَّرُّ رُ عَلَيْهِ لَادَهُ مِنْهُ حِمْلٌ (٢٠)
 نَزَعَتْكَ الْيَهُودُ وَاخْتَلَفَتْ فِيهِ لَكَ النَّصَارَى فَأَنْتَ لَا شَكَّ بَغْلٌ (٢١)
 إِنَّ بَيْتَ الْوَزَانِ لَمْ يَزِنُوا شَيْءٌ ثَأً وَلَكِنَّ فِيهِمْ عَلَى ذَاكَ ثِقْلٌ (٢٢)
 كَثُرُوا عِدَّةً وَلَوْ أَحْصَنَ الْبَا بَ أَبُوهُمْ عَنِ الزُّنَاةِ لَقَلُّوا (٢٣)
 لَوْ عَزَوْنَا كُلَّ امْرِئٍ لِأَبِيهِ مِنْ فَرَاخِ الْوَزَانِ لَمْ يَبْقَ نَسْلٌ (٢٤)
 كُلُّ وَغْدٍ أَهْدَى إِلَى اللَّؤْمِ مِنْ بَا زٍ وَلَكِنَّ مِنَ الْجِمَارِ أَضْلٌ (٢٥)

ونزاهته ، واستقامته ؛ أما ما يحمله من ألقاب الفخامة والرفعة ، فلا قيمة له ، ولا خير فيه ، ولن يغني عنه ، أو ينفعه ، أو يرفع من شأنه ، أو يدرأ عنه السبة والعار .

(٢٠) العنصر : الأصل . واتكأ : توكأ ، واعتمد ، واستند . والذر : صغار النمل ، الواحدة ذرة . وآده الحمل : أثقله ، وأجهدته .

يقول : إن المهجو من أصل لو استند إليه أصغر النمل لآده ، وأثقله ، وعجز عن حمله ، أو النهوض به . والبيت كناية عن ضعف هذا الأصل وخسته ودنائه وهوانه ؛ فالأصل القوي كريم مجيد ، عزيز شريف ، والأصل الضعيف مهين حقير ، لثيم خسيس .

(٢١) شَبَّهَ المهجو بالبغل في اختلاط أصله ، وانحطاط محتده ، وضياع نسبه ، بعد أن مهد لهذا التشبيه بأن المهجو تائه حيران بين اليهود والنصارى .

(٢٢) يريد بيت المهجو : أهله ، وعترته ، وأسرته . ولم يزنوا شيئاً : أي لا قيمة لهم ، ولا قدر ، ولا اعتبار ، ولا احترام . يقال : « فلان لا يزن شيئاً » : إذا كان ساقط القدر ، والاعتبار . وثقل الشيء على النفس (من باب عظم) : أي كرهته ، ومقتته ، وأبغضته .

يهجو بيت المهجو وأهله وعترته وعشيرته بسقوط القدر ، وهوان الأمر ، وحقارة الشأن ، وأنهم مع هذا ثقال الظل على الناس ، مكروهون ، ممقوتون .

(٢٣) كثروا عِدَّةً : أي كثر عددهم . وأحصن الباب : جعله حصيناً منيعاً ، لا يقرب ، ولا يفتح ، ولا يجترأ عليه .

يقول : إن أهل المهجو وعشيرته كثيرون ، وإن كثرتهم الغالبة أولاد زناً ، ولولا هذا لقلَّ عددهم .

(٢٤) عزونا لأبيه : نسبناه إليه ، وألحقناه به . والفراخ : جمع فرخ ، وهو (في الأصل) : ولد الطائر . ويراد بفراخ الوزان : ذريته ، ونسله ، وأطفاله . والنسل : الولد ، والذرية .

(٢٥) كل وغد : يريد أن كل فرد من أسرة المهجو وأهله وغد ، أي دنياه ، ضعيف العقل .

قَدْ تَغَذَى بِاللُّؤْمِ إِذْ هُوَ طِفْلٌ وَتَمَادَى فِي الْغَيِّ إِذْ هُوَ كَهْلٌ (٢٦)
لَيْسَ فِيهِمْ مَنْ تَحْمَدُ الْعَيْنُ رُؤْيَا هُ وَلَا مِنْهُمْ إِلَى النَّفْسِ خِلٌ (٢٧)
أَذْرَكُوا فِي الْعُيُوبِ أَبْعَدَ خِصْلٍ كُلُّ حَيٍّ لَهُ بِمَا شَاءَ خِصْلٌ (٢٨)
كَيْفَ لَا تَشْمَلُ الدَّنَاءَةُ قَوْمًا نَشَأُوا فِي الصَّغَارِ حِينَ اسْتَهَلُّوا؟ (٢٩)
هُمْ لَعَمْرِي أَذَلُّ مِنْ قَدَمِ النَّعْدِ لِ نَفُوسًا وَالنَّعْلُ مِنْهُمْ أَجَلٌ (٣٠)
كُنْتُ لَا أَحْسِنُ الْهَجَاءَ وَلَكِنْ عَلَّمْتَنِي صِفَاتَهُمْ كَيْفَ أَتْلُو (٣١)

وأهدى : أكثر اهتداء . والباز ، والبازي : طائر من جوارح الطير ، أي الطير المفترسة الصائدة ، أو هو ضرب من الصقور يصاد به ؛ وقد جعله الشاعر مثلاً في سرعة الاهتداء إلى صيده ؛ وقال : إن كل وغد من هؤلاء الأوغاد يعرف اللؤم ويهتدي إليه ، ويتشبث به ، كما يهتدي البازي إلى صيده ، بل أشد وأسرع ، وهو - مع تمام اهتدائه إلى اللؤم - أضل عن الكرم من الحمار ؛ أولعل المراد بالضلال هنا : الغباوة ، وقلة الفطنة .

(٢٦) في هذا البيت يقول الشاعر : إن أطفالهم قد اغتدوا باللؤم ، وربوا عليه ؛ وكهولهم قد تمادوا في الغواية والضلال ، وأمعنوا في الانحراف والفساد ؛ أو أن اللؤم والغواية لازما كل واحد منهما طفلاً وكهلاً ، أي طوال حياته .

(٢٧) ليس فيهم : ليس في بيت المهجو وأهله .

نفى الشاعر أن يكون في بيت المهجو وأهله وعترته من يستأهل الحمد وحسن الثناء ، أو من يرضى عنه الناس ، ويرتاحون له ؛ ونفى أن يكون فيهم كذلك من يصلح للخلافة ، أو للصدقة ، أو الأخوة ؛ بمعنى أنك لن تجد فيهم خليلاً وياً ، أو أخاً مخلصاً ، أو صديقاً صادقاً الود .

(٢٨) الخصل : الغرض ، أو الهدف الذي يتراهن المتخاصلون على رمية وإصابته ، أو بلوغه . ومن كلامهم « أحرز فلان خصله ، أو أصاب خصله » : إذا غلب ، وسبق .

(٢٩) المعنى : أن الدناءة ينبغي أن تشمل المهجوين كلهم أجمعين ، فإذا لم تشملهم كان ذلك مثار العجب والدهش . والصغار : الذل والهوان ، والضعفة والدناءة . واستهلوا : نشأوا ، وولدوا .

(٣٠) وضم نفوس المهجوين بالذل والضعفة ، ونزل بهم في هجائه إلى الدرك الأسفل من الحقارة والمهانة ، وهم دون النعل التي يطاء بها الإنسان الأرض ، والنعل أجل منهم وأعظم . وقد أكد كلامه هذا بالقسم المعترض في الشطر الأول بين المبتدأ وخبره .

(٣١) صفاتهم : صفات المهجو الأصلي وأهله وعشيرته . والمراد صفاتهم الذميمة ، ومعابهم ، ونقائصهم . وتلاه يتلوه : تبعه ، ولحقه .

كُلُّ شَيْءٍ يَفْنَى وَلَكِنْ هِجَائِي فِيكَ بَاقٍ مَا عَاقَبَ السَّيْفَ صَقْلُ (٣٢)
وَقَالَ يَهْجُو (*):

وَصَالِكَ لِي هَجْرٌ وَهَجْرُكَ لِي وَصَلُ فَزِدْنِي صُدُوداً مَا اسْتَطَعْتَ وَلَا تَأَلُ (١)
إِذَا كَانَ قُرْبِي مِنْكَ بُعْداً عَنِ الْمُنَى فَلَا حُمَّتِ اللَّقْيَا وَلَا اجْتَمَعَ الشَّمْلُ (٢)
وَكَيْفَ أَوْدُ الْقُرْبِ مِنْ مُتَلَوِّنٍ كَثِيرِ خَبَايَا الصَّدْرِ شِيْمَتُهُ الْخَتْلُ (٣)

يقول : إنه لم يكن يحسن الهجاء ؛ فلما عرف هؤلاء الأوغاد ، وتأذى بشروهم ومقابحهم ، علمته مناقصهم ومثالبهم كيف يتبع الهجائين ، ويسلك سبيلهم ، ويحتذي مثلهم .

(٣٢) صقل الصاقل السيف ونحوه : أي جلاه ، وملسه ، وكشف صداه . وعاقب الصقل السيف : المراد توالى عليه وتتابع . ولعل الشاعر ربط بقاء هجائه ببقاء احتياج السيف إلى الصقل .

يقول : كل شيء إلى فناء وزوال ما عدا هجاءه في هذا المهجو ، فإنه دائم باق ما بقي احتياج السيف ونحوه إلى الصقل والشحذ .

(*) قيل إن هذه القصيدة في هجاء « نوبار » (١٨٢٥ - ١٨٩٩) ، وهو رجل أرمني الأصل ، له صلة قرابة بـ « بوغوص » و « إرتين » وزيري « محمد علي » . دعاه الأول إلى مصر ؛ فعمل في الترجمة ، وقرأ لمحمد علي تاريخ الثورة الفرنسية ، وكان كاتب أسرار « إبراهيم » ثم « عباس الأول » ثم مديراً لسكك الحديد المصرية في عهد « سعيد » ثم وزيراً مقرباً إلى الخديوي « إسماعيل » سنة ١٨٦٧ ثم رئيساً للوزارة في أغسطس سنة ١٨٧٨ ، وبكفايته وتجاربه مارس السياسة الدولية بنجاح ، وكانت له فيها شهرة ومكانة .

(١) الوصال ، والوصل : ضد الهجر . وصد عنه (كرد) صدأ ، وصدوداً : أي أعرض عنه ، ومال ، وانصرف . وضده الإقبال والوصال . ولا تأل : لا تقصّر ، ولا تتوان ، ولا تبطئ . مضارع « ألا » : أي قصّر .

(٢) المنى : جمع منية ، وهي ما يقدره الإنسان ، ويريده ، ويرغب فيه . وحمّت : قدرت ، وقضيت . والشمل : ما اجتمع من الأمر .

يقول : إن قربه من المهجو يبعده عما يرغب فيه ويتمناه ؛ ولهذا دعا الله تعالى ألا يقدر لقاءهما ، وألا يجمع ما افترق من أمرهما .

(٣) متلون : مختلف الأخلاق ، لا يثبت على خلق واحد ؛ والمراد أنه مخادع ، مراوغ . ويراد بخبايا الصدر : الأحقاد ، والضغائن . وشيمته : خلقه . والختل : الخداع .

فَلَيْتَ الَّذِي بَيْنِي وَبَيْنَكَ يَنْتَهِي
 خَبْتٌ فَلَوْ طَهَّرْتَ بِالمَاءِ لَأَكْتَسَى
 فَوْجَهُكَ مَنْحُوسٌ وَكَعْبُكَ سَافِلٌ
 بِكَ اسْوَدَّتِ الأَيَّامُ بَعْدَ ضِيَائِهَا
 فَلَوْ لَمْ تَكُنْ فِي الدَّهْرِ مَا انْقَضَ حَدِيثُ
 فَمَا نَكْبَةٌ إِلَّا وَأَنْتَ رَسُولُهَا
 أَذْمُ زَمَانًا أَنْتَ فِيهِ وَبِلَدَّةٍ
 إِلَى حَيْثُ لَا طَلْحُ يَرِفُ وَلَا أَثْلُ^(٤)
 بِكَ المَاءُ خُبْتًا لَا يَجِلُّ بِهِ الغَسْلُ^(٥)
 وَقَلْبُكَ مَدْعُورٌ وَعَقْلُكَ مُخْتَلٌ^(٦)
 وَأَصْبَحَ نَادِي الفَضْلِ لَيْسَ بِهِ أَهْلُ^(٧)
 بِقَوْمٍ وَلَا زَلَّتْ بِذِي أَمَلٍ نَعْلُ^(٨)
 وَلَا خَيْبَةٌ إِلَّا وَأَنْتَ لَهَا أَصْلُ^(٩)
 طَلَعَتْ عَلَيْهَا إِنَّهُ زَمَنٌ وَغُلُ^(١٠)

(٤) الطلح : شجر من العضاة ، ترعاه الإبل ، واحدته طلحة . ورف النبات : اهتز من الري والنضارة . والأثل : شجر طويل مستقيم ، جيد الخشب ، كثير الأغصان ، دقيق الورق طويله ، واحدته أثلة (بوزن نخلة) .

يتمنى أن ينتهي ما بينه وبين المهجو إلى واد غير ذي زرع ، ومكان قفر قاحل مجذب .
 (٥) الخبيث : القدر النجس ، وضده التنظيف الطاهر . والخبيث : الخب ، والخداع الخسيس الدنيء المهين . واكتسى بك الماء خبتاً : أي خالطه قدرك ونجسك ، ومازجه .
 (٦) منحوس : مشؤوم . وأعلى الله كعبه : أي رفع شأنه . ولا يزال كعبك عالياً : دعاء له بدوام العلو والرفعة ، والشرف . ورجل عالي الكعب : شريف ، مظفر . وضده سافل الكعب : أي منحط الشأن ، نذل ، خسيس . وقلبه مدغول : خالطه الدغل (بوزن التعب) ، وهو الريبة ، والفساد . وعقله مختل : واهن ، ضعيف ، مضطرب .
 (٧) والمعنى : أن الأيام كانت مشرقة مضيئة ، قبل أن يتولى المهجو أمور الحكم والرياسة ، فلما تولاها ، عمت المفاسد والمظالم ، وتجهمت الدنيا ، وأقفرت أندية الفضل والخير .
 (٨) انقض : نزل ، ووقع . والحادث : النائية ، والكارثة ، والمصيبة . وزلت قدمه : زلقت ، وسقطت ، وعثرت . وزلت النعل بذي الأمل ، أو زلت بالأمل قدمه : أي أخفق ، وخاب أمله ، ولم يتحقق رجاؤه .
 (٩) النكبة : المصيبة ، والكارثة . والمهجو رسول النكبات إلى الناس ؛ لأنه يصلها بهم ، ويحمل إليهم شرورها وأوزارها ، بخبثه ، وفساد ولايته . وهو أصل الخيبة والخسار والبور .
 (١٠) الوغل من الناس : الضعيف ، النذل ، الدنيء ، الساقط ، المقصر في كل شيء .
 اشتد سخط الشاعر على هذا المهجو ؛ فذم الزمان الذي أنبته ووسعه ؛ ورماه بالضعف والمهانة ، والنذالة والدناءة ، والسقوط والهوان . ثم ذم البلدة التي ظهر فيها ، وسمحت له بالإقامة والحياة .

ذِمَامُكَ مَخْفُورٌ وَعَهْدُكَ ضَائِعٌ
مَخَازٍ لَوَانُ النُّجْمِ حُمْلَ بَعْضِهَا
فَسِرٌ غَيْرَ مَا سُوِّفِ عَلَيْكَ فَإِنَّمَا
وَرَأْيُكَ مَا فُؤُونٌ وَعَقْلُكَ مُخْتَلٌ (١١)
لَعَاجِلُهُ مِنْ دُونِ إِشْرَاقِهِ أَفْلٌ (١٢)
قُصَارَى ذَمِيمِ الْعَهْدِ أَنْ يُقَطَعَ الْحَبْلُ (١٣)

وَقَالَ :

إِلَى اللَّهِ أَشْكُو طُولَ لَيْلِي وَجَارَةَ
لَهَا صِبْيَةٌ لَا بَارَكَ اللَّهُ فِيهِمْ
تَبَيْتُ إِلَى وَقْتِ الصَّبَاحِ بِإِعْوَالِ (١)
قَبَاحِ النَّوَاصِي لَا يَنْمَنَ عَلَى حَالِ (٢)

(١١) الذمام : العهد ، والأمان ، وكل حرمة ينبغي أن تصان وتحفظ . ومخفور : منقوض .
والعهد : الميثاق ، والضممان . ومأفون : ضعيف ، ناقص ، مضطرب ، مختلط ، فاسد .

(١٢) المخازي : المعاييب ، والفضائح . وأفل : أفول ، ومغيب .
يقول : لو حمل النجم بعض ما يندس المهجو من المخزيات والفضائح لأفل مسرعاً ،
واستحيا من الإشراق ؛ يريد : لو كان في المهجو مثقال ذرة من الخجل والحياء ، لانزوى
بمخازيه ، وتوارى عن الناس .

(١٣) القصارى : الجهد ، والغاية ، وآخر الأمر . ويراد بالعهد : المعرفة والصحة . ويراد
بالحبل : صلة التعارف ، والمودة .

ختم الشاعر هذه الأهجوة بإعلان قطيعته للمهجو ؛ وقال : إن مثله لا يؤسف عليه ، إذ
كان مخفور الذمام ، سيء الصحة ، لا يحفظ عهداً ، ولا يكاد يحفل بشيء من حقوق
الإخاء ، وحسبه أن يجتنب ويقاطع .

ويبدو أن المهجو كان يشغل منصباً كبيراً عالياً من مناصب الحكومة ، فلما اعتزله ، أو أقيـل
منه ، استشعر الناس السرور ، وانفرج الغم الكارب .

أشار الشاعر بهذا البيت إلى سوء عهد المهجو ، أي سوء زمانه ، وارتياح بني وطنه
لإقالته ، أو اعتزاله ؛ فإن مثله لا يؤسف عليه ، ونهاية أمره أن تقطع صلته بالحكومة ، أو
تنقطع صلاته بالناس ، وتطوى سيرته .

(١) اعتادت هذه الجارة أن تبيت الليل كله صاحبة صائحة معولة ؛ فأزعجت الشاعر بإعوالها
وجلبتها ، وأرقتة ، وأطالت ليله ، ففزع إلى الله تعالى يشكو إليه ما يكابده ويقاسيه .

(٢) لها : للجارة . والنواصي : جمع الناصية ، وهي مقدم الرأس ؛ ويراد بالنواصي هنا :
الوجوه . و « لا ينمن على حال » : أي لا ينعسون طوال الليل ، فالسهر يلازمهم ، ولياليهم
كلها ساهرة في كل الأحوال .

صَوَارِخُ لَا يَهْدَانُ إِلَّا مَعَ الضُّحَا
تَرَى بَيْنَهُمْ - يَا فَرَّقَ اللَّهُ بَيْنَهُمْ -
كَأَنَّهُمْ - مِمَّا تَنَازَعْنَ - أَكْلُبُ
فَهَجْنَ جَمِيعاً هَيْجَةً فُرِّعَتْ لَهَا
فَلَمْ يَبْقَ مِنْ كَلْبٍ عَقُورٍ وَكَلْبَةٍ
مِنَ الشَّرِّ فِي بَيْتٍ مِنَ الخَيْرِ مِمَّحَالٍ (٣)
لَهَيْبٍ صِيَاحٍ يَصْعَدُ الفَلَكَ العَالِي (٤)
طُرُقْنَ - عَلَى حِينِ المَسَاءِ - بِرِثَالٍ (٥)
كِلَابُ القُرَى مَا بَيْنَ سَهْلٍ وَأَجْبَالٍ (٦)
مِنَ الحَيِّ إِلَّا جَاءَ بِالعَمِّ وَالخَالِ (٧)

(٣) صوارخ : جمع صارخة ، اسم فاعل من الصراخ ، أو الصريخ ، وهو الصياح الشديد . ولا يهدان : أي لا يهدان من الشر ، أي شرهن متصل ؛ ويراد بالشر : المشاجرة ، والخصام ، في إعوال ، وجلبة ، وصياح ، وضجيج . والممحال : الماحل ، المقفر ، المجدب . و« من الخير » : متعلق به .

(٤) « بينهم » : بين هؤلاء الصبية . و« فرق الله بينهم » : جملة دعائية ، فهو يدعو عليهم بالفرق لأنه إذا افترق شملهم انتهى صياحهم ، واستراح منه الشاعر ، واستطاع أن يطعم لذة النوم . ولهيب صياح : أي صياحاً كلهيب النار في توقده ، وشدته ، وارتفاعه ، وإيدائه . والفلك : الفضاء في السماء ، يدور فيه النجم . والعالي : صفة مؤكدة له ؛ لأن الفلك لا يكون إلا عالياً . ويلاحظ أن الشاعر عبر في أول البيت بالفعل المضارع « ترى » مراعيًا للهيبة ؛ فإنه يدرك بحاسة البصر . أما الصياح فيدرك بحاسة السمع . كما يلاحظ أنه في هذا البيت والبيتين السابقين والبيت الآتي يذكر الضمير أحياناً باعتبار معنى « الصبية » (جمع صبي) ، ويؤنثه أحياناً باعتبار اللفظ .

شبه صياح هؤلاء الصبية بلهيب النار المتوقدة المتأججة في عنفه وقسوته ، وعلوه وارتفاعه ، وبالغ في هذا المعنى الأخير ؛ فقال إنه يبلغ الأفلاك والكواكب ؛ ودعا على هؤلاء الصبية ، بافتراق الشمل ؛ ليستريح من جلبتهم وضوضائهم ؛ ويجد ما يتمناه ويشتهي من النوم والراحة .

(٥) تنازعتن : اختلفن وتخاصمن . وأكلب : جمع كلب . وطرقت القوم : أتيتهم ليلاً . والرثال : الأسد أو الذئب .

شبه هؤلاء الصبية الصاخبين الصارخين المتنازعتين بكلاب طرقها مفاجئاً ذئب أو أسد ، فثارت ، وعلا نباحها .

(٦) هاج : ثار ، واضطرب . وفرعت : ذعرت ، وخافت .

(٧) عقور : صيغة مبالغة من عقره ، أي عضه . وجاء بالعم والخال : أي استدعى جميع ما اتصل به من الكلاب .

وَفَزَعَتِ الْأَنْعَامُ وَالْخَيْلُ فَأَنْبَرَتْ تُجَاوِبُ بَعْضًا فِي رُغَاءٍ وَتَضْهَالِ (٨)
 فَقَامَتْ رِجَالُ الْحَيِّ تَحْسَبُ أَنَّهَا أَصِيَّتْ بِجَيْشٍ ذِي غَوَارِبَ ذِيَالِ (٩)
 فَمِنْ حَامِلٍ رُمْحًا وَمِنْ قَابِضٍ عَصًا وَمِنْ فَرَعٍ يَتْلُو الْكِتَابَ بِإِهْلَالِ (١٠)
 وَمِنْ صِبْيَةٍ رِيَعَتْ لِذَاكَ وَنَسْوَةٍ قَوَائِمَ دُونَ الْبَابِ يَهْتَفْنَ بِالْوَالِي (١١)
 فَيَارِبُّ هَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ تَصَبُّرًا عَلَى مَا أَقَاسِيهِ وَخُذْهُمْ بِزُلْزَالِ (١٢)

وَقَالَ فِي الزُّهْدِ :

يَا قَلْبُ مَا لَكَ لَا تُفِي قُ مِنْ الْهَوَىٰ يَا قَلْبُ مَا لَكَ ؟ (١)

- (٨) فزعت : روعت . والأنعام : جمع النعم ، وهي الإبل ، والبقر ، والغنم ، والخيول . وانبرى له الشيء : اعترض له ، ووقف في سبيله . ومعنى انبراء الأنعام والخيول هنا : أنها لما فزعت نهضت من مباركتها ، لمقاومة العدو المفاجيء ، والتصدي له . وجاوبه يجاوبه مجاوبة : حاوره ، ورد كل منهما على الآخر ، أو أجاب سؤاله . والرغاء : صوت الإبل وضجيجها . والتضهال : صوت الخيل ، وهو مصدر على وزن « تفعال » ، للدلالة على الكثرة والمبالغة .
- (٩) الحي : البطن من بطون العرب ، وهو أصغر وأقل عدداً من القبيلة ، والحي أيضاً : محلة القوم ، أي ديارهم ومنازلهم التي يحلون بها . وجيش ذو غوارب : كثير ، جرار . وذيال : نعت ثان لجيش ، والمراد أنه كثير جرار ؛ على التشبيه بالفرس الذيال ، وهو الطويل الذيل .
- (١٠) « من » في هذا البيت : بيانية ؛ وقد كررت ثلاث مرات لبيان ثلاث طوائف ، أو ثلاث جماعات . والإهلال : مصدر أهل ، أي رفع صوته .
- (١١) ريعت : أفزعت ، وأخيفت . ولذلك : أي بسبب هيجان الكلاب والدواب واستيقاظ الرجال وتأهبهم للدفاع . وقوائم : قائمات ، جمع قائمة . ودون الباب : وراءه ، أو أمامه ، أو على مقربة منه . وهتف به : صاح به ، ودعاه . والوالي : الحاكم .
- (١٢) تصبر على الأمر : صبر . وتصبر : حمل نفسه على الصبر ، وتصبر : تكلف الصبر ، أي تجشمه على مشقة . وخذهم : أمر من أخذه بذنبه ، أي جازاه وعاقبه .
- افتتح الشاعر هذه القصيدة بالشكوى إلى الله وحده ، واختتمها بدعاءين : أولهما أن يمنحه الله القوة والصبر على احتمال ما يكابده ويضانيه من شرور جارتة وصبيانها ، والآخر أن ينتقم له منها ومنهم ، ويعاقبهم عقوبة رادعة زاجرة .
- (١) كرر الشاعر النداء والاستفهام « يا قلب ، ما لك » ؟ مرتين ؛ لتأكيد المعنى ، والإلحاح به ،

أَوْ مَا بَدَا لَكَ أَنْ تَعُو دَعَنِ الصَّبَا أَوْ مَا بَدَا لَكَ؟ (٢)
 أَمْ خِلْتِ أَنَّ يَدَ الزَّمَا نِ قَصِيرَةً عَنْ أَنْ تَنَالَكَ؟ (٣)
 هَيْهَاتَ صَدَّ بِكَ الْهُوَى عَنْ أَنْ تَرِيْعَ وَلَنْ إِخَالَكَ (٤)
 سَلِّمْ أُمُورَكَ لِذِي أَنْشَاكَ مِنْ عَدَمٍ وَعَاَلِكَ (٥)
 وَدَعِ التَّعَلُّقَ بِالْمُحَا لِ فَإِنَّهُ يَبْرِي مِحَالَكَ (٦)
 فَعَسَاكَ تَنْزِعُ مِنْ يَدِ الْ أَهْوَاءِ يَا قَلْبِي حِبَالَكَ (٧)

وَقَالَ فِي الزُّهْدِ ، وَهِيَ مِنْ لُزُومٍ مَا لَا يَلْزَمُ :

أَيْهَا الْمَغْرُورُ مَهْلًا لَسْتَ لِتَتَّكْرِمَ أَهْلًا (١)

- فهو بالنداء ينبه قلبه ، ويزجره ؛ وبالاستفهام يلومه في تعجب ، ويأمل أن يفيق من الهوى ، ويعود إلى الرشاد .
- (٢) تعود عن الصبا : أي تفلح عنه ، وترجع ، وتكف . والصبا : اللهو واللعب ، والجهل والفتوة .
- (٣) خال الشيء يخاله : ظنه .
- يقول : أم ظننت أن الزمان عاجز عن أن يدركك بأفاته وأسوائه .
- (٤) «هيهات» : اسم فعل بمعنى «بُعَدَ» . وصدته عن كذا : منعه ، وصرفه عنه . وصد بك الهوى : أي أمعنت فيه ، فابتعد بك . وراع يريع : عاد ، ورجع . ولن إخالك : أي ولن أظنك مقلعاً عن الهوى ، عائداً إلى الهدى .
- (٥) أنشاك : أصله الهمز ، من الإنشاء : وهو الخلق والإيجاد . وعالك : كفلك ، وورزقك ، ويسر لك أسباب المعيشة والحياة .
- (٦) دع : اترك ، واجتنب . والمحال (بضم الميم) : ما اقتضى الفساد من كل وجه ، ومن معانيه : الباطل ، والمعوج ، وغير الممكن . ويبري : يضعف ، أو يهدم . والمحال (بكسر الميم وفتحها) : القوة ، والقدرة .
- (٧) تنزع : تنتزع ، وتقتلع . ونزع الحبال من يد الأهواء : كناية عن الإفاقة منها ، والإقلاع عنها ، واجتناب اللهو والمجانة .
- (١) المغرور : المخدوع ، ويراد به هنا : المشغوف بالدنيا ، المقبل عليها في غير قصد أو اعتدال ؛ لأنها تغره بزخرفها وزينتها ، وتخدعه ، وتطمعه بالباطل . ومهلاً : أي تمهل ،

كَيْفَ صَادَفَتْ الْأَمَانِي ؟ هَلْ رَأَيْتَ الصَّعْبَ سَهْلًا ؟ (٢)
 خَلَّتْهَا مَاءٌ نَمِيرًا فَاشْرَبَنْ عَلًا وَنَهْلًا (٣)
 أَيَنَّ أَهْلُ الدَّارِ فَاَنْظُرْ هَلْ تَرَى بِالدَّارِ أَهْلًا ؟ (٤)
 رَبُّ حُسْنٍ فِي ثِيَابٍ عَادَ غَسْلِينَا وَمُهْلًا ؟ (٥)
 وَعُيُونٍ كُنَّ سُودًا صِرْنَ عِنْدَ الْمَوْتِ شُهْلًا (٦)
 سَوْفَ يَلْقَى كُلُّ بَاغٍ فِي الْوَرَى خِزْيًا وَبَهْلًا (٧)

- واتند ، ولا تعجل . والمراد : تفكر ، وتدبر ، ولا تتخدع بالدنيا ، ولا تتهافت عليها . وفلان
 أهل للكرم : مستحق له ، جدير به .
- (٢) صادفت : وجدت ، ولقيت . والأماني : جمع الأمنية ، وهي المنية ، والبغية ، أي ما يتمناه
 الإنسان ، وابتغيه .
- (٣) خلتها : خلت الأماني ؛ أي ظننتها . والخطاب للمغرور بالدنيا . والماء النмир : الطيب ،
 الهنيء ، المريء . والنهل (بوزن الطرب) : الشرب الأول ، أو الشرب المروي ؛ وتسكين
 الهاء هنا لضرورة وزن الشعر . والعل (ومثله العلل ، بوزن الملل) : الشرب الثاني ، أو هو
 الشرب بعد الشرب تباعاً .
- (٤) في سبيل العظة والاعتبار وجه الشاعر الأنظار إلى من طواهم الردى ، وأخنى عليهم الدهر من
 أهالي الديار الخاوية ، والمنازل الخالية .
- (٥) يراد بالحسن : محاسن الحسان الغانيات . ويراد بالثياب : ثيابهن التي كن يتبخترن فيها ،
 ويزدهين بها قبل أن يدركهن الموت . وعاد : صار ، أي الحسن ، والجمال . والمراد صار
 بعد الموت . والغسلين (في الأصل) : ما يخرج من الثياب ونحوها بالغسل ، أي الماء الذي
 يسيل منها مختلطاً بأقذارها بعد غسلها وعصرها . ويراد بالغسلين هنا : ما يسيل من أجساد
 الموتى إذا انحلت ، وتعفنت ، وتقيحت بعد الموت . والمهل : القيح ، وصديد جسد
 الميت .
- (٦) شهل : جمع شهلاء ، صفة من الشهل ، أو الشهلة ، وهو أن يشوب سواد العين ، حمرة ، أو
 زرقة ، أو أن يخالط بياضها كدرة .
- (٧) الباغى : الظالم ، والمعتدي . والورى : الخلق ، والناس . والباغي في الورى : الظالم
 للناس ، والمعتدي عليهم . والخزي : الذل ، والهوان . والبهل : اللعن ، مصدر بهله الله
 (من باب منع) : أي لعنه ، وطرده من رحمته ، وأبعده عن الخير .

إِنَّمَا الدُّنْيَا غُرُورٌ لَّمْ تَدْعَ طِفْلاً وَكَهْلاً^(٨)
كَمْ حَكِيمٍ ضَلَّ فِيهَا فَاکْتَسَى بِالْعِلْمِ جَهْلاً^(٩)

(٨) غرور (بضم العين) : خداع ، وباطل ، أو هي « غرور » (بوزن صبور) : أي غرارة ، خداعة .

(٩) الحكيم : العالم الفيلسوف ، وذو الحكمة . وضل فيها : ضل في الدنيا . واكتسى : لبس الكسوة ، أي الثياب . والمراد « استبدل » . وبالعلم : بدل العلم ؛ فالباء هنا للبدل .

قافية الميم

وَقَالَ فِي صِبَاهُ :

بِقُوَّةِ الْعِلْمِ تَقْوَى شَوْكَةَ الْأُمَمِ فَالْحُكْمُ فِي الدَّهْرِ مَنْسُوبٌ إِلَى الْقَلَمِ (١)
كَمْ بَيْنَ مَا تَلْفِظُ الْأَسْيَافُ مِنْ عَلَقٍ وَبَيْنَ مَا تَنْفُثُ الْأَقْلَامُ مِنْ حِكْمِ (٢)
لَوْ أَنْصَفَ النَّاسُ كَانَ الْفَضْلُ بَيْنَهُمْ بِقَطْرَةٍ مِنْ مِدَادٍ لَا يَسْفِكُ دَمِ (٣)
فَاعَكِفْ عَلَى الْعِلْمِ تَبْلُغْ شَأْوَ مَنْزِلَةٍ فِي الْفَضْلِ مَحْفُوفَةٍ بِالْعِزِّ وَالْكَرَمِ (٤)

(١) يراد بقوة العلم : اتساعه ، وانتشاره ، وشموله . والشوكة : القوة ، والبأس . والحكم : القضاء ، والفصل في المخاصمات والمنازعات . والحكم : الولاية ، والإدارة ، والملك ، والسلطان . والقلم : أداة الكتابة . والكتب : أوعية العلم والحكمة والثقافة والعرفان .

(٢) « كم » هنا : خبرية ، بمعنى كثير ، يشير بها الشاعر إلى كثرة الفوارق بين السيف والقلم . ولفظ الشيء من فمه ، ولفظ به : رمى به ، وطرحه ، وألقاه . والعلق : الدم الغليظ ، أو الجامد . ويراد به هنا : الدم مطلقاً . ونفث الشيء من فيه : رمى به . ونفث الأقلام : تعبير مجازي يراد به الكتابة . ونفث القلم : كتب . ونفث الحكمة : سطرها . و« حكم » : جمع حكمة ، وهي الفلسفة ، أو القول الوجيز الرائع الذي يتضمن حكماً صحيحاً ، أو الكلام الذي يوافق الحق ، ويقبل لفظه ، ويجل معناه ، أو صواب الأمر ، وسداده ، أو ما يطابق الحلم والعدل من الأقوال والأعمال .

(٣) يشير بقطرة المداد ، أي الحبر ، إلى ما ينفثه القلم من الحكم البالغة ، وأخبار الماضين ، والعلوم النافعة في الدنيا والآخرة . وسفك الدم : سفحه ، وإراقته .

والمعنى : لو عدل الناس ، لاعتبروا حيازة الفضل بينهم بالعلم والحكمة والمعرفة النافعة ، لا بإراقة الدماء والبغي والعدوان .

(٤) عكف على الشيء : أي أقبل عليه مواظباً ، ولازمه . والشأو : الغاية ، ومنتهى الشيء ،

فَلَيْسَ يَجْنِي ثَمَارَ الْفُوزِ يَانِعَةً مِنْ جَنَّةِ الْعِلْمِ إِلَّا صَادِقُ الْهِمَمِ (٥)
لَوْلَمْ يَكُنْ فِي الْمَسَاعِي مَا يَبِينُ بِهِ سَبَقُ الرِّجَالِ تَسَاوَى النَّاسِ فِي الْقِيَمِ (٦)
وَلِلْفَتَى مُهْلَةٌ فِي الدَّهْرِ إِنْ ذَهَبَتْ أَوْقَاتُهَا عَبَثًا لَمْ يَخْلُ مِنْ نَدَمِ (٧)
لَوْلَا مُدَاوَلَةُ الْأَفْكَارِ مَا ظَهَرَتْ خَزَائِنُ الْأَرْضِ بَيْنَ السَّهْلِ وَالْعَلَمِ (٨)
كَمْ أُمَّةٍ دَرَسَتْ أَشْبَاحَهَا وَسَرَتْ أَرْوَاحَهَا بَيْنَنَا فِي عَالَمِ الْكَلِمِ (٩)

ومداه . والمنزلة : المكانة ، والمرتبة . والفضل (في الأصل) : الزيادة ، وأكثر ما يستعمل في الزيادات المحمودة ، كفضل العلم والمعرفة ، والحلم والوقار ، والبر والخير ، والمروءة والإحسان . وقد يأتي مرادفاً للفضيلة ، فالفضل والفضيلة ، ضد النقص والرديلة . والفضل : كل عطية ، أو هبة ، أو معونة يتبرع بها المرء من غير إلزام ، وبلا سؤال ، أو قبل السؤال . ومحفوفة بالعز : أي يحيط بها من كل وجه .

(٥) يانعة : ناضجة وحان قطافها . والهمم : جمع الهمة ، وهي العزم القوي ، والإرادة القاطعة . ما زال الشاعر ينوّه بالعلم ، ويرغب فيه ، ويحض على طلبه . وهو هنا يشبّهه بالحديقة ذات النخيل والأشجار . ويقول إنما يفوز بأثماره اليانعة الناضجة ، من صدقت عزيمته ، وسمت همته .

(٦) المساعي : جمع المسعاة ، وهي المكرومة ، أو السعي في تحصيل المجد ، وأعمال الكرم . ويبين : يظهر ، ويتضح . وقيمة الشيء : قدره ، وجمعها قيم .

(٧) المهلة (بضم فسكون) : اسم من أمهلتها إمهالاً ، ومهلتها تمهياً : أي أنظرتها ، وأجلته ، ولم أعاجله ، ويراد بالمهلة هنا : زمن الفتاة والشباب ، وصحة الجسم ، وقوة الإدراك ؛ وهو زمن السعي ، والنشاط ، والعمل ، والإنتاج . وفي الدهر : أي في دهر الفتى ، أي في عمره وزمن حياته . والعبث : اللعب واللهو ، وما لا فائدة فيه من الأقوال والأعمال . وذهبت الأوقات عبثاً ، ضاعت في غير فائدة . ولم يخل : المراد لم يسلم .

(٨) مداولة الأفكار : إدارتها بين المفكرين ، وتبادلها . ويراد بخزائن الأرض : كنوزها ، وذخائرها وخيراتها الخفية . والسهل من الأرض : ما كان ممتداً ، منبسطاً ، وهو خلاف الحزن (بفتح فسكون) . والعلم : الجبل .

(٩) درست : فنيت ، وزالت . والأشباح : جمع شبح ، وشبح الشيء : ظلّه وخياله . ويراد بالأشباح هنا : أشخاص الناس وأجسادهم بعد الموت . يقال : هم أشباح بلا أرواح . وسرت : سارت ، من السرى ، وهو السير ليلاً ، ويراد به هنا : الحركة والحياة . ويراد بعالم الكلم : ما نقرؤه ، وتداوله من أخبار الأمم الخالية وسيرها ، وعلومها ، وفنونها ، وآدابها .

فَانظُرْ إِلَى الْهَرَمَيْنِ الْمَائِلَيْنِ تَجِدُ
صَرَحَانِ مَا دَارَتِ الْأَفْلَاكُ مُنْذُ جَرَتْ
تَضْمَنًا حِكْمًا بَادَتْ مَصَادِرُهَا
قَوْمٌ طَوْتُهُمْ يَدُ الْأَيَّامِ فَاَنْقَرَضُوا
فَكَمَّ بِهَا صُورَ كَادَتْ تُخَاطِبُنَا
تَتْلُو « هَرَمِسَ » آيَاتٍ تَدُلُّ عَلَى
غَرَائِبًا لَا تَرَاهَا النَّفْسُ فِي الْحُلْمِ (١٠)
عَلَى نَظِيرِهِمَا فِي الشَّكْلِ وَالْعِظَمِ (١١)
لَكِنَّهَا بَقِيَتْ نَقْشًا عَلَى رَضَمٍ (١٢)
وَذَكَرَهُمْ لَمْ يَزَلْ حَيًّا عَلَى الْقَدَمِ (١٣)
جَهْرًا بِغَيْرِ لِسَانٍ نَاطِقٍ وَفَمٍ (١٤)
فَضْلٍ عَمِيمٍ وَمَجْدٍ بَاذِخِ الْقَدَمِ (١٥)

(١٠) يقول: إن الهرمين العظيمين القائمين على الهضبة الغربية تجاه الجيزة لما يدهش الألباب، ويشير العجب العجاب؛ وإنهما أغرب من غرائب حلم الحالم، ورؤيا النائم.

(١١) صرحان: مثني صرح، وهو البناء العالي، الذهاب في السماء. ودارت الأفلاك: أي تعاقب الزمان. وعلى نظيرهما: أي على نظير الهرمين. ونظير الشيء: مثله، ومساويه. والمعنى: أن الدنيا لم تعرف لهذين الهرمين العظيمين مثيلاً، أو شبيهاً، أو نظيراً في الهيئة والصورة، والعظمة والضخامة.

(١٢) تضمنا: اشتملاً. وبادت: هلكت، وفنيت. ومصادرها: مصادر الحكم. والنقش: الأثر، أو هي فعل بمعنى مفعول: أي بقيت منقوشة، أي مكتوبة بالحفر. والرضم: الصخور العظيمة.

(١٣) «قوم»: الإشارة إلى قدماء المصريين، وبناء الأهرام. وطوتهم يد الأيام: أبادهم الدهر، وأفناهم. وانقرضوا: هلكوا، وبادوا، ولم يبق منهم أحد. والذكر: الصيت. ويراد بحياة الذكر: خلوده وبقاؤه.

(١٤) يشير إلى كثرة ما يرى في داخل الهرمين على الرضم والصخور والجدران من صور غاية في الإتقان والوضوح، تدل على مهارة راسميها، وتنطق بنبوغهم، وتشهد بفضل أصحابها، وتحدثك بما كان لهم من عزٍّ ومجد، وبأس وسلطان.

(١٥) «تتلو»: تقرأ. والمراد: تدل دلالة واضحة. و«هرمس» (بالسين أو الزاي): الاسم اليوناني للمعبود المصري القديم «توت» وكان - فيما يزعمون - رسول السماء إلى الأرض، يحمل إلى الناس العلم، والحكمة، والمعرفة؛ ولعل الشاعر يشير به إلى بناء الأهرام، وعلماء مصر الأقدمين وحكماؤها وفنانيها، كأنه أطلق هذا المعبود، وأراد الذين حملوا عنه العلم، والفن، والحكمة، والعرفان. وآيات: علامات، وأمارات، ودلائل. والفضل (في الأصل): الزيادة. وكثر استعماله في الزيادة المحمودة كفضل العلم والعقل. ويمكن الإشارة به هنا إلى العبقرية والنبوغ. وعميم: عام، شامل. والمجد: العز، والشرف. وباذخ: عال، مرتفع.

آيَاتٍ فَخْرِ تَجَلَّى نُورُهَا فَغَدَتْ مَذْكُورَةً بِلِسَانِ الْعُرْبِ وَالْعَجَمِ (١٦)
وَلَاخَ بَيْنَهُمَا «بَلْهَيْبٌ» مُتَّجِهَاً لِلشَّرْقِ يَلْحَظُ مَجْرَى النَّيْلِ مِنْ أُمَّمِ (١٧)
كَأَنَّهُ رَابِضٌ لِلوَثْبِ مُنْتَظِرٌ فَرِيَسَةً فَهَوَيْرَعَاهَا وَلَمْ يَنْمِ (١٨)
رَمَزٌ يَدُلُّ عَلَى أَنَّ الْعُلُومَ إِذَا عَمَّتْ بِمِصْرَ نَزَتْ مِنْ وَهْدَةِ الْعَدَمِ (١٩)
فَاسْتَيْقَظُوا يَا بَنِي الْأَوْطَانِ وَانْتَصِبُوا لِلْعِلْمِ فَهَوَ مَدَارُ الْعَدْلِ فِي الْأُمَّمِ (٢٠)
وَلَا تَظُنُّوا نَمَاءَ الْمَالِ وَانْتَسِبُوا فَالْعِلْمِ أَفْضَلُ مَا يَحْوِيهِ ذُو نَسَمِ (٢١)
فَرُبَّ ذِي ثَرْوَةٍ بِالْجَهْلِ مُحْتَقِرٍ وَرُبَّ ذِي خَلَّةٍ بِالْعِلْمِ مُحْتَرَمِ (٢٢)

(١٦) تجلى : ظهر وبان . وغدت : صارت .

(١٧) لاح : بدا وظهر . وبينهما : بين الهرمين . و«بلهيب» : أبو الهول ، ويسميه الإغريق «سفنكس» . وفي أيام الأسرة الثامنة عشرة اشتد إقبال الناس عليه ، وقدسه الكنعانيون الوافدون على مصر في عهد دولة الفراعنة الحديثة ، وأقاموا في جواره ، وسموا المكان كله من حول هذا الصنم «بوحول» ، ثم صحف ، فصار «أبو الهول» : وهو تمثال عظيم ضخم هائل ، له رأس إنسان ، وجسم أسد : رمزاً للعقل والقوة معاً . وقد نحت من صخرة واحدة ضخمة ، طوله ثلاثة وسبعون متراً ونصف متر ، وارتفاعه عشرون متراً . ويظن أنه أنشئ في عهد الملك «خفرع» من ملوك الأسرة الرابعة في الدولة المصرية القديمة ، قبل ميلاد المسيح عيسى بن مريم عليه السلام بنحو ألفين وثمانمائة عام . ويعد «أبو الهول» عجيبة من أروع العجائب .

(١٨) رابض : مقيم ، والمراد إقامة تربص ، وتأهب واستعداد . والوثب : مصدر وثب ، أي نهض ، وقفز ، وهجم . ويرعاها : يراقبها ، ويتربص بها .

(١٩) نزت : وثبت ونهضت . والوهدة : الأرض المنخفضة ، والحفرة البعيدة القعر .

(٢٠) يراد بالأوطان : مصر . وبنو الأوطان : المصريون ، وغيرهم من بني الأوطان المتخلفة ، وأهلها الغافلين عن العلم . وانتصبوا للعلم : تهيأوا له ، وانهضوا به . والعلم مدار العدل : أي العدل يدور على العلم ، أي يقوم عليه ، ويستند إليه ، ويحيا به .

(٢١) لا تظنوا نماء المال : أي لا تحسبوا نماء المال وحده منهضاً لجامعه ومنميه . وانتسب : ذكر نسبه ، أي عدّ آباءه وأقرباءه . والمعنى : اذكروا العلماء الأجلاء من آبائكم ، أو المعنى : انتسبوا للعلم ، واجتهدوا في طلبه وتحصيله . ويحويه : يجمعه ، ويحصله . وذو النسم : الإنسان . والله باريء النسم : أي خالق النفوس .

(٢٢) «رب» في شطري هذا البيت تفيد التكثير ، أي الجاهل محقر بسبب جهله ولو كان ثرياً ،

شِيدُوا الْمَدَارِسَ فَهِيَ الْغَرْسُ إِنْ بَسَقَتْ أَفْنَانُهُ أَثْمَرَتْ غَضًّا مِنَ النَّعْمِ (٢٣)
 مَعْنَى عُلُومٍ تَرَى الْأَبْنَاءَ عَاكِفَةً عَلَى الدَّرُوسِ بِهِ كَالطَّيْرِ فِي الْحَرَمِ (٢٤)
 مِنْ كُلِّ كَهْلٍ الْحِجَا فِي سِنِّ عَاشِرَةٍ يَكَادُ مَنْطِقُهُ يَنْهَلُ بِالْحِكْمِ (٢٥)
 كَانَهَا فَلَكُ لَاحَتْ بِهِ شُهْبٌ تُغْنِي بِرَوْنِقِهَا عَنْ أَنْجَمِ الظُّلْمِ (٢٦)

والعالم محترم بسبب علمه ولو كان فقيراً . والخلة (بفتح الخاء) : الحاجة والفقير . وذو الخلة : الفقير المحتاج .

(٢٣) شيدوا : أمر من شاد البناء ، أي رفعه ، وأعلاه . والغرس : المغروس من الشجر . ويراد بالغرس : تلاميذ المدارس وطلابها . وبسقت : طالت ، وتم ارتفاعها . وأفنانه : أفنان الغرس ، جمع فنن : وهو الغصن المستقيم من الشجرة . والغض : الطري ، الناعم من النبات والتمر ونحوه . وثمار المدارس ونعمها الغضة : هم خيار المتعلمين الذين تخرجوا في مختلف العلوم والفنون والآداب .

(٢٤) المعنى : المنزل الذي غني به أهله ، أي أقاموا فيه ، وجمعه المغاني . والتقدير : هي (أي المدارس) مغنى علوم . ويراد بالأبناء : تلاميذ المدارس وطلبتها . وعاكفة : اسم فاعل من عكف على الشيء ، أي أقبل عليه مواظباً ، ولزمه ، ولم ينصرف عنه . والحرم : البيت الحرام .

يقول : إن المدارس مغاني العلوم ، وإن تلاميذها وطلبتها يعكفون فيها على الدرس ، والتحصيل في أمن ودعة ، وطمأنينة ؛ كأنهم طير المسجد الحرام بمكة ، فيه الأمن والطمأنينة ورخاء البال .

(٢٥) كهل الحجا : ناضج العقل ، قوي التفكير . وفي سنِّ عاشرة : مبالغة ، قصد بها تعظيم شأن التلاميذ . وينهل : يجري ، مستعار من انهلال السماء بالمطر ، وهو انصبابه بشدة وقوة ، مع صوت . والحكم : جمع حكمة ، وهي العلم ، والفلسفة ، ومعرفة أفضل الأشياء بأفضل العلوم ، وكل كلام بليغ ، قلّ لفظه وجلّ معناه ، ودعا إلى الهدى والرشاد .

(٢٦) كأنها : كأن المدارس ومغاني العلوم . والشاعر يريد بها دور العلم في مراحل التعليم كلها . والفلك : الفضاء في السماء . ولاحت : بدت ، وظهرت . وبه : بالفلك ، والشهب ، واحدها شهاب ، وهو النجم المضيء النير اللامع . وتغني : تكفي . يريد أن ضياء العلم يبدد ظلمات الجهالة ، وأن الناس يستطيعون الاستغناء بشهب العلم عن النجوم والكواكب . والرونيق : الإشراق ، والبهاء . وأنجم الظلم : النجوم التي تبدد ظلمات الليل . شبه دور العلم بالأفلاك ، وطلابها بالكواكب المضيئة ، وقال : إنهم - برونيق العلم وإشراقه ونوره وضيائه - يسدون مسدّ النجوم ، ويغنون عنها .

يَجْنُونَ مِنْ كُلِّ عِلْمٍ زَهْرَةً عَبَقَتْ (٢٧)
فَكَمْ تَرَى بَيْنَهُمْ مِنْ شَاعِرٍ لِسِنِ
أَوْ كَاتِبٍ فَطِنٍ أَوْ حَاسِبٍ فَهْمٍ (٢٨)
وَنَابِغٍ نَالَ مِنْ عِلْمِ الْحُقُوقِ بِهَا
مَزِيَّةً الْبَسْتَهُ خِلْعَةً الْحَكَمِ (٢٩)
وَلَجَّ هِنْدَسَةً تَجْرِي بِحِكْمَتِهِ
جَدَاوِلُ الْمَاءِ فِي هَالٍ مِنَ الْأَكَمِ (٣٠)
بَلْ كَمْ خَطِيبٍ شَفَى نَفْسًا بِمَوْعِظَةٍ
وَكَمْ طَيْبٍ شَفَى جِسْمًا مِنَ السَّقَمِ (٣١)
مُؤَدَّبُونَ بِآدَابِ الْمُلُوكِ فَلَا
تَلْقَى بِهِمْ غَيْرَ عَالِي الْقَدْرِ مُحْتَشِمٍ (٣٢)

(٢٧) عبق به الطيب : ظهرت فيه رائحته . وعبق المكان بالطيب : انتشرت رائحة الطيب فيه . ولا يكون العبث إلا الرائحة الطيبة الذكية العطرة . ونفح الطيب : فاح ، وتضوع ، وانتشرت رائحته . والنفحة : اسم مرة منه . وعبقت الزهرة بنفحة : انتشرت لها رائحة عطرية ذكية . والرعم : جمع رمة (بوزن قمة وقمم) ، وهي العظام البالية ومثلها الرميم .

(٢٨) لسن : فصيح بليغ ، ساحر البيان . ويراد بالكاتب : الأديب الناثر . وفطن (بكسر الطاء وضمها) : صفة من الفطنة ، أو الفطنة ، وهي الحذق والمهارة . وحاسب : اسم فاعل من حسب المال ونحوه ، أي عدّه وأحصاه ، أو قومه وقدره . وفهم (بفتح فكسر) : سريع الفهم ، قوي الإدراك . صيغة مبالغة من الفهم .

(٢٩) نابغ : اسم فاعل من نبغ في العلم ، أو الفن ، أي برع ، وأجاد . والمزية : الفضيلة التي يمتاز بها المرء عن غيره . والبسته : ألبست النابغ . والخلعة : ما تمنحه غيرك من الثياب . والبسته مزيتة خلعة الحكم : أي جعلته أهلاً لأن يكون حكماً بين الناس ، يحقق المنازعات ، ويفصل الخصومات .

(٣٠) «ولج» : الواو عاطفة ، ولج الهندسة : العالم المستبحر في العلوم والفنون الهندسية . والأكم : جمع أكمة ، وهي التل أو الموضع يرتفع عما حوله . وفي هذا البيت تنويه بالمستبحرين في علوم الهندسة .

(٣١) المعنى : أن كثيراً من الخطباء شفوا نفوس كثير من الناس بمواعظهم ؛ وكثيراً من الأطباء شفوا بطبهم كثيراً من الأجسام السقيمة .

(٣٢) مؤدبون : خبر لمبتدأ محذوف ، والتقدير هم مؤدبون ، يريد من نوه بهم في الآيات السابقة . وآداب الملوك : أرفع الآداب ، وأجلها ، وأسمائها ، وأشملها . و«فلا تلقى بهم» : أي فلا تلقى بلقائهم ، أو فلا تلقى فيهم ؛ أو فلا تلقى منهم ؛ فالباء بمعنى «من» . وعالي القدر : مهيب ، وقور ، رفيع المقام ، عالي المنزلة والمكانة . ومحتشم : أي متخلق بفضيلة الحياء .

قَوْمٌ بِهِمْ تَصْلُحُ الدُّنْيَا إِذَا فَسَدَتْ وَيَفْرُقُ الْعَدْلُ بَيْنَ الذُّبِّ وَالْغَنَمِ (٣٣)
 وَكَيْفَ يَثْبُتُ رُكْنُ الْعَدْلِ فِي بَلَدٍ لَمْ يَتَّصِبْ بَيْنَهَا لِلْعِلْمِ مِنْ عِلْمٍ؟ (٣٤)
 مَا صَوَّرَ اللَّهُ لِلْأَبْدَانِ أَفْئِدَةً إِلَّا لِيَرْفَعَ أَهْلَ الْجِدِّ وَالْفَهْمِ (٣٥)
 وَأَسْعَدُ النَّاسِ مَنْ أَفْضَى إِلَى أَمَدٍ فِي الْفَضْلِ وَأَمْتَارَ بِالْعَالِي مِنَ الشِّيمِ (٣٦)
 لَوْلَا الْفَضِيلَةُ لَمْ يَخْلُدْ لِذِي أَدَبٍ ذِكْرٌ عَلَى الدَّهْرِ بَعْدَ الْمَوْتِ وَالْعَدَمِ (٣٧)
 فَلْيَنْظُرِ الْمَرْءُ فِيمَا قَدَمَتْ يَدُهُ قَبْلَ الْمَعَادِ فَإِنَّ الْعُمَرَ لَمْ يَدُمْ (٣٨)

وَقَالَ يَمْدَحُ إِسْمَاعِيلَ بَاشَا(*) خَدْيَوِي مِصْرَ (**):

(٣٣) يراد بالدنيا : معاش الناس وأمورهم في الحياة الدنيا . ويراد بالعدل : عدل هؤلاء القوم من المتعلمين المثقفين الذين جمعوا بين المعارف الواسعة ، والعلوم النافعة ، والأخلاق الكريمة ؛ فهم في قضائهم وأحكامهم وإدارتهم يتحرّون العدل ، ويلتزمون الاستقامة والرشاد . ويراد بالذئب والغنم : القوي والضعيف ، أو المعتدي والمعتدى عليه .
 (٣٤) يراد بركن العدل : دعائمه وقواعده التي لا يقوم بدونها ، ولا يحيا إلا بها . ويتصب : يقوم ، ويرتفع . والعلم (بفتحتين) : العلامة ، والمنارة ، وما ينصب في الطريق لهداية السائر . وانتصاب علم العلم في بلد : كناية عن حفاوة أهلها به ، وإقبالهم عليه .
 (٣٥) صور الله الأفئدة : خلقها ، وأبدعها . والأبدان : الأجساد والأجسام . والأفئدة : القلوب ، ويراد بها هنا : العقول ، والأفهام . والجد (بفتح الجيم) : الاجتهاد .
 (٣٦) أفضى إلى كذا : بلغه ، ووصل إليه ، ووافاه . وأمد الشيء : غايته ، وأقصاه ، ومنتهاه . والشيم : جمع شيمة ، وهي الخلة ، والخصلة ، والخلق .
 (٣٧) يقول : إنما يخلد ذكر الفضلاء ، ويبقى لهم - بعد موتهم - الصيت ، والشرف ، وحسن الثناء ، بما كانوا يتحلّون به في حياتهم من الآداب والمحامد ، والفضائل والمكرمات .
 (٣٨) نظر الإنسان في الأمر : تدبّره ، وتأمله . و« فيما قدمت يده » : في أعماله ، وسلوكه ، وتصرفاته ، ومعاملاته . ويراد بالمعاد : يوم القيامة ، وهو يوم الدين ، أي يوم الحساب والجزاء .

(*) إسماعيل باشا (١٢٤٥ - ١٣١٢هـ / ١٨٣٠ - ١٨٩٥م) ابن إبراهيم باشا ابن محمد علي باشا الكبير ، خديوي مصر . ولد في القاهرة . ولي مصر سنة ١٢٧٩هـ (١٨٦٣م) . وله آثار باقية في نواحي المدينة ، والعمران ، والثقافة . وفي عهده تمّ حفر قناة السويس ، وافتتحت باحتفال رسمي كبير سنة ١٢٨٦هـ (١٨٦٩م) . وفي سنة ١٢٩٦هـ (١٨٧٩م) خلعت حكومته

لِعِزَّةٍ هُذِي اللَّاهِيَاتِ النَّوَاعِمِ تَذِلُّ عَزِيزَاتُ النَّفُوسِ الْكَرَائِمِ (١)
فَمَا كُنْتُ لَوْلَاهُنَّ تَهْتَاجِنِي الصَّبَا أَصِيلاً وَيُشْجِنِي هَدِيرُ الْحَمَائِمِ (٢)
وَلَا شَاقِنِي بَرْقُ تَأَلَّقَ مَوْهِنَاً كَزَنْدٍ تُوَالِي قَدْحَهُ كَفُّ ضَارِمِ (٣)
وَبِيضَاءِ رِيَا الرُّدْفِ مَهْضُومَةِ الْحَشَا يُقِلُّ ضُحَاهَا جُنْحَ أَسْوَدَ فَاجِمِ (٤)

الآستانة عن ولاية مصر إجابة لرغبة الحكومتين الإنجليزية والفرنسية لما اشتدَّ سفهه ، وإسرافه ، وارتبائه ، وتدهورت مالية مصر ، وساءت أحوالها ، وتبرَّم بحكمه المصريون والأجانب ؛ ففضى بقية حياته في أوروبا وتركيا إلى أن توفي في الآستانة ، ونقلت جثته إلى القاهرة ، ودفنت بمسجد الرفاعي بالقلعة يوم ١٣ من مارس سنة ١٨٩٥ .

(**) الخديوية : منصب الخديوي . و« خديوي » : لقب حاكم مصر تحت سيادة العثمانيين ، والكلمة فارسية الأصل ، ومعناها : « سيد » . وخديوي مصر : سيد مصر .

(١) العزة : القوة والغلبة . واللاهيات : اللاعبات ، جمع لاهية . والنواعم : الرفاهات ، والمترفات المتنعمات ، جمع ناعمة . وتذلل : تضعف وتهون ، أو تخضع ، وتنقاد . والكرائم : جمع كريمة ، صفة من كرم الشيء (كعظم) ، أي عزَّ ، وكان نفيساً . أو هي صفة من الكرم : ضد اللؤم . والكرائم : نعت للنفوس . وعزيزات النفوس الكرائم : العزيزات الكرائم من نفوس العاشقين .

افتتح الشاعر هذه القصيدة الطويلة بالغزل ، وجعله مقدمة للمدح ، وقال : إن النفوس العزيزة الكريمة ، تُفتن فتوناً ، بهؤلاء الغانيات الجميلات اللاتي يلعبن ويمرحن في دعة ورفاهة ونعيم ؛ فلا يسعها إلا أن تذلل لعزتهن .

(٢) تهتاجني : تهيجني ، وتثيرني . والصبأ : ريح ، مهبها من مشرق الشمس . والأصيل : الوقت بين العصر والمغرب . ويشجيني : يحزني ، ويطرمني . والهدير : صوت الحمام ، ومثله الهديل .

والمعنى : أنه عاشق صبَّ ، مشوق مستهام ؛ ولهذا تهيجه ريح الصبا وقت الأصيل ، ويطربه سجع الحمام .

(٣) شاقني : هاجني ، وأثار شوقي . وتألق : أضاء . وموهناً : في منتصف الليل . والزند : العود الأعلى الذي تقدح به النار . وتوالي : تتابع وتكرر . وقَدَحَ الزند : ضربه بحجره ليخرج النار منه . وضارم : اسم فاعل من ضرمت النار ، أي اتقدت ، واشتعلت ، والتهبت .

(٤) ردف الإنسان وغيره : عَجَزَه . ومن المجاز : امرأة رِيَا الردف ، أي ردفها بمتلىء . ومهضومة : خميصة ، ضامرة ، قليلة اللحم ، ضدَّ « رِيَا » . والحشا : البطن ، وما حواه من الأمعاء والمصارين . ويقل : يحمل ، ويرفع . وضحاها : قامتها وجسمها الأبيض النضير

مِنَ الْعَيْنِ يَحْمِي خَدْرَهَا كُلُّ ضَيْغَمٍ بَعِيدٍ مَشَقُّ الْجَفْنِ عَيْلِ الْمَعَاصِمِ (٥)
فَلَوْلَا هَوَاهَا مَا تَغَنَّتْ حَمَامَةٌ بَغُضْنٍ وَلَا أَنْهَلَتْ شُؤُونُ الْغَمَائِمِ (٦)
وَلَا التَّهَبَ الْبَرْقُ اللَّمُوعُ وَلَا غَدَّتْ تَحْنٌ مَطَايِنَا حَيْنِ الرَّوَائِمِ (٧)
أَمَّا وَهَلَالٍ فِي دُجْنَةِ طُرَّةٍ يَلُوحُ وَدُرٌّ فِي عَقِيقِ مَبَاسِمِ (٨)

المشرق إشراق الضحا ، وهو ضوء الشمس . وجنح الليل : ظلامه واختلاطه . وفاحم : شديد السواد . وجنح الليل الأسود الفاحم : كناية عن شعر هذه المحبوبة .

يتغزل بفتاة بيضاء ، ممتلئة الردف ، ريانة الكفل ، خميصة البطن ، لطيفة الكشح ، ضامرة الحشا . يشرق جسمها ووجهها إشراق الشمس ، ويتهجج بهجتها ، ويزينها فوق هذا كله شعر شديد السواد ، كأنه جنح الليل البهيم .

(٥) عين (من باب فرح) : عظم سواد عينه ، واتسعت في حسن وجمال ، فالمرأة عينا ، والجمع عين (بوزن بيضاء بيض) . ويحمي خدرها : يصونه ، ويحافظ عليه . والخدر : ستر يمد للمرأة في ناحية البيت ، وما يفرد لها من السكن . وفتاة مخدرة : مصونة في خدرها . والضيفم : الأسد ، ويراد بالضيفم هنا : الرجل الشجاع الجريء . وبعيد مشق الجفن : كناية عن سعة عينيه ، وقوة بصره ، وتما يقظته وانتباهه . وعيل : ضخم ، غليظ ، قوي . والمعاصم : جمع معصم ، وهو موضع السوار من الساعد ، ويراد به هنا : اليد ، أو الساعد .

(٦) شؤون العين : مجاري دموعها . والغمام : جمع غمامة ، وهي السحابة . وشؤون الغمام : المطر .

يقول : إن الحمام يتغنى بحبها ، وأن الغمام لا يهطل إلا هيأماً بها ، وشوقاً إليها .
(٧) التهب البرق : اتقد ، واشتعل اشتعال النار . واللموع : اللامع ، المضيء . وغدت : صارت . وحنّ حنيناً : تغنى عن طرب ، أو اشتياق وتوقان نفس . وحتت الناقة : مدت صوتها شوقاً إلى ولدها . والمطايا : جمع مطية ، وهي ما يمتطى ، أي ما يركب من الدواب . والروائم : جمع رائمة ، اسم فاعل من رئمت الناقة ولدها ، أي أحبته ، وعطفت عليه ، وحتت إليه ، ولم تطق صبراً على فراقه .

(٨) «أما» : حرف استفتاح وتنبه . والهلال : غرة القمر ؛ ويراد بالهلال هنا : القمر التام الضياء ، ويراد به وجه المحبوبة المشرق . والدجنة : الظلمة ، والسواد . والطرّة : الناصية ، وهي شعر مقدم الرأس إذا طال ، أو ما تطره المرأة (أي تصففه) من الشعر الموفى على جبهتها . ويلوح : يبدو ، ويظهر . والدرّ : اللؤلؤ ، الواحدة درّة . ويراد بالدر هنا : أسنان المتغزل بها ، وثناياها البيض الحسان . والعقيق : خرز ، أو حجر نفيس أحمر اللون ،

لَقَدْ أَوْدَعَ الْبَيْنُ الْمُسْتُ بِمُهَجَّتِي نُدُوبًا كَأَثْرِ الْوَشْمِ مِنْ كَفِّ وَاشِمِ (٩)
وَكَمْ لَيْلَةٍ سَاوَرْتُهَا نَابِغِيَّةً سَقْتَنِي بِمَا مَجَّتْ شِفَاهُ الْأَرَاقِمِ (١٠)
كَأَنَّ الثُّرَيَّا كَفُّ عَذْرَاءِ طِفْلَةٍ بِهِ رَعْشَةٌ لِلْبَيْنِ بَادِي الْخَوَاتِمِ (١١)
إِذَا اضْطَرَبَتْ تَحْتَ الظَّلَامِ تَخَالُهَا دُمُوعَ الْعَذَارَى فِي حِدَادِ الْمَاتِمِ (١٢)
وَبَرَقَ يَمَانِيٌّ أَرَقْتُ لِوَمُضِهِ يَطِيرُ بِهُدَابٍ كَثِيرِ الزَّمَاظِمِ (١٣)
كَأَنَّ اصْطِخَابَ الرَّعْدِ فِي جَنَابَتِهِ هَدِيرٌ فُحُولٍ أَوْ زَيْرٌ ضَرَاغِمِ (١٤)

- واحدته عقيقة . ومباسم : جمع مبسم ، وهو الثغر ، وما يبدو من الأسنان عند الابتسام . ويراد بالمباسم هنا : الشفاه . وعقيق مباسم : مباسم كالعقيق .
- (٩) أودعت فلاناً الشيء : دفعته إليه ؛ ليكون وديعة عنده . والبين : الفراق . والمشت : المفرق . والمهجة : القلب ، أو النفس ، والروح . والندوب : آثار الجروح الباقية على الجلد .
- (١٠) ساورتها : قاسيت طولها وشدائدتها . ونابغيّة: صفة لليلة ، ومعناها طويلة ، قاسية ، مضنية ؛ وهي منسوبة إلى النابغة الذبياني ، شاعر جاهلي من أهل الحجاز . ومج الشراب ونحوه من فمه : رمى به . ويراد بالشفاه هنا : الأفواه . والأراقم : أخبث الحيات ، جمع الأرقم ، وهو الثعبان فيه سواد وبياض . وما مجته شفاهاها : كناية عن سمها القاتل .
- (١١) الثريا : مجموعة كواكب في عنق الثور (أحد أبراج السماء) . ورعشة للبين : رعشة سببها البين . وباد : ظاهر . والخواتم : جمع خاتم ، وهو حلقة من الذهب ، أو الفضة ، تلبس في الإصبع ، حلية وزينة .
- (١٢) يقول : إذا نظرت إلى الثريا في ليلة مظلمة ، ظننت نجومها الصغيرة المهترزة المتألقة دموع الأبقار يجللهن سواد الثياب في المآتم .
- (١٣) يمانى : نسبة إلى اليمن . والبرق اليماني كثير في الشعر العربي ، والبارودي متأثر بالبيئة العربية في غزله وسائر فنون شعره ، مقتد بشعراء العرب ، مقتف أثرهم . وأرق : امتنع عليه النوم ليلاً . وومض البرق : لمع لمعاناً خفيفاً ، وظهر . ويراد بالطيران : سرعة الحركة . وهداب الثوب : خيوط تبقى في طرفيه ، دون أن يكمل نسجها . وهداب السحاب : ما يرى منه كهذب الثوب ، أو كأغصان الشجرة إذا طالت ، وتدلّت . والزمازم : جمع زمزمة . وزمزمة الرعد : ضجيجه .
- (١٤) اصطخاب الرعد : اختلاط أصواته ، وارتفاعها . وهدير البعير ونحوه : صوته . وهدر : ردد

تَخَالَفَتِ الْأَهْوَاءُ فِيهَا فَعَاذِرُ هَوَايَ الَّذِي أَشْكُو وَأَخْرُ لَأَيْمِي (١٥)
وَنَافَسَنِي فِي حُبِّهَا كُلُّ كَاشِحٍ يَلْفُ عَلَى الشَّحْنَاءِ عُوجَ الْحِيَازِمِ (١٦)
فَكَمْ صَاحِبِ الْقَاهِ يَحْمِلُ صَدْرَهُ فَوَادَ عَدُوٍّ فِي ثِيَابِ مُسَالِمِ (١٧)
أَغَالِطُهُ قَوْلِي وَأَمْحُضُهُ الْوَفَا كَأَنِّي بِمَا فِي صَدْرِهِ غَيْرُ عَالِمِ (١٨)
وَمَنْ لَمْ يُغَالِطْ فِي الزَّمَانِ عَدُوَّهُ وَيُبْدِي لَهُ الْحُسْنَى فَلَيْسَ بِحَازِمِ (١٩)
فَيَا رَبَّةَ الْخَالِ الَّتِي هَدَرْتَ دَمِي وَأَلَقْتَ إِلَيَّ أَيْدِي الْفِرَاقِ شَكَايِمِي (٢٠)

صوته في حنجرتة . والفحول : جمع فحل ، وهو الذكر القوي من كل حيوان . والزئير : صوت الأسد من صدره . والضراغم : جمع ضرغم ، وهو الأسد الضاري الشديد .
(١٥) تخالفت : اختلفت . والأهواء : جمع الهوى ، ويراد بالأهواء هنا : أقوال الناس ، واتجاهاتهم المبنية على الأهواء ، أي على الميول والعواطف والمشاعر . وفيها : في أمر هذه المحبوبة ، أي في شأني معها ، وحيي لها . وعاذر هواي : أي يعذرني في هواي ، ويرفع عني اللوم والعذل .
(١٦) نافسه في كذا : سبقه فيه ، وباراه . والكاشح : العدو المبغض الذي يطوي كشحه على العداوة ، ويضمّر البغضاء . ولف الشيء على الشيء : غطاه به ، وأخفاه تحته . والشحناء : الحقد ، والعداوة والبغضاء . وعوج : جمع أعوج وعوجاء ، صفة من عوج العود ونحوه أي انحنى ، والتوى . والحيازم : جمع الحيزوم (بوزن الخيشوم) ، وهو الصدر ، أو وسطه . ويراد بعوج الحيازم هنا : أضلاع الصدر . ويلف عوج الحيازم على الشحناء : أي يطوي صدره على عداوة شديدة تملأ قلبه .
(١٧) صاحب : أي من أصحاب المنافقين . ومسالم : اسم فاعل من المسالمة ، وهي المصالحة ، والمصافاة .
(١٨) غالطه مغالطة : أوقعه في الغلط . ويراد بالمغالطة القولية هنا : المحاسنة الكلامية الظاهرة ، والمجاملة اللسانية . وأمحضته إياه : أخلصته ، وصدقته .
(١٩) يبدي له الحسنى : يظهر لعدوه المعاملة الحسنى ، القائمة على الخير ، والبر ، والصدق . وحازم : اسم فاعل من حزم رأيه ، أو أمره ، أي ضبطه ، وأحكمه ، وأتقنه .
(٢٠) ربة : صاحبة . والخال : شامة ، وقد تصنعها المرأة للتجميل والتزين . وهدر السلطان دم فلان وأهدره إهداراً : أباحه . والشكائم : جمع الشكيمة ، وهي الحديدية المعترضة في فم الفرس ونحوه من اللجام . ويراد بالشكائم هنا : اللجم .

إِلَيْكَ اسْتَشْرْتُ الْعَيْنَ مَحْلُولَةَ الْعُرَا وَفِيكَ رَعَيْتُ النَّجْمَ رَعِي السَّوَائِمِ (٢١)
فَلَا تَتْرُكِي نَفْسِي تَذُوبٌ وَمُهَجَّتِي تَسِيلُ دَمًا بَيْنَ الدُّمُوعِ السَّوَاغِمِ (٢٢)
أَقُولُ لِرَكْبٍ مُذَلِّجِينَ هَفْتُ بِهِمْ رِيَّاحُ الْكُرَى مِيلِ الطَّلَى وَالْعَمَائِمِ (٢٣)
تَجِدُ بِهِمْ كَوْمُ الْمَهَارِي لَوَاغِبًا عَلَى مَا تَرَاهُ دَامِيَاتِ الْمَنَاسِمِ (٢٤)
تُصِيخُ إِلَى رَجْعِ الْحُدَاءِ كَأَنَّهَا تَحْنُ إِلَى إِلْفٍ قَدِيمٍ مُصَارِمِ (٢٥)

(٢١) (إلى) و(في) : معناهما هنا التعليل ، أي من أجلك أو بسببك . واستشرت العين : أشرتها ، وهيجتها بكثرة البكاء ، وغزارة الدموع . والعرا : جمع عروة ، وهي من الثوب ما يدخل فيه الزر عند شده . و«محلولة» : حال من العين . وعين محلولة العرا : مفتوحة ، غير مغمضة ، كناية عن السهاد والأرق . ورعيت النجم : راقبته ، ولاحظته . والعرب تكني برعي النجوم عن الأرق مع الغم والهم .

(٢٢) يراد بذوبان نفسه : فناؤها ، وهلاكها . والمهجة : القلب ، أو الروح . والسواجم : المنهمرة ، المنسكبة ، المنصبة بغزارة ، جمع ساجم ، أو ساجمة .

(٢٣) المدلجون : جمع مدلج ، اسم فاعل من أدلج القوم إدلاجاً أي ساروا الليل كله . وهفت بهم : أملتهم ، وهزتهم . والكرى : النعاس . ورياح الكرى : الكرى الشبيه بالرياح ؛ وإذا كانت الرياح تهفو بالشيء ، أي تحركه وتذهب به ، فإن ركبان الإبل في الصحاري إذا جهدهم السفر الطويل المضني ، واشتد احتياجهم إلى النوم ، ذهب الكرى ، أو النعاس ، أو التهويم بحواسهم ، وحرك رؤوسهم ، وأمال أعناقهم ؛ فمالت معها عمائمهم . والطلَى : الأعناق .

(٢٤) تجد : تجتهد . و«بهم» : بالركب المدلجين . وكوم : جمع أكوم ، أو كوما ، وهو ما ضخم سنامه من الإبل . والمهاري : نجائب الإبل التي تسبق الخيل ، جمع مهريّة ، نسبة إلى قبيلة «مهرة بن حيدان» ، من عرب اليمن . ولواغباً : جمع لاغب ، أو لاغبة ، اسم فاعل من اللغوب ، أو اللغب ، وهو الإعياء ، والتعب الشديد . والمناسم : جمع منسم ، وهو طرف خف البعير ونحوه ، وهو من الإبل كالظفر من الإنسان .

يقول : تسرع بهؤلاء الركبان في السير ركائبهم من الإبل الضخمة ، وقد دميت خفافها ، ومسها اللغوب ، وبرح بها التعب لبعث الشقة ، وعظم المشقة ، وطول السفر ، وصلابة الأرض ، وصعوبة الطريق .

(٢٥) تصيخ : تصغي . والحداء : الغناء للإبل ، لسوقها وتنشيطها ، وحثها على السير . ورجع الحداء : صداه ، وترديده ، وتكراره . وتحن : تشاق . والإلف : الأنيس ، والحبيب . ومصارم : مقاطع ، متباعد .

وَيَلْحَقُهَا مِنْ رَوْعَةِ السَّوْطِ جِنَّةٌ فَتَمْرُقُ شُعْتًا مِنْ فِجَاجِ الْمَخَارِمِ (٢٦)
لَهْنٌ إِلَى الْحَادِي التِّفَاتَةِ وَامِقٍ فَمِنْ رَازِحٍ مُعِيٍّ وَأَخْرَ رَازِمِ (٢٧)
أَلَا أَيُّهَا الرُّكْبُ الَّذِي خَامَرَ السُّرَى يَكُلُّ فَتَى لِّلْبَيْنِ أَغْبَرَ سَاهِمِ (٢٨)
فَنَابِي قَلِيلًا وَأَنْظُرَا بِي أَشْتَفِي بَلِّثْمِ الْحَصَى بَيْنَ اللَّوَى فَالنَّعَائِمِ (٢٩)
فَكَمْ عَهْدٍ صِدْقٍ مَرَّ فِيهِ وَأَعْصُرٍ تَوَلَّتْ عِجَالًا دُونَ تَهْوِيمِ نَائِمِ (٣٠)

(٢٦) يلحقها : يصيبها . والروعة : الفرعة . والسوط : ما يضرب به من جلد . والجنة (بكسر الجيم) : الجنون ، ويراد بها هنا : فرط النشاط في السير . وتمرق : تجتاز ، وتخرج في سرعة . وشعثاً : جمع أشعث ، أو شعطاء : صفة من شعث الشعر ، أي تفرق واتسخ ، أو تلبد ، وتغبر ، كشعر المسافر . وفجاج المخارم : الطرق والمسالك الجبلية .
(٢٧) الحادي : من يسوق المطايا ويحثها على السير بالحداء ، وهو الغناء لها . ووامق : محبب . ويراد بالوامق هنا : المستعطف ، المسترحم . ورازح : ضعيف ، منهوك . ومعِي : اسم فاعل من أعيا ، أي تعب تعباً شديداً . ورازم : رازح ، شديد الإعياء ، أو ساقط من الإعياء . ويلاحظ أن « رازح » ، و « معي » و « رازم » بمعنى واحد ، أو بمعان متقاربة .
(٢٨) خامر السرى : مارسه . والسرى : السير ليلاً . والبين : الفراق . وأغبر : مغبر اللون ، أو يعلوه الغبار . وساهم : متغير اللون من همّ ونحوه ، أو ضامر ضعيف ، مهزول . وأغبر وساهم صفتان لـ « فتى » . ولعله يشير إلى نفسه ؛ فإنه الفتى المحب المستهام الذي خامر السرى ، وأضناه طول السفر ، وحرقة الوجد ، ولوعة الفراق .
(٢٩) انظر : أي انتظر ، بمعنى الانتظار . واشتفى بكذا : نال به الشفاء ، وبرىء به من علته . واللثم : التقبيل . والحصى : صغار الحجارة . واللوى : ما التوى من الرمل وانعطف . والنعائم : أعلام مرفوعة يهتدى بها في المفاوز والصحاري ، واحدها نعامة . والنعامة أيضاً : المحجّة ، والطريق الواضح ، وكل بناء على جبل يشبه الظلّة . ويريد بـ « ما بين اللوى والنعائم » : وطن الهوى ، والمكان الذي طالما رأى فيه حبيبته ، ووجد في لقائها راحته وسعادته . وهو يجد في لثم حصاه علاجاً وراحة وشفاء لما يعانیه من تباريح الوجد والصبابة .
(٣٠) من معاني « العهد » : الزمان ، والأمان ، والمودة . و « فيه » : أراد به منزل حبه ، وموطن غرامه ، بين اللوى والنعائم . ومر فيه : مر به . والأعصر : جمع العصر ، وهو اليوم . وتولّت : ذهبت ، ومضت . وعجلاً : سراعاً . وهوم تهويماً : هز رأسه من النعاس ، أو نام نوماً خفيفاً ، كناية عن العجلة والسرعة ، أي أن هذه العصور تولت في برهة ، هي أقرب وأسرع من برهة تهويم النائم .

أَبِيْتُ لَهَا دَامِي الْجُفُونِ مُسَهِّدًا طَرِيحَ الثَّرَى مُحَمَّرَ طَرْفِ الْأَبَاهِمِ (٣١)
وَمَا هَاجَنِي إِلَّا عُصْفِيرُ رَوْضَةٍ عَلَى مَلْعَبٍ مِنْ دَوْحَةِ الضَّالِ نَاعِمِ (٣٢)
يَصِيحُ فَمَا أُدْرِي لِفَرْقَةٍ صَاحِبٍ كَرِيمِ السَّجَايَا أَمْ يُغْنِي لِقَادِمٍ؟ (٣٣)
كَأَنَّ الْعُصْفِيرَ اسْتُطِيرَ فُوَادُهُ سُرُورًا بِرَبِّ الْمَكْرُمَاتِ الْجَسَائِمِ (٣٤)
أَبُو الْمَجْدِ نَجَلُ الْجَوْدِ خَالَ زَمَانِهِ أَخُو الْفَخْرِ «إِسْمَاعِيلُ» خِذْنُ الْمَكَارِمِ (٣٥)
قَشِيبُ الصَّبَا كَهْلُ التَّدَايِيرِ جَامِعُ صُنُوفِ الْعُلَا وَالْمَجْدِ فِي صَدْرِ جَازِمِ (٣٦)

(٣١) «لها» : لعهود الصدق ، والعصور الذاهبة ؛ أي أقضي الليالي ساهراً من أجل تلك العهود والأعصر ، أي بسبب تلهفي عليها ، وحزني على فواتها . ودامي الجفون : كناية عن كثرة البكاء وتتابعه . ومسهداً : مؤرقاً . وطريح : أي ملقى مطروحاً على الثرى ، وهو الأرض . والأباهم : جمع الإبهام ، كبرى أصابع اليد . واحمرار طرفها : إشارة ، أو كناية عن لهفته وحسرتة ؛ إذ كان يعض أنامله على فوات تلك العهود والعصور فيجرّحها العض ، فتدمى ، وتلتهب ، وتحمر . أو أنه كان يمسح بأصابعه عينيه ، فيعلق بأطرافها شيء من دم جفونه الدامية .

(٣٢) هاجني : أثارني ، والمراد حرك أشجاني . والدوحة : الشجرة العظيمة المتشعبة . والضال : السدر البري ، واحدته ضالة . وناعم : طيب الورق ، لين الملمس .
في هذا البيت رأى الشاعر عصفوراً مليحاً في روضة زاهرة فوق شجرة عظيمة ضخمة من أشجار السدر البري ، هي ملعب كبير نظير من ملاعب الطير ؛ فأثارت رؤيته أشجانه ، وجددت ذكرياته ، وأججت أشواقه إلى من يحب .

(٣٣) كريم السجايا : كريم الأخلاق ، حميد الخصال . وتقدير الكلام : يصيح هذا العصفير ، فلست أدري ، أيصيح حزناً ، وأسى ؛ لأنه فارق صاحباً كريم السجايا ، أم يغني ابتهاجاً وسروراً بقدم قادم عزيز عظيم ؟ .

(٣٤) استطير فواده : طير قلبه . وهو تعبير عن فرط الفرح . والمكرمات : أفعال الكرم والخير والبر ، واحدتها مكرمة . وربها : صاحبها ، والمنعم بها . والجسائم : العظيمات .

(٣٥) المجد : العز ، والشرف ، والرفعة . وأبو المجد : صاحبه . والنجل : الولد ، أو النسل . والجود : البذل ، والعطاء . وخال : سمح ، أي سخي . وخال زمانه : جواد زمانه الذي لا يجارى ، ولا يبارى في كرمه . والخذن : الصديق ، والخليل . والمكارم : المكرمات .

(٣٦) قشيب : جديد . والصبأ (بكسر الصاد) : الصغر ، والحدائة . . ويراد بقشابة الصبا ، وجدة الشباب : ما يمتاز به الشباب من الفتوة ، والنشاط ، وبُعد الهمة ، واتساع الآمال . وكهل

تَجَمَّعُ فِيهِ الْحِلْمُ وَالْبَأْسُ وَالنَّدَى فَلَيْسَ لَهُ فِي مَجْدِهِ مِنْ مُزَاجِمِ (٣٧)
 ذَكَاءُ « أَرِسْطَالِيْسَ » فِي حِلْمِ « أَحْنَفِ » وَهَمَّةُ « عَمْرٍو » فِي سَمَاحَةِ « حَاتِمِ » (٣٨)
 لَهُ تَحْتَ اسْتَارِ الْغُيُوبِ وَفَوْقَهَا عُيُونٌ تَرَى الْأَشْيَاءَ لَا وَهْمٌ وَاهِمِ (٣٩)
 فَانْظَرْتُهُ وَحَيٍّ وَسَاكِنٌ صَدْرِهِ فُوَادُ خَبِيرٍ نَاطِقٍ بِالْعَظَائِمِ (٤٠)
 تَكَادُ لِعُلْيَاهُ الْمَلَائِكُ تَرْتَمِي عَلَى كَتْفَيْهِ كَالطُّيُورِ الْحَوَائِمِ (٤١)

التدابير : أي يدبر أموره بعقلية الرجل الكبير العقل المدرك . وجازم : صادق العزم ، قوي الإرادة .

(٣٧) الحلم : الأناة ، وضبط النفس . والبأس : القوة ، والشجاعة . والندى : الجود . ومزاجم : مقارب ، مدان ، أي لا يدانيه أحد في مجده ، ولا يقاربه .

(٣٨) أي للممدوح ذكاء أرسطو مع حلم « أحنف » ، وله همة « عمرو » مع سماحة « حاتم » . و « الأحنف بن قيس » (٣ ق هـ - ٦٧ هـ / ٦١٩ - ٦٨٦ م) : أبو بحر ، الضحّاك بن قيس ، الملقّب بالأحنف ، سيد تميم ، وأحد العظماء ، الدهاء ، الفصحاء ، الشجعان ، الفاتحين . يضرب به المثل في الحلم ، ورجاحة العقل . وعمرو بن معدي كرب الزبيدي : فارس اليمن المضروب به المثل في شدة البأس والشجاعة والإقدام . ومن أصحاب النجدة والقوة البدنية في الجاهلية والإسلام . شهد معركة القادسية . توفي في حصار نهاوند سنة ٢١ هـ (٦٤٢ م) . و « حاتم بن عبد الله الطائي » : أبو عدي ، المتوفى سنة ٤٥ ق هـ (٥٧٨ م) : فارس شاعر من أجواد العرب في الجاهلية ، صيته ذائع خالد ، وبجوده وسماحته يضرب المثل .

(٣٩) الأستار : جمع ستر (بوزن شبر وأشبار) ، وهو ما يستر به الشيء . والغيوب : جمع غيب ، وهو كل ما غاب عنك ، واحتجب . والوهم : التوهم ، والتخيل ، وهو أضعف من الظن في مراتب الإدراك .

يمدحه بالفطنة ، وقوة الإدراك ، والبصيرة النافذة التي تهتك ستور الخفايا ، والذكاء الخارق الذي يكشف محجّبات الأمور ، ويرى الأشياء عياناً وبقيناً ، لا توهماً أو تخيلاً . (٤٠) المعنى : أن نظرات الممدوح ثابتة صائبة ، كأنها إلهام من الله . أما عقله فإنه عقل رجل عظيم ، واسع الخبرة ، وإذا تكلم سمع الناس منه ما يناسب عظمته وجلاله ، وينم على فطنته وخبرته .

(٤١) العليا (بوزن الكبرى) : مؤنث الأعلى ، اسم تفضيل من العلو ؛ ويراد بعليا الممدوح أو عليائه : شرفه ، وسمو مكانته .

نوه الشاعر بشرف ممدوحه ، وعلو منزلته . وغالى في مدحه ؛ فقال : إن الملائكة تكاد تقصد إليه ، وتقع على كتفيه . وشبهها بالطيور الحوائم ، تطلب الماء ، فتقصد إليه .

أَرَاهُ فَيَمْحُونِي الْجَلَالَ وَأَنْتَحِي
 وَتُوهِمُنِي نَفْسِي الْكِذَابَ سَفَاهَةً
 هُوَ السَّيْفُ فِي حَدِيدِهِ لِينٌ وَشِدَّةٌ
 تَرَاهُ لَدَى الْخَطْبِ الْمُلِمِّ مُجْمَعاً
 لَهُ النَّظْرَةُ الشَّرَّارَاءُ يَعْقُبُهَا الرِّضَا
 فَلَوْلَا نَدَى كَفَّيْهِ أَوْقَدَ بَأْسُهُ
 وَلَوْلَا ذَكَاهُ أَعْشَبَتْ بِيَمِينِهِ
 (٤٢) أَغَالِطُ أَفْكَارِي وَلَسْتُ بِحَالِمٍ
 (٤٣) أَلَا إِنَّمَا الْأَوْهَامُ طُرُقُ الْمَآثِمِ
 (٤٤) فَتَلْقَاهُ حُلُوَ الْبِشْرِ مُرَّ الْمَطَاعِمِ
 (٤٥) عُرَا الْحِلْمِ ثَبَتَ الْجَاشِ مَاضِي الْعَزَائِمِ
 (٤٦) لِإِسْعَافِ مَظْلُومٍ وَإِرْغَامِ ظَالِمٍ
 (٤٧) لَدَى الرَّوْعِ أَطْرَافِ الظُّبَا وَاللِّهَازِمِ
 (٤٨) قَنَا الْخَطِّ وَأَخْضَلَّتْ طُرُوسُ الْمَظَالِمِ

(٤٢) محاه يمحوه : أزاله ، وأذهب أثره . والمراد أن جلال الممدوح وعظمته ومهابته بهرته ، وأدهشته ؛ حتى تضاءل في حضرته . وأنتحي : أميل إلى ناحية . وغالطه : أوقعه في الغلط .
 (٤٣) الوهم : ما يقع في الخلد من الهواجس ، والوساوس ، وجمعه أوهام . والكذاب : الكذب .
 والسفاهة : الجهل . والمآثم : جمع مآثم ، وهو الإثم والذنب .

يقول : إن نفسه - لشدة تأثرها بجلالة الممدوح وعظمته - تذهل عن الحقيقة والواقع المذهل ، وتجنح للجهل والسفاهة ؛ فتوهمه أنه حالم ، وهو وهم كاذب ؛ فما الأوهام إلا طرق تنتهي بالواهمين إلى الخديعة والكذب ، والإثم والضلال .

(٤٤) حد السيف : مقطعه وشفرته . والبشر : البشاشة ، وطلاقة الوجه . والمطاعم : الطعام الذي يؤكل ، أو هو مصدر ميمي من طعم الشيء (من باب فهم) : أي ذاقه . ومرارة مطاعم الممدوح ، كناية عن شدة بأسه ، ومرارة عقوبته إذا غضب . وتلقاه : تلقى الممدوح ، أي تلقاه حلو البشر إذا رضي .

(٤٥) الخطب : الأمر العظيم المكروه يكثر فيه التخاطب . والملمم : النازل . وتجميع عرا الحلم : تعبير مجازي ، يراد به ضبط النفس ، والاستمسك بالحلم . وثبت : ثابت ، رابط . والجاش : القلب أو النفس . وماض : قاطع ، نافذ . والعزائم : جمع العزيمة ، وهي الإرادة القوية المؤكدة .

(٤٦) نظرة شزراء : نظرة غضب . ويعقبها : يخلفها ، ويتلوها . وأسعفه : ساعده ، وأعاناه . وأرغمه : أي أذله ، وقهره ، وأهاناه .

(٤٧) الندى : البلبل والمطر ، ويستعمل الندى مجازاً في الجود والخير . والبأس : الشجاعة ، والقوة ، والشدة في الحرب . والروع : الفزع . والظبا : جمع ظبة ، وهي حد السيف . واللهاذم : جمع لهذم (بوزن جعفر) ، وهو الحاد القاطع من السيوف والأسنة ونحوها .

(٤٨) أعشب المكان : نبت فيه العشب . والقنا : جمع قناة ، وهي الرمح الأجوف . والخط :

لَهُ بَيْتٌ مَجِيدٌ رَفَرَفَتْ دُونَ سَقْفِهِ
فَمَنْ رَامَهُ فَلْيَتَّخِذْ مِنْ قَصَائِدِي
فِيَابِنَ الْأَلَى سَادُوا الْوَرَى وَأَنْتَهُوَ إِلَى
أَهْنِيكَ بِالْمُلْكِ الَّذِي طَالَ جِيدُهُ
لَسَوْدَتُهُ بِالْفَخْرِ فَايْبُضُّ وَجْهُهُ
تَدَارَكَتَهُ مِنْ قَبْلِ أَنْ كَادَ يَنْمُحِي

حَمَامُ الدَّرَارِي مُشْمَخِرُ الدَّعَائِمِ (٤٩)
سُطُوراً إِلَى مَرْقَاهُ مِثْلَ السَّلَالِمِ (٥٠)
تَمَامِ الْعُلَا مِنْ قَبْلِ نَزْعِ التَّمَائِمِ (٥١)
بِعِزِّكَ حَتَّى حَلَّ بَيْتَ النَّعَائِمِ (٥٢)
بِأَسْمَرَ خَطِّي وَأَبْيَضَ صَارِمِ (٥٣)
لِفَرْطِ تَبَارِيحِ الدُّهُورِ الْغَوَاشِمِ (٥٤)

موضع في بلاد البحرين تباع فيه الرماح ، وتنسب إليه . واخضلت : نديت ، وابتلت .
والطروس : جمع طرس (بوزن ضرس) ، وهو الصحيفة . والمظالم : جمع مظلمة ، وهي
ما تطلبه عند الظالم ، أو ما احتملته من الظلم . وطروس المظالم : صحائف شكوى الظلم .
(٤٩) يراد بالبيت : بيت الولاية ، والملك الذي أسسه جد الممدوح ، وهو محمد علي باشا
الكبير . والدراري : النجوم الثابتة المضيئة . وحمام الدراري : الدراري المشبهة بالحمام .
ومشمخر : عظيم الطول والعلو والارتفاع . والدعائم : جمع دعامة ، وهي عماد البيت الذي
يقوم عليه . ورفرفة الدراري تحت سقف البيت : كناية عن إغراقه في السمو والارتفاع ،
وكذلك اشمخار دعائمه .

(٥٠) رامه : رام بيت الممدوح ، أي أراه ، وقصده . والسطور المتخذة من قصائده : كلماته في
مدح ذلك البيت وتمجيده . والمرقى : المصعد . والمعنى : من أراد الإلمام بشيء من عظمة
ذلك البيت الرفيع الكريم ، فليتخذ من قصائدي في تمجيده سلماً يرقى به إلى تلك المعرفة .
(٥١) الألى : الذين . والورى : الخلق والناس . والتمايم : جمع تميمة ، وهي خرزة ، أو ما
يشبهها ، كان الأعراب يعلقونها في عنق الطفل ؛ لتقيه - في زعمهم - العين والحسد ، وتدفع
عنه الأرواح الشريرة . ونزع التمايم ، أو اقتلاعها ، أو إماطتها : كناية عن أن الطفل قد كبر ،
وجاوز مرحلة الطفولة .

(٥٢) الجيد : العنق . وطول جيد الملك : كناية عن عظم شأنه ، وسمو مكانته .
(٥٣) سؤد الملك بالفخر : جعله سيداً شريفاً . وكنى بيباض وجه الملك عن صلاح شأنه ،
واستقامة أمره . والأسمر : الرمح . والخطي : المنسوب إلى الخط ، وهو موضع ببلاد
البحرين تباع فيه الرماح ، وتنسب إليه . والأبيض : السيف . والصارم : القاطع .
(٥٤) تدارك الشيء : أدركه ، وأصلح شأنه . أو هو من قولهم : تدارك الخطأ بالصواب ؛
فالممدوح تدارك الملك بالتقويم والإصلاح . وفرط : اسم من الإفراط ، وهو مجاوزة الحد .
وتباريح الدهر : صروف الزمان وشدائده . والغواشم : صفة للدهور ، جمع غاشم ، أي
ظالم .

بَكَى زَمَانًا وَأَغْبَرَ حَتَّى أَتَيْتَهُ فَعَادَ رَجِيبَ الصُّدْرِ طَلَّقَ الْمَبَاسِمِ (٥٥)
 وَسُتَّ الْوَرَى بِالْعَدْلِ حَتَّى تَشَوْقًا إِلَيْكَ الْتَوَى جِيدُ الدُّهُورِ الْقَدَائِمِ (٥٦)
 وَجِئْتَ مَجِيءَ الْبَدْرِ مَدَّ شِعَاعَهُ عَلَى أَفْقِ بِالْجَوْنِ وَحَفِ الْقَوَادِمِ (٥٧)
 بِرَأْيِ كَخَيْطِ الشَّمْسِ نُورًا تَخَالُهُ فِرْنَدًا تَمْشَى فِي خُدُودِ الصَّوَارِمِ (٥٨)
 فَلَوْ مِضْرُ تَذْرِي أُرْسَلَتْ لَكَ نَيْلَهَا لِيَلْقَاكَ فِي جُنْحٍ مِنَ اللَّيْلِ قَاتِمِ (٥٩)
 وَجَاءَتْ لَكَ الْأَهْرَامُ تَسْعَى تَشَوْقًا إِلَى دَارِ « قُسْطَنْطِينِ » سَعَى النَّسَائِمِ (٦٠)

(٥٥) فاعل « بكى » : ضمير « الملك » . واغبر : علاه الغبار . وبكاء الملك واغبراره : كناية عما أصابه ، وأصاب النهضة المصرية من الركود أو النكسة . وأتيته : توليته . ورحابة الصدر : كناية عن الانسراح والارتياح ، وكذلك طلاقة المباسم . ويراد بالمباسم هنا : الوجوه ؛ فإن الطلاقة للوجوه ، لا للمباسم .

(٥٦) القدائم : جمع سماعي لقديم ، وقْدَام . ولعل الشاعر يريد بالدهور القدائم : عهود المشهورين بالعدل من عظماء الخلفاء والملوك . والتواء أجياد الدهور القدائم متشوقة إلى الممدوح : تصوير حسي بليغ لإعجاب القدامى من عظماء الملوك والحكام العادلين بسياسة الممدوح القائمة على العدل والرشد ، والمساواة والإنصاف .
 يمدحه بأنه ساس رعيته سياسة سديدة ، فبسط عليهم ظلال العدالة والإحسان ؛ وأحيا سنة المشهورين من عظماء الخلفاء والملوك . فانعطفت إليه أعناق عهودهم في شوق وحنين وإقبال .

(٥٧) الجون : السواد والظلمة . والوحف من الأجنحة : الكثير الريش . والقوادم : الريشات التي في مقدم جناح الطائر ، وهي كبار الريش . وتحتها الخوافي : وهي صغاره . الواحدة قادمة . ويراد بالقوادم هنا : الأجنحة ، أي مد شعاعه على أفق أجنحة واحفة سود . والغرض المبالغة في تصوير ما بدده ضياء البدر من الظلمات الحالكة التي طَبَّقَتْ آفاق السماء والأرض .

(٥٨) « برأي » : متعلق بـ « جئت » في البيت السابق . وخيط الشمس : شعاعها . وتخاله : تخال رأي الممدوح ، أي تحسبه وتظنه . وفرند السيف : جوهره . والصوارم : السيوف القواطع ، مفردها صارم . وخذودها : جوانبها وصفحاتها .

(٥٩) المعنى : لو عرفت مصر نجاح مساعيك في القسطنطينية لأرسلت إليك نيلها على عجل ، ليلقاك بالتهنئة والتكريم .

(٦٠) دار قسطنطين : القسطنطينية . وتنسب إلى قسطنطين الأول الكبير (٢٧٤ - ٣٣٧ م) أمبراطور

فَبُورِكَتَ فِي مُلْكٍ وَرِثْتَ ذَمَاءَهُ وَخَلَّدْتَهُ فِي نَسْلِ مَجْدٍ أَكْرِمِ (٦١)
بِهِمْ كُلُّ غَطْرِيفٍ يُمَدُّ إِلَى الْعُلَا يَدًا خُلِقَتْ فِينَا لِيَبْذُلَ الْمَكَارِمِ (٦٢)
يَجُولُ مَجَالَ الْبَرْقِ وَالْخَيْلُ تَرْتَمِي بِأَعْطَافِهَا فِي الْمَازِقِ الْمُتَلَا حِمِ (٦٣)
فَمَا رَوْضَةٌ غَنَاءٌ بَاكَرَهَا الْحَيَا بِأَوْطَفَ سَاجٍ أَشْعَلَ الْبَرْقِ سَاجِمِ (٦٤)
يَصُوعُ بِهَا نَشْرُ الْعَيْبِرِ فَتَغْتَدِي تَقَاسِمُهُ فِينَا أَكْفُ النَّوَاسِمِ (٦٥)
إِذَا الشَّمْسُ لَاحَتْ مِنْ خِلَالِ ظِلَالِهَا عَلَى الْأَرْضِ لَاحَتْ مِثْلَ دُورِ الدَّرَاهِمِ (٦٦)
يَقِيلُ بِهَا سِرْبُ الْمَهَا وَهُوَ آمِنٌ فَمِنْ أَرْبَدِ سَاجٍ وَأَحْوَرَ بَاغِمِ (٦٧)

روما الذي تولى الحكم سنة ٣٠٦ ، ونقل عاصمة الإمبراطورية من روما إلى بيزنطية سنة ٣٣٠ ؛ فسميت القسطنطينية . والنسائم : جمع النسيم ، وهو الريح الطيبة اللينة اللطيفة .
(٦١) بوركت في ملك : بارك الله لك في ملكك . والذماء : من قولهم : « خذْ منه ما دَمَى لك » ، أي ما تهيأ ، وصلح . وورثت ذماء الملك : ورثت ما تهيأ لك منه .
(٦٢) الغطريف : السيد الماجد .
(٦٣) يجول : يطوف ، ويدور . ويجول جولان البرق : أي يجول في سرعة خاطفة كسرعة البرق . وترتمي : تزدحم ، وتتدافع . والأعطاف : جمع عطف ، وهو من كل شيء جانبه . والمآزق : المضيق الحرج ، وجمعه مآزق ، ويراد به هنا : موضع الحرب . والمتلاحم : الضيق . وارتماء خيل الفرسان بأعطافها في المآزق المتلاحمة : كناية عن عنف القتال وشدته واستحاراه .
(٦٤) الروضة : البستان الحسن النضير . وغناء : كثيرة الشجر والعشب . وباكرها : جاءها بُكرة ، أي في أول النهار . والحيا : المطر . وبأوظف : بسحاب أوظف ، أي دان من الأرض ، أو منهمر المطر . وساج : ساكن ، ثابت . والبرق الأشعل : المحمَّر ؛ ولعل حمرة دليل على ثقل السحاب ، وغزارة مائه . وساجم : منصب المطر . وسجمت السحابة مطرها : أسالته ، وصبته .
(٦٥) يصوع : يفوح . والنشر : الرائحة الطيبة . والعبير : أخلاط من الطيب . وتغتدي : تبكر . وتقاسمه : أصلها تقاسمه ، أي اقتسمته . والنواسم : جمع ناسم ، أو ناسمة ، اسم فاعل من نسمت الريح ، أي تحركت وهبت بلين ، ولطف .
(٦٦) يشير إلى كثرة أشجار هذه الروضة ، والتفاف أغصانها ، واشتباك فروعها ، فإذا طلعت عليها الشمس نفذ ضياؤها من ثغراتها الضيقة ، فبدا على الأرض دارات مدورة كاللدنانير .
(٦٧) يقيل : ينام في القائلة ، وهي الظهيرة ، أي وسط النهار . والسرب : الجماعة ، أو القطيع

بِالْطَّفِ مِنْ أَخْلَاقِهِمْ وَصِفَاتِهِمْ إِذَا الْعُودُ ضَمَّتْهُ أَكْفُ الْعَوَاجِمِ (٦٨)
 وَمَا الشُّعْرُ مِنْ دَائِبِي وَلَا أَنَا شَاعِرٌ وَلَا عَادَتِي نَعْتُ الصُّوَى وَالْمَعَالِمِ (٦٩)
 وَلَكِنْ حَدَانِي جُودُهُ فَاسْتَثَارَنِي لَوْصَفِ مَعَالِيهِ الْعِظَامِ الْجَسَائِمِ (٧٠)
 وَكَيْفَ وَجَدَوَاهُ ثَنَّتْ ضَبْعَ هِمَّتِي وَهَزَّتْ إِلَيَّ نَظْمَ الْقَرِيضِ قَوَادِمِي (٧١)

من الحيوان ، أو من الطير . والمها : البقر الوحشي ، واحدته مهاة . وأريد : أغبر ، بلون الرماد . وساج : ساكن ثابت ، والمراد آمن ، مطمئن . وهورت العين : اسودت كلها ، كأعين المها والظباء . وباغم : اسم فاعل من بغمت الظبية ، أي صاحت إلى ولدها بأرخم ما يكون من صوتها .

(٦٨) « بالطف » : الباء زائدة ، والطف : خير روضة في البيت الرابع والستين : « فما روضة غناء . . » وهو اسم تفضيل من اللطف : بمعنى الرقة واللطافة . وأخلاقهم : أخلاق الممدوحين . والعود : الغصن بعد أن يقطع . والعواجم : جمع عاجمة ، اسم فاعل من عجم الإنسان الشيء أي عضه ، ليعلم صلابته من رخاوته . وعجمت فلاناً ، وعجمت عوده : أي امتحنته واختبرته .

والمعنى : إذا اختبرت هؤلاء الممدوحين علمت أن صفاتهم وأخلاقهم في لطافة الروضة التي وصفها .

(٦٩) الداب : العادة ، والشأن . والنعت : الوصف . والصوى : جمع الصوة (بوزن القوة) ، وهي ما غلظ من الأرض ، وارتفع ، وما نصب من الحجارة ونحوها ، ليكون دليلاً في الطريق . والمعالم : جمع معلم (بوزن مذهب) ، وهو ما يُستدل به على الطريق . ولعله يشير بالشرط الثاني من هذا البيت إلى ما اعتاده شعراء المديح من وصف معالم الطريق ، ومشقات السفر في رحلتهم إلى الممدوح .

(٧٠) حداه على كذا : بعثه عليه ، وحثه . وحداني جوده : استمالني إليه بكرمه وسخائه . واستثناني : أثارني ، وهاجني . ومعالیه : جمع مَعْلَاة ، وهي الرفعة والشرف . يقول : إنه لم يتعود نظم الشعر ، ولكن مناقب الممدوح ومكرّماته أثار شاعريته ، فنظم هذه المدحة في وصف معاليه العظيمة ، والتنويه بمحامده الجسيمة ، وتمجيد مفاخره ومزاياه .

(٧١) « كيف » : أي وكيف لا أصف بشعري معالي الممدوح ومناقبه ومحامده والحال أن جدواه وعطاياه ومكرّماته أثار شاعريتي ، وحفزني إلى القول والتغني والإشادة والتمجيد . وجدواه : جدوى الممدوح ، وهي العطية . والضبع : وسط العضد ، ما بين المرفق والكتف . والهمة : العزم القوي . والقريض : الشعر . والقوادم : الريشات التي في مقدم

فَتِلْكَ لَالٍ أُمِّ رَبِيعٍ تَفْتَحَتْ أَزَاهِرُهُ كَالزُّهْرِ أُمِّ نَظْمٍ نَاطِمٍ؟ (٧٢)
 وَمَا هُوَ إِلَّا عِقْدٌ مَدْحٍ نَظْمَتُهُ لِجِيدِ عُلاَةٍ فِي صُدُورِ الْمَوَاسِمِ (٧٣)
 فَعِشْ مَا تَغْنَتْ بِالْأَرَائِكِ حَمَامَةٌ وَمَا اتَّجَهَتْ لِلْبَرْقِ نَظْرَةٌ شَائِمِ (٧٤)
 لَكَ السَّعْدُ خِذْنُ وَالْمَهَابَةُ صَاحِبُ وَشَخْصُ الْعُلَا وَالنَّصْرِ فِي زِيِّ خَادِمِ (٧٥)

وَقَالَ يَذْكُرُ أَيَّامَ الشَّبَابِ :

أَسَلُ الدِّيَارَ عَنِ الْحَبِيبِ وَفِي الْحَشَا دَارُ لَهُ مَأْهُولَةٌ وَمَقَامُ (١)

جناح الطائر ، وهي كبار الريش ، الواحدة قادمة . ويراد بالقوادم : الأجنحة . يقول الشاعر إن جدوى الممدوح ثنت ضبع همته ، وهزت قوادمه لنظم القريض . وثني ضبع الهمة ، وهز القوادم ، كناية عن إثارة شاعريته .

(٧٢) اللآليء : الدرر ، الواحدة لؤلؤة ، وحذفت همزة الجمع للتخفيف . والربيع : الأخضر الناضر من النبات والشجر . وأزاهره : أزهاره . وكالزهر : جمع الأزهر ، وهو النير الزاهر المتألئ .

بالغ الشاعر في تعظيم هذه المدحة ، وشبه شعره بالآليء والدرر ، وأزهار الربيع المتفتحة العطرة البهيجة ، والنجوم الزاهرة النيرة ، المتألئة اللامعة .

(٧٣) العقد : خيط ينظم فيه الخرز ، أو اللؤلؤ ، أو نحوه ، ويحيط بالعنق للزينة . والجيد : العنق . وعلاؤه : علا الممدوح ، أي رفعتة وشرفه . والمواسم : جمع موسم ، وهو مجتمع الناس . ومواسم العرب : أعيادها الكبيرة .

جعل الشاعر مدحته هذه قلادة ، نظم فيها القيم من شعره ؛ ليُنشد ، ويتغنى به في صدور المحافل والمجتمعات الكبيرة الحاشدة ، ويزدان به شرف الممدوح وعلاؤه .

(٧٤) يدعو للممدوح أن يعيش مدة اتجاه كل شائم بنظراته إلى البرق ، ومدة تغني الحمام على الأراك . وشائم : ناظر .

(٧٥) الخدن (بكسر الخاء) : الصديق ، والصاحب ، وجمعه أخدان . والمهابة : مصدر هابه ، أي أجله وخافه ، ومنه رجل مهيب : أي يهابه الناس ، ويوقرونه ، ويعظمونه .

ختم الشاعر هذه القصيدة الطويلة بهذا البيت الذي جمع فيه لممدوحه السعادة في صورة صديق صادق الوعد ، وخدين كريم المخادنة ، والمهابة في هيئة صاحب يرافقه ، ولا يكاد يفارقه ، والمعالي والنصر في زيِّ خدام يقومون بخدمته ، وتوفير عزته ومنعته ، ورفاهته وهناءته .

(١) « أسل » : بحذف همزة للتخفيف ، ونقل فتحها إلى السين قبلها ، والمعنى : إني أسأل

وَمِنَ الْعَنَاءِ سُؤَالُ خَاشِعَةِ الصُّوَى
 ذَكَرَتْ بِهَا النَّفْسُ اللَّجُوجُ زَمَانَهَا
 إِذْ لِلْهُوَى ثَمَرٌ يَرِفُ وَلِلصَّبَا
 تَسْتَنُّ فِيهَا الْعَيْنُ بَيْنَ مَخَانِسِ
 فِي فِتْيَةٍ فَاضَ النَّعِيمُ عَلَيْهِمْ
 ذَهَبَتْ بِهِمْ شِيَمُ الْمُلُوكِ فَلَيْسَ فِي
 لَا يَنْطِقُونَ بِغَيْرِ آدَابِ الْهُوَى

بِيَدِ الْفَنَاءِ جَوَابُهَا إِرْمَامٌ^(٢)
 إِنَّ التَّذْكَرَ لِلنَّفُوسِ غَرَامٌ^(٣)
 كَأْسٌ تُشْفَى وَلِلْمَنَى إِمَامٌ^(٤)
 فِيهَا السَّلَامُ تَعَانَقُ وَلِزَامٌ^(٥)
 وَنَمَاهُمُ التَّبْجِيلُ وَالْإِعْظَامُ^(٦)
 تَلْعَابُهُمْ هَذْرٌ وَلَا إِبْرَامٌ^(٧)
 سُمِحَ النَّفُوسِ عَلَى الْبَلَاءِ كِرَامٌ^(٨)

- الديار عن حبيبي ، والحال أنه مقيم في قلبي . ويريد بالديار : المنازل المهجورة التي ارتحل عنها الحبيب وأهله وعشيرته . والحشا : ما أنطوت عليه الضلوع ، ويراد به هنا : القلب . ومأهولة : عامرة بأهلها . و« مقام » (بفتح الميم) : بمعنى منزلة ومكانة .
- (٢) العناء : التعب ، والجهد . والصوى : جمع صوة (بوزن قوّة) ، وهي حجارة تجعل أعلاماً في الطريق ، ليهتدي بها المسافرون في الصحاري ونحوها . ويراد بها هنا : آثار الديار التي هجرها أهلها ، ورحلوا عنها . وخاشعة الصوى : الصوى الخاشعة ، بمعنى الساكنة ، أو الخربة المجذبة ، التي لا أثر فيها للحياة أو العمران . وجوابها إرمام : جوابها سكوت ، وصمت .
- (٣) لَجَّ في الأمر : لازمه ، وأبى أن ينصرف عنه . وهي لجوج : أي شديدة اللجاجة .
- (٤) ثمر الهوى : نتائجه المشتهاة . ويرف : يهتز . والصبأ (بكسر الصاد) : الحداثة وصغر السن . وتشفَى (بالبناء المجهول) : أي تُشرب كلُّها ، والمراد استيعاب متع الصبا ، ومسرات الشباب . والمنى : الأمانى ، والآمال . وإمام : قُرب .
- (٥) تستنُّ : تغدو وتروح في مرح ونشاط . والعين : حسان العيون من النساء . ويراد بالمخانس : ما يواريهن ويحجبهن من الحجال ، والخدور .
- (٦) فيضان النعيم عليهم : رتوعهم في رغد العيش . ونماهم : رفعهم ، وأعلى شأنهم . وبجّله تبجيلاً : عظّمه .
- (٧) ذهبَتْ بهم : صاحبتهم ولازمتهم . وشيم الملوك : أخلاقهم . والتلعاب : مصدر يفيد الكثرة ، من الفعل « لعب » . والهدر : سقط الكلام ، والخطأ . والإبرام : مصدر أبرمه : بمعنى أضجره ، وأملّه .
- (٨) يراد بأداب الهوى : ما يلازم الهوى العذري ، ولا يكاد يفارقه من عفة القلب واللسان .

مِنْ كُلِّ أْبْلَجٍ يُسْتَضَاءُ بِنُورِهِ كَالْبَدْرِ جَلِيٍّ صَفْحَتَيْهِ غَمَامٌ^(٩)
 سَهْلُ الْخَلِيقَةِ لَا يَسُوءُ جَلِيْسَهُ بَيْنَ الْمَقَامَةِ وَاضِحٌ بَسَامٌ^(١٠)
 مُتَوَاضِعٌ لِلْقَوْمِ تَحْسَبُ أَنَّهُ مَوْلَى لَهُمْ فِي الدَّارِ وَهُوَ هَمَامٌ^(١١)
 تَتَقَاصِرُ الْأَفْهَامُ دُونَ فِعَالِهِ وَتَسِيرُ تَحْتَ لِوَائِهِ الْأَقْوَامُ^(١٢)
 فَإِذَا تَكَلَّمَ فَالرُّؤُوسُ خَوَاضِعُ وَإِذَا تَنَاهَضَ فَالْصُّفُوفُ قِيَامٌ^(١٣)
 حَتَّى انْتَبَهْنَا بَعْدَ مَا ذَهَبَ الصَّبَا أَنَّ الْخَلَاعَةَ وَالصَّبَا أَحْلَامٌ^(١٤)
 لَا تَحْسَبَنَّ الْعَيْشَ دَامَ لِمُتَرَفٍ هَيْهَاتَ لَيْسَ عَلَى الزَّمَانِ دَوَامٌ^(١٥)
 تَأْتِي الشُّهُورُ وَتَنْتَهِي أَيَّامُهَا لَمَعَ السَّرَابِ وَتَنْقُضِي الْأَعْوَامُ^(١٦)

وسمح (بضمتين) : جمع، سمح أو سميح ، صفة من السماحة ، وهي الجود . وسمح
 النفوس : كرامها . والبلاء : الاختبار بالمحنة ، والشدة .
 (٩) من كل أبلج : من كل فتى أبلج ، أي طلق الوجه ، مشرق الجبين . ويراد بصفحتي البدر :
 وجهه . والغمام : السحاب ، والقطعة منه غمامة .
 (١٠) المقامة : القوم ، والجماعة . وبسّام : صيغة مبالغة من البسم ، وهو أقل الضحك ،
 وأحسنه . ويراد به : البشاشة .
 (١١) « متواضع » : أي هو سهل الخليقة متواضع . والمولى : العبد . والهمام : السيد الشجاع .
 ورجل همام : عظيم الهمة ، وهي العزم القوي .
 (١٢) تتقاصر : تعجز ، أو تتضاءل ، أي أن أفهام الناس تتقاصر قبل أن تصل إلى فعال كل أمرى
 من هؤلاء الفتية .
 (١٣) خواضع : جمع خاضع ، أي خاشع مُنصت . وتناهض : يريد تكلف النهوض ، وحاول
 القيام . ويراد بقيام الصفوف إذا تناهض : أنه إذا همّ بالقيام لمغادرة مكانه بعد الفراغ من
 كلامه نهضت صفوف الناس تعظيماً له وإجلالاً .
 (١٤) الصبا في الشطر الأول : الشباب . والصبا في الشطر الثاني : الصبوة ، أي جهلة الفتوة ،
 والميل إلى اللهو . والخلاعة : مصدر خلع ، فهو خليع ، أي انقاد لهواه ، وتهتك .
 (١٥) العيش : الحياة . والمترف : المتنعم ، الذي لان عيشه .
 (١٦) لمع البرق : برّق ، وأضاء . وفي اللمع معنى السرعة . والسراب : ما يشاهد في نصف
 النهار ، من اشتداد الحرّ ، كأنه ماء ، ويضرب به المثل في الكذب والخداع والتمويه ،
 فيقال : « هو أخدع من السراب » .

وَالنَّاسُ فِيمَا بَيْنَ ذَلِكَ وَارِدٌ
لَا طَائِرٌ يَنْجُو وَلَا ذُو مَخْلَبٍ
فَإِذَا هُمُومَ النَّفْسِ عَنْكَ إِذَا اعْتَرَتْ
فَالْعَيْشُ لَيْسَ يَدُومُ فِي الْوَانِهِ
مِنْ خَمْرَةٍ تَذُرُّ الْكَبِيرَ إِذَا انْتَشَى
لَعِبَ الزَّمَانَ بِهَا فَعَادَرَ جِسْمَهَا
حَمْرَاءُ دَارَ بِهَا الْحَبَابُ فَصَوَّرَتْ
لَا تَسْتَقِيمُ الْعَيْنُ فِي لَمَعَانِهَا
أَوْ صَادِرٌ تَجْرِي بِهِ الْأَيَّامُ^(١٧)
يَبْقَى وَعَاقِبَةُ النَّفُوسِ حِمَامٌ^(١٨)
بِالْكَأْسِ فَهِيَ عَلَى الْهُمُومِ حُسَامٌ^(١٩)
إِلَّا إِذَا دَارَتْ عَلَيْهِ الْجَامُ^(٢٠)
بَعْدَ اشْتِعَالِ الشَّيْبِ وَهُوَ غَلَامٌ^(٢١)
شَبْحًا تَحَارُ لِذَرْكِهِ الْأَفْهَامُ^(٢٢)
فَلَكَا تَحْفُ سَمَاءُهُ الْأَجْرَامُ^(٢٣)
وَتَنْزِلُ عِنْدَ لِقَائِهَا الْأَقْدَامُ^(٢٤)

(١٧) وارد : أي مقبل على الحياة . وصادر : خلاف وارد ، أي مدبر عن الحياة الدنيا . وتجري به الأيام : أي تسرع به إلى الموت والهلاك .

(١٨) « ينجو » : المراد ينجو من الموت . والمخلب : ظفر كل سبع . والحمام : الموت . والمعنى : أن الموت لا بد منه . وهو نهاية كل الخلائق ، ولن يسلم منه طير ، ولا سبع ، ولا حيوان ، ولا إنسان .

(١٩) إدرا : أبعد . واعترت : نزلت ، وألمت . والحسام : السيف القاطع .
(٢٠) يريد بالعيش : المعيشة الهنيئة ، والحياة الممتعة . ويريد بالوان العيش : أنواع النعيم . ودارت عليه : أي خالطته ، وامتزجت به . والجام : الكأس ، ويراد بها الخمر .
(٢١) تذر : تدع ، وتترك . ويريد بالكبير : الأشيب . وانتشى : سكر . واشتعال الشيب : ظهوره وكثرته وانتشاره في شعر الرأس .

(٢٢) لعب الزمان بها : كناية عن تعتيقها . وغادر : ترك . والشبح : يكنى بصيرورة جسمها شبحاً عن فرط رقتها وخفتها ولطافتها بالتعتيق . وحرار يحار : لم يهتد لسبيله . ولدركه : من أجل إدراكه .

(٢٣) « حمراء » : أي من خمرة حمراء . والحباب : الفقاقيع التي تملو على وجه الماء أو الخمر . وتحف : تطوف . والأجرام : الكواكب والنجوم .

(٢٤) تنزل : تنزل ، وتسقط .

يقول : إن الخمر - لشدة لمعانها ، وفرط تلالئها - يضطرب نظر الناظر إليها ، ولا تثبت العين عند رؤيتها . وإذا تحسها شاربها أسكرته ، وزلت قدماه .

تَعْشُوا الرِّكَابُ فَإِنْ تَبَلَّجَ كَأْسَهَا
حُبِسَتْ بِأَكْلَفٍ لَمْ يَقُمْ بِفِنَائِهِ
حَتَّى إِذَا رَقَدَتْ وَقَرَّ قَرَارُهَا
تَسْمُ الْعُيُونَ بِنَارِهَا لِكِنَّهَا
فَاصْقُلْ بِهَا صَدَأَ الْهُمُومِ وَلَا تَكُنْ
وَاعْلَمْ بِأَنَّ الْمَرْءَ لَيْسَ بِخَالِدٍ
يَهْوَى الْفَتَى طُولَ الْحَيَاةِ وَإِنَّهَا
فَاطَمَحَ بِطَرْفِكَ هَلْ تَرَى مِنْ أُمَّةٍ

سَارُوا وَإِنْ زَالَ الضِّيَاءُ أَقَامُوا (٢٥)
نُورٌ وَلَمْ يَبْرَحْ عَلَيْهِ ظِلَامٌ (٢٦)
سَلِسَتْ فَلَيْسَ لِدُوقِهَا إِيلَامٌ (٢٧)
بَرْدٌ عَلَى شُرَابِهَا وَسَلَامٌ (٢٨)
غِرًّا تَطِيرُ بِلَبِّهِ الْأَوْهَامُ (٢٩)
وَالدَّهْرُ فِيهِ صِحَّةٌ وَسَقَامٌ (٣٠)
دَاءٌ لَهُ دُونَ الشَّغَافِ عُقَامٌ (٣١)
خَلَدَتْ وَهَلْ لِابْنِ السَّبِيلِ مَقَامٌ؟ (٣٢)

- (٢٥) عشا يعيشو : ساء بصره بالليل . والركاب : الإبل تركب . وتبلج : أشرق ، وأضاء .
وأقاموا : توقفوا عن السير .
- (٢٦) « حبست » : يراد بالحبس هنا : التعتيق . وأكلف : أي حبست في وعاء أكلف . والكلف : حمرة تشوبها كدرة وسواد . والفناء : الساحة في الدار . ويراد بالفناء هنا : المكان الذي تكون به أوعية التعتيق . وبرح الشيء : زال من مكانه . ولم يبرح الدن الأكلف عليه ظلام : أي لم يزايله الظلام ، ولم يفارقه ؛ فهو ملازم له .
- (٢٧) رقد : نام . ويراد بالرقود هنا : الإقامة والاستقرار والسكون . وقَرَّ قَرَارُهَا : سكنت . وسلست : سهلت ، ولذت . والذوق : المذاق ، أي الطعم . ومذاقها غير مؤلم : أي طيبة المذاق .
- (٢٨) وسمه : جعل له سمة ، أي علامة يعرف بها . وتسم الخمر عيون شاربيها : أي ترك في عيونهم حمرة كحمرة النار ، كأنها سمة يعرفون بها . والشُرَاب : جمع شارب ، إسم فاعل من شرب . أو هي شُرَاب . أي كثير الشرب .
- (٢٩) اصقل : أزل صدأه . وتطير بلبه : تذهب بعقله .
- (٣٠) المعنى : أنه لا سبيل إلى خلود الإنسان في هذه الحياة ؛ فالموت مصيره المحتوم . وأحواله في الدنيا متغيرة متقلبة بين الصحة والمرض ، والقوة والضعف ، والسرور والحزن ، والمتعة والبؤس .
- (٣١) يهوى : يحب ، ويشتهي . والشغاف : غلاف القلب . وداء عقام : أي عُضَال ، لا طب له ، ولا بُرء منه .
- (٣٢) طمح ببصره إليه : حدق به إليه ، وشدد النظر . والطرف : العين ، والنظر .

هَذِي الْمَدَائِنُ قَدْ خَلَتْ مِنْ أَهْلِهَا
لَا شَيْءَ يَبْقَى غَيْرَ أَنْ خَدِيعَةً
وَلَقَدْ تَبَيَّنَتْ الْأُمُورَ بِغَيْرِهَا
وَإِذَا السُّكُونُ تَحَرُّكٌ وَإِذَا الْخُمُ
وَإِذَا الْحَيَاةُ - وَلَا حَيَاةَ - مَنِيَّةٌ
هَذَا يَحُلُّ وَذَاكَ يَرْحَلُ كَارِهًا
فَالنُّورُ - لَوْ بَيَّنَّتْ أَمْرَكَ - ظُلْمَةٌ
بَعْدَ النَّعِيمِ وَهَذِهِ الْأَهْرَامُ (٣٣)
فِي الدَّهْرِ تَنْكُلُ دُونَهَا الْأَحْلَامُ (٣٤)
وَأَتَى عَلَيَّ النَّقْضُ وَالْإِبْرَامُ (٣٥)
دُ تَلْهَبُ وَإِذَا السُّكُوتُ كَلَامُ (٣٦)
تَحْيَا بِهَا الْأَجْسَادُ وَهِيَ رِمَامُ (٣٧)
عَنْهُ فَصُلْحٌ تَارَةٌ وَخِصَامُ (٣٨)
وَالْبَدءُ - لَوْ فَكَّرْتَ فِيهِ - خِتَامُ (٣٩)

(٣٣) في هذا البيت أشار الشاعر إلى كثرة من طواهم الردى ، وأكلتهم الأرض . وتركوا ما شيّدوه وعمروه من الديار والقصور ، والمدن والأمصار تنعاهم ، وتروي أخبارهم .

(٣٤) تنكل : تضعف ، وتعجز ، وتقصر ، وتحجم . ودونها : دون الخديعة . والمعنى أن الأحلام تضعف تحت تأثير الخديعة . والأحلام : العقول .

(٣٥) تبينّت الأمور بغيرها : أي تعرّفنتها وكشفتها بأشباهاها ونظائرها .

(٣٦) الخمود : مصدر خمدت النار ، أي سكن لهاها .

والمعنى : أن ما يبدو من سكون الدهر ومهادنته هو في حقيقته تأهب للحركة والبطش والفتك . وهو تحت خموده الظاهر يتقد ويتلّهب . وهو في صمته وسكونه متكلم ينطق بالمواعظ والعبر .

(٣٧) يريد أن الحياة في نظر من تدبّرهما موت ، أي تُبلي الأحياء ، وتُفنيهم .

(٣٨) « هذا » : إشارة إلى المولود الجديد المقبل على الدنيا . و« ذاك » : إشارة إلى الراحل عنها ، المفارق لها بالموت . وحلّ المكان ، وحلّ به : نزل فيه . أي هذا مولود يحلّ بالدنيا ، وذاك والد مثلاً يرحل عن مولوده كارهاً مُكرهاً . والتارة : المرة . جعل الدنيا تصالح الناس بالمواليد ، وتخاصمهم بطي حياة الأحياء ؛ فالولادة صلح وسلام . والموت حرب وخصام .

(٣٩) بيّنت أمرَكَ : أي تبينّت حقيقة حالك بطول التفكير والتدبّر .

ومعنى الشطر الأول : لو تدبّرت ما يبهرك من نور الحياة ، لعلمت أنه في حقيقته ظلمة ، لأنه لا يلبث أن ينطفئ على الرغم منك ، ويُعقب لك الأسى والحسرات . ومعنى الشطر الثاني : أن بدء الحياة يبدو - مع التبصّر والتفكير - ختاماً لها ؛ لشدة الاتصال ، وقصر المسافة بينهما ؛ فالمرء لا يكاد يستقبل الحياة حتى يرغم على توديعها ، واختتام حياته فيها .

رواية ثانية للقصيدة

ذَهَبَ الصَّبَا وَتَوَلَّتِ الْأَيَّامُ تَاللَّهِ أَنْسَى مَا حَيَّيْتُ عُهُودَهُ
فَعَلَى الصَّبَا وَعَلَى الزَّمَانِ سَلَامٌ إِذْ نَحْنُ فِي عَيْشٍ تَرَفٌ ظِلَالُهُ
وَلِكُلِّ عَهْدٍ فِي الْكِرَامِ ذِمَامٌ تَجْرِي عَلَيْنَا الْكَأْسُ بَيْنَ مَجَالِسِ
وَلَنَا بِمُعْتَرِكِ الْهَوَى آثَامٌ فِي فِتْيَةٍ فَاضَ النَّعِيمُ عَلَيْهِمُ
فِيهَا السَّلَامُ تَعَانَقُوا وَلِزَامٌ ذَهَبَتْ بِهِمْ شِيَمُ الْمُلُوكِ فَلَيْسَ فِي
وَنَمَاهُمُ التَّبَجِيلُ وَالْإِعْظَامُ لَا يَنْطِقُونَ بِغَيْرِ آدَابِ الْهَوَى
تَلْعَابِهِمْ هَذَرٌ وَلَا إِبْرَامٌ مِنْ كُلِّ أْبْلَجٍ يُسْتَضَاءُ بِنُورِهِ
سُمُحُ النُّفُوسِ عَلَى الْبَلَاءِ كِرَامٌ سَهْلُ الْخَلِيقَةِ لَا يَسُوءُ جَلِيسَهُ
كَالْبَدْرِ حَلَى صَفْحَتَيْهِ غَمَامٌ مُتَوَاضِعٌ لِلْقَوْمِ تَحَسَبُ أَنَّهُ
بَيْنَ الْمَقَامَةِ وَاضِحٌ بَسَامٌ تَرْنُو الْعُيُونُ إِلَيْهِ فِي أفعالِهِ
مَوْلَى لَهُمْ فِي الدَّارِ وَهُوَ هَمَامٌ فَإِذَا تَكَلَّمَ فَالرُّؤُوسُ خَوَاضِعُ
وَتَسِيرُ تَحْتَ لِوَائِهِ الْأَقْوَامُ نَلْهُو وَنَلْعَبُ بَيْنَ خُضِرِ حَدَائِقِ
وَإِذَا تَنَاهَضَ فَالْصُّفُوفُ قِيَامٌ حَتَّى انْتَبَهْنَا بَعْدَ مَا ذَهَبَ الصَّبَا
لَيْسَتْ بِغَيْرِ خِيُولِنَا تُسْتَامُ لَا تَحَسَبَنَّ الْعَيْشَ دَامَ لِمُتَرَفِ
إِنَّ اللَّذَاذَةَ وَالصَّبَا أَحْلَامُ تَأْتِي الشُّهُورُ وَتَنْتَهِي سَاعَاتُهَا
هَيْهَاتَ لَيْسَ عَلَى الزَّمَانِ دَوَامٌ لَمَعَ السَّرَابُ وَتَنْقُضِي الْأَعْوَامُ

والإكَّة :

(*) نشر الشيخ حسن المرصفي هذه القصيدة برواية ثانية تختلف عن رواية الديوان ، آثرنا ذكرها أيضاً ، مع الإشارة إلى أن تاريخ نسخ الديوان هو سنة ١٩٠٨ ، بينما تاريخ نشر المرصفي للقصيدة في « الوسيلة الأدبية » ص ٤٨١ يعود إلى سنة ١٨٧٥ م .

أَوْ صَادِرٌ تَجْرِي بِهِ الْأَيَّامُ
 يَبْقَى وَعَاقِبَةُ الْحَيَاةِ حِمَامٌ
 بِالْكَأْسِ فَهِيَ عَلَى الْهُمُومِ حُسَامٌ
 إِلَّا إِذَا دَارَتْ عَلَيْهِ الْجَمَامُ
 بَعْدَ اشْتِعَالِ الشَّيْبِ وَهُوَ غَلَامٌ
 شَبَحًا تَهَافَّتْ دُونَهُ الْأَوْهَامُ
 فَلَكَا تَحْفُ سَمَاءُهُ الْأَجْرَامُ
 وَتَزِلُّ عِنْدَ لِقَائِهَا الْأَقْدَامُ
 سَارُوا وَإِنْ زَالَ الضِّيَاءُ أَقَامُوا
 نُورٌ وَلَمْ يَسْرُخْ عَلَيْهِ ظَلَامٌ
 وَثَبَتْ فَلَمْ تَثْبُتْ لَهَا الْأَجْسَامُ
 بِالْمَاءِ بَعْدَ الْمَاءِ شَبَّ ضِرَامٌ
 بَرْدٌ عَلَى شُرَابِهَا وَسَلَامٌ
 غِرًّا تَطِيشُ بِلْبِهِ الْأَلَامُ
 وَالذَّهْرُ فِيهِ صِحَّةٌ وَسَقَامٌ
 دَاءٌ لَهُ - لَوَيْسْتَبِينُ - عُقَامٌ
 خَلَدَتْ وَهَلْ لِابْنِ السَّيْلِ مَقَامٌ؟
 بَعْدَ النَّظَامِ وَهَذِهِ الْأَهْرَامُ
 فِي الذَّهْرِ تَنْكُلُ دُونَهَا الْأَحْلَامُ
 وَآتَى عَلَيَّ النَّقْضُ وَالْإِبْرَامُ
 دُ تَلْهَبُ وَإِذَا السُّكُوتُ كَلَامٌ

وَالنَّاسُ فِيمَا بَيْنَ ذَلِكَ وَارِدٌ
 لَا طَائِرٌ يَنْجُو وَلَا ذُو مِخْلَبٍ
 فَادْرَأْهُمُومَ النَّفْسِ عَنكَ إِذَا اعْتَرَتْ
 فَالْعَيْشُ لَيْسَ يَدُومُ فِي الْوَانِهِ
 مِنْ خَمْرَةٍ تَذُرُّ الْكَبِيرَ إِذَا انْتَشَى
 لَعِبَ الزَّمَانُ بِهَا فَغَادَرَ جِسْمَهَا
 حَمْرَاءُ دَارَ بِهَا الْحَبَابُ فَصَوَّرَتْ
 لَا تَسْتَقِيمُ الْعَيْنُ فِي لَمَعَانِهَا
 تَعْشُو الرِّكَابُ فَإِنْ تَبَلَّجَ كَأْسَهَا
 حُبِسَتْ بِأَكْلَفٍ لَمْ يَصِلْ لِفَنَائِهِ
 حَتَّى إِذَا اصْطَفَقَتْ وَطَارَ فِدَامُهَا
 وَقَدَّتْ حِمَيْتُهَا فَلَوْلَا مَرْجُهَا
 تَسِيمُ الْعُيُونِ بِنُورِهَا لَكِنَّهَا
 فَاصْقُلْ بِهَا صَدَأَ الْهُمُومِ وَلَا تَكُنْ
 وَاعْلَمْ بَّأَنَّ الْمَرْءَ لَيْسَ بِخَالِدٍ
 يَهْوَى الْفَتَى طُولَ الْحَيَاةِ وَإِنَّهَا
 فَاطِمَحُ بِطَرْفِكَ هَلْ تَرَى مِنْ أُمَّةٍ
 هَذِي الْمَدَائِنُ قَدْ خَلَتْ مِنْ أَهْلِهَا
 لَا شَيْءٌ يَخْلُدُ غَيْرَ أَنَّ خَدِيدَةَ
 وَلَقَدْ تَبَيَّنَتْ الْأُمُورَ بِغَيْرِهَا
 فَإِذَا السُّكُونُ تَحْرُكُ وَإِذَا الْخُمُومُ

وَإِذَا الْحَيَاةُ - وَلَا حَيَاةَ - مَنِيَّةٌ هَذَا يَحُلُّ وَذَاكَ يَرْحَلُ كَارِهًا
 فَالنُّورُ - لَوَبَّيْنَتِ أَمْرِكَ - ظُلْمَةٌ وَقَالَ يَصِفُ رَوْضَةَ الْمَقْيَاسِ (*) :

أَلَا حَيٍّ بِالْمَقْيَاسِ رِيًّا الْمَعَالِمِ مَلَاعِبُ آرَامٍ وَمَأْوَى حَمَائِمِ
 أَحَاطَتْ بِهِ لِلنَّيْلِ مِنْ كُلِّ جَانِبِ تَدُورِ مَدَارِ الطُّوقِ مِنْ حَيْثُ تَلْتَقِي
 إِذَا ضَا حَكَّتْهَا الشَّمْسُ رَفَّتْ مُتُونُهَا وَقَلَّ لَهَا مِنْهَا تَحِيَّةٌ قَادِمِ (١)
 وَمَسْقَطُ أَنْدَاءٍ وَمَسْرَى نَسَائِمِ (٢)
 جَدَاوِلُ تُسْقِيهِ سُلَافَ الْغَمَائِمِ (٣)
 مَسِيرًا وَتَنْسَلُّ أَنْسِلَالَ الْأَرَاقِمِ (٤)
 رَفِيفَ الثَّيَابِ خَلْفَ حُمْرِ الْمَبَاسِمِ (٥)

(*) روضة المقياس : جزيرة في نهر النيل ، شرقيّ الجزيرة ، وغربيّ الفسطاط (مصر القديمة) .
 وسميت « روضة المقياس » لأن في نهايتها من الجنوب مقياساً قديماً كان يقاس به المستوى
 الذي يصل إليه ماء النيل في ارتفاعه وانخفاضه .

(١) يراد بالمعالم هنا : منازل هذه الجزيرة ، وما فيها من مظاهر الحياة ، ودلائل النعيم ، وآثار
 الحضارة وال عمران . وريا المعالم : المعالم الريانة . وصفها بالريّ مشيراً إلى ما يزينها من
 النضرة والبهجة ، والخصب والنماء . وقلّ لها منّا تحية قادم : أي أن تحيتنا لها نحن القادمون
 كانت قليلة ، لذا يطلب الشاعر إلقاء التحية على هذه المعالم .

(٢) الآرام : جمع رئم ، وهو الظبي ، أي الغزال الأبيض . وتشبّه به الفتاة الحسناء في جمال
 الجيد والعينين . والأنداء : جمع الندى ، وهو المطر ، وقطرات صغيرة من الماء تسقط في
 أثناء الليل على الأرض ، وعلى أوراق الأزهار والأشجار . والمسرى : السير ليلاً .

(٣) به : بالمقياس . ويراد به : روضة المقياس . و« من كل جانب » : تأكيد لمعنى الإحاطة .
 والجداول : القنوات والترع ، والأنهار الصغيرة . وسلاف الغمام ، أي مياه الأمطار .

(٤) « مدار » : مصدر ميمي بمعنى الدوران . والمسير : السير . وتلتقي مسيراً : تتلاقى
 وتتصل في سيرها وجريانها . وتنسلّ : تنطلق في استخفاء وهدوء . والأراقم : جمع الأرقم ،
 وهو الحية فيها سواد وبياض .

(٥) ضاحكتها الشمس : ضاحكت الشمس الجداول ، أي أشرقت بضياؤها على مياه هذه الجداول

وَإِنْ سَلَسَلْتَهَا الرِّيحُ أَبَدَتْ سَبَائِكًا مُقَدَّرَةً كَالْوَشْمِ فَوْقَ الْمَعَاصِمِ (٦)
تَجُوسُ خِلَالَ الْبَاسِقَاتِ وَتَنْتَهِي إِلَى سَاعِدٍ فِي غَمْرَةِ النَّيْلِ سَاجِمِ (٧)
تَرَى حَوْلَهَا الْأَشْجَارَ وَلَهَى مُكَبَّةً عَلَى الْمَاءِ فَعَلَ الصَّادِيَاتِ الْحَوَائِمِ (٨)
وَمُنْبَعِثَاتٍ فِي الْهَوَاءِ كَأَنَّهَا بَيَّارِقُ لَهَوْرُكُزَتْ فِي الْمَوَاسِمِ (٩)
مِنَ السَّلَاءِ قَدْ آلَيْنَ يَشْرِبْنَ أَوْ تَلِي مَنَابِتَهَا غَوْرَ الْبِحَارِ الْخَضَارِمِ (١٠)

فتلاؤات ، كأنما تضحك ضحكاً . ورفت : لمعت ، وبرقت . ومتونها : متون الجداول .
ومتن الماء : سطحه . والثايا : ما يظهر من الأسنان عند الابتسام . والمباسم : الثغور ،
واحد ما مبسم . ويراد بالمباسم هنا : الشفاه . وخلف حمر المباسم : أي وراء الشفاه
الحرمر .

(٦) سلسلتها الريح : أي جرت فوق مياهاها ؛ فكان لاحتكاكها بسطحها تجعد وتثن يشبه
السلاسل . وقدره : جعله على مقدار مخصوص ، ووجه مخصوص . والوشم : خطوط
ورسوم تكون في يد الموشوم ، أو وجهه . والمعاصم : جمع معصم ، وهو موضع السوار من
اليدين .

(٧) تجوس خلال الباسقات : تدور فيها ، وتتردد بينها . والباسقات : طوال النخيل والأشجار .
والساعد : مجرى الماء إلى النهر ، أو إلى البحر . وغمرة النيل : زحمته ، وكثرة مائه .
و « ساجم » : سائل .

يقول : إن هذه الجداول تدور وتجري بين طوال النخيل ، والأشجار المرتفعة العالية . ثم ينتهي
بها المطاف إلى مجراها المنصب في غمرة النيل ؛ فهي من النيل ، وإليه .

(٨) ولهي : صفة من وله الصبي إلى أمه ، أي فزع إليها ، ولجأ . ومكبة : مقبلة عليه .
والصاديات : جمع صادية ، اسم فاعل من الصدى وهو العطش الشديد . والحوائم : جمع
حائمة أو حائم ، من حام الطائر وغيره حول الشيء ، وحام عليه ، أي دار به ، وأطاف عليه .
(٩) منبعثات : أي ذاهبات مرتفعات في الهواء . والبيارق : جمع بريق ، وهو الراية ، أو العلم
الكبير . وركزت : غرزت في الأرض . والمواسم : الأعياد الكبيرة ، والمجامع الكثيرة من
الناس .

(١٠) اللاء : اللائي ، اسم موصول لجمع المؤنث . وآلين : أقسمن . وآلين يشربن : أي آلين ألا
يشربن . وتلي : تدنو وتقرب . ويراد بمنابت النخيل : جذورها وأصولها الذاهبة في أعماق
الأرض . وغور البحر : قعره وعمقه ، وجمعه أغوار . والخضارم : جمع خضرم ، وهو البحر
الخضيم العظيم .

إِذَا لَاعَبَتْ أَعْرَافَهَا الرِّيحُ خِلَّتْهَا
 يَلُوحُ بِهَا طَلْعُ نَضِيدٍ كَأَنَّهُ
 إِذَا مَا أَتَى مِيقَاتُهَا وَتَضَرَّجَتْ
 مَسَارِحُ لَهْوٍ لَوْرَأَى « الشَّعْبُ » حُسْنَهَا
 ذَكَرْتُ بِهَا عَضْرًا تَوَلَّى وَلَذَّةً
 وَمَا تَحْسُنُ الْأَيَّامُ إِلَّا بِأَهْلِهَا
 فَيَا نِعَمَ مَا وَلَّتْ بِهِ دَوْلَةُ الصَّبَا
 فَوَارِسَ تَعْصُو بِالسُّيُوفِ الصَّوَارِمِ (١١)
 فَرَائِدُ سَاوَى بَيْنَهَا كَفُّ نَاطِمِ (١٢)
 حَسِبْتَ عَقِيقًا فِي صِحَافِ الْكَمَائِمِ (١٣)
 لَعَضَّ عَلَى مَا فَاتَهُ بِالْأَبَاهِمِ (١٤)
 تَقَضَّتْ وَمَا عَهْدُ الزَّمَانِ بِدَائِمِ (١٥)
 وَلَا الدَّارُ إِلَّا بِالصَّصِيقِ الْمَلَائِمِ (١٦)
 وَلَمْ تَرَعَهُ مِنْ عَهْدِنَا الْمُتَقَادِمِ (١٧)

- (١١) أعراف النخيل : أعاليها ، أي فروعها وسعفها . ولاعبت الريح أعرافها : عبثت بها ، وحركتها . وخلتها : ظنتها . وعصاه يعصوه : ضربه بالعصا . والصوارم : القواطع ، جمع صارم ، وهو الحاد القاطع .
- (١٢) يلوح : يبدو ، ويظهر . وطلع النخلة : ما يبدو من ثمرها في أول ظهوره . ونضيد : منضود ، منسق . وفرائد : جمع فريدة ، وهي الجوهرة النفيسة .
- (١٣) ميقاتها : ميقات الفرائد ، أي وقت نضجها . ويريد بالفرائد : الطلع المنضود . وتضرجت : احمرت . والعقيق : خرز نفيس أحمر اللون ، أو هو حجر كريم أحمر . والكمائم : أوعية الطلع وغُلفه . وصحاف الكمائم : الكمائم الشبيهة بالصحاف .
- (١٤) المسارح : جمع مسرح . ويراد بمسارح اللهو : ما كان للشاعر ولأمثاله في هذه الرياض والقصور من ملاعب ، وملاه ، يجدون فيها كل ما يشتهون من المرح والسرور ، والمتع واللذات . ويراد بالشعب (بكسر فسكون) : شعب بؤان ، وهو موضع عند شيراز ، ببلاد فارس (إيران) ، كثير الشجر والمياه ، يعد من جنان الدنيا . والأباهم : جمع الإبهام ، وهي الإصبع الغليظة الخامسة . وعض الأباهم ، وعض عليها : كناية عن الندم والحسرة ، أي تحسّر وتلهّف على ما لم يصل إليه ، ولم يتهيا له من محاسن روضة المقياس بالقاهرة .
- (١٥) ذكرت : تذكّرت . وتولى : أدبر ، وذهب . «وما عهد الزمان بدائم» : تذييل معناه أن الزمان لا وفاء له ، ولا أمان .
- (١٦) الملائم : الموافق .
- يقول : إنما تحسن الأيام بحسن أهلها ، تصلح بصلاحهم ، وكذلك الديار لا تحسن عند المرء إلا إذا كان له فيها صديق صادق الود ، وإلا كانت جافية موحشة مقلقة لا تطاق .
- (١٧) ولّت : أدبرت ، وذهبت . ودولة الصبا : ريعان الشباب وغلبته ، وعنفوانه . ولم ترعه : لم تحفظه ، ولم تصنه . والعهد : الزمان . والمتقادم : القديم .

إِذِ الْعَيْشُ أَفْنَانٌ وَنَحْنُ عِصَابَةٌ أُولُو تَرْفٍ مَا بَيْنَ غَادٍ وَهَائِمٍ (١٨)
 نَسِيرٌ عَلَى دِينِ الْوَفَاءِ وَلَمْ يَكُنْ سِوَى الْحُبِّ مِنْ قَاضٍ عَلَيْنَا وَحَاكِمٍ (١٩)
 إِذَا قَالَ مِنَّا قَائِلٌ قَامَ دُونَهُ شَهِيدٌ عَلَيْهِ صَادِقٌ غَيْرُ آثِمٍ (٢٠)
 يَحُومُ عَلَيْهِ وَالْمَنَايَا مُسْفَةٌ وَيَدْرَأُ عَنْهُ فِي صُدُورِ اللَّهَادِمِ (٢١)
 إِذَا أَلْهَبَتْهُ غَضَبَةٌ وَتَرَجَّحَتْ بِهِ سَوْرَةٌ أَغْرَى الظُّبَا بِالْجَمَاجِمِ (٢٢)
 فَقَدْ مَرَّ ذَاكَ الْعَصْرُ إِلَّا لُبَانَةٌ مُعَلَّقَةٌ بَيْنَ الْحَشَا وَالْحَيَازِمِ (٢٣)
 إِذَا ذَكَرْتَهَا النَّفْسُ يَوْمًا تَرَاجَعَتْ عَلَيْهَا عَقَابِيلُ الْهُمُومِ الْقَدَائِمِ (٢٤)

(١٨) العيش : المعيشة والحياة . وأفنان : ضروب ، وأنواع . والعصابة : الجماعة من الرجال .
 وأولو : أصحاب . والترف : النعيم ، ورغد العيش . وغاد : ذاهب منطلق . وهائم : خارج
 على وجهه في الأرض ، وذاهب لا يدري أين يتوجه .

(١٩) يراد بالدين هنا : الخلق ، والسيرة ، والعادة .

(٢٠) قام دونه : قام أمامه ، أو بين يديه . وشهد على القائل : أي شاهد عليه ، أو نصير له
 ومعين ، يؤيد بشهادته قول صاحبه وصديقه . وغير آثم : غير خاطيء ، أي غير مذنب .

والمعنى : أنه كان هو وصحبه متناصرين متفقين ، لا يكادون يختلفون ؛ فإذا تكلم
 أحدهم ، أيده إخوانه بشهادتهم له دون أن يتجاوزوا حدود الصدق والحق ، والاستقامة
 والصواب .

(٢١) يحوم عليه : يدور به ؛ والمراد يدافع عنه ، وينصره . والمنايا : جمع المنية ، وهي
 الموت . ومسفة : دانية قريبة . ويدرأ : يدفع ، ويحامي عنه . وبصدور اللهازم : جمع
 صدر ، وهو مقدم كل شيء . وصدر الرميح والسيف ونحوهما : أعلاه . واللهازم : جمع
 لهزم ، وهو الحاذ القاطع من السيوف والأسنة ونحوها .

(٢٢) ألهبته : أثارته وهيجته . وغضبة : اسم مرة من الغضب . وترجحت به : مالت . والسورة :
 الغضب . والظبا : جمع ظبة (بضم ففتح) ، وهي حدّ السيف والسنان ونحوهما .
 والجماجم : الرؤوس ، واحدها جمجمة ، وهي عظم الرأس المشتمل على الدماغ .

(٢٣) « ذاك العصر » : إشارة إلى دولة الصبا ، وزمن الشباب . واللبانة : الحاجة . والحشا : ما
 حواه البطن ، وجمعه أحشاء . والحيازم : جمع حيزوم ، وهو الصدر ، أو وسطه .

(٢٤) ذكرتها : ذكرت اللبانة ، أي تذكرتها . وتراجعت : رجعت . وعليها : على النفس .
 والعقابيل : الشدائد . والقدايم : جمع قديم ، وهو خلاف الحديث .

وَمَنْزِلَةٌ لِلْأَنْسِ كُنَّا نَحُلُّهَا وَنَرَعَىٰ بِهَا اللَّذَاتِ رَعَى السَّوَائِمِ (٢٥)
 عَفْتُ وَكَأَنَّ لَمْ تَغْنِ بِالْأَمْسِ وَالتَّقْتُ عَلَيْهَا أَعَاصِيرُ الرِّيَّاحِ الْهَوَاجِمِ (٢٦)
 وَمَا خَيْرُ دُنْيَا لَا بَقَاءَ لِعَهْدِهَا وَمَا طِيبُ عَيْشٍ رَبُّهُ غَيْرُ سَالِمِ (٢٧)
 عَلَىٰ هَذِهِ تَمْضِي اللَّيَالِي وَيَنْقُضِي حَدِيثُ الْمُنَى فِيهَا كَأَحْلَامِ نَائِمِ (٢٨)

وَقَالَ ، وَكَتَبَ بِهَا مِنْ حَرْبِ الرُّوسِيَا*) سَنَةَ أَرْبَعٍ وَتِسْعِينَ وَمِائَتَيْنِ وَأَلْفَ هِجْرِيَّةٍ
 إِلَى صَدِيقِهِ الْعَلَّامَةِ الشَّيْخِ « حُسَيْنِ الْمَرْصِفِيِّ » (**):

يَا نَاعِسَ الطَّرْفِ إِلَى كَمْ تَنَامُ ؟ أَسْهَرْتَنِي فِيكَ وَنَامَ الْأَنَامُ (١)

(٢٥) المنزلة : المنزل ، والدار . والأنس : الفرح والسكون . ونحلُّها : نقيم بها . ونرعى اللذات : نباشرها ، ونستمتع بها . والسوائم : جمع سائمة ، وهي الماشية الراحية .
 (٢٦) عفت : زالت ، وأمحت . وكان لم تغن بالأمس : أي كان لم تكن عامرة بأهلها . والتقت : تلاقت ، واجتمعت . والأعاصير : جمع إعصار ، وهو ريح تهب بشدة . والهواجم : جمع هاجمة ، اسم فاعل من هجم عليه ، أي انتهى إليه بغتة ، على غفلة منه .
 (٢٧) الدنيا لا خير فيها ، ولا بقاء لعهداها . والعيش لا يطيب إلا بسلامة صاحبه ، وهي متعذرة ، أو ممتنعة .

(٢٨) « على هذه » : أي الحالة التي عاناها ، وهي قلة خير الدنيا ، وانطباعها على الخداع والغدر . وحديث المنى : ما يتحدث به من الأمانى والآمال . يقال : « هذه أحلام نائم » : للأمانى الكاذبة التي لا سبيل إليها .

(*) حرب الروسية : يريد الحرب التي كانت بين روسيا وتركيا . أعلنتها روسيا ، وبدأت بها في إبريل سنة ١٨٧٧م (الموافق شهر ربيع الآخر سنة ١٢٩٤هـ) ، وانتهت بهزيمة تركيا ، وعقد معاهدة « سان استفانو » في مارس سنة ١٨٧٨ . وقد استنجدت تركيا مصر ، فأنجدها الخديوي اسماعيل بحملة عسكرية ، وكان محمود سامي البارودي من كبار ضباطها .

(**) الشيخ حسين بن أحمد المرصفي (المتوفى سنة ١٣٠٧هـ - ١٨٨٩م) : عالم لغوي ، أديب . تعلم في الأزهر ، ونبغ في علوم اللغة العربية وآدابها . ثم اشتغل بتدريسها في الأزهر ودار العلوم . ومن مؤلفاته « الوسيلة الأدبية للعلوم العربية » .

(١) الطرف : العين . ويراد بنعاس العينين : فتورهما ، وهو من محاسنها .

أَوْشَكَ هَذَا اللَّيْلُ أَنْ يَنْقَضِيَ
وَيَلَاهُ مِنْ ظَنِّي الْجِمَى إِنَّهُ
يَغْضَبُ مِنْ قَوْلِي « آهٍ » وَهَلْ
لَا كُتِبُهُ تَتْرَى وَلَا رُسْلُهُ
اللَّهُ فِي عَيْنِ جَفَاهَا الْكَرَى
طَالَ النَّوَى مِنْ بَعْدِكُمْ وَأَنْقَضَتْ
أَرْتَاحُ إِنْ مَرَّ نَسِيمُ الصَّبَا
يَا لَيْتَنِي فِي السَّلِكِ حَرْفٌ سَرَى

وَالْعَيْنُ لَا تَعْرِفُ طِيبَ الْمَنَامِ (٢)
جَرَّعَنِي بِالصَّدِّ مُرَّ الْجِمَامِ (٣)
قَوْلِي « آهٍ » يَا بَنَ وَدِّي حَرَامٌ؟ (٤)
تَأْتِي وَلَا الطَّيْفُ يُوَافِي لِمَامٍ (٥)
فِيكُمْ وَقَلْبٌ قَدْ بَرَاهُ الْغَرَامِ (٦)
بَشَاشَةُ الْعَيْشِ وَسَاءَ الْمَقَامِ (٧)
وَالْبُرءُ لِي فِيهِ مَعَاً وَالسَّقَامِ (٨)
أَوْ رِيَشَةٌ بَيْنَ خَوَافِي الْجِمَامِ (٩)

(٢) أوشك : دنا ، وقرب . وطاب الشيء يطيب طيباً : لذّ ، وحسن ، وجاد .

(٣) ظبي الحمى : أي ظبي محميّ مصان . وجرّعه الدواء : سقاه إياه شيئاً فشيئاً . والصّدّ : الصدود ، والإعراض ، والانصراف . والحمام : قضاء الموت ، وقدره .

والبيت الرابع في رواية « الوسيلة الأدبية » للمرصفي :

قد رحم العاذل حالي فما يرضى لذلي في الهوى بالملام

لا وجود له في أصل الديوان .

(٤) ابن ودّه : حبيبه الذي يتغزل به ، ويشكو صدّه وهجره ، ويتوجّع من إعراضه عنه . والاستفهام في البيت معناه النفي ، أو الإنكار .

(٥) كتبه : رسائله . وتترى : متواترة ، متتابعة . والرسل : جمع رسول ، وقد يأتي بمعنى الرسالة . والطيّف : الخيال الطائف الذي يراه النائم في نومه ، أي طيف الحبيب . ويوافي : يأتي . ولمّ بفلان : أي أتاه ، فنزل به وزاره ، زيارة قصيرة . وأسم المرة منه لمة وجمعها لمام . ويقال : هو يلقانا لماماً ، أي يلقانا لقاءً يسيراً قليلاً .

(٦) لفظ الجلالة في أول هذا البيت منصوب على تقدير : خافوا الله ، أو اتقوا الله . وجفاهها :

زايّلها وفارقها . والكرى : النوم أو النعاس . وفيكم : من أجلكم . وبراها : هزله ، وأضعفه .

(٧) النوى : الفرقة والبعد ، وهي مؤنثة . والعيش : المعيشة والحياة . وبشاشة العيش : طيبه ، ولذته . والمقام (بضم الميم) : الإقامة .

(٨) النسيم : الريح الطيبة ، اللطيفة . والصبأ (بفتح الصاد) : ريح مهبها من مشرق الشمس ، وهي أحب الرياح إلى العرب ، وألطفها في جزيرتهم ؛ ولهذا أولع شعراؤهم بها . والسقام : المرض .

(٩) السلك : الخيط ، وجمعه سلوك ، وأسلاك ؛ ويراد به هنا : أسلاك البرق ، أي التلغراف

حَتَّى أُوَافِي مِصْرَ فِي لَحْظَةٍ أَقْضِي بِهَا فِي الْحُبِّ حَقَّ الذَّمَامِ^(١٠)
مَوْلَايَ قَدْ طَالَ مَرِيرُ النَّوَى فَكُلُّ يَوْمٍ مَرَّيْ أَلْفُ عَامٍ^(١١)
أَنْظُرُ حَوْلِي لَا أَرَى صَاحِبًا إِلَّا جَمَاهِيرَ وَخَيْلًا صَيَامٍ^(١٢)
وَدَيْدَبَانًا صَارِحًا فِي الدُّجَى أَرْجِعُ وَرَاءَ إِنَّهُ لَا أَمَامَ^(١٣)
يُقْتَبَلُ الصُّبْحُ وَيَمْضِي الدُّجَى وَيَنْقُضِي النُّورَ وَيَأْتِي الظَّلَامَ^(١٤)
وَلَا كِتَابٌ مِنْ حَبِيبٍ أَتَى وَلَا أَخُو صِدْقٍ يَرُدُّ السَّلَامَ^(١٥)
فِي هَضْبَةٍ مِنْ أَرْضِ « دَبْرِجَةِ » لَيْسَ بِهَا غَيْرُ بُغَاثٍ وَهَامٍ^(١٦)

والمواصلات السلوكية التي تربط البلاد والناس بعضهم ببعض . ويراد بالحرف : الواحد من حروف الهجاء المكونة لكلمات الرسائل البرقية ونحوها . وسرى : سار ليلاً . والخوافي : ريشات من الجناح ، إذا ضم الطائر جناحيه خفيت . والقوادم : الريشات الظاهرة في مقدم الجناح ، وهي كبار الريش . ويراد بالحمام : حمام الزاجل .

(١٠) أوافي مصر : أنزل بها . وأقضي : أؤدي . والذمام : العهد .

(١١) « مولاي » : المولى ، الولي المحب ، والسيد والصاحب . والشاعر يتجه بالنداء والشكوى إلي مولاه ، أي وليه وصديقه الشيخ « حسين المرصفي » . ومرير النوى : مرارتها . والنوى الفرقة ، والبعد .

(١٢) جماهير : جمع جمهور ؛ ويراد بالجماهير هنا : كتائب الجند ، وفرق الجيش ، وجماعات المتحاربين . وفرس صائم : أي ممسك عن السير ، ساكن .

(١٣) الديدبان : الحارس ، والرقيب . ودجى الليل : ظلماته .

يصف الحراس والرقيب في مشاهد الحرب ، ومواطن القتال ، وما يفاجئون به المارة من الأوامر والنواهي ، والتنبيهات الصارخة الصارمة ، وبخاصة في الليالي الداجية المظلمة .

(١٤) يُقْتَبَلُ : يُسْتَقْبَلُ . ويراد بالصبح والنور : النهار . وبالدجى والظلام : الليل . أي يأتي النهار ، ويمضي الليل ، أي تتوالى الأيام والليالي .

(١٥) الكتاب : الرسالة . وأخو الصديق : الصديق الوفي . ويرد السلام : يرده التحية . والمراد إجابة الشاعر عن كتبه ورسائله التي أرسلها إلى أصدقائه في مصر ، ولم تصل إليه ردودها .

(١٦) الهضبة : الرابية ، وهي ما ارتفع من الأرض . و« دبْرِجَةِ » أو « دبْرِوَجَةِ » : إقليم زراعي يطل على البحر الأسود جنوبي دلتا نهر الدانوب . وتقتسمه بينهما رومانيا وبلغاريا . والبغاث : شرار الطير ، وما لا يصيد منها ، وما لا يرغب في صيده ؛ لأنه لا يؤكل . والهام : جمع هامة ، وهي نوع من البوم الصغير ؛ ويراد بالبغاث والهام هنا أراذل الناس وسفلتهم .

وَرَاءَنَا الْبَحْرُ وَتَلْقَاءَنَا سَوَادُ جَيْشٍ مُكْفَهَرٍ لُهُامٍ (١٧)
فَتِلْكَ حَالِي - لَا رَمْتِكَ النُّوَى - فَكَيْفَ أَنْتُمْ بَعْدَنَا يَا هُمَامُ؟ (١٨)

(١٧) وراءنا البحر : لعله يريد البحر الأسود ؛ فإن « دبْرِجَة » تطل عليه . وتلقاؤنا : أمامنا . وسواد الناس : معظمهم ، وكثرتهم . ومكفَهَرٌ : كثير ، كثيف ، أو عابس ، عنيف . وجيش لهام (بوزن غراب) : أي كثير عظيم ، كأنه يلتهم كل شيء ، أي يزدرده ويبتلعه .
(١٨) « لا رمتك النوى » : لا تمنعني في البعد . والهمام : السيد الشجاع السخي من الرجال ، والرجل العظيم الهمة .

ملاحظة : عدد أبيات هذه القصيدة في الديوان ثمانية عشر بيتاً ، وفي كتاب الوسيلة الأدبية تسعة عشر بيتاً ، وقد رأينا أن تتم الفائدة بنشر الميمية كما روتها الوسيلة الأدبية ، بعد أن نشرناها كما جاءت في أصل الديوان المخطوط ، ليطلع القارئ على الفوارق اليسيرة بين الروايتين في عدد الأبيات ، وترتيبها ، وبعض المفردات :

١	يا ناعس الطرف إلى كم تنام؟	أسهرتني فيك ونام الأنام
٢	أوشك هذا الليل أن ينقضي	والعين لا تعرف طيب المنام
٣	اللَّهُ في عين جفاها الكرى	فيكم وقلب قد براه الغرام
٤	قد رحم العاذل حالي فما	يرضى لذلي في الهوى بالملام
٥	ويلاه من ظبي الحمى إنه	جرعني بالصدّ مرّ الحمام
٦	يغضب من قلبي «آه» وهل	قولي «آه» يا بن ودي حرام؟
٧	لا كتبه تترى ولا رسله	تأتي ولا الطيف يوافي لمام
٨	طال النوى من بعدكم وانقضت	بشاشة العيش وساء المقام
٩	أرتاح إن مرّ نسيم الصّبا	والبرء لي فيه معاً والسّقام
١٠	يا ليتني في السلك حرف سري	أو ريشة بين خوافي الحمام
١١	حتى أوافي مصر في لحظة	أقضي بها في اللّهُ حق الذمام
١٢	مولاي قد طال مريّر النوى	فكل يوم مرّ بي ألف عام
١٣	أنظر حولي لا أرى صاحباً	إلا جماهير وخيلاً صيام
١٤	وديدباناً صارخاً في الدجى	ارجع وراء إنه لا أمام
١٥	يقبل الصبح ويمضي الدجى	وينقضي النور ويأتي الظلام
١٦	ولا كتاب من حبيب أتى	ولا أخو صدق يرّد السلام
١٧	في هضبة من أرض «دبريجة»	ليس بها غير بغاث وهام
١٨	من خلفنا البحر وتلقاؤنا	سواد وجيش مكفهرٍ لُهُام
١٩	فتلك حالي لارمّتك النوى	فكيف أنتم بعدنا يا همام؟

وَقَالَ (*):

حَيِّ مَغْنَى الْهَوَى بِوَادِي الشَّامِ
هُنَّ يَعْرِفَنِي بِطُولِ حَنِينِي
فَلَقَدْ طَالَ مَا هَتَفَنَ بِشَدْوِي
وَلَكُمْ سِرْتُ كَالنَّسِيمِ عَلِيلاً
فِي شِعَارٍ مِنَ الضَّنَى نَسَجْتُهُ
كُلَّمَا شِمْتُ بَارِقاً خِلْتُ ثَغْرًا
وَأَدْعُ بِأَسْمِي تُجَبِّكَ وَرُقُ الْحَمَامِ (١)
بَيْنَ تِلْكَ السُّهُولِ وَالْأَكَامِ (٢)
وَتَنَاقَلْنَ مَا حَلَا مِنْ هَيَامِي (٣)
أَتَقَرَّى مَلَاعِبَ الْأَرَامِ (٤)
بِخُيُوطِ الدُّمُوعِ أَيْدِي الْغَرَامِ (٥)
بِأَسْمَاءٍ مِنْ خِلَالِ تِلْكَ الْخِيَامِ (٦)

(*) نظم البارودي هذه القصيدة الرائعة (٤٥ بيتاً) في مدح الأمير « شكيب أرسلان » (١٨٦٩ - ١٩٤٦) الملقب بأمير البيان ، وهو أديب ، ناقد ، كاتب ، شاعر ، لغوي ، خطيب ، مؤلف ، صحفي ، مؤرخ ، سياسي ، رحالة . جاهد خير جهاد في سبيل وحدة العرب ، وأخوة الإسلام ، ولد بالشويفات من قرى لبنان . ودفن بها .

(١) مغنى الهوى : منزل الحب . ويراد بوادي الشام : البلاد الشامية التي تشمل فلسطين ، وسوريا ، ولبنان . وادع باسمي : اهتف باسمي ، ونادني . وحمامة ورقاء : رمادية اللون ، أو في لونها بياض إلى سواد .

(٢) الحنين : صوت يردده الواله الحزين .

(٣) هتفت بشدوي : تغنت بمثل غنائي ، أو استحسنت شعري ، وطربت له . والهيام (في الأصل) : شدة العطش . ومن المجاز : هو هائم بفلانة ، إذا اشتد عشقه لها . ويراد بهيامه : شدوه ، أي ما تغنى به إذ الشدو أثر من آثار الهيام .

(٤) عليلاً : صفة من العلة ، وهي المرض الشاغل . وهو هنا مرض الحب والغرام . وأتقرى : أقصد ، وأتبع . والأرام : جمع رثم (بكسر فسكون) ، وهو الظبي الخالص البياض . وتشبه حسان النساء بالأرام في الرشاقة ، ولطف الحركة ، وحسن الثني ، وجمال العيون والأعناق .

(٥) الشعار (بكسر الشين وفتحها) : هو الثوب الذي يلي شعر الجسد ، أي يلاصقه ويمسه . والضنى : الضعف والهزال . وخيوط الدموع : الدموع المنسجمة الغزيرة التي تتصل قطراتها ببعضها بعض ، فتبدو كالخيوط .

(٦) شام البرق والسحاب : نظر إليه ليتعرف أين يتجه ، وأين يمطر . والبارق : سحاب ذو برق . وخلت : ظننت . والثغر : مقدم الفم ، وما يبدو من الأسنان عند الابتسام .

وَالْهَوَىٰ يَجْعَلُ الْخِلَاجَ يَقِينًا
 خَطَرَاتٌ لَهَا بِمِرَاةٍ قَلْبِي
 مَا تَجَلَّتْ عَلَيَّ الْمَخِيلَةَ إِلَّا
 ذَاكَ عَصْرٌ خَلَا وَأَبْقَىٰ حَدِيثًا
 كُلَّمَا زَحْزَحْتُ بِنَانَةَ فِكْرِي
 يَا نَسِيمَ الصَّبَا - فَدَيْتُكَ - بَلِّغْ
 وَأَقْضِ عَنِّي حَقَّ الزِّيَارَةِ وَأَذْكَرْ
 أَنَا رَاضٍ مِنْهُمْ بِذِكْرَةِ وُدِّ
 وَيَغُرُّ الْحَلِيمَ بِالْأَوْهَامِ (٧)
 صُورٌ لَا تَزُولُ كَالْأَحْلَامِ (٨)
 أَذْكَرْتَنِي مَا كَانَ مِنْ أَيَّامِي (٩)
 نَتَعَاطَاهُ بَيْنَنَا كَالْمُدَامِ (١٠)
 عَنْهُ سِتْرَ الْخِيَالِ لَاحِ أُمَامِي (١١)
 أَهْلَ ذَاكَ الْحِمَى عَيْرَ سَلَامِي (١٢)
 فَرَطٌ وَجِدِي بِهِمْ وَطُولَ سَقَامِي (١٣)
 أَوْ كِتَابٍ إِنْ لَمْ أَفْزِ بِلِمَامِ (١٤)

(٧) الخلاج : الشك ، أو الظن . واليقين : العلم الذي لا شك فيه ، وهو خلاف الخلاج .
 وغره : خدعه . والحليم : صفة من الحلم ، وهو العقل ، والرزانة . والأوهام : الظنون ،
 والأخيلة .

(٨) خطرات : جمع خطرة ، من خطر له الأمر ، أي لاح في فكره ، أو مرّ بباله ؛ ويراد بالخطرات
 هنا : ذكريات الحب . ومراة قلبي : أي قلبي الشبيهة بالمرأة ، ويراد بالقلب هنا : الذهن ، أو
 العقل .

(٩) تجلّت : بدت ، وبانّت . والمخيلة : الظن ، ويراد بها قوة التخيل والتذكّر . وأذكرتني :
 جعلتني أتذكر . ويريد بأيامه : أيام حبه وغرامه .

(١٠) العصر : الزمان ، ويراد به زمن الهوى والحب . وخلا : مضى . وأبقى : خلّد . ويراد
 بالحديث : أخبار الحب . ونتعاطاه : نتناوله ونأخذه . والمدام : الخمر .

(١١) البنانة : الإصبع ، أو طرفها . والفكر : النظر .

(١٢) النسيم : الريح اللطيفة . والصبا : ريح تهب من مشرق الشمس . والحمى : المكان يحمى
 ويصان ويدافع عنه . وأهل ذاك الحمى : أحباؤه الذين تعلق بهم ، وتاقت نفسه إلى لقائهم .
 والعير : أخلاط من الطيب .

(١٣) اقض : أمر من قضى عنه الحق ، أي أداه ووفّاه . وحقّ الزيارة : الزيارة الواجبة عليّ
 المستحقّة لهم . والفرط : مجاوزة الحد . والوجد : الحب .

(١٤) الذكرة (بضم فسكون) : ضد النسيان . والود : المودة والمحبة . وذكره الود : أن يذكره
 بمودتهم ومحبتهم . والكتاب : الرسالة ، والخطاب . واللمام : اللقاء اليسير ، والزيارة
 القصيرة .

هُمُ أَبَاحُوا الْهُوَى حَرِيمَ فُؤَادِي وَأَذَلُّوا لِعَاذِلِينَ خِطَامِي (١٥)
أَتَمَّنَاهُمْ وَدُونَ التَّلَاقِي قُدْفَاتٌ مِنْ لُجِّ أَخْضَرَ طَامِي (١٦)
صَائِلُ الْمَوْجِ كَالْفُحُولِ تَرَاعَى مِنْ هِيَاجٍ وَتَرْتَمِي بِاللُّغَامِ (١٧)
وَتَرَى السُّفْنَ كَالْجِبَالِ تَهَادَى خَافِقَاتِ الْبُنُودِ وَالْأَعْلَامِ (١٨)
تَعْتَلِي تَارَةً وَتَهْبِطُ أُخْرَى فِي فَضَاءٍ بَيْنَ السُّهَاءِ وَالرَّغَامِ (١٩)
هِيَ كَالدُّهْمِ جَامِحَاتٌ وَلَكِنْ لَيْسَ يُشْنَى جِمَاحَهَا بِلِجَامِ (٢٠)

(١٥) أباحوا الهوى حريم فؤادي: أي كان قلبي محرماً فأهدروا حرمة، وجعلوه حلالاً مباحاً للحب والغرام، يستولي عليه، ويحتله، ويستعبده. والعاذلون: اللائمون. والخطام: الزمام، والمقود. ومن المجاز: وضع الخطام على أنف فلان: أي ملكه، وأذله، واستبد به.

(١٦) أتمنأهم: أي أتمنى لقاءهم. والقذفات: جمع قذفة (بوزن غرفة)، وهي ما برز وأشرف من الجبل. وقذفات البحر: ما علا من أمواجه وارتفع كالجبال. واللج: معظم البحر أو عرضة ووسطه. وبحر لجي: واسع زاخر، عظيم، متموج. والأخضر: البحر، لأن ماءه يضرب إلى الخضرة من صفائه. وطام: اسم فاعل من طما، أي امتلأ.

(١٧) صائل: اسم فاعل من صال، أي وثب. والفحول: جمع الفحل، وهو الذكر القوي من كل حيوان. وتراعت الإبل: تصايحت. واللغام (بضم اللام): زيد أفواه الإبل.

(١٨) تهادى: تتمايل في سيرها. وخافقات: من خفقت الراية ونحوها، أي تحركت، واهتزت. والبنود والأعلام: الرايات.

(١٩) السُّهَاءُ: كوكب. والرغام (بفتح الراء): التراب، ويراد به هنا: قعر البحر.

(٢٠) «هي»: أي السفن. والدهم: الخيل السود، جمع أدهم ودهماء. وجامحات: عاتيات، عاصيات. ومن المجاز: جمحت السفينة، أي تركت قصدها؛ فلم يضبطها ملاحوها. ويشنى: يكف، ويمنع.

شبه تلك السفن في ذلك البحر الصائل الموج بالخيال الجامحة. وقال: إذا استطاع الفارس أن يكبح جماح فرسه باللجام، فإن الملاحين لا يستطيعون حيلة، ولا يهتدون سبيلاً لكبح جماح السفين إذا جمحت؛ لأنها إنما تضطرب باضطراب البحر، وتهدأ بهدوئه، ولا قدرة للربان وأعوانه على تهدئة البحر إذا هاج.

كُلُّ أَرْجُوْحَةٍ تَرَى الْقَوْمَ فِيهَا خُشْعًا بَيْنَ رُكْعٍ وَقِيَامٍ (٢١)
لَا يُفِيْقُونَ مِنْ دُوَارٍ فَهَآؤِ لِيَدَيْهِ وَرَاعِفُ الْأَنْفِ دَامِي (٢٢)
يَسْتَغِيْثُونَ فَالْقُلُوبُ هَوَافٍ حَذَرَ الْمَوْتِ وَالْعِيُونَ سَوَامِي (٢٣)
فِي وَعَاءٍ يَحْدُوْنَهُ بِدُعَاءٍ لَجَلَالِ الْمُهَيْمِنِ الْعَلَامِ (٢٤)
ذَاكَ بَحْرٌ يَلِيهِ بَرٌّ تَرَامِي فِيهِ خَوْصٌ الْمَضِيِّ مِثْلَ النَّعَامِ (٢٥)
فَسَوَادِي بِمِضْرَتَاوٍ وَقَلْبِي فِي إِسَارِ الْهَوَى بِأَرْضِ الشَّامِ (٢٦)
أَخْدَعُ النَّفْسَ بِالْمُنَى وَهِيَ تَأْبَى وَخِدَاعُ الْمُنَى غِذَاءُ الْأَنَامِ (٢٧)

(٢١) الأرجوحة : ما تترجح براكبها ، أي تهتز ، وتميل . ويراد بالأرجوحة هنا : السفينة يعبث بها تموج البحر . وخشعاً : جمع خاشع ، اسم فاعل من خشع ، ويراد بالخشوع هنا : الخوف .
(٢٢) لا يفيقون : لا ينتبهون . والدوار (بضم الدال وفتحها) : الدوران يأخذ في الرأس ، ومنه دوار البحر ، وهو ما يصيب راكبه من الغشية والذهول . وهاو : ساقط . وراعف : من رعف ، أي خرج الدم من أنفه .
(٢٣) يستغيثون : يطلبون العوث . وهواف : جمع هاف ، اسم فاعل من هفا الفؤاد ، أي خفق ، واضطرب . وسوام : جمع سامية ، اسم فاعل من سما البصر ، أي شخص ، ولم يطرف . وسمو البصر أو شخوصه من أمارات غلبة الخوف ، وشدة الفزع .
(٢٤) الوعاء : يراد به هنا : السفينة . وحدا الإبل يحدوها : ساقها ، وحثها على السير بالحداء ، وهو الغناء لها .
شبه السفن بالإبل ، وقال : إن ركابها يحدونها بالدعاء يتجهون به إلى الله تعالى ، وهم بهذا الدعاء يعالجون الخوف والبلاء ويرجون السلامة والنجاة .
(٢٥) يليه : يدنو منه ويقرب . وترامى : تتابع وتتوالى . ويعير أخوص : أي عيونها صغيرة ، ضيقة . والمطى : المطايا ، وهي ما يمتطى ، أي يركب من الدواب . والنعام : جمع النعام .
(٢٦) سوادي : شخصي وجثماني . وثاو : مقيم ، مستقر . والإسار : سير يقد من الجلد ، ويقيد به الأسير ونحوه . يقول : إن جثمانه مقيم بمصر ، ولكن فؤاده أسير الغرام بأرض الشام .
(٢٧) أخدع النفس : أغرّها ، وأمنها . والمنى : الأمانى والآمال . وتأبى : المراد تأبى الانخداع ، وترفض الخديعة .

فَمَتَى يَسْمَحُ الزَّمَانُ فَأَلْقَى بِـ « شَكِيبٍ » مَا فَاتَنِي مِنْ مَرَامٍ (٢٨)
هُوَ خِلٌ لَبِسْتُ مِنْهُ خِلَالاً عِبَقَاتِ كَالنُّورِ فِي الْأَكْمَامِ (٢٩)
صَادِقُ الْوُدِّ لَا يَخِيسُ بِعَهْدِ وَقَلِيلٌ فِي النَّاسِ رَغِي الذَّمَامِ (٣٠)
جَمَعْتَنَا الْأَدَابُ قَبْلَ التَّلَاقِي بِنَسِيمِ الْأَرْوَاحِ لَا الْأَجْسَامِ (٣١)
وَيَلْغَنَا بِالْوُدِّ مَا لَمْ يَنْلُهُ بِحَيَاةِ الْقُرْبَى ذُوو الْأَرْحَامِ (٣٢)
فَلِئِنْ لَمْ نَكُنْ بِأَرْضٍ فَإِنَّا لِاتِّصَالِ الْهَوَى بِدَارِ مُقَامِ (٣٣)
وَأَتِّلَفُ النُّفُوسِ أَصْدَقُ عَهْدًا مِنْ لِقَاءِ لَمْ يَقْتَرِنُ بِدَوَامِ (٣٤)

(٢٨) هذا هو البيت الأول من الأبيات الصريحة في المديح ، وهو الغرض الأصلي الأساسي من هذه القصيدة . وسمح له بحاجة : يسرها له ، وقضاها . والمرام : المطلب ، والمراد .

(٢٩) هو : أي ممدوحه الأمير شكيب أرسلان . والخل (بكسر الخاء وضمها) : الصديق المختص . والخلال : الخصال ، واحدها خلة . ويراد بالخلال هنا : مناقب الممدوح ، وخصائله الحميدة . وعبقات : عطرates ذكيات . والنور : الزهر ، أو الأبيض منه . والأكمام : جمع كم ، وهو الغلاف الذي يحيط بالزهرة .

(٣٠) الود : المودة والمحبة . وخاس بالعهد : نقضه ، ونكته . والعهد : الموثق . ورعي الذمام : حفظه .

(٣١) الآداب : جمع الأدب ، وهو البليغ الجميل من النظم والنثر . والبارودي وشكيب كلاهما شاعر ، ناثر ، ناب . وقد آلفت بين قلوبهما صناعة الشعر ، ومزاولة الأدب ، وجمعتهما على الوداد والتحاب قبل أن يتلاقيا ويتراءيا . ونسيم الأرواح : قوتها .

(٣٢) ذوو الأرحام : أصحاب القرابات ، كالإخوة ، وأولاد الأعمام .

يقول : إن المودة الصادقة ، والمحبة الخالصة جعلتاها إلفين متآلفين ، تجمعهما صلوات وأواصر أقوى وأمتن من صلوات ذوي الأرحام .

(٣٣) ولئن لم نكن بأرض : أي لئن لم تجمعنا الآن أرض واحدة ، فإننا ، بسبب اتصال الهوى ، ومن أجل توثق المحبة والمودة بيننا ، بدار مقام . وبار مقام : أي بدار واحدة من دور الإقامة .

(٣٤) اتئلاف النفوس : توافقها ، واجتماعها على الأنسة والمحبة . والعهد : الموثق . وكرم العهد : رعاية المودة .

والمعنى : أن تعارف الأرواح وتوافقها أصدق عهداً من أن يتلقى الأشخاص تلاقياً عابراً محدوداً موقوتاً ، لا بقاء له ، ولا دوام .

أَلْمَعِي لَهْ بَدِيهَةٌ رَأْيٍ
 وَقَرِيضٌ كَمَا وَشَتْ نَسَمَاتُ
 هَزْنِي شِعْرُهُ فَأَيْقَظَ مِنِّي
 سُمْتَهَا الْقَوْلَ بَعْدَ لَأْيٍ فَبَضَّتْ
 فَارَضَ مِنِّي بِمَا تَيَسَّرَ مِنْهَا
 وَلَوْ أَنِّي أَرَدْتُ شَرْحَ وَدَّادِي
 أَنَا أَهْوَاكَ فِطْرَةً لَيْسَ فِيهَا
 وَإِذَا الْحُبُّ لَمْ يَكُنْ ذَا دَوَاعٍ

(٣٥) ألمعي : أي ذكي ، متوقد الذهن ، صادق الفراسة . والبديهة : سداد الرأي عند المفاجأة .
واللثام : الحجاب والستار .

(٣٦) القريض : الشعر . ووشى به : سعى به ، ونم عليه . والمراد بالوشى أو الوشاية هنا :
النشر ، والإذاعة . وضمير الأزهار : ما تضمه وتخفيه ، أي ما يكون كامناً فيها من روائحها
العطرية الذكية . والغمام : السحاب ، ويراد به المطر .

(٣٧) هزني شعره : أطربني ، وحرك مشاعري .

(٣٨) سمتها القول : سمت الفكرة القول ، أي أردته منها ، وألزمته به . وبعد لأي : أي بعد جهد
ومشقة . وبضت : رشحت ، ونضحت ، والمراد أنتجت إنتاجاً قليلاً ضئيلاً . وبضت عينه :
أي دمعت قليلاً . وييسير : بقليل ضئيل . وأرواه : سقاه . والثمام (بضم الثاء) : نبت
ضعيف ، لا يطول ، فروعُه مزدحمة متجمعة .

(٣٩) منها : أي من الفكرة ، أي من الشعر القليل الذي أنتجته فكري . والشمذ (بفتح فسكون) :
الماء القليل الذي ليس له مدد . والجمام : الكثير المجتمع من كل شيء . وجمام الماء :
معظمه ، وكثرته .

(٤٠) الوسع (بضم فسكون) : الطاقة ، والقوة . ووسع الكلام : مجاله ونطاقه .

(٤١) أهواك : أحبك ، والخطاب لصديقه وممدوحه « شكيب » . وفترة الإنسان : صفته
الطبيعية . وأهواك فترة : أي أحبك حباً فطرياً طبيعياً ، خالصاً نقياً . وليس فيها : ليس في
الفترة . والمساع : المدخل ، والمنفذ . ونقض ما أبرمه غيره : أي أبطله . والإبرام : ضد
النقض .

(٤٢) الدواعي : الأسباب ، والدوافع . وحب ذو دواعٍ : أي حب متكلف ، غير خالص .
وأرسي : أثبت . وشمام : جبل .

فَتَقَبَّلَ شُكْرِي عَلَى حُسْنِ وُدِّ رُحْتُ مِنْهُ مُقَلِّدًا بِوَسَامِ (٤٣)
 أَتْبَاهِي بِهِ إِذَا كَانَ غَيْرِي يَتْبَاهِي بِزِينَةِ الْإِنْعَامِ (٤٤)
 دُمْتُ فِي نِعْمَةٍ تَرِفُ حُلَاهَا فَوْقَ فَرْعٍ مِنْ طَيْبِ أَصْلِكَ نَامِي (٤٥)

وَقَالَ يَشْكُرُ الْأَمِيرَ شَكِيبَ أَرْسَلَانَ (*) :

أَشَدَّتْ بِذِكْرِي بَادِنًا وَمُعَقَّبًا وَأَمْسَكْتُ لَمْ أَهْمِسْ وَلَمْ أَتَكَلَّمِ (١)
 وَمَا ذَاكَ ضِنًّا بِالْوِدَادِ عَلَى أَمْرِيءِ حَبَانِي بِهِ لَكِنْ تَهَيَّبْتُ مَقْدَمِي (٢)
 فَأَمَّا وَقَدْ حَقَّ الْجَزَاءُ فَلَمْ أَكُنْ لِأَنْطِقَ إِلَّا بِالشَّنَاءِ الْمُنْمَنِمِ (٣)

(٤٣) « حسن الود » : المحبة والمودة الخالصة . ورحتُ : صرتُ . وقلده القلادة : جعلها في عنقه . وقلده نعمة : أعطاه عطية ، أو أسدى إليه معروفًا . والوسام : السمة أو العلامة ويطلق على حلية أو نحوها ، يمنحها رئيس الدولة من امتياز بعمل يستحق من أجله التمجيد والتكريم .

(٤٤) يقول : إذا كان غيري يفخر بما أنعم عليه من أوسمة وقلائد ونحوها ، فإني أفخر بؤد هذا الممدوح وأخوته وصداقته ، وما أولاني إياه من ثقة وإطراء .

(٤٥) رفت عليه النعمة ، أو السعادة : زكت ، وكثرت ، واتسعت . وحلى النعمة : نضارتها ، وبهجتها .

(*) كان الأمير « شكيب أرسلان » ذكر أبياتاً لصاحب هذا الديوان في بعض مقالاته الأدبية التي كان يرأسل بها جريدة الأهرام ، وأثنى على قائلها من غير أن يصرح باسمه . ثم أورد له بعد ذلك أبياتاً في مقالة أخرى ، نوّه فيها باسمه ؛ فقال يشكره على ذلك . وأرسل إليه بهذه الأبيات ، وبالرسالة بعدها .

(١) أشاد بذكره : رفعه بحسن الثناء عليه . وأمسك عن الأمر : كفّ عنه ، وامتنع .
 (٢) الضنّ : البخل . وحباه بكذا : أعطاه إياه بلا عوض أو جزاء . وتهيبه : حذره ، وخافه ، وآتقاه . ومقدمي : إقدامي وإقبالي .

ومعنى هذا البيت والذي قبله : أن الممدوح ، وهو الأمير « شكيب أرسلان » نوّه بالبارودي ، وعظّمه ، وتودّد إليه ، ورفع بحسن الثناء عليه بدءاً وعوداً ، فأمسك البارودي برهة عن شكره ، تهيباً له ، لا بخلاً بالوداد ، ولا تقصيراً فيه .

(٣) « حقّ » : ثبت ، ووجب . والجزاء : الثواب ، والمكافأة . والشكر : والمنمّم : المزخرف .

وَكَيْفَ أَذُودُ الْفَضْلَ عَنْ مُسْتَقَرِّهِ وَأَنْكِرُ ضَوْءَ الشَّمْسِ بَعْدَ تَوَسُّمِ؟ (٤)
 وَأَنْتَ الَّذِي نَوَّهْتَ بِاسْمِي وَرِشْتِي بِقَوْلِ سَرَا عَنِّي قِنَاعِ التَّوْهِمِ (٥)
 لَكَ السَّبْقُ دُونِي فِي الْفَضِيلَةِ فَاشْتَمِلْ بِحُلَّتِهَا فَالْفَضْلُ لِلْمُتَقَدِّمِ (٦)
 وَدُونَكَهَا يَا بَنَ الْكِرَامِ حَبِيرَةً مِنْ النِّظْمِ سَدَّاهَا بِمَدْحِ الْعُلَا فِي (٧)

« هَذِهِ آيَاتُ تَفَطَّرْتُ (١) بِهَا الْقَرِيحَةَ (٢) بَعْدَ الْعُقْمِ (٣) ، وَتَنَفَّسْتُ لَهَا الطَّبِيعَةَ (٤) بَعْدَ مُعَانَاةِ (٥) السُّقْمِ . جَعَلْتُهَا شُكْرًا لِمَا قَرَأْتُهُ فِي الْأَهْرَامِ مِنْ عَوَاطِفِ الْبِرِّ وَالْإِكْرَامِ . وَلَوْلَا أَنِّي فِي مَكَانٍ حَرِيدٍ (٦) ، وَقَدْ حَانَ قِيَامُ الْبَرِيدِ (٧) ، لَأَطَلْتُ عِنَانَ (٨) »

(٤) الاستفهام في أول هذا البيت : معناه النفي ، أي لا سبيل إلى ذؤد الفضل ، وإنكار ضوء الشمس . وأذود الفضل : أبعده وأمنعه . والفضل والفضيلة : الخير والبر . ومستقر الفضل : مكان استقراره ، وإقامته . وتوسمت في فلان الخير توسماً : أي تفرسته فيه ، ورأيت فيه أماراته ، وعلاماته . ويراد بالتوسم هنا : الرؤية والمعرفة التامة اليقينية .

(٥) نوّه باسم فلان : أي شهره ، ورفع شأنه ، وعظمه . ورشتي : أحسنت إليّ ، وتفضلت عليّ . ويراد بالقول هنا : ما قاله الأمير « شكيب أرسلان » ونشره في جريدة الأهرام من تقرّظ شعر « البارودي » ، والتنويه باسمه ، والإشادة بذكره . وسرا الشيء عنه : نزع ، وكشفه .

(٦) الفضيلة : الدرجة الرفيعة في الفضل والخير وحسن الخلق . واشتمل بالثوب : تلفّف به . والحلة : الثوب الجيد الجديد .

(٧) « دونكها » : خذها ، أي خذ هذه الحبيرة ، وهي الجديدة الناعمة الموشاة من الثياب . ويراد بالحبيرة من النظم : هذه القصيدة . وسدّاهَا : نظمها ، وألفها .

(١) تَفَطَّرْتُ الْقَرِيحَةَ بِالْآيَاتِ : أَنْتَجْتَهَا ، أَوْ جَادَتْ بِهَا .

(٢) وقريحة الإنسان : ملكة يستطيع بها ابتداء الكلام .

(٣) والعقم : ما يمنع النسل . وعقم القريحة : توقّفها عن القول ، ونظم الشعر .

(٤) والطبيعة السجّية : يراد بها هنا شاعرية الشاعر ، ويراد بتنفس الطبيعة : شفاؤها ، وتخلّصها من السقم .

(٥) وعانى السقم ونحوه : كابده ، وقاساه .

(٦) والحريد : المعتزل ، البعيد .

(٧) والبريد (في الأصل) : الدابة التي تحمل الرسائل . ويطلق البريد أيضاً على الرسائل والرسول .

(٨) والعنان : سير اللجام الذي تمسك به الدابة ، ويقاد به الفرس .

الشَّاءِ ، وَمَلَأْتُ صَدْرَ الْإِنَاءِ^(٩) . وَلَسَوْفَ أَفِي بِذِمَّةِ^(١٠) الْوَعْدِ ، إِنَّ أَضَاءَ نَجْمِ السَّعْدِ^(١١) . فَأَقْبِلْ مِنِّي عَلَى عُدْوَاءِ^(١٢) الدَّارِ سَلَامًا عَلَى جَنَاحِ الْبِدَارِ^(١٣) .

وَقَالَ يَرْتِي وَالِدَتُهُ ، وَقَدْ وَرَدَ نَعِيْهَا وَهُوَ فِي الْحَرْبِ :

هَوَى كَانَ لِي أَنْ أَلْبَسَ الْمَجْدَ مُعَلِّمًا فَلَمَّا مَلَكَتُ السَّبْقَ عَفْتُ التَّقْدَمًا^(١)
وَمَنْ عَرَفَ الدُّنْيَا رَأَى مَا يَسُرُّهُ مِنْ الْعَيْشِ هَمًّا يَتْرُكُ الشُّهْدَ عُلْقَمًا^(٢)
وَأَيُّ نَعِيمٍ فِي حَيَاةٍ وَرَاءَهَا مَصَائِبُ لَوْ حَلَّتْ بِنَجْمٍ لِأُظْلَمًا^(٣)
إِذَا كَانَ عُقْبَى كُلِّ حَيٍّ مَنِيَّةً فَسَيَّانٍ مَنْ حَلَّ الْوِهَادَ وَمَنْ سَمَا^(٤)
وَمَنْ عَجِبَ أَنَّنِي أَرَى الْحَقَّ جَهْرَةً وَنَلْهُو كَأَنَّا لَا نُحَاذِرُ مَنْدَمًا^(٥)
يَوْذُ الْفَتَى فِي كُلِّ يَوْمٍ لُبَانَةً فَإِنْ نَالَهَا أَنْحَى لِأُخْرَى وَصَمَّمًا^(٦)

(٩) وملء صدر الإناء : كناية عن الإسهاب في الشكر ، والإطناب في المديح .

(١٠) وذمة الوعد : حقه ، وحرمته .

(١١) وإضاءة نجم السعد : كناية عن إسعاد الله له .

(١٢) وعلى عدواء الدار : أي مع بعد الدار .

(١٣) والبدار : المسارعة .

(١) لبس المجد : تحصيل أسبابه ، والتمكّن منه ، وهو تعبير مجازي . ومعلماً : متميزاً ظاهراً .

وملكتُ السبق : أي ملكتُ أسبابه ، وتمكّنتُ منه . وعفْتُ التقدّم : أي زهدتُ فيه .

(٢) الشهد : عسل النحل . والعلقم : كل شيء مُرّ .

(٣) المعنى : أن حياة الإنسان في الدنيا مهددة بكوارث ونكبات ، لو أصابت الكواكب النيرات

لأطفأت أضواءها ، وجعلتها ظلمات بعضها فوق بعض ؛ فأنتي له نعيم البال مع هذه الحال .

(٤) عقبى كل شيء : آخره . والمنية : الموت . وسيان : مثلاً ، أو متماثلان . وحلّ الوهاد :

نزل بها ، جمع وهدة ، وهي الأرض المنخفضة . وسما : علا ، وارتفع . والمراد سما إلى

القمم والنجاد .

(٥) المعنى : أنه مما يثير الدهش ، ويدعو إلى العجب أن الناس يغترون بزخرف الدنيا وباطلها ،

ويغرقون في اللهو واللعب ، وهم يعلمون أن نعيمها سراب خادع ، ولا يحذرون الوقوع في

الندم .

(٦) اللبانة : الحاجة من غير فاقة . وأنحى : مال ، وقصد .

طَمَاعَةٌ نَفْسٍ تُورِدُ الْمَرْءَ مَشْرَعًا مِنْ الْبُؤْسِ لَا يَعْدُوهُ أَوْ يَتَخَطَّمَا (٧)
أَرَى كُلَّ حَيٍّ غَافِلًا عَنِ مَصِيرِهِ وَلَوْ رَامَ عِرْفَانَ الْحَقِيقَةَ لِأَنْتَمَى (٨)
فَأَيْنَ الْأَلَى شَادُوا وَيَادُوا أَلَمْ نَكُنْ نَحْلُ كَمَا حَلُّوا وَنَرَحَلُ مِثْلَمَا؟ (٩)
مَضُوا وَعَفَتْ آثَارُهُمْ غَيْرَ ذُكْرَةٍ تُشِيدُ لَنَا مِنْهُمْ حَدِيثًا مُرَجَّمًا (١٠)
سَلِ الْأُورِقَ الْغَرِيْدَ فِي عَذَابَتِهِ أَنَا حَ عَلَى أَشْجَانِهِ أَمْ تَرَنَّمَا؟ (١١)
تَرَجَّحَ فِي مَهْدٍ مِنَ الْأَيْكِ لَا يَنِي يَمِيلُ عَلَيْهِ مَائِلًا وَمُقَوِّمًا (١٢)
يُنُوْحُ عَلَى فَقْدِ الْهُدِيلِ وَلَمْ يَكُنْ رَأَهُ فَيَا لَيْلَهُ كَيْفَ تَهَكَّمَا؟ (١٣)
وَشَتَانَ مَنْ يَبْكِي عَلَى غَيْرِ عِرْفَةٍ جِزَافًا وَمَنْ يَبْكِي لِعَهْدٍ تَجْرَمَا (١٤)

(٧) الطماعة : شدة الطمع . وأورده الماء : جعله يرده ، ويُشرف عليه . والمشرع : مورد الماء .
ولا يعدوه : لا يتجاوزوه ، ولا يتعداه .

(٨) المعنى : أن الموت مصير كل مخلوق حيٍّ ، وأن غفلة المرء عن الموت غفلة عن مصيره
المحتوم . ويراد بعرفان الحقيقة أن يعرف الانسان حقيقة مصيره ليتدبر أمور الموت والحياة
ويتنفع بهذا التدبر .

(٩) شاد البناء : رفعه وأحكم بنيانه . وبادوا : هلكوا ، وانقرضوا . وحلّ المكان ، وحلّ به : نزل
به ، أو سكن فيه . ورحل عنه : غادره وتركه .

(١٠) عفا الأثر : امحى . وآثار السابقين : ما خلفوه من ديار . والذكرة (بضم فسكون) : الشيء
يجري على اللسان ، بعد نسيانه . وتُشيد : المراد تُروى ، وتحدث . وحديث مرجم :
مظنون غير مستيقن .

(١١) الأورق : الطائر الرمادي اللون ، ومؤنثه الورقاء . والعذبات : الأغصان . وناحت الحمامة :
سجعت . وترنم : رجّع صوته ، وطرب به .

(١٢) ترجّح : تحرك . ومهد الطائر : ما يألفه ، ويسكنه . والأيك : جمع أيكة ، وهي الشجر
الكثير الملتف الكثيف . ولا يني : لا يفتر ، ولا يكل . ويميل عليه : أي يهتزّ فوقه ،
ويتحرك . وقومه تقويماً : أي عدّله ، وأزال ميله وعوجه .

(١٣) الهديل : أب للحمام ، أو فرخ كان على عهد نوح عليه السلام ، ثم مات عطشاً ، وضعيه ،
أو صاده جراح من جوارح الطير ؛ فما من حمامة إلا وهي تحنّ إليه ، وتبكي عليه . و« يا لله »
أسلوب استغاثة . وتهكّم : تندّم ، أي تحسّر . والمراد سجع وهدر وناح .

(١٤) عرفة : معرفة . وبكاه جزافاً : أي بكاه على غير معرفة . والعهد : الزمان . وتجرّم :
مضى ، وانقضى .

لَعْمَرِي لَقَدْ غَالَ الرَّدَى مِنْ أُجْبِهِ
وَأَيُّ حَيَاةٍ بَعْدَ أُمَّ فَقَدْتُهَا
تَوَلَّتْ فَوَلَّى الصَّبْرُ عَنِّي وَعَادَنِي
وَلَمْ يَبْقَ إِلَّا ذُكْرَةٌ تَبَعْتُ الْأَسَى
وَكَانَتْ لِعَيْنِي قُرَّةً وَلِمُهْجَتِي
فَلَوْلَا اِعْتِقَادِي بِالْقَضَاءِ وَحُكْمِهِ
فَيَا خَبْرًا شَفَّ الْفُؤَادَ فَأَوْشَكَتْ
إِلَيْكَ فَقَدْ ثَلَمْتَ عَرْشًا مُمْنَعًا
أَشَادَ بِهِ النَّاعِي وَكُنْتُ مُحَارِبًا
وَكَانَ بِوُدِّي أَنْ أُمُوتَ وَيَسْلَمَا (١٥)
كَمَا يَفْقِدُ الْمَرْءُ الزَّلَالَ عَلَى الظَّمَا (١٦)
غَرَامٌ عَلَيْهَا شَفَّ جِسْمِي وَأَسْقَمَا (١٧)
وَطَيْفٌ يُوَافِينِي إِذَا الطَّرْفُ هَوَمَا (١٨)
سُرُورًا فَخَابَ الطَّرْفُ وَالْقَلْبُ مِنْهُمَا (١٩)
لَقَطَّعْتُ نَفْسِي لَهْفَةً وَتَنَدَّمَا (٢٠)
سُوَيْدًا أَوْهُ أَنْ تَسْتَحِيلَ فَتَسْجُمَا (٢١)
وَفَلَلْتَ صَمْصَامًا وَذَلَلْتَ ضَيْغَمًا (٢٢)
فَأَلْقَيْتُ مِنْ كَفِي الْحَسَامَ الْمُصَمَّمَا (٢٣)

(١٥) غال : اغتال وأهلك .

(١٦) الزلال : الماء العذب الصافي . والظما : شدة العطش .

(١٧) تولَّى ، وولَّى : أدبر ، وذهب . وعادني : أتاني . والغرام : أي التعلق الشديد ، ويراد به هنا : الأسى والحزن الشديد . وشفَّه الهمُّ أو الحبُّ : هزله وأنحله . وأسقمه : أمرضه .

(١٨) الذكرة : التذكر . والأسى : الحزن . والطيْفُ : الخيال . ويوافيني : يأتيني ، أو يفاجئني . والطرف : العين . وهومٌ تهويمًا : نام نومًا خفيفًا . وتهويم عينيه : وسَّنه ، ونعاسه .

(١٩) القرَّة : البهجة والسرور . والمهجة : الروح والنفس . وخاب : خسر . والطرف : العين .

(٢٠) « الاعتقاد بالقضاء » : الايمان به . ويراد به هنا : قضاء الموت وقَدْرُه . واللهفة : الحزن . والتندم : مصدر تندم على الشيء ، أي تحسّر عليه .

(٢١) يريد بالخبر : نبأ الموت . وشفَّه الهمُّ والمرض ونحوهما : أوهنه ، وأضناه . وتستحيل : تتحوَّل ، وتتغيَّر . وتسجم : تسيل ، وتنصب .

(٢٢) إليك : اسم فعل أمر بمعنى تنح عني . وثلمت : كسرت وحطمت . والعرش : العز . والممنع : المنيع الحصين . وثلم عرشه الممنع : أي أوهى ما كان قويًا من أمره وضعضعه .

وفللت : كسرت وحطمت . والصمصام : السيف الصارم ، الحاد القاطع . وذللت : اضعفت . والضيغم : الأشد الواسع الشدق .

(٢٣) أشاد بالشيء : أعلنه ، وزفع به صوته . والمصمم : القاطع .

وَطَارَتْ بِقَلْبِي لَوْعَةً لَوْ أَطْعَمْتُهَا
 وَلَكِنِّي رَاجَعْتُ حِلْمِي لِأَنْشِي
 فَلَمَّا اسْتَرَدَّ الْجُنْدُ صَبْغٌ مِنَ الدُّجَى
 صَرَفْتُ عِنَانِي رَاجِعاً وَمَدَامِعِي
 فَيَا أُمَّتَا زَالَ الْعَزَاءُ وَأَقْبَلْتُ
 وَكُنْتُ أَرَى الصَّبْرَ الْجَمِيلَ مَثُوبَةً
 وَكَيْفَ تَلَدُّ الْعَيْشَ نَفْسٌ تَدْرَعْتُ
 تَأَلَّمْتُ فَقْدَانَ الْأَجْبَةِ جَازِعاً
 وَقَدْ كُنْتُ أَخْشَى أَنْ أَرَاكَ سَقِيمَةً
 بَلَغْتَ مَدَى تِسْعِينَ فِي خَيْرِ نِعْمَةٍ

لِأَوْشَكَ رُكْنُ الْمَجْدِ أَنْ يَتَهَدَّمَ (٢٤)
 عَنِ الْحَرْبِ مَحْمُودَ اللَّقَاءِ مُكْرَمًا (٢٥)
 وَعَادَ كِلَا الْجَيْشَيْنِ يَرْتَادُ مَجْثِمًا (٢٦)
 عَلَى الْخَدِّ يَفْضَحْنَ الضَّمِيرَ الْمُكْتَمًا (٢٧)
 مَصَائِبُ تَنْهَى الْقَلْبَ أَنْ يَتَلَوَّمَ (٢٨)
 فَصِرْتُ أَرَاهُ بَعْدَ ذَلِكَ مَائِمًا (٢٩)
 مِنَ الْحُزْنِ ثُوبًا بِالدُّمُوعِ مُنَمَّمًا؟ (٣٠)
 وَمَنْ شَفَّهُ فَقَدْ الْحَيْبِ تَأَلَّمَ (٣١)
 فَكَيْفَ وَقَدْ أَصْبَحْتَ فِي التُّرْبِ أَعْظَمًا (٣٢)
 وَمَنْ صَحِبَ الْأَيَّامَ دَهْرًا تَهَدَّمَ (٣٣)

- (٢٤) طارت بقلبي : ذهبت به . وركن المجد : عماد العز .
- (٢٥) راجعت حلمي : رجعت إلى صبري وضبطت نفسي . وأنشي عن الحرب : أعود منها .
واللقاء المحمود : هو القائم على الاستبسال ، وحسن البلاء .
- (٢٦) الصبغ : يراد به هنا ظلمات الليل ودياجيه . ومجثم : اسم مكان من جثم ، أي لزم مكانه ، فلم يبرح . واستردّ دجى الليل الجند : أي وجد المتحاربون فيما أسدله الليل من ظلماته فرصة مؤقتة ، يرجعون فيها إلى شيء من الراحة .
- (٢٧) « صرفت عناني راجعاً » : كناية عن عودته ورجوعه من القتال . وكتّم الشيء تكتيماً : بالغ في كتمانهِ وسترهِ .
- (٢٨) يا أمّتا : يا أمّتي ، أي يا أمّي . ويتلوم القلب : يصبر .
- (٢٩) الصبر الجميل : هو الصبر الذي لا يساوره الجزع . والمثوبة : الثواب ، وحسن الجزاء .
والمائم : مصدر أئم ، أي عمل ما لا يحلّ .
- (٣٠) تدرّعت : لبست الدرع ، وهو القميص أو الثوب . ونمنمه : زخرفه ، وزينه .
- (٣١) « جازعاً » : لم يجد صبراً ، والجزع أبلغ من الحزن ؛ أو هو الحزن الذي يصرف الإنسان عما هو بصده . وشفّه الهمّ أو الوجد : أوهنه ، وبراه ، وأضناه .
- (٣٢) الأعظم : العظام ، واحدها عظم ، مثل سهم ، وأسهم ، وسهام .
- (٣٣) المدى : الأمد . وبلغت مدى تسعين : أي عشت في الدنيا تسعين سنة . والنعمة : الحالة الحسنة التي يستلذها الإنسان .

إِذَا زَادَ عُمُرُ الْمَرْءِ قَلَّ نَصِيبُهُ
 فَيَا لَيْتَنَا كُنَّا تُرَابًا وَلَمْ نَكُنْ
 أَبِي طَبَعُ هَذَا الدَّهْرِ أَنْ يَتَكْرَمَا
 أَصَابَ لَدَيْنَا غِرَّةٌ فَأَصَابَنَا
 وَكَيْفَ يَصُونُ الدَّهْرُ مُهْجَةَ عَاقِلٍ
 هُوَ الْأَزْلَمُ الْخَدَّاعُ يَخْفِرُ إِنْ رَعَى
 فَكَمْ خَانَ عَهْدًا وَاسْتَبَاحَ أَمَانَةً
 فَإِنْ تَكُنِ الْأَيَّامُ أَخْنَتْ بِصَرْفِهَا
 وَإِنِّي لِأُذْرِي أَنْ عَاقِبَةَ الْأَسَى

مِنْ الْعَيْشِ وَالنُّقْصَانُ آفَةٌ مَنْ نَمَا (٣٤)
 خُلِقْنَا وَلَمْ نَقْدَمْ إِلَى الدَّهْرِ مَقْدَمًا (٣٥)
 وَكَيْفَ يَدِي مَنْ كَانَ بِالْبُخْلِ مُغْرَمًا؟ (٣٦)
 وَأَبْصَرَ فِينَا ذَلَّةً فَتَحَكَّمَا (٣٧)
 وَقَدْ أَهْلَكَ الْحَيِّينَ عَادًا وَجُرْهُمَا (٣٨)
 وَيَغْدِرُ إِنْ أَوْفَى وَيُضْمِي إِذَا رَمَى (٣٩)
 وَأَخْلَفَ وَعَدًّا وَاسْتَحَلَّ مُحْرَمًا (٤٠)
 عَلَيَّ فَأَيُّ النَّاسِ يَبْقَى مُسَلِّمًا؟ (٤١)
 وَإِنْ طَالَ لَا يُرْوِي غَلِيلًا تَضْرَمًا (٤٢)

- (٣٤) العيش : المعيشة ، والحياة . والآفة : كل ما يصيب شيئاً فيفسده . ونما : زاد وكثر . و « النقصان آفة من نما » : في معنى « لكل شيء إذا ما تم نقصان » .
- (٣٥) العبارتان : « ولم نكن خلقنا » « ولم نقدم إلى الدهر » : كلتاها تفسير وتأکید لمعنى : « فيا ليتنا كنا تراباً » .
- (٣٦) ودى القاتل القاتل : أعطى وليه أو أهله ديته ، وهي العوض المالي . والمغرم : المولع بالشيء ، لا يصبر على مفارقتة .
- يقول : ليس في طبع الدهر شيء من التكرم ، أو الخير . ولكن في طبيعته الشر والشوائب . وإنه ليقتل ، ويسيء ، ويصيب ، ويبخل كل البخل بالدية ، أو التعويض .
- (٣٧) الغرة : الغفلة . وتحكم : استبد .
- (٣٨) عاقل : لاجيء ، والمراد : لاجيء إلى الدهر ، متحصن به ، أو هو اسم فاعل من عقل ، أي تميز بالعقل والإدراك . والمعنى : أن عقل العاقل لا يصونه من غوائل الدهر .
- (٣٩) الأزلم : الدهر الشديد ، الكثير البلايا والأحداث . ويخفر : يغدر ، ويخون . ورعاه : حفظه ، وحماه .
- (٤٠) البيت تكرر ، وتأکید ، وتفصيل ، وتمثيل لمعنى البيت السابق .
- (٤١) أحنى عليه الدهر : أتى عليه ، وأهلكه . وصرف الدهر : نوائبه ومصائبه . وأخنت عليه الأيام والليالي بصرفها : أي صبت عليه بلاياها ، وأصابته بكوارثها .
- (٤١) الغليل : شدة العطش ، وحرارته . وتضرم : اشتد ، وجاوز الحد .

وَلَكِنَّهَا نَفْسٌ تَرَى الصَّبْرَ سُبَّةً
 وَكَيْفَ أَرَانِي نَاسِيًا عَهْدَ خُلَّةٍ
 وَلَوْلَا أَلِيمُ الْخَطْبِ لَمْ أَمْرٍ مُقَلَّةً
 فَيَا رَبَّةَ الْقَبْرِ الْكَرِيمِ بِمَا حَوَى
 وَهَلْ يَسْتَطِيعُ الْمَرْءُ فِدْيَةَ رَاحِلٍ
 سَقَتِكَ يَدُ الرُّضْوَانِ كَأْسَ كَرَامَةٍ
 وَلَا زَالَ رِيحَانُ التَّحِيَّةِ نَاضِرًا
 لِيَبِّكَ عَلَيْكَ الْقَلْبُ لَا الْعَيْنُ إِنِّي

عَلَيْهَا وَتَرْضَى بِالتَّلْهَيْفِ مَغْنَمًا (٤٣)
 أَلْفَتْ هَوَاهَا نَاشِئًا وَمُحَكَّمًا (٤٤)
 بِدَمْعٍ وَلَمْ أَفْغَرِ بِقَافِيَةٍ فَمَا (٤٥)
 وَقَتِكَ الرَّدَى نَفْسِي وَأَيْنَ وَقَلَّمَا (٤٦)
 تَخَرَّمَهُ الْمِقْدَارُ فِيمَنْ تَخَرَّمَا؟ (٤٧)
 مِنَ الْكُوْثُرِ الْفِيَاضِ مَعْسُولَةَ اللَّمَى (٤٨)
 عَلَيْكَ وَهَفَّافُ الرِّضَا مُتَنَسِّمًا (٤٩)
 أَرَى الْقَلْبَ أَوْفَى بِالْعُهُودِ وَأَكْرَمًا (٥٠)

- (٤٣) السُّبَّةُ : العار . والمغنم : الغنيمة .
- (٤٤) أراني ناسياً : أظنني ناسياً . والعهد : الوفاء ، والمودة ، وهو أيضاً : الزمان . والخلة : الخليل والصديق . وألفه : أنس به ، وأحبه . والناشئ : الغلام جاوز حدَّ الصغر . والمحكم : الشيخ المجرب .
- (٤٥) الخطب : الأمر الشديد ، والمصيبة . ومرى مقلته بالدمع : أي أرسل الدمع من عينيه غزيراً . وفغر فمه : فتحه . وفغر فمه بقافية : أي نطق بشعر .
- (٤٦) رَبَّةُ الْقَبْرِ : صاحبتة . ووقاه الله السوء : حفظه ، وصانه . والردي : الهلاك . و« وقتك الردي نفسي » : أي وقتك بنفسي من الردي .
- (٤٧) الفدية : ما يقدم من مال ونحوه لتخليص المفقود . وتخرَّمه : استأصله ، وأهلكه ، وأفناه . والمقدار : القدر ، ويراد به : قضاء الموت .
- (٤٨) الرضوان : الرضا الكثير . والمراد : رضوان الله تبارك وتعالى . والكرامة : التكريم . والكوثر : الخير العظيم ، أو هو نهر عظيم في الجنة . ومعسولة : ممزوجة بالعسل . واللمى : سمرة مستحسنة في باطن الشفة . وقد يطلق اللمى على الريق البارد ، أي اللعاب البارد . ويراد باللمى هنا : الشراب الشهي الذي حوته الكأس .
- (٤٩) الريحان : نبت ، ذو رائحة ذكية عطرية . وريحان التحية : الريحان الرامز إلى التحية . وناضر : ذو نضرة ، وهي الحسن . وهفَّاف : صيغة مبالغة من هفَّت الريح ، أي هبَّت ؛ فسمع هفيفها ، أي صوت هبوبها . وريح هفافة : طيبة ، سريعة . ومتنسم : طيب ، معتدل الحركة .
- (٥٠) آثر أن يبكي أمه بقلبه لا بعينه ، فإن القلب في قمة البر والكرم ، وأعلى مراتب الوفاء بالعهود .

فَوَاللَّهِ لَا أَنْسَاكَ مَا ذَرَّ شَارِقٌ وَمَا حَنَّ طَيْرٌ بِالْأَرَاكِ مُهَيِّنِمَا (٥١)
عَلَيْكَ سَلَامٌ لَا لِقَاءَةَ بَعْدَهُ إِلَى الْحَشْرِ إِذْ يَلْقَى الْأَخِيرُ الْمُقَدَّمَا (٥٢)

وَقَالَ يَرْثِي أَحَدَ قَوَادِ الْجَيْشِ ، وَقَدَّمَاتِ بِأَقْرِيطَشَ (*) :

أَيُّ فَتَى لِعَظِيمٍ نَنْدُبُهُ شَاطِطٌ عَلَى أَنْصُلِ الرَّمَاحِ دَمُهُ (١)
أَسْلَمَهُ صَحْبُهُ وَمَا عَلِمُوا أَنْ سَوْفَ يَمْحُو وَجُودَهُمْ عَدْمُهُ (٢)
زَالَ الْأَلَى حَاذَرُوا مَصَارِعَهُمْ وَلَمْ تَنْزُلْ عَنْ مَكَانِهَا قَدْمُهُ (٣)
طَاحَ بِجُثْمَانِهِ الرَّدَى وَرَقَا إِلَى سَمَوَاتِ رَبِّهِ نَسْمُهُ (٤)

(٥١) ذَرَّتْ الشَّمْسُ : ظَهَرَتْ أَوَّلَ شُرُوقِهَا . وَالشَّارِقُ : الشَّمْسُ حِينَ تَشْرُقُ . وَحَنَّ الطَّيْرُ : مِنَ
الْحَنِينِ ، وَهُوَ صَوْتُ الطَّرْبِ عَنِ حُزْنٍ وَتَوَجُّعٍ ، أَوْ عَنِ شَوْقٍ وَتَوَقَّانِ نَفْسٍ ، أَوْ فَرَحٍ وَسُرُورٍ .
وَالْأَرَاكِ : الشَّجَرُ . وَمُهَيِّنِمَا : اسْمُ فَاعِلٍ مِنْ هَيِّنَ ، أَيِ تَكَلَّمَ ، وَأَخْفَى كَلَامَهُ .
(٥٢) لِقَاءَةُ : بِمَعْنَى لِقَاءٍ . وَالْحَشْرُ : مَصْدَرُ حَشَرَ اللَّهُ الْمَوْتَى ، أَيِ بَعَثَهُمْ مِنْ قُبُورِهِمْ . وَيَوْمُ
الْحَشْرِ : يَوْمُ الْقِيَامَةِ . وَيُرَادُ بِالْأَخِيرِ وَالْمُقَدَّمِ : الَّلَّاحِقُونَ وَالسَّابِقُونَ .
(*) « أَقْرِيطَشُ » ، وَتَسْمَى أَيْضاً « كَرِيْت » : جَزِيرَةٌ مَشْهُورَةٌ بِالْبَحْرِ الْأَبْيَضِ الْمَتَوَسِّطِ ، تَقَعُ فِي
الْجَنُوبِيِّ الشَّرْقِيِّ مِنْ بِلَادِ الْيُونَانِ ، وَقَدْ احْتَلَّهَا الْأَتْرَاكُ الْعُثْمَانِيُونَ (مِنْ سَنَةِ ١٦٤٥ إِلَى سَنَةِ
١٨٩٨ م) .

وَقَدْ شَبَّتَ فِي وَجْهِ الْحَكْمِ التَّرْكِيِّ ، ثَوْرَةً سَنَةَ ١٨٦٥ م ، بِتَشْجِيعِ رُوسِيَا ، وَمُسَاعَدَةِ
الْيُونَانِ ؛ فَأَرْسَلَتِ الدَّوْلَةُ الْعُثْمَانِيَّةُ جَيْشًا لِإِخْمَادِهَا . وَبَعَثَ الْخَدِيوِي إِسْمَاعِيلَ مِنْ مِصْرٍ نَجْدَةَ
عَسْكَرِيَّةً ، كَانَ « مُحَمَّدُ سَامِي الْبَارُودِي » مِنْ كِبَارِ ضَبَاطِهَا .
(١) قِيلَ إِنْ الْمَرْتِي بِهَذِهِ الْقَصِيدَةِ هُوَ « إِسْمَاعِيلُ سَلِيم » نَاطِرُ الْجِهَادِيَّةِ ، وَالْقَائِدُ الْعَامُّ لِلْحَمْلَةِ .
أَيُّ لَنْ نَجِدَ بَعْدَ الْيَوْمِ فَتَى عَظِيمًا نَنْدُبُهُ لِلْأَمْرِ الْعَظِيمِ . وَنَنْدُبُهُ : نَدَعُوهُ . وَشَاطِطٌ دَمُهُ :
سَالٌ ، وَتَصَبَّبَ . وَنَصَلَ الرَّمْحُ : سَنَانُهُ الَّذِي يَجْرَحُ وَيَقْتُلُ . وَالرَّمَاخُ : جَمْعُ الرَّمْحِ ، وَهُوَ قَنَاةٌ
فِي رَأْسِهَا سَنَانٌ يَطْعَنُ بِهِ .
(٢) أَسْلَمَهُ : خَذَلَهُ .
(٣) زَالَ عَنْ مَكَانِهِ : تَحَوَّلَ عَنْهُ ، وَانْتَقَلَ مِنْهُ . وَالْأَلَى : الَّذِينَ . وَحَاذَرَهُ : خَافَهُ . وَالْمِصَارِعُ :
اسْمُ مَكَانٍ مِنْ صَرَعِهِ أَيِ قَتْلِهِ ، وَالَّذِينَ حَاذَرُوا مِصَارِعَهُمْ : أَيِ جَبَنُوا ، وَحَذَرُوا الْمَوْتَ .
(٤) طَاحَ بِهِ : أَطَاحَهُ ، وَأَهْلَكَهُ . وَالرَّدَى : الْمَوْتُ . وَرَقَا : سَمَا ، وَارْتَفَعَ . وَالنَّسْمُ : جَمْعُ
نَسْمَةٍ ، وَهِيَ النَّفْسُ وَالرُّوحُ .

نَعْمَ فَتَى الْحَرْبِ فِي الْهِيَاجِ إِذْ
 قَدْ أَلْفَتْ صُحْبَةَ الْقَنَايِدِ
 لَيْسَ بِهَيَّابَةٍ وَلَا وَكَلٍ
 إِنْ صَالَ فَلِ الْعِدَا بِصَوْلِيهِ
 يَنْكَفِتُ الْجَيْشُ حِينَ يَفْجُوهُ
 بَكَى بِدَمْعِ الْفِرْنِدِ صَارِمُهُ
 فَمَنْ إِلَى مَلْجَأِ الضَّعِيفِ إِذَا
 وَمَنْ يَقُودُ الزُّخُوفَ رَاجِفَةً
 شَبَّ لَظَى الْبُأْسَاءِ وَاعْتَلَى ضَرْمُهُ (٥)
 وَاعْتَادَ « لَبَّيْكَ » فِي السَّمَاكِ فَمُهُ (٦)
 بَلْ صَادِقٌ فِي اللَّقَاءِ مُعْتَرِفُهُ (٧)
 أَوْ قَالَ أَرَوْتُ مُشَاشَنَا كَلِمُهُ (٨)
 وَيَصْعَقُ الْقِرْنَ حِينَ يَلْتَزِمُهُ (٩)
 وَأَنْشَقَّ مِنْ طُولِ حُزْنِهِ قَلْمُهُ (١٠)
 أَقْبَلَ لَيْلٌ وَأَطْبَقَتْ ظُلْمُهُ (١١) ؟
 وَالْيَوْمُ بِالْحَرْبِ سَاطِعٌ قَتْمُهُ (١٢) ؟

(٥) فتى الحرب : بطلها المقدم . ويراد بالهياج هنا : ثوران الحرب ، وشدتها . والبأساء : الحرب . واعتلى : ارتفع . والضرم : لهب النار .

(٦) المعنى : من محاسن المرثي ومحامده أنه محارب شجاع مقدم ، وجواد كريم معطاء ، وأن هذه الفضائل متأصلة فيه .

(٧) هيابة : جبان . والوكل : الجبان ، والعاجز الضعيف . ويراد باللقاء : ملاقاتة العدو . والصدق في اللقاء : الثبات ، والصبر ، والشجاعة . واعترف للأمر اعترافاً : صبر عليه ، وقوي .

(٨) صال : وثب مقاتلاً . وفل الجيش : هزمه ، وقهره . وأروت : سقت . والمشاش : النفس . والمعنى : أن المرثي شديد البأس في القتال ، وبصولة من صولاته يستطيع كسر أعدائه ، وقهرهم ، وتشتيت شملهم . وهو إلى شجاعته ، وقوته ، وإقدامه في الحروب ، أديب عذب القول ، ساحر البيان ، يقع كلامه من نفوس الناس موقع الماء من ذي الغلة الصادي .

(٩) ينكفت : ينهزم . ويصعق : يهلك ، أو يغشى عليه . وقرن المرء : مثله في الشجاعة . ويلتزمه : يعتنقه . واعتنقوا في الحرب : أخذ كل منهم بعنق قرنه .

(١٠) الفرند : جوهر السيف ، ووشيه . والصارم : السيف القاطع . ودمع الفرند : الفرند الشبيه بالدمع .

جعل رونق السيف ، وماءه ، وما يلحم في صفحته من أثر تموج الضوء دمعاً ؛ وقال : إن سيف المرثي بكاه بهذا الدمع ، وإن قلمه انشق ، أي انفلق وتلف من طول حزنه عليه .

(١١) المعنى : لمن يلجأ للضعفاء إذا أصابتهم مصيبة أو ألم بهم مكروه ؟ .

(١٢) راجفة : متهيئة للحرب والقتال . وساطع : عال ، مرتفع . والقتم : الغبار الأسود ، ومثله القتام . وسطوع القتام : كناية عن اشتداد الحرب واحتدامها .

مَاتَ وَأَبْقَى شَجَى لِفُرْقَتِهِ
فَاذْهَبْ عَلَيْكَ السَّلَامُ مِنْ بَطْلِ
وَقَالَ يَفْتَخِرُ :

سَلَامَةٌ عَرَضِي فِي خِفَارَةٍ صَارِمِي
بَلَّغْتُ عَلَا لَا يَبْلُغُ النَّجْمُ شَأْوَهَا
إِذَا الْمَرْءُ لَمْ يَطْرَبْ إِلَى اللَّهْوِ وَالصَّبَا
فَأَيَّةُ أَرْضٍ لَمْ تَجُبْهَا سِوَابِقِي
وَمَا اللَّيْلُ إِلَّا هَبْوَةٌ مِنْ كَتَائِبِي
جَنَانٌ تَحِيدُ الْأَسْدَ عَنْهُ وَعَزْمَةٌ
وَإِنْ كَانَ مَالِي نُهْبَةً لِلْمَكَارِمِ (١)
إِذَا هُوَ لَمْ يَنْهَضْ لَهَا بِقَوَادِمِ (٢)
فَمَا هُوَ إِلَّا مِنْ عِدَادِ الْبَهَائِمِ (٣)
وَعَمْرَةٌ بِأَسٍ لَمْ تَخْضُهَا صَوَارِمِي (٤)
وَلَا الشُّهُبُ إِلَّا لَمْعَةٌ مِنْ لَهَازِمِي (٥)
هِيَ الْمَوْتُ بَيْنَ الْمَازِقِ الْمُتَلَاحِمِ (٦)

(١٣) الشجى : الهم ، والحزن . والفرقة : الافتراق . ويفري : يشق ، ويقطع .

(١٤) النعم : جمع النعمة وهي العارفة والصنيعة واليد والمنة والفضل والاحسان .

(١) عرض الإنسان : ما ينبغي أن يصونه ، ويحميه . والخفارة : الذمة ، والعهد ، والحماية .
والصارم : السيف القاطع . والنهبة : الغنيمة ، والشيء المنهوب . والمراد : أن مالي
مبذول ، أجود به عن طيب نفس في وجوه الخير والبرِّ والمكارم .

(٢) العلا : الرفعة ، والشرف . والشأو : الغاية . ونهض : قام ، وارتفع . والقوادم : ريشات
كبار في مقدم جناح الطائر ، واحدها قادمة .

(٣) طرب للغناء : ارتاح له . والمقصود هنا الفرح والسرور . والصبا : الحدائث والصغر . ويراد
بالصبا هنا ، دواعي الشباب ، وملابساته ، وما يكون من مرح الشبان ولهوهم ، وشهواتهم ،
ولذاتهم . ومن عداد البهائم ، أو في عدادها : أي يعد منها . والبهائم : جمع البهيمة ، وهي
كل حيوان لا يميز .

(٤) أرض لم تجبها سوابقه ، وعمرة لم تخضها صوارمه : أي أنه قطع بسوابقه كل بقاع الأرض ،
وخاض بصوارمه كل غمرات البأس .

(٥) الهبوة : الغبرة ، وما يثار وينتشر في الجو من الغبار . والكتائب : جمع الكتيبة ، وهي
الجيش . والشهب : جمع شهاب ، وهو الكوكب المضيء . واللهازم : جمع لهزم ، وهو
كل شيء قاطع من سيف ، أو سنان .

(٦) تحيد : تميل ، وتبعد . والعزمة : الإرادة القاطعة القوية . والمأزق : المضيق الحرج .
والمتلاحم : المجتمع . ويراد بالمأزق المتلاحم : شدائد الحرب وأهوالها .

وَلَكِنِّي أُمْسَيْتُ لِلْحُبِّ خَاضِعاً وَ لِلْحُبِّ سُلْطَانُ عَلَيَّ كُلِّ حَاجِمٍ (٧)
 وَيِي مِنْ صَمِيمِ الْعُرْبِ حَوْرَاءُ طِفْلةٌ نَجِيلَةٌ مَجْرَى الْبِنْدِ رِيًّا الْمَعَاصِمِ (٨)
 لَهَا نَظْرَةٌ لَوْ خَامَرَتْ قَلْبَ حَازِمٍ لِأَصْبَحَ مَسْلُوبَ النَّهْيِ غَيْرَ حَازِمٍ (٩)
 أَطَعْتُ الْهَوَى فِيهَا وَإِنْ كَانَ ظَالِمًا وَعَاصَيْتُ فِي حُبِّي لَهَا كُلَّ رَاجِمٍ (١٠)
 وَمَنْ عَجَبٌ أَنِّي أَدِينُ لِحُكْمِهَا وَأَكْبُرُ أَنْ أَنْقَادَ طَوْعِ الْخَزَائِمِ (١١)
 فَقَلْبِي حُرًّا لَا يَدِينُ لِصَوْلَةٍ وَعُودِي صُلْبٌ لَا يَلِينُ لِعَاجِمِ (١٢)

وَقَالَ فِي هَوَى (١) لَهُ وَقَدْ مَرَضَ :

(٧) يقول : إنه في مجال الهوى والغرام ضعيف مغلب ، يخضع لسُلطان الحب ، ولا يكاد يقاومه ، أو يغالبه .

(٨) الصميم من كل شيء : المحض الخالص . والحوراء من النساء : البيضاء . وطفلة : ناعمة ، لينة . والبند : الحزام ، أو النطاق يشد به الوسط . ومجرى البند : كناية عن وسط المتغزل بها ، أو خاصرتها . ورياً : ممتلئة . والمعاصم : جمع المعصم ، وهو موضع السوار من اليد .

(٩) خامرت : خالطت . وحازم : قوي ، شديد الرأي . ومسلوب : منتزع ، مفقود . والنهى : العقل .

(١٠) المعنى : أن حبه لهذه الحسناء قد استبدَّ به ، وغلبه على أمره ، فانقاد له ، ولم يكثر لشروبه وآفاته ، ولم يستمع لنصح رحمائه المشفقين عليه .

(١١) أدين : أخضع ، وأنقاد . والحكم : السلطان ، والسيطرة . وأكبر : أعظم . والمراد أنه يكبر على الانقياد ، أي ياباه ويرفضه . والخزائم : جمع الخزامة ، وهي حلقة توضع في ثقب أنف البعير ، وبها يربط الحبل الذي يقاد به ، وهو الزمام . ومن المجاز : جعلت في أنف فلان الخزامة : إذا أذلته وسخرته . وطوع الخزائم : تأكيد لمعنى الانقياد ، أي أكبر أن أنقاد ، وأكبر أن أكون طوع الخزائم ؛ فهو طوع إرادة من يهواها ، منقاد لها ، خاضع لحكمها ، أباي كل الإيلاء على غيرها .

(١٢) الصولة : السيطرة ، والغلبة . وعاجم : اسم فاعل من عجم عود فلان ، أي امتحنه واختبره .

(١) هويه : أحبه ، وتعلق به . والهوى هنا : المهوي ، أي المحبوب المعشوق .

دَعَّ حَبِيبَ الْقَلْبِ يَا سَقْمُ فَبِنَفْسِي لَا بِهِ الْأَلَمُ
كَيْفَ حَلَّ السُّقْمُ فِي بَدَنِ خُلِقَتْ مِنْ حُسْنِهِ النَّعْمُ ؟
يَا لَهَا مِنْ لَوْعَةٍ شَعَبَتْ رُكْنَ قَلْبِي وَهُوَ مُلْتَمُّ (٢)
مَنْعُونِي عَنْ زِيَارَتِهِ وَجَمَى قَلْبِي لَهُ حَرَمٌ (٣)
حَكِّمُوا أَنِّي بِهِ دَنِفٌ أَنَا رَاضٍ بِالَّذِي حَكَّمُوا (٤)
أُولُوا وَجُدِي بِهِ عَبَثًا لَيْتَهُمْ قَالُوا بِمَا عَلِمُوا (٥)
أَتَهْمُونِي فِي مَوَدَّتِهِ وَالْهَوَى مِنْ شَأْنِهِ التُّهْمُ
رَبِّ قَنَعْتُهُمْ بِفِرْيَتِهِمْ وَأَنْتَصِفُ مِنْهُمْ بِمَا زَعَمُوا (٦)
وَأَشْفِ نَفْسًا أَنْتَ بَارِئُهَا فَإِلَيْكَ الْبُرءُ وَالسَّقْمُ

وَقَالَ مُنَوَّهَا بِنَعَضِ فُحُولِ الشُّعْرَاءِ الَّذِينَ أُعْجِبَ بِهِمْ ، فَسَلَكَ سَبِيلَهُمْ ، وَنَسَحَ
عَلَى مِنْوَالِهِمْ . وَهُمْ :

- ١ - أَبُو نُوَاسٍ الْحَسَنُ بْنُ هَانِيءٍ .
- ٢ - وَمُسْلِمُ بْنُ الْوَلِيدِ الْأَنْصَارِيُّ .

-
- (٢) اللوعة : حرقة الوجد والهَمّ ونحوهما . وشعبت : فرقت ، ومزقت . ويراد بركن قلبه : قلبه القوي الركين المتين . وملتئم : مجتمع ، قوي .
 - (٣) يقول : إن الحبيب يحتل من قلبه حصناً حصيناً ، وحرماً آمناً .
 - (٤) دنف المريض : اشتد مرضه ، وأشفى على الموت . وقد شاع استعمال الدنف في المرض الذي يعتري العاشق بسبب العشق .
 - (٥) أولوا : فسروا . ووجدي به : حبي له . والعبث : اللعب ؛ والعمل الذي لا قيمة له ، ولا فائدة فيه .
 - (٦) قنعتهم : عاقبهم . ومن المجاز : قنع فلاناً بالسيف ، علاه به . والفريية : الكذب ، واختلاقه . وانتصف : أمر من الانتصاف ، وهو الانتقام والعقاب . والزعم : الكذب ، أو هو مطية الكذب .

٣ - وَأَبُو تَمَّامٍ حَبِيبُ بْنُ أَوْسٍ الطَّائِي .

٤ - وَأَبُو عَبَّادَةَ الْوَلِيدُ بْنُ عُبَيْدِ الْبُحْتَرِيِّ .

٥ - وَأَبُو الطَّيِّبِ أَحْمَدُ بْنُ الْحُسَيْنِ الْمُتَنَبِّي .

مَضَى « حَسَنٌ » فِي حَلْبَةِ الشَّعْرِ سَابِقًا
وَبَارَاهُمَا « الطَّائِيُّ » فَاعْتَرَفَتْ لَهُ
وَأَبْدَعَ فِي الْقَوْلِ « الْوَلِيدُ » فَشِعْرُهُ
وَأَدْرَكَ فِي الْأَمْثَالِ « أَحْمَدُ » غَايَةً
وَسِرتُ عَلَى آثَارِهِمْ وَلَرُبَّمَا
وَأَدْرَكَ لَمْ يُسَبِّقْ وَلَمْ يَأَلْ « مُسْلِمٌ » (١)
شُهُودُ الْمَعَانِي بِأَلَّتِي هِيَ أَحْكَمُ (٢)
عَلَى مَا تَرَاهُ الْعَيْنُ وَشَيْ مُنْمَمٌ (٣)
تَبَزُّ الْخَطَى مَا بَعْدَهَا مُتَقَدِّمٌ (٤)
سَبَقْتُ إِلَى أَشْيَاءَ وَاللَّهُ أَعْلَمُ (٥)

وَقَالَ :

لَعَمْرُكَ مَا يُدْعَى الْفَتَى بَيْنَ قَوْمِهِ بِذِي كَرَمٍ حَتَّى يَكُونَ كَرِيمًا

(١) مضى في الأمر : نفذ فيه ، وأتمه . و « حسن » : أبو نواس ، الحسن بن هانئ . وحلبة الشعر : مجاله ، وميدانه . وأدرك « مسلم » : أي وبارى مسلم بن الوليد الأنصاري « أبا نواس » ، فأدركه ، ولحقه . ولم يسبق (بالبناء للمجهول) : أي لم يسبق « مسلماً » أحد من أقرانه . أو هي (بالبناء للمعلوم) : أي لحق « مسلم » بأستاذه « أبي نواس » فأدركه ، ولم يسبقه . ولم يأل : لم يقصر .

(٢) باراه : سابقه ، وعارضه . و « الطائي » : أبو تمام ، « حبيب بن أوس » . واعترف بالشيء : أقر به ، وشهد . وشهود المعاني : المعاني الشبيهة بالشهود . وأحكم : أكثر حكمة . وأحكم الأمر إحكاماً : أحسنه ، وأتقنه .

(٣) الوليد : أبو عبادة البحتري . ووشي : موشى محسن ، مزخرف . ومثله منمم : من النممة ، وهي الوشي .

(٤) أدرك الغاية : بلغ النهاية ، أي نهاية الإجابة والإبداع والإتقان . والأمثال : جمع مثل ، وهو القول السائر بين الناس . وأحمد : أبو الطيب المتنبى . وبزه يبزه : غلبه وسبقه . و « غاية تبز الخطى » : أي أمد بعيد ، لا تستطيع بلوغه خطوات منافسيه ومساعيهم . وما بعدها متقدم : أي ليس بعدها مجال للسبق أو التقدم .

(٥) الآثار : جمع الأثر وهو العلامة وما خلفه السابقون .

وَلَنْ يَلْبَثَ الْمَرْءُ الضَّنِينَ بِمَالِهِ إِذَا خَافَ غُرْمًا أَنْ يُعَدَّ لِيَمًا (١)
 فَلَيْسَ الْفَتَى مَنْ حَازَ مَالًا وَإِنَّمَا فَتَى الْقَوْمِ مَنْ أَغْنَتْ يَدَاهُ عَدِيمًا (٢)
 فَمِزَّ بَيْنَ مَا تَخْتَارُ فِي الْفِعْلِ وَالتَّمِيسِ لِنَفْسِكَ حَظًّا كَيْ تَكُونَ عَظِيمًا (٣)

وَقَالَ عَلَى طَرِيقَةِ الْمَدِيحِ :

لَهُ نَظَرَتَا جُودٍ وَيَأْسٍ أَثَارَتَا غَمَامَيْنِ سَالًا بِالْفَوَاضِلِ وَالِدَمِ (١)
 فَكَمْ أَحْيَتِ الْأُولَى لُبَانَةَ مَعْشَرٍ وَكَمْ أَرَدَتِ الْأُخْرَى حُشَّاشَةَ مُجْرِمٍ (٢)

وَقَالَ :

عَلِيلٌ أَنْتَ مُسْقِمُهُ فَمَا لَكَ لَا تُكَلِّمُهُ؟ (١)
 سَرَى فِيهِ الضَّنَى حَتَّى بَدَتْ لِلْعَيْنِ أَعْظُمُهُ (٢)

(١) ضَنَّ بالشيء : بخل به بخلاً شديداً ، فهو ضنين . والغرم : الخسارة .
 (٢) يقول : ليست الفتوة والرجولة الحقيقية في حيازة المال ، وإنما تكون في بذل المال في وجوه البر والخير ، وسيد القوم من أغنى بماله المعدم .

(٣) مز : أمر من ماز الشيء من غيره أي فرّق وفصل . و« مز بين ما تختار في الفعل » : أي ما يميز بين ما تختاره من الأفعال ، وفاضل بين الأعمال . و« التمس لنفسك حظاً » : أي أطلب لنفسك نصيباً موفوراً من البر والخير لتكون عظيماً بين الناس .

(١) له : للممدوح . والبأس : القوة ، والشجاعة . والغمام : السحاب . وإثارة الغمام : تحريكه وسوقه . والفواضل : الهبات ، والنعم العظيمة . أي للمدوح نظرة مقرونة بالرضا تثير سحابة ، فيجري بالنعم والهبات على أحبابه . وله نظرة أخرى مقرونة بالغضب تثير سحابة ، فينصب على أعدائه بالتجريح والتقتيل . أي يمدحه في حالتي رضاه وغضبه ، أو في حالتي سلمه وحره .

(٢) الأولى : نظرة الجود ، أو الغمامة التي تسيل بالفواضل . والأخرى : نظرة البأس ، أو الغمامة التي تسيل بالدم . واللبانة : الحاجة . وأوردت : أهلك . والحشاشة : يراد بها هنا : النفس .

(١) عليل : مريض . وأسقمه : أمرضه .

(٢) سرى : سار . والضنى : شدة المرض .

فَلَا إِنْ بَاحَ تَعْدِرُهُ وَلَا إِنْ نَاحَ تَرَحَّمُهُ^(٣)
 إِذَا كَانَ الْهَوَى ذَنْبِي فَقُلْ لِي كَيْفَ أَكْتُمُهُ؟
 وَدَمْعِي أَنْتَ مُرْسِلُهُ وَقَلْبِي أَنْتَ مُؤْلِمُهُ
 وَلَا وَاللَّهِ مَا لِي فِي الْ هَوَى ذَنْبٌ فَأَعْلَمُهُ
 فَوَيْلِي مِنْ غَرِيبِ الدُّلِّ لِ أَبْلَانِي تَحَكُّمُهُ^(٤)
 تَرَدَّدَ فِي مَحَبَّتِهِ وَلَمْ يَسْمَحْ بِهَا فَمُهُ
 غَزَالُ أَحْوَرُ الْعَيْنِي مِنْ لَا يَسْأَلُ مُتَيْمُهُ^(٥)
 يَهِيمُ بِحُسْنِ صُورَتِهِ فُوَادِي وَهُوَ يَظْلِمُهُ
 نَسَبْتُ بِهِ فَبَانَ عَلَيَّ جَبِينِ الشُّعْرِ مَيْسَمُهُ^(٦)
 فَمَا لِي فِي الَّذِي أُمْلِي مِنْ فَضْلِ فَأَغْنَمُهُ^(٧)
 وَلَكِنْ حُسْنُهُ يَبْدُو إِلَى عَيْنِي فَتَرْسُمُهُ
 وَيَنْثُرُ لَفْظُهُ دُرًّا عَلَى سَمْعِي فَأَنْظِمُهُ^(٨)

- (٣) باح : المراد باح بسره ، أي أباحه. وكشفه وأظهره . وناح : بكى .
 (٤) ويلى : عذابي ، وشقائي . وأدل على محبه إدلالاً : وثق بمحبته ، فحملة ما لا يطيق .
 وأبلاني : أضناني ، وأعياني . والتحكم : التغلب ، والسيطرة .
 (٥) غزال : تشبه المرأة بالغزال في جمال العنق ، وجمال العينين ، ورشاقة الجسم ، وخفة
 الحركة ، وحسن الثني . وأحور : صفة من الحور ، وهو من محاسن العين . ومعناه أن يشتد
 بياض بياضها ، وسواد سوادها . وسلاه ، وسلا عنه : نسيه ، وصبر على بُعده . والمتيم :
 الذي تيمه العشق ، أي ذلله .
 (٦) نسب الشاعر بفلانة : شُبَّ بها في شعره ، وتغزل . والميسم : العلامة ، والسمة ، وأثر
 الحسن والجمال .
 (٧) يقول : إنه لا فضل له فيما يمليه من شعر الغزل أو النسيب ، وإنما الفضل كله لمن يتغزل
 بها .
 (٨) نثر الحب وغيره : رماه متفرقاً . والدر : جمع درة ، وهي اللؤلؤة العظيمة ، ونظم الدر
 وغيره : جمعه ، وألّفه ، ومن المجاز : نظم الشعر ، ونظم الكلام .

وَلَوْلَا ذَاكَ مَا لَاحَتْ
فَقُلْ مَا شِئْتَ فِي شِعْرِي
بِأَفْقِي الشُّعْرِ أَنْجُمُهُ
وَأَحْسَنُ الْقَوْلِ أَحْكَمُهُ
وَقَالَ :

وَفَاتِنَةَ الْحَدِيثِ لَهَا نِكَاتٌ
شَكَّوتُ لَهَا ضَنْىَ جَسَدِي فَقَالَتْ
فَقُلْتُ عِدِي بِوَضَلٍ مِنْكَ صَبَاً
فَقَالَتْ سَوْفَ تَلْقَانِي قَرِيباً
تُحَوَّلُ بِسِحْرِهَا دُونَ الْمَرَامِ (١)
بِطَرْفِي مَا بِجِسْمِكَ مِنْ سَقَامِ (٢)
بِرْتَهُ يَدُ الصَّبَابَةِ وَالْغَرَامِ (٣)
فَقُلْتُ مَتَى فَقَالَتْ فِي الْمَنَامِ
وَقَالَ :

ذَنْبِي إِلَيْكَ غَرَامِي
يَا ظَالِمِي فِي هَوَاهُ
حَتَّمَا تُعْرِضُ عَنِّي
عَظْفًا عَلَيَّ فَإِنِّي
فَكَيْفَ تُنْكِرُ وَجَدِي ؟
فَهَلْ يَجِلُّ مَلَامِي ؟
هَلَّا رَعَيْتَ ذِمَامِي ؟
وَلَا تَرُدُّ سَلَامِي ؟
بَرَى هَوَاكَ عِظَامِي
أَمَا رَأَيْتَ سَقَامِي ؟ (١)

(١) فاتنة الحديث : أي كلامها يستميل الأسماع ، ويحتل القلوب . والنكات : جمع النكتة ، وهي ، من المجاز ، الكلام الطريف العجيب . وتحول : تمنع . والمرام : المطلب . وتحول بسحرها دون المرام : أي يحول سحرها بين العاشق ومرامه ، أي يمنعه من إدراك مطلبه .

(٢) الضنى : المرض الملازم ، والهزال الشديد .

(٣) عدي : أمر من وعده الأمر ، ووعده بالأمر . والوصل : ضد الهجران . والصب : المشوق المستهام . وبرته : أضنته ، وهزلته .

(١) وجد بفلان (من باب وعد) وجداً : أي أحبه حباً شديداً . والسقام : المرض الطويل .

وَنِلَاةٌ مِّمَّا الْأَقْيِ
رَقُّ النَّسِيمِ لِحَالِي
وَسَاعَدْتَنِي فَنَاحَتْ
فِيَا سَمِيرَ فُوَادِي
مَتَى يَفُوزُ بِوَضَلِ
وَقَالَ :

قَالَتْ أَرَاكَ عَلِيلَ الْجِسْمِ قُلْتُ لَهَا
قَالَتْ فَهَلْ مِنْ دَوَاءٍ يُسْتَطَبُ بِهِ
فَبِتْ فِي حَيْرَةٍ لَا الْقَلْبُ مُصْطَبِرٌ
وَمَنْ أَطَاعَ هَوَاهُ غَيْرَ مُكْتَرِثٍ
مَنْ شَفَّهُ الْحُبُّ أَبْلَى جِسْمَهُ السَّقْمُ (١)
قُلْتُ الْوُضَالَ فَرَاحَتْ وَهِيَ تَبْتَسِمُ
وَلَا الْوُضُولُ إِلَى مَا يَشْتَهِي أُمُّ (٢)
بِمَا يَكُونُ فَعُقْبَى أَمْرِهِ نَدْمٌ (٣)

وَقَالَ نَاطِمًا قَوْلَ رَجُلٍ أَحَبَّ امْرَأَةً دُونَ قَدْرِهِ فَعَذَلَهُ عَمَّهُ ، فَقَالَ : يَا عَمُّ ، لَا
تَلُمُّ مُجْبِرًا عَلَى سَقَمِهِ ؛ فَإِنَّ الْمُقِرَّ عَلَى نَفْسِهِ مُسْتَعْنٍ عَنِ مُنَازَعَةِ خَصْمِهِ ، وَإِنَّمَا يُلَامُ
مَنْ اقْتَرَفَ مَا يَقْدِرُ عَلَى تَرْكِهِ وَلَيْسَ أَمْرُ الْهَوَى إِلَى الرَّأْيِ فَيَمْلِكُهُ ، وَلَا إِلَى الْعَقْلِ
فَيُدْبِرُهُ ، بَلْ قُدْرَتُهُ أَغْلَبُ ، وَجَانِبُهُ أَعَزُّ مِنْ أَنْ تَنْفُذَ فِيهِ حِيلَةُ حَازِمٍ ، وَلُطْفُ مُحْتَالٍ .

(٢) « ونبلاء » : كلمة يعبر بها عن التفجع والتوجع . ولوعة الحب : حرقته ووصبه . والهيام : جنون العشق .

(٣) ناحت الحمامة : سجعت . ونواح الحمام يبدو كأنه صوت الحزين الواجد ، ورنين اللوعة والأسى . وحمامة ورقاء : رمادية اللون ، والجمع ورق (بضم فسكون) .

(٤) السمير والمسامر : صاحبك الذي تألفه ، وتأنس به .

(١) عليل : سقيم مريض . وشفه الحب : هزله ، وأنحله . وأبلاه : أذابه ، وأضعفه . والسقم : المرض ، والضمي ، والهيام .

(٢) مصطبر : صابر . ويشتهي : أي يشتهي القلب . وأمم : هين ، واضح ، قريب المتناول .

(٣) غير مكترث : غير مبال ، وغير مهتم . وعقبي كل شيء : خاتمته ، ونهايته .

أَلَا لَا تَلْمُ صَبًّا عَلَى طُولِ سُقْمِهِ
فَلَيْسَ الْهَوَى مِمَّا يُرَدُّ بِحِيلَةٍ
وَمَا يَسْتَوِي جَانِ أَتَى الْإِثْمَ طَائِعًا
إِذَا مَا أَقْرَأَ الْمَرْءُ يَوْمًا بِذَنْبِهِ
وَقَالَ(*) :

مَنْحَتُكَ أَلْقَابَ الْعُلَا فَادْعُنِي بِاسْمِي
إِذَا كَانَ عُقْبَانُ الْجَدِيدِ إِلَى بَلَى
تَأْمَلْ إِلَى الدُّنْيَا بِعَيْنِ بَصِيرَةٍ
فَمَا الْعَيْشُ إِلَّا خَطْرَةٌ عَرْضِيَّةٌ
فَمَا تَخْفِضُ الْأَلْقَابُ حُرًّا وَلَا تُسْمِي (١)
فَلَا فَرَقَ مَا بَيْنَ الْحَدِيثِ وَلَا الرَّسْمِ (٢)
لَعَلَّكَ تَرْضَى بِالْقَلِيلِ مِنَ الْقَسْمِ (٣)
تَزُولُ كَمَا زَالَ الْحَيْثُ مِنَ النَّسْمِ (٤)

(١) الصَّبُّ : العاشق الولهان . والصبابة : حرارة الشوق ، والولع الشديد . ودعه : اتركه .
والحكم : مصدر حكم ، أي قضى ، وفصل . ويراد بالحكم هنا : الإرادة والاختيار .
(٢) ثنيت فلاناً : رَدَّدْتَهُ ، وصرفته عن مراده . والعزم : الصبر ، والجد .
(٣) الجاني : الأثم المذنب . والإثم : الذنب . وقرف الإثم ، واقترفته : ارتكبه ، وفعله ، ووقع فيه . وبرغمه : أي على كره منه ، وبلا إرادة واختيار .
(٤) أقر : إعترف . وتغني : تفيد . واللجاجة : التماذي في الخصومة ، والإصرار عليها .
(*) أخفقت الثورة المصرية العرابية . وفي أعقابها احتل الإنجليز مصر سنة ١٨٨٢ وحكم على «محمود سامي البارودي باشا» بالإعدام ثم استبدل به النفي المؤبد ، والتجريد من الألقاب والأملك والحقوق الوطنية .

(١) منحتك : أعطيتك ، ووهبت لك . والحرّ : الكريم ، والعزيز . وتُسمي : تُعلي ، وترفع .
(٢) عقبان الشيء : نهايته وآخره . والبلى : القَدَم . والرسم : ما كان بالأرض من آثار الديار ؛ ويراد به هنا : البالي القديم الفاني ، وهو ما يقابل الجديد الحديث .
(٣) عين بصيرة : أي عين قوية ، صادقة الإبصار ، كاشفة . ويراد بالعين البصيرة هنا : الفطنة ، وقوة الإدراك . والقسم (بكسر فسكون) : الحصّة ، والنصيب ، والجزء من الشيء المقسوم . أو القسم (بفتح فسكون) : بمعنى العطاء ، أي ما يُعطى .
(٤) العيش : المعيشة . والخطرة : البرهة ، والمدة اليسيرة . وعرضية : نسبة إلى العرض

وَهَلْ نَحْنُ إِلَّا مِثْلُ مَنْ كَانَ قَبْلَنَا ؟
 تَزَوَّدَ مِنَ الدُّنْيَا بِمَا فِيهِ بُلْغَةٌ
 لَعَمْرِي لِنِعْمِ الْمَرْءِ مَنْ بَاتَ رَاضِيًا
 تَفَلَسَفَ قَوْمٌ فِي الْمَقَالِ وَمَا دَرَوْا
 وَلَوْ رَاجَعُوا هَذِي النُّفُوسَ لَعَالَجُوا
 فَدَعْ هَذِهِ الدُّنْيَا وَإِنْ هِيَ أَقْبَلَتْ
 فَسَلْ عَنْ جَدِيسٍ أَيْنَ وُلَّتْ وَعَنْ طَسْمٍ (٥)
 فَسَوْفَ تُعَانِي الْجَدْبَ يَارَاعِي الْوَسْمِي (٦)
 بِمَا خَصَّهُ مِنْ فَيْضِهِ سَابِقُ الرَّسْمِ (٧)
 جَرِيرَةً مَا أَبْقَوْا عَلَى الدَّهْرِ مِنْ وَسْمِ (٨)
 بَتَرَكَ الْخَطَايَا مُعْضِلَ الدَّاءِ بِالْحَسْمِ (٩)
 عَلَيْكَ بِإِيْمَاضِ الْبَشَاشَةِ وَالْبَسْمِ (١٠)

- (بفتحتين) ، والعرض : اسم لما لا دوام له . يقال : هذا الأمر عرض ، أي عارض زائل .
 والحديث : السريع . والنسم : الريح نفسها ، أو هبوبها وحركتها العارضة السريعة الزوال ،
 والنسم (أيضاً) : طير سراع كالخطاطيف ، تعلو من خُضرة .
- (٥) «جديس» و«طسم» : قبيلتان من العرب البائدة ، كانتا تسكنان «اليمامة» إلى الجنوب
 الشرقي من «نجد» في عهد ملوك الطوائف من الفرس .
- (٦) تزوّد : أخذ الزاد ، وهو ما يتخذ من الطعام للسفر ، وما يدخره المرء للانتفاع به وقت
 الحاجة . والبلغة : ما يكفي لسد الحاجة ، ولا يفضل عنها . وتعاني : تقاسي ، وتكابد .
 والجدب : القحط . والوسمي : أول مطر الربيع . ويراد بالوسمي : كلاً هذا المطر ونباته .
 وراعي الوسمي : من يقود الماشية في المرعى ، لتأكل من هذا الكلاً والنبات .
- (٧) خصّه بكذا : أثره به على غيره ، أي جعله له دون غيره . والفيض : الكثير ، الغزير . ويراد
 بسابق الرسم : ما رسمه الله تبارك وتعالى ، أي ما قضاه وقدره للإنسان من الرزق وغيره .
- (٨) تفلسف قوم في المقال : أي اتجهوا في مقالاتهم إلى الفلسفة ، ولونوا بها كلامهم وبحوثهم
 في تكلف وتنطع ، بلا اعتدال ولا احسان . وما دروا : أي ولم يعلموا ولم يفطنوا .
 والجريرة : الجنابة ، والذنب . والوسم : السمة ، والأثر ، والعلامة .
- (٩) هذه النفوس : إشارة إلى النفوس المريضة المنحرفة التي حاول المتفلسفون علاجها بفلسفتهم
 الملتوية الخاطئة . والخطايا : جمع الخطيئة ، وهي الإثم ، والذنب . وداء معضل : لا
 يرجى البرء منه .
- (١٠) دع : اترك ، ويراد بترك الدنيا : الإعراض عنها ، والزهد فيها ، والاحتباس من خداعها .
 والإيماض : اللمعان الخفيف . والبشاشة : تهلل الوجه ، وإشراقه ، وطلاقة . والبسم : أقل
 الضحك وأحسنه ، ومثله الابتسام ، والتبسم .

فَلَوْ جَرَّبَ الْإِنْسَانُ أُخْلَاقَ دَهْرِهِ
فَمَنْ لِي بِرَأْيٍ صَادِقٍ أَقْتَفِي بِهِ
بَرْتِنِي تَبَارِيحُ الْحَيَاةِ فَلَمْ تَدْعُ
يَقُولُونَ « مَحْمُودٌ » وَيَا لَيْتَ أَنِّي
لَأَمْسَكَ بِالْيَأْسِ الْمُرِيحِ عَنِ الْعَسْمِ (١١)
مَدَارِجَ قَوْمٍ أَدْرَكُوا الْأَمْرَ بِالْقَسْمِ (١٢)
لَدَيَّ سِوَى رُوحٍ تَرَدَّدَ فِي جِسْمِ (١٣)
كَمَا زَعَمُوا أَوْلَيْتَ لِي طَائِعًا كَأَسْمِي (١٤)

وَقَالَ :

قَالُوا أَلَا تَصِفُ الْغَرَامَ لَنَا
فَأَجَبْتُهُمْ هَيْهَاتَ أَنْعَتُ مَا
الْحُبُّ يَنْفُذُ بِالْفُؤَادِ كَمَا
يَعْنُو لِسُورَتِهِ الْمَلِيكَ وَلَا
حَتَّى يُحِيطَ بِنَعْتِهِ الْفَهْمُ؟ (١)
يَعْتَلُ دُونَ صِفَاتِهِ الْوَهْمُ (٢)
يَمْضِي عَلَى غُلُوءِهِ السَّهْمُ (٣)
يَقْوَى عَلَى صَدَمَاتِهِ الشَّهْمُ (٤)

(١١) أمسك باليأس : أخذ به ، واعتصم . والعسم : الطمع والتهافت والتكالب على حطام الدنيا .

(١٢) اقتفاه : تبعه ، وسار في أثره . ومدارج قوم : أي مذاهبهم ، ومسالكهم . ويراد بالأمر : شأن هذه الحياة وحالها . والقسم (بفتح فسكون) : الرأي ، والعقل . وأدركوا الأمر بالقسم : أي أدركوا أمر هذه الحياة بالرأي الصادق .

(١٣) براه : هزله ، وأضعفه . وتباريح الحياة : شدائدها وبلاياها . وتردد : أصله تتردد ، أو يتردد .

(١٤) « محمود » : اسم الشاعر . وكما زعموا : أي كما قالوا ، أو مثلما ظنوا . وطائع : مطيع ، منقاد .

(١) النعت : الوصف .

(٢) يعتل : يمرض ، والمراد : يعيا ، ويعجز . والوهم : ما يقع في الذهن من الخاطر .

(٣) نفذ السهم ونحوه : خرق الرمية ، وخرج منها . ويراد بالنفوذ أو النفاذ هنا : الاستقرار والتمكن والثبات . والغلواء : الغلوة ، والسرعة . ومضى السهم على غلوائه : إنطلق في شدة ، وقوة ، وسرعة بالغة .

(٤) يعنو : يذل ، ويخضع . ولسورته : أي لسورة الحب ، أي سطوته وشدته وحدته . والشهم : القوي ، الشديد . والذكي الفؤاد ، الشديد الرأي .

وَقَالَ فِي غَدَاةِ أَنْسٍ (*) :

أَدْرَهَا قَبْلَ تَغْرِيدِ الْحَمَامَةِ فَمَا يَنْفِي الْهُمُومَ سِوَى الْمُدَامَةِ (١)
مُعْتَقَةً إِذَا سَلَكَتْ ضَمِيرًا مَحَتْ عَنْهُ الْكَلَالَةَ وَالسَّامَةَ (٢)
أَلَمْ تَرَ كَيْفَ أَصْبَحَتِ الْغَوَادِي لَهَا فِي كُلِّ نَاجِيَةٍ عَلامَةٌ؟ (٣)
فَكَمْ فِي الْأَرْضِ مِنْ مَجْرَى غَدِيرٍ وَكَمْ فِي الْجَوِّ مِنْ مَسْرَى غَمَامَةٍ
فَبَايِرُ صَفْوَةِ الْأَيَّامِ تَغْنَمُ لَذَاذَتَهَا وَلَا تَخْشَى الْمَلَامَةَ
وَلَا تَحْزَنُ عَلَى شَيْءٍ تَوَلَّى فَإِنَّ الْحُزْنَ مِقْرَاضُ السَّلَامَةِ

وَقَالَ :

مَتَى يَنْقُضِي عُمُرُ الْحَيَاةِ فَتَنْقُضِي مَارِبُ كَانَتْ عِلَّةً لِلْمَظَالِمِ (١)
تَسَاوَتْ نُفُوسُ الْخَلْقِ فِي الشَّرِّ فَاسْتَعِذْ بِرَبِّ الْبَرَائِيَا مِنْ جَهُولٍ وَعَالِمٍ؟ (٢)

(*) الغداة : ما بين الفجر وطلوع الشمس .

(١) أدراها : يريد أدر كؤوس الخمر علينا . وتغريد الحمامة : هديرها ، أو هديرها . وقبل تغريد الحمامة : أي قبل أن تطلع الشمس ، ويمتد النهار . والمدامة : الخمر .

(٢) معتقة : قديمة . ويراد بالضمير هنا : قلب شاربها ، أو عقله . والكلالة : الإعياء ، والعجز . والسامة : الملل ، والضجر .

(٣) الغواصي : أمطار الصباح ، الواحدة غادية . وعلامات الغواصي : سماتها ، وأماراتها ، وآثارها في بقاع الأرض ونواحيها من الغدران ، والأنهار ، والكلأ .

(١) المأرب : الحاجات ، جمع مأرب ، أو مأربة . وعلة : سبب . يستبطن الشاعر أو يتمنى أن تفتى الدنيا ، وينتهي عمرها ؛ لتقطع بفنائها حاجات الناس ومطامعهم ؛ فإن التكالب عليها سبب الشرور والآفات ، والخصومات والمظالم في هذه الحياة .

(٢) الخلق : الناس . واستعاذ بالله : أي لجأ إليه ، واعتصم به . والبرايا : جمع البرية ، وهي الخلق ، والناس .

وَلَوْ عَرَفُوا مَا أَنْكَرُوهُ لِأَيُّقُنُوا
تَأْمَلُ رُوَيْدًا يَا بَنَ وَدِّي هَلْ تَرَى
يَظُنُّ عَليُّ الْقَوْمِ فِي الطَّبِّ بُرَاهُ
فَطِرٌ لِّلسَّهَاءِ أَوْ فَاتَخِذْكَ سُلْمًا
وَكَيْفَ تَنَالُ النَّفْسُ فِي الدَّهْرِ عَيْشَةً
وَقَالَ :

خَلِيلِي ! مَا فِي الدَّهْرِ أَطْوَلُ حَسْرَةً
وَإِنَّ أَمْرًا يَلْقَى فَوَاضِلَ نِعْمَةٍ
مِنَ الْمَرْءِ يَلْقَى فُرْصَةً فَيَخِيمُ^(١)
بِأَرْضٍ وَيَنْوِي غَيْرَهَا لَمْلِيمُ^(٢)
وَقَالَ :

أَخُو الْعِلْمِ فِي الدُّنْيَا لِذِي الْجَهْلِ مُحَوِّجٌ
وَكُلُّ لَهُ عِنْدَ الْقِيَاسِ مَعَالِمُ^(١)

(٣) أنكروه : جهلوه ، أو جحدوه . والخذعة : الإسم من خدعه ومكر به مكرًا سيئًا ، وأظهر له خلاف ما يخفيه .

(٤) رويداً : متمهلاً . وصفحات الأرض : جوانبها ، ونواحيها .

(٥) الطب : علم علاج الجسم والنفس . والطب (بفتح الطاء) : الطبيب المداوي .

(٦) السها : كوكب صغير ، خفي الضوء ، يمتحن الناس به أبصارهم . وأبراجه : أي أبراج السها . وأبراج النجوم : منازلها المختصة بها في السماء .

(٧) الاستفهام في أول البيت معناه النفي ، أي لا سبيل إلى أن ينال المرء في دهره عيشة راضية .

(١) الحسرة : التأسف ، والحزن ، والتلهف الشديد على الشيء الفات . والفرصة : المنفعة المشروعة ، تنهياً لك برهة قليلة ، فإذا لم تغتنمها ندمت وتحسرت . ويخيم عن الفرصة : أي يقعد عن انتهازها واغتنامها .

(٢) النعمة : المسرة ، والفضل ، والخير . وفواضل النعمة أو النعم : كثرتها ، وزيادتها . وينوي غيرها : أي يقصد أرضاً غيرها . وملوم : أي أتى ما يلام عليه .

(١) محوج : محتاج . ومعنى الشطر الأول : أن العالم يحتاج إلى الجاهل ، والجاهل يحتاج إلى العالم ، فلا غنى لأحدهما عن الآخر . وكل : أي وكل من العالم والجاهل . والقياس : التقدير ، والاعتبار . ومعالم : خصائص ، وعلامات ، وصفات مميزة .

فَلَوْلَا وَجُودُ الْعِلْمِ مَا عَاشَ جَاهِلٌ وَلَوْلَا وَجُودُ الْجَهْلِ مَا عَاشَ عَالِمٌ
وَقَالَ :

أَنَا فِي الْحُبِّ وَفِي لَيْسَ لِي بِالغَدْرِ عِلْمٌ
لَا تَظُنُّوا بِي سُوءًا إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ

وَقَالَ :

أَنَا فِي الدَّهْرِ ضَائِعٌ بَيْنَ فَهْمٍ فَاتِكِ حَدُّهُ وَجَدَّ كَهَامٍ (١)
حُزْتُ عِلْمًا وَمَا رُزِقْتُ قَبُولًا فَكَأَنِّي مَجَلَّةُ الْأَحْكَامِ (٢)

وَقَالَ :

إِذَا مَا كَتَمْتُ الْحُبَّ كَانَ شَرَارَةً وَإِنْ بُحْتُ بِالْكِتْمَانِ كَانَ مَلَامًا
فَكَيْفَ احْتِيَالِي بَيْنَ أَمْرَيْنِ أَشْكَلًا عَلَيَّ فَصَارَا شِقْوَةً وَغَرَامًا؟

(١) حد كل شيء : طرفه الرقيق الحاد القاطع ، كحد السيف والسكين ونحوهما . وحد فاتك : أي ماض ، قاطع . وفهم فاتك، حده : أي فهم حاد ، قوي . والجد (بفتح الجيم) : الحظ . وجد كهام : حظ سيء عاثر ، من قولهم : سيف كهام : أي كليل ، لا يقطع .

(٢) في البيت السابق شكاً ضياعه وشقاءه بين حدة فهمه وكهامة جده . وفي هذا البيت تأكيد وتمثيل لهذه الشكوى ؛ فإنه ، مع حدة فهمه ، وغزارة علمه ، واتساع معارفه ، لا يجد من الناس ما يكافئ فضلته ومزاياه من القبول والرضا . مثله في هذا مثل مجلة الأحكام القضائية ؛ فإنها تعنى كل العناية بدراسة القضايا التي تنشرها ، وتستقصي ما يتصل بها من الحقائق العلمية ، ولكنها مع هذا كله لا تلقى من جماهير القراء ما تستحقه من الإقبال والانتشار والرواج .

(١) احتال احتيالاً : طلب الشيء ، أو عالجه بالحيلة ، وهي الحذق ، وجودة النظر . وأشكلا : خفياً ، والتبسا ؛ فصعب علاجهما . والشقوة : الشقاء ، والشدة . والغرام : التعذاب الدائم الملازم .

وَقَالَ بَعْدَمَا اسْتَقَالَ مِنْ وَزَارَةِ الْحَرْبِيَّةِ* ، يَذُمُّ بَعْضَ الْوُزَرَءِ :

مَا لِي بِوُدِّكَ بَعْدَ الْيَوْمِ الْإِمَامُ فَاذْهَبْ فَأَنْتَ لَيْئِمُ الْعَهْدِ نَمَامُ (١)
قَدْ كُنْتُ أَحْسَبُنِي أَذْرَكْتُ مَارَبَةً مِنْ الْمُنَى فَإِذَا مَا خِلْتُ أَحْلَامُ (٢)
هَيْهَاتَ مِنِّي الرِّضَا مِنْ بَعْدِ تَجْرِبَةٍ إِنَّ الْمَوَدَّةَ بَيْنَ النَّاسِ أَقْسَامُ (٣)
فَاطْلُبْ لِنَفْسِكَ غَيْرِي إِنَِّّي رَجُلٌ يَأْبَى لِي الْغَدْرَ أَخْوَالٌ وَأَعْمَامُ (٤)
كُلُّ أَمْرِيءٍ تَابِعُ أَغْرَاقَ نَبْعَتِهِ وَالْخَيْرُ وَالشَّرُّ أَنْسَابٌ وَأَرْحَامُ (٥)
فَانظُرْ لِفِعْلِ الْفَتَى تَعْرِفْ مَنَاسِبَهُ إِنَّ الْفِعَالَ لِأَصْلِ الْمَرْءِ إِعْلَامُ (٦)

(*) في غرة ربيع الأول سنة ١٢٩٨هـ (السادس من فبراير سنة ١٨٨١م) عزل الخديوي «توفيق» «عثمان رفاقي» وزير الحرب في وزارة «مصطفى رياض» ، وأسند هذه الوزارة إلى «محمود سامي البارودي» في مستهل الثورة العراقية ؛ وفي ٢٥ من رمضان سنة ١٢٩٨هـ (٢ من أغسطس سنة ١٨٨١م) اضطر إلى الاستقالة من وزارة الحرب ، ووزارة الأوقاف التي كانت معه من قبل ، بسبب السعيات والنمائم التي اتهمته بأنه ضالع مع «أحمد عرابي» وجماعة الضباط الثائرين . ولا ريب أن هذه الاستقالة أو الإقالة قد أصابته إصابة بالغة في أمانيه الشخصية ، ولهذا اشتدت ثورته النفسية ، واشتد سخطه على من سعى به ؛ فهجاه بهذه الميمية المقذعة اللاذعة .

(١) الود : المودة والمحبة . وألم بالقوم إماماً : زارهم زيارة غير طويلة . ورجل لئيم العهد : أي لا يراعي عهداً ، ولا يحفظ وداً . ونمام : فتان مُفسد .

(٢) أحسبني : أظنني . والمأربة : البغية والأمنية . والمنى : الأمانى والآمال .

(٣) يجهر الشاعر بشدة سخطه على المهجو ، ويؤكد إصراره على مقاطعته ، ويقول : إنه لن يرضى عنه بعد ما جربه من نفاقه وغدره . ويضيف أن المودة بين الناس تختلف باختلافهم :

فمنها ما يقوم على الصدق والإخلاص ، ومنها ما يقوم على الخداع والتدليس .

(٤) ما زال الشاعر يؤكد على مقاطعة المهجو ، والنفور من مصاحبته . وفي البيت تعريض بغدره وخيانتته .

(٥) الأعراق : الأصول ، جمع عرق . والنبعة : واحدة النبع ، وهو شجر ينبت في الجبال ، تتخذ منه القسيّ والسهام . ومن المجاز : فلان من نبعة كريمة ، أي من أصل كريم .

(٦) مناسبة : أصوله وأعراقه . وإعلام : إظهار ، وإبانة . أي أن أعمال المرء وتصرفاته تنم على أصله وعرقه .

وَلَا يَغْرُنْكَ وَجْهُ رَاقٍ مَنظَرُهُ
فَالنُّصْلُ فِيهِ الْمَنَايَا وَهُوَ بَسَامٌ^(٧)
مَا كُلُّ ذِي مَنَسِرٍ فَتَخَاءَ كَاسِرَةٌ
كَأَلَّا وَلَا كُلُّ ذِي نَابِينَ ضِرْغَامٌ^(٨)
فَإِنْ يَكُنْ غَرْنِي جِلْمِي فَلَا عَجَبُ
إِنَّ الْحُسَامَ لَيَنْبُؤَا وَهُوَ صَمْصَامٌ^(٩)
ظَنَنْتُ خَيْرًا وَلَمْ أُدْرِكْ عَوَاقِبَهُ
فَكَانَ شَرًّا وَيَبْعُضُ الظَّنَّ آثَامٌ^(١٠)
فِيَا لَهَا ضِلَّةٌ مَا إِنْ أَبْهَتْ لَهَا
حَتَّى تَرَدَّتْ بِهَا فِي الشَّرِّ أَقْدَامٌ^(١١)
آلَيْتُ أَكْذِبُ نَفْسِي بَعْدَهَا سَفْهًا
إِنَّ الْمُنَى عِنْدَ صِدْقِ النَّفْسِ أَوْهَامٌ^(١٢)
فِيَا بِنَّ مَنْ تَزْدَرِيهِ النَّفْسُ مِنْ ضَعْفِهِ
فَمَا يُحْسُّ لَهُ وَجْدٌ وَإِعْدَامٌ^(١٣)

(٧) لا يغرنك : لا يخدعك . وراق : صفا ، وحسن . وراقني الشيء : أعجبني . ونصل الرمح ونحوه : حديدته ، أو حده الذي يقطع . والمنايا : جمع المنية ، وهي الموت . وبسام : لامع ، براق ، جذاب .

(٨) المنسر : للطائر الجارج مثل المنقار لغير الجارج . والفتخاء : العقاب اللينة الجناحين ، وهي من الطيور الكاسرة الجارحة ؛ قوية المخالب ، لها منقار قصير أعقف ، هو منسرها ، وبصرها حاد ، يضرب المثل بحدته وقوته . والناب : السن بجانب الرباعية ، يذكر ويؤنث . وللإنسان نابان في كل فك . والضرغام : الأسد الضاري الشديد .

(٩) الحلم : العقل ، والأناة . والحسام : السيف الماضي القاطع . ونبأ السيف : أخطأ الإصابة . وسيف صمصام : قاطع ماض .

(١٠) ولم أدرك عواقبه : أي ولم أفطن لنتائج هذا الظن ، وقدرت سلامة العواقب ، فكان ظني شراً ، أي خاطئاً سىء العواقب . والآثام : جمع الإثم ، وهو الخطيئة والذنب .

(١١) « يا لها » : أسلوب تعجب . أي يا عجباً لها ، أي للضلة (بكسر الضاد) : بمعنى الضلال ، ومثلها الضلة (بفتح الضاد) . وأبه له ، وأبه به : أي فطن له ، وتنبه . وتردت : هوت وسقطت .

(١٢) آلى إيلاء : أقسم وحلف . وأكذب نفسي : أي لا أكذبها . وسفهاً : أي بسبب السفه . والسفه : الخفة والطيش ، والحماقة ، ونقص العقل . والمنى : الأمانى والآمال . والأوهام : جمع الوهم ، وهو ما يقع في الذهن ، وما يخطر بالخلد .

(١٣) تزدريه النفس : تحتقره ، وتتهاون به . والضعة : الذلة ، والمهانة . ورجل وضيع : أي دنيء حقير . ويراد بالوجد والإعدام : الوجود والعدم .

دَعِ الْفَخَّارَ وَخُذْ فِيمَا خُلِقْتَ لَهُ مَنِ الصَّغَارِ فَإِنَّ الطَّبْعَ إِلْزَامٌ (١٤)
وَأَذْكَرُ مَكَانِكَ مِنْ «عَبَّاسٍ» حَيْثُ مَضَتْ عَلَيْكَ فِي الدَّارِ أَعْوَامٌ وَأَعْوَامٌ (١٥)
تَبِيْتُ مُرْتَفِعاً فِي ظِلِّ دَسْكَرَةٍ لِكُلِّ بَاغٍ بِهَا وَجُدْ وَتَهَيَّأْ (١٦)
وَفَوْقَ ظَهْرِكَ لِالْأَنْفَاسِ مُعْتَرِكٌ وَفِي حَشَاكَ لِنَارِ الْفُسْقِ إِضْرَامٌ (١٧)
وَيَلْمُهَا خَزِيَّةٌ طَارَتْ بِشُنْعَتِهَا صَحَائِفٌ وَجَرَتْ بِالدَّمِّ أَقْلَامٌ (١٨)
فَإِخْسَاءً فَمَا الْكَلْبُ أُذْنِي مِنْكَ مَنزِلَةٌ وَ«إِخْسَاءً» لِمِثْلِكَ إِعْزَازٌ وَإِكْرَامٌ (١٩)
هَذَا الَّذِي تَكَرَّرَ الْأَبْصَارُ طَلَعَتْهُ فَحَظُّهَا مِنْهُ إِيْدَاءٌ وَإِيْلَامٌ (٢٠)

(١٤) دع : اترك . والفخار : الاعتزاز بالمناقب والمحاسن . وخلقت له : طبعت عليه ، أي جبلت . يريد أن الصغار ، والذل ، والهوان مركوز في خلقتة وطبعه . وألزمه الشيء إلزاماً : أوجبه عليه ، وأثبت له . ومعنى «الطبع إلزام» : أن المهجو طبع على الصغار ، فلزمه ، ووجب له .

(١٥) عباس الأول بن طوسون بن محمد علي ، رأس الأسرة المحمدية العلوية التي حكمت مصر . تولى الحكم بعد وفاة عمه إبراهيم سنة ١٨٤٨ م ، وقد مات مقتولاً في قصره عام ١٨٥٤ م . يقول الشاعر : إن المهجو كان في عهد عباس الأول خاملاً ساقطاً ، منزوياً في داره ، لا يكاد يفارقها ، ولا يكاد يحس به أحد . وقد لبث زمناً طويلاً في هذا الخمول والانزواء .

(١٦) مرتفعاً : إشارة إلى الكراسي المرتفعة التي يجلس عليها رؤاد الحانات . والدسكرة : كلمة فارسية من معانيها : بيوت يكون فيها الشراب والملاهي . وظل الدسكرة : سواد حانوت الخمار ، أي ضوءها الضعيف الخافت . والباغي : الظالم . والوجد : الحب ، وشدة التعلق بالشيء .

(١٧) الأنفاس : جمع نَفَس ، كناية عن المتنفسين من الرجال . ومعترك : من الاعتراك ، وهو الازدحام والتدافع . والحشا : ما انطوت عليه الضلوع ، وما حواه البطن . والفسق : الخروج عن طاعة الله . والإضرام : الإشعال .

(١٨) الويل : الهلاك وحلول الشر . وويلمها : ويل لأمها . والخزية : الذل والعار . والشنعة : القبح الشديد . وطارت بشنعتها : أي شهرت بالخزية ، وأعلنتها ، ونشرتها .

(١٩) إخسأ : أي إبعده . ويقال إخسأ عني : أي ابتعد . وتحمل هذه الكلمة - مع الإبعاد والطرده - معنى الإذلال ، والإهانة ، والتحقير .

(٢٠) هذا : إشارة إلى المهجو . وطلعت : وجهه أو رؤيته . وحظها : نصيبها .

فِي وَجْهِهِ سِمَةٌ لِلْغَدْرِ بَيْنَةٌ وَبَيْنَ جَنْبَيْهِ أَحْقَادٌ وَأَوْغَامٌ (٢١)
 لَهُ عَلَى الشَّرِّ إِقْدَامٌ وَلَيْسَ لَهُ إِلَّا عَنِ الْخَيْرِ وَالْمَعْرُوفِ إِحْجَامٌ (٢٢)
 كَأَنَّمَا أَنْفُهُ مِنْ طُولِ سَجْدَتِهِ فِي حَانَةِ اللَّهْوِ حَرْفٌ فِيهِ إِدْغَامٌ (٢٣)
 كَعَقْرَبِ الْمَاءِ يَمْشِي مِشْيَةً صَدْدًا فَخَلْفَهُ عِنْدَ جِدِّ الْأَمْرِ إِقْدَامٌ (٢٤)
 أَبْدَى بَعَاتِقِهِ الْمُنْدِيلُ سِيمَتَهُ وَحَتَّ مَوْضِعَهُ مِنْ كَفِّهِ الْجَامُ (٢٥)
 وَكَيْفَ يَصْلُحُ أَمْرُ النَّاسِ فِي بَلَدٍ حُكَّامُهُ لِبَنَاتِ اللَّهْوِ خُدَّامٌ؟ (٢٦)

(٢١) سمة : علامة . وبينه : واضحة ، جلية . والأحقاد : الأضغان ، جمع حقد ، وهو الانطواء على العداوة ، وإضمار البغضاء . والأوغام : جمع وغم ، وهو الحقد الثابت في الصدر .
 (٢٢) الإقدام : مصدر أقدم على الأمر ، وأسرع في إنجازه بلا تردد أو توقف . والإحجام : ضد الإقدام : مصدر أحجم عن الشيء ، أي نكص عنه ، وكف ، وجبن .
 (٢٣) الحانة : موضع بيع الخمر ، أي حانوت الخمر . والإدغام : إدخال الحرف في الحرف .
 والمعنى : أن المهجو من مدمني الخمر ، المولعين بمجالس اللهو والشراب في الحانات ؛ فهو لا يفتأ يتردد إليها . ومن عادته أن ينكفيء بأنفه على مناضدها ، ولطول انكفائه وانكباب أنفه عليها يخيل إليك أنه دخل فيها ، وأدغم ، كما يدغم الحرف في الحرف .
 (٢٤) عقرب الماء : سرطان الماء ، ومن خصائصه أنه يستطيع وهو يمشي أن يتحرك جانبياً ؛ فمشيته غير مستقيمة ، بل فيها عوج ، والتواء ، وانحراف . والصدد : الناحية ، والجانب . ويمشي مشية صدداً : أي يمشي مشية جانبية ؛ فهي ليست معتدلة ، ولا مستقيمة . وخلفه : ظهره . وخلف : وراء ، وضدها « قُدَّام » . وجد الأمر : الحالة التي تتطلب الجِد .
 (٢٥) عاتق الإنسان : ما بين منكبه وعنقه . وسيمته : سيمة المهجو ، أي علامته التي يتميز بها من غيره . وحتته : فركه ، وذلكه . والجام : الكأس ، ويراد بها هنا : كأس الخمر .
 يقول : اعتاد المهجو أن يضع منديله على عاتقه ؛ فكان هذا من سماته الظاهرة . واعتاد كذلك شرب الخمر وإدمانها ؛ حتى تركت كأسها في كفه أثراً ظاهراً . وربما كان المراد بالشرط الأول من هذا البيت : أن المهجو خالط الخمارين ، واندمج في سلوكهم ، فتشبه بهم . ومن عادة النادل (وهو من يقوم على خدمة القوم في الأكل ، أو الشرب) أن يضع على عاتقه منديلاً ، أو شيئاً يشبه المنديل ، كالفوطه مثلاً .
 (٢٦) أي لا سبيل إلى صلاح أمر الناس أو إصلاحه في بلد حكامه لاهون فاسقون . وبنات اللهو : الماجنات الساقطات العواهر من النساء .

قَدْ يَمَّمْتُهُ الْمَخَازِي فَهِيَ نَازِلَةٌ مِنْهُ بِحَيْثُ تَلَاقَى اللَّؤْمُ وَالذَّامُ (٢٧)
 مَا إِنْ أَصَبْتُ لَهُ خُلُقًا فَأَحْمَدُهُ فَكُلُّ أَخْلَاقِهِ لِنَفْسِ آلَامُ (٢٨)
 فَظُّ غَلِيظٌ مَقِيْتُ سَاقِطٌ وَجِمُّ وَغَدُ لَيْئِمٌ ثَقِيلُ الظِّلِّ حَجَّامُ (٢٩)
 جَاءَتْ بِهِ عَجْزٌ لَيْسَتْ بِطَاهِرَةٍ لَهَا بِمَدْرَجَةِ الْفَحْشَاءِ أَرْلَامُ (٣٠)
 مُسْتَيَقِظٌ لِلْمَخَازِي غَيْرَ أَنَّ لَهُ طَرْفًا عَنِ الْعَرَضِ وَالْأَوْتَارِ نَوَامُ (٣١)
 أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ إِلَّا مِنْ عَدَاوَتِهِ فَإِنَّهَا لِجَلَالِ اللَّهِ إِعْظَامُ (٣٢)

(٢٧) يممته : قصدته ، وعلقت به . والمخازي : الخصال السيئة القبيحة . والذام : العيب ، والمذمة .

(٢٨) خالط الشاعر المهجو وزامله في المناصب الحكومية الكبيرة ، وعرفه معرفة صحيحة ؛ فلم يجد في سيرته وسلوكه ، وأخلاقه وطبائعه ما يرتضى ويحمد ، بل أثبتت التجربة أن أخلاقه سيئة رديئة ، تؤلم النفوس ، وتنفر القلوب .

(٢٩) رجل فظ : غليظ ، قاس جاف . ومقيت : ممقوت ، بغيض ، مكروه أشد الكراهية . وساقط : رذل ، خسيس ، لئيم في نفسه وحسبه . ووجم (بوزن كتف) : عابس الوجه . ووجد : أحرق ، ضعيف العقل . وثقيل الظل : أي ثقيل على الناس ، مقيت إليهم ، مكروه منهم . والحجامة : من يعالج المريض بامتصاص جزء من دمه ، وحرفته الحجامة (بوزن الكتابة) . والحجامة ثقيل الظل على الناس .

(٣٠) العجز : مؤخر الشيء ، ويراد بها هنا ، فرج المرأة . وليست بطاهرة : ليست عفيفة ، ولا محصنة . والمدرجة : المسلك والطريق . والفحشاء : ما شنع ، وفضح . وقد يكنى بالفحشاء عن الزنا . والأزلام : جمع زلم وهو السهم الذي لا ريش عليه . وللعجز أزلام بمدرجة الفحشاء : كناية عن اعتيادها الفاحشة والرذيلة .

(٣١) مستيقظ للمخازي : متنبه لها ، حريص عليها . والطرف : العين ، والنظر . والعرض : موضع المدح والذم من الإنسان . يقال : هو نقي العرض ، أي ليس فيه ما يثلب ويعاب . والأوتار : جمع وتر وهو الثار . و«نوام» : أي كثير النوم .

(٣٢) أعظمه إعظاماً : فخمه وكبره وعظمه ، أو رآه عظيماً .

المعنى : أن عداوة الشاعر لمثل هذا المهجو ليست من الذنوب التي يرجى فيها من الله المغفرة ، ولكنها تمجيد وتعظيم لجلال الله وعظمته ؛ وكأنها من العبادات والقربات ؛ فالشاعر يتقرب إلى الله تعالى بالإمعان في مثل هذا الهجاء ، والتنديد بما يمقته الله عز وجل .

فَاذْهَبْ كَمَا ذَهَبَ الطَّاعُونَ مِنْ بَلَدٍ تَقْفُوهُ بِاللَّعْنِ أَرْوَاحٌ وَأَجْسَامٌ (٣٣)
وَهَاكَ مَا أَنْتَ أَهْلٌ فِي الْهَجَاءِ لَهُ فَالْهَجْوُ فِيكَ لِنَقْضِ الْحَقِّ إِبْرَامٌ (٣٤)
مِنْ كُلِّ قَائِيَةٍ فِي الْأَرْضِ سَائِرَةٍ لَهَا بِعَرَضِكَ إِنْجَادٌ وَإِتْهَامٌ (٣٥)
شِعْرٌ لِيُوجِهَ الْمَخَازِي مِنْهُ سَائِفَةٌ بِحَاصِبٍ وَلَأَنفِ الْجَهْلِ إِرْغَامٌ (٣٦)
تَبْلَى الْعِظَامُ وَيَبْقَى ذِكْرُهُ أَبَدًا فِي كُلِّ عَصْرِ لَهُ سَجْعٌ وَتَرْنَامٌ (٣٧)

وَقَالَ يَهْجُو :

هَجَوْتُكَ غَيْرَ مُبْتَدِعٍ مَقَالًا سِوَى مَا فِيكَ مِنْ دَنْسٍ وَشَوْمٍ (١)
فَإِنْ تَجَزَعُ فَمِنْ خَوْرٍ وَجُبْنٍ وَإِنْ تَصْبِرُ فَمِنْ ضَعَةٍ وَلُؤْمٍ (٢)

(٣٣) الطاعون : الوباء ، أو الموت من الوباء . وتقفوه : تتبعه ، وتسير وراءه . واللعن : الطرد ، والإبعاد من الخير . ولعن فلان فلاناً : أي دعا عليه ، وسبه ، وأخزاه .
(٣٤) « هاك » : اسم فعل أمر ، بمعنى « خذ » . وهو أهل لكذا : أي مستحق له ، أي وخذ من الهجاء ما تستأهله . ونقض الحق : إهداره وتضييعه والتفريط فيه . وأبرم الشيء : أحكمه .
(٣٥) العرض : ما يمدح ويذم من الانسان ، وهو ما ينبغي أن يصونه من نفسه وشرفه . والإنجاد : الارتفاع . والاتهام : الانخفاض .
(٣٦) سافية : حاملة . والحاصب : الريح الشديدة تحمل الحصباء والتراب . ويراد بالحاصب هنا : ما تثيره الرياح ، وترمي به من الحصى والتراب ونحوهما . والجهل : السفاهة والجهل والغلظة وسوء الخلق . وأرغمه إرغاماً : ألقاه في الرغام ، وهو التراب .
(٣٧) تبلى : تفتى . والعظام : عظام الموتى من الناس . والذكر : الصيت . والسجع : التريديد . والترنم : رجع الصوت وإجادة الغناء .
(١) مبتدع : اسم فاعل من ابتدع الشيء ، أي استحدثه ، واخترعه ، وأنشأه على غير مثال . ودنس : قذارة وتلوث . والشؤم : السوء ، والشر ، والفساد .
يقول : إنه لم يتجنّ على المهجو بهجائه ، ولم يرمه إلا بمساويه ، ومعابه ، وما فيه من قذارة وشرور وفساد .

(٢) جزع : ضعفت قوته عن حمل ما نزل به ، ولم يجد صبراً عليه . والخور : الضعف والانكسار . والجبين : صفة الجبان ، وهو الذي يحجم حيث ينبغي الإقدام . والضععة :

وَقَالَ فِي رَجُلٍ :

أَلَا مَنْ مُعِينِي عَلَى صَاحِبِ
يَسُوءُ الْخَلِيلَ وَيُؤْذِي الْجَلِيلَ
يَلُومُ عَلَى غَيْرِ ذَنْبٍ جَرَى
فَإِنْ قُلْتُ مَهْلًا لَوَى شِدْقَهُ
لَهُ جَهَلَاتٌ تُمِيتُ الرُّضَا
يُكَابِرُ فِي الْحَقِّ إِنْ مَضَّه
فَلَا أَنَا مِنْهُ أَرَى رَاحَةً
تَبَدَّلَ أَنْسِي بِهِ وَحَشَّةً
جَرَعْتُ بِصُحْبَتِهِ الْعَلْقَمَا؟^(١)
سَ وَيَأْنُفُ إِنْ زَلَّ أَنْ يَنْدَمَا^(٢)
وَيَغْضَبُ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَفْهَمَا^(٣)
وَإِنْ لَمْ أُجِبْ قَوْلَهُ بَرَطَمَا^(٤)
وَحُمُقٌ يَكَادُ يُسِيلُ الدَّمَا^(٥)
وَلَا يَدْعُ الظَّنَّ أَوْ يَأْتَمَا^(٦)
وَلَا أَنَا عَنْهُ أَرَى مَنْسِمَا^(٧)
وَعَادَ نَهَارِي بِهِ مُظْلَمَا

- الْوَضَاعَةُ ، والدناءة ، والخسة . ورجل وضيع : ذنيء خسيس ، ساقط . واللؤم : نقيصة تجمع عدة نقائص ، كشح النفس ، ودناءة الأصل ، والمهانة .
- (١) عاصر هذا الصاحب الشاعر معاصرة شديدة ، وجرعه في صحابته العلقم ؛ حتى ضاق به ذرعاً ، فاستنجد ، واستغاث ، وطلب من يخفف عنه ثقله ويلواه .
- (٢) من عيوب المهجو إيذاء جلسائه ، والإساءة إلى أخلائه ؛ والتشبث بالخطأ والزلل ، والتمادي في الجهل والسفه .
- (٣) إن هذا الصاحب ينحى بلائمه على غير المذنب ، ويسارع إلى الغضب قبل الفهم ، وتحكيم العقل .
- (٤) الشدق : جانب الفم مما تحت الخد . وليّ الشدق : كناية عن التبرم والغضب ، وأمانة من أمارات السخط والإعراض . وبرطم : اغتاط ، وانتفخ ، وأدلى شفتيه من الغضب .
- (٥) جهلات : جمع جهلة ، بمعنى السفاهة والحماقة . والحمق : قلة العقل ، أو فساده .
- (٦) يكابر في الحق : يجاحد فيه ، ويعاند . ومضه وأمضه : ألمه وأوجعه ، وشقّ عليه . ويأثم : يقع في الإثم ، وهو الذنب والخطيئة .
- (٧) المنسم : الطريق .
- والمعنى : أنه يتوق إلى قطع صلته بهذا الصاحب المتعب النكد ؛ ولكنه لا يكاد يجد الحيلة أو الطريق إلى ما يرغب فيه ويتمناه .

فَلَا رَجِمَ اللَّهُ يَوْمًا جَرَى عَلَيَّ بِهِ طَائِرًا أَشَامًا^(٨)
وَقَالَ^(*):

كَمْ غَادَرَ الشُّعْرَاءُ مِنْ مُتَرَدِّمٍ وَلَرُبَّ تَالٍ بَزَّ شَأْؤُ مُقَدِّمٍ^(١)
فِي كُلِّ عَضْرٍ عَبْقَرِيٌّ لَا يَنِي يَفْرِي الْفَرِيَّ بِكُلِّ قَوْلٍ مُحْكَمٍ^(٢)
وَكَفَّاكَ بِي رَجُلًا إِذَا اغْتَقِلَ النَّهْيَ بِالصَّمْتِ أَوْ رَعَفَ السَّنَانَ بِعُنْدَمٍ^(٣)

(٨) الأشام : المشؤوم . ومن كلامهم : « جرى لهم الطائر الأشام » : أي أصابهم الشؤم ، وهو الشر ، والسوء ، والبلاء .

(*) هذه القصيدة من فخریات البارودي ، وعيون شعره ، وفيها - مع الفخر - وفاء لمصر ، وتعلق بها ، وثناء عليها ، وتغن بمحاسنها . فبعد عودته من منفاه في سبتمبر سنة ١٨٩٩ استقبله الناس بحفاوة بالغة ، وعادت داره منتدى الأدباء والشعراء ، وأهل العلم . وفي إحدى ندواته سأله الأديب الشاب « مصطفى صادق الرافعي » شيئاً من شعره الحديث ، فقال : « إن عنترة بن شداد العبسي » يقول :

هل غادر الشعراء من متردِّمٍ أم هل عرفت الدار بعد توهم ؟
وقد نقضت هذه القصيدة بقولي :
كم غادر الشعراء من متردِّمٍ ولسرب تالٍ بزَّ شأؤ مقدمٍ
والقصيدتان على وزن وروي واحد .

(١) غادره : تركه وأبقاه . ومتردِّم : أي مجال تردِّم ، من تردِّم كلامه تردِّمًا ، أي تتبعه حتى أصلحه ، وسدَّ خلله . والمراد أن السابقين من الشعراء تركوا لللاحقين مجالاً واسعاً فسيحاً للقول ، والافتتان فيه ، والتجديد ، والابتداع . وتالٍ : تابع . وضده المقدم : اسم مفعول من قدمه تقديمًا ، أي غلبه وفاقه ، وفضله . والشأؤ : الغاية والأمد .

(٢) لا يني : لا يفتر ، ولا يضعف ، ولا يتوانى . وفري الشيء يفريه : قطعه على وجه الإصلاح . والفري : الأمر العجيب . وفلان يفري الفري : إذ أجاد عمله وأحكمه وأتقنه ، وأتى فيه بالعجيب . والمحكم : المتقن .

(٣) كفاك بي رجلاً : أسلوب يفيد الفخر بأنه الرجل الذي تكون به الكفاية ، ويستغنى به عمن سواه من الرجال . واعتقل لسانه : حبس ، فلم يستطع الكلام . والنهى : العقل . واعتقال العقول والألسنة بالصمت : كناية عن نضوب القرائح ، وخمود الأذهان . ورعف فلان : خرج من أنفه الدم . وسانان الرمح ونحوه : نصله . والعندم : دم الأخوين . ويراد بالعندم هنا : دم

أَحْيَيْتُ أَنْفَاسَ الْقَرِيضِ بِمَنْطِقِي
وَفَرَعْتُ نَاصِيَةَ الْعُلَا بِفَضَائِلِ
سَلِّ مِضْرَعَنِي إِنْ جَهَلْتَ مَكَانَتِي
بَلْبُهُ نَشَأَتْ مَعَ النَّبَاتِ بِأَرْضِهَا
فَنَسِيْمُهَا رُوحِي وَمَعْدِنُ تُرْبِهَا
فَإِذَا نَطَقْتُ فَبِالْثَّنَاءِ عَلَى الَّذِي
أَهْلِي بِهَا وَأَجَبْتِي وَكَفَى بِهِمْ
وَصَرَعْتُ فُرْسَانَ الْعَجَاجِ بِلَهْذَمِي (٤)
هُنَّ الْكَوَاكِبُ فِي النَّهَارِ الْمُظْلِمِ (٥)
تُخْبِرُكَ عَنْ شَرَفٍ وَعِزٍّ أَقْدَمِ (٦)
وَلَثَمْتُ ثَغَرَ غَدِيرِهِ الْمُتَبَسِّمِ (٧)
جِسْمِي وَكَوْثَرُ نَيْلِهَا مَحْيَا دَمِي (٨)
أَوْلَتْهُ مِنْ فَضْلِ عَلَيٍّ وَأَنْعَمِ (٩)
فَخَرًّا مَلَكَتُ بِهِ عِنَانَ الْأَنْجُمِ (١٠)

- الجرحى والقتلى من المحاربين . ورعف الأسنه بالدماء : كناية عن استحرار القتال ، واشتداد لظى الحرب والنزال .
- (٤) صرعه : طرحه على الأرض . والعجاج : الغبار الذي تثيره سنابك الخيل ، وحركات المتحاربين . وفارسان العجاج : أي فوارس الحرب والقتال . واللهم : كل شيء قاطع من سنان أو سيف أو غيرهما . وسيف لهزم : حاد قاطع .
- (٥) فرعت : صعدت ، وعلوت ، وارتقيت . والناصية : مقدم الرأس ، أو شعر مقدم الرأس . والعلا : العلاء ، والرفعة ، والشرف . وناصية العلا : قمة المعالي .
- (٦) المكانة : المنزلة ، ورفعة الشأن .
يفخر بسمو منزلته ، وجلال قدره ، وأصالة شرفه وعزه . ويقول : إن مصر وأهلها يعرفون له كل هذا ، ويشهدون به .
- (٧) « بله » : حَسَنَ الخَلْقِ . والبله والأبله : من غلبته سلامة صدره . واللثم : التقبيل . والثغر : المبسم . ونشأته مع النبات : إشارة إلى غضارة طفولته ، ونضارة صباه . واللثم هنا : كناية عن الشرب . والثغر : كناية عن المشرب ، أو المورد . وغديره : غدير النبات ، أي ما يروي النبات ويسقيه من الغدران ، والأنهار . والغدير بصفاء مائه ، وحسن روائه يبدو كالمتبسم .
- (٨) نسيمها : نسيم مصر . ومعدن الشيء : أصله . والتراب : التراب . والكوثر : الخير العظيم ، أو نهر عظيم في الجنة . وعلى هذا المعنى يكون « كوثر نيلها » أي نيلها الشبيه بكوثر الجنة . والمحيا : الحياة . وحياة دمه : حياة جسمه .
- (٩) الثناء : ذكر المحامد . وأولاه معروفاً : أسداه إليه ، وصنعه . والفضل : الإحسان . والأنعم : جمع نعمة ، أو نعماء ، وهي كل عطاء حسن .
- (١٠) أحبتي : من أحبهم ويحبونني . والعنان : سير اللجام الذي تمسك به الدابة وتقاد ، وجمعه

وَأَحَقُّ دَارٍ بِالْكَرَامَةِ مَنْزِلٌ لِلْقَلْبِ فِيهِ عَلاَقَةٌ لَمْ تَصْرَمِ (١١)
 هِيَ جَنَّةُ الْحُسْنِ الَّتِي زَهْرَاتُهَا حُورٌ أَلْمَهَا وَهَزَارٌ أَيْكِيهَا فَمِي (١٢)
 مَا إِنْ خَلَعْتُ بِهَا سُيُورَ تَمَائِمِي حَتَّى لَبِسْتُ بِهَا حَمَائِلَ مِخْذَمِي (١٣)
 وَغَنِيْتُ عَنْ قُلْتِي بِعَامِلِ أَسْمَرٍ وَسَلَوْتُ عَنْ مَهْدِي بِصَهْوَةِ أَذْهَمِ (١٤)
 وَفَجَرْتُ يَنْبُوعَ الْبَيَانِ بِمَنْطِقِي عَذْبٌ رَوِيَتْ بِهِ غَلِيلَ الْحُومِ (١٥)

أعنة . وامتلاك أعنة النجوم : كناية عن التحكم فيها ، والسيطرة عليها . وهذه كناية عن بلوغه أعلى مراتب الرفعة والمجد .

(١١) الدار والمنزل : مصر . ولم تصرم : لم تقطع .

يقول : لقلبه بمصر علاقة وثيقة ثابتة لا انفصام لها . لذا فهي أحب بلاد الله إليه ، وأعزها عليه ، وأحقها ببره وتكريمه .

(١٢) زهرات مصر : فتياتها الحسان الجميلات . والهور : جمع حوراء ، صفة من الحور (بفتحتين) ، وهو من محاسن العين . ومعناه : أن يشتد بياض بياضها ، وسواد سوادها ، وتستدير حدقتها ، ويحسن اتساعها . والمها : البقر الوحشي ، واحدته مهاة ، والهور من صفات عينها . والهزار (بوزن سلام) : طائر من طيور الغرد ، صوته حسن . والأيكة : واحدة الأيك ، وهو الشجر الكثير الملتف .

(١٣) خلع الشيء : نزع ، وألقاه . والسيور : جمع سير ، وهو رباط من الجلد . والتمايم : جمع تميمة ، وهو عوذة ، أو خرزة تربط في السير ، توضع في عنق الطفل ، يعوذونه بها . وهي - في زعمهم - تدفع العين والحسد ، وتعصمه من الشر . وتعليق التمايم كناية عن الطفولة والصغر ، وخلعها كناية عن مجاوزتهما ، وبلوغ الرشد . والحمايل : جمع حمالة ، وهي علاقة السيف ونحوه . والمخزم : السيف القاطع . ولبس حمائل المخزم : كناية عن الرجولة والقوة .

(١٤) غنيت عن قلتي بعامل أسمر : أي استغنيت عن لعب الأطفال واستبدلت بها الرماح . والقلة (بوزن الكرة) : من لعب الصبيان . وعامل أسمر : أعلا الرمح . وسلا عن الشيء : نسيه . والمهد : الفراش . والدهمة : السواد . وفرس أدهم : اشتدت سمرة ، حتى ذهب بياضه .

(١٥) فجر الماء : شق له طريقاً ، فسال وجرى . والينبوع : عين الماء . ومن المجاز : فجر الله على لسان فلان ينابيع الحكمة . وينبوع البيان : أي البيان الشبيه بالينبوع . والمنطق : الكلام . وعذوية الكلام : سهولته وبلاغته . ورويت : سقيت . والغليل : شدة العطش . والحوم : العطاش .

وَلَكُمْ أَثْرَتْ غِيَابَةً مِنْ قَسْطَلٍ
 أَخْتَالُ طَوْرًا فَوْقَ ذِرْوَةِ مَنَبَرٍ
 حَتَّى رَبَاتٍ مِنَ الْمَعَالِي هَضْبَةً
 نَشَأَتْ بِطَبْعِي لِلْقَرِيضِ بَدَائِعُ
 يَضْبُو بِهَا « الْحَكْمِيُّ » صَبُوءَ عَاشِقٍ
 قَوْمْتُهُ بَعْدَ اغْوَجَاجِ قَنَاتِهِ
 بِمُهَنْدِي وَحَلَلْتُ عُقْدَةَ مُبْرَمٍ (١٦)
 وَأَكْرُ طَوْرًا فَوْقَ نَهْدٍ شَيْظَمٍ (١٧)
 شَمَاءُ تُزَلِّقُ أَخْمَصَ الْمُتَسَنِّمِ (١٨)
 لَيْسَتْ بِنَحْلَةٍ شَاعِرٍ مُتَقَدِّمٍ (١٩)
 وَتَخْفُ مِنْ طَرْبِ عَرِيكَةِ « مُسْلِمٍ » (٢٠)
 وَالرُّمْحُ لَيْسَ يَرُوقُ غَيْرَ مَقْوَمٍ (٢١)

(١٦) أثرت : هيجت ، ونشرت . والغيابة : كل ما غيب شيئاً ، وواراه . والقسطل : بيان للغيابة ، وهو الغبار الذي تثيره في الحرب سنايك الخيل وحركات المتحاربين ، وهي كناية عن أنه محارب شجاع ، شديد البأس . والمهند : السيف المطبوع من حديد الهند ، وكان أجود السيوف عندهم .

(١٧) اختال : تبختر وتكبر . وكر الفارس : عاد مرة بعد أخرى . وكرّ على عدوه : حمل عليه في الحرب ونحوها ، أي هجم . وفرس نهد : قوي ضخم . والشيطم : الطويل ، الجسيم ، والسريع .

(١٨) ربأت : علوت ، وارتقيت . والمعالي : الرفعة والشرف . والهضبة : الجبل المنبسط . وشمَاء : عالية مرتفعة . والترتيب الأصلي لهذا الكلام : « حتى ربأت هضبة شماء من المعالي » . وزلقت القدم : زلت ، وسقطت . والأخمص : باطن القدم . والمتسنم : من تسنمت البعير ، أي ركبت سنامه . ومن المجاز : تسنم فلان ذورة الشرف ، أي علاها وارتقاها .

(١٩) القريض : الشعر . وبيدائه : روائعه . أي أن شعره مطبوع ، أي يجري على الطبع والسليقة . والنحلة : اسم من انتحل فلان شعر غيره ، إذا ادعاه ، ونسبه إلى نفسه .

(٢٠) صبا إلى الشيء : مال إليه ، وتشوّق . وبها : أي ببدايع شعره . والحكمي : أبو نواس ، الحسن بن هانئ بن عبد الأول بن صباح الحكمي ، شاعر العراق في عصره (١٤٦ - ١٩٨ هـ) . وتخف : تنشط وتهتز . والطرب : خفة من سرور وفرح . والعريكة : الطبيعة ، والنفس . ومسلم (٧٤٧ - ٨٢٣ م) : أبو الوليد ، مسلم بن الوليد الأنصاري ، الملقب بصريع الغواني ، من الشعراء النابيين المبرزين في العصر العباسي الأول . أجاد الشعر وهو صبي ، ومدح الرشيد والبرامكة ، وكان خليعاً ماجناً ، ثم جنح للنسك والعبادة ، وظل متنسكاً حتى مات بجرجان ، بالقرب من بحر قزوين سنة ٢٠٨ هـ .

(٢١) قومته : قومت شعري ، أي عدلته ، ونقحته . وتقويم قناة الشعر : تعبير مجازي في معنى التهذيب والتنقيح ، وتخليص الكلام من عيوبه ، وإخراجه جيداً محكمأرائقاً .

فَقَرُّ يَكَادُ السَّحْرُ يُبْلَغُ بَعْضَ مَا
 مُتَشَابَهُ الطَّرْفَيْنِ يُنْبِئُ صَدْرُهُ
 أَحْكَمْتُ مَنْطِقَهُ بِلَهْجَةِ مُفْلِقِ
 يَبْتَزُّ أَهْبَةَ كُلِّ فَارِسٍ بِهَمَةٍ
 ذَلَّتْ مِنْهُ غَوَارِبًا لَا تُمْتَطِي
 شِعْرٌ جَمَعْتُ بِهِ ضُرُوبَ مَحَاسِنِ
 فَإِذَا نَسَبْتُ فَتَنْتُ كُلَّ مُقَنَّعٍ
 فِي طَيْهَا لَوْ كَانَ غَيْرَ مُحَرَّمٍ (٢٢)
 عَمَّا تَلَا حَقَّ فَهَوَّ بَادِي الْمَعْلَمِ (٢٣)
 يَقِظُ الْبَدِيهَةَ فِي الْقَرِيضِ مُحَكَّمٍ (٢٤)
 وَيَزُمُّ شِقْشِقَةَ الْفَتِيْقِ الْمُقْرَمِ (٢٥)
 وَخَطَمْتُ مِنْهُ مَوَارِنًا لَمْ تُخْطَمِ (٢٦)
 لَمْ تَجْتَمِعْ قَبْلِي لِحَيِّ مُلْهِمٍ (٢٧)
 وَإِذَا نَأَمْتُ دَعَرْتُ كُلَّ مُلْثَمٍ (٢٨)

(٢٢) فقر الكلام والشعر : جملة ، وأجزاؤه ، وأبياته . ويراد بما في طيها : ما تنطوي عليه الفقر ، أي الأبيات ، كروعة التأليف ، وإبداع التركيب ، وقوة التأثير في الأسماع والأبصار والقلوب والأذهان .

(٢٣) يريد بتشابه طرفي شعره ، وإنباء صدره بما تتابع بعده : أن شعره متماثل في الوضوح والبيان . وبإدبي المعلم : أي واضح المعالم ، لا يكاد يخفى منه شيء .

(٢٤) أحكمت منطقته : أتقنت نظمه وتأليفه . واللهجة : لغة الإنسان . ومفلق : مُبدع . ويقظ البديهة : حاضر الجواب ، ولديه تمام استعداد لنظم الشعر في شتى فنونه وأغراضه . ومحكَّم : يفصل بين المتحاكمين .

(٢٥) يبتز : يأخذ أخذ مغالبة ومقاورة ، وفاعله ضمير الشعر . والأهبة : الاستعداد . والبهمة (بضم فسكون) : الشجاع . ويراد بفارس البهمة هنا : البارع المتفوق في قوة الشعر . وابتزاز أهبته : التغلب عليه . وزم البعير خطمه : أي جعل على أنفه خطأماً : أي زماماً ، وشده به . والشقشقة هنا : الفصاحة . والفتيق : الفصيح ، الحاد اللسان . والمقرم : السيد المعظم المكرم . ويراد بالفتيق المقرم : الشاعر المفلق . وزم شقشقته : كناية عن قهره والتغلب عليه .

(٢٦) ذللت : سهلت ، ومهدت . ومنه : من الشعر . والغوارب : جمع الغارب ، وهو من البعير ما بين سنامه وعنقه . ولا تمتطي : لا تتركب ، أي لا يسهل ركوبها . وخطمت البعير : جعلت الخطام ، أي الزمام ، على خطمه ، أي مقدّم أنفه وفمه . ومنه : من الشعر . والموارن : جمع مارن ، وهو الجزء اللين من الأنف .

(٢٧) ضروب : صنوف ، وأنواع . ويراد بالحي : الإنسان ، أو الشاعر . وشاعر ملهم : شاعر موهوب .

(٢٨) نسب الشاعر : قال نسيباً أي غزلاً . وفتنت : استملت واستهويت . والمقنّع : كناية عن

كَالرَّوْضِ تَسْمَعُ مِنْهُ نَغْمَةً بُلْبُلٍ وَالْغَيْلُ تَسْمَعُ مِنْهُ زَاوَةَ ضَيْغَمٍ (٢٩)
أَدْرَكْتُ قَاصِيَةَ الْمَحَامِدِ وَالْعُلَا وَشَاوْتُ فِيهَا كُلَّ أَصِيدٍ مُسْنِمٍ (٣٠)
فَأَنَا ابْنُ نَفْسِي إِنْ فَخَرْتُ وَإِنْ أَكُنْ لِأَغْرٍ مِنْ سَلَفِ الْأَكَارِمِ أَنْتَمِي (٣١)
وَالْفَخْرُ بِالْآبَاءِ لَيْسَ بِنَافِعٍ إِنْ كَانَتْ الْأَبْنَاءُ خُورَ الْأَعْظَمِ (٣٢)
هَذَا وَرُبَّتْ لَذَّةٌ بَاشَرْتُهَا فِي ظِلِّ أَخْضَرَ بِالْعَرَارِ مُنْمَمٍ (٣٣)
طَفِقَ النَّسِيمُ يَحُوكُ وَشِيَّ بُرُودِهِ بِأَنَامِلٍ تَمْرِي خِيُوطَ الْمِرْزَمِ (٣٤)

المرأة المحجبة . ونامت القوس : صوتت . والنسيم : صوت الأسد . وذعرت : خوفت ،
وأفزعت . والملثم : كناية عن المحارب
(٢٩) البلبل : طائر صغير يضرب المثل بحسن صوته ، وطلاقة لسانه . والغيل : الأجمة ، أي
الشجر ، الكثير الملتف .

والمعنى : أن شعره متفاوت بتفاوت فنونه وأغراضه ؛ فهو في النسيب ونحوه عذب رقيق
سهل ، وفي الحماسة ونحوها جزل قوي ضخم ؛ فنغمة البلبل كناية عن الرقة والعذوبة
والسهولة ، وزاوة الضيغم كناية عن الجزالة ، واستحكام القوة .

(٣٠) قاصية الشيء : غايته . وشاوت القوم : سبقتهم . وفيها : في العلا والمحامد . والأصيد :
المتكبر ، المزهو بنفسه . ومسمن : عال مرتفع .

(٣١) أنا ابن نفسي : أي أنا عصامي ، نهضت بي كفاياتي وأخلاقي وأعمالي . والأغر :
المشهور . وسلف الرجل : آباؤه المتقدمون .

يقول : إن فخرت فإنما أفخر بنفسي ، لا بأبائي ، وإن كانوا من الغر الأطيبين الأكارم .

(٣٢) خور : ضعاف . والأعظم : العظام .

(٣٣) اللذات التي باشرها : أي استمتع بها . ويعبر بالظل عن الرحاب والستر والوقاية . وأخضر :

أي في ظل روض أخضر . والعرار هنا : أزهار الروض وأنواره ذات الرائحة العطرية الذكية .
ومنمم : مرقش مزين .

(٣٤) طفق : بدأ ، وشرع . ويحوك : ينسج . والشوي : الثياب الموشية ، أي المنقوشة .

وبروده : أي برود الروض ، جمع بُرد ، وهو كساء مخطط . ويحوك وشي بروده : أي ينسج

بروده ويوشبها ويزخرفها . ويراد بالخيط : المطر يسقط من السحاب في انسجام وتتابع

واتصال ، كأنه الخيط . والمرزم (بوزن المنبر) : أي النجوم المبشرة بالمطر .

فِي كُلِّ أَفْقٍ مُزْنَةٌ فَيَأْضَعُهُ
هَاتِيكَ تَجْرِي فِي السَّمَاءِ كَأَنَّهَا
فَالرَّوْضُ بَيْنَ مُوشِحٍ وَمُؤَزَّرٍ
طَلَقُ الْجَبِينِ تَبَسَّمَتْ أَزْهَارُهُ
عَبَقُ الْإِزَارِ كَأَنَّهَا جَرَّتِ الصَّبَا
صَبَحَ الْغَمَامُ غُصُونَهُ فَتَرْنَحَتْ
فَنَسِيمُهُ أَرْجٌ وَطَائِرٌ أَيْكِهِ
يَسْتَوْقِفُ الْأَلْبَابَ حُسْنُ رُؤَايِهِ

وَيَكُلُّ أَرْضٍ جَدُولٌ كَالْأَرْقَمِ (٣٥)
سُفْنٌ وَهَذَا فِي الْخَمَائِلِ يَرْتَمِي (٣٦)
وَالزَّهْرُ بَيْنَ مُدَنَّزٍ وَمُدْرَهَمِ (٣٧)
عَنْ دُرٍّ قَطْرٍ كَالْعُقُودِ مُنْظَمِ (٣٨)
فِيهِ بِجُؤْنَةٍ عَنَبِيرٌ لَمْ تُخْتَمِ (٣٩)
طَرَبًا لِرَجْعِ الطَّائِرِ الْمُتَرْنَمِ (٤٠)
هَزِجٌ وَجَدُولُهُ بَرُودُ الْمَبْسَمِ (٤١)
وَيَصِيدُ عَيْنَ النَّاطِرِ الْمُتَوَسِّمِ (٤٢)

(٣٥) يصف كثرة السحب الممطرة ، وانتشارها في الأفاق ، وكثرة الجدول وقنوات الماء ، وانسيابها بين الأشجار والزرع كالأفاعي .

(٣٦) هاتيك : إشارة إلى المزنة في البيت السابق . وهذا : إشارة إلى الجدول . والخمائل : جمع خميلة ، وهي الموضع تكثر فيه الأشجار . ويرتمي : يزيد ويكثر .

(٣٧) موشح : يضع الوشاح . والمؤزر : يضع الإزار . فالزهر مدنر على التشبيه بالدينار ، بلونه الذهبي ، ومدرهم ، أي يشبه الدرهم ، بلونه الفضي .

وفي هذا البيت وصف أثر الأمطار والجدول في إحياء الأرض ، واكتساء مثل هذا الروض بأنواع الزروع والنبات ، وتزيينه بما يشبه الدراهم والدينارين من ألوان الورد والزهر .

(٣٨) وصف هذا الروض بطلاقة الجبين والإشراق . وقال : إن أزهاره تفتحت في أجمل صورها . وضاعف جمالها ما تحمله أوراقها من قطرات الندى في الصباح . هذه القطرات تشبه قلائد الجواهر ، وعقود الدرر واللائيء المنسقة .

(٣٩) عبق به الطيب : ظهرت فيه رائحته الذكية العطرية ؛ فهو عبق . وإزار الروض : ما يكسوه ويزينه من الشجر والزرع والنبات والزهر . والصبأ : ريح طيبة ، وهي أحب الرياح إلى العرب . والجؤنة : ما يحفظ فيها العطار الطيب والعنبر .

(٤٠) صبحه : سقاه الصبوح ، وهو شراب الصباح . والغمام : السحاب . وترنحت : تمايلت واهتزت . ورجع الطائر : شدا ، وترنم .

(٤١) نسيم أرج : أي عطر . والأيك : جمع أيقة ، وهي الشجر الكثير الملتف . وطائر هزج : يفرغ ، ويطرب . وبرود : أي ماؤه عذب بارد . والمبسم : الثغر ، ويراد به هنا : المذاق . من قولهم : « والله ما بسمت فيه » : أي ما ذقته .

(٤٢) الألباب : العقول . والرواء : المنظر الحسن . والمتوسم : المتعرف والمتفرس .

وَالْمَرْءُ طَوْعُ يَدِ الزَّمَانِ يَقُودُهُ (٤٣)
فَلَكَ يَدُورُ وَأَنْجُمٌ لَا تَأْتِي
صُورٌ إِذَا نَادَيْتَهَا لَمْ تَسْتَجِبْ
فَدَعِ الْخَفِيَّ وَخُذْ لِنَفْسِكَ حَظَّهَا
لَا يَسْتَطِيعُ الْمَرْءُ يَبْلُغُ مَا نَأَى
بَيْنَنَا يَشْقُ بِهِ الْجَوَاءُ تَرْفُوعاً
إِنَّ الْحَيَاةَ شَهِيَّةٌ مَا لَمْ تَكُنْ
لَا أُرْتَضَى عَيْشَ الْجَبَانِ وَلَا أَرَى
وَلَرُبَّ مَلْحَمَةٍ سَرِيَتْ قِنَاعَهَا
قَوْدَ الْجَنِيْبِ لِنَايَةِ لَمْ تُعْلَمِ (٤٣)
تَبْدُو وَتَغْرُبُ فِي فِضَاءٍ أَقْتَمِ (٤٤)
أُورُتَ مِنْهَا النُّطْقَ لَمْ تَتَكَلَّمِ (٤٥)
مِمَّا بَدَا لَكَ فَهَوَّاهُنَا مَغْنَمِ (٤٦)
عَنْهُ وَلَوْ صَعِدَ السَّمَاءُ بِسُلْمِ (٤٧)
أَهْوَى بِهِ فِي كِسْرِ بَيْتٍ مُظْلِمِ (٤٨)
غَرَضاً لِأَمْرَةٍ ظَالِمِ لَمْ يَرْحَمِ (٤٩)
فَضْلاً لِذِي حَسَبٍ إِذَا لَمْ يُقَدِّمِ (٥٠)
عَنْ وَجْهِ نَصْرِ بِالْغُبَارِ مُلْتَمِ (٥١)

- (٤٣) طوع يد الزمان : أي منقاد له تمام الانقياد . والجنيب : الفرس ، أو الأسير .
(٤٤) يراد بالفلك الدائر : دوران النجوم ، والكواكب في أفلاكها . ولا تأتلي : لا تقصر ، ولا
تفتقر ، ولا تتوانى . والأقتم : القاتم ، وهو ما كان لونه أغبر ضارباً إلى سواد أو حمرة .
(٤٥) صور : جمع صورة ، وهي الشكل ، والتمثال المجسم . ويراد بالصور هنا : ما نراه من
ظواهر الكائنات الصامتة ، متحركة ، أو ساكنة . ولم تستجب : لم تجب . ورام الشيء :
اراده وطلبه .
(٤٦) ينصح أن يأخذ كل امرئ لنفسه ما ينفعها من ظواهر الكون ، وصور الكائنات ، والمعارف
القريبة المفيدة المهيأة للإنسان ؛ فإنها خير المغنم وأيسرها . وينهى عن الكد في طلب ما لا
يتسنى لنا إدراكه من الخفايا والغيوب والمحجبات التي لا سبيل إليها .
(٤٧) المعنى : أن الإنسان لا يمكنه الوصول إلى ما لم يقدر له ، ولو توسل إليه بكل الوسائل .
(٤٨) يقول : إن الذي يحاول بلوغ ما نأى عنه ، أي ما لم يتهيأ له ، ولا قدرة له عليه يهلك دون
بلوغه وإدراكه . والبيت المظلم : كناية عن القبر .
(٤٩) شهية : مشتهاة ، لذيدة . والغرض : الهدف . والإمرة : الإمارة ، والحكم .
(٥٠) يفخر بأنه عزيز أبي ، لا يرضى حياة الجبناء ، ولا يعترف لامرئ بفضل وإحسان إلا إذا كان
باسلاً شجاعاً مقداماً .
(٥١) ملحمة : حرب شديدة . وسرا عنه الثوب : نزعته وألقاه .

لَوْ كَانَ لِلْإِنْسَانِ عِلْمٌ بِأَلَّذِي فِي الْغَيْبِ لَمْ يَفْرَحْ وَلَمْ يَتَنَدَّمْ (٥٢)
فَدَعِ الْأُمُورَ إِلَىٰ مُدَبِّرِ شَأْنِهَا وَارْغَبْ عَنِ الدُّنْيَا بِنَفْسِكَ تَسْلَمَ (٥٣)
وَقَالَ :

بِأَيِّ غَزَالٍ فِي الْخُدُورِ تَهِيمٌ وَيَقْدُنَ زَمَامَ النَّفْسِ وَهِيَ أَبِيَّةٌ
وَعِزْلَانُ « نَجْدٍ » مَا لَهُنَّ حَمِيمٌ؟ (١)
وَيَخْدَعْنَ لُبَّ الْمَرْءِ وَهُوَ حَكِيمٌ (٢)
فَدُونَ جِمَاهَا لِلْأَسْوَدِ نَيْمٌ (٣)
وَلَا يَرْهَبُونَ الْخَطْبَ وَهُوَ عَظِيمٌ (٤)

يقول : إن المعارك التي خاض غمارها ، وكشف أفتعتها كانت عنيفة ، والانتصارات التي ظفر بها كانت وجوها مغطاة بالغبار القاتم الكثيف الذي أثارته سنايك الخيل ، وهجمات المتحاربين .

(٥٢) المعنى : أنه لو اطلع الإنسان على الغيب ، وسكنت نفسه إلى قضاء الله تعالى وقدره ، لم يعبأ بما تحمله إليه الأقدار من أسباب البشر والسرور ، وعوامل الأسى والحزن .

(٥٣) يراد بالأمور : شؤون الحياة الدنيا ، وما لا قدرة لك على تغييره أو تعديله . ومدبر شأنها : المتصرف فيها ، وهو الله تبارك وتعالى . ورجب عن الدنيا : زهد فيها ، وأعرض عنها .

(١) جرى شعراء العرب من قديم الزمان على تشبيه الجميلات الحسان من نسائهم وفتياتهم بالظباء والعزلان ، والبارودي مقتد بهم ، ناسج على منوالهم . والخدور : جمع خدر ، وهو ستر يمد للمرأة في ناحية البيت . وما لهن حميم : أي ليس لهن اهتمام بمن يتودد إليهن ، ويتعلق بهن .

(٢) الزمام : المقود ، أي الحبل الذي تقاد به الدابة . وفي القيادة معنى التسلط والتحكم . وأبية : عزيزة ، حرة . ويراد بالخدع أو الخديعة هنا : الاستهواء ، والفتنة . واللُب : العقل . ولب حكيم : أي راجح وناصح .

(٣) « إياك أن تغشى الديار » : أسلوب تحذير وتخويف . ويراد بالديار : منازل حسان نجد . و« دون » : ظرف مكان منصوب يتضح معناه مما يضاف إليه ، ومعناه هنا : « أمام » . والحمي : المكان المصون المحمي الممتنع . وحماها : أي حمى هذه الديار . ويراد بالأسود : الرجال الشجعان الأشداء البواسل الذين يحمون الديار . والنسيم : صوت الأسد .

(٤) الحمية : شدة الغيرة على العرض ، والمغالاة في صيانتها ، والدفاع عنه . ولا يرهبون : لا يخافون . والخطب : الأمر الشديد الخطير .

يَصُونُونَ فِي حُجْبِ الْأَكْلَةِ ظَبِيَّةً لَهَا نَسَبٌ بَيْنَ الْحَسَانِ صَمِيمٍ^(٥)
 مِنَ الْهَيْفِ أَمَا نَعْتُ مَا فِي إِزَارِهَا فَرَابٍ وَأَمَا خَضْرُهَا فَهَضِيمٌ^(٦)
 أَنَاةٌ بَرَاهَا اللَّهُ فِي الْحُسْنِ آيَةٌ يَدِينُ إِلَيْهَا جَاهِلٌ وَحَلِيمٌ^(٧)
 يَمِيلُ بِهَا سُكْرُ الشَّبَابِ إِذَا مَشَتْ كَمَا مَالَ بِالْغُصْنِ الرَّوِيِّ نَسِيمٌ^(٨)
 لَعَمْرُكَ مَا أَدْرِي أَدْمِيَّةٌ بِيَعَةٍ تَرَدَّدَ فِيهَا الْحُسْنُ أَمْ هِيَ رِيمٌ؟^(٩)
 يَلُومُونِي أَنْ هِمْتُ وَجَدًّا بِحُسْنِهَا وَأَيُّ أَمْرِيءٍ بِالْحُسْنِ لَيْسَ يَهِيمُ؟^(١٠)
 وَهَلْ يَغْلِبُ الْمَرْءُ الْهَوَى وَهُوَ غَالِبٌ وَيُخْفِي شَكَاةَ الْقَلْبِ وَهُوَ كَلِيمٌ؟^(١١)
 فَإِنَّ أُمَّكَ مَحْسُورًا بِهَا فَلَرَبَّمَا مَلَكَتْ عِنَانَ الْقَلْبِ وَهُوَ كَظِيمٌ^(١٢)

- (٥) صان الشيء : حفظه ووقاه . والحجب : جمع حجاب ، وهو الستر . والأكلة : الحجب والستور ، الواحد إكليل . وإضافة الحجب إلى الأكلة : من إضافة الشيء إلى مرادفه . والظبية : الغزالة ، ويراد بها الفتاة المنغزل بها . والنسب : القرابة .
- (٦) الهيف : جمع هيفاء ، أي دقيقة الخاصرة ، ضامرة البطن . والإزار : ثوب يحيط بالنصف الأسفل من البدن . وما في إزارها : كناية عن أعجازها وروادفها . وراب : نام ممتلىء . وهضيم : ضامر ، نحيل .
- (٧) الأناة من النساء : المترفة المنعمة . وبراها الله : خلقها . والآية : المعجزة . ويدين لها : يطيعها ، وينقاد لها .
- (٨) يميل بها : يميلها ، أي يجعلها تتمايل في مشيتها . وسكر الشباب : زهوه ، وخيلاؤه . وغصن رويّ : ناعم ، ريان . ومال النسيم بالغصن : أماله ، وحركه حركات خفيفة لطيفة .
- (٩) الدمية : الصورة المزينة ، والتمثال . والبيعة : معبد النصرى ، ومثلها الكنيسة . وتردد الحسن : أي هو متجدد حيّ قويّ . والرثم : الغزال الخالص البياض .
- (١٠) هام بالشيء : أحبه ، وتعلق به . ووجداً : حباً .
- (١١) غلبه : قهره ، وغالب : اسم فاعل منه . والاستفهام في أول البيت معناه النفي ، فالإنسان لا يستطيع أن يغلب الهوى ، وليس في مقدرته أن يخفي شكوى قلبه الجريح .
- (١٢) محسوراً بها : منقطعاً إليها . وملكت عنان قلبي : كناية عن ضبط النفس ، والصبر على المكاره ، والألام . وكظيم : مغيظ ، مغتم .

وَكَايَدْتُ فِيهَا مَا لَوْ انْقَضَ بَعْضُهُ
فَيَا رَبَّةَ الْبَيْتِ الْمَنِيعِ جَوَارُهُ
بَخَلْتِ عَلَيْنَا بِالسَّلَامِ ضَنَانَةً
فَكَيْفَ تَلُومِيْنِي عَلَى مَا أَصَابَنِي
وَقَدْ عِشْتُ دَهْرًا لَا أَدِينُ لِظَالِمٍ
فَأَنْتِ الَّتِي مَرَّهْتَ عَيْنِي بِالْبُكَاءِ
تَنَامِيْنَ عَنْ لَيْلِي وَعَيْنِي قَرِيحَةً
مَنْحُتِكَ نَفْسِي وَهِيَ نَفْسُ عَزِيْزَةٍ
فَإِنْ يَكُ جِسْمِي عَنْ فَنَائِكَ رَاحِلٌ
عَلَى جَبَلٍ لَأَنْهَالَ مِنْهُ قَوِيْمٌ (١٣)
أَمَا مِنْ مُسَامٍ عِنْدَكُمْ فَأَسِيْمٌ؟ (١٤)
وَجَدُّكَ مَطْرُوقُ الْفِنَاءِ كَرِيْمٌ (١٥)
مِنَ الْحُبِّ يَا « لَيْلَى » وَأَنْتِ غَرِيْمٌ؟ (١٦)
وَلَمْ يَحْتَكِمِ يَوْمًا عَلِيٌّ زَعِيْمٌ (١٧)
وَأَسْقَمَتِ هَذَا الْقَلْبَ وَهُوَ سَلِيْمٌ (١٨)
وَتُشَجِّينَ قَلْبِي وَهُوَ فِيكَ مُلِيْمٌ (١٩)
عَلِيٌّ وَمَالِي مِنْ هَوَاكِ قَسِيْمٌ (٢٠)
فَإِنْ هَوَى قَلْبِي عَلَيْكَ مُقِيْمٌ (٢١)

- (١٣) كابد الأمر : عاناه ، وقاسى شدته . وفيها : أي بسبب المتغزل بها . وانقض : سقط .
وانهال : انهار وتساقط . وقويم : قائم .
(١٤) ربة البيت : صاحبه ، وسيدته . والمنيع : الحصين . والجوار : المجاورة . تقول : أنا في
جوار فلان : أي في عهده وحمائته ، وأمانه وذمته . وسامت الماشية : رعت . وأسامها
الراعي : أخرجها إلى المرعى . ومسام : مرعى .
(١٥) ضنانه : بخلاً شديداً . والجد : أبو الأب وأبو الأم . ومطروق الفناء : كناية عن جوده وكرمه
وسخائه .
(١٦) يعجب من ليلاه ، فهي تلومه على ما أصابه من حرق الوجد والغرام ، والحب والهيام ، مع
علمها أنها سبب هذه الإصابات بإعراضها عنه ، وتجاهلها لغرامه .
(١٧) يقول : إنه عاش حياته كلها حراً عزيزاً ، فلم يخضع لظالم ، ولم يسيطر عليه حاكم .
(١٨) المره : مرض يصيب العين ، ومره البكاء عينه تمريرها : قرحها وأفسدها .
(١٩) نامت معشوقته عن ليله : غفلت عما يقاسيه في ليله من الحرقه واللوعة ، والأرق والبكاء ،
ولم تبال شيئاً من هذا . وعينه قريحه : مجروحة . والشجو : الهم والحزن . وفيك : أي
بسببك ، ومن أجلك . ومليم : اسم فاعل من ألأم لإامة ، أي فعل ما يستوجب لومه وعذله .
(٢٠) قسيم : حصة ، وحظ ، ونصيب .
(٢١) يقول : إنه مغادر ديارها ، راحل عن منازل قومها بشخصه وجثمانه ، أما قلبه فسيبقى على
الدوام مقيماً لديها ، حريصاً عليها ، مستهماً بها صباً .

شَكَوْتُ إِلَى مَنْ لَيْسَ يَرْحَمُ بَأَكْبَارًا
 فَحَتَّامَ الْقَى فِي الْهَوَى مَا يَسُوؤُنِي
 وَإِنِّي لِحُرْبَيْنِ قَوْمِي وَإِنَّمَا
 وَإِنِّي وَإِنْ كُنْتُ الْمَسَالِمَ فِي الْهَوَى
 أَفْلُ شِبَاةِ الْخَصْمِ وَهُوَ مَنْزِلُ
 أَلَا قَاتَلَ اللَّهُ الْهَوَى مَا أَلَذَّهُ !
 طَوَيْتُ لَهُ نَفْسِي عَلَى مَا يَسُوؤُهَا
 فَمَنْ لِي بِقَلْبٍ غَيْرِ هَذَا فَإِنِّي
 كَأَنِّي أَدَارِي مِنْهُ بَيْنَ جَوَانِحِي
 وَمَا كُلُّ مَنْ يُشْكِي إِلَيْهِ رَحِيمٌ (٢٢)
 وَأَحْمِلُ عِبَاءَ الصَّبْرِ وَهُوَ عَظِيمٌ (٢٣)
 تَعَبَّدَنِي حُلُو الدَّلَالِ رَحِيمٌ (٢٤)
 لَذُو تُدْرِي فِي النَّائِبَاتِ خَصِيمٌ (٢٥)
 وَأَرْهَبُ كَرَّ الطَّرْفِ وَهُوَ سَقِيمٌ (٢٦)
 عَلَيَّ أَنَّهُ مُرُّ الْمَذَاقِ إِلِيمٌ (٢٧)
 وَأَصْبَحْتُ لَا يَلُوي عَلَيَّ حَمِيمٌ (٢٨)
 بِهِ عِنْدَ رَوْعَاتِ الْفِرَاقِ عَلِيمٌ (٢٩)
 لَظِيَّ حَرْهَا يَكْوِي الْحَشَا وَيَضِيمُ (٣٠)

(٢٢) شكوا إليها ما يؤلمه ويبكيه ، فلم تحاول تخفيف همه وبلواه ، ولم يجد لديها شيئاً من

الرحمة ؛ فقد يشكو الملهوف إلى من لا يرحم ؛ فتذهب شكواه أذراج الرياح .

(٢٣) يجهر الشاعر بضجره وتبرمه ، ويستبطن ما يسوؤه ويثقله ، ويشكو ما يحمله من أعباء التجلد والمصابرة ، وهي أحمال ثقال ، تنوء بها رواصي الجبال .

(٢٤) تعبدني : استعبدني ، وسلب حريتي . ودلال المرأة : حسن حديثها ، ولطف مزاجها ، وخفة كلامها وظلها على القلوب . ورحيم : رقيق ولين . وجارية رخيمة ورحيم : منطلقها حلو ورقيق .

(٢٥) التدرأ : القوة ، والأنفة ، والحمية . وفلان ذو تدرأ : أي قوي ، أبي ، شديد البأس ، لا يضعف ، ولا يلين . والنائبات ، والنواذب : النوازل ، والمصائب ، والكوارث .

(٢٦) فله : كسره ، وحطمه . وشبابة السنان ونحوه : حده القاطع الجارح . وشبابة الخصم : قوته ، وصرامته . ومنازل : محارب مقاتل . وأرهب : أخاف ، وأتهيب . والطرف : العين . وكرهه : نظراته الساحرة .

(٢٧) تعجب الشاعر من الهوى والغرام ؛ فهو يستهوي العاشق استهواء لا نظير له ، مع أنه يجمع اللذة والألم ، والحلاوة والمرارة .

(٢٨) طوى نفسه : كتمها . ولوى عليه : عطف . والحميم : القريب ، والصديق الذي توده ويودك .

(٢٩) روعات الفراق : جمع روعة ، أي الفزع والخوف .

(٣٠) داراه : دافعه . والجوانح : أضلاع الصدر . واللظى : النار ، أو لهبها . والحشا : ما

بَلَوْتُ لَهُ طَعْمَيْنِ أَمَا مَذَاقُهُ فَعَذَّبُ وَأَمَا سُورُهُ فَوَخِيمٌ (٣١)
 وَجَرَّبْتُ إِخْوَانَ الصَّفَاءِ فَلَمْ أَجِدْ صَدِيقًا لَهُ فِي الطَّيِّبَاتِ قَسِيمٌ (٣٢)
 لَهُمْ نَزَوَاتٌ بَيْنَهُنَّ تَفَاوُتٌ وَعَنْ عَلِيٍّ طُولُ اللَّقَاءِ ذَمِيمٌ (٣٣)
 بِمَنْ يَثِقُ الْإِنْسَانُ وَالْغَدْرُ شِيمَةٌ لِكُلِّ ابْنِ أُنثَى وَالْوَفَاءُ عَقِيمٌ ؟
 فَلَا تَعْتَمِدْ إِلَّا عَلَى اللَّهِ فِي الَّذِي تَوَدُّ مِنَ الْحَاجَاتِ فَهُوَ رَحِيمٌ
 وَلَا تَبْتَسِ مِنْ مِخْنَةٍ سَاقَهَا الْقَضَا إِلَيْكَ فَكَمْ بُؤْسٍ تَلَاهُ نَعِيمٌ
 فَقَدْ تُورِقُ الْأَشْجَارُ بَعْدَ ذُبُولِهَا وَيَخْضَرُّ سَاقُ النَّبْتِ وَهُوَ هَشِيمٌ
 إِذَا مَا أَرَادَ اللَّهُ إِتْمَامَ حَاجَةٍ أَتَتْكَ عَلَى وَشْكِ وَأَنْتَ مُقِيمٌ
 وَقَالَ :

سَبَقَتْ بِالْفُضْلِ فَاسْمَعْ مَا وَحَاهُ فَمِي فَأَنْتَ أَوْلَى بِهَذَا الدَّرِّ مِنْ كَلِمِي (١)

انضمت عليه الضلوع ، وحواه الصدر ، وجمعه أحشاء . وضامه (من باب باع) : أي ضره ، وعذبه ، وآلمه .

(٣١) بلوت : جربت ، واختبرت . ومذاقه : طعمه الأول ، أي ما يتذوقه العاشق في ابتداء الأمر من حلاوة العشق ولذذاته . وعذب : سائغ ، لذيد ، حلو . وسور الشيء : بقيته . ويراد بالسور : الطعم الثاني من طعمي الهوى والغرام ، أي ما يتجرعه العاشق في نهاية الأمر من مرارة العشق وآلامه . ووخيم : ثقيل . وأمر وخيم العاقبة : أي نهايته وبيلة ، سيئة ، ضارة ، ممقوتة .

(٣٢) إخوان الصفاء : الإخوان والأصدقاء الذين صفت مودتهم ، وصدقت أخوتهم . ويراد بالطيبات : المحامد والمكرمات . وقسيم : حصة وحظ ونصيب .

(٣٣) لهم : لمن جربهم . ونزوات : شرور ، وحماقات ، جمع نزوة . وبينهن تفاوت : أي نزوات متفاوتة مختلفة باختلاف أصحابها وتفاوتهم في الاحتداد والتسرع . وعن ذميم : أي إعراض مذموم . وعلى طول اللقاء : أي على الرغم من طول اللقاء .

(١) وحاه : ألقاه . وأولى : أخرى ، وأجدر . والدَّرُّ : اللؤلؤ الكبير ، الواحدة درة . والكلم : أي كلمات هذه المدحة وأبياتها .

يَا رَائِدَ الْوُدِّ قَدْ صَادَفْتَ مُتَتَجِعًا بَيْنَ الْجَوَانِحِ فَاَنْزِلْهُ وَلَا تَرِمِ (٢)
أُولَيْتَنِي مِنْكَ فَضْلًا قَدْ مَلَكَتْ بِهِ قَلْبِي فَهَآكَ يَدِي فِي الْوُدِّ فَآخَتِكُمْ (٣)
إِنَّ الْمَوْدَةَ إِنْ صَحَّتْ غَدَتْ نَسَبًا بَيْنَ الْأَبَاعِدِ تُغْنِيهِمْ عَنِ الرَّحْمِ (٤)
فَيْتُ بِذِمَّةِ عَهْدٍ فِيكَ صَادِقَةٌ فَلَيْسَ كُلُّ خَلِيلٍ صَادِقَ الذَّمِّ (٥)
وَاعْذِرْ إِذَا لَمْ أَجِدْ فِي الْقَوْلِ مُتَّسَعًا فَالْمَرْءُ لَا يَبْلُغُ الْأَفْلَاكَ بِأَلْهِمِ (٦)
لَا زِلْتَ تَرْفُلُ فِي أَثْوَابِ عَافِيَةٍ مَوْشِيَّةٍ بِطِرَازِ الْحَمْدِ وَالنَّعْمِ (٧)

وَقَالَ :

خَلُّ الْعِتَابِ فَلَوْ طَلَبْتَ مُهَذَّبًا أُعْيَاكَ مَطْلَبُهُ بِهَذَا الْعَالَمِ (١)

(٢) رائد الود : طالبه . وصادفه مصادفة : لاقاه ، ووجده من غير موعد ، ولا توقع . والمتجع : الموضوع يقصد لما فيه من كلاً وماء . ومن المجاز : انتجعت فلاناً : أي قصدته طالباً معروفاً . والجوانح : الأضلاع القصيرة مما يلي الصدر . والشاعر يكنى بالمتجع الذي بين جوانحه عن قلبه .

(٣) أوليتني : منحنتي ، وأعطيتني . وهآك يدي : تعبير يراد به الانقياد لدواعي الإخاء والمودة ، والمحبة والصدقة .

(٤) يراد بصحة المودة : صفاؤها ونقاؤها . وغدت : صارت . والنسب : القرابة ، ومثلها الرحم . والأبعاد : جمع الأبعد ، ويراد بها الأجانب الذين لا تجمعهم صلة القربى ، أو الرحم أو النسب .

(٥) يريد أنك أوليتني فضلاً ومودة ؛ فأعطيتك الذمة والعهد ، في رعاية هذه المودة وصيانتها والمحافظة عليها .

(٦) متسعاً : مجالاً يتسع لما أريده وأحرص عليه من الإطناب في إطرائك وحسن الشناء عليك .

(٧) ختم الشاعر هذه الأبيات بالدعاء لصاحبه أن يبقى على الدوام رافلاً في ثياب العافية والسلامة ، مزهواً بحلل الصحة والرفاهة ، حامداً محموداً متنعماً برغد العيش ، وطيب الحياة .

(١) خل العتاب : دعه ، واتركه . وأعياك : أعجزك ، واستعصى عليك . والعالم : الكون .

إِنْ كَانَ لِي ذَنْبٌ إِلَيْكَ جَرَى بِهِ
وَقَالَ :

سُكُوتِي إِذَا دَامَ الْحَدِيثُ كَلَامٌ
وَصَبْرِي عَلَى الْأَيَّامِ لَا مِنْ مَذَلَّةٍ
أَلَامٌ عَلَى أَنِّي صَبَرْتُ وَهَلْ فَتَى
وَقَالَ :

يَا بَانَةَ ! مَنْ لِي بِضَمِّكَ ؟
يَا بِنْتَ سَيِّدَةِ النَّسَاءِ
مَا فِيَّ مِنْبِتُ شَعْرَةٍ
كَأَنَّ وَلَا فِي مُهْجَتِي
أَصْبَحْتُ مُمْتَنِعَ الْكَرَى
إِنْ لَمْ تَجُودِي بِاللَّقَا

يَا زَهْرَةَ ! مَنْ لِي بِشَمِّكَ ؟ (١)
ءِ ! تَرْفَقِي بِحَيَاةِ أُمَّكَ (٢)
إِلَّا بِهِ أَثْرُ لِسَهْمِكَ (٣)
مِنْ طُولِ صَدِّكَ غَيْرُ هَمِّكَ (٤)
لَمَّا جَفَّانِي بَدْرُ تَمِّكَ (٥)
ءِ عَلَى الْمُحِبِّ وَلَا بِلَثْمِكَ (٦)

(٢) القدر : ما يقدره الله تعالى على عباده ، أي يقضي به ، ويحكم . والشاعر يريد أن ذنبه إلى معاتبه كان من الأمور التي جرى بها قدر الله تعالى فلا ينبغي أن ينكره عليه ، ويؤاخذ به .
(١) البانة : واحدة البان ، وهو ضرب من الشجر به تشبه حسان النساء في حسن الطول ، وجمال القد ، واعتدال القوام ، والمرونة .

شبه المتغزل بها بالبانة ثم بالزهرة ، وتمنى أن يعان على عناقها وشمها .
(٢) استحلف معشوقته بحياة أمها أن تترفق به ، وترحمه ، وترق له ، وتعطف عليه .
(٣) منبت الشعرة في الجسم : أصلها ومستقرها . ويراد بمنابت الشعر : الجسم كله . وسهام الحسنة : محاسنها ، ومفاتها ، ونظراتها الساحرة التي تستهوي بها العاشق .
(٤) يقول : إن طول إعراضها عنه أذابه وأضناه ، ولم يبق في قلبه غير الهموم والأحزان .
(٥) الكرى : النوم والنعاس . وجفاني : أعرض عني ، وهجرني . والبدر : القمر ليلة كماله ، وتمام ضيائه . وبدر تمك : بدرك التأم .
(٦) اللثم : التقبيل . وجواب « إن » الشرطية في البيت الآتي : « فتسامحي ... » .

فَتَسَامَجِي لِي مَرَّةً
حَتَّى أَفُوزَ بِلَثْمِ كُمَّكَ^(٧)
وَقَالَ :

دَعِ الْهَزْلَ وَاحْذَرُ تَرْهَاتِ الْمُنَادِمَةِ
فَمَهْ لَا تَفْهَ بِالْقَوْلِ قَبْلَ انْتِقَادِهِ
فَكَمْ مِنْ غَوِيٍّ قَدْ أَسَالَ الْمُنَى دَمَهُ^(١)
فَرُبَّ كَلَامٍ فَضَّ مِنْ قَائِلٍ فَمَهُ^(٢)
وَقَالَ :

لَا تَعْدِلْنِي عَلَى وَفْرِ سَمَحْتُ بِهِ
إِنْ لَمْ يَكُنْ لِلْفَتَى جُودٌ يَسُدُّ بِهِ
فَإِنْ يَكُنْ قَلٌّ مَالِي بَعْدَ وَفْرَتِهِ
لِلْمُعْتَفِينَ فَإِنِّي مَا جِدُّ الشِّيمِ^(١)
مَفَاقِرَ الصَّحْبِ فَالْمَثْرَاءُ كَالْعَدَمِ^(٢)
فَإِنَّ مَالِي لَا يَقْوَى عَلَى كَرَمِي
وَقَالَ :

الشُّعْرُ زَيْنُ الْمَرْءِ مَا لَمْ يَكُنْ
وَسِيلَةً لِلْمَدْحِ وَالذَّمِّ^(١)

(٧) تسامح في كذا : تساهل . والكم : مدخل اليد ومخرجها من الثوب . ولعل المقصود يد هذه الحسنة التي تبرزها الكم .

(١) الهزل : المزاح والدعابة ، وضده الجد والصرامة . والمراد الهزل الممقوت الذي يقوم على قبح الكلام ، ويخالف الأدب . والترهات : الأباطيل ، وما لا نفع فيه من الأقوال ، الواحدة ترهة ، (بوزن سُكْرَة) . والمنادمة : مصدر نادمه ، أي رافقه ، وشاربه ، وسامره . والغوي : المنقاد للهوى ، المنهمك في الجهل . والمنى : الأمانى والآمال .

(٢) « مه » : اسم فعل أمر بمعنى اكفف ، وامتنع ، أي عن الكلام الذي لا قيمة له . ولا تفه : لا تنطق ، مضارع فاه بالقول ، أي نطق به . وانتقاد القول : فحصه ، وتدبره وتمحيصه ، لتعرف عيوبه ، وتمييز غثه من سمينه . وفض الشيء : فرقه ، وكسره .

(١) عدله : لأمه . والوفر : المال الكثير . والمعنفي : طالب المعروف . وماجد الشيم : نبيل الطباع ، كريم الأخلاق .

(٢) المفقر : الحاجات ، ووجوه الفقر والإعواز . والصحب : جمع صاحب . والمثراة هنا : الثراء والغنى . والعدم : الفقر ، والإعواز .

(١) وسيلة : ذريعة . والذام : مصدر ذامه ، أي ذمه ، وعابه .

قَدْ طَالَ مَا عَزَبَهُ مَعْشَرٌ وَرُبَّمَا أُرْزَى بِأَقْوَامٍ (٢)
فَاجْعَلُهُ فِيمَا شِئْتَ مِنْ حِكْمَةٍ أَوْ عِظَةٍ أَوْ حَسَبٍ نَامِي (٣)
وَاهْتِفْ بِهِ مِنْ قَبْلِ إِطْلَاقِهِ فَالْسَّهْمُ مَنْسُوبٌ إِلَى الرَّامِي (٤)
وَقَالَ :

أَيُّهَا الشَّاعِرُ الْمُجِيدُ تَدَبَّرْ وَاجْعَلِ الْقَوْلَ مِنْكَ ذَا تَحْكِيمٍ (١)
لَا تَذُمَّ اللَّئِيمَ وَامْدَحْ كَرِيمًا إِنَّ مَدْحَ الْكَرِيمِ ذَمُّ اللَّئِيمِ (٢)
وَقَالَ :

حَنَى الشَّيْبُ عُودِي فَاسْتَقَامَتْ رَوِيَّتِي وَلَوْلَا انْحِنَاءُ الْقَوْسِ مَا صَرَدَ السَّهْمُ (١)
وَقَالَ يَفْتَخِرُ :

-
- (٢) عزّ : قوي ، ورفض المذلة والمهانة ، وكان عزيزاً . وأزرى به : تهاون به ، وحقره ، وصغره . وأزرى بأقوام : نقيض « عز به معشر » .
- (٣) حسب المرء : شرف أصله ، وكرم محتده . ونام : اسم فاعل من نما الشيء ، بمعنى كثر ، وزاد ، أو بمعنى علا ، وارتفع . وفلان ينميه حسبه ، وقد نماه جد كريم : أي رفعه ، وأعلى شأنه .
- (٤) هتف به : صاح به . ويراد بالهتاف هنا : أن يرجع الشاعر شعره ، ويردده في نفسه ولنفسه قبل أن يجهر به ، ويخرجه للناس . ومن قبل إطلاقه : أي من قبل إعلانه للرواة والناس .
- (١) شاعرٌ مُجيدٌ : يأتي بالجميل الرائق من الشعر . وتدبر : فكّر ، وانظر . وقول ذو تحكيم : قول سديد ، وكلام يفصل بين الخطأ والصواب .
- (٢) يقول : أهمل اللئيم ، وترفع عن التصريح بذمه ، ولا تجعله موضوعاً لشعرك . وامدح الكريم بما يستحقه ؛ فإن مدحك إياه ، وتنويهك بصفاته ومزاياه ذم ضمني للئيم الموصوم بأضداد هذه الصفات .
- (١) حنى العود : ثناه ، ولواه . والروية : الفكر ، والنظر ، والتدبر . واستقامة رويته ، أو رويته : استقامة تفكيره ، وصحة تدبيره . وصرد السهم تصريداً : أصاب الرمية .

فَالْحَكْمُ لِلسَّيْفِ إِنْ لَمْ تَصْدَعْ الْكَلِمُ^(١) فِي قَائِمِ السَّيْفِ إِنْ عَزَّ الرُّضَا حَكْمُ
تَأبَى لِي الضَّيْمِ نَفْسُ حُرَّةٍ وَيَدُ
أَطَاعَهَا الْمُرْهَفَانِ السَّيْفُ وَالْقَلَمُ^(٢) وَعَزْمَةٌ بَعَثَتْهَا هِمَّةٌ شَهْرَتْ
بِهَا عَلَى الدَّهْرِ عَضْبًا لَيْسَ يَنْثَلِمُ^(٣) وَفِتْيَةٌ كَأَسُودِ الْغَابِ لَيْسَ لَهُمْ
إِلَّا الرَّمَاخُ إِذَا أَحْمَرَ الْوَعْيُ أَجْمُ^(٤) كَالْبَرْقِ إِنْ عَزَمُوا وَالرَّعْدِ إِنْ صَدَمُوا
وَالغَيْثِ إِنْ رَجَمُوا وَالسَّيْلِ إِنْ هَجَمُوا^(٥) إِنْ حَارَبُوا مَعْشَرًا فِي جَحْفَلٍ غَلَبُوا
أَوْ خَاصَمُوا فِئَةً فِي مَحْفَلٍ خَصَمُوا^(٦) لَا يَرْهَبُونَ الْمَنَايَا أَنْ تَلِمَ بِهِمْ
كَأَنَّ لُقْيَ الْمَنَايَا عِنْدَهُمْ حَرَمٌ^(٧)

- (١) قائم السيف : مقبضه ، والمراد السيف نفسه . وعزَّ : صعب ، واستعصى . وحكم (بفتحتين) : حاكم . أي إن عزَّ التراضي ، أو شقَّ على نفوسنا الرضا بما يريدنا عليه خصمنا ، احتكمتنا إلى السيف ، واعتمدنا عليه . والحكم (بضم فسكون) : القضاء ، والفصل في المنازعات . وإن لم تصدع الكلم : أي إن لم تحسم النزاع كلمات المفاوضة والملاينة والمحاسنة . وصدع بالحق : أي جهر به وصرَّح .
- (٢) الضييم : مصدر ضامه (من باب باع) أي ظلمه ، أو أذله . وضامه حقه : انتقصه ، وغبنه . وسيف مرهف : حادّ ، قاطع . وقلم مرهف : قوي بليغ ، شديد التأثير .
- (٣) العزمة : الجدّ ، والإرادة القوية القاطعة . وبعثتها : أيقظتها . والهمة : العزم القوي . وشهر المحارب سيفه : سلّه ، وجرده . والدهر هنا : ما يصيب الناس ، أو يهددهم من الخطوب والنكبات . والعضب : السيف الحاد القاطع . وليس ينثلم : لا يكل ، ولا يفل ، ولا ينيو .
- (٤) احمرار الوعى : كناية عن استحراق القتال ، وشدة البأس ، وكثرة ما يسيل من دماء الجرحى والقتلى . والأجم : جمع أجمة ، وهي الشجر الكثير المجتمع الملتفّ ؛ فهي بمعنى الغابة ، وهي أيضاً مأوى الأسد .
- (٥) يمتدح هؤلاء الفتيان بأنهم إذا عزموا أمراً نفّذوه في سرعة البرق الخاطف وقوته ، وإذا حاربوا عدواً كان صدامهم له كالرعد الجالب القاصف ، والسيل العارم الذي لا يصد ولا يطاق . وهم في السلم رحماء محسنون كرماء ، وغيث لا ينقطع .
- (٦) المعشر : الجماعة من الناس . والجحفل : الجيش الكثير . وخاصمه فخصمه : غلبه في الخصومة ، وهي المنازعة . والمحفل : المجلس ومكان الاجتماع .
- (٧) لا يرهبون : لا يخشون . والمنايا : جمع المنية ، وهي الموت . وألمّ به : أتاه ، فنزل به . واللقى : اللقاء . وحرّم الرجل : ما يحميه ، ويدافع عنه . والمراد بهذه المعاني كلها أن

مُرْفُهُونَ حِسَانٌ فِي مَجَالِسِهِمْ وَفِي الْحُرُوبِ إِذَا لَاقَيْتَهُمْ بِهِمْ^(٨)
 مِنْ كُلِّ أَزْهَرَ كَالدِّينَارِ غُرَّتُهُ يَجْلُو الْكَرْيَةَ مِنْهُ كَوَكْبِ ضَرْمٍ^(٩)
 لَا يَرْكَنُونَ إِلَى الدُّنْيَا وَزِينَتِهَا إِذَا هُمْ شَعَرُوا بِالذُّلِّ أَوْ نَقِمُوا^(١٠)
 قَدْ حَبَّبَ الْمَوْتَ كُرَهُ الضَّيْمِ فِي نَفْرِ لَوْلَاهُمْ لَمْ تَدْمُ فِي الْعَالَمِ النَّعْمُ^(١١)
 مَاتُوا كِرَامًا وَأَبْقُوا لِلْعَلَا أَثْرًا نَالَتْ بِهِ شَرَفَ الْحُرِّيَّةِ الْأُمَّمُ^(١٢)
 فَكَيْفَ يَرْضَى الْفَتَى بِالذُّلِّ يَحْمِلُهُ وَالذُّلُّ تَأْنَفُهُ الْعُبْدَانُ وَالْخَدَمُ؟^(١٣)
 إِنْ لَمْ يَكُنْ لِلْفَتَى فَضْلٌ وَمَحْمِيَةٌ فَإِنَّ وَجْدَانَهُ فِي أَهْلِهِ عَدَمُ^(١٤)

الممدوحين يلقون المنايا في جراءة واستبسال وشجاعة وإقدام ، كأنهم يلقون شيئاً محبوباً لديهم ، عزيزاً عليهم .

- (٨) مرفهون : منعمون . وبهم : جمع بهمة (بضم فسكون) ، وهو المحارب الشجاع .
 (٩) رجل أزهر : مضيء الوجه ، نابه الشأن . وغرة الرجل : طلعتة ، ووجهه المشرق المضيء .
 ويجلو : يكشف ويزيل . والكريهة : النازلة والكارثة . وكرائه الدهر : شدائده ، وما يكره منه . وضرم (بفتح فكسر) : مشرق مضيء . وقد يكون المراد بالكوكب الضرم : السيف اللامع المصقول .
 (١٠) ركن إلى الدنيا : اعتمد عليها ، ووثق بها . وزينة الدنيا : ما يحرص عليه الناس من متاعها . ونقم الأمر : أنكره ، وعابه ، واستهجنه .
 (١١) الضيم : الظلم . وكره الضيم : كراهيته . والنفر : ما دون العشرة من الرجال . والعالم : الخلق والناس . ويراد بالنعم : ما يتسع لمثل الأمن والسلام والطمأنينة .
 (١٢) إن هؤلاء المكافحين الأبطال ماتوا في سبيل المجد ، كراماً أجواداً ، وبذلوا أرواحهم في رضا وارتياح ، فلم ينته الأمر بموتهم ، بل خلدوا للمعالي آثاراً عميقة باقية ، حققت لأممهم ما كانت تطمح إليه ، من الحرية والعزة ، والمنعة والقوة .
 (١٣) يحمله : يحتمله ، ويصبر عليه . وتأنفه : تستنكف منه ، وتكرهه . والعبدان : العبيد .
 (١٤) الفضل : الإحسان ابتداء بلا علة . والمحمية : الحماية ، والمنعة . والوجدان : الوجود (ضد العدم) .

يقول : إذا لم يكن المرء فاضلاً كريماً ، قوياً عزيزاً ، أبيضاً شجاعاً ، يحمي ذماره ، ويصون حماه فقد قيمته في أهله وقومه .

فَالْحِلْمُ مَا لَمْ يَكُنْ عَنْ قُدْرَةِ خَوْرٍ وَالصَّبْرُ فِي غَيْرِ مَرَضَةِ الْعَلَا نَدْمٌ (١٥)
فَارْغَبْ بِنَفْسِكَ عَنْ حَالٍ تَضَامُ بِهَا فَلَيْسَ بَعْدَ اطْرَاحِ الذُّلِّ مَا يَصِمُّ (١٦)
وَلَا تَخَفْ وَرَدَ مَوْتٍ أَنْتَ وَارِدُهُ مَنْ أَحْطَأَتْهُ الرِّزَايَا غَالَهُ الْهَرَمُ (١٧)
إِنَّ الْعُلَا أَثْرُ تَحْيَا بِذِكْرَتِهِ أَسْمَاءُ قَوْمٍ طَوَى أَحْسَابَهَا الْقِدْمُ (١٨)

وَقَالَ :

أَلَمْ يَأْنِ أَنْ يَرْضَى عَنِ الدَّهْرِ مُغْرَمٌ أَمِ الْعُمْرُ يَفْنَى وَالْمَارِبُ تُعْدَمُ؟ (١)
أَحَاوِلْ وَصَلًّا مِنْ حَبِيبٍ مُمْنَعٍ وَبَعْضُ أَمَانِي النَّفْسِ غَيْبٌ مُرَجَّمٌ (٢)
وَمَا كُلُّ مَنْ رَامَ الْعِظَائِمَ نَالَهَا وَلَا كُلُّ مَنْ خَاصَ الْكَرِيهَةَ يَغْنَمُ (٣)

(١٥) الحلم : الأناة ، وضبط النفس . والخور : الضعف والانكسار . والمرضاة : الرضا .
والعلا : العلاء ، والرفعة ، والشرف .

(١٦) رغب عن الشيء : أعرض عنه . ورغب بنفسه عن الضيم : كرهه لها ، واستنكف منه .
وضامه : ضاره ، وقهره . واطرح الشيء اطراحاً : طرحه ، وألقاه . ووصمه : ثلبه ، وعابه .

(١٧) ورد الماء : بلغه ، ووافاه . ومعنى الشطر الأول : أنه لا ينبغي أن تتهيب الموت ؛ فإنك واردة
لا محالة . والرزايا : جمع الرزية ، وهي المصيبة . ويراد بها هنا : مصيبة الموت . وغاله :
أخذه من حيث لا يدري ، فأهلكه وأرداه . والهزم : الشيخوخة .

(١٨) الذكرة : الصيت ، والثناء . ويراد بأسماء قوم : ما اقترن بأسماء المجاهدين في سبيل العزة
والكرامة من أعمال البطولة والمجد . والأحساب : جمع حسب ، وهو الكرم ، وشرف
الأصل .

(١) ألم يأن : ألم يحن . ومغرم : عاشق مستهام . والمأرب : الحاجات ، أو المطالب .

(٢) الوصل : الوصول ، والقرب . وممنع : منيع يصعب الوصول إليه . ومرجّم : تأكيد لمعنى
الغيب .

(٣) رام الشيء : أراه ، وطلبه . والعظائم : معالي الأمور . وخاض الغمرات : اقتحمها .
والكريهة : الحرب ، أو الشدة فيها . وغنم الغازي في الحرب : ظفر بمال عدوه ، وأخذه
بالقهر غنيمه .

يَسُرُّ الْفَتَى مِنْ عَشْقِهِ مَا يَسُوؤُهُ وَفِي الرَّاحِ لَهْوٌ لِلنَّفُوسِ وَمَغْرَمٌ (٤)
وَلَوْ كَانَ لِلْإِنْسَانِ عِلْمٌ يَدُلُّهُ عَلَى خَافِيَاتِ الْغَيْبِ مَا كَانَ يَنْدَمُ (٥)
كَتَمْتُ الْهَوَى خَوْفَ الْوُشَاةِ فَلَمْ يَزَلْ بِي الدَّمْعُ حَتَّى بَانَ مَا كُنْتُ أَكْتُمُ (٦)
وَكَيفَ أُدَارِي النَّفْسَ وَهِيَ مَشُوقَةٌ وَأَحْلُمُ عَنْهَا وَالْهَوَى لَيْسَ يَحْلُمُ ؟ (٧)
وَتَحْتَ جَنَاحِ اللَّيْلِ مِنِّي ابْنُ لَوْعَةٍ يَرِقُّ إِلَيْهِ الطَّائِرُ الْمُتَرَنِّمُ (٨)
إِذَا مَدَّ مِنْ أَنْفَاسِهِ لَاحَ بَارِقُ وَإِنْ حَلَّ مِنْ أَجْفَانِهِ فَاصَّ خِضْرِمُ (٩)
وَإِنَّ الَّتِي يَشْتَاقُهَا الْقَلْبُ غَاذَةٌ لَهَا الرَّمْحُ قَدْ وَالْمُهَنْدُ مَعْصَمُ (١٠)
يَنْمُ بِهَا صُبْحٌ مِنَ الْبَيْضِ أَزْهَرُ وَيَكْتُمُهَا نَقْعٌ مِنَ اللَّيْلِ مُظْلِمُ (١١)

(٤) الراح : الخمر . واللهو : المتعة واللذة . والمغرم : الغرامة ، والخسارة . وقد يراد به : الإثم والذنب .

(٥) الخافيات : جمع خافية ، من خفي الشيء ، أي استتر وغاب . والخافيات من الغيب : من إضافة الكلمة إلى ما يرادفها .

(٦) الوشاة : جمع الواشي ، وهو النمام ، والساعي بالفساد بين الناس

(٧) داراه : لاطفه وحاسنه وأشفق عليه ، أو خالفه ودافعه واتقاه . وأحلم عنها : أرفق بها ، وأصبر عليها .

(٨) لوعة الحب : حرقته . ويريد بابن اللوعة : نفسه . و « تحت جناح الليل » : كناية عن أرقه وسهره ، في ظلمات الليل . ورق له : رحمه ، وعطف عليه . والمترنم : اسم فاعل من ترنم أي طرب بصوته تطريباً ، وتغنى .

(٩) البارق : البرق . ولاح : أومض ، ولمع . وحل أجفانه : فتح عينيه . والخضرم : البحر العظيم . وفيضان الخضرم هنا : كناية عن شدة بكاء « ابن اللوعة » وغزارة دموعه .

(١٠) الغادة : الفتاة اللينة ، الناعمة . والقد : القامة . وقامة المرأة : قوامها ، واعتدالها ، وحسن طولها . ويشبه قد الحسنة بالرمح في الاعتدال ، والاستواء ، والمرونة . والمهند : السيف المطبوع من حديد الهند . والمعصم : اليد ، أو موضع السوار منها . شبه يدها بالسيف في البياض والنقاء والصفاء .

(١١) ينم بها : ينم بالغادة ، أي يظهرها ، ويجليها . والبيض : السيوف ، جمع الأبيض . وصبح أزهر : مشرق مضيء . والنقع : الغبار القاتم الذي تثيره في ميدان القتال سنايك الخيل وحركات المتحاربين . ونقع مظلم : أي نقع أقم أسود ، كأنه ظلمة الليل الحالكة .

إِذَا رَأَسَلْتَ كَانَتْ رِسَالَةٌ حُبَّهَا
 لَهَا مِنْ دِمَاءِ الصَّيْدِ فِي حَوْمَةِ الْوَعَى
 فَتِلْكَ الَّتِي لَا وَصْلُهَا مُتَوَقَّعٌ
 عَلِقْتُ بِهَا وَهِيَ الْمَعَالِي وَقَلَمَا
 هَوَى لَيْسَ فِيهِ لِلْمَلَامَةِ مَسَلْكَ
 تَلْدُ بِهِ الْأَلَامُ وَهِيَ مُبِيرَةٌ
 فَمَنْ يَكُ بِالْبَيْضِ الْكُوعَابِ مُغْرَمًا
 بِضَرْبِ الظُّبَا تُوْحِي وَبِالطَّعْنِ تَعْجُمُ (١٢)
 شَرَابٌ وَمِنْ هَامِ الْفَوَارِسِ مَطْعَمُ (١٣)
 لَدَيْنَا وَلَا سُلُونَهَا مُتَصَرِّمُ (١٤)
 يَهِيمُ بِهَا إِلَّا الشُّجَاعُ الْمُصَمَّمُ (١٥)
 وَلَا لِأَمْرِي نَاجِي بِهِ النَّفْسَ مَائِثُ (١٦)
 وَيَحْلُو بِهِ طَعْمُ الرَّدَى وَهُوَ عَلْقَمُ (١٧)
 فَإِنِّي بِالْبَيْضِ الْقَوَاصِبِ مُغْرَمُ (١٨)

(١٢) راسله مراسلة : أرسل إليه رسولاً ، أو رسالة . والمراد : راسلت عاشقياً من أبطال الوغى ، وصناديد القتال . والظبا : جمع ظبة ، وهي الحد القاطع من السيف . وتوحي بضرب الظبا : أي توحي إلى عاشقياً أن يضربوا بظباتهم أعداءهم في الحروب . وتعجم : تبلو ، وتجرب ، وتختبر وتمتحن .

(١٣) لها : أي للغادة . والصيد : جمع الأصيد ، وهو المتكبر المزهو بنفسه . والوغى : الحرب . وحومة الوغى : ميدان الحرب ، وساحة القتال . والهام : جمع الهامة ، وهي الرأس . وقد تطلق على الجثة . ومطعم : طعام . والترتيب الأصلي للكلام : للغادة في حومة الوغى شراب من دماء الصيد ، وطعام من هام الفوارس .

(١٤) السلوان : النسيان . والتصرّم : بمعنى التجلّد ، أي التصبّر . يريد أن السلو عنها غير متجلد عليه ، أي غير مستطاع .

(١٥) علقت بها : هويتها ، وعشقتها ، وأحببتها . والمعالي : جمع المعلاة ، وهي الرفعة والشرف . وهام بها : شُغف بها حباً . والمصمم : الماضي في الأمور بعزيمة ثابتة صامدة ، وإرادة قوية قاطعة .

(١٦) يقول : إن تعلق المرء بالمعالي ، وهيامه بها ، من الهوى الذي لا إثم فيه ، وليس للعدل أو الملامة طريق إليه ، وفي استطاعته أن يجهر به وهو آمن مطمئن .

(١٧) تلذ : تحلو وتطيب . وبه : بالهوى ، أي بسببه ومن أجله . ومبيرة : مهلكة ، قاتلة . والردي : الموت والهلاك . وهو : أي طعم الردي . وعلقم : شديد المرارة .

(١٨) البيض في الشطر الأول : جمع بيضاء ، أي فمن يك مغرمًا بالبيض الحسان الكواعب من النساء . وفي الشطر الثاني : جمع أبيض ، وهو السيف . وبينهما جناس تام . والكواعب : جمع كاعب ، وهي الفتاة التي كعب ثديها ، أي برز ، وظهر ، وارتفع . والمغرم : المولع بالشيء ، أي الذي اشتد تعلقه به . وسيف قاضب : حادّ ، قاطع .

أَسِيرُ وَأَنْفَاسُ الْعَوَاصِفِ رُكْدٌ وَأَسْرِي وَالْحَاظُ الْكَوَاكِبِ نُومٌ (١٩)
 وَمَا بَيْنَ سَلِّ السَّيْفِ وَالْمَوْتِ فُرْجَةٌ لَدَى الْحَرْبِ إِلَّا رَيْثَمَا أَتَكَلَّمُ (٢٠)
 أَنَا الْمَرْءُ لَا يَثْنِيهِ عَمَّا يَرُومُهُ نَهَيْتُ الْعِدَا وَالشَّرُّ عُرْيَانُ أَشَامُ (٢١)
 أَغِيرُ عَلَى الْأَبْطَالِ وَالصُّبْحُ أَشْهَبُ وَأَوِي إِلَى الضَّيْفَانِ وَاللَّيْلُ أَذْهَمُ (٢٢)
 وَيَصْحَبُنِي فِي كُلِّ رَوْعٍ ثَلَاثَةٌ حُسَامٌ وَطِرْفٌ أَعْوَجِيٌّ وَلَهْذَمُ (٢٣)
 وَيَنْصُرُنِي فِي كُلِّ جَمْعٍ ثَلَاثَةٌ لِسَانٌ وَيُرْهَانُ وَرَأْيِي مُحَكَّمُ (٢٤)
 فَمَا أَنَا بِالْمَغْمُورِ إِنْ عَنَّ حَادِثٌ وَلَا بِالَّذِي إِنْ أَشْكَلَ الْأَمْرُ يَفْحَمُ (٢٥)

- (١٩) الأنفاس : جمع نفس (بفتحتين) ، وهو نسيم الهواء ، وحركة الريح إذا كانت ضعيفة . ويراد بالعواصف هنا : الفتن ، والخطوب . وركد : ساكنة ، هادئة . وأسري : أسير ليلاً . ويراد بالألحاظ هنا : العيون . ونوم : جمع نائم ، كناية عن ظلمة الليل الحالكة . والبيت كله تمدح بالشجاعة والإقدام على المخاوف والأخطار ، والتمرس بالحروب والخطوب .
- (٢٠) سل المحارب سيفه : شهره . وبينهما فرجة : مسافة قصيرة . ولعله يريد بتكلمه : أمره لجنوده بشهر السيوف .
- (٢١) لا يثنيه : لا يصرفه ، ولا يرده . ويرومه : يريده ، ويطلبه . ونهيت العدا : أصواتهم الشديدة المزعجة . والعدا : الأعداء . وأشام : مشؤوم ، من الشؤم ، وهو التشاؤم . وعري الشر وشؤمه : كناية عن شدته ، وضراوته ، واستحاراه .
- (٢٢) أغار على أعدائه : هجم عليهم ، وأوقع بهم . وأشهب : صفة من الشهب ، أو الشهبه ، وهي بياض يغلب عليه السواد . وشهبة الصبح : وقت الفجر . وأوى إليه : عاد إليه ورجع . والضيفان : جمع الضيف . وأدهم : أسود ، مظلم . ودهمة الليل وظلمته : إشارة إلى كرم الضيافة ؛ ففي الليل المظلم تشتد حاجة الساري إلى من يضيفه ، ويؤويه .
- (٢٣) صحبه : رافقه ، ولازمه . والروع : الحرب . والحسام : السيف القاطع . والطرف (بكسر فسكون) : الفرس الأصيل الكريم . وأعوجي : نسبة إلى « أعوج » ، وهو فرس لبني هلال ، تنسب إليه الأعوجيات ، وهي ضرب من جياذ الخيل . واللهزم : الحاد القاطع من الرماح والسيوف والأسنة ونحوها .
- (٢٤) يريد بلسانه : فصاحته . والبرهان : الحججة البينة الفاصلة . ورأي محكم : سديد رشيد .
- (٢٥) المغمور من الناس : الخامل المظمور . وعنّ : بدا . والحادث : الكارثة ، والمصيبة . وأشكل الأمر : التبس ، واختلط . ويفحم : يعيا ، ويعجز .

لِسَانِي كَنْصَلِي فِي الْمَقَالِ وَصَارِمِي كَغَرَبِ لِسَانِي حِينَ لَمْ يَبْقَ مُقَدِّمٌ (٢٦)
 إِذَا صُلْتُ فَدَّتْنِي « فِرَاسٌ » بِشَيْخِهَا وَإِنْ قُلْتُ حَيَّانِي « شَيْبٌ » وَ « أَكْثَمٌ » (٢٧)
 فَلَا تَحْتَقِرْ فَضْلَ الْكَلَامِ فَإِنَّهُ مِنْ الْقَوْلِ مَا بَيْنِي الْمَعَالِي وَيَهْدِمُ (٢٨)
 وَمَا هُوَ إِلَّا جَوْهَرُ الْفَضْلِ وَالنُّهَى يُسَرِّدُ فِي سِلْكِ الْمَقَالِ وَيُنْظِمُ (٢٩)
 فَمَا كُلُّ مَنْ حَاكَ الْقَصَائِدَ شَاعِرٌ وَلَا كُلُّ مَنْ قَالَ النَّسِيبَ مُتَمِّمٌ (٣٠)
 فَإِنْ يَكُ عَصْرُ الْقَوْلِ وَلَّى فَإِنِّي بِفَضْلِي وَإِنْ كُنْتُ الْأَخِيرَ مُقَدِّمٌ (٣١)

(٢٦) النصل : الحديدية القاطعة في السيف . ولسانه في المقال كمنصله في القتال : تمدح بكفايته الحربية والكلامية . والصارم : السيف الماضي . وغرب كل شيء : حده الجارح القاطع ، وغرب اللسان : طرفه وحده . يشير إلى الفصاحة ، والبلاغة ، والبيان . ومقدم : متقدم ، شجاع .

(٢٧) صلت : هجمت ووثبت . وفداه : استنقذه ، فخلصه مما كان فيه . و « فراس » : قبيلة عربية . وقد عرف بنو فراس بالشجاعة . ومنهم ربيعة بن مكدّم ، الفارس المشهور . ولعل البارودي يعنيه هنا ، ويعده شيخ هذه القبيلة وفارسها . ولعل المراد بشيب : شبيب بن شبية ، الذي لقب لفصاحته بالخطيب . وكان شريفاً من الدهاة ، ينادم خلفاء بني أمية . توفي سنة ١٧٠ هـ (٧٨٦ م) . و « أكثم » بن صيفي : المتوفى في السنة التاسعة الهجرية (٦٣٠ م) ، حكيم العرب في الجاهلية ، وأحد المعمرين .

(٢٨) فضل الكلام : مزيتة ، وأثره . والمعالي : جمع المعلاة ، وهي الرفعة ، والشرف .

(٢٩) هو : أي الكلام ، أو القول . والنهى : العقل . ويسرد : ينسج أو ينظم . أي وليس الكلام إلا حقيقة الفضل والعقل ينظمها المتكلم في سلك مقاله .

(٣٠) حاك الثوب : نسجه . ومن المجاز : حاك الشاعر الشعر . ومتيم : مستهام ، برّح به الوجد ، واشتد به العشق . من تيمه الهوى أو الحبيب : أي استعبده ، وتهيمه ، وأولمه ، وذهب بعقله .

يقول : إن المرء قد ينظم الشعر ، ويحوك القصائد ، ولا يعد مع هذا شاعراً ؛ وقد ينظم كذلك شعراً في النسب ، وهو لا يكاد يعرف الشوق أو الوجد أو الصبابة .

(٣١) يراد بعصر القول : زمن إجادة الشعر والنثر ، وعصر قوة الأدب وازدهاره . وولى : مضى ، وانقضى . وفضل البارودي هنا : مزيتة ، وموهبته ، ومقدرته الأدبية الفائقة ، ونتاجه الكثير الرائع من الشعر والنثر الفني . ومقدم : متقدم ، سابق .

وَقَالَ فِي الْمَدْحِ (*) :

- يَا لَكَ مِنْ ذِي أدَبٍ ! أَطْلَعْتُ
حَازَ مَدَى قَصْرَ عَن شَأُوهِ
فَهُوَ إِذَا قَالَ عَلا أَوْ جَرَى
ذُو فِكْرَةٍ فَاضَتْ بِمَا أُودِعَتْ
لِعَاجِمٍ مِنْ خَوَرِ الْمَعْجَمِ (٥)
وَفِكْرُهُ مُقْتَبَسٌ مِنْ « جَم » (٦)

(*) قيل إن الممدوح بهذه القصيدة هو الشيخ « جمال الدين الأفغاني » ١٨٣٨ - ١٨٩٧ .

(١) ثاقبة الأنجم : النجوم الثاقبة ، أي المضيئة النيرة .

يقول : إن الممدوح أديب المعني ، ذهنه متوقد ، وفكره ثاقب ، ينتج أدباً عالياً رائعاً فائقاً مشرقاً ، كالنجوم الثواقب .

(٢) المدى : الغاية ، ومثله الشأو . وقد يراد بالشأو : الهمة . وأخو السابقة : السابق المتقدم وله سابقة في هذا الأمر : أي سبق الناس إليه . والمرجم : القوي الشديد . ولسان مرجم قوال .

(٣) برز : سبق وتقدم ، وفاق . وناضله : باراه في الرمي . ولم يحجم : لم يتردد .

(٤) يراد بالفكرة : الذهن ، والعقل ، والفهم . والعارض : السحاب يعترض في الأفق بكثرة حتى يسده . ومشجم : ممطر .

(٥) نبعته : عوده . ومن كلامهم : « فلان صليب النبع » إذا كان شديد المراس . وعاجم : اس فاعل من عجم الشيء ، أي عضه ، ليعلم صلابته من رخاوته . والخور : الضعف والانكسار . والمعجم : مكان العجم ، وموضعه .

(٦) ألفاظه : ألفاظ الممدوح وكلماته وعباراته . وتعزى : تنسب . و« يعرب » بن قحطان : أ القبائل اليمينية . ومقتبس : مأخوذ ، أو مستفاد . و« جم » : اختزال لـ « جمشيد » وهو اس أحد ملوك الفرس قبل الإسلام . ومن سيرته أنه نظم شؤون الملك تنظيمًا يدل على رجحان عقله ، وثاقب فكره ، وسداد رأيه ، ومحكم تدبيره . وقد بقيت بعده أنظمته إلى الفتى الإسلامي .

لَمْ يَنْظِمِ الْحُوشِيَّ عُجْبًا بِهِ وَلَمْ يُسَمِّ الْوَرْدَ بِالْحَوْجَمِ (٧)
لِكِنَّهُ رَازَ الْحِجَا فَاکْتَفَى بِوَاضِحِ الْقَوْلِ عَنِ الْمُعْجَمِ (٨)
دَانَ لَهُ بِالْفَضْلِ عَنْ خِبْرَةٍ كُلُّ فَصِيحِ الْقَوْلِ أَوْ أَعْجَمِ (٩)
دَلَّ عَلَى مَعْدِنِهِ فَضْلُهُ دَلَالَةَ التَّبْرِ عَلَى الْمَنْجَمِ (١٠)
وَقَالَ :

يَدُلُّ عَلَى أَنْ لَيْسَ فِي الدَّهْرِ رَحْمَةٌ خِيَانَةٌ « شِمْرٍ » بَعْدَ غَدْرِ « ابْنِ مُلْجَمٍ » (١)
هُمَا مَنْجَمَا شَرٌّ وَصِنَاوَا ضَلَالَةٍ وَكُلُّ أَمْرٍ فِي الدَّهْرِ يُعْزَى لِمَنْجَمِ (٢)

(٧) نظم الأشياء : ألفها ، وجمعها . وحوشي الكلام : وحشيه ، وغريبه . « والحوجم » : الورد الأحمر ، واحده حوجمة . وعُجْبًا به : إعجاباً به .

(٨) رازه : جربه ، واختبره . ورازه : وزنه ليعرف قدره . والحجا : العقل ، والفتنة . والمراد أنه راز الحجا فيما ينظمه ويؤلفه . واكتفى بالشيء : استغنى به ، وقنع . والمعجم : المبهم والمعقد والغامض .

(٩) دان له : أقر واعترف . وفصيح القول : منطلق اللسان ، واضح الكلام ، رائق البيان . وقد يكون المراد به هنا : العربي . والأعجم ، والعجمي : خلاف العربي .

(١٠) يراد بمعدن الممدوح : فطرته ، وجبلته ، وأصله . والتبر : الذهب قبل أن يسبك ويصاغ . والمنجم : المكان الذي يوجد فيه الذهب ويستخرج منه ؛ فالتبر في مكان ما يدلنا على منجم من مناجم الذهب في ذلك المكان .

(١) شمر بن ذي الجوشن الضبابي : من رؤساء هوازن ، كانت إقامته بالكوفة ، وشارك في قتل الحسين بن علي رضي الله عنهما . فطلبه المختار الثقفي بدم المقتول ، فخرج من الكوفة ، فقتل في خارجها سنة ٦٦ هـ (٦٨٦ م) .

وعبد الرحمن بن ملجم المرادي : فاتك نائر ، فارس شديد البأس ، أدرك الجاهلية ، وهاجر في خلافة عمر ، ثم شهد فتح مصر ، وسكنها . وكان من شيعة علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، وشهد معه حرب « صفين » ، ثم خرج عليه ، فقصد الكوفة ، وتربص به ، فلما خرج من بيته لصلاة الفجر في المسجد اغتاله ليلة السابع عشر من رمضان سنة ٤٠ هـ (٦٦٠ م) . وما لبث الحسن بن علي أن قتله قصاصاً بعد وفاة أبيه بثلاثة أيام .

(٢) منجم الشر : أصله . والصنوان : مثني الصنو ، وهو الأخ الشقيق ، والنظير ، والمثل . ويعزى : ينسب .

شَقِيَّانِ هَامَا فِي الضَّلَالِ فَأُضْبَحَا
لَقَدْ فَوْقَا سَهْمَيْهِمَا وَتَطَاوَلَا
لَعْمَرِي لَقَدْ بَاءَ بِخِزْيٍ وَلَعْنَةٍ
وَقَالَ :

وَمَا مِصْرُ عُمَرَ الدَّهْرِ إِلَّا غَنِيمَةٌ
تَدَاوَلَهَا الْمُلُوكُ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ
فَمَا أَهْلُهَا إِلَّا عَبِيدٌ لِمَنْ سَطَا
عِدَادُكَ فِي سِلْكِ الْبَرِيَّةِ خِزْيَةٌ
لِمَنْ حَلَّ مَغْنَاهَا وَنَهَبُ مُقَسَّمٌ (١)
وَنَالَ بِهَا حَظًّا فَصِيحٌ وَأَعْجَمٌ (٢)
وَلَا رَيْعُهَا إِلَّا لِمَنْ شَاءَ مَغْنَمٌ (٣)
وَدَعَاكَ حَقَّ الْمُلْكِ أَذْهَى وَأَعْظَمُ (٤)

- (٣) هام : خرج على وجهه في الأرض ، لا يدرى أين يتوجه . ويراد بهيمانهما في الضلال : الإيمعان ، والتمادي . وأصبحا دريئة لعن : أي صارا هدفاً تتوالى عليه لعنات اللاعنين . ويراد بالفصيح والأعجم : العربي والعجمي ، أي الناس جميعاً .
- (٤) فوق السهم تفويقا : جعل الوتر في فوقه عند الرمي . ويراد بتفويق السهمين : إعدادهما للرمي والإصابة والقتل . وتطاول إلى الشيء : مد عنقه ليراه . ويراد بالفلك العالي : كل واحد من القتيلين الشهيدين العظيمين . ويراد بالأنجم : أنصاره النابهن اللامعون .
- (٥) باء : عاد ، ورجع . والخزي : الذل والهوان . واحتقب الإثم : ارتكبه واكتسبه . ومن يحتقب خزيًا يرجم من الله : أي ومن يقترف خطيئة يلعنه الله ، أو يستحق عذاب الله وانتقامه .
- (١) عمر الدهر : مدى الدهر ، أي طوال الزمان . والغنيمة : ما يأخذه المحاربون من مال أعدائهم وعتادهم عنوة وقهراً . والمراد : أن أموال مصر وكنوزها وغللاتها وخيراتها ميسرة للأجانب الوافدين عليها من شتى البلاد والأقطار ، يتملكونها على الرغم من أهلها الذين يعيشون في بلادهم غرباء أذلاء . والمغنى : المنزل . والنهب : المال المنهوب .
- (٢) تداولت الأيدي الشيء : أخذته هذه مرة ، وهذه مرة . والحظ : الحصة والنصيب . ويراد بالفصيح والأعجم : مختلف الشعوب والأمم ، وشتى الأجناس والألوان .
- (٣) سطا عليه : قهره ، وأذله بشدة البطش . وريع كل شيء : ربحه ، وغلته ، وثمرته . ومغنم : غنيمة .
- (٤) عدادك : انتسابك . ويراد بسلك البرية : المجتمع الإنساني ، أو جماعة البشر . والخزية : الشر ، والبلية .

لَقَدْ هَانَتْ الدُّنْيَا عَلَى النَّاسِ عِنْدَمَا
فَإِنْ تَكُ أَوْلَتْكَ الْمَقَادِيرُ حُكْمَهَا
وَشَتَّانَ عَبْدٌ بِالْمَحَجَّةِ نَاطِقٌ
فَهَذَا أَذَلُّ الْمُلْكِ وَهُوَ مَعَزُّ
فَمَنْ شَكَّ فِي حُكْمِ الْقَضَاءِ فَهَذِهِ
وَقَالَ :

رُدِّي الْكَرَى لِأَرَاكِ فِي أَحْلَامِهِ إِنْ كَانَ وَعْدُكَ لَا يَفِي بِذِمَامِهِ^(١)

(٥) المعنى : تداول مصر في قديم الزمان وحديثه حاکمان مختلفان كل الاختلاف ، وحُكمان على طرفي نقيض : حكم المهجو القائم على الظلم والإفساد ، وحُكم يوسف الصديق القائم على العدل والإحسان . ولما رأى الناس المهجو يعيث حيث أصلح يوسف ، هانت عليهم الدنيا ، وسقط اعتبارها عندهم ، ورأوا الحياة ذليلة مهينة ، حقيرة وضيفة . والغرض تصوير سخط المصريين على المهجو ، واستخفافهم بالدنيا ، واحتقارهم للحياة في عهده ، وبيان شيء من المفارقات والمتناقضات التي شهدتها مصر في ماضيها وحاضرها .

(٦) المقادير : جمع المقدار ، وهو اختلاف الأيام والأحوال ، وانقلاب الدولة والزمان . وحازها : حاز مصر ، أي استولى عليها وحكمها . والعبد : الرقيق المملوك لغيره . ومزمن : دعوى . ويراد بالعبد المزمن : « كافور » الإخشيدي (٢٩٢ - ٣٥٧ هـ) (٩٠٥ - ٩٦٨ م) .

(٧) وشتان عبد وحرّ : أي افترقا ، وبعد ما بينهما . وناطق بالمحجة : أي نطقه فصيح صحيح ، وكلامه واضح مستقيم . وناقشته القول : حاورته ، وجادلتها . وأغتم : عبي غير فصيح ، فيه غتمة ، وهي العُجْمَة واللُّكْنَة .

(٨) هذا : إشارة إلى المهجو . وذاك : إشارة إلى كافور . ومهضم : ضعيف محطم .

(٩) يراد بالقضاء : قضاء الله تبارك وتعالى وقدره . وهذه : إشارة إلى قصة مصر . والجلية : الخبر اليقين . وجلية الأمر : حقيقته . وحتم به : قضى به وحكم ، فهو محتوم .

(١) الكرى : النوم . والذمام : العهد والحق .

يقول : إن العشق سلبه نومه ، وأورثه الأرق والسهاد . ومعشوقته تعد بالوصال ، ولا تكاد تفي بذمة الوعد ، أي بحقه وحرمة . وقد عزّ لقاؤها ، واستعصت عليه رؤيتها في اليقظة ؛ فطلب إليها أن تردّ إليه أمانة النعاس ، وراحة النوم ، ليراها في منامه وأحلامه .

أَوْ فَابَعَثِي قَلْبِي إِلَيَّ فَإِنَّهُ
 قَدْ كَانَ خَلْفَنِي لِمَوْعِدِ سَاعَةٍ
 لَمْ أَذْرْ هَلْ ثَابِتٌ إِلَيْهِ أَنْتَهُ
 عَهْدِي بِهِ صَعْبُ الْقِيَادِ فَمَالَهُ
 خَدَعْتَهُ سَاحِرَةُ الْعُيُونِ بِنَظْرَةٍ
 يَا هَلْ يَعُودُ إِلَيَّ الْجَوَانِحُ بَعْدَمَا
 تَالَلَهُ لَوْ مَلَكَتْ يَدَايَ جِمَاحَهُ
 جَارِي هَوَاكِ فَقَادَهُ بِزِمَامِهِ (٢)
 مِنْ يَوْمِهِ فَقَضَى مَسِيرَةَ عَامِهِ (٣)
 أَمْ لَمْ يَزَلْ فِي غَيْبِهِ وَهَيَامِهِ (٤)
 أَلْقَى يَدًا لِلسُّلْمِ بَعْدَ غَرَامِهِ (٥)
 مِنْهَا فَمَلَكَهَا عِذَارَ لِحَامِهِ (٦)
 سَلَبَتْ فَتَاةَ الْحَيِّ ثِنْيَ لِحَامِهِ ؟ (٧)
 لَعَقَدْتُ قَائِمَ رَسْنِهِ بِخِدَامِهِ (٨)

- (٢) جارى هواك : جرى مع الحب ، وتبعه ، وانقاد له ، ووقع في أسرهِ . والزمام : المقود . وقاده بزمامه : أي قاد هواك قلبي بزمام القلب ؛ فالهوى قائد ، والقلب مقود .
- (٣) خلفني : تركني ، وفارقني . وقضى : مضى وذهب . ومسيرة : سير . والمراد أن غيبته طالت لمدة عام .
- (٤) ثابت : رجعت وعادت . والأناة : الحلم الوقار . والغِيّ : الإمعان في الضلال . والهيام : جنون العشق .
- (٥) العهد هنا : العلم والمعرفة . و« عهدي به صعب القيادة » : أي عرفت قلبي لا ينقاد . ومن معاني اليد : الطاعة والاستسلام . والسلم : المسالمة والصلح . وألقى يده إلى السلم : أي خضع .
- (٦) يقولون : عين ساحرة ، ويشيرون بالسحر إلى ما فيها من جاذبية واستمالة وتأثير شديد . وملكها عذار لِحَامِهِ : كناية عن أنه جعلها مالكة لأمره ، مسيطرة عليه ، متحكّمة فيه .
- (٧) الجوانح : أضلاع الصدر ، ويراد بها هنا : مستودع القلب ، ومستقره في صدره . ويراد بثني اللجام : عنانه ، أو سيره أو حبله .
- (٨) جمع الفرس : عتا عن أمر صاحبه ، واستعصى عليه . وملكت يداي جِماحه : أي استطعت السيطرة عليه . والرسن : الحبل الذي يقاد به البعير ونحوه . وقائم الرسن : طرفه الذي يمسك به من يقود الدابة . والخدام : جمع خدمة (بوزن قصبة) ؛ وهي الساق . وعقد قائم الرسن بخدام البعير ونحوه : كناية عن إحكام تقييده ، ومنعه من الجموح والإفلات ؛ فإن الرسن أو المقود يربط أنفه بساقه ، أو بالقيد الذي في رجله . وهذه قيود وموانع تمكن منه ، وترده إلى الطاعة والانقياد .

يَا لَأَيْمَ الْمُشْتَاكِ فِي أَطْرَابِهِ مَهْلًا إِلَيْكَ فَلَسْتَ مِنْ لُوَامِهِ^(٩)
أَظَنَنْتَ لَوْعَتَهُ فُكَاهَةً مَازِحٍ فَطَفِقْتَ تَعْدِلُهُ عَلَى تَهْيَامِهِ؟^(١٠)
إِنْ كُنْتَ تُنْكِرُ شَجْوَهُ فَاَنْظُرْ إِلَى أَنْفَاسِهِ وَدُمُوعِهِ وَسَقَامِهِ^(١١)
صَبُّ بَرَّتِهِ يَدُ الضَّنِيِّ حَتَّى اخْتَفَى عَنْ أَعْيُنِ الْعُودَادِ غَيْرَ كَلَامِهِ^(١٢)
نَطَقَتْ مَدَامِعُهُ بِسِرِّ ضَمِيرِهِ وَذَكَتْ جَوَانِحُهُ بِنَارِ غَرَامِهِ^(١٣)
طَوْرًا يُخَامِرُهُ الذُّهُولُ وَتَارَةً يَبْكِي بُكَاءَ الطِّفْلِ عِنْدَ فِطَامِهِ^(١٤)
يَصُبُّوْا لِي بَانَ الْعَقِيْقِ وَرَنْدِهِ وَعَرَارِهِ وَبَرِيرِهِ وَبَشَامِهِ^(١٥)

(٩) يراد بالمشتاك : العاشق الصب . والأطراب : جمع الطرب ، ويراد به لوعة الشوق وحرارته . وإليك عني : اسم فعل أمر بمعنى ابتعد عني . ولست من لوامه : أي أنك لم تجرب العشق والشوق ، ولم تحترق بنارهما ؛ فلا يحق لك أن تلوم العاشق المشتاق الذي هزه الطرب والاشتياق إلى من يحبها .

(١٠) اللوعة : حرقه الهوى والوجد . وطفق يفعل كذا : أي جعل ، أو استمر ، وهو خاص بالإثبات . وهام بها تهياماً : شغفته حباً .

(١١) الشجو : الهم ، والحزن . والسقام : المرض .

(١٢) صب : صفة من الصبابة ، وهي رقة الشوق ، وحرارة الهوى . والضنى : المرض الشديد . ويكثر استعمال الضنى في أوصاف الهوى والحب ، وتباريح العشق والغرام . والعوداد : الزائرون .

(١٣) المدامع : مسایل الدمع . ويراد بها هنا : الدموع . ويريد بسرّ ضميره : ما كان يحرص على إخماره وكتمانه من أسرار حبه وغرامه . وذكت النار : توقدت ، واشتد لهبها . والجوانح : أضلاع الصدر ، ويراد بها هنا : القلب .

(١٤) الطور ، والتارة : الحين والمرة . ويخامره : يخالطه ، ويلابسه . والذهول : التحير . وفتام الطفل : فصاله عن امه ، ومنعه من الرضاع . وفي الفتام يشتد بكاء الطفل وتسوء حاله .

(١٥) يصبو إليه : يميل ، ويحن ، ويتشوق . والبان : ضرب من الشجر ، لين ، سبط القوام ، تشبه به قدود الحسان . والعقيق : موضع بالمدينة ، وقد تغنى الشعراء بوادي العقيق ، وجعلوه معنى غرامهم ، ومرتع الغيد الحسان اللائي تغزلوا بهن ، وتودّوا إليهن . والبارودي يحاكيهم في هذا ، ويقتدي بهم . والرند : شجر طيب الرائحة . والعرار : بهار ناعم أصفر ، طيب الرائحة ، وقد يطلق على النرجس البري ، واحدته عرارة . والبرير : ثمر الأراك إذا اشتدّ وصلب ، الواحدة بريرة . والأراك : واحدته أراكة ، وهي شجرة كثيرة الفروع ، تتخذ منها

وَادٍ سَرَى فِي جَوْهٍ كَنَسِيمِهِ وَبَكَى عَلَى أَغْصَانِهِ كَحَمَامِهِ (١٦)
أَرْجُ النَّبَاتِ كَأَنَّمَا غَمَرَ الثَّرَى طَيْباً مُرُورُ «الْخَضِرِ» بَيْنَ إِكَامِهِ (١٧)
مَالَتْ خَمَائِلُهُ بِخَضِرِ غُصُونِهِ وَصَفَتْ مَوَارِدُهُ بِزُرْقِ جَمَامِهِ (١٨)
يَا صَاحِبِي ! إِنْ جِئْتَ ذِيكَ الْحِمَى فَاحْذَرِ عُيُونَ الْعَيْنِ مِنْ آرَامِهِ (١٩)
وَأَسْأَلُ عَنِ الْبَدْرِ الَّذِي كَسَمِيَّهُ فِي نُورِ غُرَّتِهِ وَبُعْدِ مَرَامِهِ (٢٠)
فَإِنْ اشْتَبَهْتَ وَلَمْ تَجِدْ لَكَ هَادِيًّا فَاسْمَعْ أُنِينَ الْقَلْبِ عِنْدَ خِيَامِهِ (٢١)

المساويك ، ثمرها أحمر ؛ داكن اللون ، يؤكل . وهي من نبات البلاد الحارة . والبشام : شجر طيب الرائحة والطعم ، يستاك بقضبانته ، لا ثمر له ، وإذا قطع شيء من أوراقه وأغصانه سال منه سائل أبيض يشبه اللبن ، واحدته بشامة .

(١٦) سرى : سار ليلاً ، والمراد مطلق السير . والنسيم : الريح الطيبة اللطيفة اللينة .

(١٧) أرج النبات : أي نبات هذا الوادي طيب عطري ذكي الرائحة . وغمره الماء ونحوه : علاه . والثرى : الأرض . ويراد بالطيب : الأريج ، والخصب ، والنماء . و«الخضر» : صاحب سيدنا موسى عليهما السلام ، نبي ، أو ولي ، أو صديق ، أي فوق الولاية ، ودون النبوة ، وقصة تصاحبهما مذكورة في القرآن الكريم . والإكام : تلال الأرض وروابيها ومرتفعاتها ، الواحدة أكمة (بوزن قصبة) .

(١٨) الخمائل : جمع الخميطة ، وهي الشجر الكثير المجتمع الملتف الذي لا يرى فيه شيء إذا وقع في وسطه . وكل موضع كثر فيه الشجر خميطة . والموارد : المناهل والمشارب ، جمع مورد . والجمام : جمع جم ، وهو الكثير المجتمع من كل شيء ، أو هو جمع جمعة (بضم الجيم) ، وهي من الماء معظمه . وماء أزرق : شديد الصفاء والنقاء . وجمام زرق : مياه صافية رائحة نقية ، كثيرة غزيرة .

(١٩) الحمى : المكان المحمي المصون المنيع . وفيه إشارة إلى تمنع المتغزل بهن ، واحتجابهن ، وصعوبة الوصول إليهن . ويراد بالحمى : وادي العقيق ، أي ديار محبوبته وأترابها . والعين : جمع عيناء ، وهي المرأة التي اتسعت عيناها في حسن وجمال . والآرام : جمع رثم ، وهو الظبي الخالص البياض ، تشبّه به الحسناء من النساء في الرشاقة والمرونة ، وجمال الجيد والعينين .

(٢٠) يريد بالبدر محبوبته . ويريد بسميه : البدر الحقيقي . وسميك : من كان اسمه كاسمك . والغرة : بياض في جبهة الفرس . وغرة الإنسان : وجهه . والمطلب : ورامه : أراده ، وطلبه .

(٢١) اشتبه الأمر عليه : اختلط ، والتبس . ويراد باشتباه صاحبه : صعوبة انسدادك إلى المعشوقة .

فَبِذَلِكَ الْوَادِي غَزَالَةٌ كِلَّةٌ تَرُؤِي حَدِيثَ الْفَتَكِ عَن ضِرْغَامِهِ (٢٢)
 ضَاهَتْ بِقَامَتِهَا سِرَاحَ قَنَاتِهِ وَحَكَتْ بِلِحَظَتِهَا مَضَاءَ حُسَامِهِ (٢٣)
 هِيَ مِثْلُهُ فِي الْفَتَكِ أَوْ هُوَ مِثْلُهَا سَيَّانٍ وَقَعُ لِحَاظِهَا وَسِهَامِهِ (٢٤)
 فَسَقَى الْحِمَى دَمْعِي إِذَا ضَنَّ الْحَيَا بِجُمَانٍ دَرَّتِهِ سُلَافَةَ جَامِهِ (٢٥)
 مَغْنَى رَعَيْتُ بِهِ الشَّيْبَةَ غَضَّةً وَرَوَيْتُ قَلْبِي مِنْ سُلَافِ غَمَامِهِ (٢٦)
 فَنَسِيمٌ رُوحِي مِنْ أَثِيرِ هَوَائِهِ وَقَوَامٌ جِسْمِي مِنْ مِزَاجِ رَغَامِهِ (٢٧)

وَأَنَّ الْمَرِيضَ أُنَيْنًا : إِذَا تَأَوَّهَ ، وَتَوَجَّعَ . وَخِيَامُهُ : خِيَامِ الْبَدْرِ ، أَيِ الْحَيْبِ .
 (٢٢) الْكِلَّةُ : السِّتْرُ . وَفَتَكُ بِهِ : قَتْلُهُ عَلَى غِرَّةٍ ، وَغَدْرُ بِهِ ، وَاغْتَالُهُ . وَضِرْغَامُهُ : ضِرْغَامِ
 الْوَادِي . وَالضِرْغَامُ : الْأَسَدُ الضَّارِي الشَّدِيدُ ، وَالرَّجُلُ الشَّجَاعُ .
 (٢٣) ضَاهَتْ : فَاقَتْ . وَالْقَامَةُ : الْقَدُّ . وَالْقَنَاةُ : الرَّمْحُ . وَحَكَتْ : ضَاهَتْ وَشَابَهَتْ .
 وَاللِحَظَةُ : النُّظْرَةُ السَّرِيعَةُ . وَالْحُسَامُ : السِّيفُ الْحَادُّ الْقَاطِعُ . وَمِضَاؤُهُ : حَدَّتُهُ ، وَسُرْعَةُ
 قَطْعِهِ .

(٢٤) هِيَ : أَيِ الْحَسَنَاءِ الَّتِي يَشَبُّ بِهَا ، أَوْ نَظْرَاتِهَا الْفَاتِنَةِ . وَمِثْلُهُ : مِثْلُ « الضَّرْغَامِ » . وَهُوَ
 مِثْلُهَا : أَيِ هِيَ تَشْبَهُ فِي الْفَتَكِ بِعِشَاقِهَا ، وَهُوَ يَشْبَهُهَا فِي الْفَتَكِ بِأَعْدَائِهِ . وَسَيَّانٍ : مِثْنَى
 سَيٍّ ، وَهُوَ الْمِثْلُ ، وَالشَّيْبَةُ . وَلِحَاظِهَا : نَظْرَاتِهَا .
 (٢٥) الْحِمَى : الْمَكَانُ الْمَحْمِيَّ ، وَيُرَادُ بِهِ : وَطَنُ الشَّاعِرِ ، وَمَسْرَحُ حَبِّهِ وَغَرَامِهِ . وَضَنَّ : شَحَّ
 وَيَخَلَّ . وَالْحَيَا : الْمَطَرُ . وَالْجُمَانُ : اللَّوْلُؤُ ، وَيُرَادُ بِهِ هُنَا : قَطْرَاتُ الْمَطَرِ . وَالدَّرَةُ (بِكَسْرِ
 الدَّالِ وَفَتْحِهَا) : اللَّبْنُ أَوْ كَثْرَتُهُ ، وَتَسْتَعَارُ لِلْمَطَرِ . وَسُلَافَةُ كُلِّ شَيْءٍ وَسُلَافُهُ : خَالِصُهُ .
 وَالْجَامُ : إِنَاءٌ لِلشَّرَابِ وَالطَّعَامِ ، يَكُونُ مِنَ الْفِضَّةِ أَوْ نَحْوِهَا . وَسُلَافَةُ الْجَامِ : مَا تَحْتَوِيهِ مِنْ
 خَالِصِ الشَّرَابِ . وَالتَّرْتِيبُ الْأَصْلِيُّ لِهَذَا الْكَلَامِ : « فَسَقَى دَمْعِي الْحِمَى سُلَافَةَ جَامِهِ إِذَا ضَنَّ
 الْحَيَا عَلَيْهِ بِجُمَانٍ دَرَّتِهِ » .

(٢٦) الْمَغْنَى : الْمَنْزَلُ الَّذِي غَنِيَ بِهِ أَهْلُهُ . وَرَعَيْتُ : رَاعَيْتُ . وَغَضَّةٌ : نَاصِرَةٌ فَتِيَّةٌ . وَالْغَمَامُ :
 السَّحَابُ ، وَاحِدَتُهُ غَمَامَةٌ . وَسُلَافُ الْغَمَامِ : الْمَطَرُ .

(٢٧) نَسِيمٌ رُوحِي : الْهَوَاءُ الطَّيِّبُ اللَّطِيفُ الَّذِي اتَّفَسَ مِنْهُ وَتَحَيَّا بِهِ نَفْسِي . وَأَثِيرُ هَوَائِهِ : خَالِصُ
 هَوَاءِ وَطَنِي . وَقَوَامٌ جِسْمِي : عِمَادُهُ ، وَمَا يَقُومُ بِهِ ، أَوْ مَا يَقِيمُهُ وَيَحْفَظُهُ مِنَ الْقُوَّةِ وَالْغَدَاءِ .
 وَالْمِزَاجُ : مَا يَمِزُجُ بِهِ الشَّرَابُ وَنَحْوَهُ . وَالرَّغَامُ : التَّرَابُ . وَمِزَاجُ رَغَامِ الْوَطَنِ : مَا تَنْبَتُهُ
 أَرْضُهُ .

لَا يَنْتَهِي شَوْقِي إِلَيْهِ وَقَلَّمَا
يَا حَبَّبًا عَصْرُ الشَّبَابِ وَحَبَّبًا
عَصْرٌ إِذَا رَسَمَ الْخَيَالَ مِثَالَهُ
إِنِّي لِأَذْكُرُهُ وَأَعْلَمُ أَنَّي
مَا كَانَ أَحْسَنَ عَهْدَهُ لَوَدَامَ لِي
وَالدَّهْرُ مَضْدَرٌ عِبْرَةٌ لَوْ أَنَّنَا
عَمْرِي لَقَدْ رَحَلَ الشَّبَابُ وَعَادَنِي
وَقَالَ :

أَعِدْ عَلَيَّ السَّمْعَ ذِكْرَ الْبَانَ وَالْعَلَمِ وَأَعِذِرْ شَابِيَبَ دَمْعِي إِنْ جَرَتْ بِدَمٍ (١)

- (٢٨) إليه : إلى الحمى ، أي الوطن . وسلاه ، وسلا عنه : نسيه . والأيك : جمع أيكة ، وهي الكثير المجتمع الملتف من الأشجار . ورنم المغني والحمام : أي رجع صوته ، وتعنى . والترنم (بفتح التاء) : مصدر يدل على الكثرة والمبالغة .
- (٢٩) عصر الشباب : زمنه ، وطوره . والأكام : جمع كم ، وهو غطاء الزهرة ، أي الغلاف الذي يحيط بها ، فيسترها ، ثم ينشق عنها . ويريد بالروض : عصر شبابه . ويريد بالورد : ما استمتع به من لذات الشباب ومباهجه .
- (٣٠) يشير إلى شدة تعلقه بشبابه الراحل ، وحنينه إليه ، وتأثره به ، وتذكّره لعصره ؛ فإذا تخيّل رأى صورته حاضرة أمامه ، مرسومة في ذهنه ، واضحة جلية .
- (٣١) أذكّره : أذكّر عصر شبابي ، أي أتذكّره . والتبعات : جمع تبعه ، وهي عاقبة الأمر ، ومغيبته . وآثام : جمع إثم ، وهو الذنب ، والخطيئة .
- (٣٢) عهده : عهد الشباب ، أي زمانه . ومنه : من الشباب ، أو من عهده .
- (٣٣) في هذا البيت شكوا الدهر ، وتبرم به ، وسخط عليه ؛ فإن ذهاب شبابه أثر من آثار تقلب الدهر . ولو قرأنا من سجلات آثامه وجرائره سجلّ غدره وخياناته لأفدنا منه كثيراً من العبر والعظات ، وتوقينا كثيراً من الشرور والآفات .
- (٣٤) عمري : أسلوب قسم ، أي أحلف بحياتي . وعادني : عراني وأصابني . وتحيف لمتي : تنقص سوادها ، وذهب به . واللمة : شعر الرأس . وثغام الشيب (بفتح الثاء) : بياضه .
- (١) البان : ضرب من الشجر . ومن معاني العلم : العلامة والأثر . ويشار بالبان والعلم إلى أماكن

مَلَاعِبٌ لِلصَّبَا أَقْوَتٌ وَمَا بَرِحَتْ مَلَاعِبًا لِلأَسَى وَالأَعْيُنِ السُّجْمِ (٢)
 كَانَتْ لَنَا سَكْنًا حَتَّى إِذَا قَوِيَتْ مَنَا غَدَتْ سَكْنًا لِلرَّيْحِ وَالذَّيْمِ (٣)
 لَمْ أَتَّخِذْ بَعْدَهَا دَارًا أَقِيمُ بِهَا إِلَّا تَذَكَّرْتُ أَيَّامِي بِذِي سَلَمِ (٤)
 وَكَيْفَ أَنْسَى دِيَارًا قَدْ نَشَأْتُ بِهَا فِي مَنبِتِ العِزِّ بَيْنَ الأَهْلِ وَالْحَشَمِ ؟ (٥)
 يَا مَنْزِلًا لَمْ يَدَعْ وَشَكُّ الفِرَاقِ بِهِ إِلَّا رُسُومًا كَوَحْيِ الخَطِّ بِالقَلَمِ (٦)
 أَيْنَ الذِّينِ بِهِمْ كَانَتْ نَوَاطِرُنَا تَرَعَى المَحَاسِنَ مِنْ فَرَعٍ إِلَى قَدَمِ (٧)
 وَدَعَّتْ شَطْرَ حَيَاتِي يَوْمَ فُرِقْتِهِمْ وَصَافَحْتَنِي يَدُ الأَحْزَانِ وَالهَرَمِ (٨)
 فَيَا أَخَا العَدْلِ لَا تَعْجَلْ بِالإِثْمَةِ عَلَيَّ فَالْحُبُّ مَعْدُودٌ مِنَ القِسَمِ (٩)

معينة في شبه الجزيرة العربية ، ردها شعراء العرب قديماً في أشعارهم ، وأكثروا من التغني بها ، والحنين إليها . وهو هنا يعني بالبان والعلم : ملاعب نشأته وصباه ، ومنازل حبه وغرامه . والشآبيب : جمع الشؤبوب ، وهو الدفعة من المطر . وشآبيب دمعته : أي دمعته الغزير . وإذا تقرحت العين من كثرة البكاء اختلط دمعها بدم القروح .

(٢) أقوت : أفقرت وخلت . والسجم : جمع سجوم ، من سجمت العين دمعها ، أي أسالته .
 (٣) قويت : خلت وأفقرت . وغدت : صارت . والديم : جمع ديمة ، وهي المطر يدوم أياماً .
 (٤) « ذو سلم » : موضع في جزيرة العرب ، ردهه قدامى الشعراء في أشعارهم . وهو هنا يشير بذي سلم ، والبان ، والعلم إلى ملاحيه وملاعبه في طفولته وصغره ، ومسارحه ومراتعه في حدائته وصباه .

(٥) حشم المرء : خاصته الذين يقومون على خدمته من أهله وأقاربه ، أو خدمه وعبيده .
 (٦) لم يدع : لم يترك . وشك الفراق : سرعة البين والرحيل . ورسوم المنازل : آثارها الباقية .
 ووحى الخط بالقلم : كتابة من يخط بقلمه على ورق ونحوه .
 (٧) نواظرنا : عيوننا . وترعى : تنظر وتراقب . وفرع المرأة : شعرها . والترتيب الأصلي لهذا الكلام : أين الذين كانت نواظرنا ترعى فيهم المحاسن من فرع إلى قدم .
 (٨) ودعت : المراد فارقت . وشطر الشيء : نصفه . والهزم : الشيخوخة .
 (٩) أخو العذل : العادل اللائم . واللائمة : الملامة ، واللوم . والقسم : جمع قسمة ، وهي الحظ والنصيب .

أُسْرِفَتْ فِي اللَّؤْمِ حَتَّى لَوْ أَصَبْتَ بِهِ مَقَاطِعَ الْحَقِّ لَمْ تَسَلَمْ مِنَ التُّهْمِ (١٠)
 فَارْحَمْ شَبَابَ فَتَى أَلْوَتٍ بِنَضْرَتِهِ أَيَدِي الضَّنَى فَعَدَا لَحْمًا عَلَى وَضْمِ (١١)
 تَالَلَهُ مَا غَدْرَةُ الْخُلَّانِ مِنْ أَرْبِي وَلَا التَّلَوْنُ فِي الْأَخْلَاقِ مِنْ شِيْمِي (١٢)
 فَكَيْفَ أَنْكِرُ وُدًّا قَدْ أَخَذْتُ بِهِ عَلَى الْوَفَاءِ عُهُودًا بَرَّةَ الْقَسَمِ؟ (١٣)
 إِنْ لَمْ يَكُنْ لِلْفَتَى عَقْلٌ يَصُونُ بِهِ عَلائِقَ الْوُدِّ ضَاعَتْ ذِمَّةُ الْحَرَمِ (١٤)
 وَأَيْنَ مَنْ تَمَلِّكَ الْأَحْرَارَ شِيْمَتُهُ وَالْغَدْرُ فِي النَّاسِ دَاءٌ غَيْرُ مُنْحَسِمِ؟ (١٥)
 فَانْقُضْ يَدِيكَ مِنَ الدُّنْيَا فَلَسْتَ تَرَى خِلاً وَفِيًّا وَعَهْدًا غَيْرَ مُنْصَرِمِ (١٦)

- (١٠) أصبت بلومك مقاطع الحق : أي كان لومك صائباً سديداً ، قائماً على الحق والصدق .
 والتهم : جمع تهمة ، وهي تغليب الظن في القول والحكم .
- (١١) ألوى به : ذهب به ، وأهلكه ، وألوى الضنى بنضرته : ذهب بها ، ومحابها . والنضرة :
 الحسن ، والبهاء . والضنى : المرض الملازم ، والهزال الشديد ، والإشراف على الموت .
 وغدا : صار . والوضم : خشبة الجزار التي يقطع عليها اللحم . وغدا المريض لحماً على
 وضم : تعبير يراد به ذهاب الصحة ، وانحلال الجسم وتهدمه .
- (١٢) الغدرة : المرة من الغدر ، وهو الخيانة ونقض العهد . والخلان : الأخلاء ، جمع الخليل ،
 وهو الصديق الخالص . والأرب : البغية . أي ليس الغدر بأخلاقي مما أطلبه وأبتغيه وأفكر
 فيه ، أو ليس من سلوكي وخلقي ، أو ليس مما يلائم أدبي ويسايره . وتلون الأخلاق : ضعفها
 وانحلالها . من قولهم : فلان متلون ، أي متقلب متغير ، لا يثبت على خلق . والشيم :
 جمع شيمة ، وهي الخلق والغريزة .
- (١٣) العهود : جمع عهد ، وهو الموثق واليمين . والقسم : اليمين .
- (١٤) علائق الود : علاقاته ، وأواصره ، وروابطه . والذمة : العهد ، والكفالة . والحرم : جمع
 حرمة ، وهي ما وجب القيام به ورعايته .
- (١٥) غير منحسم : غير منقطع ، أي داء عياء ، لا طب له ، ولا براء منه .
 ينفي أو يستبعد وجود الحرّ الكريم الذي يأسر الأحرار بشيمه النبيلة ، وسجاياه الحميدة ،
 وبره ووفائه وصدق وداده . وسبب هذا النفي أو الاستبعاد أن الغدر شائع في طبائع الناس ،
 وداء عضال لا سبيل إلى علاجه .
- (١٦) نقض يديه من الدنيا : أعرض عنها ، وزهد فيها ، ولم ينخدع بها .

- هَيْهَاتَ لَمْ يَبْقَ فِي الدُّنْيَا أَخُو ثِقَةٍ يَرْعَى الْمَوَدَّةَ أَوْ يُلْقِي يَدَ السَّلْمِ (١٧)
- فَلَا يَغُرَّنْكَ مِنْ وَجْهِ بِشَاشَتُهُ فَالنَّارُ كَامِنَةٌ فِي نَاحِرِ السَّلْمِ (١٨)
- تَغَيَّرَ النَّاسُ عَمَّا كُنْتَ أَسْمَعُهُ وَاسْتَحْكَمَ الْغَدْرُ فِي السَّادَاتِ وَالْحَشْمِ (١٩)
- وَضَبْلٌ أَعْدَلُ مَنْ تَلَقَّاهُ مِنْ رَجُلٍ أَعْدَى عَلَى الْخَلْقِ مِنْ ذِئْبٍ عَلَى غَنَمٍ (٢٠)
- مِنْ كُلِّ أَشْوَةٍ فِي عِرْنَيْنِهِ فَطَسٌ خَالَ مِنَ الْفَضْلِ مَمْلُوءٍ مِنَ النَّهْمِ (٢١)
- سُودُ الْخَلَائِقِ دَلَّاجُونَ مَا طُبِعُوا عَلَى الْمَحَارِمِ هَدَّاجُونَ فِي الظُّلْمِ (٢٢)
- لَا يُحْسِنُونَ التَّقَاضِي فِي الْحُقُوقِ وَلَا يُوفُونَ بِالْعَهْدِ إِلَّا خِيفَةَ النَّقْمِ (٢٣)

- (١٧) هيهات : اسم فعل ماضٍ بمعنى بَعُدَ . وأخو ثقة : شخص أو صديق يوثق به . ويرعى المودة : يصون المحبة القائمة بينه وبين أحبائه . ومن معاني اليد : الطاعة ، والانقياد .
- (١٨) لا يغرنك : لا يخدعك . وبشاشة الوجه : تهلله وبشره وطلاقة . وكامنة : متوارية مستترة . والسلم : شجر شائك ، واحدته سلمة . وناخر السلم : القديم البالي المتفتت .
- (١٩) السادات : جمع سادة . والحشم : العبيد ، والخدم ، والأتباع . واستحكَمَ الغدر في السادات والحشم : شيوخ الخيانة ونقض العهد في الناس جميعاً .
- (٢٠) يتكلم الشاعر عن الناس فيقول إن فتكهم بغيرهم أشد وأقسى ، وأنكى وأفظع من فتك الذئب بالأغنام . يشير بهذا إلى ما في طبائعهم من الشر والأذى ، والبغي والعدوان ، والظلم .
- (٢١) أشوه : قبيح دميم ، سىء المنظر . والعرنين : ما صلب من عظم الأنف . والفطس : انخفاض قصبه الأنف ، وضده الشمم : وهو ارتفاع في قصبه الأنف . والنهم : الإفراط في شهوة الطعام وغيره . ويراد به هنا : الحرص والشره ، والطمع الممقوت .
- (٢٢) الخلائق : جمع الخليفة ، وهي الطبيعة التي خلق المرء عليها . ويعبر بالسواد في مثل هذا المقام عن الشر والقبح والسوء . وسود الخلائق : طبائعهم سيئة قبيحة ، مردولة ممقوتة . ودلاجون : جمع دلّاج ، من قولهم بات ليلته يدلج دلوجاً ، أي يسير عامة الليل . وهو في مقام الهجاء كناية عن سوء السلوك . والمحارم : جمع محرم ، أو جمع محرمة ، وهي ما حرمه الله تعالى ، وما لا يحل انتهاكه من عهد أو ميثاق أو نحوهما .
- (٢٣) التقاضي في الحقوق : المطالبة بها ، واستردادها من آخذها . والنقم : جمع نقمة ، وهي العقوبة والانتقام .

صُفِرُ الْوُجُوهِ مِنَ الْأَحْقَادِ تَحْسِبُهُمْ وَهُمْ أَصْحَاءُ فِي دِرْعٍ مِنَ السَّقَمِ (٢٤)
 فَلَا ذِمَامَةَ فِي قَوْلٍ وَلَا عَمَلٍ وَلَا أَمَانَةَ فِي عَهْدٍ وَلَا قَسَمِ (٢٥)
 بَلَوْتُ مِنْهُمْ خِلَالًا لَوْ وَسَمْتَ بِهَا وَجَهَ الْغَزَالَةَ لَمْ تُشْرِقْ عَلَى عِلْمِ (٢٦)
 لَمْ أَدْرِ هَلْ نَبَغَتْ فِي الْأَرْضِ نَابِغَةٌ أَمْ هَذِهِ شَيْمَةٌ الدُّنْيَا مِنَ الْقَدَمِ؟ (٢٧)
 لَا يُدْرِكُ الْمَجْدَ إِلَّا مَنْ إِذَا نَهَضْتُ بِهِ الْحَمِيَّةُ لَمْ يَقْعُدْ عَلَى رَغَمِ (٢٨)
 لَوْلَمْ يَكُنْ فِي الْمَسَاعِي مَا يَبِينُ بِهِ فَضْلَ الرَّجَالِ تَسَاوَى النَّاسُ فِي الْقِيَمِ (٢٩)
 فَأَيُّ غَامِضَةٍ لَمْ تَجْلُهَا فِطْنِي؟ وَأَيُّ بَاذِخَةٍ لَمْ تَعْلُهَا قَدَمِي؟ (٣٠)
 وَكَيْفَ لَا تَسْبِقُ الْمَاضِينَ بَادِرْتِي وَالسَّمْهَرِيَّةُ تَخْشَى الْفَتَكَ مِنْ قَلَمِي؟ (٣١)

(٢٤) حقد عليه : أضمر له العداوة . وتحسبهم : تظنهم . وجملة « وهم أصحاباء » : جملة حالية .
والدرع : القميص . والسقم : المرض .

(٢٥) الذمامة : الذمة ، والحق . والذمامة (بفتح الذال) : الحياء والخجل والإشفاق من الذم .
والعهد : ما يجب مراعاته ، والمحافظة عليه .

(٢٦) بلوت : خبرت ، وجربت . ومنهم : من المهجورين أو من الناس الذين خالطهم وعاملهم .
والخلال : الخصال ، والأخلاق . ووسمه ، جعل له سمة ، أي علامة يعرف بها . والغزالة :
الشمس . والعلم : الجبل .

(٢٧) نبغ : بدا ، وظهر . والشيمة : الخلق .

(٢٨) المجد : العز والرفعة . والحمية : القوة الغضبية إذا كثرت وزادت . والرغم : الذل
والهوان . ونهضت به حميته : رفعته في مراتب العزة والكرامة ، وأبت عليه أن يقيم على
الضيم ، أو يرضى بالهوان . وأرغمه الله وأدغمه : أي أذله وأخزاه .

(٢٩) المساعي : المكرمات وأعمال الخير والبر . ويبين : يبدو ويظهر . والفضل : الخير ،
والفضيلة . وقيمة الشيء : قدره ، واعتباره .

(٣٠) الفطن : جمع فطنة ، وهي الحدق ، والمهارة . وبذخ الجبل ونحوه : ارتفع ، فبان علوه
وارتفاعه . ويراد بالباذخة : المرتبة الرفيعة العالية من مراتب المجد والعز ، والشرف
والسودد .

(٣١) البادرة : البديهة ، ويراد بها ما يرتجله من الشعر والنثر . ورماح سمهرية : نسبة إلى
« سمهر » (بوزن جعفر) ، وهو رجل اشتهر عند العرب بتثقيف الرماح وتقويمها . ويريدون
بنسبتها إليه أنها أجود الرماح وأمضاها . وفتك به : بطش به ، وقتله .

لِكُلِّ عَصْرِ رَجَالٍ يُذَكَّرُونَ بِهِ وَالْفَضْلُ بِالنَّفْسِ لَيْسَ الْفَضْلُ بِالْقِدَمِ (٣٢)

وَقَالَ (*):

مَنْ لِعَيْنٍ إِنْسَانَهَا لَا يَنَامُ وَفُوَادٍ قَضَى عَلَيْهِ الْغَرَامُ (١)
 أَقْطَعَ اللَّيْلَ بَيْنَ حُزْنٍ وَدَمْعٍ وَسُهَادٍ وَالنَّاسُ عَنِّي نِيَامُ (٢)
 لَا صَدِيقٌ يَرْتِي لِمَا بَتُّ الْقَا هُ وَلَا مُسْعِدٌ فَأَيْنَ الْكِرَامُ؟ (٣)
 لَمْ تَدْعُ لَوْعَةَ الصَّبَابَةِ مِنِّي غَيْرَ نَفْسٍ غِذَاؤُهَا الْآلَامُ (٤)
 رَقٌّ طَبَعُ النَّسِيمِ رَفَقًا بِحَالِي وَبَكَى رَحْمَةً عَلَيَّ الْحَمَامُ (٥)
 وَبِنَفْسِي لَوْ كُنْتُ أَمْلِكُ نَفْسِي قَمَرٌ نُورُهُ عَلَيَّ ظَلَامُ (٦)

(٣٢) يقول : لكل زمان دولته ورجاله الذين اشتهروا به ، واشتهر بهم . وفضل الأفاضل منهم لا يكون بقدوم الزمان ، أو حدائته . وإنما يكون بما تنطوي عليه نفوسهم من الفضائل وكرم الخلال ، وما يخلدونه من الأعمال العظيمة ، والآثار النافعة ، والمساعي والمكارم .

(* يعارض البارودي بهذه القصيدة قصيدة لأبي الطيب المتنبي مطلعها :

لا افتخار إلا لمن لا يضام مدرك أو محارب لا ينام
 فالقصيدتان متفتتان في الوزن والروي ، وفي بعض المعاني .

(١) إنسان العين : حدقتها ، أو سوادها .

اشتدَّ به الوجد والغرام ، فذهب بقلبه ، وأورثه الهمَّ والأرق ؛ فاستنجد بمن يعينه على أمره ، ويخفف أوصابه ومتاعبه . والحبيب المتغزل به خير من ينجده بقربه ووصاله ، ويردَّ إليه أمانة النعاس ، ويحيي فؤاده ، ويحقق مراده .

(٢) أقطع الليل : أفضيه كله . والسهاد : الأرق ، والسهر . ونام عنه : غفل عنه .

(٣) رثي له : رحمه ، ورقَّ له . والمسعد : النصير ، والمجير ، اسم فاعل من أسعده ، أي أعانه وأنجده .

(٤) لم تدع : لم تترك . واللوعة : الحرقه . والصبابة : رقة الهوى ، وحرارة الشوق .

(٥) النسيم : الريح الطيبة اللينة اللطيفة . ورقَّة طبع النسيم : لينه واعتداله ولطف حركته .

(٦) شَبَّه حبيبه بالقمر وقال : إنه ضنين عليه باللقاء والوصال ؛ فلا يكاد يستمتع بشيء من ضيائه وبهائه ؛ ولهذا يعيش كثيراً ملتاعاً في ظلمات الصدود والهجران . ثم قال : إن نفسه ليست له ، وإنما هي لهذا الحبيب ، ولو عادت إليه لفداه بها .

تَسْتَطِيبُ الْقُلُوبُ فِيهِ الرِّزَايَا وَتَلْدُ الضَّنَى بِهِ الْأَجْسَامُ^(٧)
صَنَمٌ حَامَتِ الْقُلُوبُ عَلَيْهِ فَاَنْظُرُوا كَيْفَ تُعْبَدُ الْأَصْنَامُ؟^(٨)
غَيْرَتُهُ الْوُشَاةُ فَازُورَ عَنِّي وَهُوَ مِنِّي بِنَجْوَةٍ لَا تُرَامُ^(٩)
زَعْمُونِي أَتَيْتُ ذَنْبًا وَمَالِي يَعْلَمُ اللَّهُ فِي هَوَاهُ أَثَامُ^(١٠)
سَوْفَ يُلْقَى كُلُّ امْرِيٍّ مَا جَنَاهُ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأَحْكَامُ^(١١)
يَا نَدِيمِي عِلَّلَانِي فَلَنْ تَهْ لِيكَ نَفْسٌ قَدْ عَلَّلَتْهَا النَّدَامُ^(١٢)
رُبَّ قَوْلٍ يَرُدُّ لَهْفَةَ قَلْبٍ وَكَلَامٍ تَجِفُّ مِنْهُ الْكِلَامُ^(١٣)
وَمِنَ النَّاسِ مَنْ تَرَاهُ سَلِيمًا وَهُوَ دَاءٌ تَدْوَى بِهِ الْأَفْهَامُ^(١٤)

- (٧) استطابه يستطيه : وجده طيباً حسناً . وفيه : في الحبيب المتغزل به . والرزايا : المصائب والبلايا . والضنى : المرض الملازم الذي يشرف به المريض على الموت .
(٨) الصنم : الوثن . وحام حول الشيء ، وحام عليه : دار حوله ، وطاف به .
(٩) الوشاة : جمع الواشي ، وهو النمام الذي يفسد بين الناس . وازور عني : أعرض عني . والنجوة : ما ارتفع من الأرض . وهو بنجوة مني : أي هو بعيد عني . ولا ترام : لا تتنازل .
(١٠) زعم : ظن . وأكثر استعمال الزعم فيما يكون كاذباً أو باطلاً ، أو فيما يكون موضع شك وارتياب . والأثام : الإثم والذنب .
(١١) جنى ، جناية : أجرم وأذنب . وتجنى عليه : رماه بإثم لم يرتكبه . وترجع (بالبناء للمفعول) : من الرجوع ، مصدر رجع إليه الشيء ، أي رده إليه وأعادته . أو هو (بالبناء للفاعل) : من الرجوع ، مصدر رجع الشيء ، أي عاد . والأحكام : جمع الحكم ، مصدر حكم بكذا ، أي قضى به ، وفصل .
(١٢) نديمك : منادمك ، أي مسامرك ، ومصاحبك ، وجمعه ندام . وعلله : سقاه سقياً بعد سقي . وعلله : عالجه من علته وداواه .
(١٣) اللهفة : الحزن والأسى . ولهفة قلب العاشق : احتراقه ، ولوعته . وردّ اللهفة : صرفها ، وأزالها . والكلام في آخر البيت : الجروح . وجفاف الكلام : اندمالها ، وبرؤها ، وشفائها .
(١٤) تراه : تحسبه وتظنه . وسليماً : أي سليم القلب والضمير ، سالماً من الأحقاد والضغائن ، والمثالب والمعائب . و« هو داء » : أي تحسبه سليماً والحال أنه غير سليم . وقد بالغ فجعله الداء نفسه . وتدوى : تمرض . جعل الأفهام تدوى به ، لأنها تنخدع برهة بسلامة ظاهره .

قَدْ - لَعَمْرِي - بَلَوْتُ دَهْرِي فَمَا أَحَدٌ
 صَلَفٌ لَا يَبُلُّ غُلَّةً صَادٍ
 أَطْلُبُ الصَّدْقَ فِي الْوِدَادِ وَأَنْتَى
 كُلَّمَا قُلْتُ قَدْ أَصَبْتُ خَلِيلًا
 فَتَفَرَّدَ تَعِشْ بِنَفْسِكَ حُرًّا
 وَاحْذَرِ الضَّيْمَ أَنْ يَمَسَّكَ فَالضَّيْمُ
 ضَلَّ قَوْمٌ تَوَهَّمُوا الصَّبْرَ حِلْمًا
 يَحْسَبُونَ الْحَيَاةَ فِي الذُّلِّ عَيْشًا
 مَدَّتْ مِنْهُ مَا تَحْمَدُ الْأَقْوَامُ (١٥)
 وَمَرَاعٍ هَشِيمُهَا لَا يُشَامُ (١٦)
 يَصْدُقُ الْوُدُّ وَالْعُهُودُ رِمَامٌ؟ (١٧)
 أَضْحَكْتَنِي مِنْ غَدْرِهِ الْأَيَّامُ (١٨)
 رَبِّ فَرْدٍ يَخْشَاهُ جَيْشٌ لِهَامٌ (١٩)
 مُمْ حِمَامٌ يَفْرُ مِنْهُ الْجِمَامُ (٢٠)
 وَهَوَ - إِلَّا لَدَى الْكَرْبِيهَةِ - ذَامٌ (٢١)
 وَهُوَ مَوْتُ يَعِيشُ فِيهِ اللَّثَامُ (٢٢)

وَقَالَ :

- (١٥) بلوت : اختبرت ، وامتحنت وجربت . ودهر المرء : مدة حياته .
- (١٦) صلف صلفاً : أي قلَّ خيره وغناؤه . والغلة : شدة العطش وحرارته . والصادي : العطشان . والهشيم : المهشوم المتكسر من النبات الجاف . ولا يشام : لا يعتد به ، ولا يؤبه له .
- (١٧) رمام : خَلَقَ ، من قولهم : جبل رمام ، أي بال متقطع مستهلك . يقال : عظم رميم ، وعظام رمام .
- (١٨) الخليل : الصديق الخالص .
- يقول : كلما ظن أنه عثر على صديق صادق الود أخلفت الأيام ظنه ، وخيبت التجربة رجاءه ، وأظهرت له أن هذا الصديق كاذب في وداده ، فضحك سخرية ، أو فزعاً ، أو عجباً من عقم الدهر ، وضياع الوفاء ، وشيوع الكذب ، وقلة الصدق في الناس .
- (١٩) تفرَّد : اعتزل عن الناس . وجيش لهام : عظيم ، كثير ، قوي .
- (٢٠) الضيم : الظلم ، والقهر . والحمام : الموت .
- جعل الضيم أفظع وأنكى من الموت ، وخذَّر قبوله ، والرضا به .
- (٢١) ضلَّ : ضاع ، وهلك . وتوهم الشيء : ظنه ، أو تمثله وتخيله . والحلم : الأنساء ، والصفح . والكربيهة : الحرب ، أو الشدة فيها . وذام : عيب ، ونقص ، ومذمة .
- (٢٢) يحسبون : يظنون . والعيش : المعيشة والحياة . واللثام : جمع اللثيم ، صفة من اللؤم ، وهو أن يجتمع في الشخص الشح والبخل ، وخسة النفس ، ودناءة الطبع .

يَا نَدِيمِيَّ فِي « سَرْنَدِيبَ » كُفَّا
 أَنَا فِي هَذِهِ الدِّيَارِ غَرِيبٌ
 وَأَذْكَرَ لِي « فُسْطَاطَ » مِضْرَ فَايِي
 عَن مَلَامِي فَلَيْسَ يُغْنِي الْمَلَامُ (١)
 وَغَرِيبُ الدِّيَارِ لَيْسَ يُلَامُ (٢)
 بِهَوَاهَا مُتَيْمٌ مُسْتَهَامُ (٣)

- (١) نديمك : منادمك ، أي مجالسك على الشراب . و « سرنديب » أو « سيلان » جزيرة كبيرة من أرض الهند ، إليها نفي الشاعر وستة من رفاقه قادة الثورة العرابية بعد إخفاقها في شهر صفر سنة ١٣٠٠هـ الموافق ديسمبر سنة ١٨٨٢م . وفيها نظم البارودي أجود شعره ، وأشدّه تأثيراً في النفس . وقد لبث في ذلك المنفى السحيق زهاء سبعة عشر عاماً . وكفّ عن الشيء : انصرف عنه وامتنع . والملام : اللوم . ويغني : يفيد وينفع .
- (٢) احتجّ الشاعر لنفسه ، واستنكر أن يلومه لائم ؛ فإنه غريب في « سرنديب » ، بعيد عن وطنه وأهله ، منكوب بالنفي والإبعاد . ولأئمه يظلمه ويعاسره ، وإن كان مشفقاً راحماً ؛ لأنه يجمع عليه مرارة اللوم والتثريب ، ومرارة الغربة والبعد ، وحسرة الفراق والحرمان .
- (٣) الفسطاط : مصر القديمة التي أسسها عمرو بن العاص في موضع فسطاطه بعد فتحه مصر سنة ٢١هـ (٦٤١م) . وبهواها : بحبها ، أي بحب مصر . وهو متعلق بـ « متيم » ، أي متيم مستهام بسبب هواها . وهو هائم بحبيبه ، ومستهام به : أي اشتد تعلقه به ، حتى أصابه الهيام ، وهو جنون الحب والعشق والغرام .

قافية النون

وَقَالَ يَذْكُرُ وَدَاعَهُ لِلْوَطَنِ* ، وَيَشْكُرُ صَاحِبًا عَلَى صِدْقِ وَدَادِهِ :

مَحَا الْبَيْنُ مَا أَبْقَتْ عُيُونُ الْمَهَا مِني فَثَبَّتْ وَلَمْ أَقْضِ اللَّبَانَةَ مِنْ سِنِّي (١)
عَنَاءٌ وَيَأْسٌ وَاشْتِيَاقٌ وَغُرْبَةٌ أَلَا شَدَّمَا الْقَاهُ فِي الدَّهْرِ مِنْ غَبْنِ (٢)
فَإِنْ أَكُ فَارَقْتُ الدِّيَارَ فَلِي بِهَا فَوَادُ أَضَلَّتْهُ عُيُونُ الْمَهَا مِني (٣)

(*) في ٣ من ديسمبر سنة ١٨٨٢م حكمت المحكمة العسكرية المصرية بالإعدام على سبعة من قادة الثورة العرابية ، أولهم « أحمد عرابي » ، وثانيهم « محمود سامي البارودي » . وما لبث الخديوي « توفيق » أن خفف هذا الحكم ، فاستبدل به النفي المؤبد . وقبل فجر اليوم الثامن والعشرين من ديسمبر سنة ١٨٨٢م أقلت إحدى السفن الإنجليزية هؤلاء المنفيين ، من ميناء السويس إلى « سيلان » ، واسمها أيضاً « سرنديب » ، وهي جزيرة كبيرة في المحيط الهندي إلى الجنوب الشرقي من الهند ، استعمرتها بريطانيا من سنة ١٧٩٥ إلى سنة ١٩٤٨ .
وفي ذلك اليوم العصيب نظم البارودي هذه القصيدة الخالدة .

(١) محاه : أزاله ، وأذهب أثره . والبين : البعد والفراق . والمها : البقر الوحشي ، الواحدة مهاة (بوزن قناة) ، وبها تشبّه الحسناء من النساء في جمال العينين ، وحسن اتساعهما . واللبانة (بضم اللام) : الحاجة .

(٢) العناء : التعب والمشقة . واليأس : القنوط ، وضده الرجاء . والاشتياق : نزاع النفس إلى الشيء ، ورغبتها فيه . والغربة : الاغتراب ، وهو النزوح عن الوطن . وشدّ الشيء : ثقل ، وصعب . وفي الدهر : أي في دهر الشاعر ، أي في حياته . والغبن (بفتح فسكون) : الشر ، والهوان .

(٣) أضله : أخفاه وغيّبه .

بَعَثْتُ بِهِ يَوْمَ النَّوَى إِثْرَ لِحْظَةٍ فَأَوْقَعَهُ الْمِقْدَارُ فِي شَرِكِ الْحُسْنِ (٤)
 فَهَلْ مِنْ فَتَى فِي الدَّهْرِ يَجْمَعُ بَيْنَنَا ؟ فَلَيْسَ كِلَانَا عَنْ أُخِيهِ بِمُسْتَعْنٍ (٥)
 وَلَمَّا وَقَفْنَا لِلْوَدَاعِ وَأَسْبَلْتُ مَدَامِعُنَا فَوْقَ التَّرَائِبِ كَالْمُزْنِ (٦)
 أَهْبْتُ بِصَبْرِي أَنْ يَعُودَ فَعَزَّنِي وَنَادَيْتُ جِلْمِي أَنْ يَثُوبَ فَلَمْ يُغْنِ (٧)
 وَلَمْ تَمْضِ إِلَّا خَطْرَةٌ ثُمَّ أَقْلَعْتُ بِنَا عَنْ شَطُوطِ الْحَيِّ أَجْنَحَةَ السُّفْنِ (٨)
 فَكَمْ مُهْجَةً مِنْ زَفْرَةِ الْوَجْدِ فِي لَظَى وَكَمْ مُقْلَةً مِنْ غَزْرَةِ الدَّمْعِ فِي دَجْنِ (٩)
 وَمَا كُنْتُ جَرَّبْتُ النَّوَى قَبْلَ هَذِهِ فَلَمَّا دَهْتَنِي كِدْتُ أَقْضِي مِنَ الْحُزْنِ (١٠)

(٤) به : أي بفؤادي . والنوى : البعد والافتراق . وجاء في إثره ، وفي أثره : أي تبعه عن قرب ، أو جاء في عقبه . ولحظة : نظرة . والمقدار : القضاء والقدر . والشرك : حباله الصيد . ويراد بالحسن : حسن الحسان الفاتنات .

(٥) الفتى هنا : اسم «من الفتوة» ، بمعنى النجدة ، والكرم ، والشهامة . أي فهل يتاح لنا شهيم كريم من ذوي النجدة يجمع بيننا ؟ .

(٦) أسبلت (بالبناء للفاعل) : سالت ، وجرت . والمدامع : واحدها مدمع ، وهو مسيل الدمع . ويراد بالمدامع هنا : الدموع . والترائب : عظام الصدر ، أو موضع القلادة منه . والمزن : جمع مزنة ، وهي المطرة ، أو السحابة تحمل الماء .

(٧) أهاب بصبره : دعاه وناداه . وعزني : غلبني ، واستعصى علي . والحلم : الأناة ، والتصبر ، وضبط النفس . ويثوب : يعود ويرجع . ولم يغن : لم ينفع . يقال : أغناني كذا ، أي كفاني . وما يغني عنك هذا : أي لا يجزيء عنك ، ولا ينفعك .

(٨) الخطرة : البرهة القصيرة . وأقلعت : ارتحلت ، وسارت . والشطوط : جمع شط ، وهو جانب النهر وشاطئه . ويراد بشطوط الحي هنا : السواحل المصرية . وأجنحة السفن : قلاعها ، وأشرعتها التي تنشر وتبسط .

(٩) المهجة : دم القلب ، أو الروح . ويراد بها هنا : القلب . والوجد : الأسى والحزن . وزفرته : لوعته ، وحرقته . واللظى : النار ، أو لهبها الخالص الذي لا دخان فيه . والمقلة : العين . وغزرة الدمع : كثرته وغزارته . والدجن : المطر الكثير .

(١٠) النوى : البعد ، والفرقة . وداه الأمر يدهاه : نزل به ، وأصابه . وقضى يقضي : هلك ومات . وكدت أقضي : أي أشرفت على الهلاك .

وَلَكِنِّي رَاجَعْتُ حِلْمِي وَرَدَّنِي
وَلَوْلَا بُنَيَاتٌ وَشَيْبٌ عَوَاطِلُ
فِيَا قَلْبُ صَبْرًا إِنْ جَزَعْتَ فَرُبَّمَا
فَقَدْ تُورِقُ الْأَغْصَانُ بَعْدَ ذُبُولِهَا
وَأَيُّ حُسَامٍ لَمْ تُصِبْهُ كَهَامَةٌ
وَمَنْ شَاغَبَ الْأَيَّامَ لَانَ مَرِيرُهُ
إِلَى الْحَزْمِ رَأْيِي لَا يَحُومُ عَلَى أَفْنٍ (١١)
لَمَا قَرَعَتْ نَفْسِي عَلَى فَائِتِ سِنِّي (١٢)
جَرَتْ سُنْحًا طَيْرُ الْحَوَادِثِ بِالْيَمَنِ (١٣)
وَيَبْدُو ضِيَاءُ الْبَدْرِ فِي ظُلْمَةِ الْوَهْنِ (١٤)
وَلَهْذُمُ رُمَحٍ لَا يُفْلُ مِنَ الطَّعْنِ (١٥)
وَأَسْلَمَهُ طُولُ الْمِرَاسِ إِلَى الْوَهْنِ (١٦)

(١١) راجعت حلمي : أي رجعت إليه ، وغلبته . والحلم : العقل ، والأناة ، وضبط النفس .
والحزم : ضبط الأمر . وحام على الشيء : دار حوله . والأفن : الضعف ، والفساد ، ومنه
المأفون : وهو الضعيف الرأي والعقل . ورأي لا يحوم على أفن : أي رأي صائب قوي سديد ،
لا يعتوره خلل ، أو ضعف ، أو فساد .

(١٢) بنيات : جمع بنية ، تصغير « ابنة » . والشيب (بكسر الشين) : جمع الأشيب ، وهو الذي
ابيض شعره . وعطلت المرأة : خلت من الحلي ، فهي عاطل ، والجمع عواطل . وعطلت
الإبل ونحوها : تركت بلا راع . وهذا المعنى هو المراد هنا . وقرع عليه سنه : صكها ندماً
وحسرة وأسفاً . وفائت : اسم فاعل من فاته الأمر ، أي أعوزه ، أو أفلت منه ، أو سبقه فلم
يدركه .

(١٣) الجزع : الحزن الشديد . وسنح (بضم السين) : جمع سنيح (بوزن فصيح) ، صفة من سنح
الطائر وغيره ، إذا مر من مياسرك إلى ميامنك ، فولأك ميامنه . والعرب يتيمنون به ويتبركون .
والسنح (بضم فسكون) : اليمن والبركة والسعد . والحوادث : جمع الحادث والحادثه .
وحوادث الدهر : كوارثه ، وتوابعه . واليمن (بضم فسكون) : البركة والخير والسعد ، وهو
تأكيد لمعنى « سنحاً » ، أي جرت طير الحوادث سانحات باليمن .

(١٤) الوهن : نحو من نصف الليل ، أو بعد ساعة منه ، أو حين يدبر .
(١٥) الحسام : السيف القاطع . وحسام السيف : طرفه الذي يضرب به . وكهامة : كلاله
وضعف . وسيف كهام : كليل ، لا يقطع . ولهزم الرمح : سنامه ، أي حديدته القاطعة .
وفله : ثلمه ، وكسره .

(١٦) شاغب الأيام : خاصمها ، وعاسرها . والشغب (بفتح فسكون) : الخصام ، والاضطراب ،
وإثارة الفتنة . ويراد بالأيام : الناس ، أو ما يتخيله مثل هذا الشاعر في طبع الليالي والأيام من
معاصرة الكرام الأحرار ، ومياسرة اللثام الأشرار . ولان : سهل ، وانقاد . والمرير : العزيمة
والقوة والبأس . وأسلمه للهلكة : أي انتهى به إليها ، فكانت مصيره وخاتمته . وطول

وَمَا الْمَرْءُ فِي دُنْيَاهُ إِلَّا كَسَالِكٍ وَمَنَاهِجَ لَا تَخْلُو مِنَ السَّهْلِ وَالْحَزَنِ (١٧)
 فَإِنْ تَكُنِ الدُّنْيَا تَوَلَّتْ بِخَيْرِهَا فَأَهْوُونَ بِدُنْيَا لَا تَدُومُ عَلَيَّ فَنِّ! (١٨)
 تَحَمَّلْتُ خَوْفَ الْمَنِّ كُلَّ رَزِيئَةٍ وَحَمَلُ رَزَايَا الدَّهْرِ أَحْلَى مِنَ الْمَنِّ (١٩)
 وَعَاشَرْتُ أَخْدَانًا فَلَمَّا بَلَوْتُهُمْ تَمَنَيْتُ أَنْ أَبْقَى وَحِيدًا بِلَا خِذْنِ (٢٠)
 إِذَا عَرَفَ الْمَرْءُ الْقُلُوبَ وَمَا انْطَوَتْ عَلَيْهِ مِنَ الْبُغْضَاءِ عَاشَ عَلَى ضِغْنِ (٢١)
 يَرَى بَصْرِي مَنْ لَا أَوْدُ لِقَاءِهِ وَتَسْمَعُ أُذُنِي مَا تَعَافُ مِنَ اللَّحْنِ (٢٢)
 وَكَيْفَ مُقَامِي بَيْنِ أَرْضٍ أَرَى بِهَا مِنَ الظُّلْمِ مَا أَخْنَى عَلَى الدَّارِ وَالسَّكْنِ (٢٣)

المراس : طول التمرس بمكافحة الشرور والمفاسد والآفات ، ومحاولة تعديل المعوج من الأمور العامة . والوهن (بفتح فسكون) : الضعف .

(١٧) المناهج : الطرق ، واحدها منهج . والحزن (بفتح فسكون) : ما غلظ من الأرض وصلب ، وجمعه حزون ، وضده السهل .

(١٨) تولت : أدبرت وذهبت . وتولى عنه : أعرض عنه ، وتركه . وأهون بدنيا : أسلوب تعجب ، ومثله : « ما أهون الدنيا » : أي ما أحقرها ! وما أذلها ! من هان الشيء يهون هواناً : أي ذلَّ وحقر . والفنّ : الحال ، وجمعه أفنان ، وفنون .

(١٩) الرزايا : جمع الرزية ، وهي المصيبة ، وأصلها الهمز « رزية » ، والهمز والتسهيل فيها مستعملان . والمن : مصدر من المرء على غيره ، إذا فخر بنعمته عليه ، حتى كدّرها بفخره . وأحلى من المنّ : أهون ، وأخفّ ، وأيسر .

والبيت - مع جريانه مجرى الحكم والأمثال - من فخريات البارودي الشائعة في شعره . وهو تصوير صحيح صادق لمزية من مزاياه ، وفضيلة من فضائله النفيسة ، وهي عزة نفسه ، وكبرياؤه المحمودة :

خُلِقْتُ عَيْوُفًا لَا أَرَى لِابْنِ حُرَّةٍ عَلَيَّ يَدًا أَغْضِي لَهَا جِينَ يَغْضِبُ

(٢٠) الأخدان : جمع خدن (بكسر فسكون) ، وهو الصديق . وبلوتهم : اختبرتهم ، وجربتهم .

(٢١) البغضاء : شدة البغض والكراهية . والضغن (بكسر فسكون) : الحقد الشديد ، وهو الانطواء على العداوة والبغضاء ، وجمعه أضغان ، ومثله الضغينة ، وجموعها ضغائن .

(٢٢) تعاف : تكره . ويراد باللحن هنا : الكلام مطلقاً .

(٢٣) المقام (بضم الميم) : الإقامة . وبين أرض : أي في أرض ، أو بأرض ، أو بين أهلها وسكانها . ويريد بالأرض : أرض مصر التي فشا فيها الظلم والفساد ، أو يريد الظالمين

فَسَمِعُ أُبَيْنِ الْجَوْرِ قَدْ شَاكَ مِسْمَعِي
 وَصَعْبُ عَلَيَّ ذِي اللَّبِّ رِثْمَانُ ذِلَّةٍ
 إِذَا الْمَرْءُ لَمْ يَرْمِ الْهِنَاءَةَ بِمِثْلِهَا
 فَلَا تَعْتَرِفُ بِالذُّلِّ خِيفَةَ نِقْمَةٍ
 وَكُنْ رَجُلًا إِنْ سِيمَ خَسْفًا رَمَتْ بِهِ
 فَلَا خَيْرَ فِي الدُّنْيَا إِذَا الْمَرْءُ لَمْ يَعِشْ
 وَلَا تَرَهَّبِ الْأَخْطَارَ فِي طَلَبِ الْعُلَا
 وَرُؤْيُةٌ وَجْهِ الْغَدْرِ حَلَّ عُرَا جَفْنِي (٢٤)
 يَظَلُّ بِهَا فِي قَوْمِهِ وَاهِي الْمَتْنِ (٢٥)
 تَخْطَى إِلَيْهِ الْخَوْفُ مِنْ جَانِبِ الْأَمْنِ (٢٦)
 فَعَيْشُ الْفَتَى فِي الذُّلِّ أَذْهَى مِنَ السَّجْنِ (٢٧)
 حَمِيَّتُهُ بَيْنَ الصَّوَارِمِ وَاللُّدْنِ (٢٨)
 مَهِيْبًا تَرَاهُ الْعَيْنُ كَالنَّارِ فِي دَغْنِ (٢٩)
 فَمَنْ هَابَ شَوْكَ النَّحْلِ عَادَ وَلَمْ يَجْنِ (٣٠)

المفسدين من حكامها ، وولاية الأمر فيها . وأخنى عليه : أفسده ، أو أهلكه وأرداه . والسكن
 (بفتح فسكون) : أهل الدار وسكانها .
 (٢٤) الجور : الظلم . وشاكه : أضرب به ، وآذاه . والمسمع : الأذن . والغدر : الإخلال
 بالموثق ، ونقض العهد ، وترك الوفاء . وانحلال عرا الجفون : كناية عن الأرق والسهاد .
 (٢٥) صعب عليه : شقَّ عليه ، واشتدَّ . وذو اللب : العاقل . واللب : العقل . ورثمان الذلة :
 الرضا بالذل ، والإقامة على الضيم . مصدر رثم الإنسان الشيء : إذا ألفه ، واعتاده .
 والواهي : الضعيف .
 (٢٦) الهناة : الداهية ، والأمر المنكر العظيم . وجمع الهناة هنوات (بوزن قناة وقنوات) . ورمى
 الهناة بمثلها : دفع الشر بالشر . وتخطى إليه الخوف : أي مشى إليه ، واستولى عليه ، أي أن
 الخوف يفاجيء المرء من مأمته ، أو أنه إن انخدع به فإنما ينخدع بأمن كاذب ، وسلام
 زائف .
 (٢٧) اعترف بالشيء : أقرَّ به . والخيفة والمخافة : الخوف والاهتياب . والنقمة (بكسر
 فسكون) : العقوبة ، وجمعها نقم (بوزن محنة ومحن) . وأدهى : أنكى وأشد .
 (٢٨) سامه خسفاً : أولاه ذلاً ، وأراده على الهوان . والحمية : الأنفة ، والعزة . والصوارم :
 السيوف المواضي القواطع ، جمع صارم . واللدن : الرماح ، يقال رمح لدن (بفتح
 فسكون) : أي فيه لدانة ، أو لدونة ، وهي اللين والمرونة . واللدانة من صفات الجودة في
 الرماح .
 (٢٩) هابه : أجله وعظمه . ومهيب : أي يهابه الناس ويجلونه . والدغن : الدجن ، أي الظلمة .
 (٣٠) النهي في أول البيت : للنصح والإرشاد . ورهبه (من باب طرب) : حذره وخافه .
 والأخطار : جمع خطر (بوزن سبب وأسباب) ، وهو الإشراف على الهلاك ، وخوف التلف .

وَلَوْلَا مُعَانَاةُ الشَّدَائِدِ مَا بَدَتْ مَزَايَا الْوَرَى بَيْنَ الشَّجَاعَةِ وَالْجُبْنِ (٣١)
فَإِنْ لَمْ تَجِدْ فِي الْمُدْنِ مَا شِئْتَ مِنْ قَرَى فَأَصْحَرُ فَإِنَّ الْبَيْدَ خَيْرٌ مِنَ الْمُدْنِ (٣٢)

وخاطر بنفسه مخاطرة : أي فعل ما يكون الخوف فيه أغلب . والعلا : الرفعة والشرف ، ومثله العلاء . والعلا أيضاً : جمع العليا (بوزن الكبرى والكبر) . وهابه : حذره وخافه . وجنى الثمرة (من باب رمى) واجتناها : تناولها من منبتها .

يحضّ على اقتحام الأخطار لبلوغ الأوطار ، ويدعو إلى ركوب الأهوال في طلب المعالي ، وتحقيق الآمال . والشطر الثاني تذييل جار مجرى المثل ، مؤكداً لمعنى الشطر الأول ، فمن تهيب المخاوف أخفق ، وباء بالحرمان ، « ولا بدّ دون الشهد من إبر النحل » . وصلة هذا البيت بما قبله وما بعده ظاهرة ، وهي التحريض على إباء الضيم ، ومكافحة الظلم ، والترغيب في حياة العز والكرامة . ويلاحظ أن الأبيات التي تقصد إلى النصح والإرشاد ، وتجرى مجرى الحكم والأمثال كثيرة في هذه القصيدة ، وأكثرها في مثل هذا المعنى .

(٣١) عاناه معاناة : قاساه ، وكابده ، وضاناه . والشدائد : الصعاب ، والمشاق ، وما يحرك الناس من البلايا ، وما يهزهم من حوادث الدهر . ومعاناة الشدائد : ركوب الأهوال والصعوبات ، والتمرس بالنوائب والآفات . وبدت : اتضحّت ، وظهرت . والمزايا : المنازل ، والمواقع (كما في تهذيب اللغة للأزهري) ، الواحدة مزية (بوزن عطية وعطايا) . والورى : الخلق ، والناس ، والأنام الذين على وجه الأرض . وفي الأصل المخطوط « ولو » وإنما يستقيم المعنى والوزن بـ « لولا » .

يقول : إن مواقع الناس ومنازلهم في حياتهم الدنيا تبدو متفاوتة بين النقيضين : الشجاعة ، والجبْن ، أو بحسب ما يميزهم من الإقدام والإحجام . وإنما يظهر هذا التفاوت ما يكابدونه من صعوبات الحياة ، وما يهزهم من بلايا الدهر ؛ فالمكافح المجالد شجاع مقدام ، والمستسلم المستكين جبان رعديد . والغرض الحضّ على مكافحة النوازل ، ومجالدة الخطوب في صبر وثبات ، وعزم وقوة ، وشجاعة وإقدام .

(٣٢) المدن (بضم فسكون ، أو بضمّتين) ، وكذا المدائن : جمع المدينة ، وهي المصر الجامع ، أي الكورة الكبيرة ، تقام فيها الدور ، والأسواق ، والمدارس ، وغيرها من المرافق العامة . والقرى (بوزن الرضا) : ما يقدم إلى الضيف . وقرى المضيف ضيفه يقريه (كفداه يفديه) : أكرمه ، وأحسن إليه بما يقتضيه حسن الضيافة . ويراد بالقرى هنا : ما تتطلبه حياة الأحرار الكرام ذوي الأنفة والحمية من العزة ، والحرية ، والكرامة ، والمنعة . وأصحّر : أمر يراد به النصح والإرشاد ، من أصحّر إصحاراً : أي خرج إلى الصحراء . والبيد (بكسر

صَحَارٍ يَعْيشُ الْمَرْءُ فِيهَا بِسَيْفِهِ شَدِيدَ الْحَمِيَّا غَيْرَ مُغْضٍ عَلَى دَمِنٍ (٣٣)
وَأَيُّ حَيَاةٍ لِأَمْرِيءٍ بَيْنَ بَلَدَةٍ يَظَلُّ بِهَا بَيْنَ الْعَوَائِنِ وَالذُّخَنِ؟ (٣٤)
لَعَمْرِي لَكُوخٌ مِنْ تُمَامٍ يَتَلَعَهُ أَحَبُّ إِلَيَّ قَلْبِي مِنَ الْبَيْتِ ذِي الْكِنِّ (٣٥)
وَأَطْرَبُ مِنْ دِيكَ يَصِيحُ بِكُوَّةٍ أَرَاكِيَّةٌ تَدْعُو هَدِيلاً عَلَى غُضَنِ (٣٦)
وَأَحْسَنُ مِنْ دَارٍ وَخِيمٍ هَوَاؤُهَا مَبِيَّتِكَ مِنْ بُجْبُوحَةِ الْقَاعِ فِي صَحْنِ (٣٧)

(الباء) : الفلوات ، والمفازات ، والصحاري ، والأراضي الواسعة المقفرة ، الواحدة بيداء (بوزن صحراء) .

(٣٣) يعيش المرء فيها بسيفه : أي يحيا فيها معتمداً على سيفه . وشديد الحميا : عزيز النفس . ومغض : اسم فاعل من أغضى على ما يكره إغضاء ، أي سكت ، وصبر عليه . والدمن : ما اختلط من البعر والطين فتلبد . والشاعر يكني بالدمن هنا عن الأذى والضيم ، والسوء والفساد .

(٣٤) العوائن : الدواخن ، وهما جمع على غير قياس للعُثان والذُخان (بوزن واحد ، ومعنى واحد) ، وقد يراد بالعُثان : الغبار ، والدخن .

أشار إلى بعض عيوب المدن ، وأنكر الحياة فيها وعابها واحتقرها . وكنى بالعوائن والدخن عن فساد الجو ، وفساد البيئة ، وفساد المعيشة .

(٣٥) التمام (بضم التاء) : نبت ضعيف ، أو عشب ، يسمو إلى نحو متر ونصف متر ، واحدته ثمامة . والتلعة (بوزن القلعة) : ما ارتفع من الأرض ، وما انهبط منها ، فهو من الأضداد . والكنن (بكسر الكاف) : وقاء كل شيء وستره ، وكل ما يرد الحر والبرد من الأبنية وغيرها . ويريد بالبيت ذي الكنن : البيت الحضري الذي اجتمعت فيه أسباب الدعة والرفاهية . ويقابله الكوخ المتخذ من التمام في تلة من تلاع الصحراء .

(٣٦) أطرب : اسم تفضيل من طرب ، وحق اسم التفضيل هنا أن يكون من الرباعي ؛ فيقال : الأراكية أشد إطراباً من ديك الصباح . والكوة : فتحة في الجدار يدخل منها الهواء والضوء . ويراد بالأراكية : الحمامة ، نسبة إلى شجر الأراك . والهديل : فرخ الحمام .

(٣٧) هواء وخيم : رديء ، فاسد . والبجوحه (بضم الباءين) من كل شيء : وسطه . والقاع : أرض مستوية مطمئنة عما يحيط بها من الجبال والأكام . والصحن : الأرض الواسعة المنبسطة ، لا شجر فيها . وصحن الفلاة : ما اتسع منها . و«من» في الشطر الثاني : بيانية ، أي مبيتك في فضاء فسيح من قيعان الصحراء أحسن من إقامتك في دار وخيم هواؤها .

تَرَى كُلَّ شَيْءٍ نُصِبَ عَيْنَيْكَ مَائِلًا كَأَنَّكَ مِنْ دُنْيَاكَ فِي جَنَّتِي عَدْنٍ (٣٨)
تَدُورُ جِيَادُ الْخَيْلِ حَوْلَكَ شُرْبًا تُجَاذِبُ أَطْرَافَ الْأَعْنَةِ كَالْجَنِّ (٣٩)
إِذَا سَمِعْتَ صَوْتَ الصَّرِيخِ تَنَصَّبَتْ فَتُدْرِكُ مَا لَا تُبْصِرُ الْعَيْنُ بِالْأَذْنِ (٤٠)
فَتَيْلُكَ - لَعْمَرِي - عَيْشَةٌ بَدْوِيَّةٌ مُوْطَأَةٌ الْأَكْنَافِ رَاسِخَةٌ الرَّكْنِ (٤١)
وَمَا قُلْتُ إِلَّا بَعْدَ عِلْمٍ أَجَدُّ لِي يَقِينًا نَفَى عَنِّي مُرَاجَعَةَ الظَّنِّ (٤٢)
فَقَدْ ذُقْتُ طَعْمَ الدَّهْرِ حَتَّى لَفَظْتُهُ وَعَاشَرْتُ حَتَّى قُلْتُ لِابْنِ أَبِي دَعْنِي (٤٣)
وَلَوْلَا أَخٌ أَحْمَدْتُ فِي الْوُدِّ عَهْدَهُ عَلَى حَدَثَانِ الدَّهْرِ مَا كُنْتُ أُسْتَشْنِي (٤٤)

(٣٨) نصب عينيك : أمامهما . ومائلاً : قائماً منتصباً ، أي كأنك في دنياك مقيم في جنات النعيم والخلود .

(٣٩) جياذ الخيل : خيارها وكرامها . وشرباً : جمع شارب ، اسم فاعل أو صيغة مبالغة من شرب ، وهو حال من جياذ . وجاذبه الحبل وغيره ، وتجاذباه : أي تنازعاها ، وجذبه كل منهما إلى نفسه . والأعنة : جمع عنان ، وهو سير اللجام الذي تمسك به الدابة . والجن : خلاف الإنس ، وبهم يضرب المثل في النشاط ، والقوة ، وخفة الحركة ، وشدة البأس .

(٤٠) صوت الصريخ : صوت المستغيث أو الاستغاثة . وتنصبت : أقامت آذانها ، ورفعتهما ، وبدت عليها أمارات الاهتمام والتأهب .

(٤١) موطأة : مهياة ممهدة . والأكناف : الجوانب والنواحي ، جمع كنف (بوزن سبب) . وراسخة : ثابتة مستقرة . والركن : الأساس .

(٤٢) أجد له العلم يقينا : أي رفع علمه ومعرفته إلى مرتبة اليقين . وراجعه مراجعة : رجع إليه ، وعاوده .

والمعنى : أن قوله السابق في الحياتين : البدوية والحضرية مؤسس على العلم واليقين ، لا على الظن والتخمين .

(٤٣) ذقت طعم الدهر : أي خبرته وبلوته . ولفظ الشيء من فمه : رماه ، وقذف به . ولفظت طعم الدهر : أي لفظت الناس ، وضجرت منهم . وعاشر الناس : خالطهم ، وصاحبهم . وابن أبي : أخي . ودعني : اتركني ، وتنع عني .

(٤٤) أخ : أي صديق . وأحمدته إحماًداً : وجده محموداً ، وارتاح له . والود : المحبة . وعهده : زمانه ، أي زمن صحبته . وحدثان الدهر : نوائب الزمان ، وحوادثه .

وَرُبَّ بَعِيدِ الدَّارِ يُصْفِيكَ وَدَّهُ
وَمَا الْوُدُّ فِي الْقُرْبَى وَإِنْ هِيَ أَوْجَبَتْ
إِذَا لَمْ يَكُنْ بَيْنَ الْوَدِيدَيْنِ خُلَّةٌ
فَذَلِكَ أَخٌ لَوْلَاهُ أَنْكَرْتُ كُلَّ مَا
فَإِنْ لَمْ أُصْرِّحْ بِاسْمِهِ خَوْفَ حَاسِدٍ
عَلَى أَنْ ذَكَرَاهُ - وَإِنْ كَانَ نَائِيًا -
وَمُقْتَرِبٍ يَجْنِي عَلَيْكَ وَلَمْ تَجْنِ (٤٥)
وَلَكِنَّهُ فِي الطَّبَعِ وَالشَّكْلِ وَالْوَزْنِ (٤٦)
فَلَا أَدَبٌ يُجَدِّي وَلَا نَسَبٌ يُذْنِي (٤٧)
سَمِعْتُ بِهِ عَنْ أَحْنَفِ الْحِلْمِ أَوْ مَعْنِ (٤٨)
يَنْمُ عَلَيْهِ فَهَوِيَ عِلْمٌ مَنْ أَعْنِي (٤٩)
سَمِيرُ فُوَادِي فِي الإِقَامَةِ وَالظَّنِّ (٥٠)

(٤٥) يريد ببعيد الدار : الصديق الذي لا تربطك به صلة رحم أو نسب ، وضده المقترِب . وأصفاه الودّ : أخلصه له ، وكان صادق المحبة والإخاء ، حريصاً على البرّ والوفاء . وجنى عليه : أجرم في حقه ، وأذنب ، وأساء إليه ، واعتدى عليه .

(٤٦) القربى والقربة : صلة النسب . وأوجب : أي جعله واجباً لازماً ثابتاً . ويراد بالطبع والوزن والشكل : التوافق والوثام والانسجام بين الأصدقاء .

والمعنى : أن قرابة الرحم من شأنها أن تحتم التوادّ والتراحم بين الأقرباء ، ولكنها كثيراً ما تتخلف ، فتكون الجفوة والقطيعة . وإنما يكون الود الصادق المثمر فيما يكون من توافق ووثام وائتلاف .

(٤٧) الوديد : المحب . والخلة (بضم الخاء) : الصداقة . والأدب : رياضة النفس بالتعليم والتهديب على ما ينبغي . وأجدى : نفع وأفاد . وأدنى الشيء : قرّبه .

(٤٨) أنكر الشيء إنكاراً : جحدته ، ولم يعترف به . والأحنف بن قيس : من سادات التابعين ، يضرب به المثل في الحلم والأناة ، وضبط النفس ، ورجاحة العقل ، والصبر المحمود ، وكان الأحنف - إلى حلمه - شهماً عزيزاً في قومه ، إذا غضب غضب له مائة ألف سيف ، لا يسألون لماذا غضب . توفي سنة ٦٧ هـ .

و«أبو الوليد معن بن زائدة» : اشتهر بالشجاعة ، والجود ، وجزالة العطاء ، وخصه الشاعر « مروان بن أبي حفصة » بأكثر مدائحه . عاش في دولتي بني أمية ، وبني العباس ، ثم قتله الخوارج سنة ١٥١ هـ .

(٤٩) حاسد : اسم فاعل من الحسد ، وهو تمنى زوال نعمة من مستحق لها ، وربما كان مع ذلك سعي في إزالتها . ونمّ عليه : وشى به ، والإسم النميمة : وهي الشيافة ، والإفساد بين الناس . وأعني : أريد ، وأقصد .

(٥٠) الذكري : كثرة التذكّر . والسмир : المسامر . وسمير فواده : مؤانسه الذي يسكن إليه ،

أَنُوحُ لِبُعْدِي عَنْهُ حُزْنًا وَلَوْعَةً كَمَا نَاحَ مِنْ شَوْقٍ جَمِيلٍ عَلَى بُشْنٍ (٥١)
فَمَنْ لِي بِهِ خِلاً كَرِيماً نِجَارُهُ؟ فَقَدْ سَمِئَتْ نَفْسِي مُعَاشِرَةَ الْهَجْنِ (٥٢)
تُجَاذِبُنِي نَفْسِي إِلَيْهِ وَدُونَنَا أَهَاوِيلُ مُلْتَجِّ الْغَوَارِبِ مُسْتَنَّ (٥٣)
لَعَلَّ يَدَ الْأَيَّامِ تَسْخُوبِلُقْيَةِ أَرَاهُ بِهَا بَعْدَ الْكَزَازَةِ وَالضَّنِّ (٥٤)

وتزول به وحشته . والظعن : السير والارتحال ، وضده الإقامة . وفي الإقامة والظعن : أي في دوام واستمرار .

(٥١) ناح : بكى في جزع وعويل . واللوعة : حرقه في القلب ، وألم من حب وشوق ، أو حزن وهم .

« جميل » بن عبد الله بن معمر ، من بني عُذرة ، أشهر الشعراء العشاق العذريين في زمانه ، كان صادق الصباية والعشق . ولد ونشأ بوادي القرى ، شمالي المدينة ، وتوفي ودفن بمصر سنة ٨٢هـ (٧٠١م) . عشق « بثينة » ، وهي من بني عُذرة أيضاً .

وفي « جميل » لـ « بثينة » كل الوفاء ، وشهرها ، واشتهر بها حتى سمي « جميل بثينة » ، وسماها في شعره « بشن » و « بثنة » و « بشين » و « بثينة » ، ولم يتغزل بغيرها ، ولم يتزوج . وأقام على حبها والتشبيب بها حتى مات . وقد رفض أهلها خطبته ، وزوجها غيره ، فلم يفتقر تعلقها بجميل ، ولم تجد عنه سلواناً . ولما نعي إليها غشي عليها ، وبكته أحرّ البكاء . وأخبارهما كثيرة .

(٥٢) من لي به : أي من يجمعني به . والخل : الخليل والصديق . وكريم : صفة من الكرم بمعناه العام ، وهو جماع المحاسن الكبيرة ، والأفعال المحمودة . ونجاره : أصله ، وحسبه . وكريم النجار : شريف الأصل ، ماجد المحتد ، فاضل . والمعاشرة : المخالطة ، والمصاحبة . والهجن (بضم فسكون) : جمع هجين (بوزن ضنين) ، وهو اللثيم ، وأصله الرجل من أب عربي ، وأم غير عربية .

(٥٣) تجاذبني نفسي إليه : أي تشدني إليه ، وتربطني به . و « دون » : بمعنى « بين » . وأهاويل : أي مخاوف وأخطار ، جمع أهوال . وواحد الأهوال : هول (مثل قول ، وأقوال ، وأقاويل) : وهو الفزع . وملتج : اسم فاعل من التج البحر : إذا اضطرب ، وتلاطمت أمواجه . وغوارب البحر : أعالي موجه ، جمع غارب . ومستن : مضطرب ، متلاطم الأمواج ، وهو تأكيد لمعنى « ملتج الغوارب » . ولعل المراد بالمستن الملتج الغوارب : البحر الأحمر والمحيط الهندي ؛ وهما يفصلان بين مصر وسرنديب .

(٥٤) سخايسخو : جاد ، وسمح ، وبذل ، وأعطى . ولقبة : لقاء . وأراه بها : أرى أخي فيها ، أي في اللقبة . والكزازة : البخل ، والشح . والضن : البخل الشديد . وصف الأيام بالكزازة ، ورجا أن تجود بعدها بلقبة تجمع شمله بذلك الأخ الصديق .

وَإِنِّي وَإِنْ طَالَ الْمِطَالَ لَوَائِقُ بِرَحْمَةِ رَبِّي فَهُوَ ذُو الطُّولِ وَالْمَنِّ (٥٥)

وَقَالَ وَهُوَ بِسَرْنَدِيبَ يَتَشَوَّقُ إِلَى الْوَطَنِ ، وَيَذْكُرُ أَعْدَاءَهُ :

أَعَائِدُ بِكَ يَا رِيحَانَةَ الزَّمَنُ ؟ فَيَلْتَقِي الْجَفْنَ بَعْدَ الْبَيْنِ وَالْوَسْنَ (١)

أَشْتَاقُ رَجْعَةَ أَيَّامِي لِكَاظِمَةِ وَمَا بِي الدَّارُ لَوْلَا الْأَهْلُ وَالسَّكَنُ (٢)

فَهَلْ تَرُدُّ اللَّيَالِي بَعْضَ مَا سَلَبْتَ ؟ أَمْ هَلْ تَعُودُ إِلَيَّ أَوْطَانِهَا الطُّعْنَ ؟ (٣)

أَهْنْتُ لِلْحُبِّ نَفْسِي بَعْدَ عِزَّتِهَا وَأَيُّ ذِي عِزَّةٍ لِلْحُبِّ لَا يَهِنُ ؟ (٤)

لَوْلَمْ يَكُنْ فِي الْهُوَى سِرٌّ لَمَا ظَهَرَتْ بِوَحْيِ قُدْرَتِهِ فِي الْعَالَمِ الْفِتْنُ (٥)

(٥٥) المطال (بكسر الميم) : المماطلة ، والتسويق . والطول (بفتح فسكون) : الإفضال والإينعام ، مصدر طال عليه : أي أنعم عليه ، وأحسن إليه . والمن : الإينعام .

(١) بك : أي بلقائك . و«ريحانة» : اسم ، أو صفة لمحبوبته التي يتغزل بها ، ويتمنى لقاءها . وهو في الحقيقة يتغنى بمصر ، ويصبو إليها . والريحانة (في الأصل) : واحدة الريحان ، وهو نبت طيب الرائحة ، وجمعه رياحين . ويريد بالزمن : ماضيه السعيد ، وما كان يستمتع به في مصر قبل النفي من اجتماع الشمل ، وهناءة العيش . والبين : من أسماء الأضداد ؛ فهو يأتي بمعنى الوصل ، وبمعنى الفرقة ، والمعنيان صالحان هنا ، والأول أرجح وأقرب . والوسن : النعاس . ويراد بالتقاء الجفن والوسن : استمتاعه بالنوم الهنيء بعد معاناة الأرق والسهاد من طول الافتراق ، وقسوة البعاد والافتراق ، وهو يكتفي بالنوم عن رخاء البال ، واطمئنان النفس ، وصلاح الحال .

(٢) رجعة : رجوع ، وعودة . و«كاظمة» : موضع على سيف البحر ، على مرحلتين من البصرة ، ويريد بها مصر وطنه . وما بي الدار : أي ما بي شوق إلى الدار .

(٣) الاستفهام في شطري البيت للتمني ؛ فهو يتمنى أن تردّ الليالي إليه وإلى أمثاله بعض ما انتزعت . وسلبته الشيء : انتزعت منه ، وأخذته قهراً . والظعن (بضمّتين) : جمع الظعينة ، وهي الراحلة ، من ظعن : أي سار ، وارتحل ، وسافر .

(٤) أهنت نفسي : أذللتها ، من الإهانة ، وهي الإذلال والاستخفاف . وللحب : أي بسبب الحب ، ومن أجله . والعزة : القوة ، والغلبة ، فكل عزيز قويّ تنهار عزته وقوته تحت سلطان الحب والغرام . ووهن يهن : ضعف وانكسر .

(٥) المعنى : في الهوى سرّ ظهرت الفتن في العالم بوحى قدرته .

فَكَيْفَ أَمْلِكُ نَفْسِي بَعْدَمَا عَلِقْتُ يَي الصَّبَابَةَ حَتَّى شَفَّنِي الْوَهْنُ^(٦)
لَوْلَا جَرِيرَةٌ عَيْنِي مَا سَمَحْتُ بِهَا لِلدَّمْعِ تَسْفُحُهُ الْأَطْلَالُ وَالذَّمَنُ^(٧)
دَعَتْ إِلَى الْغِيِّ قَلْبِي فَاسْتَبَدَّ بِهِ شَوْقٌ تَوَلَّدَ مِنْهُ الْهَمُّ وَالشَّجَنُ^(٨)
وَدُونَ مَا تَبَتَّغِيهِ النَّفْسُ مِنْ أَرْبٍ يَبْدَاءُ تَصْهَلُ فِي أَرْجَائِهَا الْحُصْنُ^(٩)
وَفِي الْأَكْلَةِ آرَامٌ تُطِيفُ بِهَا أُسْدٌ بَرَأْتُنْهَا الْخَطِيئَةَ اللَّذْنُ^(١٠)
مِنْ كُلِّ حَوْرَاءٍ مِثْلِ الظَّبْيِ لَوْنَطَرْتُ لِعَابِدٍ لَشَجَاهُ اللَّهْوُ وَالذَّدْنُ^(١١)

(٦) الاستفهام في أول هذا البيت معناه النفي ، أي فلست أملك نفسي . والصبابة : رقة الشوق ، وحرارة الهوى . وشفني : هزلني ، ونحلني . والوهن : ضعف في البدن .

(٧) الجريرة : الجناية ، والذنب . وجريرة عينه : أنها نظرت إلى الحسناء المتغزل بها ، فهويها ، وتعلقت بها ، وكان من آثار الهوى ما شكاه في هذا البيت من فرط وجده ، وكثرة بكائه ، وغزارة دمه . وسمح له بكذا : أذن له فيه ، أي ولولا جريرة عيني ما سمحت لدمعي أن يجري بها . وتسفحه : أي تسفح الدمع ، أي تصبّه وتجريه . و«الأطال» : جمع طلل ، وهو ما بقي قائماً ظاهراً من آثار الديار التي هجرها أهلها ، ومثلها الدمن : جمع دمنة ، أي آثار المنازل والديار التي ارتحل عنها أهلها .

(٨) دعاه إلى الشيء : أي حثه عليه ، وساقه إليه . والغى : الجهل والضلال . ويراد بالغى هنا : الهوى والغرام . واستبدّ بقلبه الشوق : سيطر عليه . وتولد : نشأ . والهمم : الحزن والقلق . والشجن : الحزن .

(٩) «دون» هنا : ظرف مكان ، بمعنى «قبل» أو بمعنى «بين» . وتبتغيه : تريده وتطلبه . والأرب : الحاجة . والبيداء : الفلاة ، والصحراء . والأرجاء : النواحي . والحصن : جمع حصان (بكسر الحاء) ، وهو الذكر من الخيل . وصهيل الحصن في أرجاء البيداء : كناية عن امتداد نواحيها ، وتباعد أطرافها .

(١٠) الأكلة : جمع إكليل ، وهو الستر الذي تحجب به الفتاة المخدرة وتصان . والمراد منازل الحسنات المتغزل بهن . والآرام : جمع رثم ، وهو الظبي . وتشبه به الحسناء من النساء . وتطيف بها : تحيط بها . وإطافة الأساد بالأكلة والآرام : كناية عن مناعة هؤلاء الحسان ، ومبالغة أهلهن في حمايتهن ، وصعوبة وصول عشاقهن إليهن . والخطية : الرماح المنسوبة إلى الخط ، وهو موضع ببلاد البحرين ، تباع فيه الرماح ، وتنسب إليه ، واحدها الخطي . ورمح لدن ، ورمح لدان ولدن (بضم فسكون) : أي فيها لين ومرونة . واللدانة واللدونة من الصفات المستحسنة في الرماح .

(١١) الحوراء من النساء : البيضاء . والظبي : الغزال ، وتشبه حسان النساء بالظباء . وشجاه :

فِي نَشْوَةِ الرَّاحِ مِنْ الْحَاظِهَا أَثْرٌ وَفِي الْجَاذِرِ مِنَ الْفَاضِلِهَا غُنٌّ (١٢)

دَقَّتْ وَجَلَّتْ وَلَا نَتْ وَهِيَ قَاسِيَةٌ كَذَاكَ حَدُّ الْمَوَاضِي لَيْنٌ خَشِنٌ (١٣)

طَوَتْ بِهِنَّ النَّوَى عَنِّي بُدُورَ دُجَى لَا يَسْتَبِينُ لِعَيْنِي بَعْدَهَا سَنَنْ (١٤)

أَتَبَعْتُهُمْ نَظْرَاتٍ كُلَّمَا بَلَغَتْ أُخْرَى الْحُمُولِ ثَنَاهَا مَدْمَعٌ هُتُنٌ (١٥)

يَا رَاجِلِينَ وَفِي أَحْدَاجِهِمْ قَمَرٌ يَكَادُ يَعْْبُدُهُ مِنْ حُسْنِهِ الْوَثْنُ (١٦)

أهمه ، وشغل باله . والددن : اللهو واللعب .

يكني الشاعر بهذا كله عن فائق حسن هذه النساء ، وسحر نظراتهن ، وشدة تأثيرهن فيمن يراهن ، ولو كان من العباد الزهاد .

(١٢) الراح : الخمر . ونشوتها : سكرتها . وألحاظها : نظراتها ، أي نظرات الحور اللاتي يتغزل بهن . والجاذر : جمع جؤذر ، وهو ولد البقرة الوحشية . وتشبه المرأة الحسنة بالبقرة الوحشية في جمال العينين ، وحسن اتساعهما . والغنن : جمع غنة ، وهي صوت رخيم يخرج من الخيشوم .

(١٣) دَقَّتْ : رَقَّتْ ، من الدقة والرقة . وجلَّتْ : عظمت ، وهي نقيض « دَقَّتْ » . ولان الشيء : سهل ، وانقاد ، فهو لَيْنٌ ، أي سهل ومرن . وقاسية : صلبة . وحدّ المواضي : السيوف القواطع . ولَيْنٌ : مرن . وخشن : قاس شديد الأثر .

(١٤) يطوى الشيء : ضم بعضه على بعض ، أو لفَّ بعضه فوق بعض . والنوى : البعد ، والفرقة . وطوته النوى عني : غيَّبه وأخفَّته . وبهن : أي بالأرام . والدجى : جمع دجية ، وهي الظلمة . ولا يستبين : لا يظهر ، ولا يتضح . وبعدها : أي بعد النوى ، أو بعد بدور الدجى ، أي بعد فرقتها وبعدها ، وغياها . وسنن الطريق : نهجه وجهته .

شبههن بالأقمار المكتملة ، تنشر الضياء ، وتبدد الظلمات ، فلما طوتهن النوى عنه أظلمت الدنيا في وجهه ، واستبهمت أمامه الطرقات .

(١٥) أتبعتهم نظراتي : أي أرسلت نظراتي إليهم في أثناء الرحيل ؛ فهي تتبعهم وتلحقهم ، وتسير في إثرهم . والحمول (بضم الحاء) : جمع حمل ، وهو الهودج ، أو البعير عليه الهودج . وثناها : صرفها ، وردّها ، أي النظرات . والمدمع : مسيل الدمع ، ويراد به الدمع ، أي دموع هتن (بضم تين) : جمع هتون (بوزن صبور) أي غزير ، منصب ، متتابع .

(١٦) الأحداج : جمع الحدج (بكسر فسكون) ، وهو مركب من مراكب النساء كالهودج . ويعبده من حسنه الوثن : أي يعبده الوثن لحسنه ، أو بسبب حسنه . والوثن : التمثال الذي يعبد .

مُنُوا عَلَيَّ بِوَصْلِ اسْتَعِيدُ بِهِ مِنْ مُهَجَّتِي رَمَقًا يَحْيَا بِهِ الْبَدَنُ (١٧)
 أَوْ فَاسْمَحُوا لِي بِوَعْدٍ إِنْ وَنْتُ صَلَّةً فَالْوَعْدُ مِنْكُمْ بِطِيبِ الْعَيْشِ مُقْتَرِنُ (١٨)
 لَمْ أَلْقَ مِنْ بَعْدِكُمْ يَوْمًا أَسْرُبُهُ كَانَ كُلُّ سُرُورٍ بَعْدَكُمْ حَزَنُ (١٩)
 يَا جِيرَةَ الْحَيِّ مَالِي لَا أَنَالُ بِكُمْ مَعُونَةً وَبِكُمْ فِي النَّاسِ يُعْتَوْنُ؟ (٢٠)
 مَاذَا عَلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ أَهْلُ بَادِرَةٍ إِذَا تَرَنْمَ فِيكُمْ شَاعِرٌ فَطِنُ؟ (٢١)
 أَفِي السُّوِيَّةِ أَنْ يَبْكِي الْحَمَامُ وَلَا يَبْكِي عَلَى إِيَّاهِ ذُو لَوْعَةٍ ضَمِنُ؟ (٢٢)
 يَا حَبْدًا مِصْرُ لَوْدَامَتْ مَوَدَّتُهَا وَهَلْ يَدُومُ لِحْيِي فِي الْوَرَى سَكْنُ؟ (٢٣)

(١٧) مَنْ عَلَيْهِ : أنعم . والوصل : ضد الهجر . والمهجة : الروح والنفس . والرمق (بفتحتين) : بقية الروح . وبدن الإنسان : جسده .
 (١٨) سَمَحَ لَهُ بِكَذَا : جاد ، وأعطى ، أو وافق على ما أريد منه . ويراد بالوعد : وعد الوصال . وونت : عزت وصعبت . وطيب العيش : لذته وحلاوته . ومقترن : متصل .
 (١٩) مِنْ بَعْدِكُمْ : أي من بعد فراقكم ، والخطاب للراجلين .
 (٢٠) جِيرَةٌ : جمع جار ، وهو المجاور في السكن . والجار أيضاً : الحليف ، والناصر ، والمجير . ويا جيرة الحي : أي يا من يجاورون حيّا ، أو يا من يجيرونه وينصرونه . والشاعر هنا يستجير كل من يرق له ، ويرثي لحاله ، ويستطيع إنجاده ونصرته . ولا أنال بكم : أي لا أنال منكم . والمعونة : النصرة ، والمساعدة . وفي الناس : أي فيما يصيب الناس من الشدائد والأزمات . وقد تكون «في» بمعنى «من» ، أي وبأمثالك من الناس يعتون ، أي يستعان .

(٢١) الاستفهام في أول البيت معناه النفي ، أي لا تثريب عليكم ، ولن يلومكم أحد . وأهل بادية : أي أهل نجدة ، وأصحاب معونة . وبدر إلى الخير : سارع إليه . وترنم : تغنى . وفطن : ذوفطنة ، وهي الفهم ، والحدق .
 (٢٢) أَفِي السُّوِيَّةِ : أي لا يستويان ، أو ليس من العدل والإنصاف . ويراد ببكاء الحمام : سجعه وهديره ونواحه . والإلف : الحبيب ، والصديق . ويراد بالإلف هنا : الوطن ، والأهل ، والصحب . واللوعة : حرقه الشوق والحب ، أو نحوهما . وضمن : زمن (بفتح فكسر) ، أي مريض طال مرضه ، ولازمته علته . من الضمانة والزمانة : وهي العلة الطويلة المزمنة .
 (٢٣) فِي الشَّطْرِ الْأَوَّلِ مَدْحٌ مِصْرٌ ، وَأَشَارَ إِلَى أَنْ نَفِيَهُ مِنْهَا ، قَدْ حَرَمَهُ مَوَدَّتِهَا ، وَتَمَنَّى لَوْدَامَتْ لَهُ الْمَوْدَةَ . ثُمَّ عَزَى نَفْسَهُ بِالشَّطْرِ الثَّانِي قَائِلًا : إِنْ النَّاسَ مَعْرَضُونَ لِمِثْلِ مَا ابْتَلَى بِهِ ، وَإِنَّهُ لَا سَبِيلَ إِلَى دَوَامِ الاسْتِقْرَارِ وَرِخَاءِ الْبَالِ فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ .

تَاللَّهِ مَا فَارَقْتَهَا النَّفْسُ عَنْ مَلَلٍ وَإِنَّمَا هِيَ أَيَّامٌ لَهَا إِحْنٌ (٢٤)
فَلَا يَسِرُّ عُدَاتِي مَا بُلِيَتْ بِهِ فَسَوْفَ يَفْنَى وَيَبْقَى ذِكْرِي الْحَسَنُ (٢٥)
ظَنُّوا ابْتِعَادِي إِغْفَالًا لِمَنْقَبَتِي وَذَاكَ عِزُّ لَهَا لَوْ أَنَّهُمْ فَطَنُوا (٢٦)
فَإِنْ أَكُنْ سِرْتُ عَنْ أَهْلِي وَعَنْ وَطَنِي فَالنَّاسُ أَهْلِي وَكُلُّ الْأَرْضِ لِي وَطَنٌ (٢٧)
لَا يَطْمِسُ الْجَهْلُ مَا أَثَقَبْتُ مِنْ شَرَفٍ وَكَيْفَ يَحْجُبُ نُورَ الْجَوْنَةِ الدَّخْنُ؟ (٢٨)
قَدْ يَرْفَعُ الْعِلْمُ أَقْوَامًا وَإِنْ تَرَبُّوا وَيَخْفِضُ الْجَهْلُ أَقْوَامًا وَإِنْ خَزَنُوا (٢٩)
فَرُبَّ مَيِّتٍ لَهُ مِنْ فَضْلِهِ نَسَمٌ وَرُبَّ حَيٍّ لَهُ مِنْ جَهْلِهِ كَفَنٌ (٣٠)
فَلَا تَغُرَّنْكَ أَشْبَاهُ تَمْرٍ بِهَا هَيْهَاتَ مَا كُلُّ طَرْفٍ سَابِقٌ أَرْنُ (٣١)

(٢٤) الإحن (بكسر ففتح) : جمع إحنة (بكسر فسكون) ، وهي الحقد ، والضغن . وقد يراد بإحن الأيام : ضغائن أهل الدهر ، وشرار الناس الذين انطاعوا للحقد والضغينة ، فنكّلوا بالمجاهدين الأحرار .

(٢٥) العداة (بضم العين) : جمع العادي ، بمعنى العدو . وبلاه : جرّبه ، وامتحنه . وما يلي به الشاعر : ما أصابه من النفي والإبعاد . و« يفنى » ينكشف ، ويزول ، ويذهب . والذكر (بكسر فسكون) : الصيت ، والشهرة الحسنة .

(٢٦) أغفل الشيء : أهمله ، وتركه . والمنقبة : المفخرة . ومناقب الإنسان : ما عرف به من الخصال الحميدة ، والأخلاق الكريمة . والعزّ : القوة والغلبة . ولها : أي للمنقبة . وفطن : فهم ، وأدرك .

(٢٧) سار عنه : فارقه ، وابتعد عنه .

(٢٨) طمسه : محاه ، وأزاله . وأثقب : أضاء . وشهاب ثاقب : أي مضيء . والجونة : الشمس . والدخن (بفتحتين) : الدخان .

(٢٩) ترب الرجل : افتقر ، كأنه لصق بالتراب . وخزن المال : أحرزه ، وجعله في الخزانة . يقول : العلم يرفع قدر المرء ولو كان فقيراً . والجهل يخفض الجاهل ، ويزري به ولو كان ثرياً كثير المال .

(٣٠) الفضل والفضيلة : الخير والمحمدة . ومن الفضل : العلم ، والعمل الصالح . والنسم (بفتحتين) : الحياة الطيبة الكريمة . والكفن : أثواب يلفّ فيها الميت .

والمعنى : أن الفضيلة ، والخير ، والعلم ، والعمل الصالح يحمي الإنسان حياة طيبة كريمة ، أو يخلّد له بعد موته الذكر ، وحسن الثناء . والجهل يميته ، ويخمله ، ويحط قدره .

(٣١) غره : خدعه . والأشباه : جمع شبه وهو المثل والنظير . وهيهات : اسم فعل ماض ، معناه

فَكُنَّا بِيَدِ الْأَقْدَارِ مُرْتَهَنُ (٣٢) فَلَا مَلَامَ عَلَى مَا كَانَ مِنْ حَدَثٍ
لَعَاشَ حُرّاً وَلَمْ تَعْلُقْ بِهِ الْمِحْنَ (٣٣) لَوْ كَانَ لِلْمَرْءِ حُكْمٌ فِي تَصَرُّفِهِ
يَبْقَى وَآيٌ عَزِيزٌ لَيْسَ يُمْتَهَنُ ؟ (٣٤) وَآيٌ حَيٌّ وَإِنْ طَالَتْ سَلَامَتُهُ
بِأَسْهُمٍ لَا تَقِي أَمْثَالَهَا الْجُنُنُ (٣٥) كُلُّ أَمْرٍ عَرَضٌ لِلدَّهْرِ يَرشُقُهُ
فَلْيَشْغَبِ الدَّهْرُ أَوْ تَسْكُنْ نَوَافِرَهُ فَلْيَشْغَبِ الدَّهْرُ أَوْ تَسْكُنْ نَوَافِرَهُ
فَمَا عَلَيَّ لِحَيٍّ فِي الْوَرَى مِنْ (٣٧) غَنِيَتْ عَمَّا يَهِينُ النَّفْسَ مِنْ عَرَضٍ
إِنْ عَاقَدُوا غَدْرُوا أَوْ عَاشَرُوا دَهْنُوا (٣٨) لَكِنِّي بَيْنَ قَوْمٍ لَا خَلَقَ لَهُمْ

بعد . والطرف (بكسر فسكون) : الكريم من الخيل . وأرن : نشيط .

والمعنى : أن الناس ليسوا سواء ؛ فلا تنخدع بما تشابه من ظواهرهم ، فإن الخيل متشابهة ، ولكن ليس كل فرس نشيطاً مرحاً ، جواداً سباقاً .

(٣٢) الملام : العتاب . والحدث (بفتح الحين) : الأمر الحادث غير المعتاد ، وأحداث الدهر : نوابه ومصائبه . والأقدار : جمع القدر ، وهو ما يقدره الله تعالى . ومرتهن : مرهون ، مقيد .

(٣٣) الحكم : الفصل ، والقضاء . وتصرفه : عمله وما يقوم به . وعلق به الشيء : نشب فيه ، واستمسك . والمحن : البلايا والشدائد والأزمات .

(٣٤) الاستفهام في شطري البيت معناه النفي . فليس لحَيٍّ من الخلق بقاء ولو طالت سلامته ، ولا دوام لعزة عزيز . والامتهان هنا يقابل العزة . والممتهن (بصيغة اسم المفعول) يقابل العزيز القوي .

(٣٥) الغرض : الهدف الذي يرمى إليه . ورشقه بالنبل : رماه . والأسهم : جمع سهم ، وهو عود من خشب يسوى في طرفه نصل يرمى به عن القوس . والجنن : جمع جنة ، وهي كل ما وارك ووقاك من سلاح عدوك ، وكل ما استترت به منه .

(٣٦) شغب عليهم ، وبهم : هيج الشر عليهم . ويراد بنوافر الدهر : ثورانه وشروره . وأحتزن : أحزن .

(٣٧) غنيت عن الشيء : استغنيت عنه . والعرض : متاع الدنيا . ويراد بالحي : الإنسان . والورى : الخلق والناس . والمنن : جمع منة (بكسر الميم فيهما) : الصنيعة ، والإنعام ، والإحسان .

(٣٨) قوم لا خلاق لهم : أي مجردون من الفضائل ، أو ليس لهم حظ من الخير . ودهنوا : خدعوا .

يُخْفُونَ مِنْ حَسَدٍ مَا فِي نَفْسِهِمْ وَيُظْهِرُونَ خِدَاعًا غَيْرَ مَا بَطَنُوا (٣٩)
يَا لِلْحَمَاةِ أَمَا فِي النَّاسِ مِنْ رَجُلٍ وَارِي الضَّمِيرَ لَهُ عَقْلٌ بِهِ يَزِنُ؟ (٤٠)
أَكُلَّ خِلٍّ أَرَاهُ لَا وَفَاءَ لَهُ؟ وَكُلَّ قَلْبٍ عَلَيَّ الْيَوْمَ مُضْطَعِنٌ؟ (٤١)
تَغَيَّرَ النَّاسُ عَمَّا كُنْتُ أَعْهَدُهُ فَالْيَوْمَ لَا أَدَبٌ يُغْنِي وَلَا فِطْنٌ (٤٢)
فَالْخَيْرُ مُنْقَبِضٌ وَالشَّرُّ مُنْبَسِطٌ وَالْجَهْلُ مُتَشِيرٌ وَالْعِلْمُ مُنْدَفِنٌ (٤٣)
لَمْ تَلَقْ مِنْهُمْ سَلِيمًا فِي مَوَدَّتِهِ كَأَنَّ كُلَّ أَمْرِيءٍ فِي قَلْبِهِ دَخْنٌ (٤٤)
طَوَاهُمُ الْغُلُّ طَيِّ الْقِدِّ وَانْتَشَرَتْ بِالْغَدْرِ بَيْنَهُمُ الْأَحْقَادُ وَالْدَّمَنُ (٤٥)
فَلَا صَدِيقَ يُرَاعِي غَيْبَ صَاحِبِهِ وَلَا رَفِيقَ عَلَيَّ الْأَسْرَارِ يُؤْتَمَنُ (٤٦)

- (٣٩) بطن الشيء : خفي ، واستتر . والإبطان يقابل الإظهار .
(٤٠) « يا للحماة » : أسلوب استغاثة . والحماة : جمع الحامي ، اسم فاعل من حماه ، أي منعه ، ونصره . وضمير وار : أي متقد ، بمعنى مرهف ، أو مستيقظ .
(٤١) الخل : الخليل ، والصديق ، والصاحب . ومضطعن : حاقد ، يضم الضغينة .
(٤٢) أعهده : أعرفه . والأدب : رياضة النفس على ما ينبغي ، والجميل من النظم والنثر ، أو كل ما أنتجه العقل الإنساني من ضروب المعرفة . والفطن : جمع فطنة ، وهي الحدق ، والمهارة .
(٤٣) منقبض : منطو . ومنبسط : منتشر . والانقباض خلاف الانبساط والاتساع والانتشار . واندفن : استتر وتوارى ، فهو مندفن .
(٤٤) سلامة المودة : صفاؤها ، ونقاؤها ، وبراءتها من النفاق والدهان والرياء . والدخن : الحقد ، وفساد الباطن .
(٤٥) الغلُّ : الحقد الكامن ، والعداوة المستترة . والقَدُّ : السير يقَدُّ من الجلد ، أي يشقُّ ويقطع . والغدر : الخيانة ، ونقض العهد ، وضده الوفاء . والأحقاد : جمع حقد ويراد به إضمار العداوة . والدمن : جمع دمنة ، وهي الضغن ، وإضمار العداوة والبغضاء ، والحقد القديم الدائم الثابت في الصدر .
(٤٦) راعي غيب صاحبه : أي حفظه في غيبته ، فلم يغتبه ، ولم يسئ إليه بوشاية ، أو سعاية ، أو مكيدة ، أو غيرها . ومن معاني الغيب : السر .

بَلَوْتُهُمْ فَسَيْمَتْ الْعَيْشَ وَأَنْصَرَفَتْ نَفْسِي عَنِ النَّاسِ حَتَّى لَيْسَ لِي شَجْنٌ (٤٧)
فَإِنْ يَكُنْ فَاتِنِي مَا كُنْتُ أَمْلُكُهُ فَالْبُعْدُ عَنْهُمْ لِمَا أَتْلَفْتُهُ ثَمَنٌ (٤٨)
كَفَى بِحَرْبِ النَّوَى سِلْمًا نَجَوْتُ بِهِ وَرُبَّ مَخْشِيَةٍ فِي طَيْهَا أَمْنٌ (٤٩)
لَعَلَّ مُزْنَةً خَيْرٌ تَسْتَهْلُ عَلَى رَوْضِ الْأَمَانِيِّ فَيْحِيَا الْأَصْلُ وَالْفَنُّ (٥٠)
وَكُلُّ شَيْءٍ لَهُ بَدْءٌ وَعَاقِبَةٌ وَكَيْفَ يَبْقَى عَلَى حَدَثَانِهِ الزَّمَنُ؟ (٥١)

وَقَالَ يَذْكُرُ سَفَرَهُ مَعَ الْجُنْدِ الْمِصْرِيِّ إِلَى جَزِيرَةِ « أَقْرِيطَش » سَنَةَ اثْنَتَيْنِ وَثَمَانِينَ

(٤٧) بلاه : اختبره ، وامتحنه ، وجربه . والشجن : الحاجة الشاغلة ، والجمع شجون وأشجان .
(٤٨) أتلفه : أهلكه وأفناه .

لعله يشير إلى مصادرة أمواله وأملاكه ، ونفيه عن وطنه في أعقاب الثورة العرابية .
ويقول : إنه وجد الراحة والطمأنينة في بعده عن أولئك الذين ندد بهم في الأبيات السابقة ،
وإن هذا البعد المريح ثمن لما فقدته من ماله ومتاعه .

(٤٩) النوى : البعد . والسلم : الصلح ، والسلام . والأمن (بوزن الفرح) : الأمان ،
والطمأنينة .

والمعنى : إذا كانت النوى حرباً ووبالاً على من يصلها ، فقد كانت على الشاعر برداً
وسلاماً ؛ فالإنسان قد يخشى ما ينطوي على الأمن السلامة ، ويحمل إليه الطمأنينة ورخاء
البال .

(٥٠) المزنة : السحابة تحمل الماء ، وجمعها المزن (بضم فسكون) . واستهل المطر استهلالاً :
اشتد انصبابه مع صوت . والفنن (بفتحيتين) : الغصن المستقيم من الشجرة . وأصل
الشجرة : ما يقابل الفرع . ويراد بحياة الأصل والفنن : حياة الشجر كلها ، أصلها ، وساقها ،
وفروعها ، وأغصانها ، أي حياة الأمانى المشبهة بالرياض .

فتح الشاعر لمثله أبواب الأمل ، المضيء المشرق ، وتفاءل بمستقبله على الرغم من شؤم
حاضره ؛ واستشعر الراحة والطمأنينة في رياض الأمانى ، ورجا أن ينتهي الأمر بانفراج الكرب
والبلاء ، واستهلال الخير والرخاء .

(٥١) بدء الشيء : أوله وفاتحته . وعاقبته : آخره وخاتمته . وحدثان الزمن : حوادثه ونوائبه
ومصائبه .

والمعنى : أن الزمن بطبعه متقلب لا يدوم على حال ؛ فإذا كانت بدءاً أمره إعاناتاً ومعاصرة
للبارودي وأمثاله ؛ فالمأمول أن تكون عاقبة أمره موادعة ومياسرة .

وَمَائَتَيْنِ وَأَلْفٍ هَجْرِيَّةٍ (١٢٨٢هـ - ١٨٦٥م) حِينَ خَرَجَ سُكَّانُهَا عَنِ الطَّاعَةِ وَيُعْرَضُ*
بِأَشْيَاءٍ فِي نَفْسِهِ ، وَيَتَشَوَّقُ إِلَى مِصْرَ :

أَخَذَ الْكَرَى بِمَعَاقِدِ الْأَجْفَانِ وَهَفَا السُّرَى بِأَعْنَةِ الْفُرْسَانِ^(١)
وَاللَّيْلُ مَنْشُورُ الذَّوَابِ ضَارِبٌ فَوْقَ الْمَتَالِيعِ وَالرُّبَى بِجِرَانِ^(٢)
لَا تَسْتَبِينُ الْعَيْنُ فِي ظِلْمَائِهِ إِلَّا اشْتَعَالَ أَسِنَّةَ الْمُرَّانِ^(٣)
نَسْرِي بِهِ مَا بَيْنَ لُجَّةِ فِتْنَةٍ تَسْمُو غَوَارِبُهَا عَلَى الطُّوفَانِ^(٤)
فِي كُلِّ مَرْبَآةٍ وَكُلِّ ثَنِيَّةٍ تَهْدَارُ سَامِرَةَ وَعَزْفُ قِيَانِ^(٥) وَال

(*) عَرَضَ بِالشَّيْءِ تَعْرِيزًا : أَي أَلْمَحَ إِلَيْهِ ، وَلَمْ يَبَيِّنْهُ بِقَوْلِ صَرِيحٍ ؛ فَالتَّعْرِيزُ خِلَافُ
التَّصْرِيحِ .

(١) أَخَذَ بِهِ : أَمْسَكَ بِهِ . وَالكَرَى : النَّعَاسُ . وَمَعَاقِدُ الْأَجْفَانِ : مَا تَتَعَقَدُ عَلَيْهِ الْأَجْفَانُ ، كِنَايَةٌ
عَنِ الْعْيُونِ . وَهَفَّتِ الرِّيحُ بِالشَّيْءِ : حَرَكْتَهُ ، وَذَهَبَتْ بِهِ . وَالسُّرَى : سِيرَ اللَّيْلِ . وَالْأَعْنَةُ :
جَمْعُ عَنَانٍ ، وَهُوَ سِيرُ اللَّجَامِ الَّذِي تَمْسُكُ بِهِ الدَّابَّةُ . وَأَعْنَةُ الْفُرْسَانِ : أَي أَعْنَةُ أَفْرَاسِ
الْفُرْسَانِ .

والمعنى : أن الليل لفت الناس بأستاره فناموا . أما الشاعر وجنده فقد هفا سير الليل بأعنة
خيولهم ، أي زایلهم الكرى ، وجفاهم النوم ؛ لأنهم في حالة حرب وقتال ؛ فالناس في أمن
ورخاء ، والمحاربون في سهر وحرب .

(٢) الذَّوَابِ : جَمْعُ الذَّوَابَةِ ، وَهِيَ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ طَرَفُهُ وَأَعْلَاهُ . وَانْتِشَارُ ذَوَابِ اللَّيْلِ : كِنَايَةٌ عَنِ
إِطْبَاقِهِ ، وَإِظْلَامِهِ ، وَشِدَّةِ سَوَادِهِ . وَالْمَتَالِيعُ : الْأَرَاضِي الْمُرْتَفَعَةُ الْعَالِيَةَ ، وَمِثْلُهَا الرَّبَى :
جَمْعُ رَبْوَةٍ . وَجِرَانُ الْبَعِيرِ (بِكسْرِ الْجِيمِ) : بَاطِنُ عُنُقِهِ ، أَوْ مَقْدَمُهُ . وَضَرْبُ الْبَعِيرِ بِجِرَانِهِ :
إِذَا بَرَكَ ، وَمَدَّ عُنُقَهُ عَلَى الْأَرْضِ . وَضَرْبُ اللَّيْلِ بِجِرَانِهِ : أَي أَقْبَلَ .

(٣) اسْتَبَانَ الشَّيْءُ : تَبَيَّنَ ، وَرَأَاهُ . وَالْأَسِنَّةُ : جَمْعُ سِنَانٍ ، وَهُوَ نَصْلُ الرَّمْحِ . وَالْمُرَّانُ : الرَّمَاحُ
اللدنة الصلبة ، أَي اللينة في صلابة . وَاشْتَعَالَ أَسِنَّةَ الْمُرَّانِ : لِمَعَانِيهَا وَبَرِيقِهَا .

(٤) نَسْرِي بِهِ : أَي نَسِيرَ بِاللَّيْلِ . وَالْفِتْنَةُ : الْحَرْبُ . وَلِجَّتْهَا : عَنَفَوْنَهَا ، وَشَدَّتْهَا . وَتَسْمُو : تَعْلُو
وَتَرْتَفِعُ . وَغَوَارِبُهَا : أَعَالِيهَا . وَغَوَارِبُ الْمَاءِ : أَعَالِي مَوْجِهِ . وَغَوَارِبُهَا : أَي غَوَارِبُ اللَّجَّةِ ،
أَوْ غَوَارِبُ الْفِتْنَةِ الْمَشْبَهَةِ بِاللَّجَّةِ .

(٥) الْمَرْبَآةُ : الْمَكَانُ الْمُرْتَفِعُ الْعَالِي . وَالثَّنِيَّةُ : الطَّرِيقُ فِي الْجَبَلِ . وَتَهْدَارُ الْحَمَامُ : هَدِيرُهُ ، أَوْ

تَسْتَنُّ عَادِيَةً وَيَضْهَلُ أَجْرَدٌ وَتَصِيحُ أَحْرَاسٌ وَيَهْتَفُ عَانِي (٦)
قَوْمٌ أَبِي الشَّيْطَانُ إِلَّا نَزَغَهُمْ فَتَسَلَّلُوا مِنْ طَاعَةِ السُّلْطَانِ (٧)
مَلَأُوا الْفَضَاءَ فَمَا يَبِينُ لِنَاطِرٍ غَيْرُ التِّمَاعِ الْبَيْضِ وَالْخُرْصَانِ (٨)
فَالْبَدْرُ أَكْدَرُ وَالسَّمَاءُ مَرِيضَةٌ وَالْبَحْرُ أَشْكَلُ وَالرَّمَّاحُ دَوَانِي (٩)
وَالْخَيْلُ وَاقْفَةٌ عَلَى أَرْسَانِهَا لِطِرَادِ يَوْمِ كَرِيهَةٍ وَرِهَانِ (١٠)
وَضَعُوا السَّلَاحَ إِلَى الصَّبَاحِ وَأَقْبَلُوا يَتَكَلَّمُونَ بِالسُّنَنِ النَّيْرَانِ (١١)

- هديله . والسامرة : المتسامرون ، أي المتحدثون ليلاً . وتهدار السامرة : صوت السمار وحديثهم . والقيان : جمع قينة ، وهي الأمة ، خلاف الحرة ، وغلب على المرأة المغنية .
- (٦) تستن : تعدو إقبالاً وإدباراً . والعادية : الخيل المغيرة . والأحراس : الحراس . ويهتف : يصيح . والعاني : الأسير .
- (٧) يريد بالقوم : أهل جزيرة « كريت » الثائرين في وجه الحكم التركي . ونزغهم : إفسادهم . وتسלلو : خرجوا . والسلطان : الملك ، ويراد به هنا : سلطان تركيا .
- (٨) يبين : يتضح ، ويبدو . والبيض : السيف ، واحدها أبيض . والخرصان : الأسنة ، الواحد خرص ، والخرص أيضاً : الدرع .
- (٩) أكدر : صفة من الكدرة ، وهي من الألوان ما مال إلى السواد والغيرة . وكدرة البدر هنا : احتجاب ضيائه ، وضياح صفائه في مثار النقع ، وسحب الغبار المنعقد في جو المعركة . ومرض السماء : تعبير مجازي في معنى كدرة البدر ، وانطفاء أضواء القمر والنجوم في قتام المعركة وغبار الحرب . وبحر أشكل : أي خالطت مياهه حمرة الدماء المتصبية من القتلى والجرحى . ودوان : جمع دان ، اسم فاعل من دنا الشيء ، أي قرب . والمراد أن الرماح دانية من المتقاتلين يسدها بعضهم إلى بعض ، أو أنها متدانية متشابكة باشتباك الجيشين المتحاربين .
- (١٠) الأرسان : الأعنة ، والمقاود ، واحدها رسن . ووقوف الخيل على أرسانها : كناية عن انقيادها ، وانطباعها للفرسان . وطارده : دافعه وزاحمه . والكريهة : الحرب ، أو الشدة في الحرب . وراهنه على كذا مراهنه ورهانا : خاطره ، وسابقه على الخيل . وقد يكون المراد بالرهان هنا : الكريهة والحرب ، فإنها مراهنه ومسابقة إلى كسب النصر والغلبة .
- (١١) وضعوا السلاح إلى الصباح : أي قاتلوا بأسلحتهم طوال الليل . والتكلم بالسنة النيران : كناية عن احتدام المعركة ، وتوقد نيرانها ؛ فقد انقطعت السنة التفاوض والتفاهم ، وانطلقت السنة النيران في حرب عوان .

حَتَّىٰ إِذَا مَا الصُّبْحُ أُسْفِرَ وَارْتَمَتْ
فَإِذَا الْجِبَالُ أَسْنَةٌ وَإِذَا الْوَهَا
فَتَوَجَّسَتْ فَرَطُ الرُّكَّابِ وَلَمْ تَكُنْ
فَزِعَتْ فَرَجَّعَتِ الْحَنِينَ وَإِنَّمَا
ذَكَرَتْ مَوَارِدَهَا بِمِصْرَ وَأَيْنَ مِنْ
وَالنَّفْسُ مُوَلَّعَةٌ وَإِنْ هِيَ صَادَفَتْ
فَسَقَى السَّمَاءُ مَحَلَّةً وَمَقَامَةً

عَيْنَايَ بَيْنَ رَبِّي وَبَيْنَ مَحَانِي (١٢)
دُاعِنَةٌ وَالْمَاءُ أَحْمَرُ قَانِي (١٣)
لِتَهَابَ فَاْمْتَنَعَتْ عَلَى الْأُرْسَانِ (١٤)
تَحْنَانُهَا شَجْنٌ مِنَ الْأَشْجَانِ (١٥)
مَاءٍ بِمِصْرَ مَنَازِلُ الرُّومَانِ؟ (١٦)
خَلْفًا بِأَوَّلِ صَاحِبٍ وَمَكَانِ (١٧)
فِي مِصْرَ كُلِّ رَوِيَّةٍ مِرْنَانِ (١٨)

(١٢) أسفر الصبح : أضاء ، وأشرق . وارتمت عيناى : وقعتا ، أي أبصرتا . والرعى : التلاز
والجبال ومرتفعات الأرض ، جمع ربوة . والمحاني : جمع محنية ، وهي من الوادي
منحناه ، ومنعطفه . والمحاني هنا تقابل الرعى ، أي بين مرتفعات الأرض ومنخفضاتها .

(١٣) « إذا » في أول البيت فجائية ، أي لما أسفر الصبح ، وارتمت عيناى بين الرعى والمحاني
فاجأني أن الجبال أسنة . والوهاد : جمع وهدة ، وهي الأرض المنخفضة . والأعنة : جمع
عان ، وهو سير اللجام الذي يحكم الراكب به دابته . ويراد بالأعنة هنا : الخيل وفرسانها .
وقاني : شديد الحمرة .

(١٤) توجَّست : تهيبت ، وخافت . والركاب : المطايا . ويراد بفرط الركاب : الخيل المتقدمة في
ميدان القتال . وهابه : خافه . والأرسان : جمع رسن . ويراد بامتناع الخيل على الأرسان :
أن التوجس والاهتياى حملها على التعصي والتأبى ، ومقاواة الإرسان ، والخروج عن طاعة
الفرسان .

(١٥) فزع : ذعر ، وخاف . ورجع صوته : رددته في حلقه . والتحنان : الحنين الشديد .
والشجن : الهم ، والحزن .

(١٦) الموارد : جمع المورد ، وهو المنهل ، أو الطريق إلى الماء . ويراد بمنازل الرومان : جزيرة
« كريت » ؛ فقد حكمها الرومان قبل أن يسيطر عليها الأتراك . وهي بعيدة عن ماء مصر
ونيلها .

(١٧) مولعة : راغبة ومائلة . وصادفت : التقت . والخلف : البدل . وأول صاحب ومكان
للخيل : مصر وأهلها .

(١٨) السماكان : نجمان نيران ، أحدهما في الشمال ، والآخر في الجنوب . و« سقى
السماك » : يراد به الدعاء . والمحلة : المكان ينزل فيه القوم . والمقامة (بفتح الميم) :

حَتَّى تَعُودَ الْأَرْضُ بَعْدَ مُحُولِهَا
 بَلَدٌ خَلَعْتُ بِهَا عِذَارَ شَيْبَتِي
 فَصَعِيدُهَا أَحْوَى النَّبَاتِ وَسَرْحُهَا
 فَارَقْتُهَا طَلِبًا لِمَا هُوَ كَائِنٌ
 حَمَلَ الزَّمَانَ عَلَيَّ مَا لَمْ أُجْنِهْ
 نَقَمُوا عَلَيَّ وَقَدْ فَتَكْتُ شَجَاعَتِي
 فَلْيَهْنَأِ الدَّهْرُ الْغَيُورُ بِرِحْلَتِي
 فَلَيْتُنْ رَجِعْتُ وَسَوْفَ أَرْجِعُ وَائْتِقَاً
 شَتَى النَّمَاءِ كَثِيرَةَ الْأَلْوَانِ (١٩)
 وَطَرَحْتُ فِي يُمْنِي الْغَرَامَ عِنَانِي (٢٠)
 أَلْمَى الظَّلَالَ وَزَهْرَهَا مُتَدَانِي (٢١)
 وَالْمَرْءُ طَوْعٌ تَقَلَّبُ الْأُزْمَانِ (٢٢)
 إِنَّ الْأُمَائِلَ عُرْضَةٌ الْجِدْثَانِ (٢٣)
 إِنَّ الشَّجَاعَةَ حَلِيَّةُ الْفِتْيَانِ (٢٤)
 عَنْ مِصْرٍ وَلْتَهْدَأُ صُرُوفُ زَمَانِي (٢٥)
 بِاللَّهِ أَعْلَمْتُ الزَّمَانَ مَكَانِي (٢٦)

المجلس . والمقامة (بضم الميم) : موضع الإقامة . وسحابة روية : أي مطرها غزير .
 ومرنان : ذات رنين .

(١٩) يريد بالأرض : أرض مصر . والمحول ، والإمحال : الإجداب ، وهو انقطاع المطر . ونمى
 الزرع : زاد وكثر . ويراد بالنماء : ما ينمو في الأرض من الزرع والنبات . ونبات شتى : أي
 متنوع . والألوان : الأنواع ، والأصناف .

(٢٠) يريد بالبلد : مصر . يقال : خلع فلان عذاره : إذا انهماك في الغي ، وقلّ حياؤه واحتشامه .
 وخلع عذار شيبته : أطلق لشبابه العنان ، وجرى في أهوائه وملذاته . وطرح الشيء : رماه
 وألقاه . والعنان : سير اللجام الذي تمسك به الدابة ، وتقاد .

(٢١) الصعيد : وجه الأرض ، أو ما ارتفع منها . ونبات أحوى : اشتدت خضرته ، فضرب إلى
 السواد . والسرح : ما طال وعظم من الشجر ، الواحدة سرحة . وظل ألمى : أي كثيف
 أسود . ومتدان : متقارب .

(٢٢) أي أن الأيام والليالي تتقلب بالمرء ، وهو منطاع لها ، محكوم بتصرفاتها .

(٢٣) حمل عليه الشيء : حمّله إياه ، أو كلفه أن يحمله . وجنى جناية : أذنب واجترم . وما لم
 أجنه : أي ما لم أرتكبه من الجنایات والذنوب . والأمائل : خيار الناس وأفاضلهم ، جمع
 الأمثل . وهو عرضة لكذا : معرض له . وحدثان الدهر : نوائبه ومصائبه .

(٢٤) نقم عليه الأمر : أنكره عليه ، وعابه . وحلية الرجل : ما يتحلّى به من صفات حميدة .

(٢٥) هنيء به : سر به وابتهج . وغيره الدهر : ما يلقي به الشاعر ، ويدبّره له من المشاغبة
 والمساءة . وصروف الزمان : شروره ، ونوائبه .

(٢٦) أعلمت الزمان : أي أخبرت أهله ، أي الناس . وهو يريد أهل زمانه الذين نقموا عليه
 شجاعته ، وتمنوا أن تغتاله المنون في حرب « كريت » .

صَادَقْتُ بَعْضَ الْقَوْمِ حَتَّى خَانَنِي
زَعَمَ النَّصِيحَةَ بَعْدَ أَنْ بَلَغَتْ بِهِ
فَلْيَجْرِبْ بَعْدُ كَمَا أَرَادَ بِنَفْسِهِ
وَكَذَا اللَّئِيمُ إِذَا أَصَابَ كَرَامَةً
كُلُّ أَمْرٍ يَجْرِي عَلَى أَعْرَاقِهِ
فَعَلَامَ يَلْتَمِسُ الْعَدُوَّ مَسَاءَتِي ؟
أَنَا لَا أَذِلُّ وَإِنَّمَا يَزْعُ الْفَتَى
فَلْيَعْلَمَنَّ أَخُو الْجَهَالَةِ قَصْرَهُ
فَلرَّبَّمَا رَجَحَ الْخَسِيسُ مِنَ الْحَصَى
وَحَفِظْتُ مِنْهُ مَغِيْبَهُ فَرَمَانِي (٢٧)
غَشَاءً وَجَازَى الْحَقَّ بِالْبُهْتَانِ (٢٨)
إِنَّ الشَّقِيَّ مَطِيئَةُ الشَّيْطَانِ (٢٩)
عَادَى الصَّدِيقَ وَمَالَ بِالْإِخْوَانِ (٣٠)
وَالطَّبْعُ لَيْسَ يَحُولُ فِي الْإِنْسَانِ (٣١)
مِنْ بَعْدِ مَا عَرَفَ الْخَلَائِقُ شَانِي (٣٢)
فَقَدُ الرَّجَاءِ وَقِلَّةُ الْأَعْوَانِ (٣٣)
عَنِّي وَإِنْ سَبَقَتْ بِهِ قَدَمَانِ (٢٤)
بِالدَّرِّ عِنْدَ تَمَائُلِ الْمِيزَانِ (٣٥)

(٢٧) حفظت منه مغيبه : أي راعيت ما تفرضه المصادقة ؛ فحفظته في غيابه ، أي لم أخنه بالغيب . ورماني : تخلى عني وتكرلي .
(٢٨) نصح الشاعر لهذا الرجل ؛ فانتفع بنصحه وإرشاده . ولما بلغ الغاية التي أملها تنكر للناصح الأمين ، وجحد حقه وفضله ، وافتري عليه الكذب ، فعدّ نصيحته خداعاً وغشاً ، فجمع بين نكران الجميل ، والإساءة إلى المحسن ، والإغراق في الباطل .
(٢٩) الشقي : صفة من الشقاوة ، وهي خلاف السعادة . والمطية : الركوبة ، للذكر والأنثى ، فالبعير مطية ، والناقة مطية .
(٣٠) يقول : إن اللئيم إذا أصاب خيراً تنكراً لأصدقائه وإخوانه الذين أكرموه ، وأحسنوا إليه ؛ فجفاهم ، وعاداهم ، وظلمهم ، وتمرد عليهم ؛ إذ الخير والكرامة والنعمة تظهر لؤم اللئيم ، وتكشف عن خسته ومهانتة .
(٣١) أعراقه : أصوله . ويحول : يتغير ، ويتبدل .
(٣٢) يلمس : يطلب ويريد . وساءه مساءة : فعل به ما يكرهه . والخلائق : الخلق والناس . وشأني : منزلتي وقدري .
(٣٣) ذل : ضعف ، وهان . ويزعه : يكفّه ، ويمنعه . والأعوان : جمع معين وهو النصير .
(٣٤) أخو الجهالة : الجاهل . وقصر عن الشيء : عجز عنه . فأخو الجهالة قاصر عاجز عن إدراك شأو الشاعر ولو سبقت به قدماء .
(٣٥) رجح الشيء : زاد وزنه وثقل . والخسيس : الرذل ، الدنيء . والدِّرُّ : اللؤلؤ العظيم

شَرَفٌ خُصِّصْتُ بِهِ وَأَخْطَأَ حَاسِدٌ مَسَعَاتُهُ فَهَدَى بِهِ وَقَلَانِي (٣٦)
وَقَالَ فِي صَبَاه :

صَبَوْتُ إِلَى الْمُدَامَةِ وَالْغَوَانِي وَحَكَّمْتُ الْغَوَايَةَ فِي عِنَانِي (١)
وَقُلْتُ لِعِفَّتِي بَعْدَ امْتِنَاعٍ إِلَيْكَ فَقَدْ عَنَانِي مَا عَنَانِي (٢)
فَمَا لِي عَنْ هَوَى الْحَسَنَاءِ صَبْرٌ يُوقِرُ عِنْدَ سَوْرَتِهِ جَنَانِي (٣)
وَكَيْفَ يَضِيقُ مَنْ دَارَتْ عَلَيْهِ كُؤُوسُ هَوَى مِنْ الْحَدَقِ الْحَسَانِ؟ (٤)
أَعَاذِلُ خَلْنِي وَشُؤُونَ قَلْبِي وَخُذْ مَا شِئْتَهُ فِي أَيِّ شَانٍ (٥)
فَقَدْ شَبَّ الْهَوَى مِنْ رَامٍ نُصْجِي وَأَغْرَى فِي الْمَحَبَّةِ مَنْ نَهَانِي (٦)

- الكبير ، واحده دَرَّة . وتمائل الشيطان : تشابها ، وتعادلا . ورجح الحصى بالدرّ : أي خفّ الدرّ ، فثقل الحصى ، وزاد عليه في الوزن .
- (٣٦) خصصت به : انفردت به . والمسعاة : واحدة المساعي ، أي المحاولة . وأخطأ حاسد مسعاته : أي أخفق حاسدي ، فلم يصب ما طلبه . وهدى : أي تكلم بغير معقول . وقلاه : أبغضه ، وكرهه غاية الكراهية ، فهجره واجتنبه .
- (١) صبا إليه : مال إليه ، وتشوّق . والمدامة : الخمر . والغواني : جمع الغانية ، وهي المرأة التي غنيت بحسنها الطبيعي عن الزينة . وحكمه في الشيء : جعل له الحكم فيه ، والسيطرة عليه . والغواية : الإمعان في الضلال ، والانهماك في الجهل . وتحكيم الغواية في عنانه : كناية عن انقياده لها وسيطرتها عليه .
- (٢) العفة : مصدر عَفَّ ، أي كَفَّ ، وامتنع . وإليك : أي إليك عني ، ابتعدي . وعناني : عرض لي ، وشغلني .
- (٣) الوقار : الثبات والسكون ، والرزانة والاستقرار . وسار : وثب وثار . وسورة الهوى : شدته وحرقته . والجنان : القلب . وسورته : أي سورة الهوى ، أو سورة الجنان ، أي ثورانه واضطرابه بسبب الهوى .
- (٤) الحدق : جمع الحدقة ، وهي السواد المستدير وسط العين . ويراد بالحدق هنا : العيون .
- (٥) عاذل : اسم فاعل من عَذَلَ ، أي لامه ، محاولاً صدّه عن هواه . وخلني : اتركني .
- (٦) شب : أوقد ، وأضرم . ورامه : أراده وطلبه . وأغراه : أولعه ، وحضه .

رَضِيْتُ مِنَ الْهَوَىٰ بِنُحُولِ جِسْمِي وَمِنْ صِلَةِ الْبَخِيلَةِ بِالْأَمَانِي (٧)
وَلَسْتُ بِطَالِبٍ فِي النَّاسِ خِلاً يُنَاصِحُنِي فَعَقْلِي قَدْ كَفَانِي (٨)
بَلَوْتُ النَّاسَ وَاسْتَخْبَرْتُ عَنْهُمْ صُرُوفَ الدَّهْرِ أَنَا بَعْدَ آنٍ (٩)
فَمَا أَبْصَرْتُ غَيْرَ أَخِي كِذَابٍ خَلُوبِ الْوُدِّ مَصْنُوعِ الْحَنَانِ (١٠)
يُصْرِحُ بِالْعَدَاوَةِ وَهُوَ نَائٍ وَيَمْذُقُ فِي الْمَحَبَّةِ وَهُوَ دَانِي (١١)
لَهُ فِي كُلِّ جَارِحَةٍ لِسَانٌ يَدُورُ بِهِ عَلَى حُكْمِ الزَّمَانِ (١٢)
فَلَا تَأْمَنُ عَلَى نَجْوَاكَ صَدْرًا فَرُبَّ خَدِيعَةٍ تَحْتَ الْأَمَانِ (١٣)
وَلَا يَغْرُرُكَ قَوْلُ دُونَ فِعْلٍ فَإِنَّ الْحُسْنَ قُبْحٌ فِي الْجَبَانِ (١٤)

(٧) النحول : الهزال ، وضعف الجسم . والأمانى : جمع الأمنية ، وهي ما يتمناه الإنسان ، ويتغنيه .

(٨) الخل : الصديق ، الخليل . ویناصحني : ينصح لي ، وأنصح له . وكفاني عقلي : أي أغناني عن الأخلاء .

(٩) بلاه : جربه ، واختبره . واستخبرت صروف الدهر عنهم : أي سألتها عنهم ، وطلبت منها أخبارهم وأنبأهم . وصروف الدهر : نوازل الزمان ، وشدائد الأيام . وأنا بعد أن : أي حيناً بعد حين . واستخبرت صروف الدهر عن الناس : أي عرفت حقيقة أخبارهم من نواب الدهر ، وحدثان الزمان .

(١٠) الكذاب : الكذب . وأخ الكذاب : الكذاب . وخلوب الود : أي وده كاذب خادع زائف . من خلبه : إذا خدعه باللسان ، ولطيف الكلام . والحنان : رقة القلب ، والرحمة . وحنان مصنوع : أي حنان خادع كاذب ، لا ينبع من القلب ، ولا يتصل به .

(١١) يصرح بالعداوة : يظهرها ، ويكشفها . وناء : بعيد . ومذق فيه يمدق : أي مزجه وخلطه . ومن المجاز : فلان يمدق الود : إذا لم يخلصه . ودان : قريب .

(١٢) له : أي لأخي الكذاب . والجارحة : العضو العامل من أعضاء الجسد ، كاليد والرجل . والحكم : القضاء والفصل في الأمور .

(١٣) النجوى : السر . والصدر هنا : القلب . ومن كلامهم «صدور الأحرار قبور» . والخديعة : اسم من خدعه ، أي أظهر له خلاف ما يخفيه .

(١٤) المعنى : لا تظمئن إلى قول امرئ ما لم يصدقه فعله ؛ فالقول بلا فعل خداع وتغريب ، وكذب وجبن ، ثم إن محاسن الجبان قبائح .

وَمَا أَنَا وَالطَّبَاعُ لَهَا انخِداًعُ رَغِبْتُ بِشِيمَتِي وَعَرَفْتُ نَفْسِي
 وَمَا شُرْبِي الْمُدَامَ هَوَىٰ وَلَكِن مَخَافَةَ أَنْ تَهِيحَ بَنَاتِ صَدْرِي
 وَفِيمَ وَقَدْ بَلَوْتُ الدَّهْرَ أَبْغِي وَلَسْتُ أَرَىٰ سِوَىٰ صُبْحٍ وَجُنْحٍ
 فَيَا مَنْ ظَنَّ بِالْأَيَّامِ خَيْرًا أترغَّبُ فِي السَّلَامَةِ وَهِيَ دَاءٌ ؟
 بِذِي تَرَفٍ يُرَوِّعُ بِالسَّنَانِ (١٥) وَلَمْ أَدْخُلْ لَعَمْرُكَ فِي قِرَانِ (١٦)
 عَقَدْتُ بِحَدِّ سَوْرَتِهَا لِسَانِي (١٧) فَيَظْهَرُ بَعْضُ سِرِّي لِلْعِيَانِ (١٨)
 صَدِيقاً أَوْ أَحِنَّ إِلَىٰ مَكَانٍ ؟ (١٩) إِلَيْنَا بِالرَّدَىٰ يَتَسَابَقَانِ (٢٠)
 رُوَيْدَكَ فَهِيَ أَقْرَبُ لِلْحِرَانِ (٢١) وَتَجْمَعُ لِلْبَقَاءِ وَأَنْتَ فَايِي ؟ (٢٢)

(١٥) روعه ترويعاً : أفزعه ، وأحافه . والشنان : جمع الشن ، وهو الجلد القديم اليابس ، تحركه فتسمع له صوتاً . ومن أمثالهم : « لا يقعق لي بالشنان » : أي لا يروعي ما لا حقيقة له . والقعقة : تحريك الشيء اليابس الصلب مع صوت .

(١٦) رغبت بشيمتي : أي اعتززت بها ، وفضلتها على غيرها . وعرفت نفسي : أي عرفت لها عزتها وكرامتها ، فجنبتها الجبن والضعف ، والخذاع . و« في قران » : في مقارنة . والمعنى : أنه حرص على أن يبقى منفرداً بنفسه غير مقترن بغيره ؛ أو مقارن نفسه بغيره .

(١٧) المدام : الخمر . وعقد لسانه : كفه ، وصانعه ، فلم يطلقه بما يشينه ويضره . وسورة الخمر : حدثها ، وشدتها ، وقوة تأثيرها في شاربها . وحد السورة : كسرهما ، أو منعها .

(١٨) المخافة : الخوف ، أي عقدت لساني بكسر سورة الخمر خوفاً من أن تهيج بنات صدري . وهاج الشيء : ثار . وبنات صدري : الأسرار التي تكتم . أي مخافة أن تهيج سورة الخمر همومي ؛ فأبوح ببعض سري . أو مخافة أن تهيج سورة الخمر ما أكتمه من أسراري ، فيظهر بتأثيرها بعضها . والعيان هنا : الناس الذين يعاينون أي يرون أعمالي وأقوالي ويتفحصونها .

(١٩) المعنى : أنه ابتلى الدهر وأهله ، وتمرس بأفاته ، وعرف ما يحمله للناس من الصروف والأحداث ، فزهده في الدنيا ، وانصرف عنها ، وأثر الوحدة والانفراد ، ولم يجد فائدة من ابتغاء الأصدقاء ، واتخاذ الأخلاء ، والحنين إلى الأمكنة .

(٢٠) جنح الليل : ظلامه . ويراد بالصبح والجنح : النهار والليل . والردي : الموت والهلاك .

(٢١) رويدك : تمهل . والمعنى : لا تعجل فتحسن الظن بالأيام ، وترقب منها الخير . والحران : اسم من حرن الفرس ونحوه ، أي عاصى صاحبه ، وعاسره ، وخرج عن طاعته وقيادته .

(٢٢) المعنى أن السلامة داء أيضاً ، لأنه إذا كان الداء ينتهي بالإنسان إلى الموت والهلاك ، فلا

دَعِ الدُّنْيَا وَسَلِّ الِهَمَّ عَنْهَا إِذَا اعْتَكَرْتَ بِصَافِيَةِ الدَّنَانِ (٢٣)
فَإِنَّ الرِّاحَ رَاحَةً كُلُّ نَفْسٍ إِذَا دَارَتْ عَلَى نَعْمِ القِيَانِ (٢٤)
مِنَ الخَمْرِ الَّتِي دَرَجَتْ عَلَيْهَا أَفَانِينَ مِنْ العُصْرِ الفَوَانِي (٢٥)
تَخَالَ وَمِيضَهَا فِي الكَّاسِ نَارًا فَتَلْمِسُهَا بِأَطْرَافِ البَنَانِ (٢٦)
فَخُذْهَا غَيْرَ مَدْخِرٍ نَفِيسًا فَلَيْسَ العُمُرُ يَدْخُلُ فِي ضَمَانِ (٢٧)
وَخَلَّ النَّاسَ عَنْكَ فَلَيْسَ فِيهِمْ سَلِيمٌ القَلْبِ عِنْدَ الإِمْتِحَانِ (٢٨)
تَمَائِيلُ تَدُورُ بِلَا عُقُولٍ وَالْفَاطُ تَمُرُّ بِلَا مَعَانِي (٢٩)

ريب أن السلامة مثله ، وأن الموت نهاية كل منهما ، وكذلك فإن جمع المال ونحوه ؛ وكان
الانسان باق مخلد يدعو إلى العجب ، أو يدعو إلى الإنكار والاستهجان .
(٢٣) دع : اترك ، واجتنب . والهمم : الحزن والقلق . وسلاه من همه ، وعن همه : كشفه عنه ،
وأزاله . واعتكرت : تكدرت ، وزال صفاؤها . وصافية الدنان : كناية عن الخمر الجيدة
المعتقة التي تركت زماناً في دنانها أو خوابيها حتى رقت ، وراقت ، وصفت .
(٢٤) الراح : الخمر . والنغم : التطريب في الغناء . والقيان : الإماء المغنيات .
(٢٥) درجت عليها : مرت عليها . وأفانين : ضروب وأنواع . والعصر : جمع عصر ، وهو الزمان
والدهر . وعصر أفانين : أي منوعة مختلفة ، وهذا أدعى لتعتيقها ، ورفع قيمتها . والفواني :
التي فنيت ، وذهبت .
والمعنى : أنها خمر جيدة ، نقية ، صافية ، معتقة بطول ما مرّ بها من العصور المتنوعة .
(٢٦) تخال : تحسب وتظن . والمييض : اللمعان والبريق . والبنان : الأصابع ، الواحدة بنانة .
(٢٧) مدّخر (بالذال والذال) : اسم فاعل من ادخر الشيء ادخاراً ، أي أعدّه لوقت الحاجة .
وشيء نفيس : غال . والنفيس : المال الكثير . والضمان : الكفالة .
(٢٨) خل الناس عنك : أي اتركهم ، واجتنبهم . وسلامة القلب : كناية عن سلامة دواعي
الصدر ، أي البراءة من آفات النفس وسوءاتها ، كالحقد والحسد .
(٢٩) « تماثيل » : جمع تمثال ، وهو ما نحت من حجر ، أو صنع من نحاس أو نحوه كهيئة الإنسان
وغيره .
وفي هذا البيت شبههم بالتماثيل المتحركة ، وجردهم من العقول والأفهام ، وجرد كلامهم
من المعاني والأفكار .

تَشَابَهَتْ الْأَسَافِلُ بِالْأَعَالِي
تَرَى كُلَّ ابْنِ أُنْثَى لَا يُبَالِي
يُدِلُّ بِنَفْسِهِ إِنْ غَبَّتْ عَنْهُ
فَمَنْ لِي وَالْأَمَانِي كَاذِبَاتُ
الْأَعْبُ فِيهِ أَطْرَافَ الْعَوَالِي
تَرَانِي فِيهِ أَوَّلَ كُلِّ دَاعٍ
إِلَى أَنْ تَنْجَلِي الْغَمْرَاتُ عَنْهُ
أَنَا ابْنُ اللَّيْلِ وَالْخَيْلِ الْمَذَاكِي

فَمَا يُدْرِي الْهَجِينُ مِنَ الْهَجَانِ (٣٠)
بِمَا جَرَّتْ عَلَيْهِ مِنَ الْهَوَانِ (٣١)
وَيُشْرِقُ بِالزُّلَالِ إِذَا رَأَيْتَنِي (٣٢)
بِيَوْمٍ فِي الْكَرْيَهَةِ أَرْوَانِ (٣٣)
وَأُطْلِقُ بَيْنَ هَبْوَتِهِ حِصَانِي (٣٤)
وَيَرْتَفِعُ الْغُبَارُ فَلَا تَرَانِي (٣٥)
وَيَعْرِفْنِي بِفَتْكِي مَنْ بَلَانِي (٣٦)
وَبَيْضِ الْهِنْدِ وَالسُّمْرِ اللَّدَّانِ (٣٧)

- (٣٠) الهجين من الناس : من ولد من أب عربي وأم أعجمية . والهجين أيضاً : اللثيم . ورجل هجان : كريم الحسب ، نقي الأصل .
- (٣١) ترى كل ابن أنثى : أي ترى كل امرئ . وجرّ على نفسه : أي جنى جناية . والهوان : الذل والحقارة .
- (٣٢) أدلّ عليه إدلالاً : اجترأ ، أو افتخر . وشرق بالماء : غصّ به ، فلم يكديسيغه . والزلال : الماء العذب . والشرق بالزلال : كناية عن الاضطراب ، والخور ، والانكسار .
- (٣٣) « فمن لي بيوم » : استفهام يراد به التمني . وكذبت الأمانة ، فهي كاذبة : أي لم تتحقق . والكريهة : الحرب ، أو الشدة فيها . ويوم أروان : يوم عصيب ، صعب ، شديد الهول . والرون (بوزن القول) : أقصى المشارة . وروان اليوم : اشتدّ حرّه ، أو غمّه ، أو هوله .
- (٣٤) لاعبه : لعب معه . وفي ملاعبة أطراف العوالي : إشارة إلى تمرّسه باستخدام الأسنة والعوالي ، والقنا والرماح ، وسائر أنواع السلاح . والعوالي : جمع العالية ، وهي أعلى القناة . والهبة : الغبار الذي تثيره سنايك الخيل .
- (٣٥) ارتفاع الغبار هنا : كناية عن احتدام القتال ، وقيام الحرب على ساقها .
- (٣٦) تنجلي : تنكشف ، وتزول . وغمرات الحرب : شدائدها . وعنه : أي عن اليوم الأروان ، أي إلى أن تنتهي شدائده وأهواله ، وتضع الحرب أوزارها . والفتك : مصدر فتك ، ضرب وقتل . وبلاه : جربه واختبره وامتحنه .
- (٣٧) ابن الليل : كناية عن الشجاعة ، ورباطة الجأش ، وشدة البأس . والمذاكي من الخيل : ما تمتّ سنّه ، وكمّلت قوّته . والبيض : السيوف . وإضافتها إلى الهند لاشتهارها بإتقان صنعها ، وتجارتها . والسمر : القنا والرماح . يقال : قناة سمراء ، ورمح أسمر . والجمع

إِذَا عَيْنٌ أَجَدَّ بِهَا طِمَاحٌ جَعَلْتُ مَكَانَ حَبَّتِهَا سِنَانِي (٣٨)
 وَقَالَ وَهُوَ بَسْرُنْدِيبٌ يَتَشَوَّقُ إِلَى الْوَطَنِ ، وَيَذْكُرُ صَدِيقًا لَهُ* :

وَاطْوَلَّ شَوْقِي إِلَيْكَ يَا وَطَنُ ! وَإِنْ عَرَّتَنِي بِحُبِّكَ الْمِحْنُ (١)
 أَنْتَ الْمُنَى وَالْحَدِيثُ إِنْ أَقْبَلَ الصُّ صُْبِحُ وَهَمِّي إِنْ رَنَّ الْقَوْسُنُ (٢)
 فَكَيْفَ أَنْسَاكَ بِالْمَغِيبِ وَلِي فِيكَ فُوَادُ بِالْوَدِّ مُرْتَهَنُ ؟ (٣)
 لَسْتُ أَبَالِي وَقَدْ سَلِمْتَ عَلَى الدُّ دَهْرٍ إِذَا مَا أَصَابَنِي الْحَزَنُ (٤)
 لَيْتَ بَرِيدَ الْحَمَامِ يُخْبِرُنِي عَنْ أَهْلِ وَدِّي فَلِي بِهِمْ شَجَنُ (٥)

سمر . واللدان (بكسر اللام) : جمع لدن ، ولدنة ، صفة من اللدونة ، وهي اللين والمرونة .

(٣٨) أجد في الأمر : اجتهد ، واشتد . والطماح (بكسر الطاء) : مصدر طمح بصره إلى الشيء ، أي ارتفع واستشرف . وحبّة العين : ناظرها ، أو سوادها . والسنان (بكسر السين) : نصل الرمح ، أي حديدته القاطعة الجارحة . وأجدّ الطمّاح بالعين : أي طمحت فخرجت عن حدّ القصد ، والاستقامة ، والاعتدال . وجعلت مكان حبّتها سناني : أي فقأتها ، وأعميت صاحبها .

(*) الصديق المذكور في هذه القصيدة بحسن الشاء هو الشيخ محمد عبده (١٨٤٥ - ١٩٠٥) .
 (١) « وا » : حرف نداء . وعرتني : أصابتني . وبحبك : أي بسبب حبك . والمحن : البلايا والشدائد .

(٢) المنى : جمع منية ، وهي البغية ، ومثلها الأمنية . ويراد بالحديث : حديث النفس ، أي ما يشغلها ، فتحدث به ، وتشتاق إليه . والهمم : مصدر همم الأمر أي أقلقه وأحزنه . والمراد أن عبده عن وطنه لا يفتأ يقلقه ويحزنه . والوسن : أول النعاس ، أي فتور الحواس ، ومقاربة النوم . ورنق النوم في عينيه ترنيقاً : أي خالطهما وخامرهما .

(٣) الاستفهام في أول البيت معناه النفي ؛ فهو لا ينسى وطنه ، ولا يسلوه . والمغيب : التغيب ، أي لن أنساك في غيبي وبعدي عنك . والودّ : الحبّ . ومرتهن : ثابت ، مقيم على الود .

(٤) لا أبالي : لا أهتم ، ولا أكرث . وسلمت على الدهر : أي سلمت على مدى الدهر ، أي سلامة باقية دائمة بقاء الزمان .

(٥) البريد : أصله الدابة التي تحمل الرسائل ، ويطلق على الرسول ، والرسائل . وكانوا يختارون

أَهُمَّ عَلَى الْوُدِّ أَمْ أَطَافَ بِهِمْ وَأَشْرَاهُمْ خِلَافَ مَا يَقْنُوا؟ (٦)
فَإِنْ نَسُونِي فَذُكْرَتِي لَهُمْ وَكَيْفَ يَنْسَى حَيَاتَهُ الْبَدَنُ؟ (٧)
أَصْبَحْتُ مِنْ بَعْدِهِمْ بِمَضِيعَةٍ تَكْثُرُ فِيهَا الْهُمُومُ وَالْإِحْنُ (٨)
بَيْنَ أَنْاسٍ إِذَا وَزَنْتَهُمْ بِالذَّرِّ عِنْدَ الْبَلَاءِ مَا وَزَّنُوا (٩)
لَا فِي مَوَدَّاتِهِمْ إِذَا صَدَّقُوا رِبْحٌ وَلَا فِي فِرَاقِهِمْ غَبْنٌ (١٠)
مِنْ كُلِّ فِظٍّ يَلُوكُ فِي فَمِهِ مُضْغَةٌ سُوءٍ مِزَاجُهَا عَفْنٌ (١١)
يَنْضَحُ شِدْقَاهُ بِالرُّؤَالِ كَمَا عُلٌّ يَنْضَحُ الْعَتِيرَةَ الْوَثْنُ (١٢)

نوعاً من الحمام، ويعودونه الطيران برسالة يعلقونها في عنقه، فيطير بها إلى حيث عودوه، ويسمونه حمام الزاجل. وأهل وده: أحباؤه وأصفياءه. والشجن: الهم، والحزن، وهوى النفس. ولي بهم شجن: أي لي بهم هوى، وتعلق، واهتمام.

(٦) أطاف بهم: ألم بهم، أو أحاط بهم. والواشي: اسم فاعل من الوشاية، وهي النيمة، والسعاية، والإفساد بين الناس بتأليف الكذب. ويقن الشيء: علمه، وتحققه، واستيقنه.

(٧) يقول: إن نسيتني أهل ودي فإني ذاكرا لهم، مقيم على ودهم؛ فإنهم مني بمنزلة الروح من الجسد، ولن ينسى الجسد روحه وحياته.

(٨) المضيعة: الضياع بسبب الانقطاع عن وطنه وأهل وده. والإحن: جمع الإحنة، وهي الغضب، والضغن، والحقد الشديد.

(٩) الذر: صغار النمل. والبلاء: المحنة، والشدة.

يقول: إذا بلوتهم، فوازنت بينهم وبين الذر ما ساووه. ووصم من يقيم بينهم من الناس في منفا بالخسة، والحقارة، وتفاهة الشأن، وهوان الأمر.

(١٠) الغبن: مصدر غبنه، أي خدعه، وغلبه ونقصه. والغبن هنا: يقابل الربح.

(١١) فظ: غليظ، جاف. ولاك اللقمة في فمه: أدارها فيه، ومضغها أهون مضغ. والمضغة: القطعة التي تلاك وتمضغ من لحم وغيره. ومضغة سوء: أي مضغة سيئة مكروهة. والمضغة العفنة التي يلوكونها في أفواههم: مضغة التبغ.

(١٢) ينضح: يرشح. والشدق: جانب الفم مما تحت الخد. والرؤال: لعاب الدابة، وزيد أفواه الخيل. وعل: سقي. والنضح: رشاش الماء ونحوه. والعتيرة: ذبيحة كانوا يذبحونها لألهتهم في الجاهلية. والوثن: الصنم.

يقول: إن زيد ما يمضغونه يسيل من أشداقهم، كما يسيل دم العتيرة على وجه الوثن وجسمه.

شُعْتُ عُرَاةً كَأَنَّهُمْ خَرَجُوا مِنْ نَفَقِ الْأَرْضِ بَعْدَ مَا دُفِنُوا (١٣)
 لَا يُحْسِنُونَ الْمَقَالَ إِنْ نَطَقُوا جَهْلًا وَلَا يَفْقَهُونَ إِنْ أَدْنُوا (١٤)
 أَرَى بِهِمْ وَحْشَةً إِذَا حَضَرُوا وَطِيبَ أَنْسٍ إِذَا هُمْ ظَعَنُوا (١٥)
 وَكَيْفَ لِي بِالْمُقَامِ فِي بَلَدٍ مَا لِي بِهَا صَاحِبٌ وَلَا سَكْنُ؟ (١٦)
 كُلُّ خَلِيلٍ لِيخْلَهُ وَزُرٌّ وَكُلُّ دَارٍ لِأَهْلِهَا أَمْنٌ (١٧)
 فَهَلْ إِلَى عَوْدَةٍ أَلَمْ بِهَا شَمْلِي وَالْقَى « مُحَمَّدًا » سَنَنْ؟ (١٧)
 ذَاكَ الصَّدِيقُ الَّذِي وَثِقْتُ بِهِ فَهُوَ بِشُكْرِي وَمِدْحَتِي قَمِينٌ (١٩)
 عَاشَرْتُهُ حِقْبَةً فَأَنْجَدَنِي مِنْهُ الْحِجَا وَالْبَيَانَ وَاللَّسْنَ (٢٠)
 وَهُوَ إِلَى الْيَوْمِ بَعْدَ مَا عَلِقْتُ بِبِي الرِّزَايَا مُخَيَّلٌ هُتُنٌ (٢١)

(١٣) شعث : جمع أشعث ، صفة من الشعث ، وهو اغبرار شعر الرأس . وشعث رأسه وبدنه : اتسخ ، وقذر .

(١٤) جهلاً : أي بسبب جهلهم ، وقلة درايتهم . وفقه الكلام : فهمه ، وفطن له . وأذن : استمع .

(١٥) بهم : أي بحضورهم . والوحشة : الهم ، وانقباض القلب ، وضدها الأانس . وقد أنس به : أي ألفه ، وسكن إليه قلبه ، واطمأنت نفسه . وطيب الأانس : أفضله . وظعن : سار ، وارتحل .

(١٦) الاستفهام في أول البيت معناه النفي . أي لن يطيب لي المقام في بلد . والمقام : الإقامة والاستقرار .

(١٧) الخليل : الصديق ، ومثله الخل . والوزر : الملجأ ، والسند . وأمن (بفتححتين ، أو بفتح فسكون) : أمان ، واطمئنان .

(١٨) الاستفهام في أول البيت معناه التمني . وشملي : ما تفرق من أمري . ولمه : جمعه ، وضمه . وسنن الطريق : نهجه ، وقصده ، أي هل إلى عودة من سبيل ؟

(١٩) المدحة : الكلام أو الشعر الذي يمدح به الشاعر غيره ، وكذا المديح . وقمين : قمين ، وخليق ، وجدير .

(٢٠) حقبه : مدة . وأنجدني : أعانني ، ونصرني . والحجا : العقل ، والفتنة . والبيان : الحجة ، والمنطق الفصيح . واللسن : الفصاحة والبلاغة .

(٢١) علقت به : نشبت فيه ، واستمسكت به ، والمراد أصابته . والرزايا : المصائب ، واحداثها

يَمْنَحُنِي وُدَّهُ وَلَا خَتَنُ (٢٢) يَنْصُرُنِي حَيْثُ لَا يَكَادُ حَمُّ
لَاهُ وَفَرْدٌ يَحْيَا بِهِ الزَّمَنُ (٢٣) قَدْ كَانَ ظَنِّي يُسِيءُ بِالنَّاسِ لَوْ
وَعِنْدَ فَقْدِ الرَّجَاءِ مُؤْتَمَنُ (٢٤) فَهُوَ لَدَى الْمُعْضَلَاتِ مُسْتَنَدٌ
وَنَفْحَةُ الْوَرْدِ سِرُّهَا عَلَنُ (٢٥) نَمْتُ عَلَى فَضْلِهِ شَمَائِلُهُ
لَكَانَ بِالنَّيِّرَاتِ يَقْتَرِنُ (٢٦) لَوْ كَانَ يَعْلُو السَّمَاءَ ذُو شَرَفٍ
لِلِ الذِّكْرِ فَالذِّكْرُ مَفْخَرٌ حَسَنُ (٢٧) فَلْيُحْيِ حُرّاً مُمْتَعاً بِجَمِيهِ

وَقَالَ أَيضاً فِي صِبَاهُ :

الرزية . ومخيل : اسم فاعل من خيلت السماء تخيلاً ، أي تهيأت للمطر . وهتن : جمع هتون ، أي كثير المطر . يقال : سحاب هتون ، أي مطره متتابع غزير .
(٢٢) حم الرجل : أبوزوجته . والختن : زوج ابنة الرجل ، أو زوج أخته .
(٢٣) أساء به الظن : ارتاب ، وشك في أمره .
لقي الشاعر من الناس في محنته جفوة وإعراضاً ، وتكرراً وخذلاناً ، فسأ ظنه بهم ، لولا ما أفاضه عليه الممدوح من ودٍ ونصرة ، وإقبال ، واحتفال .
(٢٤) المعضلات : جمع المعضلة ، وهي المسألة المشككة . ومستند : سند يستند إليه ، ويعتمد عليه في حلّ المعضلات . ومؤتمن : مأمون ، يوثق به ، ويطمأن إليه .
(٢٥) نمت على فضله شمائله : أي أظهرت شمائله فضله وأداعته ، من قولهم : « نمت على المسك رائحته » . والشمائل : جمع الشمال (بكسر الشين) ، وهو الحلق ، والطبع . ونفحة الورد : رائحته المنتشرة . والعلن : خلاف السر . وعلن الأمر : أي شاع ، وظهر ، وانتشر ؛ فهو علن ، أي ظاهر منتشر . وسرها علن ، أي لا سر لها ، أو ليست من الأسرار ؛ فهي بطبيعتها على الدوام فائحة منتشرة ، ترتاح لها النفوس ، وترتوي منها القلوب .
(٢٦) علا الشيء : رقيه ، وصعده . والشرف : العلو ، والمجد . والنيرات : الكواكب المضيئة . واقترن الشيء بغيره : اتصل به ، وصاحبه .
(٢٧) الذكر : الصيت . والفخر : ما فخر به ، ومثله المفخرة .
ختم القصيدة بأن دعا لممدوحه بدوام حياة الحرية والعزة والكرامة ، والاستمتاع بما له في الناس من ذكر جميل ، وصيت ذائع ، ومفاخر ومحامد .

خَلَعْتُ فِي حُبِّ غِزْلَانِ الْحِمَى رَسْنِي وَبِعْتُ بِالسُّهْدِ فِي لَيْلِ الْهَوَى وَسْنِي (١)
 وَأَعْجَبْتَنِي عَلَى ذَمِّ الْعَذُولِ لَهَا صَبَابَةٌ نَقَلْتُ سِرِّي إِلَى الْعَلَنِ (٢)
 فَلْيَبْلُغِ الْعَذْلُ مِنِّي مَا أَرَادَ فَقَدْ أَسْلَمْتُ لِلشُّوقِ رُوجِي وَالضُّنَى بَدْنِي (٣)
 تِلْكَ الْحَمَائِمُ لَوْ تَدْرِي بِمَا لَقِيَتْ أَهْلُ الْمَحَبَّةِ لَمْ تَسْجَعْ عَلَى فَنِّي (٤)
 يَا رَبَّةَ الْخَدْرِ قُومِي فَاَنْظُرِي عَجَبًا إِلَى غَرَائِبَ لَمْ تُقَدِّرْ وَلَمْ تُكْنِي (٥)
 هُذِي يَدِي جَسَّهَا الْأَسِي وَخَامَرُهُ يَأْسُ فَعَادَرَهَا صَرَعِي مِنَ الْوَهْنِ (٦)
 وَقَالَ لَا تَكْتُمَنَّ أَمْرًا عَلَيَّ فَقَدْ عَلِمْتُ مَا بِكَ مِنْ بَادٍ وَمُكْتَمِنٍ (٧)
 فَلَمْ أُجِبْ غَيْرَ أَنَّ الدَّمْعَ نَمَّ عَلَى وَجْدِي وَدَلَّتُهُ أَنْفَاسِي عَلَى شَجْنِي (٨)

- (١) الغزلان : جمع الغزال ، وتشبه به الحسناء من النساء . والحمى : المكان يحميه صاحبه ويمنعه . وغزلان الحمى : نساؤه المحميات المحجبات . والرسن : الحبل يشد به الفرس ونحوه من أنفه ورأسه . ومن كلامهم : « خلع فلان رسنه » يكون بهذا عن ترك الحياء ، والإمعان في اللهو والمجانة . والسهد : الأرق ، وامتناع النوم . والهوى : العشق والغرام . والوسن : النعاس والنوم .
- (٢) العذول : الكثير العذل والملامة . والصبابة : رقة الهوى ، وحرارة الشوق .
- (٣) الضنى : المرض الشديد .
- (٤) الحمائم : جمع الحمامة . وأهل المحبة : العشاق . وسجعت الحمامة : هدرت . والفنن : الغصن ، وجمعه أفنان .
- (٥) الخدر : ستر يمد للمرأة في ناحية البيت ، وما يفرد لها من السكن . وربّة الخدر : صاحبتة . وربات الخدور : المصونات المحجبات من النساء . ولم تقدر : أي لم تقدر على غيري ، أي لم يصب بها غيري . ولم تكن : أي لم توجد . ومعنى غرائب : أي لا نظائر لها .
- (٦) الأسي : الطبيب . وخامره : خالطه وداخله . وغادرها : غادر يدي ، أي تركها . وصرعى : يريد في حالة تشبه الشلل أو التشنج . والوهن : الضعف .
- (٧) الأمر : الشأن ، والحال . وباد : ظاهر ، واضح ، وضده المكتمن : اسم فاعل من اکتمن اکتماناً ، أي اختفى ، واستتر .
- (٨) نمّ الدمع على وجده : دلّ عليه ، وأظهره . والوجد : الحب الشديد . والشجن : الحزن ، والهَمّ ، والحاجة الشاغلة .

عَظْفًا عَلَيَّ فَلَمْ أَطْلُبْ إِلَيْكَ سِوَى
مَا لِلْعَدُولِ رَأَى وَجِدِي فَأَحْفَظُهُ
لَا تَقْبَلِي الْعَدْلَ فِي مِثْلِي فَكُلُّ فَتَى
وَالنَّاسُ أَعْدَاءُ أَهْلِ الْفَضْلِ مُذْ خُلِقُوا
فَلَا صَدِيقَ عَلَيَّ وَدَّ بِمُتَّفِقِي
فَلَيْتَ لِي وَدَوَاعِي النَّفْسِ كَاذِبَةٌ
أُصْفِيهِ وَدِّي وَأُمْلِيهِ الْهَوَى وَأَرَى
هَيْهَاتَ أَطْلُبُ أَمْرًا لَيْسَ يَبْلُغُهُ
مَهْلًا أَخَا الْجَهْلِ لَا يُغَوِّبُكَ مَا نَظَرْتَ

أَنْ أَمْتَعَ الْعَيْنَ مِنْ تِمْثَالِكَ الْحَسَنِ (٩)
حَتَّى أَتَاكُمْ بِقَوْلٍ مِنْ هُنَّ وَهِنَّ؟ (١٠)
حُرَّ الشَّمَائِلِ مَحْسُودٌ عَلَيَّ الْفِطْنِ (١١)
مِنْ عَهْدِ آدَمَ سَبَّاقُونَ فِي الْإِحْنِ (١٢)
وَلَا خَلِيلَ عَلَيَّ سِرًّا بِمُؤْتَمَنِ (١٣)
خِلًّا يَكُونُ سُرُورَ الْعَيْنِ وَالْأُذُنِ (١٤)
مِنْهُ الصَّوَابَ وَأَرْجُوهُ عَلَيَّ الزَّمَنِ (١٥)
حَيٌّ وَلَوْ سَارَ مِنْ هِنْدٍ إِلَى يَمَنِ (١٦)
عَيْنَاكَ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا مِنَ الْفِتَنِ (١٧)

- (٩) المعنى : احتجبت عنه محبوبته ، وتمنعت ، فاستعطفها ، وقصر سؤاله وأمله على أن تظهر له ، ليستمتع بالنظر إليها ، ورؤية محاسنها .
- (١٠) العذول : المسرف في اللوم . وأحفظه الوجد : أغضبه . والهن : كلمة كناية ، ومعناها شيء . وقول من هن وهن : أي قول ملقق .
- (١١) حر الشمائيل : كريم الأخلاق ، شريف الطباع . والفتن : جمع فطنة ، وهي الحدق ، والمهارة ، وتوقد الذهن ، وقوة الفهم .
- (١٢) أهل الفضل : أصحاب الخير ، والبر ، والإنعام . والإحن : جمع الإحنة ، وهي الحقد ، وإضمار العداوة والبغضاء .
- (١٣) الود : المحبة . والخليل : الصديق الخالص .
- (١٤) يراد بدواعي النفس : احتياجاتها ، ورغائبها ، وآمالها . ويراد بالكاذبة : البعيدة المنال ، التي لا تكاد تتحقق .
- (١٥) أصفاه الود : أخلصه له ، وصدق فيه . وأملاه هواه : أدامه له ، وأمتعته به . من قولهم : أملاه الله العيش : أي أطاله له . وأرجوه على الزمن : أي أمل خيره على مدى الزمان ، وطوال الدهر .
- (١٦) هيهات : اسم فعل ماض بمعنى بعد ؛ فهي كلمة تبيد . ويراد بالحي : الإنسان . ولو سار من هند إلى يمن : أي ولو نَقَبَ في البلاد ، وقطع أقطار الأرض .
- (١٧) لا يغويبك : لا يضلِّك . وفتنه الشيء : أعجبه وسره واستماله ، ومنه الفتنة : وفتنة الدنيا : زيتها وزخرفها ، ومتاعها وباطلها الذي تغرَّب به الناس وتخدعهم .

هُذِي الْبَرِيَّةُ فَاَنْظُرْ اِنْ وَجَدْتَ بِهَا
 اَنَا الَّذِي عَرَفَ الْاَيَّامَ وَاَنْكَشَفْتُ
 طُفْتُ الْبِلَادَ وَجَرَّبْتُ الْعِبَادَ فَلَمْ
 خُلِقْتُ حُرّاً فَلَا قَدْرِي بِمُتَّضِعٍ
 لَا عَيْبَ فِي سِوَى اَنِّي عَتَبْتُ عَلَيَّ
 وَهَذِهِ شِيْمَةُ الدُّنْيَا وَمَنْ عَجَبٍ
 لَيْسَ السُّرُوْرُ الَّذِي يَأْتِي الزَّمَانُ بِهِ
 فَاسْتَبْقِ نَفْسَكَ اِنْ كُنْتَ اَمْرًا فَطِنًا
 غَيْرَ الَّذِي قُلْتُ فَاهْجُرْنِي وَلَا تَرْنِي (١٨)
 لَهُ سَرَائِرُهَا مِنْ كُلِّ مُخْتَزِنٍ (١٩)
 اُرْكُنْ لِخَلٍّ وَلَمْ اُجْنَحْ اِلَى سَكْنٍ (٢٠)
 عِنْدَ الْمُلُوْكِ وَلَا عِرْضِي بِمُمَّتَهِنِ (٢١)
 دَهْرِي فَقَدَمَ مِنْ دُوْنِي وَاُخْرِنِي (٢٢)
 اَنِّي اَرَى مِحْتَيَّ فِيهَا وَتُعْجِبْنِي (٢٣)
 يَفِي بِقَدْرِ الَّذِي يَمْضِي مِنَ الْحَزْنِ (٢٤)
 وَاَقْنَعُ بِعَيْشِكَ فِي سِرْبَالِكَ الْخَشِنِ (٢٥)

(١٨) البرية : الخلق والناس . وهذي البرية : أي هذه حقيقتها ، وقصتها . وغير الذي قلت : أي
 غير ما ذكرته ، من فتن الدنيا التي تغوي الجاهل ، وتخدع الغافل ، ومن قلة الوفاء ، وكثرة
 الغدر ، وندرة الأخلاء . ولا ترني : قاطعني ، وأعرض عني .
 (١٩) يريد بالأيام : تقلب الزمان ، أو ما ينطوي عليه من الخير والشر . أو يريد أهل الزمان ، وما
 يخفونه تحت أبواب النفاق من الغدر والخيانة . والسرائر : جمع السريرة ، وهي السر الذي
 يكتُم ، ويسرّ . ومختزن : ما اختزن وأخفي .
 (٢٠) يقول : إنه نقب في البلاد ، وجرب الناس ، فلم يجد الصديق الذي يثق به ، ولا المسكن
 الذي يطمئن إليه .
 (٢١) القدر : الشأن والحال ، والدرجة والمنزلة . ومتضع : هين ، حقير ، وضعيف . والعرض : ما
 يمدح ويذم من الإنسان . وممتهن : مبتذل .
 (٢٢) عتب عليه : لومه في غضب وتسخط ، أو أنكر عليه شيئاً من فعله . وقدم من دوني : أي قدم
 عليّ من هو أقلّ مني .
 (٢٣) هذه شيمة الدنيا : أي هذه عادة الدهر من معاصرة الكرام الأحرار ، ورميهم بالبلايا والمحن .
 والشيمة : الخلق ، والطبع . والمحنة : البلاء والشدة .
 (٢٤) قدر الشيء : مبلغه ، ومقداره . وفي بقدره : يماثله ويساويه .
 (٢٥) السربال : القميص . وسربالك الخشن : كناية عن شظف العيش .
 والمعنى : من الفطنة ، وجودة الفهم ، أن تحيا حياة القناعة ، وخشونة العيش ؛ وبهذا
 تستبقي نفسك ، وتقيها من الطمع الممقوت ، والإغراق في الترف ، ونحوهما من المفسدات
 المرديات .

وَلَا تَفْهَ بِحَدِيثِ النَّفْسِ إِنْ بِهِ
 وَلَا تَسَلْ أَحَدًا عَوْنًا عَلَى أَمَلٍ
 خَيْرُ الْمَعِيشَةِ مَا كَانَتْ مُذَلَّلَةً
 وَعَاشِرِ النَّاسِ بِالْحُسْنَى فَإِنْ عَرَضَتْ
 فَالْصَّفْحُ عَنْ بَعْضِ مَا يُمْنَى الْكَرِيمُ بِهِ
 هَذَا الطَّرِيقُ فَإِنْ أَخْطَأَتْ شِرْعَتَهُ
 وَقَالَ يَفْتَخِرُ عَلَى طَرِيقَةِ الْعَرَبِ (*) :

(٢٦) فاه بالقول : نطق به . ويراد بحديث النفس : ما يسره الإنسان ، ويضمه في نفسه . وسعي الحاسد : ما يسعى إليه ، ويحرص عليه من الإضرار بك ، والكيد لك . والأفن : الفاسد ، الأحمق ، الضعيف الرأي والعقل .

(٢٧) على أمل : أي على تحقيق أمل من آمالك . وحتى تكون : أي لكيلا تكون . والمنن : جمع منة ، وهي الإنعام والإحسان .

(٢٨) مذلة : ميسرة سهلة . وهوناً : هيئة سهلة . والهون : الرفق ، والتؤدة . ومعصوم : محفوظ ، مصون . والدرن : الوسخ والقذر . وعصمة ثوب المرء من الدرن : كناية عن استقامته ، ونقاء عرضه .

(٢٩) بالحسنى : أي بالخلق الحسن . وعرضت : بدت وظهرت . وتغمدتها : أي استرها ، وتجاوز عنها . والظنن : جمع الظنة ، وهي التهمة . أي لا تلق الإساءة بالإساءة ، ولا تحاول محاسبتهم على ما تتهمهم به .

(٣٠) الصفح : العفو . ويمنى : يبتلى ويصاب . وشكر بلا ثمن : أي شكر يأتيه من الناس عفواً بلا عوض ، ومن غير مسألة .

(٣١) هذا الطريق : أي ما رسمته لك هو طريق الاستقامة ، والسلامة ، والسعادة . وأخطأ الهدف : انحرف عنه ، ولم يصبه . والشرعة : الطريق ، والمذهب المستقيم . والحوض : مجتمع الماء . والعطن : مبرك الإبل ، ومريض الغنم حول الماء . يقول : إن من ينحرف عن هذا الطريق يضع نفسه في أضيق مجال ، وبأهون الأسباب ، وينتهي أمره إلى البوار والخسران .

(*) يراد بطريقة العرب : منهاج شعرائهم القدامى .

أَحِبُّ بِهِنَّ مَعَاهِدًا وَمَعَانَا	كَانَتْ مَنَازِلُنَا بِهَا أَحْيَانَا (١)
دِمْنٌ عَفْتُ بَعْدَ الْأَنِيسِ فَأَصْبَحْتُ	لِلْجَازِئَاتِ مِنَ الظُّبَاءِ مَكَانَا (٢)
وَلَقَدْ نَرَى فِيهَا مَلَاعِبَ لَمْ تَنْزَلْ	تُشْجِي الفُؤَادَ وَلَا نَرَى إِنْسَانَا (٣)
عَرَفْتُ بِهَا الْجُرْدُ الْعِتَاقُ مَجَالَهَا	فَعَدْتُ تُحْمِحُمُ رِقَّةً وَحَنَانَا (٤)
بِتِنَّا بِهَا مُتَسَانِدِينَ عَلَى الثَّرَى	نَصِيفُ الْكِلَالِ وَنَذْكُرُ الْإِخْوَانَا (٥)
أَيَّامَ لَا يَرِدُ الْجِمَامَ لِعِزِّهَا	أَحَدٌ وَلَا يَرَعَى الْجَمِيمَ سِوَانَا (٦)
فِي مَعْشَرٍ رَسَخَتْ حَصَاةُ حُلُومِهِمْ	أَدْبَاءً وَخَفُّوا لِلْوَعَى فُرْسَانَا (٧)

(١) أحبب بهن : أسلوب تعجب . والمعاهد : جمع المعهد ، وهو المنزل . والمعان (بوزن المجال) : المنزل .

(٢) الدمن : آثار الديار التي ارتحل عنها أهلها ، الواحدة دمنة . وعفت : درست ، وامحت . والأنيس : المؤانس الذي تأنس به ، وتطمئن إليه . والجازئات : جمع جائزة ، أي المكتفية .

(٣) فيها : أي في المعاهد التي خلت من أهلها . وأشجاه يشجيه : حزنه ، وأسفه .

(٤) عرفت بها : أي بالديار المهجورة . والجرد : نجائب الخيل ، وخيارها . يقال : فرس أجرد ، أي كريم . وعتاق الخيل : خيارها ونجائبها . وفرس عتيق : أي نجيب كريم ؛ فالعتاق تأكيد لمعنى الجرد . ومجالها : المكان الذي كانت تجول فيه وتدور . وتحمحم : تسهل سهيلاً خافتاً . والحنان : رقة القلب .

(٥) تساند إليه : أي ركن إليه ، واعتمد عليه ، واتكأ . والثرى : الأرض . والكيلال : الإعياء والتعب ، مصدر كل الإنسان والدابة من المشي . وفي وصفهم الكلال إشارة إلى أنهم قصدوا لتلك المعاهد من مسافات بعيدة ، وتجشّموا لها شدائد السفر ومتاعبه لمكانتها في نفوسهم ، وحرصهم على زيارتها .

(٦) ورد الماء : صار إليه ، وأتاه . والجمام : جمع جمّة ، وهي البئر الكثيرة الماء . وعزّ الجمام : كناية عن عزة أهلها وقوتهم . والجميم : النبت الكثير ، أو الناهض المنتشر الذي غطى الأرض . وسوانا : أي سوى ماشيتنا ، أو لا يرعى الماشية ، ويسرحها في الجميم سوانا .

(٧) المعشر : الجماعة . ومعشر الرجل : أهله وعشيرته . ورسخت : ثبتت ، وتمكنت . والحصاة : الرزاة والوقار . والحلوم : العقول . وحصاة الحلوم : رجاحة العقول وقوتها .

قَرَنُوا الشَّجَاعَةَ بِالسَّمَاةِ فَاغْتَدُوا قَيْدَ الْمَحَامِدِ شِدَّةً وَلِيَانَا (٨)
 طَلَعُوا عَلَى الزَّمَنِ الْبَهِيمِ فَانْقَبُوا نَارَ الْفَضَائِلِ حُجَّةً وَبَيَانَا (٩)
 مِنْ كُلِّ مَشْبُوبٍ تَخَالَ لِسَانَهُ عِنْدَ التَّخَاصُمِ فِي النَّدِيِّ سِنَانَا (١٠)
 إِنْ قَالَ بَرٌّ وَإِنْ آتَاهُ مُطَرَّدٌ آوَى وَإِنْ سُئِلَ الْكَرَامَةَ لَانَا (١١)
 أَنَا مِنْهُمْ وَالْعُودُ يَتَّبِعُ أَضْلَهُ وَابْنُ الْهَجِينَةِ لَا يَكُونُ هِجَانَا (١٢)
 فَكُوِرِ الْحَسُودِ بِنَاطِرِيهِ وَقُلْ لَهُ : إِنْ كُنْتَ تَجْهَلُنَا فَكَيْفَ تَرَانَا ؟ (١٣)
 إِنَّا إِذَا مَا الْحَرْبُ شَبَّ سَعِيرَهَا نَحْمِي النَّزِيلَ وَنَمْنَعُ الْجِيرَانَا (١٤)

والأدب : رياضة النفس بالتعليم والتهديب على ما ينبغي . وخفوا : نشطوا ، وسارعوا .
 والوغى : الحرب . ورسخت حصاة قلوبهم أدياً : أي أرسخ الأدب حلومهم ، وأنضج
 عقولهم ، وعودهم صحة التفكير ، وجودة التدبير .
 (٨) قرن الشيء بالشيء : وصله به ، وضمه إليه . والسماحة : الجود والكرم . واغتنوا قيد
 المحامد : أي صاروا مقيدين بها ، لا تفارقهم ، ولا يفارقونها . والليان : خلاف الشدة .
 (٩) البهيم : الأسود . وليل بهيم : لا ضوء فيه . وزمن بهيم : لا خير فيه . وأثقب النار :
 أوقدها . والحجة : الدليل والبرهان . والبيان : المنطق الفصيح .
 من مفاخر الشاعر ومعهشره أنهم أقبلوا على زمان قل خياره ، وكثر أشراره ، وأظلم بظلمات
 المفاسد والمناقص ؛ فرفعوا بالحجة والبرهان ، وسحر البيان مشاعل الخير والفضيلة .
 (١٠) رجل مشبوب : حسن الوجه ، ذكي الفؤاد . والندى : مجلس القوم ومجتمعهم . والسنان :
 نصل الرمح ، أي حديدته القاطعة الجارحة .
 (١١) برٌّ : صدق ووفى . ومطرّد : طريد شريد ، لاجئ ملهوف . وآواه إيواء : ضمّه إليه ،
 وآمنه ، وطمأنه .
 مدحهم بالبرّ والصدق والوفاء ، وإيواء الخائف الملهوف ، وإكرام السائل وملايئته .
 (١٢) منهم : أي من المعشر الذين عدّد بعض مفاخرهم . والعود : الغصن بعد أن يقطع .
 والهجينه من الناس والخيل والإبل والدوابّ : من اختلط أصلها ؛ فكان الأب عربياً ، والأم
 غير عربيّة . وهجان الأشياء : أجودها ، وأكرمها أصلاً . ورجل هجان : أصله نقي خالص ،
 ونسبه غير مختلط .
 (١٣) بناظريه : أي في عينيه . وكواه بالنار : أي أحرق جلده بحديدة محمّاة .
 (١٤) شبّت النار : توقدت . والسعير : لهب النار . والنزِيل : الضيف . ونحميه : نحافظ عليه ،
 وندافع عنه . ونمنع الجار : نجيره ونحميه .

وَنَرُدُّ عَادِيَةَ الْخَمِيسِ بِأَنْفُسِ
 فَتَرَى عِتَاقَ الْخَيْلِ حَوْلَ بِيوتِنَا
 مَشَقَّ الطَّرَادُ لِحُومِهِنَّ فَلَمْ يَدْعُ
 مِنْ كُلِّ مُنْتَصِبٍ عَلَى أَقْيَادِهِ
 بَذَخَتْ قَوَائِمُهُ وَأَقْبَلَ مَتْنُهُ
 فَإِذَا عَلَا حَزْناً أَطَارَ شَرَارُهُ
 وَالْخَيْلُ أَكْرَمُ صَاحِبِ يَوْمِ الْوَعْيِ
 عَلِمَتْ بِأَنَّ مِنَ الْحَيَاةِ هَوَانًا (١٥)
 قُبَّ الْبُطُونِ تُنَازِعُ الْأَرْسَانَ (١٦)
 إِلَّا خَوَاصِرَ كَالْقِيسِيِّ مِتَانًا (١٧)
 مُتَطَلِّعٍ يَتَنَظَّرُ الْحَدَثَانَا (١٨)
 وَأَنْضَمَّ كَلْكَلُهُ وَطَالَ عِنَانَا (١٩)
 وَإِذَا أَتَى سَهْلًا أَطَارَ دُخَانَا (٢٠)
 وَالسَّلْمُ تَبَعْتُ غَارَةً وَرِهَانَا (٢١)

- (١٥) العادية : الخيل المغيرة . وعادية الخميس : هجومه ، وعدوانه . والخميس : الجيش القوي الكثير الجرار . يشار بهذا إلى أنه خمس فرق . والهوان : الذل والمهانة .
- (١٦) عتاق الخيل : نجائبها ، وجيادها . وقبّ البطون : أي بطونها ضامرة غير ممتلئة . وضمورها : هزالها ، وقلة لحمها ، وهو من محاسن الخيل . وقبّ الفرس : دقّ خصره ، وضمير بطنه ، فهو أقبّ ، وهي قبّاء ، والجمع قبّ (بضم القاف ، وتشديد الباء) . والفرس ينزع فارسه العنان : أي يجاذبه . وهو أمانة قوة ونشاط وتحفز . والأرسان : جمع رسن ، وهو الزمام ، أو المقود .
- (١٧) مشقّ لحومهن : رقّقها ، وقلّلها . والطراد : المطاردة في الحرب ولحاق الأعداء . والخواصر : جمع الخاصرة ، وهي من الإنسان والحيوان وسطه . والقسيّ : جمع القوس وهي آلة ترمى بها السهام . ومتان : جمع متين ، أي قويّ شديد .
- (١٨) منتصب : قائم ، متهيّئ ، متأهب . والأقياد : جمع قيد ، وهو حبل ونحوه ، يجعل في رجل الدابة ، فيقيدها . ومتطلّع : مترقب بشوق واهتمام . ويتنظر : ينتظر ، ويتوقع . وحدثان الدهر : نوائبه ، ونوازله العارضة .
- (١٩) بذخت : علت ، وارتفعت . والمتن : الظهر . وإقبال المتن : طوله ، وانبساطه . والكلكل : الصدر . وطول عنان الفرس : كناية عن أصالته وعتقه وجودته ، وهو ملائم لبذوخ قوائمه ، وإقبال متنه .
- (٢٠) الحزن : ما غلظ من الأرض ، وقلّما يكون إلا مرتفعاً ، وهو خلاف السهل . وأرض سهلة : منبسطة ممتدة . والدخان : يراد به هنا الغبار الذي تثيره سنابك الخيل في الحرب ، وهي إشارة إلى قوة الجواد وسرعته .
- (٢١) الوعى : الحرب ؛ لما فيها من الصوت والجلبة . والغارة : الهجوم على العدو . وتبعث

فَعَلَى بُطُونِ خِيَارِهَا أَرْزَاقَنَا وَعَلَى ظُهُورِ جِيَادِهَا مُغْدَانَا (٢٢)
هَذَا الْفَخَارُ فَدُرُّ بَعَيْنَيْكَ حَيْثَمَا دَارَ الزَّمَانُ فَلَنْ تَرَى نُقْصَانَا (٢٣)

وَقَالَ :

يَا قَرِيرَ الْعَيْنِ بِالْوَسَنِ ! مَا الَّذِي أَلْهَكَ عَنْ شَجْنِي (١)
كَيْفَ لَا تَرْتِي لِمُكْتَثِبِ شَفَّهُ بَرْحٌ مِنَ الْحَزَنِ؟ (٢)
هَبْكَ لَمْ تَسْمَعْ شَكَاةَ فَمِي أَوْ لَمْ تُبْصِرْ ضَنْيَ بَدْنِي؟ (٣)
يَا عِبَادَ اللَّهِ مَنْ لِفَتَى بِيَدِ الْأَشْوَاقِ مُرْتَهَنِ؟ (٤)

الغارة : تثيرها وتطلقها وتهيجها . والرهان : مصدر راهنه على كذا ، أي خاطره ، وسابقه .
فالغارة يوم الوغى ، والرهان يوم السلم .

(٢٢) الخيار : جمع خير ، وهو المنتقى المختار ، والنافع الكثير . والأرزاق : جمع رزق ، وهو كل ما ينتفع به ، أو كل ما يؤكل ويتغذى به . يشير إلى الاغتذاء بلحوم الخيل ، وكان العرب يأكلونها . أو يشير إلى استيلائها ، وفي أولادها ونتائجها الرزق الواسع ، والمال الوافر ، والخير الكثير . وجياد : جمع جواد ، وهو النجيب العتيق الكريم من الخيل . ومغداناً : غدونا ، وهو الذهاب وقت الغدوة بين الفجر وطلوع الشمس . أو هو الانطلاق والذهاب مطلقاً في أي وقت .

(٢٣) يقول : هذا فخرنا ، وهذه مفاخرنا ، ولن ترى فينا - حيثما نظرت - نقيصة أو مثلبة .

(١) قرّت عينه : بردت سروراً . وهو قرير العين : أي راض ، مغتبط ، مسرور . والوسن : النعاس . وألهاك : شغلك . والشجن : الحزن ، والهّم . والشجن أيضاً : الحاجة التي تهم المحتاج وتشغله . والحاجة الشاغلة للمحبّ : أن يتبّه له حبيبه ، ويقبل عليه .

(٢) رثي له : رق له ، ورحمه . والمكثب : من تغيّرت نفسه ، وانكسرت ، وساء حاله من شدة الهّم والحزن . وشفّه الحزن ونحوه : ضمّره وهزله . وبرّح الحزن ونحوه : شدته وتبريحه .

(٣) هبك لم تسمع : أي افرض . والشكاة : الشكوى . والهمزة في أول الشطر الثاني للاستفهام المراد به اللوم والعتاب . والواو بعده عاطفة ، أي أغفلت ، ولم تبصر . والضنى : المرض الشديد الملازم الذي يهزل الجسم وينحله ، ويشرف به المريض على الموت .

(٤) مرتهن : مرهون ، مقيد ، محبوس .

رَعَتِ الْأَشْوَاقُ مُهَجَّتَهُ وَبَرَأهُ الْوَجْدُ فَهُوَ ضِنِّي^(٥)
 آهٍ مِنْ ظَبْيٍ خَلَعْتُ بِهِ فِي مَيَادِينِ الْهَوَى رَسْنِي^(٦)
 سَاحِرُ الْعَيْنَيْنِ مَا بَرِحْتُ لَحْظَتَاهُ مَضَدَرَ الْفِتَنِ^(٧)
 سَلَكَتُ بَعْضُ الْوُشَاةِ بِهِ مِنْ نَمِيمِ الْغَيِّ فِي سَنَنِ^(٨)
 صَرَفُوهُ عَنِ طَبِيعَتِهِ وَعِنَانُ الْقَلْبِ فِي الْأُذُنِ^(٩)
 وَقَرِينُ السُّوءِ مَجْلِبَةٌ لِدَوَاعِي الْهَمِّ وَالْمِحَنِ^(١٠)
 فَاتْرُكِ الدُّنْيَا فَلَسْتَ تَرَى صَاحِبًا إِلَّا عَلَى دَخَنِ^(١١)
 مَنْ جَرَى فِي غَيْرِ حَلْبَتِهِ كَانَ مَوْقُوفًا عَلَى الظَّنِّ^(١٢)

- (٥) المهجة : القلب . ورعتها الأشواق : أتت عليها ، وأهلكتها .
 (٦) « آه » : كلمة توجع ، وتألّم . وخلعتُ به : أي خلعتُ بسببه ، ومن أجله . والرسن : الزمام ، والمقود . ويقال : خلع فلان رسنه ، أو عذاره : إذا ترك الحياء ، وركب هواه ، وانطلق في مجال حبه وغرامه ، لا يشبهه شيء .
 (٧) عين ساحرة : فائقة الحسن ، جذابة ، فاتنة . وما برحتُ : ما فتئتُ . ويراد باللحظتين هنا : العينان . والفتن (بكسر ففتح) : جمع الفتنة (بكسر فسكون) وهي إعجابك بالشيء . وفتنته المرأة : سلبته عقله ، واشتدّ به الوجد ؛ فهام وتحيّر .
 (٨) سلك به الطريق : أي أسلكه إياه وسيره فيه . والوشاة : جمع الواشي ، من الوشاية . ومثلها النميمة ، وهي السعي بين الناس ، والإفساد ، وإيقاع الفتنة والوحشة ، وإلقاء العداوة والبغضاء بينهم . والغبي : الإمعان في الضلال ، والانهماك في الجهل . وإضافة النميم إلى الغبي : من إضافة الخاصّ إلى العامّ . وسنن الطريق : نهجه .
 (٩) صرفه : ردّه ، ودفعه ، ونحاه . والعنان : سير اللجام الذي تمسك به الدابة . وانقياد القلب للأذن : كناية عن الاستماع للوشاية ، والتأثر بها .
 (١٠) القرين : المقارب والمصاحب . والسوء : اسم جامع للمقايح والآفات . والهَمّ : الحزن والغمّ والقلق . والمحن : جمع محنة ، وهي البلاء والشدة .
 (١١) الدخن : الحقد ، والانطواء على العداوة والبغضاء .
 زهد الشاعر في الدنيا ، وزهد غيره فيها ، لقلة الخير والوفاء في الناس ، وشيوع الحقد والفساد ، وكثرة من ابتلي بهم من الوشاة ، وقرناء السوء .
 (١٢) الحلبة (بفتح فسكون) : خيل تجمع للسباق من كل ناحية . وجرى المرء في غير حلبته :

وَقَالَ (*):

أَطَعْتُ الْغَيِّ فِي حُبِّ الْغَوَانِي
وَمَا لِي لَا أَهِيْمُ وَكُلُّ شَهْمٍ
وَلِي فِي الْأَرْبَعِينَ مَجَالٌ لَهُوَ
فَكَيْفَ أَذُودُ عَنْ نَفْسِي غَرَاماً
أَبْحْتُ لَهُ الْفُؤَادَ فَعَاثَ فِيهِ
فَدَعْنِي مِنْ مَلَامِكَ إِنَّ قَلْبِي
وَلَمْ أَحْفَلْ مَقَالَةً مِنْ نَهَائِي (١)
بِحُبِّ الْغَيْدِ مَشْغُوفُ الْجَنَانِ؟ (٢)
تَنَالُ يَدِي بِهِ عَقْدَ الرَّهَانِ (٣)
تَضَيَّفَ مُهَجَّتِي بِاسْمِ الْحَسَانِ (٤)
وَحَقُّ الضَّيْفِ إِعْزَازُ الْمَكَانِ (٥)
أَبِي لَا يَقْرَأُ عَلَيَّ الْهَوَانَ (٦)

أي صاحب من لا يشاكره . وهو موقوف على كذا : أي مقصور عليه ، لا يفارقه . والظنن : التهم .

(*) نظم البارودي هذه القصيدة وهو في الحرب الروسية التركية التي انتهت في ٢٨ من صفر سنة ١٢٩٥هـ (٢١ فبراير سنة ١٨٧٨ م) وكان يومئذ في نحو الأربعين من عمره .

(١) الغي : الإمعان في الضلال ، والانهماك في الجهل ، وهو خلاف الرشد . والغواني : جمع الغانية ، وهي المرأة التي غنيت بجمالها الطبيعي عن الزينة . ولم أحفل : لم أبال ، ولم أكثرث . والمقالة : القول .

(٢) هام بفلاة : شغفته حباً . والشهم : الذكي الفؤاد ، السديد الرأي . والغيد : جمع غيداء ، وهي المرأة الناعمة ، اللينة الأعطاف . وشقه الحب : هزله ، وأضناه . والجنان (بفتح الجيم) : القلب .

(٣) المجال : مكان الجولان ، وهو التطواف . واللهو : كل ما استمتع به الإنسان من زينة الحياة الدنيا ولذاتها . وعقد (بفتح فسكون) : بمعنى ما تعاقد عليه المتراهنون من الجوائز ونحوها .

(٤) أذود : أذفع . وتضيفه : ضافه ، أي نزل عنده ضيفاً . والمهجة : القلب . والحسان : جمع الحساء .

(٥) له : أي للغرام ، أو للمحبوب . وعاث : أفسد . والمراد أن الغرام استباح قلبه ، وتمكّن منه ، فكان هذا لوناً من ألوان الإفساد . وحق الضيف : أي الحق المتوجب عليه . وإعزاز المكان : كناية عن الحب ، والحفاوة .

(٦) دع : اترك . والملام : اللوم والعدل . ودعني من ملامك : أي لا تلمني . وأبي : عزيز

فَمَا بِالْحُبِّ عَارٌ أَتَقِيهِ
وَإِنْ أَخْنَى عَلَيَّ دَمْعِي زَمَانِي^(٧)

رَضِيْتُ مِنَ الْهُوَى بِنُحُولِ جِسْمِي
وَمِنْ صَلَاةِ الْبَخِيلَةِ بِالْأَمَانِي^(٨)

وَلَسْتُ بِطَالِبٍ فِي النَّاسِ خِلًا
يُنَاصِحُنِي فَعَقْلِي قَدْ كَفَانِي^(٩)

فَإِنْ يَكُنِ الْهُوَى قَدْ رَاضَ نَفْسِي
فَلَسْتُ لِغَيْرِهِ سَلِسَ الْعِنَانِ^(١٠)

أَشَدُّ مِنَ الصُّخُورِ الصُّمِّ قَلْبِي
وَأَرْهَفُ مِنْ شَبَا سَيْفِي لِسَانِي^(١١)

وَلَوْ كَانَ الْغَرَامُ يَخَافُ بَأْسًا
أَمَلْتُ إِلَيْهِ كَفِّي بِالسِّنَانِ^(١٢)

فَكَمْ بَطَلٍ خَضَبْتُ الْأَرْضَ مِنْهُ
بِأَحْمَرَ مِنْ دَمِ التَّأْمُورِ قَانِي^(١٣)

وَمَا أَنَا بِالذَّلِيلِ أَرَدْتُ خِتْلًا
وَلَكِنِّي أَرْفُ إِلَى الطَّعَانِ^(١٤)

- مرتفع . ولا يقرّ : أي لا يقيم ، ولا يسكن . والهوان : المذلة ، والضعف ، والانكسار .
- (٧) اتقى الشيء ، وتوقاه : حذره وتجنبه . وأخنى عليه الزمان : طال .
- (٨) يقول : إن محبوبته متآبئة عليه ، معرضة عنه ، بخيلة بالوصول . وإن الهوى قد نحل جسمه وهزله وأضناه ، وهو مع هذا كله راض قانع به ، مقيم عليه ، متعلق بالأمانى والآمال .
- (٩) الخلّ : الصديق المختصّ ، ومثله الخليل . ويناصحني : ينصح لي ، وأنصح له ، من المناصحة ، وهي أن ينصح كل منهما لصاحبه .
- (١٠) راض الهوى نفسه : دللها ، وطوّعها . وسلس : سهل ، لين ، منقاد . وفرس سلس العنان : أي ذلول ، سهل الانقياد .
- (١١) حجر أصمّ : أي صلب . وأرهف : أكثر حدة . وشبابة السيف : طرفه الرقيق الحاد القاطع .
- (١٢) يقول : لو كان الحب يخشى القوة والبأس لدفعته بقوة السلاح . ومعنى هذا أن سلطان الغرام أمضى من القنا والسهام .
- (١٣) خضب الشيء : غير لونه بالخضاب ، وهو ما يختضب به من حناء ونحوه . والتأمور : القلب . وأحمر قانيء : أي شديد الحمرة .
- يفتخر بكثرة من قتلهم من أبطال أعدائه ، وخضب الأرض بدماء قلوبهم .
- (١٤) الذليل : الضعيف . والختل : الخداع . وزفّ : أسرع . والطعان : الضرب بالرمح وغيره .

وَلِي فِي « سَرْنُوفَ » مَقَامُ صِدْقٍ أَقْرَبُ بِهِ إِلَيَّ الْخَافِقَانِ (١٥)
 وَمَا أَبَقْتُ بِهِ الْأَشْوَاقُ مِنِّي سِوَى رَمَقٍ تَجُولُ بِهِ الْأَمَانِي (١٦)
 وَيَسْلُبُ أَنْفُسَ الْأَبْطَالِ سَيْفِي وَتَسْلُبُ مُهْجَتِي حَدَقُ الْحَسَانِ (١٧)
 فَلَوْ بَرَزَ الْجِمَامُ إِلَيَّ شَخْصاً دَلَفْتُ إِلَيْهِ بِالسَّيْفِ الْيَمَانِي (١٨)
 وَقَالَ يَرْتِي الْمَرْحُومَ عَلِي رِفَاعَةَ بَاشَا (*):

نَعَاءٍ عَلَيْهِ أَيُّهَا الثَّقَلَانِ فَقَدْ أَقْصَدْتُهُ أَسْهُمُ الْحَدَثَانِ (١)
 مَضَى وَأَقْمَنَا بَعْدَهُ فِي مَاتِمٍ عَلَى الْفَضْلِ نَبِيكِهِ بِأَحْمَرَ قَانِي (٢)

(١٥) « سرنسوف » : إقليم بأكرانيا من روسيا ، على أحد روافد نهر « دنبير » . ومقام صدق : أي مقام قتال ، واستبسال ، وجهاد صادق . وأقر له : اعترف . ويراد بالخافقين هنا : الناس جميعاً من أعداء وأولياء .

(١٦) به : « بسرنسوف » ، أي بهذا المكان ، أو بهذا البلد . والرمق : بقية الروح ، أو بقية الحياة . وتجول : تطوف وتدور في غير استقرار .

يقول : إن أشواقه إلى وطنه برحت به ، واشتدت عليه ، فلم تبق فيه غير بقية قليلة من الحياة تطوف بها آمال العودة ، واجتماع الشمل ، ولقاء الأحباء .

(١٧) سلب الشيء : انتزعه قهراً ، وأخذه عنوة وقسراً . والمهجة : القلب . والحدق : جمع الحدقة ، وهي السواد المستدير وسط العين . ويراد بالحدق هنا : العيون . والحسان : جمع الحسنة .

(١٨) برز : خرج وظهر بعد خفاء . وبرز له : انفرد لينازله ويقاتله . والحمام : الموت . ودلفت : تقدمت . واليماني : المنسوب إلى اليمن ، وكانت مشهورة بصناعة السيوف وتجاريتها .

(* علي باشا ابن رفاعة الطهطاوي (١٢٦٥ - ١٣٢١ هـ / ١٨٤٨ - ١٩٠٣ م) كان وكيلاً لوزارة المعارف المصرية ، وتوفي بالقاهرة . ومن مؤلفاته المطبوعة : « قدوة الفرع بأصله ، وحب الوطن وأهله » .

(١) « نعاء فلاناً » : اسم فعل أمر بمعنى انعه ، وأذع خبر وفاته . ولعل مراد الشاعر هنا : ابكيا عليه ، وانديه . والثقلان : الإنس والجان . وأقصدته : أصابته إصابة مباشرة قاتلة ، من قولهم : أقصد فلاناً إقصاداً ، أي طعنه ، فلم يخطيء مقاتله . والحدثان : الليل والنهار . وحدثان الدهر : نوائبه وحوادثه .

(٢) مضى : ذهب . ومضى فلان لسبيله : مات . وعلى الفضل : أي من أجل فضله وإحسانه . وبأحمر قان : أي بدم أحمر شديد الحمرة .

فَلَا عَيْنَ إِلَّا وَهِيَ بِالدمْعِ ثَرَّةٌ
حَفَاطًا وَإِشْفَاقًا عَلَى مُتَرَحِّلٍ
فَقَدْنَاهُ فَقَدَانَ الظَّمَاءِ شَرَابَهُمْ
فِيَا لِلْعُلَى كَيْفَ اسْتَبِيحَ ذِمَارَهَا
لَعَمْرِي لَقَدْ هَاجَ الْأَسَى بَعْدَ فَقْدِهِ
ضَمَانٌ عَلَى قَلْبِي صِيَانَةٌ عَهْدِهِ
تَخَلَّى عَنِ الدُّنْيَا وَأَبْقَى مَآثِرًا
فَإِنْ يَكُ أَوْدَى فَهُوَ حَيٌّ بِفَضْلِهِ

وَلَا قَلْبَ إِلَّا وَهُوَ ذُو خَفَقَانٍ^(٣)
خَلَّتْ أَرْبَعٌ مِنْ شَخِصِهِ وَمَغَانِي^(٤)
بِدَيْمُومَةٍ وَالْوَرْدُ لَيْسَ بِدَانِي^(٥)
وَلِلْفَضْلِ إِذْ يُرْمَى بِهِ الرَّجْوَانُ^(٦)
بِنَا لَوْعَةٍ لَا تَنْثِنِي بِعِنَانٍ^(٧)
وَمَا خَيْرُ قَلْبٍ لَا يَفِي بِضَمَانٍ؟^(٨)
يُقِرُّ لَهَا بِالْفَضْلِ كُلُّ لِسَانٍ^(٩)
وَمَنْ كَانَ مَذْكُورًا فَلَيْسَ بِفَانِي^(١٠)

(٣) عين ثرة بالدمع : أي دمعها غزير كثير .

(٤) حفاظاً : صيانة ومراعاة . ويراد بالحفاظ هنا : شدة التعلق بالمرثي ، والحزن على فراقه .
وإشفاقاً : عطفاً ، وخوفاً عليه . ومترحل : مفارق . وخلصت : خوت . والأربع : الديار ،
والمنازل ، جمع ربيع . والمغاني : جمع المغنى ، وهو المكان أو المنزل الذي غني به
أهله ، أي أقاموا به ، ثم طعنوا ، وارتحلوا عنه .

(٥) فقدناه : عدمناه ، وخسرناه . والظماء : جمع الظمان ، وهو الذي اشتد عطشه . ويراد
بالشراب : الماء . والديمومة : الصحراء الواسعة لا ماء فيها . والورد : الماء الذي يورد .
وليس بدان : أي بعيد ، غير قريب .

(٦) يا للعلی : أسلوب استغاثة ، والمستغاث به محذوف ، والتقدير : فيا لله للعلی . واستباحه :
عدّه مباحاً غير محظور . والذمار : كل ما ينبغي حمايته وحياطته وحفظه والدفاع عنه .
والفضل : الخير والبر والإحسان . والرجا : الناحية . وللبشر رجوان . ورُمي به الرجوان : أي
طرح في المهالك .

(٧) لا تنثني بعنان : أي لا يردّها تصبر ، ولا يخففها سلوان .

يقول : إن الأسى لفقدانه أضرم في القلوب لوعة لا يطفئها تصبر أو سلوان .

(٨) الضمان : الكفالة ، والالتزام . وصيانة العهد : رعايته ، ووقايته ، والمحافظة عليه ، والوفاء
به .

(٩) تخلى عن الدنيا : تركها وفارقها . ومآثر : جمع مآثرة ، وهي الفعل الحميد ، والمكرمة .
وأقر : اعترف .

(١٠) أودى : هلك ومات . وفان : هالك .

وَأَيُّ أَمْرِيءٍ يَبْقَى وَدُونَ بَقَائِهِ
 أَلَا قَاتَلَ اللَّهُ الْحَيَاةَ فَإِنَّهَا
 إِذَا مَا بَنَانَا الدَّهْرُ ظَلَّتْ صُرُوفُهُ
 تُخَادِعُنَا الدُّنْيَا فَنَلْهُو وَلَمْ نَخْلُ
 إِذَا مَا الْأَبُّ بِالْأَعْلَى مَضَى لِسَبِيلِهِ
 لَقَدْ فَجَعْتُنَا أُمَّ دَفْرٍ وَمَا دَرَّتْ
 سَلِيمٌ نَوَاحِي الصُّدْرِ لَا يَسْتَفِرُّهُ
 نَهَارٌ وَلَيْلٌ بِالرَّدى يَفِدَانِ (١١)
 إِلَى الْمَوْتِ أَذْنَى مِنْ فَمِ لِبَنَانِ (١٢)
 تُهَدِّمُنَا وَالِدَهُرُ أَغْدَرُ بَانِي (١٣)
 بِأَنَّ الرَّدى حَتْمٌ عَلَى الْحَيَوَانِ (١٤)
 فَمَا لِبَنِيهِ بِالْبَقَاءِ يَدَانِ (١٥)
 بِأَرْوَعٍ مِنْ نَسْلِ النَّبِيِّ هِجَانِ (١٦)
 نِزَاعٌ إِلَى الْبَغْضَاءِ وَالشَّنَانِ (١٧)

(١١) الردى : الهلاك والموت . ووفد يفد : ورد ، وقدم .

يقول : لا بقاء لإنسان ؛ فإن الليل والنهار لا يفتان يأتیان بالموت الذي يحول دون البقاء ويمنعه .

(١٢) قاتل الله الحياة : أسلوب تعجب وتعجيب من قصر الحياة ، وسرعة زوالها ، وقربها من الموت . وأدنى : أقرب . والبنان : أطراف الأصابع ، الواحدة بنانة .

(١٣) يقول : إن الدهر يبني الإنسان ، ولا يلبث أن يسلب عليه نوائبه وحوادثه ، فيهدمه تهديماً . وقد جعله أغدر البناءة ، وأبعدهم عن الوفاء ، كأن البناء عهد ، والهدم نقض لهذا العهد . فالحياة والموت بنیان وهدم ، وهما متدانيان متقاربان .

(١٤) تخادعنا : تخدعنا . وخدعه : أظهر له خلاف ما يخفيه ، وأضمر له الشر ، وأراد به المكروه من حيث لا يعلم . واللهو : ما يشغل الإنسان عما يهّمه ويعنيه . ويعبر باللهو عن الاستمتاع ، والترويح عن النفس بما لا تقتضيه الحكمة . وخال الشيء : حسبه . والردى : الموت والهلاك . وحتم : مقضي ، محتوم . والحيوان : ما فيه الحياة ، وكل ذي روح .

(١٥) يراد بالأب الأعلى : آدم أبو البشر . ومضى لسبيله : مات . واليد : القدرة ، والقوة ، ومثناها يدان . ومالي بهذا الأمر يدان : أي لا قوة لي عليه ، ولا طاقة لي به .

(١٦) فجعته المصيبة : أوجعته ، وآلمته إيلاًماً شديداً . وأم دفر : كنية الدنيا . والأروع : الشهم . ومن نسل النبي : أي من ذريته وسلالته ، فالمرثي يتصل نسبه بالإمام الحسين بن علي بن أبي طالب . ورجل هجان (بكسر الهاء) : كريم الحسب . والهجان من كل شيء : خياره وخالصة .

(١٧) سلامة نواحي الصدر : تمام براءته ونقاؤه من الأدغال ، والأضغان ، وفساد الباطن . ولا يستفره : لا يستخفه ، ولا يثيره . ونزاع : ميل . والبغضاء : شدة البغض والكراهية . والشنان : البغض والكراهية ، مع العداوة وسوء الخلق .

يُعَاشِرُ بِالْحُسْنَى فَإِنْ رِيْبَ لَمْ يَفْهَ بِسُوءٍ وَلَمْ تَرْمِزْ لَهُ شَفَتَانِ (١٨)
لَقَدْ كَانَ خِلاً لَا يُشَانُ بِغَدْرَةٍ وَصَاحِبَ غَيْبٍ طَاهِرٍ وَعِيَانِ (١٩)
إِذَا قَالَ كَانَ الْقَوْلُ عُنْوَانَ فِعْلِهِ وَيَارَبِّ قَوْلٍ نَافِذٍ كَسِنَانِ (٢٠)
خِلَالَ يَفُوحِ الْمِسْكِ عَنْهَا مُحَدَّثًا وَيُثْنِي عَلَيَّ آثَارَهَا الْمَلَوَانَ (٢١)
فَلَا غَرَوَانَ تَدْمَى الْعُيُونَ أَسَافَةً عَلَيْكَ وَيَرَعَى الْحُزْنَ كُلَّ جَنَانِ (٢٢)
فَأَنْتَ ابْنُ مَنْ أَحْيَا الْبِلَادَ بِعِلْمِهِ وَأَبْقَى لَهُ ذِكْرًا بِكُلِّ مَكَانِ (٢٣)

(١٨) ريب (بالبناء للمجهول) : أصابه من معاشره ما يسوؤه . ورايني فلان ، ورايني منه كذا : إذا رأيت منه ما يريبك ، وتكرهه . ولم يفه : لم ينطق . ورمز إليه ، أوماً وأشار بالشفيتين أو غيرهما .

يقول : إنه كان يعاشر الناس بالحسنى ؛ فإن رابه من معاشره شيء لم يتكلم بما أصابه منه ، ولم يشر إليه ؛ لعفة قلبه ولسانه ؛ فهو من الكاظمين الغيظ ، والعافين عن الناس .
(١٩) الخل : الصديق المختص ، ومثله الخليل . ولا يشان : لا يعاب . والغدرة : اسم مرة من غدرة ، وغدربه : إذا نقض عهده . والغيب : كل ما غاب عنك . والعيان : خلاف الغيب .
(٢٠) كان قول المرثي عنوان فعله : أي كان قوله صادقاً ، مقترناً بفعله . والقول إذا لم يصدقه الفعل كان لوناً من ألوان الكذب ، أو النفاق . أي أن أقوال المؤبّن كلها صادقة مقترنة بأفعاله ، نافذة نفاذ الأستة ، بريئة من الإخلاف والتسوييف ونحوهما .
(٢١) خلال : خصال ، وشمائل ، وأخلاق . ويفوح : ينتشر . والمسك : ضرب من الطيب . وأثنى عليه : وصفه بخير ، ومدحه . وآثارها : أي آثار الخلال ونتائجها . والملوان : الليل والنهار .

(٢٢) لا غرو : أي لا عجب . وتدمي : يخرج منها الدم ، كناية عن شدة البكاء . والأسافة : الأسف . ويرعى : يبرح ، ويحرق . والجنان : القلب .

(٢٣) الذكر : الصيت . والبيت في تأبين ورتاء رفاعه رافع الطهطاوي (١٢١٦ - ١٢٩٠ هـ / ١٨٠١ - ١٨٧٣ م) ، عالم مصري من أركان نهضة مصر العلمية في العصر الحديث . ولد في طهطا بصعيد مصر . وقصد القاهرة سنة ١٢٢٣ هـ فتعلم في الأزهر ، ثم أرسلته الحكومة المصرية إماماً للصلاة والوعظ مع بعثة من الشبان لدراسة العلوم الحديثة في أوروبا ، فتعلم الفرنسية ، وثقف الجغرافية والتاريخ . ولما عاد إلى مصر ولي رئاسة الترجمة في المدرسة الطبية ، وأنشأ جريدة الوقائع المصرية ، وألف وترجم عن الفرنسية كتباً كثيرة .

أَفَادَ بَنِي الْأَوْطَانِ فَضْلاً سَمَوْا بِهِ
إِلَى هَضَبَاتٍ فِي الْعُلَا وَقَنَانٍ (٢٤)
وَأَنْتَ ابْنُهُ وَالْفَرْعُ يَتَّبَعُ أَصْلَهُ
وَمَا مِنْكُمْ إِلَّا جَوَادٌ رِهَانٍ (٢٥)
هُوَ الْأَوَّلُ السَّبَّاقُ فِي كُلِّ حَلْبَةٍ
وَأَنْتَ لَهُ دُونَ الْبَرِيَّةِ ثَانِي (٢٦)
فَيَا رَحْمَةَ اللَّهِ اسْتَهْلِي عَلَيْهِمَا
بِسَجْلَيْنِ لِلرَّضْوَانِ يَنْهَمِلَانِ (٢٧)
وَعُمِّي قُبُورَ الْعَالَمِينَ كَرَامَةً
لِقَبْرَيْنِ بِالْبَطْحَاءِ يَلْتَقِيَانِ (٢٨)
عَلَيْكَ سَلَامٌ اللَّهُ مِنِّي تَحِيَّةٌ
يُؤَافِيكَ فِي خُلْدٍ بِهَا الْمَلَكَانِ (٢٩)
وَقَالَ فِي الرَّهْدِ :

- (٢٤) هضبات : جمع هضبة ، وهي الجبل المنبسط الممتد على وجه الأرض . والقنان : جمع القنة ، وهي الجبل المنفرد المرتفع في السماء . وقنة كل شيء : قمته .
- (٢٥) الجواد : النجيب النفيس من الخيل . ويراد بالرهان هنا : الأهداف والجوائز التي يتسابق عليها المتسابقون .
- جعله تابِعاً لوالده ، متأسياً به ، مساوياً له في الفضائل والمحامد التي أشار إليها في البيتين السابقين ، ولا غرو ، فإن الفرع يتبع أصله ، والابن يشابه أباه .
- (٢٦) الحلبة : مجال الخيل للسباق . يقال : تجاروا في الحلبة . ومن المجاز : فلان يركض في كل حلبة من حلبات المجد : إذا كان سباقاً إلى المكرمات ، فائقاً في أعمال المجد والشرف والرفعة والعلاء . والبرية : الخلق والناس .
- (٢٧) استهلي : من استهلَّ المطر ونحوه استهللاً ، أي اشتدَّ انصبابه . وعليهما : أي على الولد والوالد . والسجل (بوزن السهم) : الدلو العظيمة المملأ . والمثنى هنا في معنى الجمع ، أي بسجال من الرضوان ، وهو الرضا الكثير . وينهملان : يفيضان على الدوام ، من انهملت السماء : أي دام مطرها في سكون .
- (٢٨) عمّ المطر الأرض : شملها . والكرامة : التكريم ، والتعظيم ، والحفاوة ، والإعزاز . والبطحاء : المكان المتسع . ويلتقيان : يجتمعان .
- دعا بالرحمة العامة الشاملة لقبور الموتى كلهم تكريماً لقبري المرثيين .
- (٢٩) حيّاه الله تحية : أي جعل له حياة طيبة . وسلام الله وتحيته : رحمته ، وحفاوته ، وإنعامه ، وإحسانه . ويؤافيك بها : أي يلقاك بالتحية ، ويحملها إليك . وخلد : دام ، وبقي . ويراد بالخلد هنا : دار الخلد ، أي جنات عدن . ويراد بالملكين : ملائكة الرحمة .

أَيُّ شَيْءٍ يَبْقَى عَلَى الْحَدَثَانِ ؟ وَالْمَنَايَا خَصِيمَةُ الْحَيَوَانِ (١)
 قَدْ بَلَوْنَا كَيْدَ الزَّمَانِ وَلَكِنْ شَغَلْتَنَا عَنْهُ ضُرُوبُ الْأَمَانِي (٢)
 فَلَكَ لَا يَزَالُ يَجْرِي عَلَى النَّا سِرِّ بِضِدَّيْنِ مِنْ عُلَا وَهَوَانِ (٣)
 فَهُوَ طَوْرًا يَكُونُ كَالْوَالِدِ الْبَرِّ رِ وَطَوْرًا كَالنَّاقِمِ الْغَضَبَانِ (٤)
 لَيْسَ يُبْقِي عَلَى وَليِدٍ وَلَا كَهْ لِ وَلَا سُوقَةٍ وَلَا سُلْطَانِ (٥)
 كَيْفَ يَرْجُو الْإِنْسَانُ فِيهِ خُلُودًا بَعْدَ مَا قَدْ مَضَى أَبُو الْإِنْسَانِ ؟ (٦)
 أَيْنَ مَنْ كَانَ قَبْلَنَا مِنْذُ دَارَتْ كُرَّةُ الْأَرْضِ وَهِيَ ذَاتُ دُخَانِ ؟ (٧)

- (١) الاستفهام في أول البيت معناه النفي ، أي لا شيء يبقى على الحدثان ، وهما الليل والنهار . وحدثان الدهر : نوائبه وحوادثه . والمنايا : جمع المنية ، وهي الموت . وخصيمة : عدوة . والحيوان : ما فيه الحياة ، وكل ذي روح .
- (٢) بلونا : اخترنا ، وعرفنا . وكيد الزمان : خديعته . وضروب : صنوف ، وأنواع . والأمانى : جمع الأمنية ، وهي ما يتمناه الإنسان ، وبتغيه .
- (٣) الفلك : مجرى الكواكب ، ومدار النجوم . ويراد بالفلك هنا : ما يدور على الناس من الأمور والأحوال المختلفة ، كالعلا والهوان ، والغنى والحرمان ، والحياة والموت . . . والعلا : الرفعة ، والعزة . والهوان : المهانة ، والمذلة . والعلا والهوان ضدان : أي مختلفان ، متناقضان ، لا يلتقيان ، ولا يجتمعان .
- (٤) هو : أي الفلك . والطور : المرة . والبرّ (بفتح الباء) ، صفة من البرّ (بكسر الباء) ، وهو الفضل ، والخير ، والتوسع في الإحسان . والناقم : اسم فاعل من نقم الأمر ، أي كرهه أشدّ الكراهية .
- (٥) يقول : إن الدهر يأتي على الناس جميعاً ، فلا يبقى على أحد ، ولا يخلد فيه أحد ، كبيراً كان أو صغيراً ، عظيماً كان أو حقيراً .
- (٦) الاستفهام في أول البيت معناه النفي ، أي لا سبيل إلى خلود الإنسان ، ولا أمل فيه . وفيه : أي في الزمان ، والمراد في الحياة الدنيا . وأبو الإنسان : آدم عليه السلام .
- (٧) « أين » : استفهام عن المكان ، والغرض منه النفي ، أي لا وجود لمن كان قبلنا من الأحياء ؛ فقد فنوا جميعاً ، وأخنى عليهم الدهر . وهي ذات دخان : أي في أول خلقها ، أو في أقدم الأزمنة .

أُمُّ أَخْلَدَتْ إِلَى الدَّهْرِ جِيناً ثُمَّ ضَاعَتْ فِي لُجَّةِ النَّسِيَانِ (٨)
 حَصَدَتْهَا يَدُ المُنُونِ فَصَارَتْ خَبْرًا فِي الوُجُودِ بَعْدَ عِيَانِ (٩)
 فَتَرَسَّمْ مَعَالِمَ الأَرْضِ وَأَسْأَلْ فَعَسَى أَنْ يُجِيبَكَ الهَرَمَانِ (١٠)
 أَثْرٌ دَلَّ صُنْعُهُ أَنَّ « هُرْمِيْدَ » سَ « بِنَاهُ مِنْ أْبْدَعِ البُنْيَانِ (١١)
 خَافَ ضَيْعَ العُلُومِ حِينَ أَتَتْهُ بَيِّنَاتٌ دَلَّتْ عَلَى الطُّوفَانِ (١٢)
 فَبَنَاهُ مِنَ الصُّخُورِ اللُّوَاتِي جَلَبَتْهَا القِيُونُ مِنْ أُسْوَانِ (١٣)
 طَبَقَاتٍ فِي جَوْفِهَا حُجْرَاتٌ ضُمَّنْتَ كُلَّ حِكْمَةٍ وَبَيَانِ (١٤)

(٨) أخلدت إلى الدهر : أطمأنت إليه ، وسكنت . واللجة : معظم البحر ، وتردد أمواجه .

(٩) حصدتها : أهلكتها ، واستأصلتها . وعيان : معاينة ومشاهدة .

(١٠) ترسم : انظر ، وتأمل . ومعالم الأرض : علاماتها وآثارها ، ويراد بها : ما بقي من آثار الأقدمين ، وشواهد حياتهم وتاريخهم ، الواحد معلم ، وهو الأثر يستدل به على الطريق . والهريمان : بناءان عظيمان ، يعدان من عجائب الدنيا ، على مقربة من مدينة الجيزة ، في جنوبها الغربي ، أولهما هرم « خوفو » ، وهو أضخم الأهرام ، وأعلاها . والثاني هرم « خفرع » .

(١١) أثر الشيء : بقيته ، ويراد به هنا : الأهرام . و « هرميس » - فيما يزعم الرواة الأقدمون - : أول من بنى الهياكل ، وتكلم في الأشياء العلوية ، ونظر في الطب والحكمة . عاش قبل الطوفان ، وكان مسكنه صعيد مصر . وبناه أبداع بنيان : أي أعظمه ، وأجوده .

(١٢) الضيع : الضياع والفقدان . وبيئات : جمع بيئة ، وهي الحجة والدليل ، والشاهد ، والبرهان . والطوفان : الفيضان العظيم الذي أهلكت قوم نوح .

يقول : إن « هرميس » جاءته شواهد دلته على الطوفان قبل أن يقع ؛ فخاف أن تضيع العلوم ، وتلف صحائفها في لجج الماء ؛ فبنى الأهرام لحفظها وصيانتها وتخليدها .

(١٣) « بناه » : أي بنى الأثر ، أي الأهرام . والقيون : جمع قين (بوزن عين وعيون) ، وهو في الأصل الحداد ، ثم أطلق على كل صانع كيفما كانت صناعته . و « أسوان » : مدينة قديمة ، فرعونية الإسم ، فيها أغنى محاجر الجرانيت التي ارتادها المصريون في مختلف العصور ؛ للبحث عن أجود أنواع الصخر اللازم لمبانيهم . ومن معالمها الحديثة : سد أسوان ، أو السد العالي الذي شرع في إقامته سنة ١٩٦٠ ، وهي حاضرة محافظة أسوان .

(١٤) يقول : إن الصخور التي بنيت بها الأهرام طبقات بعضها فوق بعض . وفي جوف الهرم حجرات احتوت على ما أنتجه حكماء ذلك الزمان وأدباؤه من الحكم ، والعلوم ، والآداب .

بَقِيَتْ بَعْدَ صَانِعِيهَا فَكَانَتْ أَثْرًا نَاطِقًا بِغَيْرِ لِسَانٍ (١٥)
 سَوْفَ تَبْلَى مِنْ بَعْدِ حِينٍ وَيُمْحَى ذِكْرُ « هُرْمَيْسَ » مِنْ سِجْلِ الزَّمَانِ (١٦)
 إِنَّمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ غُرُورٌ تَنْقُضِي بِالشَّقَاءِ وَالْجِرْمَانِ (١٧)
 لَيْسَ فِيهَا سِوَى خَيَالَاتٍ وَهَمٍّ تَمْتَرِيهَا قَرَائِحُ الْأَذْهَانِ (١٨)
 خَطَرَاتٌ قَدْ ضَمَّنُوهَا كَلَامًا فَلَسْفِيًّا لَمْ يَقْتَرِنَ بِمَعَانِي (١٩)
 كُلُّ حَيٍّ يَظُنُّ أَمْرًا وَلَكِنْ أَيْنَ مِنْهُ مَحَجَّةُ الْبُرْهَانِ؟ (٢٠)
 قَدْ عَرَفْنَا مَا كَانَ مِنَّا قَرِيبًا وَجَهْلُنَا مَا لَا تَرَى الْعَيْنَانِ (٢١)

(١٥) معنى هذا البيت : أن بناء الأهرام فنوا وبادوا ، وبقيت الأهرام أثراً بعدهم يشهد لهم بالعظمة والمجد والسلطان .

(١٦) المعنى : أن الأهرام ، أو الآثار التي تركها قدماء المصريين وأمثالهم مصيرها إلى البلى والزوال . وسوف يأتي النسيان على تاريخ أصحابها ؛ فلا يبقى لهم ذكر في كتاب الزمان .

(١٧) غرور : خداع . والغرور أيضاً : ما يغتر به الإنسان من متاع الدنيا وزخرفها . والغرور (بفتح الغين) : الدنيا . والغرور (بضم الغين) : الأباطيل . وتنقضي : تنتهي وتختتم .

(١٨) خيالات : جمع خيالة (بوزن سحابة) ، وهي الطيف ، وما تشبه لك . ووهمت الشيء ، وتوهمته : وقع في خلدي ، ودار في بالي ؛ فالوهم من خطرات القلب ، وجمعه أوهام . وتمترىها : تستخرجها ، وتظهرها . والقرائح : جمع القريحة . وقريحة الإنسان : طبيعته . والأذهان : جمع ذهن ، وهو الفهم ، والعقل . ويراد بقرائح الأذهان : ما تسارع الأفهام والعقول إلى إدراكه من أول وهلة قبل التدبير ، والنظر ، والتعمق في التفكير ؛ وهو شأن الأوهام والخيالات التي تستهوي الإنسان وتخدعه .

(١٩) خطرات : خيالات وأوهام ، جمع خطرة : اسم مرة من خطر الشيء بباله ، أي مرّ به ، ولاح في فكره . وضمنوها : أودعوها . والكلام الفلسفي هنا : الكلام المعقد الذي لا يحمل معنى واضحاً سديداً ، ولا فكرة قيمة صائبة ، ولا يهدي إلى رشاد .

(٢٠) المعنى : أن كل واحد من هؤلاء المتفلسفين يبني أموره ، أو كلامه الفلسفي على الظن والتخمين ، لا على الحق واليقين .

(٢١) معنى هذا البيت : أن القريب منا معروف لنا ، ظاهر مستيقن . وما لا يقع تحت حواسنا مجهول غير معلوم ؛ فلا ينبغي أن نقيم عليه كلاماً فلسفياً ، لا معنى له ، ولا غناء فيه .

فَدَعَ الْقَوْلَ فِي التَّفَلُّسِ وَأَخْضَعَ لَجَلَالِ الْمُهَيَّمِينَ الدِّيَانِ (٢٢)
أَنَا يَا دَهْرُ عَالِمٍ بِمَصِيرِي فِيكَ لَكِنِّي جَمُوحُ العِنَانِ (٢٣)
قَدْ تَمَادَيْتُ فِي الغَوَايَةِ حَتَّى كَبَحَ الدَّهْرُ شِرَّتِي وَثَنَانِي (٢٤)

وَقَالَ يَصِفُ لَيْلَةَ أَنَسٍ :

لَأَعَبَ السُّكْرُ قَدَّهُ فَتَثَّنِي وَدَعَاهُ فَرَطُ السُّرُورِ فَغَنَى (١)
رَشَاءُ تَعْبُدُ النُّوَظِرُ مِنْهُ وَاحِدًا فِي الْجَمَالِ لَيْسَ يُثْنِي (٢)
أَنْبَتَ الحُسْنَ فَوْقَ حَدِّيهِ وَرَدًّا لَيْسَ إِلَّا بِغَمْزَةِ اللَّحْظِ يُجْنِي (٣)
لَمْ يَزَلْ يَرْضَعُ السُّلَافَةَ حَتَّى غَابَ عَنَّا كَأَنَّهُ لَيْسَ مِنَّا (٤)

(٢٢) دع : اترك ، واجتنب . ويراد بالتفلسف هنا : الفلسفة بالمعنى الذي يستهجنه الشاعر ويمقته ، وهو التعمية ، والتعقيد ، والتشكيك ، وصرف الأذهان عن الجادة الواضحة .
والمهيمن : الرقيب على كل شيء ، والمسيطر عليه . والديان : الحاكم والجازي بالخير والشر .

نهى عن الأقوال الفلسفية المضللة المحيرة ، وأمر ، وأرشد إلى الحقيقة الكبرى ، وهي الإيمان بالله الواحد القهار ، المهيمن الديان ، والخضوع لجلاله وسلطانه .

(٢٣) جموح العنان : صعب الانقياد .

(٢٤) تمادى في الغي : دام على الضلال ولم يقلع عنه . وكبح الفرس ونحوه : جذب رأسه إليه بالعنان أو اللجام وهو راكب ، لكي يقف ، ولا يجري . والشرة (بكسر الشين) : الحدة ، والمعصية . وثناه عن كذا : صرفه عنه ، ومنعه منه .

(١) قدّه : أي قدّ الفتاة ، أو المرأة التي يتغزل بها . والقَدّ : القوام ، وهو حسن الطول ، واعتدال القامة . وتثنى في مشيته : انعطف ، وتمايل . وفرط السرور : شدته وزيادته .

(٢) الرشأ : ولد الطيبة ، وتشبه به الحسناء من النساء في جمال الجيد والعينين ، والرشاقة . والنواظر : العيون . ويراد بالعبادة : الافتتان ، والإعجاب . وثناه تثنية : جعله اثنين .

(٣) يتغزل بجمال خديها ، ويقول : إن هذا الجمال ورد أنبته الحسن . وإنما يجنى بلحظات العيون وغمزاتها . يريد أن العاشق يستمتع بالنظر إلى وجهها ، ووجناتها .

(٤) السلافة : أفضل الخمر ، وأجودها . ويرضعها : يحتسيها .

فَأَنَّمَنَاهُ فَوْقَ مَهْدٍ وَثِيرٍ
فَلَبِثْنَا هُنَيْهَةً ثُمَّ لَمَّا
وَأَدْرْنَا الْكُؤُوسَ حَتَّى تَوَلَّتْ
يَا لَهَا لَيْلَةً أَبْحَنَّا بِهَا اللَّهُ
وَقَالَ فِي مُدَارَاةِ الصَّدِيقِ :

دَارِ الصَّدِيقَ وَلَا تَأْمَنْ بِوَادِرِهِ
يُفْضِي بِسِرِّكَ أَوْ يَسْعَى بِأَمْرِكَ أَوْ
فَإِنْ تَنَصَّلْتَ قَالُوا فِيكَ مَعْرِفَةً
وَأَكْثَرَ الْخَلْقِ مَطْبُوعٌ عَلَى ظَنَنِ
فَرُبَّمَا عَادَ بَعْدَ الصَّدْقِ خَوَّانًا (١)
يَقُولُ عَنْكَ حَدِيثَ السُّوءِ بُهْتَانًا (٢)
تَنْفِي الْمِرَاءِ مَعَ الْوُدِّ الَّذِي كَانَا (٣)
تَقْضِي عَلَيْهِ بِلَبْسِ الْحَقِّ أَحْيَانًا (٤)

- (٥) المهد : الفراش ، أو السرير . ووثير : مريح . والبرهة : المدة ، والزمن طال أو قصر .
وأفاق السكران : صحا ، وعاد إليه وعيه .
(٦) لبثنا : مكثنا وانتظرنا . وهنيهة : قليلاً من الزمان . وخف من سكره : صحا من نشوته ، وأفاق
من غفوته .
(٧) تولت النجوم : كناية عن إدبار الليل وانقضائه . و« من » : بيانية . وتولت أحاد : أي أفلت
واحداً واحداً . وغابت مثنى : أي غابت اثنين اثنين .
(٨) اللهو : كل ما استمتعت به ، وألهاك عما يهتك ويعينك ، وخالف الجد والحكمة . والغداة :
أول النهار ، بين الفجر وطلوع الشمس . ووردة الغداة : حمرتها . وتبنا (بالتاء) : من التوب
أو التوبة ، ترك الذنب لقبحه ، والندم على ما فرط منه ، وعقد العزم على عدم العودة إليه .
(١) داره : أي لطفه ولاينه . والبوادر : جمع البادرة ، وهي الغضبة السريعة ، وما يبدو من المرء
عند حدته وغضبه من خطأ أو سقط . وخوآن : صيغة مبالغة ، أي كثير الخيانة .
(٢) أفضى بالسر : باح به . وسعى بأمره : نم عليه ، ووشى به . والبهتان : الباطل والكذب .
(٣) تنصلت : تبرأت . والمراء : الاعتراض ، والشك .
(٤) طبع على كذا (بالبناء للمجهول) : اعتاده ونشأ عليه . والظنن : جمع ظنة (بوزن ملة
وملل) ، وهي التهمة (بضم ففتح) . يريد أن أكثر الناس قد اعتادوا سماع الاتهامات ،
وتصديقها ، وترويجها بلا تمحيص ، أو تثبت . وتقضي عليه : تفرض عليه ، وتحكم ، أي
على أكثر الخلق . ولبس الحق : إخفاؤه ، وخلطه بالباطل .

وَقَلَّ فِي النَّاسِ مَنْ جَرَّبْتُهُ فَرَأَى بَيْنَ الْحَقِيقَةِ وَالْبُهْتَانِ فُرْقَانًا^(٥)
وَقَالَ فِي لُزُومِ الْإِحْتِرَاسِ مِنَ الْعَدُوِّ :

لَا تَخْشَ بُؤْسًا مِنْ عَدُوِّ ظَاهِرٍ وَآخِشَ الْمَكِيدَةَ مِنْ عَدُوِّ بَاطِنٍ^(١)
كَمْ بَيْنَ شَرِّ ظَاهِرٍ مُسْتَدْرِكٍ مِنْهُ الْخَلَاصُ وَبَيْنَ شَرِّ بَاطِنٍ^(٢)

وَقَالَ يُعَاتِبُ :

قَدْ عَاقَبَنِي الشُّكُّ فِي أَمْرٍ أَضَعْتُ لَهُ عَزِيمَةَ الرَّأْيِ حَتَّى ضَاقَ كِتْمَانِي^(١)
أَوْلَيْتَنِي مِنْكَ وَدًّا قَبْلَ مَعْرِفَةِ ثُمَّ انْتَهَيْتَ بِصَدِّ قَبْلِ إِعْلَانِ^(٢)
فَسَرَّنِي مِنْكَ مَا قَدَّمْتَ مُبْتَدَأً وَسَاءَنِي مِنْكَ مَا أَخَّرْتَ فِي الثَّانِي^(٣)

(٥) الفرقان : مصدر فرق بين الشيئين ، أي فصل بينهما ، وماز أحدهما من الآخر .
يقول : إن التجربة أثبتت أن قلتهم القليلة هم الذين يفرقون بين الحق والباطل ، ويميزون
الخبث من الطيب .

(١) البؤس : الأذى ، والضمر . والمكيدة : المكر السيء . وعدو باطن : أي عدو عداوته باطنة
خفية غير ظاهرة .

(٢) استدرك الشر بالخلاص : أي حاول التخلص منه ، واتقاه . وشر باطن : شر خفي ، مستور ، غير
ظاهر .

يقول : إن الفرق كبير ، والبون شاسع بين الشر العلني الظاهر ، والشر الخفي الباطن ؛
فإن الأول يمكن التخلص منه ، واتقاؤه ، والثاني يصعب استدراكه ، ودفعه ، وتوقيه .

(١) عاقه : منعه ، وشغله ، وصرفه . ويراد بعزيمة الرأي : قوة التفكير والتدبير .
(٢) أوليتني : أعطيتني ، ومنحتني . والود : المودة والمحبة . وقبل معرفة : أي قبل أن تعرفني ،
أو قبل أن نتعارف . يريد أن المعاتب سارع إلى الود في أول التلاقي والتعارف . وانثنى
بالصد : ارتد ، وانصرف بالصدود والإعراض . وقبل إعلان : أي قبل إظهار الصدود ،
والتمهيد له ، وكشف أسبابه .

(٣) يقول : إنه سره وأفرجه ما قدمه المعاتب ، وبدأ به من الوداد والإقبال ، ثم ساءه وحزنه ما
آخره ، وثنى به من الإعراض والقطيعة .

فَإِنْ يَكُنْ سُوءُ رَأْيٍ أَوْ مَلَالٌ هَوَىٰ
فَاكْشِفْ لَنَا عَنْ قِنَاعِ الشُّكِّ نَحْيَ بِهِ
وَقَالَ :

أَوَّلُ النَّفْسِ نُطْفَةٌ أَخْلَصَتْهَا
قَدَفَتْهَا إِلَى الْبُطُونِ ظُهُورُ
ثُمَّ أَرْسَىٰ بِهَا هُبُوطٌ يَلِيهِ
فَهِيَ طَوْرًا تَكُونُ فِي عَالَمِ الْغَيْبِ
مُبْتَدَاهَا وَمُنْتَهَاهَا سَوَاءٌ
شَهْوَةٌ صَاغَهَا مِرَاجُ دَفِينُ^(١)
وَحَوْتَهَا بَعْدَ الظُّهُورِ بُطُونُ^(٢)
حَرَكَاتٌ مِنْ بَعْدِهَا سَكُونُ^(٣)
بِطَوْرًا فِي مِثْلِ ذَلِكَ تَكُونُ^(٤)
وَهِيَ مَا بَيْنَ ذَلِكَ حَيٌّ مَهِينُ^(٥)

(٤) قدّر الشاعر أن المعاتب صدّ عنه وأعرض لأنه مل صحبته ووداده ، أو لأن رأيه فيه ساء ، وقبح . وقال : إن هذين الأمرين كليهما متساويان متماثلان في القبح والرداءة .

(٥) في هذا البيت دعاه إلى التصريح بالحقيقة ، وإزالة هذا الشك الذي يحجبها ويغطيها ، وخيره بين صريح الواصل ، ومحض الهجران ؛ ففي التصريح المطلوب راحة وحياة للشاعر ، أو لهما جميعاً .

(١) يقول : خلق الإنسان في أول أطوار خلقه من نطفة ، أخرجتها - خالصة متميزة - شهوة قوية ، بعثها وأثارها طبع ، أو استعداد قويّ طبيعي ، مركز في الأعماق .

(٢) في هذا البيت إشارة إلى الطور الثاني من أطوار خلقه ؛ فإن الشهوة لما أخرجت النطفة من أصلاب الرجال رمتها بسرعة وقوة في أرحام النساء ، فاحتوتها ، ويسّرت لها التمكن والاستقرار .

(٣) لعلّه يشير بهذا البيت إلى هبوط الطفل من رحم أمه ، ورسوه على الأرض إذا ولد . ويلبي هذا ، ويتصل به حركات حياته في الدنيا ، ثم سكون الموت .

(٤) هي : أي النطفة . والطور : المرة ، والتارة . وعالم الغيب : كلّ ما غاب عن الإنسان ، ويقابله عالم الشهادة .

في هذا البيت أشار إلى طورين متشابهين متماثلين من أطواره ؛ فهو حينما كان في رحم أمه كان في عالم الغيب ، وحينما يموت ينتقل إلى عالم غائب عنا كذلك .

(٥) مبتدأها : مبتدأ النطفة ، أي نشأتها الأولى . والمنتهى : الغاية والنهاية . وسواء : متساويان ، متشابهان ، متماثلان . و« ذلك » : إشارة إلى المبتدأ والمنتهى .

فَعَلَامَ الْبُكَاءِ فِي إِثْرِ دَارٍ بِالرَّرْزَايَا فِنَاؤُهَا مَشْحُونٌ؟ (٦)
تَتَفَانِي الرَّجَالَ حِرْصاً عَلَيْهَا وَهُوَ حِرْصٌ أَدَّى إِلَيْهِ الْجُنُونُ (٧)
حَارَ فِيهَا «أَرِسْطَطَالِيْسُ» قَدَمًا وَنَعَاهَا الْحَكِيمُ «أَفْلَاطُونُ» (٨)
وَقَالَ :

وَمَلَسَ عِفَّةً قَدْ نِلْتُ مِنْهُ بِأَيْدِي اللَّهْوِ مَا شَاءَ التَّمَنِّي (١)
مَلَكْتُ بِهِ عِنَانَ الشُّوقِ حَتَّى قَضَيْتُ لُبَانَتِي وَأَرَحْتُ ظَنِّي (٢)

(٦) الاستفهام هنا للإنكار ؛ فالشاعر ينكر على الباكين بكاءهم ، ويستهجنه ، ويزدرجه . وجاء في إثره : أي في عقبه . ويراد بالدار : الدنيا . والرزايا : المصائب ، الواحدة رزية ، ورزيلة . وفناء الدار : ساحتها . ومشحون : مملوء .

(٧) تتفانى الرجال : يفني بعضهم بعضاً . وربما أريد بالتفاني هنا : التهافت ، والتكالب ، والحرص الممقوت .

(٨) حار : تحير ، ولم يهتد للصواب . و«أرسطوطاليس» أو «أرسطو» (٣٨٤ - ٣٢٢ ق.م) : فيلسوف يوناني . وقدماء (بكسر فسكون) : أي في الزمان القديم . ونعى الناعي الميت (من باب سعى) : أذاع خبر موته . ويراد بالنعي هنا : إذاعة هوان الدنيا وتفاهتها ، وحقارة شأنها . والحكيم : الفيلسوف ، وذو الحكمة : و«أفلاطون» (٤٢٧ - ٣٤٧ ق.م) : فيلسوف يوناني شهير ، تلميذ «سقراط» ، ومعلم «أرسطوطاليس» .

(١) ملمس العفة : ما يحرم على كل من الرجل والمرأة أن يلمسه من صاحبه بمقتضى العفة وحكمها . وجسم المرأة كله ملمس عفة . ونلت : أخذت ، وأصبت . واللهو : ما لهوت به ، وشغلك ، أو استمتعت به .

والمعنى : أنه انساق مع اللهو والمجانة والغواية حتى ظفر بما أراده وتمناه من المتعة المحرمة ؛ فلمس ما تحرم العفة لمسه من جسم المرأة التي جالسها .

(٢) به : أي باللهو ، أو بما نلت من ملمس العفة . والعنان : المقود . وملك عنان الشوق : أي سيطر عليه ، وتمكن منه . والإنسان يغلب الشوق ، ويملك عنانه : إذا قضى وطره ، وبلغ أمنيته ، ونال ما كان يشتاقه ، ويتوق إليه . واللبانة : الحاجة . ويراد بالظن هنا : القلب ، والبال .

فَلَا تَسْأَلْ عَلَيَّ مَا كَانَ مِنْهُ وَلَا تَسْأَلْ عَلَيَّ مَا كَانَ مِنِّي (٣)
فَلَوْلَا أَنَّ جُنْدَ الصُّبْحِ وَافَتْ طَلَائِعُهُ وَزَالَ اللَّيْلُ عَنِّي (٤)
لَدُمْتُ عَلَيَّ مُعَاقِرَةَ الْأَمَانِي وَلَكِنْ رُبَّمَا عَاوَدْتُ فَنِّي (٥)

وَقَالَ يَتَشَوَّقُ إِلَى الْفَيْلَةِ :

يَا رَاحِلًا غَابَ صَبْرِي بَعْدَ فُرْقَتِهِ وَأَصْبَحْتَ أَسْهَمُ الْأَشْوَاقِ تُصْمِينِي (١)
إِنْ كَانَ يُرْضِيكَ مَا أَلْقَاهُ مِنْ كَمَدٍ فِي الْحَبِّ مُذْ غَبْتَ عَنِّي فَهَوَّ يُرْضِينِي (٢)
لَمْ أَلْقَ بَعْدَكَ يَوْمًا اسْتَبِينُ بِهِ وَجْهَ الْمَسْرَةِ إِلَّا ظَلَّ يُبْكِينِي (٣)
قَدْ كُنْتُ لَا أَكْتَفِي بِالشَّمْلِ مُجْتَمِعًا فَالْيَوْمَ نَظْرَةٌ عَيْنٍ مِنْكَ تَكْفِينِي (٤)

وَقَالَ :

إِنَّ لِي صَاحِبًا وَلَا بُدَّ مِنْهُ قَلَّ صَبْرِي بِهِ وَزَادَتْ شُجُونِي
أَحْمَقُ لَا يَكَادُ يَفْقَهُ قَوْلًا مِنْ حَدِيثٍ وَالْحُمُقُ نِصْفُ الْجُنُونِ

(٣) نهى عن السؤال عما كان منها ، وعما كان منه ، قاصداً بالنهي التشويق . أي لو سألت لعرفت أن المتعة كانت تامة موفورة .

(٤) وافتنا طلائع جند الصباح : أي فاجأتنا تباشير الصباح ؛ فكادت تكشف المستور من أمرنا .

(٥) معاقره الأمانى : استدامة ما كنا نباشره من المتع واللذات . والأمانى : جمع الأمانة ، وهي ما تتمناه ، وترغب فيه . وعآودت الشيء : رجعت إليه بعد الانصراف عنه . والفن : الحال ، ويراد به هنا : ما انحرف إليه الشاعر من ضروب المتع واللذات التي أشار إليها .

(١) راحل : اسم فاعل من الرحيل ، وهو الانتقال ، والمضي . والفرقة : الافتراق . وأصماه يصميه : رماه ، فأصابه - وهو يراه - إصابة قاتلة .

(٢) الكمد : تغيير اللون ، وذهاب صفائه ، والحزن الشديد . وكمد الحب : ما يقاسيه المحب من الضنى .

(٣) استبانه يستبينه : تبيّنه ، وعرفه . والمسرة : السرور والفرح .

(٤) اجتماع الشمل : اجتماع الأمر ، ويقصد اجتماعه بها .

وَقَالَ :

إِذَا أَتَاكَ خَلِيلٌ بَعْدَ مَنَدَمَةٍ مِنْهُ عَلَى مَا مَضَى مِنْ زَلَّةٍ فَهِنَّ (١)
وَإِنْ صَفَحْتَ فَلَا تَعْرِضْ بِمَعْتَبَةٍ فَالْعُتْبُ يُفْسِدُ مَا قَدَّمْتَ مِنْ حَسَنِ (٢)

وَقَالَ :

أَحِبِّ وَأَبْغِضْ وَقُلْ بِحَقِّ وَلَا تُسَاهِلْ وَلَا تُخَاشِنُ (١)
فَالْحُبُّ يُعِمِّي عَنِ الْمَسَاوِي وَالْبُغْضُ يُعِمِّي عَنِ الْمَحَاسِنِ

وَقَالَ :

لَا تَعُكْفَنَّ عَلَى الْمُدَامِ بَغَيْرِ مَا صَوْتٌ يَهِيحُ بِلَحْنِهِ النَّدْمَانَا (١)
إِنَّ الْغِنَاءَ سَرِيرَةٌ فِي النَّفْسِ قَدْ ضَاقَتْ بِهَا فَتَفَجَّرَتْ أَلْحَانَا (٢)

(١) المعنى : إذا بدرت من صديقك بادرة ، أو رأيت منه ما يسوؤك ، ثم جاءك نادماً معتذراً ، فتقبل معذرتة .

(٢) يقول : إذا صفحت عن زلة هذا الصديق فلا تعاتبه ؛ إذ العتاب يفسد الصفح ، ويكدر الصفو .

(١) دَعَا إِلَى الْإِعْتِدَالِ ، وَالتَّوَسُّطِ فِي الْحَبِّ وَالبُغْضِ ، وَفِي الْأَقْوَالِ وَالْأَعْمَالِ . وَنَهَى عَنِ التَّنَطُّرِ فِي الْمَسَاهَلَةِ وَالْمَخَاشِنَةِ ، وَتَجَاوَزَ الْقَصْدَ وَالرُّشْدَ . وَخَيْرَ الْأُمُورِ أَوْسَاطُهَا .

(١) عَكَفَ عَلَى الشَّيْءِ : أَقْبَلَ عَلَيْهِ . وَالْمُدَامُ : الْخَمْرُ . وَهَاجَهُ : أَثَارَهُ ، وَشَجَنَهُ . وَلِحْنِ الصَّوْتِ : نَغْمِهِ ، وَمُوسِيقَاهُ . وَالنَّدْمَانُ (بوزن السكران) : مَنْ ينادمك ، أَي يجالسك على الشراب .

يدعو إلى الجمع بين إدمان الخمر والاستمتاع بسمع الغناء ؛ فإن الغناء يطرب الندماء ، ويكمل متعتهم .

(٢) سريرة : سر مكتوم في النفس . وتفجر الماء ونحوه تفجراً : انفجر ، وانبتق . والألحان : الأغاني ، جمع لحن ، وهو الأغنية ، والصوت الموسيقي .

والمعنى : أن الأغاني في أصلها ، أو في حقيقتها سرائر وعواطف مكتومة تختلج في الصدور ، فإذا ضاقت بها ، ولم تستطع كتمانها تفجرت ألحاناً وأنغاماً .

وَقَالَ :

خَفِضْ عَلَيْكَ وَلَا تَجْزَعْ لِنَائِبَةٍ فَكُلُّ نَاءٍ قَرِيبٌ إِنْ صَبَرْتَ لَهُ
فَالدَّهْرُ يَعْتَرُّ بِالْإِنْسَانِ أَحْيَانًا (١)
وَكُلُّ صَعْبٍ إِذَا قَاوَمْتَهُ هَانًا (٢)

وَقَالَ فِي النَّمَامِ :

لَا تَرْكَنْنَ إِلَى النَّمَامِ إِنْ لَهُ لَوْلَمْ تَكُنْ قِصَّةُ النَّمَامِ كَاذِبَةً
خَدَعًا يُفَرِّقُ بَيْنَ الرُّوحِ وَالْبَدَنِ (١)
مَا كَانَ يَسْتُرُهَا عَنْ مَعْرِضِ الْعَلَنِ (٢)
وَقَالَ :

وَذِي وَجْهَيْنِ تَلْقَاهُ طَلِيقًا
مُحْيَاهُ وَيَاطِنُهُ حَزِينٌ (١)
يُعَاطِيكَ الْمُنَى بِلِحَاطِ رِيمٍ
وَبَيْنَ ضُلُوعِهِ ضَبٌّ كَمِينٌ (٢)

(١) خَفِضْ عَلَيْكَ : أي هَوِّنِ الْأَمْرَ عَلَى نَفْسِكَ ، وَسَهِّلِهِ . وَلَا تَجْزَعْ : نَهَى عَنِ الْجَزَعِ ، وَهُوَ نَقِيضُ الصَّبْرِ . وَالْجَزَعُ أَبْلَغُ مِنَ الْحُزَنِ ، وَأَشَدُّ ، وَأَخْصَّ ؛ فَإِنَّهُ حُزْنٌ يَصْرِفُ الْإِنْسَانَ عَمَّا هُوَ بِصُدُّهُ ، وَيَقْطَعُهُ عَنْهُ . وَالنَّائِبَةُ : النَّازِلَةُ ، وَالْكَارِثَةُ ، وَالْمُصِيبَةُ . وَالِدَّهْرُ يَعْتَرُّ بِالْإِنْسَانِ : أَيِ يَعْتَرِضُ لَهُ بِالْأَذَى وَالسُّوءِ . وَالْمَعْنَى عَلَى هَذَا : أَنْكَ إِذَا هَوَّنْتَ الْأَمْرَ عَلَى نَفْسِكَ ، وَتَجَلَّدْتَ لِنَوَائِبِ الدَّهْرِ ، خَدَعْتَهُ بِهَذَا التَّجَلُّدِ ، فَلَمْ يَتِمَادِ فِي الْحِمْلَةِ عَلَيْكَ ، وَالْإِسَاءَةَ إِلَيْكَ .

(٢) نَاءٌ : بَعِيدٌ . وَصَبَرْتَ لَهُ : صَبَرْتَ عَلَيْهِ ، وَتَجَلَّدْتَ لَهُ . وَقَاوَمْتَهُ : كَافَحْتَهُ ، وَجَالَدْتَهُ . وَفِي الْمَقَاوِمَةِ مَعْنَى الْمَصَابِرَةِ . وَهَانَ : سَهَلَ ، وَخَفَّ ، وَوَلَانَ .

(١) رُكْنٌ إِلَيْهِ : مَالٌ إِلَيْهِ ، وَسُكْنٌ ، وَاطْمَأْنَانٌ . وَالنَّمَامُ : صَيْغَةٌ مَبَالِغَةٌ مِنْ نَمَّ الْكَلَامُ ، أَيِ زَيْنَهُ بِالْكَذِبِ ، وَسَعَى بِهِ لِلْفِتْنَةِ وَالْإِفْسَادِ ، وَإِغْرَاءِ الْعِدَاوَةِ بَيْنَ النَّاسِ . وَخَدَعَهُ خَدَعًا : إِذَا أَظْهَرَ لَهُ خِلَافَ مَا يَخْفِيهِ ، وَأَرَادَ بِهِ الْمَكْرُوهَ مِنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُ . وَالتَّفْرِيقَةُ بَيْنَ الرُّوحِ وَالْبَدَنِ : كِنَايَةٌ عَنِ التَّفْرِيقَةِ بَيْنَ الْمُتَحَابِّينَ ، أَوْ الْمُتَعَاوِنِينَ عَلَى الْخَيْرِ وَالْحَيَاةِ .

(٢) قِصَّةُ النَّمَامِ : حَدِيثُهُ وَكَلَامُهُ ، وَمَا يَلْفَقُهُ مِنَ الْأَقْوَالِ ، وَمَا يَنْقُلُهُ مِنَ الْأَخْبَارِ . وَمَعْرِضُ الشَّيْءِ : مَوْضِعُ عَرْضِهِ وَإِظْهَارِهِ . وَالْعَلَنِ : أَيِ الظُّهُورِ .

(١) رَجُلٌ ذُو وَجْهَيْنِ : أَيِ ظَاهِرُهُ يَخَالِفُ بَاطِنَهُ وَيُنَاقِضُهُ . وَالْمُحْيَا : الْوَجْهَ . وَطَلِيقٌ : ضَاحِكٌ ، بَسَامٌ ، مِنَ الطَّلَاقَةِ ، وَهِيَ الْبِشَاشَةُ .

(٢) يُعَاطِيكَ : يَنَاطِلُكَ ، وَيُعْطِيكَ . وَالْمُنَى : الْأَمَانِي وَالْأَمَالَ . وَاللِحَاطُ : النُّظْرَاتُ . وَالرِّئِمُ :

وَقَالَ يَهْجُو :

حَوَيْتَ مِنَ السُّوءَاتِ مَا لَوْ طَرَحْتَهُ
عَلَى الشَّمْسِ لَمْ تَطْلُعْ بِكُلِّ مَكَانٍ
وَمَا تَرَكَ الْهَاجُونَ فِيكَ بَقِيَّةً
يَدُورُ عَلَيْهَا فِي الْهَجَاءِ لِسَانِي

وَقَالَ :

إِذَا مَا الْمَرْءُ أَعْقَبَ ثُمَّ أُوْدَى
تَعَادَلَ فَهُوَ مَوْجُودٌ وَفَانِي^(١)
وَمَا الدُّنْيَا سِوَى أَخْذٍ وَرَدٍّ
وَهَدْمٍ نَابَ عَنْهُ بِنَاءُ بَانِي^(٢)

وَقَالَ :

كَتَمْتُ هَوَاكَ حَتَّى لَيْسَ يَذْرِي
لِسَانِي مَا تَضَمَّنَهُ جَنَانِي^(١)
وَلِي بَيْنَ الْجَوَانِحِ مِنْكَ سِرٌّ
خَفِيٌّ لَا يَعِيهِ الْكَاتِبَانِ^(٢)
وَكَيْفَ يَخْطُهُ الْمَلَكَانِ عَنِّي
وَلَمْ يَنْطِقْ بِغَامِضِهِ لِسَانِي ؟

-
- ولد الظبية ، ويشار بالرثم هنا إلى الوداعة ، والمسالمة . والضلوع : عظام قفص الصدر .
والضبب : الحقد ، والغل ، والغيط الكامن في الصدر . وكمين : كامن ، خفي .
- (١) أعقب الإنسان إعتاباً : ترك عقباً ، وهو ولده ، وولد ولده . وأودى : هلك ، ومات . وتعادل تعادلاً : تعادل أمره ، أي تساويا بالإعتاب والموت ؛ فهو بالإعتاب موجود ؛ وبالموت فان . والمعنى : أن الإنسان يحيا بعد موته في ذريته ونسله .
- (٢) يراد بالأخذ والرد : الموت والحياة . وكذلك الهدم والبناء . أي ليست الدنيا سوى أخذ وهدم بالإماتة ، ورد وبناء بالإحياء .
- (١) يقول لمن عشقها إنه بالغ في كتمان عشقه ؛ فلم يدر لسانه ما انطوى عليه جنانه ، أي قلبه .
- (٢) الجوانح : أضلاع الصدر . وبين الجوانح : القلب . ووعى الحديث ونحوه : عرفه ، وفهمه . والكاتبان : الملكان اللذان يكتبان أقوال الإنسان وأعماله ، وحسناته وسيئاته . والمعنى : أن تعلقه بهذه الحبيبة سرّ يكتمه في قلبه بين جوانحه ، ولا يعرفه الملكان والغرض تصوير مغالاته في كتمان الهوى وأسراره .

وَقَالَ وَهُوَ يَنْقُضُ بِهَا قَوْلَ الصَّابِيِّ (*) :

يَمُوتُ مَعِيَ سِرُّ الصَّادِقِ وَلَحْدُهُ ضَمِيرُ لَهُ الْجَنَّبَانِ مُكْتَنِفَانِ (١)
وَأَسْأَلُ يَوْمَ الْبُعْثِ عَنْ كُلِّ مَا وَعَى سَمَاعٌ وَمَا فَاهَتْ بِهِ شَفَتَانِ (٢)
فَأُنْكِرُهُ مِنْ بَيْنِ مَا فِي صَحِيفَتِي وَأَجْحَدُهُ إِذْ يَشْهَدُ الْمَلَكَانِ (٤)
وَذَنْبِي فِي ذَا الْجَحْدِ أَيْسَرُ مَحْمَلًا مِنْ الذَّنْبِ فِي إِفْشَائِهِ بِلِسَانِي (٤)
وَقَالَ :

عَرَفَ الْهَوَى فِي نَظْرَتِي فَهَانِي خِلُّ رَعِيَّتٍ وَدَادَةٌ فَرَعَانِي (١)

(*) إبراهيم بن هلال الصاببيء الحراني : ولد ومات في بغداد (٣١٣ - ٣٨٤هـ / ٩٢٥ - ٩٩٤م) ، أديب ، كاتب ، شاعر ، درس الرياضة ، والفلك ، والفلسفة ، ثم غلب عليه الأدب . واتصل ببني بويه ، وألف «التاجي» في أخبارهم ، وكتب للمهلبّي ، وتولّى ديوان الرسائل والمظالم ، واشتهر برسائله الديوانية والإخوانية ، وعرف بكرم الأخلاق ، وسجن عدة مرات . وله ديوان شعر .

(١) اللحد : القبر يدفن فيه الميت . والضمير : ما تضمّره في نفسك وتخفيه . ويراد به هنا : القلب ، أو الصدر . واكتنفاه : أحاطا به ، وانطبقا عليه ، فهما مكتنفان . جعل ضميره قبراً لما يكتمه من السرّ .

(٢) يوم البعث : يوم يبعث الله الناس من قبورهم ، أي يخرجهم ، وينشرهم ، ويحشرهم للحساب ، ثم الثواب ، أو العقاب . ووعى الحديث : أدركه ، وفهمه . والسماع : السمع ، وهو الأذن . وفاه بالقول : نطق به ، وتلفظ .

(٣) أنكر الشيء : جحده . وضدّ الإنكار والجحود : الإقرار والاعتراف . والملكان : اثنان من ملائكة الرحمن ، يرصدان المرء طوال حياته ، ويسجّلان عليه أقواله وأعماله ، وحسناته وسيئاته .

(٤) أيسر : أخفّ ، وأهون . والمحمل : الحمل . وأفشى السرّ والخبر : نشره ، وأذاعه . وضدّه الكتمان .

(١) اشتدّ الغرام بالشاعر ؛ فظهر أثره وأماراته في عينيه ونظراته ؛ فعرفه خليل من أخلّائه جمعت بينهما أواصر الصداقة والمودة الخالصة فنهاه عن الهوى إشفافاً عليه ، وإحساناً إليه .

أَخْفَيْتُ عَنْهُ سَرِيرَتِي فَوَشَى بِهَا
 دَمْعُ أَبَاحٍ لَهُ حِمَى كِتْمَانِي (٢)
 فِي أَيِّ مَعْدِرَةٍ أَكْذَبُ لَوْعَةً
 شَهِدْتُ بِهَا الْعَبْرَاتُ مِنْ أَجْفَانِي؟ (٣)
 يَا صَاحِ لَا أَبْصُرْتَ مَا صَنَعَ الْهَوَى
 بِأَخِيكَ يَوْمَ تَفَرَّقِ الْأَظْعَانِ (٤)
 يَوْمَ فَقَدْتُ الْحِلْمَ فِيهِ وَشَفَّنِي
 وَلَهُ أَصَابَ جَوَانِحِي فَرَمَانِي (٥)
 فَعَلَيْكَ مِنْ قَلْبِي السَّلَامُ فَإِنَّهُ
 تَبَعَ الْهَوَى فَمَضَى بِغَيْرِ عَنَانٍ (٦)
 هَيْهَاتَ يَرْجِعُ بَعْدَمَا عَلِقْتُ بِهِ
 لَحَظَاتُ ذَاكَ الشَّادِنِ الْفَتَّانِ (٧)
 وَعَلَى الرَّحَائِلِ نِسْوَةٌ عَرَبِيَّةٌ
 يَخْدَعْنَ لُبَّ الْحَازِمِ الْيَقْظَانَ (٨)

(٢) السريرة : السر الذي يكتم . ووشى بها : كشفها ، وأظهرها . وأباحه : جعله مباحاً ، أي غير محظور ، ولا ممنوع . والحمى : الشيء المحمى المصون .

(٣) يقول : إنه لا يجد حجة ، أو وسيلة ، أو عذراً يعتذر به عن نفسه ، ويكذب شواهد حبه وغرامه .

(٤) يا صاح : أي يا صاحبي ، والظعينة : المرأة في الهودج ، وجمعها ظعائن ، وأظعان .

(٥) الحلم : الأناة ، والصبر . وشفني : هزلني ، وأمضني . والوله : مصدر وله ، أي اشتد حزنه حتى ذهب عقله . والجوانح : الأضلاع القصيرة مما يلي الصدر ، الواحدة جانحة . ويراد بالجوانح : ما تحويه ، وتنضم عليه ، وهو القلب .

(٦) مضى بغير عنان : أي انطلق به ، لا يتوقف ، ولا يصده شيء .

حياتها بعد ارتحالها تحية قلبية خالصة ، وقال : إن حبه لها سيطر على قلبه ؛ فانساق للهوى ، ومضى معه .

(٧) «هيهات» : اسم فعل ماضٍ بمعنى بعد ، فهي كلمة تبعيد . وعلقت : نشبت فيه ، واستمسكت به . والمراد : استهوته . واللحظات : النظرات الساحرة الفاتنة . والشادن :

الظبي ، أي الغزال إذا شدن ، أي ترعرع ، وقوي ، واستغنى عن أمه . وتشبه الحسان من النساء بالغزلان في الرشاقة ، وحسن التشني ، وخفة الحركة ، وجمال الجيد والعينين . والفتان : صيغة مبالغة من فتنت المرأة الرجل ، أي أعجبت ، واستهوته .

(٨) الرحائل : جمع الرحالة (بوزن الرسالة) ، وهي السرج ، أو الرحل ، وكل ما يوضع على ظهر الدابة ليركب عليها راكبها . ويراد بالخدع هنا : الفتنة ، والاستمالة ، والاستهواء .

واللب : العقل ، أو القلب . والحازم : الذي يضبط أمره ، ويأخذ فيه بالثقة .

أَغْوَيْتَنِي فَتَبِعْتُ شَيْطَانَ الْهَوَى
مَا كُنْتُ أَعْلَمُ قَبْلَ بَادِرَةِ النَّوَى
رَحَلُوا فَأَيَّةُ عَبْرَةٍ مَسْفُوحَةٍ
وَلَقَدْ حَنَنْتُ لِبَارِقِ شَخَصَتْ لَهُ
يَسْتَنُّ فِي عُرْضِ الْغَمَامِ كَأَنَّهُ
فَانظُرْ لَعَلَّكَ تَسْتَبِينُ رِكَابَهُ
فَهُنَاكَ تَجْتَمِعُ الشُّعُوبُ وَتَلْتَقِي

إِنَّ النِّسَاءَ حَبَائِلُ الشَّيْطَانِ (٩)
أَنَّ الْأَسْوَدَ فَرَائِسُ الْغِزْلَانِ (١٠)
وَيَدٍ تَضُمُّ حَشَاءً مِنَ الْخَفَقَانِ؟ (١١)
مِنَّا الْعُيُونُ بِأَبْرِقِ الْحَنَانِ (١٢)
لَهَبٌ تَرَدَّدَ فِي سَمَاءِ دُخَانِ (١٣)
طَوَعَ الرِّيَّاحُ يُصِيبُ أَيَّ مَكَانٍ؟ (١٤)
هُدْبُ الْخُدُورِ عَلَى غُصُونِ الْبَانَ (١٥)

(٩) أشار إلى النسوة العربيات اللاتي رأهن على الرحائل ، فانخدع بهن ، ومال إليهن . فقد أغوينه ؛ فانقاد للغرام ، وتبع شيطان الهوى .

(١٠) البادرة : اسم فاعل من بدر إلى الشيء ، أي عجل إليه ، وسارع . والنوى : البعد ، والافتراق . وبادرة النوى : الفرقة العاجلة السريعة . ويراد بالأسود : شجعان الرجال وأقويائهم ، جمع أسد . وفرائس : جمع فريسة ، من فرس الأسد ونحوه فريسته : أي صاهاها وقتلها . ومعنى الشطر الثاني : أن حسان النساء يصرعن الشجعان من الرجال .

(١١) رحلوا : إن الجمع هنا يشمل المرتحلين من الرجال والنساء ، أي رحل الراحلون ومعهم الطعائن . والعبرة : الدمعة . ومسفوحة : منهمة ، منسكبة . والحشا : ما اضطمست عليه الضلوع ، وما حواه الصدر . ويراد به هنا : القلب . وخفقان القلب : اضطرابه وحركته .

(١٢) حن إليه حنيناً : نزع ، واشتاق . والبارق هنا : البرق . وشخصت العيون : انفتحت . وأبرق الحنان : موضع .

يذكر حنينه وتوقان نفسه إلى برق لمع في أبرق الحنان ؛ فاسترعى انتباهه ، وأثار اهتمامه ، وشخص بصره إليه في تأمل واشتياق . ولعل حبيبته أو حبيبته رحلن إلى أبرق الحنان .

(١٣) يستن : يضطرب . والعرض (بضم فسكون) : الوسط . والغمام : السحاب .

(١٤) استبان الشيء : تبيّنه ، وراه ، وعرفه . والركاب : المطي ، أو الإبل التي تركب . وهو طوع الرياح : أي منقاد منطاع لها .

(١٥) هناك : إشارة إلى المكان الذي يصيبه المطر ، فيحبيه . والشعوب : الجماعات والقبائل . والخدور : جمع خدر (بكسر فسكون) ، وهو كل ما وارك من بيت ونحوه . ويطلق الخدر على البيت إن كان فيه امرأة . والهدب من الثوب : طرفه الذي لم ينسج ، واحدته هدبة ،

فَاخْلَعْ عِذَارَكَ وَاعْتَنِمْ زَمَنَ الصَّبَا
قَبْلَ الْمَشِيبِ فَكُلُّ شَيْءٍ فَانِي (١٦)
وَقَالَ :

سَلْ حَمَامَ الْأَيْكِ عَنِّي
نَحْرُ فِي الْحُبِّ سَوَاءٌ
غَيْرَ أَنَّ الْوَجْدَ مِنْهُ
أَنَا أَبْكِي مِنْ غَرَامِي
وَهُوَ بِالدَّمْعِ بَخِيلٌ
لَسْتُ فِي الصَّبْوَةِ مِثْلِي
إِنَّهُ أَذْرَى بِحُزْنِي (١)
كُلُّنَا يَبْكِي لِغُصْنِ (٢)
لَيْسَ مِثْلَ الْوَجْدِ مِنِّي (٣)
وَهُوَ فِي الْغُصْنِ يُغْنِي (٤)
وَدُمُوعِي مِلْءُ عَيْنِي (٥)
فَانصَرِفْ يَا طَيْرُ عَنِّي (٦)
وَقَالَ :

والجمع أهداب . والبان : ضرب من الشجر ، تشبّه به قدود الحسان من النساء في الطول واللين . وغصون البان : كناية عن الحسان اللائي يميّزن بجمال القدود والقامات ، وحسن الطول والتقطيع .

(١٦) خلع فلان عذاره : قلّ حياؤه ، وأتبع هواه ، وانهمك في الغيّ واللّهو . واعتنم الشيء اغتناماً : انتهب غنمه ، أو عدّه غنيمة ، وهي ما يفوز به المرء ، أو يناله بلا بدل . والصبأ (بكسر الصاد) : الصغر والحدائث ، أو الفتوة والشباب .

(١) الأيك : جمع أيكة ، وهي الشجر الكثير الملتفّ . وحمّام الأيك : الحمام الوحشيّ ، يألف الغياض ، والرياض .

(٢) يقول : إنه والحمام متساويان في الحب ، وفي البكاء الذي يكون من المحب الواجد الولهان . وببكي لغصن : أي فوق غصن .

(٣) الوجد : الحب . والوجد أيضاً : الحزن .

(٤) يقول : إن بكاءه نتيجة لحبه وغرامه ، وما يضانيه من أوصاب العشق ، وإعراض الحبيب . أما الحمام فهو على الأغصان يطرب ، أو يتغنى ، أو يسجع .

(٥) من الفوارق الظاهرة التي تميز الشاعر من الحمام ، أو الإنسان من الطير ، أن الحمام لا يكاد يوجد بدموع عينيه . أما دموع الواجد الصبّ المستهام فإنها فياضة منهمة غزيرة .

(٦) الصبوة : الحنين ، والتشوّق . وانصرف عنه : تحوّل عنه ، وتركه .

ذَكَرَ الصَّبَا فَبَكَى وَلَاتَ أَوَانَ
 هَيْهَاتَ يَرْجِعُ فَائْتُ لَعِبَتْ بِهِ
 هَوْنٌ عَلَيْكَ فَكُلُّ شَيْءٍ ذَاهِبٌ
 وَاحْذَرِ مِنَ الدُّنْيَا إِذَا هِيَ أَقْبَلَتْ
 وَدَعِ التَّعَلُّقَ بِالْمَحَالِ فَمَنْ يَعِشْ
 لَا تَأْمُلَنَّ بِكُلِّ عَامٍ مُقْبِلٍ
 وَالدَّهْرُ أَيَّامٌ تُبِيدُ صُرُوفَهَا
 مِنْ بَعْدِ مَا وَلَّى بِهِ الْمَلَوَانَ (١)
 عُصْرٌ أَوَائِلُ أُرْدِفَتْ بِثَوَانِي (٢)
 وَالدَّهْرُ مَصْدَرٌ عِزَّةٌ وَهَوَانٍ (٣)
 بِالشَّرِّ فَهِيَ كَثِيرَةٌ الْأَلْوَانَ (٤)
 فِي غِبْطَةٍ يُرْمَى بِهِ الرَّجَوَانَ (٥)
 خَيْرًا فَكُلُّ الدَّهْرِ عَامٌ جِوَانٍ (٦)
 وَتُشِيدُ فَهِيَ هَوَادِمٌ وَبَوَانِي (٧)

- (١) الصبا : الصغر والحدائة . والأوان : الوقت ، والزمان . ومعنى «ولات أوان» : وليس الوقت وقت بكاء . يريد أن البكاء على الصبا بعد فواته لا يجدي ، ولا يفيد . وولّى به : ذهب به ، ومضى . والملوان : الليل والنهار .
- (٢) لعبت به العصر : أفنته وأبادته . من قولهم : لعبت الرياح بالمنزل : أي درسته ، ومحته ، وأزالته ، وأذهبت أثره . والعصر (بضم العين والصاد) : جمع العصر ، وهو الزمان ، أو اليوم . وأردفت : أتبعته . والثواني : خلاف الأوائل ، جمع ثانية .
- (٣) هونٌ : من هون الأمر ، أي خفقه ، وسهله . والهوان : المذلة والضعف ، وضده العزة والقوة .
- (٤) يقول ناصحاً واعظاً : احذر الدنيا ، ولا تتخددع بها إذا هي أقبلت عليك بما يسرك ؛ فإنها متلوّنة متقلّبة ، لا تبقى لها مسرة ، ولا تدوم على حال .
- (٥) دع : اترك . والمحال (بضم الميم) : ما لا يمكن وجوده . والتعلّق بالمحال : الاستمساك بالباطل ، والطمع في غير الممكن ، ويراد به : الإسراف في حب الدنيا ، والاعتزاز بزهرتها وزخرفها . والغبطة (بكسر فسكون) : حسن الحال ، والمسرة . والرجا : الناحية . ورجوا البئر : حافتها . ويرمى به الرجوان : أي يطرح في المهالك ، وينتهي أمره إلى الردى والفناء .
- (٦) أمله يأمله : رجاه ، وترقبه . وجوان (بوزن صعاب) : جمع جون وجونة ، بمعنى أسود ، أي فأعوام الدهر كلّها سوداء حالكة السواد . يكني بهذا عن كثرة رزايا الدهر وأفاته ، وقلة خيراته ومسراته .
- (٧) أباده إبادة : أهلكه وأفناه . وصروف الأيام : نوائبها وبلاياها .

أَنْى يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ شَرِّكَ الرَّدىِ وَالْمَوْتُ مَقْدُورٌ عَلَى الْحَيَوَانِ^(٨)

وَقَالَ فِي الرَّهْدِ :

مَا أَطِيبَ الْعَيْشَ لَوْلَا أَنَّهُ فَاينِ تَبَلَّى النُّفُوسُ وَلَا يَبْلَى الْجَدِيدَانِ^(١)

قَدْ كُنْتُ فِي غِرَّةٍ حَتَّى إِذَا انْقَشَعَتْ أَبَقْتُ تَبَارِيحَ لَا تَنْفُكُ تَغْشَانِي^(٢)

وَشَيْبَةَ كَلِيسَانَ الْفَجْرِ نَاطِقَةً بِمَا طَوَاهُ عَنِ الْإِفْشَاءِ كِتْمَانِي^(٣)

أَضَحْتُ قَدْىَ لِعُيُونِ الْغَانِيَاتِ وَقَدْ كَانَتْ جِبَالَةَ أَبْصَارٍ وَأَذْهَانَ^(٤)

كَأَنَّي لَمْ أَقْدُ شَعْوَاءَ جَافِلَةً وَلَمْ أَبْتُ بَيْنَ دَارَاتٍ وَنَدْمَانِ^(٥)

(٨) الشرك (بفتحيتين) : حباله الصائد . والردى : الموت والهلاك . ومقدور : حتم ، مقضي ، لا بد منه . والحيوان : ما فيه الحياة ، أو كل ذي روح .

(١) « ما أطيب العيش » : أسلوب تعجب . وفان : ذاهب ، لا بقاء له . وتبلى : تفتى ، وتهلك . وكل مخلوق صائر إلى البلى والفناء . والجديدان : الليل والنهار ؛ لأنهما لا يلبان أبداً .

(٢) الغرّة (بكسر فسكون) : غفلة في اليقظة . وانقشعت : زالت ، وانكشفت . وتباريح : شدائد ، وهموم . ولا تنفك : لا تزال . وتغشاني : تصيبني ، أو تحل بي .

(٣) الشَّيبَةُ : الشيب . ولسان الفجر : ما يبدو من ضوءه . ويراد بالنطق : الدلالة الواضحة الظاهرة . وطواه عنه : كتّمه ، وأخفاه . والإفشاء : النشر ، والإذاعة . والكتمان : مصدر كتّم السرّ ، أي ستره وأخفاه .

(٤) أضحت : صارت . والقذى : ما يقع في العين فيهيجهها ويؤذيها من تراب ونحوه . والغانيات : جمع غانية ، وهي المرأة الحسنة . والحباله : المصيدة . والأبصار : جمع بصر ، وهو العين . والأذهان : جمع الذهن ، وهو العقل ، والفتنة .

(٥) غارة شعواء : منتشرة ، ممتدة ، عظيمة . وجافلة : جارفة كاسحة ، أو هي حافلة (بالحاء المهملة) : بمعنى محتشدة . والدارات : جمع الدارة ، وهي أخصّ من الدار ، وتطلق على المنزل . ويراد بالدارات هنا : مجالس الأنس واللهو والشراب . وندمان : جمع نديم ، وهو من ينادمك ، أي يسامرك ويجالسك على الشراب .

وَلَمْ أَقْمِ فِي مَقَامَاتٍ وَأَنْدِيَةٍ شَتَى الْهُوَى غَيْرَ رَعْدِيدٍ وَلَا وَاوِي (٦)
فَالْيَوْمَ أَصْبَحْتُ لَا سَيْفِي بِمُنْصَلِتٍ عَلَى الْعَدُوِّ وَلَا قَوْسِي بِمِرْنَانٍ (٧)
لَا أَذْكَرُ اللَّهْوَ إِلَّا أَنْ تُذَكِّرَنِي وَرِقَاءُ تَدْعُو هَدِيدًا بَيْنَ أَغْصَانٍ (٨)
إِنَّ الثَّلَاثِينَ وَالْخَمْسَ الَّتِي عَرَضْتُ ثَنْتُ قُورَايَ وَفَلْتُ غَرْبَ أَشْجَانِي (٩)
وَحَلَفْتَنِي عَلَى مَا كَانَ مِنْ طَرْبٍ بَادِي الْأَسَافَةِ فِي قَوْمِي وَجِيرَانِي (١٠)
وَكَانَ يَحْزُنُنِي شَيْبِي فَصِرْتُ أَرَى أَنَّ الَّذِي بَعْدَهُ أَوْلَى بِإِحْزَانِي (١١)
وَهَوْنُ الْأَمْرِ عِنْدِي أَنْ كُلَّ فَتَى وَإِنْ تَمَلَّأَ مِنْ مَاءِ الصَّبَا فَاوِي (١٢)
يَا نَفْسُ لَا تَذْهَبِي يَأْسًا بِمَا كَسَبْتُ يَدَاكَ فَاللَّهُ ذُو مَنْنٍ وَغُفْرَانٍ (١٣)

- (٦) المقامات : جمع المقامة ، وهي المجلس ، والجماعة من الناس . والأندية : جمع النادي ، وهو مجلس القوم ما داموا مجتمعين فيه . وشتى الهوى : أي أهواؤه كثيرة ، وتمعنه منوعة . والرعيد : الجبان . ووان : ضعيف منكسر .
- (٧) منصلت : صقيل ، قاطع . ومرنان : صيغة مبالغة من رنت القوس ونحوها ، أي صوتت . ورنيها : صوتها .
- (٨) ورقاء : حمامة رمادية اللون . ودعاه يدعوه : صاح به ، وناداه . ودعا الميت : ندبه ، وبكاه . والهديل : فرخ ، أو أب للحمام .
- (٩) عرض الشيء : ظهر ، وأشرف . وغرب كل شيء : حدّه القاطع . والأشجان : جمع شجن ، وهو الحاجة الشاغلة ، وهوى النفس . وفلّت غرب أشجانه : أي صرفته عن رغائبه ، وحاجاته الشاغلة .
- (١٠) الأسافة : الأسف ، وهو أشدّ الحزن . والمعنى : أنه كان يحيا حياة الغبطة والمسرة ، والمرح ورخاء البال ، فلما بلغ خمسا وثلاثين سنة انقلب حاله ، واشتدّ حزنه على ذلك الماضي السعيد ، ولم يستطع كتمان أسفه ، فبدأ حزنه وغمه لقومه وجيرانه .
- (١١) أرى : أعتقد ، مضارع رأى ، أي نظر بالعين ، أو بالعقل ، والثاني هو المراد هنا . وأولى : أحق ، وأجدر ، وأقرب . ويريد بما بعد الشيب : الموت والفناء ، والشيب نذير الموت ، والمؤذن بالهلاك .
- (١٢) هوّن الأمر : خفّفه ، ويسره . والمعنى : أن الفناء مصير كل إنسان ولو تملأ بصباه وشبابه .
- (١٣) لا تذهبي : لا تهلكي ؛ فالذهاب هنا : بمعنى الموت والهلاك . ويأساً : أي من أجل

يَعْفُو عَنِ الذَّنْبِ حَتَّى يَسْتَوِيَ كَرَمًا لَدَيْهِ ذُو الْعَمَلِ الْمَبْرُورِ وَالْجَانِي (١٤)
هُوَ الَّذِي جَعَلَ الْأَفْلَاقَ دَائِرَةً وَصَوَّرَ الْخَلْقَ مِنْ إِنْسٍ وَمِنْ جَانٍ (١٥)
وَقَدَّرَ الشَّمْسَ تَجْرِي فِي مَنَازِلِهَا وَالنَّجْمَ وَالْقَمَرَ السَّارِي بِحُسْبَانٍ (١٦)
وَأَرْسَلَ الْغَيْثَ أَرْسَالًا بِرَحْمَتِهِ وَأَنْبَتَ الْأَرْضَ مِنْ حَبٍّ وَرِيحَانَ (١٧)
سُبْحَانَهُ جَلَّ عَنْ وَصْفٍ يُحِيطُ بِهِ وَكَيْفَ يُدْرِكُ وَصْفَ الدَّائِمِ الْفَانِي؟ (١٨)

اليأس ، وبسببه ، وهو فقدان الرجاء ، وانقطاع الأمل . وكسب الإثم : ارتكبه ، واقترفه .
والمَنْ : الإِنْعَام . والغفران : العفو .

(١٤) استوى الأمران : تساويا ، وتمائلا وتعادلا . والبرّ : التوسّع في طاعة الله تعالى ، وفعل
الخير . وعمل مبرور : أي صالح مقبول . والجاني : المذنب الآثم .

(١٥) المعنى : أن الله تبارك وتعالى هو الخالق البارئ المصور لجميع الكائنات والمخلوقات ،
محسوسات ، وغير محسوسات ، خلق الإنس والجن ، ومن دلائل قدرته أن ترى النجوم معلقة
في السماء ، والكواكب دائرة سابحة في أفلاكها .

(١٦) قدّر الله الشيء تقديراً : أحكم خلقه ، وأتقنه ، أو جعله على مقدار مخصوص ، ووجه
مخصوص . ومنازل الشمس : بروجها المختصة بها ، المتنقلة فيها . ويراد بالنجم :
الكواكب السابحة في أفلاكها .

(١٧) الغيث : المطر الخاصّ بالخير ، الكثير المنافع . وأرسالاً : دفعات ، مفعول مطلق ، مؤكّد
لفعله . والمراد بالأرض هنا : النبات . وأنبت الله النبات : أخرجها من الأرض . وأنبتت
الأرض : أخرجت النبات . ولو قال : « وأنبت النبات » لاستغنى عن المجاز . وفي القرآن
الكريم : ﴿ وترى الأرض هامدة فإذا أنزلنا عليها الماء اهتزت وربت وأنبتت من كل زوج
بهيج ﴾ الآية رقم ٥ من سورة الحجّ . والحبّ : ما يكون في السنبل والأكمام ، كالقمح
والشعير . والريحان : كل نبات طيب الرائحة . وفي القرآن الكريم : ﴿ وهو الذي أنزل من
السماء ماء فأخرجنا به نبات كل شيء فأخرجنا منه خضراً نخرج منه حباً متراكباً ﴾ الآية رقم ٩٩
من سورة الأنعام . وفي التنزيل العزيز : ﴿ والأرض وضعها للأنام . فيها فاكهة والنخل ذات
الأكمام . والحبّ ذو العصف والريحان ﴾ الآيات ١٠ - ١٢ من سورة الرحمن .

(١٨) سبحان الله : كلمة أو تعبير ، معناه تنزيه الله وتقديسه ، وتحميده ، وتعظيمه ؛ فذات الله
تعالى وصفاته ، وأفعاله كلّها مبرّاة من النقص والسوء ، وكلها في أعلى مراتب الكمال
والجلال . و« سبحان » : مصدر منصوب على أنه مفعول مطلق ، أي أسبح الله تسييحاً .
وجلّ : عظم قدره ، وعلا شأنه . والله تعالى يجلّ عن أن يحيط به وصف ، وعن أن يدرك
بالحواسّ : « لا تدركه الأبصار ، وهو يدرك الأبصار ، وهو اللطيف الخبير » . والاستفهام في

لَقَدْ تَفَرَّدَ فِي لَاهُوتِ قُدْرَتِهِ فَمَا لَهُ أَبَدًا فِي مُلْكِهِ ثَانِي (١٩)
وَأِنَّمَا نَحْنُ نُظْرِيهِ كَمَا سَبَقَتْ بِهِ الْإِرَادَةُ مِنْ وَصْفٍ وَتَبْيَانٍ (٢٠)
كُلُّ يَقُولُ عَلَى مِقْدَارِ فِطْنَتِهِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِالقَاصِي وَبِالدَّانِي (٢١)
تَبَارَكَ اللَّهُ عَمَّا قِيلَ وَابْتُدِعَتْ فِي ذَاتِهِ مِنْ أَضَالِيلٍ وَبُهْتَانٍ (٢٢)
قَدْ لَفَّقُوهَا سَاطِرًا مُحَبَّرَةً بِحِكْمَةٍ ذَاتِ أَشْكَالٍ وَأَلْوَانٍ (٢٣)
كَأَنَّهُمْ قَدْ أَصَابُوا طُرْفَةً عَجَبًا أَوْ جَاءَهُمْ نَبَأٌ صِدْقٌ بِرَهَانٍ (٢٤)

أول الشطر الثاني معناه النفي ، وهو مع النفي يفيد تعظيم الله ذي الجلال والإكرام . والدائم : الباقي ، وهو الله عز وجل . والبقاء : ضدّ الفناء . والهالك الفاني : هو الإنسان ، وسائر المخلوقات ﴿ لا إله إلا هو كل شيء هالك إلا وجهه له الحكم وإليه ترجعون ﴾ الآية رقم ٨٨ من سورة القصص .

في البيت السابق إشارة إلى المطر والنبات ، وهما من أعظم نعم الرحمن على الإنسان . والتفكير فيهما يهدي إلى الإيمان بالله القدير الديان . وفي هذا البيت تسبيح وإجلال لله عن أن تحيط به الأوصاف ، أو تدركه الحواس .

(١٩) تفرّد الله : انفرد ، وتوحد بربوبيته . ولاهوت قدرته : أي قدرته الإلهية .

(٢٠) نظريه : نحمده ، ونحسن الثناء عليه . ويراد بالإرادة : إرادة الله تبارك وتعالى . والتبيان : الوصف والبيان .

(٢١) الفطنة : العلم ، والفهم ، والمعرفة . والقاصي : البعيد . والداني : القريب . ويراد بالداني والقاصي : القريب والبعيد ، والحق والباطل من أقوال الناس في ذات الله ، وصفاته ، وأفعاله .

(٢٢) تبارك الله : تقدس ، وتنزه ، وتعالى . وابتدع الشيء : أنشأه على غير مثال سابق . ويراد بالمبتدع في ذات الله : ما تصوّره الملاحدة والمشركون ، وقالوه في ذات الله تبارك وتعالى من أكاذيب ومفتريات . والبهتان : الكذب يبهت سامعه ، أي يدهشه ويحيره لفظاعته . والأضاليل والبهتان : بيان لما ابتدعه الملاحدة والمشركون في ذات الله ، وخرجوا به على الحق والرشاد ، وانحرفوا عن الهدى والإيمان .

(٢٣) لَفَّقُوهَا : أي لَفَّقُوا الأضاليل والأكاذيب التي ابتدعوها في ذات الله تعالى . وتلفيق الحديث : زخرفته ، وتمويهه بالباطل . ومحبرة : مزينة ، منمقة . ويراد بالحكمة هنا : السفسطة ، أو الفلسفة المنحرفة عن الحق والصواب . وذات أشكال وألوان : إشارة إلى اختلاف صورها وهيئاتها ، وبعدها عن الحق والرشاد .

(٢٤) أصاب الشيء : أدركه ، وناله . والطرفة (بوزن الغرفة) : كل شيء مستحدث عجيب .

وَلَوْ تَكَشَّفَ هَذَا الْأَمْرُ لَأَزْتَدَعْتُ مَعَاشِرُ خَلَطُوا كُفْرًا بِإِيمَانِ^(٢٥)
يَا رَبِّ إِنَّكَ ذُو مَنٍّ وَمَغْفِرَةٌ فَاسْتُرْ بِعَفْوِكَ زَلَاتِي وَعِصْيَانِي^(٢٦)
وَلَا تَكِلْنِي إِلَى مَا كَانَ مِنْ عَمَلِي فَإِنَّهُ سَبَبٌ يُفْضِي لِحَرْمَانِي^(٢٧)
وَقَالَ :

أُتْرِكُ الدُّنْيَا فَلَسْتُ تَرَى صَاحِبًا فِي الْوُدِّ لَمْ يَخُنْ^(١)
وَأَجْتَنِبُ مَنْ لَا تُشَاكِلُهُ تَنْجُ مِنْ غَدْرِ وَمِنْ غَبْنِ^(٢)
مَنْ جَرَى فِي غَيْرِ حَلْبَتِهِ كَانَ مَوْقُوفًا عَلَى الظَّنِّ^(٣)

وَقَالَ :

كُنْ كَمَا شِئْتَ مِنْ رَشَادٍ وَغَيٍّ كُلُّ حَيٍّ بِمَا جَنَاهُ رَهِيْنٌ^(١)

- (٢٥) تَكَشَّفَ الشَّيْءُ : انكشف ، واتضح . وارتدع : كَفَّ ، وامتنع . ومعاشر : جماعات .
(٢٦) مَنْ عَلَيْهِ بكَذَا : أنعم به عليه من غير تعب . والمغفرة : الستر ، والصفح . وعفا عن ذنبه :
تجاوز عنه ، ولم يؤاخذه به ، ولم يعاقبه . والزلات : جمع الزلة ، وهي السقطة ،
والخطيئة .
(٢٧) وِكَلَهُ إِلَى نَفْسِهِ : تركه ، ولم يعنه . ووكله إلى عمله : أخذه به ، وحاسبه عليه ، أو خلاه
وعمله ، فلم يتداركه برحمته . وأفضى الأمر إلى كذا : بلغه ، وانتهى إليه .
(١) الود : المودة والمحبة . وخيانة الود : نقضه ، والإخلال به ، والغدر بالمحب الودود .
(٢) شَاكَلَهُ مَشَاكَلَةٌ : وافقه ، وشابهه . والغدر : الخيانة ، ونقض العهد . والغبن (بفتح الحين) :
الخدعة ، أو ضعف الرأي ، وقلة الفطنة .
(٣) جَرَى فِي غَيْرِ حَلْبَتِهِ : أي صاحب من لا يشاكله . ووقفه على كذا : حبسه عليه ، وقصره ،
فهو موقوف ، أي مقصور عليه ، لا يتجاوزه ، ولا يتعداه . والظنة : التهمة ، اسم من ظننته :
إذا اتهمته . والجمع : ظنن (بوزن ملل) .
(١) الرشاد : الاهتداء ، والاستقامة . وضده الغي : وهو الإمعان في الضلال ، والجهل القائم
على فساد الاعتقاد . وجناه : اكتسبه من خير أو شر . ورهين : مرهون ، محبوس . ورهين
بما جناه : أي مجزى به ، مكافأ عليه .

كُلْنَا لِلْفَنَاءِ أَوْ تَضَعُوا الْأَرْضَ ضُ وَتَأْتِي بَعْدَ الشُّؤُونِ شُؤُونٌ^(٢)
يَسْتَفِزُّ الْحَلِيمَ رَوْنَقُهَا الْبَا هُرْحَتِي يَخْفُ وَهُوَ رَكِينٌ^(٣)
ذَهَبًا غَيْرَ ذُكْرَةٍ سَوْفَ تَفْنَى بَعْدَ ضِنَّ وَكُلُّ شَيْءٍ يَحِينُ^(٤)
فَاحْتَقِبْ سِيرَةَ الْمُحَامِدِ فَالذُّكْرُ رُ حَيَاةً لِمَنْ طَوْتُهُ الْمُنُونُ^(٥)

وَقَالَ :

يَا ذُكْرَةَ أَبْصَرْتُ فِي مِرَاتِهَا صُورَ التَّمَنِّي^(١)
خَطَرْتُ عَلَيَّ فَانْفَرْتُ طَيْرَ الْكُرَى مِنْ وَكْرٍ جَفْنِي^(٢)

- (٢) الفناء : الموت والهلاك . والشؤون : جمع الشأن ، وهو الأمر والحال .
(٣) يستفز : يستخف ، ويضطرب . والحليم : الرزين ، والوقور . ورونقها : أي رونق الأرض ، وهو حسنها ، وبهجتها . والباهر : الغالب . ويخف : يهتز ، ويضطرب . وركين : رزين ، وقور .
(٤) ذهباً : أي ذهب من انخدع برونق الدنيا ، وذهبت معه دنياه . والذكرة : ضد النسيان . وذهبت ذكرته : أي ذهب ما كان مذكوراً محفوظاً من أمره وسيرته وذكره . والضن : البخل الشديد ، والحرص البالغ . ويحين : يهلك ، ويفنى .
(٥) احتقب خيراً أو شراً : حملة ، واكتسبه ، وأدخره . وسيرة الرجل : سلوكه بين الناس ، وصحيفة أعماله . والمحامد : جمع المحمودة ، وهي ما يحمد المرء به ، أو عليه . وسيرة المحامد : السيرة القائمة على المحامد ، أي الأعمال المرضية ، الصالحة المحمودة . والذكر : الصيت ، وحسن الثناء . ولفلان ذكر في الناس : أي صيت ، وسيرة جميلة مشهورة . والطبي : ضد النشر . والمنون : المنية ، والموت .
(١) ذكر الإنسان الشيء : تذكّره ، واستحضره في ذهنه بعد نسيانه . ويراد بالذكر هنا : إحدى الذكريات التي بقيت في ذهن الشاعر من ماضيه اللاهني السعيد . وتمنى الشيء : رغب فيه ، وأحب أن يصير إليه .
(٢) خطرت عليه : وقعت في باله وقلبه ، ووردت في خاطره وذهنه ، أو ذكرها بعد نسيان . ونقره عن الشيء : أزعجه ، وأفزعه . والكرى : النعاس ، والنوم . وطير الكرى : الكرى الشبيه بالطير . ووكر الطائر : عشه . ووكر جفني : أي جفني الشبيه بالوكر . وقد يراد بالجفن هنا العين .

عَلِقْتُ حِبَالَهُ خَاطِرِي مِنْهَا بِمَكْحُولٍ أَغْنٍ (٣)
كَانَتْ مِثَالًا خَطُّهُ بِمَخِيلَتِي نَقَّاشُ ذَهْنِي (٤)
هِيَ لُقْيَةٌ وَهْمِيَّةٌ سَمَحَتْ بِهَا خَطَرَاتُ ظَنِّي (٥)

وَقَالَ :

أَتَرَى الصَّبَا خَطَرَتْ بِوَادِي الْمُنْحَنِى ؟ فَجَنَّتْ عَيْبَرَ الْمِسْكِ مِنْ ذَلِكَ الْجَنَى ؟ (١)
مَرَّتْ بِنَا طَفَلَ الْعَشِيِّ فَمَا دَرَى أَحَدٌ بِسِرِّ ضَمِيرِهَا إِلَّا أَنَا (٢)
وَتَحَمَلْتُ سِرَّ الْهَوَى فَتَرَدَّدْتُ بِرَسَائِلِ الْأَشْوَاقِ فِيمَا بَيْنَنَا (٣)

(٣) علق في الحباله : وقع فيها . والحباله : الشرك (بوزن السبب) ، وهو المصيدة .
والخاطر : القلب ، أو النفس . وحباله خاطري : أي خاطري الشبيه بالحباله . ومنها : أي
من الذكرة . وكحل العين : جعل فيها الكحل ، فهي مكحولة . وظبي أغن : أي يخرج صوته
من خياشيمه ، فتكون فيه غنة . وكنى بالمكحول الأغن عن فتاة حسناء ، كحيلة العينين ،
تشبه الغزال في الرشاقة .

(٤) المثل : التمثال ، والصورة المصورة . وخطه : رسمه ، وصوره . والمخيلة : التخيل ،
والتصوّر . ونقاش : صيغة مبالغة من نقش الشيء ، أي رسمه ، ولونه بالألوان . والذهن :
الفهم ، والعقل ، والفطنة .

(٥) لقية : لقاء . ووهمية : متوهمة ، متخيلة ، أو هي من خطرات القلب . وسمح به سماحاً
وسماحة : جاد ، وأعطى . وخطرات ظني : أي خواطري المتوهمة المظنونة التي لا حقيقة
لها .

(١) ترى (بالبناء للمجهول) : بمعنى تظن ، (وبالبناء للمعلوم) : بمعنى تبصر وتحس .
والصبا : ريح مهبها من مشرق الشمس إذا استوى الليل والنهار . وخطرت : مرت . ووادي
المنحني : مكان يعنيه الشاعر ويقصده ، وفيه من يهاواها ، ويتغزل بها . وجنى الثمرة :
التقطها ، وقطفها . والعبير : أخلاط تجمع من الطيب . والمسك : ضرب من الطيب .
مرت ريح الصبا بالشاعر أرجة عطرة ، فتخيلها مرت بديار محبوبته ، فحملت إليه منها عبير
المسك ، وذكاء رائحته .

(٢) الطفل (بفتحتين) : إقبال الليل بظلمته على النهار ، أو الوقت قبيل غروب الشمس .
والعشي : آخر النهار . وطفل العشي : وقت اصفرار الشمس وغروبها .

(٣) تحملت : حملت في مشقة ، والمشقة هنا : أعباء كتمان السر ، وصيائته ، والمحافظة عليه .
وترددت : رجعت مرة بعد أخرى .

عَبَقَتْ غَلَائِلُهَا بِنَشْرِ عَرَارَةٍ بَدْوِيَّةٍ بِسَرَى الْأَنَامِلِ تُجْتَنَى (٤)
تَحْمِي مَنَابِتَهَا قَسَاوِرُ غَارَةٍ يَجِدُونَ صَعَبَ الْمَوْتِ خَطْبًا هَيِّنًا (٥)
مِنْ كُلِّ مُشْتَمَلٍ بِشُعْلَةٍ صَارِمٍ أَمْضَى مِنَ الْأَجَلِ الْوَحِيِّ إِذَا دَنَا (٦)
وَبِمَسْقَطِ الْعَلَمِينَ جُوذُرُ كِلَّةٍ يُصْمِي بِنَظَرَتِهِ الْأَسْوَدَ إِذَا رَنَا (٧)
صَنَعَ الْوُشَاةَ لَهُ حَدِيثًا كَاذِبًا فَفَقَسَا عَلَيَّ وَكَانَ سَهْلًا لَيْنًا (٨)
مَاذَا عَلَيْهِ وَلَا أَرِيدُ مَلَامَةً لَوْ جَادَ مَعَهَا بِالتَّحِيَّةِ أَوْ كَنَى (٩)
إِنِّي لِأَقْنَعُ مِنْ هَوَاهُ بِنَظْرَةٍ تُرْوِي الْغَلِيلَ مِنَ الصَّدَى لَوْ أَمْكَنَّا (١٠)
أَخْنَى عَلَيَّ مَعَ الزَّمَانِ وَلَيْتَهُ لَمَّا أَسَاءَ الدَّهْرُ صُنْعًا أَحْسَنًا (١١)

(٤) عبق به الطيب : لزق به ، وظهرت فيه رائحته . وغلائلها : غلائل الصبا ، جمع غلالة ، وهي ثوب رقيق يلي جسد الإنسان . والعرارة : واحدة العرار ، من أزهار البادية ، طيب الريح ، ينبت أيام الربيع . «وبسوى الأنامل تجتنى» : أي لا تجتنى بالأنامل ؛ فنشر العرارة مشموم غير ملموس .

(٥) القساور : جمع قسور (بوزن جعفر) ، وقسورة (بوزن ثعلبة) ، وهو الأسد ، والقوي الجريء الشجاع من الرجال والشبان . والخطب : الأمر صغر ، أو عظم . وغلب استعماله للأمر العظيم ، وجمعه خطوب .

(٦) مشتمل : اسم فاعل من اشتمل بسيفه ، أي تقلده وحمله . والصارم : السيف القاطع . وشعلة صارم : أي صارم كالشعلة ، وهي اللهب . والأجل هنا : الموت . والوحي (بوزن الغني) : السريع ، العاجل .

(٧) مسقط العلمين : موضع ، ومكان يعنيه الشاعر ، وفيه من يتغزل بها . والجوذر : ولد البقرة الوحشية ، وتشبه الحسنة من النساء بالجوذر في جمال العينين ، وحسن اتساعهما . والكللة : ستر رقيق ، يخاط شبه البيت . ويصمي : يصيب . ورنا : أدام النظر .

(٨) صنع الحديث : لفته . وله : أي للجوذر المكنى به عن حبيته . والوشاة : الساعون بالكذب للإفساد والفرقة بين المتحابين .

(٩) الملامة : اللوم . ومعها : أي مع القساوة التي حملها عليها الوشاة المفسدون .

(١٠) الغليل : شدة العطش . والصدى : العطش الشديد . ويراد بالغليل والصدى : حرقه الوجد والصبابة .

(١١) أخنى عليه : أساء إليه .

وَرَأَى الْمَشِيبَ تَلَوَّنَتْ أَلْوَانُهُ
وَالْمَرْءُ فِي الدُّنْيَا رَهِينٌ حَوَادِثٍ
فِي عَارِضِيٍّ مِنَ الْأَسَى فَتَلَوَّنَا (١٢)
تُودِي بِجِدَّتِهِ وَتُلْبِسُهُ الضَّنَى (١٣)
حَتَّى أَفُوزَ مِنَ الشَّيْبَةِ بِالْمُنَى (١٤)

(١٢) برّح الوجد بالشاعر ، وشيبه الأسي ، ورأى الحبيب بياض الشيب في عارضيّه ؛ فتنكر له ،
وتغيّر حاله معه .

(١٣) رهين : مرهون ، مقيد . ورهين حوادث : أي معرّض لها . وحوادث الدهر : نوائبه
وكوارثه . وأودى بالشيء : ذهب به . وجدة الإنسان : صباه ، وشبابه ، وقوته . والضنى :
المرض الشديد .

(١٤) المشيب : الشيب . والشيبية : الفتاة والحداثة .

قافية الهاء

وَقَالَ يَذْكُرُ لَيْلَةَ أَنْسٍ بِحُلُوانٍ (*):

مَا لِي وَلِلدَّارِ مِنْ « لَيْلَى » أَحْيَيْهَا
دَعِ الدِّيَارَ لِقَوْمٍ يَكْلِفُونَ بِهَا
كَمْ بَيْنَ دَائِرَةِ أَقْوَتِ مَعَالِمُهَا
هَيْهَاتَ مَا الدَّارُ تُشْجِينِي بِسَاحَتِهَا
فَخَلَّ هَذَا وَخُذْ فِي وَصْفِ غَانِيَةٍ
وَقَدْ خَلَّتْ مِنْ غَوَانِيهَا مَغَانِيهَا؟ (١)
وَأَعْكَفَ عَلَى حَانَةِ كَالْبَدْرِ سَاقِيهَا (٢)
وَبَيْنَ عَامِرَةٍ تَزْهُو بِمَنْ فِيهَا؟ (٣)
وَإِنَّمَا الدَّارُ تُشْجِينِي بِأَهْلِيهَا (٤)
سَرَتْ بِحُلُوانٍ فِي قَلْبِي سَوَارِيهَا (٥)

(* أنس به وإليه : سكن إليه واطمأن .

(١) الغواني : جمع غانية ، وهي المرأة التي غنيت بحسنها الطبيعي عن الزينة والحسن المجلوب المصنوع . والمغاني : جمع مغنى ، وهو المنزل الذي غني به أهله ، أي أقاموا فيه .

(٢) كلف بكذا : أوقع به ، وأحبه ، وتعلق به تعلقاً شديداً . وعكف على الشيء : لازمه ، ولم ينصرف عنه . والحانة : الموضع الذي يباع فيه الخمر .

(٣) دثر المنزل : درس ، وتهدم . ودائرة : اسم فاعل منه . ومعالمها : علاماتها ، وآثارها . وأقوت معالمها : درست ، وأمحت ، وخفيت . وعامرة : أي دار عامرة بأهلها ، مسكونة ، مأهولة . والعامرة : ضد الدائرة الدارسة . وتزهو : تتهو وتفتخر .

(٤) يستبعد وينفي أن تشجيه الدار بساحتها . وتشجيني : تطربني ، وتهز مشاعري .

(٥) « خلّ » : دع واترك . وهذا : إشارة إلى الديار الدارسة ، والمنازل المهجورة . ويراد بوصف الغانية : التغزل بها ، والتغني بمحاسنها . وسرى فيه الشيء : خامره ، وخالطه . وسواري الغانية : ما خالط قلبه ، من عواطف الحب ، وآثار الإعجاب .

رِيَانَةُ الْقَدِّ لَوْ أَنَّ الضُّجِيعَ لَهَا
 فِي نَشْوَةِ الْخَمْرِ سِرٌّ مِنْ مَرَّاشِفِهَا
 يَا لَيْلَةَ بَتُّ أَسْقَى مِنْ بَنَانَتِهَا
 أَحْيَيْتُهَا وَأَمْتُ النَّوْمَ مُعْتَصِمًا
 خَافَ الْعُيُونَ عَلَيْهَا كَادَ يَطْوِيهَا^(٦)
 وَفِي الْأَرَاكَةِ شَكْلٌ مِنْ تَهَادِيهَا^(٧)
 وَمَنْ لَوَاحِظُهَا خَمْرًا وَمِنْ فِيهَا^(٨)
 بِلَذَّةٍ لَا يَكَادُ الدَّهْرُ يُنْسِيهَا^(٩)
 حَمَائِمُ الْأَيْكِ تَشْدُو فِي أَغَانِيهَا^(١٠)
 وَالرُّوعُ يَبْعُثُهَا طَوْرًا وَيَثْنِيهَا^(١١)
 يَسْتَوْقِفُ الْعَيْنَ حَيْرَى فِي مَجَارِيهَا^(١٢)
 تَخْشَى الضِّيَاءَ وَفِي أَزْرَارِهَا قَمْرٌ

- (٦) رِيَانَةُ : ممتلئة في نضرة ، ولين . والقَدِّ : القامة المعتدلة . والضُّجِيعُ : المضاجع . وطوى الشيء يطويه طياً : ضمَّ بعضه إلى بعض .
- (٧) نشوة الخمر : أول إسكارها . ورشف الماء : مصَّه بشفتيه . والمراشف : جمع المرشف ، وهو موضع الرشف . ويراد بمراشفها : ما يجري على شفتيها من ريقها ولعابها . وسرَّ المراشف : مزيتها المسكرة الساحرة الخفية ، أو ريقها العذب الحلو الطيب الخالص . والأراكة : شجرة كثيرة الفروع ، خوارة العود . وتهادت المرأة تهادياً : أي مشت متمائلة . والتهادي من محاسن النساء ، وبواعث الفتنة .
- (٨) البنانة : طرف الإصبع . ويراد بها هنا : الكف ، أو اليد . واللواظ : العيون . واستقاؤه الخمر من فيها : كناية عن تقبيلها ، وارتشاف شفتيها .
- (٩) أَحْيَيْتُهَا : أحيتت الليلة ، أي سهرتها . وإماتة النوم : تأكيد لمعنى السهر . ومعتصماً : متمسكاً . واعتصامه باللذة : حرصه عليها ، واستمتاعه بها .
- (١٠) رَفٌّ : تحرك ، وتلألاً . وخيط الفجر : بياض أول النهار . وابتدرت : تسارعت .
- (١١) « قامت تمايل » : أصلها تمايل ، أي تترنح . والمآزر : جمع مئزر ، وهو ثوب يحيط بالنصف الأسفل من البدن ، ومثله الإزار . ويراد بمآزرها : ثيابها . والروع : الفزع والخوف . ويبعثها : يحملها على التقدّم والانطلاق . والطور : المرة والتارة . ويثنيها : يردّها ، ويقيدها ، ويحملها على التوقف .
- (١٢) يقال : فلانة تستوقف العين ، أي تشغلها بالنظر . خافت هذه الحسنة افتضاح أمرها بضياء النهار ، وهي تزر أزرارها على قمر تام الضياء ، يستوقف العيون ، ويسحر الأبصار .

ثُمَّ اثْنَتْ وَيَدِي قَيْدٌ لِخَاصِرَةٍ كَالْخَيْرَانَةِ رِيًّا فِي تَثْنِيهَا (١٣)
 فِي بُلْجَةٍ لَا تَكَادُ الْعَيْنُ تُنْكِرُهَا وَسُمْرَةَ رُبَّمَا شَفَّتْ نَوَاحِيهَا (١٤)
 حَتَّى تَجَاوَزَتْ أَحْرَاساً عَلَى شَرَفٍ يَكَادُ يَمْنَعُ هَمَّ النَّفْسِ دَاعِيَهَا (١٥)
 وَحَرَكَتْ حَلَقَاتِ الْبَابِ فَاَنْفَتَحَتْ عَنْ سَاحَةِ سَكَنْتَ فِيهَا تَرَاقِيهَا (١٦)
 فَعُدْتُ وَالْعَيْنُ عَرَفِي فِي مَدَامِعِهَا وَالْقَلْبُ فِي لَوْعَةٍ تَنْزُونَ نَوَازِيهَا (١٧)
 فَيَا لَهَا لَيْلَةً! كَانَتْ بِوُضْلَتِهَا تَارِيخَ لَهْوٍ يَهِيحُ النَّفْسَ رَاوِيَهَا (١٨)

(١٣) اثنت في مشيتها : تمايلت ، وتبخرت . ويده قيد لخاصرتها : أي يده في خاصرتها ، مقيدة لها . والخيزرانة : واحدة الخيزران ، وهو شجر هندي ، لين القضبان . ومن كلامهم : « كأن قدها غصن بان ، أو قضيب خيزران » . ورياً : ممثلة في نضارة وغضارة . وتثنت المرأة : اثنت في مشيتها ، وتمايلت ، وتبخرت .

(١٤) البلجة : ضوء الصباح عند انصداع الفجر . ويراد بالسمره هنا : الظلمة القليلة الخفيفة الباقية في الأفق من ظلام الليل ، قبل تلبج الصباح . وشفت (بالفاء) : رقت وخفت ، من قولهم : شفت الثوب ونحوه ، أي رق حتى يرى ما خلفه . وشفت نواحيها : تأكيد لمعنى السمره ، أي قلة الظلمة وخفتها في نهاية الليل ، وأول النهار عند انصداع الفجر .

(١٥) تجاوزه : تعدها . والأحراس : جمع حارس ، اسم فاعل من حرسه أي حفظه ووقاه . والشرف : الموضع العالي ، يشرف على ما حوله . ومعنى الشطر الثاني : أن هؤلاء الحراس من اليقظة ، والتمكن بحيث يرهبون غيرهم ، ويردونه عما هم به في نفسه ، وعزم عليه .

(١٦) حلقات الباب : جمع حلقة ، وهي ما يعلق عليه ، ليقرع به . والتراقى : جمع الترقوة ، وهي مقدم الحلق في أعلى الصدر ، حيث يترقى النفس . وسكون التراقي : كناية عن الصمت ، وسكون الأصوات .

يقول : إنها فتحت باب بيتها ، فانفتح عن ساحة ما زال من فيها نائمين .

(١٧) المدامع : جمع مدمع ، وهو مسيل الدمع . ويراد بالمدامع هنا : الدموع . واللوعة : حرقه الحب . ونوازيها : شدائدها . وغرق عينيه في المدامع ، والنياع قلبه : تعبير بليغ عما ساوره من الغم والحسرة بافتراق ما اجتمع من الشمل ، وانقطاع اللهو واللذة بانتها تلك الليلة .

(١٨) تهيأ للشاعر في تلك الليلة ما لم يتهيأ له في غيرها من وصال ، وشراب ، ومتع ، ولذات ، فتعجب منها ، وتحسر على فواتها ، وقال : إن تاريخها تاريخ لهو ومجانة ، يهيج النفس ويطررها كلما روي ونقل .

وَقَالَ يَصِفُ رَوْضَةَ « بَرْدِينِيَا » فِي جَزِيرَةِ « سَرْنَدِيبَ » ، وَهِيَ إِحْدَى جَنَّاتِ الدُّنْيَا :

وَمَسْرَحٍ لِسَوَامٍ الْعَيْنِ لَيْسَ لَهُ فِي عَالَمِ الظَّنِّ تَقْدِيرٌ وَلَا شَبَهُ^(١)
بَاكْرَتُهُ سُحْرَةٌ وَالشَّمْسُ نَاعِسَةٌ فِي خِذْرِهَا وَحَمَامُ الْأَيْكِ مُتَّبِعَةٌ^(٢)
وَلِلْغَمَائِمِ بَيْنَ الْأَفْقِ مُنْسَحَبٌ وَلِلنِّسَائِمِ نَحْوَ الرُّوضِ مُتَّجِعَةٌ^(٣)
وَالجَوْفِي حُلَّةٌ دَكْنَاءٌ مَازَجَهَا خَيْطٌ مِنَ الْفَجْرِ يَبْدُو ثَمَّ يَشْتَبَهُ^(٤)
فَالنُّورُ مُنْقَبِضٌ وَالظَّلُّ مُنْبَسِطٌ وَالطَّيْرُ مُنْشَرِحٌ وَالْجَوْ مُدْلَهُ^(٥)
مَنَاطِرُ لَوْرَايَ « بَهْزَادُ » صُورَتَهَا لِأَعْتَادِهِ مِنْ تَمَادِي الْحَيْرَةِ الْبَلَهُ^(٦)

(١) المسرح : اسم مكان من سرحت الماشية ، أي رعت ، ورعت . والسوام : مصدر سامت الإبل ، أي رعت حيث شاءت .

يقول : إن هذه الروضة الأنيقة مسرح عظيم ، ومجال واسع لما يمتع العيون ، وبهيج النواظر ، ويفوق كل ما يذهب إليه ظن الإنسان وخياله .

(٢) باكرته : بادرت إليه ، باكراً في أول النهار . والسحر والسحرة : آخر الليل ، قبيل الصبح . وناعسة : نائمة . والخدر : الستر . والأيك : جمع أيكة ، وهي الشجر الكثير الكثيف ، المجتمع الملتف . ومتبته : يقظان .

والمعنى : أنه سارع إلى هذه الروضة بعد انصداع الفجر ، وانتباه الطير ، وقبيل طلوع الشمس ، وامتداد النهار .

(٣) الغمائم : جمع غمامة ، وهي السحابة . ومنسحب : حركة . والنسائم : جمع النسيم ، وهو الريح اللينة اللطيفة الطيبة .

(٤) دكناء : من الدكنة ، وهي لون يضرب إلى السواد . ومازجها : خالطها . وخيط الفجر : ضوءه وقت انصداع الصبح ، وطلوع النهار .

(٥) مدله : متحير ، متردد .

يشير إلى بعض ظواهر الجمال الطبيعي الباهر في تلك الروضة الأريضة : فأشجارها كثيرة عظيمة ، كثيفة ، ملتفة ، ذات ظل منبسط ممدود ، وضياء الشمس فيها منقبض محدود ، وجوها متردد بين كثافة الظل ، وضياء الشمس ، وطيرها في بهجة وانسراح ، ومرح وارتياح .

(٦) كمال الدين أستاذ بهزاد ، (١٤٤٠ - ١٥٢٢) : من أعلام التصوير الإسلامي ، وأشهر مصوري الفرس ، وفنانهم ، وخطاطيهم . تمتاز صورته بالتلوين المحكم ، والدقة الفائقة في الأداء ، والحيوية المنبعثة من أشكاله وألوانه المضيئة . واعتياده : انتابه ، وأصابه . وتمادي : الحيرة : طول التحير . والبله : قلة الفطنة ، وضعف العقل .

كَانَمَا الدَّوْحُ قَصْرًا وَالْحَمَامُ بِهِ	سِرْبٌ مِنَ الْغَيْدِ بِالأَلْحَانِ تَبْتَدُهُ ^(٧)
طَوْرًا تُغْنِي وَأَحْيَانًا تَنُوحُ فَمَا	ذَاكَ الْغِنَاءَ وَهَذَا النُّوحُ وَالْوَلَكُ؟ ^(٨)
كَانَمَا الأُورُقُ الْغَرِيدُ حِينَ شَدَا	فِي سُرْبَةِ الْإِنْسِ مِنْهَا شَارِبٌ فَكُهُ ^(٩)
شَارَفَتْ سَاحَتَهَا فِي فِتْيَةِ الأَفْوَا	صِدْقِ الْوِدَادِ فَلَمْ تَعْرِضْ لَهُمْ شُبَّهُ ^(١٠)
مُوقَرُونَ كِرَامٌ لَا يَخْفُ بِهِمْ	طَيْشٌ وَلَمْ يَجْرِ فِي أَخْلَاقِهِمْ سَفَهُ ^(١١)
مِنْ كُلِّ مَاضِي الشَّبَا وَالرَّوْعِ مُحْتَدِمٌ	وَمُسْتَتِيرِ الْحِجَا وَالْأَمْرِ مُشْتَبَهُ ^(١٢)

(٧) الدوح : جمع دوحه ، وهي الشجرة العظيمة . والسرب : الطائفة ، أو الجماعة . يقال : سرب من النساء ، على التشبيه بسرب الطباء . والغيد : جمع غيداء ، وهي المرأة الناعمة ، تمايل ، وتتنى في لين ونعومة . وتبتده : تستقبل .

(٨) يقول : هذا التغريد مختلف منوع ؛ فهو أحياناً يشبه الغناء الذي يبعث الفرح والسرور ، وأحياناً يشبه النواح الذي يثير الوله والشجن ، وأحياناً ينم عن الحنين ، أو التوجع . يشير بهذا كله إلى كثرة الطير ، وتنوعها ، واختلاف أصواتها الموسيقية .

(٩) الأورق : الطائر الرمادي اللون ، صفة من الورقة (بضم فسكون) ، وهي لون بين البياض والسواد ، كلون الرماد . وشدا : تغنى ، وترنم . وسربة الإنس : جماعة الإنس . وشارب : مخمور . وفكه : مزاح ، كثير الدعابة .

شبه الأورق الغريد بالشارب الفكه ، يشدو ويطرّب في جماعة من الناس .

(١٠) شارف الشيء : دنا منه . وساحتها : ساحة الروضة . ويريد بالفتية هنا : جماعة من صحبه وخلصائه . وصدق الوداد : المودة الخالصة ، والصحبة الصادقة . وعرض : بدا ، وظهر .

والشبه : جمع شبهة ، وهي الالتباس . ولم تعرض لهم شبه : تأكيد لمعنى صدق ودادهم . (١١) موقرون : معظّمون ، ومبجلون . والطيش : النزق ، والخفة . ولا يخفّ بهم : أي لا يعترّيه طيش يذهب بوقارهم ورزانتهم . والسفه : الحمق ، والجهل . وضده الحلم والرزانة ، والعقل ، والوقار .

(١٢) ماض : حادّ . وشبابة السيف : حدّه القاطع . والروع : الفزع . ومحتدم : متقد ملتهب . ومستتير : منير مضيء . والحجا : العقل .

إِنْ حَدَّثُوا مَلَأُوا الْأَسْمَاعَ مِنْ أَدَبٍ هُمْ أَهْلُهُ وَإِذَا مَا أَنْصَتُوا فَفِيهِمْ (١٣)
 شَرَابُنَا صَفْوُ مَاءٍ لَا يُمَارِجُهُ إِلَّا حَدِيثُ كُنُوزِ الرَّبِيِّ نَزَهُ (١٤)
 فَإِنْ يَكُنْ فِي عَفَافِ النَّفْسِ مُحَمَّدَةٌ لَهَا فِي مَثَلِ هَذَا يَحْسُنُ الشَّرُّ (١٥)

وَقَالَ يَمْدَحُ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ « عَلِيًّا » كَرَّمَ اللَّهُ وَجْهَهُ :

أَحْبَبْتُ مَنْ وَالَى « عَلِيًّا » رَغْبَةً فِي فَضْلِهِ وَكَرِهْتُ مَنْ عَادَاهُ
 هُوَ ذَلِكَ الْحَبْرُ الَّذِي مِنْ أُمَّهُ نَالَ الرُّضَا وَأَجِيبَ مَنْ نَادَاهُ
 وَكَفَى بِسِبْطِيهِ إِمَامًا رَحْمَةً نَالًا مِنَ الرُّضْوَانِ مَا قَصَلَدَاهُ
 قَدْ عَزَمَنْ وَالَاهُ فِي الدُّنْيَا وَفِي يَوْمِ الْحِسَابِ وَذَلَّ مَنْ بَادَاهُ
 فَاقْصِدْ لَهُ وَاعْرِفْهُ وَاسْتَمْسِكْ بِهِ تَلَقَّ الْهُدَى وَكَفَى الْمُرِيدَ هُدَاهُ
 وَإِذَا عَرَّتْكَ مُلِمَّةٌ فَاهْتِفْ بِهِ تَسْمَعُ بِقَلْبِكَ حَيْثُ كُنْتَ صَدَاهُ

وَقَالَ فِي الاسْتِغَاثَةِ (*):

سَلْ مَالِكَ الْمَلِكِ فَهُوَ الْأَمْرُ النَّاهِي وَلَا تَخَفْ عَادِيًّا فَالْحُكْمُ لِلَّهِ (١)

(١٣) يراد بالأدب : الحديث الجميل ، النافع بضروب العلم والمعرفة .
 (١٤) النُّور : الزهر ، واحده نورة . والرُّبِّي : جمع ربوة ، وهي ما ارتفع من الأرض . وحديث
 نزه : نزيه ، عفيف ، يجد فيه المستمع كل ما يروقه ويشوقه ، ويعجبه .
 (١٥) العفاف : الامتناع عما لا يحل ولا يجمل من الأقوال والأفعال . والمحمدة : ما يحمد
 الإنسان به ، أو عليه . والشرة : الرغبة الشديدة والاشتهاء للشيء .
 (*) هذه المقطوعة من السرنديبيات التي نظمها الشاعر بعد أن برح به الوجد والكرب ، وأضناه
 البعد والحرمان ، وطال مقامه في منفاه .
 (١) العادي : المعتدي الظالم . والحكم : القضاء ، والسلطان .

هُوَ الَّذِي يَنْعَشُ الْمَظْلُومَ إِنْ عَلِقَتْ بِهِ الرَّزَايَا وَيَجْزِي كُلَّ تِيَاهٍ (٢)
فَأَسْجُدْ لَهُ وَاقْتَرِبْ تَبْلُغَ بِطَاعَتِهِ مَا شِئْتَ فِي الدَّهْرِ مِنْ عِزٍّ وَمِنْ جَاهٍ (٣)
يَا رَبُّ قَدْ طَالَ بِي شَوْقِي إِلَى وَطَنِي فَأَحْلِلْ وَثَاقِي وَالْحَقْنِي بِأَشْبَاهِي (٤)
وَأَمُنْ عَلَيَّ بِفَضْلِ مِنْكَ يَعْصِمُنِي مِنْ كُلِّ سُوءٍ فَإِنِّي عَاجِزٌ وَاهِي (٥)
هَذَا دُعَائِي وَحَسْبِي أَنْتَ مِنْ حَكَمٍ يَعْنُو لَهُ كُلُّ شَاهٍ أَوْ شَهْنِشَاهٍ (٦)

وَقَالَ أَيضاً :

دِينِي الْحَنِيفُ وَرَبِّي اللَّهُ وَشَهَادَتِي أَنْ لَيْسَ إِلَّا هُوَ (١)
لَا جَاهَ لِي إِلَّا بِطَاعَتِهِ وَلِنِعْمِ عُقْبَى الطَّاعَةِ الْجَاهُ (٢)
أَنَا خَاشِعٌ لَجَلَالِ قُدْرَتِهِ مُتَقَلِّبُ الْجَنَبَيْنِ أَوْاهُ (٣)

(٢) نعشه الله : تداركه من ورطته ، وأقال عشرته . والرزايا : المصائب والأرزاء . وتياه : صيغة مبالغة من تاه ، أي تكبر ، وتجبر . ويراد هنا مع التكبر : البغي والعدوان ، والظلم والطغيان .

(٣) المعنى : أن الصلاة ، والعبادة ، والطاعة ، وإخلاص الدين لله تقرب العبد من الله ، وتبلغه ما يريد ، ويتمناه في دنياه من عزٍّ ومنعة ، وجاه ، ورفعة شأن .

(٤) طال نفي الشاعر واغترابه ، فبلغ سبعة عشر عاماً أو تزيد ، وبرح به الوجد والشوق إلى أهله ووطنه ؛ فاتجه إلى الله تبارك وتعالى مستنجداً مستغيثاً ، داعياً أن يفك أسره ، ويلحقه بأمثاله .

(٥) من عليه : أنعم عليه نعمة طيبة . وفضل الله : رحمته ، وإحسانه . وعصمه : حفظه ، ووقاه . وواه : ضعيف ، عاجز .

(٦) الحكم : من أسماء الله تعالى ، ومعناه الحاكم . ويعنو : يذل ، ويخضع . والشاه : الملك . والشهنشاه : ملك الملوك .

(١) الدين الحنيف : المستقيم الذي لا عوج فيه ، وهو الإسلام . وحنيفاً : أي مائلاً عن سائر الأديان الباطلة إلى الدين الحق .

(٢) الجاه : المنزلة ، والقدر . والعقبى : والعاقبة : الثواب ، وجزاء الأمر .

(٣) تقلب جنبه : كناية عن عدم استقراره في نومه ، لفرط خشوعه ، وضراعه لله ، واشتغال قلبه بذكر الله .

فَأُضَالِعِي لِلْوَجْدِ نَارُ غَضِيٍّ وَمَحَاجِرِي بِالذَّمْعِ أَمْوَاهُ^(٤)
 زَهَبِ الْقُلُوبِ بِنُورِ حِكْمَتِهِ وَتَعَطَّرْتُ بِالذُّكْرِ أَفْوَاهُ^(٥)
 أَنَا أُمَّةٌ وَحِدِي عَلَى سَرَفٍ فِي حُبِّهِ وَالنَّاسُ أَشْبَاهُ^(٦)
 إِنْ تَاهَ غَيْرِي بِالزَّمَانِ فَلِي قَلْبٌ بِذِكْرِ اللَّهِ تَيَّاهُ^(٧)

وَقَالَ :

جُدْ بِالنُّوَالِ فَرِزْقُ اللَّهِ مُتَّصِلٌ وَلَا تَكُنْ عَن صَنِيعِ الْخَيْرِ بِاللَّاهِي
 فَالْبُخْلُ وَالْجُبْنُ فِي الْإِنْسَانِ مَنْقَصَةٌ لَمْ يَجْنِهَا غَيْرُ سُوءِ الظَّنِّ بِاللَّهِ

وَقَالَ :

لِمُصْطَفَى صَادِقٍ فِي الشُّعْرِ مَنْزِلَةٌ أَمْسَى يُعَادِيهِ فِيهَا مَنْ يُصَافِيهِ^(١)

(٤) الأضالع ، والأضلاع : عظام قفص الصدر . ويريد بأضالعه : ما انطوت عليه ضلوعه ، أو يريد القلب . والوجد : الحب . والغضى : شجر خشبه من أصلب الخشب ، وجمره يبقى زماناً طويلاً لا ينطفئ . والمحاجر : جمع محجر ، وهو من العين ما أحاط بها . والأمواه : الغياه ، جمع ماء .

(٥) زها : أضواء ، وأنار . والحكمة من الله تعالى : معرفة الأشياء ، وإيجادها على غاية الأحكام والإتقان . ومن الإنسان : معرفة الموجودات ، وفعل الخيرات .

(٦) الأمة : الرجل الجامع لخصال الخير . والسرف : الضراوة بالشيء ، والولوع به ، ومجاوزة الحد فيه . والناس أشباه : أي متشابهون في الغفلة عن ذكر الله ، والاعتزاز بالدنيا .

(٧) تاه : تكبر ، وتجبر . ويراد بالزمان : إقبال الدنيا بزينتها وزخرفها . وقلب تياه بذكر الله : أي كثير ذكر الله ، صيغة مبالغة من تاه (كباع) ، بمعنى انتهى وافتخر .

(١) مصطفى صادق الرافعي (١٨٨٠ - ١٩٣٧) : شاعر ، نثر ، أديب ، ناقد ، من شعراء مدرسة البارودي ، ومن أصدقائه . احتفل في شعره بالمعاني ، وأخرج عدة دواوين ، ودارت بينه وبين المجددين في الشعر والأدب معارك نقدية عنيفة حامية . ومن مؤلفاته المطبوعة : حديث القمر ، والمساكين ، وتاريخ آداب العرب ، وإعجاز القرآن ، ووحى القلم ، وتحت راية القرآن . وصافاه : صدقه الإخاء والمودة .

صَاغَ الْقَرِيضَ بِإِتْقَانٍ فَلَوْ تَلَيْتَ صُدُورُهُ عُلِمَتْ مِنْهَا قَوَافِيهِ (٢)
 مُهَذَّبُ الطَّبَعِ مَأْمُونُ الضَّمِيرِ إِذَا بَلَوْتَهُ كَانَ بَادِيهِ كَخَافِيهِ (٣)
 حَازَ الْكَمَالَ فَلَمْ يَحْتَجْ لِمَنْقَبَةٍ فَلَسْتَ تَنْعَتُهُ إِلَّا بِمَا فِيهِ (٤)

وَقَالَ فِي أَهْلِ « سَرَنْدِيبَ » :

إِنَّ « سَرَنْدِيبَ » عَلَى حُسْنِهَا يَسْكُنُهَا قَوْمٌ قِبَاحُ الْوُجُوهِ (١)
 مِنْ كُلِّ فَدَمٍ لِأَيْكَ مُضْغَةً يَمْجُهَا كَالدَّمِ فِي الْأَرْضِ فُوهُ (٢)
 تَحْسَبُهُ مِنْ نَضْحِ أَشْدَاقِهِ رَكِيَّةٌ تَجْرِي دَمًا أَوْ تَمُوهُ (٣)
 لَا يُشْبِهُ الْوَالِدُ مَوْلُودَهُ مِنْهُمْ وَلَا الْمَوْلُودُ مِنْهُمْ أَبُوهُ (٤)

(٢) صاغ الشعر : أنشأه ونظمه . والقريض : الشعر . وصدوره : أوائله ، ومقدماته . ويراد بقوافيه : أواخره ونهاياته .

(٣) طبع مهذب : سليم مستقيم . ومأمون الضمير : سليم دواعي الصدر ، مترفع عن الخيانة . وبلاه يبلوه : حتربه ، واختبره . وباديه : ظاهره . والخافي : ضد البادي . وباديه كخافيه : تأكيد لمعنى « أمون الضمير » ؛ فهو لا يضمخ خلاف ما يظهر .

(٤) المنقبة : الفعل الكريم ، والمفخرة . وضدها المنقصة ، والعيب . ولم يحتج لمنقبة : أي مناقبه ومحامده صحيحة صادقة ، فلا يحتاج إلى أن يتحل لنفسه منقبة ، أو يدعي من المفاخر ما ليس له .

(١) يقول : في طبيعة « سرنديب » حسن وبهجة ، وفي وجوه سكانها قبح ودمامة .

(٢) وصم سكان « سرنديب » بالفدامة ، أي قلة الفهم ، وندد بعبادة من عاداتهم المرذولة المستقدرة ، وهي أنهم يلوكون في أفواههم مضغات التبغ ، ثم يمجونها في الأرض كالدم الغليظ .

(٣) تحسبه ركيّة : أي تظن الواحد من أهل « سرنديب » ركيّة . والنضح : الرش ، أو الرشح . يقال : نضح الإناء بما فيه . والأشداق : جمع الشدق ، وهو جانب الفم ، مما تحت الخد . والركيّة : البثر التي لم تطو ، أي التي لم تبين . وماهت البثر تموه : ظهر ماؤها ، أو أكثر .

(٤) قد رمى الشاعر أهل « سرنديب » بالتفريط في الأعراض ، واختلاط الأنساب ، ونفى عن الأمهات العفة والحصانة بنفيه المشابهة والمشاكلية التي ينبغي أن تكون بين الوالد ومولوده .

يَغْلُظُ طَبَعٌ مِنْهُمْ فَاقِدُ مَزِيَّةَ الْعِلْمِ وَوَجْهَهُ يَشُوهُ^(٥)
 مَنْ أَيْنَ يَدْرِي الْفَضْلَ مَعْدُومُهُ لَا يَعْرِفُ الْمَعْرُوفَ إِلَّا ذُووَهُ^(٦)
 لَا تَلْبَثُ الْحِكْمَةَ مَا بَيْنَهُمْ وَلَا يَرِيثُ الْفَضْلَ حَتَّى يَتُوهُ^(٧)
 تَظُنُّ بَعْضَ الْقَوْمِ عَالِمَةً وَهُوَ إِذَا يَنْطِقُ هَامٌ يَنْوَهُ^(٨)
 لَا تَعْرِفُ الْمَرْءَ بِأَخْلَاقِهِ فِي غَمْرَةِ الْعَالَمِ حَتَّى يَفُوهُ^(٩)

-
- (٥) رماهم بغلظ الطباع ، وجفاء الأخلاق ، والجهل ، ودمامة الوجوه ، وقبح الخلقة .
 (٦) جردهم من الفضل ، والمعروف ، والخير والبر .
 (٧) راث : أبطأ . وتاه في الأرض : ضل ، وذهب متحيراً .
 (٨) الهام : جمع هامة ، وهي البومة . وناهت الهامة تنوه : رفعت رأسها ، فصرخت .
 (٩) الغمرة : الزحمة . والعالم : الخلق ، والناس . وفاه بالقول يفوه : نطق به ، ولفظ ، ومثله تفوه .

وَقَالَ فِي رَجُلٍ اسْمُهُ زُنْبُورٌ :

لَقَدْ أَسْمَوَكَ زُنْبُورًا فَلَمْ يُخْطِئِكَ مَعْنَاهُ^(١)
 وَقَدْ قَالُوا لِكُلِّ اسْمٍ نَصِيبٌ مِنْ مُسْمَاهُ^(٢)

- (١) الزنبور : ذباب لساع ، أو حشرة أليمة اللسع ، والجمع زنابير . وأخطأ الهدف ونحوه : لم يصبه . ولم يخطئك معنى الزنبور : أي أنت مثله في الإيذاء والإضرار .
 (٢) اسم المهجور « زنبور » . ومسماه : الحشرة اللاسعة المؤذية . ونصيب المهجو من هذا المسمى أنه شابه الزنبور في الإيذاء والإضرار .

قافية الواو

وَسَأَلَهُ بَعْضُ أَصْدِقَائِهِ أَنْ يُوَازِنَ (*) قَصِيدَةَ الْبُحْتَرِيِّ (**) الَّتِي أَوْلَاهَا :

لَنَا أَبَدًا بَثُّ نُعَانِيهِ فِي «أُرْوَى»

وَ«حُزْوَى» وَكَمْ أَدْنَتْكَ مِنْ لَوْعَةٍ «حُزْوَى»

فَقَالَ :

(*) وازن الشيء الشيء : ساواه في الوزن . ووازن الشاعر قصيدة غيره : إذا نظم قصيدة من بحرهما ، على وزنهما ، ورويها . والقصيدتان هنا من الطويل ، أول بحور الشعر العربي ، وأطولها ، وأشهرها . والروي فيهما : الواو ، وهو الحرف الذي تبنى عليه القصيدة ، وتنسب إليه .

(**) البحتري : أبو عباد ، الوليد بن عبيد البحتري الطائي ، شاعر مطبوع ، تصرف في فنون الشعر ، ما عدا الهجاء ؛ فقد كان عنده قليلاً ضيقاً ، ولما أحس بدنو أجله أحرق ما نظم فيه على ضيقه وقتله . وبلغ البحتري بشعره المرتبة العليا ، حتى سماه النقاد سلاسل الذهب . وسئل أبو العلاء المعري : من أشعر الثلاثة : أبو تمام ، أم البحتري ، أم المتنبى ؟ فقال : أبو تمام والمتنبى حكيمان ، وإنما الشاعر البحتري . وقد مدح المتوكل العباس وغيره من خلفاء الدولة العباسية وأمرائها وأكابر الناس . وأقام ببغداد دهرًا طويلاً ، ثم عاد إلى الشام ، وكانت ولادته بمنبج ، وهي بلدة قديمة بين حلب والفرات . وتوفي بها سنة ٢٨٤هـ عن ثمانين عاماً . وديوان شعره جزءان في ٧٩٩ صفحة ، طبعة المطبعة الأدبية ببيروت - لبنان سنة ١٩١١م . وقصيدته الواوية التي قدمنا مطلعها نظمها في مدح أبي عيسى بن صاعد ، وعدد أبياتها واحد وأربعون بيتاً ، فهي أطول قليلاً من قصيدة البارودي .

أَقِيلاً مَلَامِي فِي هَوَى الشَّادِنِ الْأَحْوَى فَقَلْبِي عَلَى حَمَلِ الْمَلَامَةِ لَا يَقْوَى (١)
كَفَى بِالْهَوَى شُغْلًا عَنِ اللَّوْمِ بِأَمْرِيءِ بَرَاهُ الضَّنَى وَاسْتَمَطَرْتُ عَيْنَهُ الْبَلْوَى (٢)
فَلَيْسَ الْهَوَى سَهْلًا فَالْوِي عِنَانَهُ وَإِنْ كُنْتُ يَوْمَ الرَّوْعِ ذَا مِرَّةٍ أَلْوَى (٣)
هُوَ الْحُبُّ يَعْتَامُ الْكِرَامَ وَلَنْ تَرَى لَيْمًا يَنَالُ السَّبْقَ فِي الْفَضْلِ أَوْ يَهْوَى (٤)
وَمَنْ ذَا الَّذِي يَقْوَى عَلَى دَفْعِ مَا أَتَى بِهِ الْحُبُّ مِنْ جَوْرِ وَسُلْطَانُهُ أَقْوَى (٥)
سَبُوقٌ إِذَا جَارَى لِحُوقٍ إِذَا هَوَى غَلُوبٌ إِذَا بَادَى قَتُولٌ إِذَا أَهْوَى (٦)

(١) أفلا ملامي : أي كفا عن لومي ، ولا تحاوله . والملام والملامة : اللوم والعذل . والشادن : ولد الظبية ، ويراد به الفتاة الحسنة التي هويها الشاعر ، وهام بها . والعرب تشبّه حسان النساء بالغلزان . والأحوى : صفة من الحوة ، وهي حمرة تضرب إلى السواد . وشقّة حواء : أي حمراء . وحوة الشفة من محاسن النساء عند العرب .

(٢) عن اللوم بامرئ : أي عن لوم امرئ . وبراها : هزله وأنحله ، وأرق جسمه ، وأضناه . والضنى : المرض الشديد . واستمطر استمطاراً : طلب المطر . والبلوى : الاختبار . ويكون البلاء بالخير ، وبالشر . ويراد بالبلوى هنا : محنة الحب . واستمطرت البلوى عينه : أي اشتدّ به الحب ، حتى بكى بكاء شديداً بدموع منهمة غزيرة .

(٣) ألوي عنانه : أكفه ، وأصرفه عني . يريد أن الهوى صعب عسير ، ينطلق في مجاله ، ويسيطر على المحب ، ويسلبه إرادته واختياره . والروع : الفرع والذعر . ويوم الروع : يوم الحرب . وذو مرة : صاحب قوّة ، وحصافة . والمرة : العقل ، أو شدّته واستحكامه . ورجل ألوى : شديد الخصومة ، قويّ .

(٤) يعتام : يقصد .

والمعنى : أن الفاضل الكريم يحب ويهوى ، أما المهين اللئيم فإنه لا يسبق إلى الفضل ، ولا يهواه ، ولا يكاد يفتح قلبه للحب ، أو يستشعره ، أو يتمناه .

(٥) الجور : الظلم ، والميل عن القصد ، ويراد به هنا : الغلبة ، والسيطرة . وسلطان الحب : قوّته ، وسيطرته . وسلطان الحب أقوى : أي سلطانه أقوى من قوّة القويّ ، ومدافعة المدافع .

(٦) سبوق : سباق . وجاراه : سابقه في الجري . ولحوق : صيغة مبالغة من لحقه ، ولحق به ، إذا أدركه . وهوى يهوي : سقط من علو إلى سُفل . وغلوب : صيغة مبالغة من غلبه ، أي قهره . وباداه مباداة : بارزه ، ونازله . وقتول : صيغة مبالغة من القتل . وأهوى يهوي إهواء : انقضّ ، وهجم .

لَهُ سُورَةٌ لَوْ صَادَمَتْ رُكْنَ يَذْبُلُ
فَحَتَّامٌ يَلْحَانِي الْعُدُولُ عَلَى الْهَوَى ؟
لَقَدْ سَامَنِي طَيِّ الْغَرَامِ وَمَا دَرَى
وَبِي بَلْ بِقَوْمِي الْأَكْرَمِينَ خَرِيدَةٌ
مِنَ الْغَيْدِ كَحَلَاءِ الْمَحَاجِرِ لَوْرَنْتُ
تُمِيتُ وَتُحْيِي مَنْ تَشَاءُ بِلِحْظِهَا
بَعَثْتُ لَهَا قَلْبِي عَلَى إِثْرِ لِحْظَةٍ
وَأَفْنَيْتُ عُمْرِي فِي رِضَاهَا فَلَمْ أَنْلُ
وَأَصْبَحْتُ مَغْلُوبَ الرَّشَادِ وَقَلَّمَا

وَرَضْوَى لَهْدَتْ يَذْبُلًا وَمَحَتْ رَضْوَى (٧)
أَلَيْسَ يَرَى مَا بِي فَيَجْتَنِبُ الشُّكْوَى (٨)
بِأَنَّ الْهَوَى الْعُدْرِيَّ يَكْبُرُ أَنْ يُطْوَى (٩)
إِذَا سَفَرَتْ كَادَتْ لَهَا الشَّمْسُ أَنْ تَضْوَى (١٠)
إِلَى الْقَسِّ فِي نَامُوسِهِ أَخْطَأَ النَّجْوَى (١١)
فَمِنْ عَاشِقٍ يَحْيَا وَمِنْ عَاشِقٍ يَثْوَى (١٢)
فَمَا عَادَ إِلَّا وَهَوَ بِالْحُسْنِ مُسْتَهْوَى (١٣)
سِوَى رَاحَةٍ تَرْتَدُّ أَوْ عِدَّةٍ تُتْلَى (١٤)
يَعُودُ رَشِيدًا صَالِحَ الْعَقْلِ مَنْ يَغْوَى (١٥)

- (٧) سورة : سطوة ، وصوله . وصادمه : دافعه . وركن الشيء : أحد جوانبه التي يستند إليها ، ويقوم عليها . ويراد بركن « يذبل » وركن « رضوى » : هذان الجبلان .
- (٨) لحاه : لامه وعدله . والعدول : اللوام . والشكوى هنا : اللوم ، والعتاب .
- (٩) سامه كذا : كلفه إياه ، وألزمه به . وطوى الأمر : كتمه ، وأخفاه .
- (١٠) الخريذة : الفتاة العذراء . وسفرت المرأة : كشفت عن وجهها ، فهي سافر . وضوى يضوى : هزل ، وضعف . ويراد بالضوى هنا : كسوف الشمس ، واحتجابها ، فضياء المتغزل بها يكاد يحجب ضياء الشمس ، وإذا كشفت عن وجهها كادت الشمس تكسف حياء وخجلاً .
- (١١) الغيد : جمع غيداء ، وهي الفتاة الناعمة ، اللينة الجوانب . ورنأ : أدام النظر في سكون طرف . والقس : القسيس ، وهو رئيس ديني من رؤساء النصارى . والناموس : بيت الراهب وصومعته . والنجوى : إسرار الحديث . ويراد بها هنا : نجوى العبادة .
- (١٢) المعنى : أن نظراتها فاتنة ساحرة تنعش بها من تقبل عليه من عشاقها ، وتهلك من تعرض عنه .
- (١٣) استهواه الحسن استهواء : تيممه ، وشغل قلبه .
- (١٤) الراحة : الكف . وارتدادها : كناية عن الإخفاق ، وعدم الظفر بالمراد . والعدة : الوعد . والمراد وعد الإقبال والوصال . وتلوى : تمطل ، وتسوف .
- (١٥) الرشاد ، والرشد : الاهتداء ، والصلاح ، والاستقامة على طريق الحق . وضده الغي

خَضَعْتُ لِأَحْكَامِ الْهَوَىٰ وَلَطَالَمَا
 وَإِنِّي أَمْرٌ لَوْلَا الْهَوَىٰ مَا وَجَدْتَنِي
 بَعِيدٌ مِّنَاطِ الْهَمِّ تُرْهَبُ صَوْلَتِي
 لِسَانِي خَلُوبٌ فِي الْجِدَالِ وَصَارِمِي
 وَعِنْدِي إِذَا مَا الْحَرْبُ أَلَقَتْ قِنَاعَهَا
 وَحِلْمٌ كَرِيمٌ يَمَلَأُ الْغَيْظُ قَلْبَهُ
 وَعِفَّةٌ نَفْسٍ لَا تُزَنُّ بِرَيْبَةٍ
 أَبَيْتُ فَلَمْ أَخْضَعْ لِمَنْ يَهَبُ الْجَدْوَى (١٦)
 أَدِينُ لِغَيْرِ اللَّهِ أَوْ أَرْهَبُ الْعَدْوَى (١٧)
 إِذَا مَا دَجَا خَطْبٌ وَبَادِرْتِي تُرْوَى (١٨)
 رَسُوبٌ وَرَأْيِي مِنْ سَمَاءِ الضُّحَى أَضْوَى (١٩)
 عَزِيمَةٌ لَيْثٌ مَا تَهْرُ وَمَا تُعْوَى (٢٠)
 فَيَكْظُمُهُ وَالْحِلْمُ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى (٢١)
 وَجُودٌ بِهِ ظَلَّتْ عُفَاةُ النَّدَى تُرْوَى (٢٢)

والضلال . والرشيد : المهتدي ، وذو الرشد . ومغلوب الرشاد : أي رشاده مغلوب مقهور .
 وغوى يغوي غواية : أمعن في الضلال ، وخاب ، وفسد عيشه ، وانهمك في الجهل .
 (١٦) أبى : استعصى ، وامتنع . ووهب له الشيء يهبه : أعطاه إياه بلا عوض . والجدوى :
 الهبة ، والعطية .

(١٧) يقول : إنه خضع لأحكام الحب ، ولم يكن قلبه يدين لغير الله عز وجل ، ولم يكن يخاف
 ظلم الظالمين ، وعدوان المعتدين ؛ ولكنه على الرغم من قوته وإبائه دان للهوى واستكان .

(١٨) بعيد مناظ الهَمِّ : أي همّتي عظيمة . وترهب : تخاف وتتقى (بالبناء للمجهول) .
 والصولة : السطوة ، والبطش في الحرب ونحوها . ودجا : أظلم ، والمراد اشتد .
 والخطب : الأمر الشديد ، ينزل بالناس . وخطوب الدهر : نوائبه وشدائده . والبادرة :
 الغضبة السريعة . وتروى : تنقل . والمراد أن الناس ، أو الرواة يتناقلون بوادري ، ويذيعونها
 إعجاباً ، أو عجباً ، أو اهتياً وخوفاً .

(١٩) خلوب : خلّاب ، قاطع ، غلاب . والصارم : السيف القاطع الباتر . وسيف رسوب :
 يمضي ، أو ينفذ . وأضوى : أضوا ، أي أشدّ إضاءة ، وأعظم نوراً .

(٢٠) إلقاء الحرب قناعها : كناية عن اشتدادها ، وتوقد نارها . والليث : الأسد . وعزيمة لا تهّر ،
 ولا تعوى (بالبناء للمجهول فيهما) : أي عزيمة قاطعة قوية ، لا يعترها ضعف أو فتور .

(٢١) الحلم : الأناة ، والصبر المحمود ، وضبط النفس . وكريم : أي كريم الأخلاق . والغیظ :
 الغضب الشديد . وكظم الرجل غيظه : أمسك على ما في نفسه منه صافحاً متسامحاً .
 والتقوى : خشية الله .

(٢٢) عَفَّ : كفّ عما لا يحلّ . ولا تزنّ بريية : أي لا تتهم بسوء . والجود : البذل . والعفأة :
 جمع العافي ، وهو من يطلب الفضل والمعروف . والندى : الجود ، والسخاء .

وَلِي هِمَّةٌ لَوْلَا الْعَوَائِقُ مَهَّدَتْ
 بَلَغْتُ بِهَا بَعْضَ الْمُنَى غَيْرَ أَنِّي
 فَإِنْ سَادَ غَيْرِي بِالْجُدُودِ فَإِنِّي
 وَلَيْسَ عَلُوُّ النَّفْسِ بِالْجَدِّ وَحْدَهُ
 إِذَا حَرَّكَتَنِي نَحْوُ أَرْضٍ وَتَيْرَةٌ
 فَإِنْ كَانَ سَوَى الدَّهْرِ بَيْنِي وَبَيْنَ مَنْ
 بَرِّتُ مِنَ الْغِلِّ الَّذِي أَصْبَحْتُ بِهِ
 نَصَحْتُ وَعَشُّوا وَاسْتَقَمْتُ وَرَاوَعُوا
 وَإِنِّي إِذَا مَا الْخَطْبُ أَمَقَرَ طَعْمُهُ
 يَدُ الْمَجْدِ فِي أَفْقِ السَّمَاءِ لَهَا مَثْوَى (٢٣)
 جَدِيرٌ بِأَنْ أَحْوِي بِهَا كُلَّ مَا أَهْوَى (٢٤)
 بِهِمْ وَبِفَضْلِي رَشَعْتُ سَهْمِي فَمَا أَشْوَى (٢٥)
 وَلَيْسَ كَمَالُ الْمَرْءِ فِي شَرَفِ الْمَأْوَى (٢٦)
 رَكِبْتُ لَهَا عَزْمِي وَإِنْ بَعْدَ الْمَهْوَى (٢٧)
 أَرَى مِنْ بَيْنِهِ فِي الْحُظُوظِ فَمَا سَوَى (٢٨)
 قُلُوبُهُمْ مِنْ شَرِّ مَا حَمَلَتْ تَدْوَى (٢٩)
 وَهَلْ مَنْ هَدَى بَيْنَ الْأَنَامِ كَمَنْ أَغْوَى (٣٠)
 نَبَذْتُ بِهِ رَأْيَا أَلَذَّ مِنَ السَّلْوَى (٣١)

(٢٣) الهمة : العزم القوي . والعوائق : الموانع . وعوائق الدهر : الشواغل من أحداثه . ومهدت : بسط ، ووطأ . والمثوى : المستقر .

(٢٤) يقول : إنه بلغ بهمته بعض آماله ، ولكنه خليق أن يجمع بها كل ما يرغب فيه ، ويطمح إليه من الغايات البعيدة ، والمطامع الرفيعة .

(٢٥) ساد : عظم ، وشرف . ويريد بفضله : فضائله ، وكفائاته . ورشت سهمي فما أشوى : أي أعددت سهمي إعداداً تاماً للرماية ، فاستد ، وما أخطأ الهدف .

(٢٦) يراد بشرف المأوى : مجد الآباء والأجداد . أي وليس علو النفس في مجد الجدود وحده ، وليس كمال المرء في شرف المأوى وحده .

(٢٧) اللوتيرة : الثأر . وركبت لها : أي ركبت للأرض ، أو للوتيرة . والعزم : الصبر ، والجد ، والإرادة القاطعة الماضية القوية . والمهوى : اسم مكان من هوى يهوي ، إذا سقط من أعلى

إلى أسفل . والمراد : وإن بعدت الشقة ، وامتدت الطريق ، وشق السفر .

(٢٨) سوى في الشطر الأول : بمعنى ساوى وعادل أو مائل . وسوى في آخر البيت : بمعنى قوم ، وعدل ، وأصلح . والمراد : فما عدل في تسويته ، ولا أنصف .

(٢٩) الغل : الضغن ، والحقد ، والغش . وتدوى : يخامرها داء الحقد والضعفينة .

(٣٠) راوغه مراوغة : خادعه وخاتله . والناصح : ضد الغاش . والمستقيم : ضد المراوغ . وأغواه إغواء : أضله ، وأفسده . وهو ضد أرشده وهده .

(٣١) الخطب : الأمر الشديد ، ينزل بالناس . وأمقر الشيء إمقاراً : صار مرّاً . وإمقار طعم الخطب : كناية عن اشتداده وفدحه . ونبذ الشيء : طرحه وألقاه .

أَصَبْتُ كُلِّي الْأَحْدَاثِ حَتَّى تَرَكْتُهَا عَلَى جَمَرَاتِ الْغَيْظِ تَأْمُورُهَا يُشَوِي (٣٢)
 وَصُنْتُ مِنَ السَّحْرِ الْحَلَالِ قَصَائِدًا تَظَلُّ بِهَا نَفْسُ الْمُعِيدِ لَهَا نَشَوِي (٣٣)
 فَمَا قَيْدَتْنِي لَفْظَةً دُونَ حِكْمَةٍ وَلَا غَرْنِي قَوْلٌ فَمِلْتُ إِلَى الدَّعْوَى (٣٤)
 وَيَا طَالَمَا رُمْتُ الْقَوَافِي فَأَقْبَلْتُ سِرَاعًا فَلَا أُرْوَى ذَكَرْتُ وَلَا حُزْوَى (٣٥)
 فَلَا يَحْدُونُ النَّاسُ حَذْوَبَلَاغَتِي فَأَقْرَبُ مَا فِي شَأْوِهَا الْغَايَةَ الْقُصْوَى (٣٦)
 وَقَالَ فِي الْغَزْلِ :

وَيْلَاهُ مِنْ نَارِ الْهَوَى وَآهٍ مِنْ طُولِ الْجَوَى (١)
 أُرْسَلْتُ طَرْفِي رَائِدًا فَمَا عَلَا حَتَّى هَوَى (٢)

(٣٢) الكلبي : جمع كلية . والأحداث : جمع حدث ، وهو الأمر الحادث المنكر غير المعتاد .
 والغيظ : غضب شديد كامن للعاجز . وجمرات الغيظ : أي الغيظ الذي يتوقد من شدته ،
 ويلتهب التهاب الجمر . والتأمور : النفس ، والقلب . وتأمرها : تأمرها بالأحداث .
 (٣٣) صاغ الكلام : نظمه . ويراد بالسحر الحلال : البيان الرائع ، والشعر الرصين الحكيم .
 ونشوى : سكرى .

(٣٤) يقول : إنه لا يتقيد في شعره وبيانه بالألفاظ ، يجري وراءها ، ويحرص عليها ، فتصرفه عن
 الحكمة ، وفصل الخطاب . وكذلك لا يغتر بقوله فيدعي دعاوى باطلة ، أو يزين بشعره
 الباطل ، أو ينحرف به عن الحق والسداد .

(٣٥) رام الشيء : أراده ، وطلبه . ويراد بالقوافي هنا : القصائد التي نظمها الشاعر في شتى
 أغراض الشعر ، وضروبه ، وأبوابه وفنونه . ويريد بإقبالها عليه سراعاً : أنها متطاعة له ، سهلة
 عليه . و« أروى » و« حزوى » : موضعان في شبه الجزيرة العربية . ولعلهما من مواطن
 الحب ، ومنازل الغرام التي ردها البحري وأمثاله . ولعل المراد بالشطرنج الثاني : أنه لم يقصد
 في شعره إلى محاكاة غيره ، أو ترديد ما رده شعراء العرب من قبله ، وإنما كان يصدر عن
 شعوره وفكره وخوارج نفسه .

(٣٦) حذا فلان حذو فلان : أي فعل مثل ما يفعل . والشأو : الأمد ، والغاية ، ومنتهى الشيء .
 والغاية القصوى : الغاية البعيدة ، أو المتناهية في البعد .

(١) ويلاه : أسلوب ندبة ، وهي هنا : نداء المتوجع منه . وآه : كلمة تأوه وتوجع . والجوى :
 طول المرض من العشق والحب .

(٢) الطرف : العين ، والنظر . والرائد : من يتقدم القوم . ورام الشيء : تلمسه وطلبه . وهوى :
 هويئاً : سقط من علو إلى سفلى .

وَسَارَ قَلْبِي خَلْفَهُ فَلَمْ يَعُدْ حَتَّى اُكْتَوَى (٣)
 قَدْ طَالَ مَا زَجَرْتُهُ يَا لَيْتَهُ كَانَ ارْعَوَى (٤)
 لِكُلِّ شَيْءٍ آفَةٌ وَآفَةُ الْقَلْبِ الْهَوَى (٥)
 أَمَا كَفَى هَذَا الْجَفَا حَتَّى أَعَانْتَهُ النَّوَى ؟ (٦)
 أَيْنَ اللّوَى وَعَهْدُهُ ؟ أَيُّهَاتْ عَهْدُ بِاللّوَى (٧)
 وَظَبِي أَنْسٍ سُمْتُهُ إِنْجَازَ وَعْدِي فَلَوَى (٨)
 طَلَبْتُ مِنْهُ قُبْلَةً فَازُورٌ عَنِّي وَالتَّوَى (٩)
 وَسُمْتُهُ وَعَدَّ الْمُنَى فَانْحَازَ عَنِّي وَانزَوَى (١٠)
 يَا سَائِلِي عَنْ حَالَتِي دَعْنِي فَصَبْرِي قَدْ ذَوَى (١١)

- (٣) سار قلبه وراء عينه ، فما لبث أن احترق بلواعج الحب والهيام .
- (٤) زجرته : منعته ، ونهيته . وارعوى : كف ، وارتدع .
- (٥) الآفة : العاهة . ولا ريب أن الحب يصيب القلب ؛ فيسيطر عليه ، ويصرفه عن جد الحياة ، ومهام الأمور . وهذا هو الإفساد .
- (٦) الجفا : الجفاء . وجفا الحبيب : صد ، وأعرض . وضده الإقبال ، والوصال . والنوى : البعد ، والفراق .
- (٧) اللوى (كإلى) : ما التوى من الرمل ، وانحنى . ويراد بالعهد : ما كان بينه وبين الحبيب من التقاء ، وذمة ، وموثق . وأيهات : هيهات ، اسم فعل ماض ، معناه بعد ؛ فهي كلمة تبعيد .
- (٨) الظبي : الغزال ، وتشبه به الحسناء من النساء . والأنس (بضم فسكون) : ضد الوحشة ، أي ورب ظبي مؤانس ملاطف . أو هي « إنس » (بكسر فسكون) : أي ظبي من الناس ، لا من الحيوان . وسمته إنجاز وعده : أردته ، وطلبته . ولوى : أعرض ، أو تناقل وتباطأ .
- (٩) ازور عنه : مال ، وأعرض . والتوى : عسر ، وصعب . والتوى عن الأمر : تناقل ، وتباطأ ؛ فهو تأكيد لمعنى الأزورار .
- (١٠) سمته : أي طلبت من هذا الحبيب . والمنى : جمع منية ، وهي الأمنية . ووعد المنى : الوعد الذي تمنيته ، أو الوعد الذي مناني به . وانحاز عني : عدل عني ، وازور . وانزوى : انزواء : انقبض ، وتجهم .
- (١١) دعني : بمعنى اتركني . وذوى : ذبل ، وضعف . وذوى صبره : نفذ ، وفنى .

وَكَانَ قَلْبِي رَاشِدًا لَكِنَّهُ الْيَوْمَ غَوَى (١٢)
 أُوقِعَ فِي أَشْرَاكِهِ لِكُلِّ حَيٍّ مَا نَوَى (١٣)
 فَكَيْفَ أَمْضِي فِي الْهَوَى وَالْجِسْمُ مَحْلُولُ الْقُوَى (١٤)
 وَأَيْنَ أَبْغِي نَاصِرًا؟ هَيْهَاتَ وَالْخَيْرُ أَنْطَوَى (١٥)
 أَصْبَحْتُ فِي تَيْهُورَةٍ يَسَامُ فِيهَا مَنْ ثَوَى (١٦)
 لَا صَاحِبٌ وَافَى وَلَا خِلٌّ إِلَيَّ حَالِي أَوْى (١٧)
 فَيَا إِلَهِي رَاعِنِي وَادْفَعْ عَنِ النَّفْسِ التَّوَى (١٨)
 وَلَا تَكِلْنِي لِتِي لَوْ صَادَفْتُ نَجْمًا خَوَى (١٩)

(١٢) رشد : اهتدى ، وأصاب الصواب ، فهو راشد . وغوى : أمعن في الضلال ، فالرشد والاهتداء : ضد الغي والضلال .

(١٣) الأشارك : جمع شرك ، وهو حباله الصيد ، أي المصيدة .
 يريد : أنه نظر إلى هذه الحسناء نظرة عابرة بريئة ، بنية بعيدة عن الريب والشبهات ، ولكنه على الرغم من هذا كله ما لبث أن تعلق بها قلبه ، ووقع في حبال الهوى ، وأشارك الغرام .

(١٤) المعنى : فلن أستطيع المضي في سبيل الهوى مع انحلال جسمي ، وذهاب قواي .
 (١٥) يستبعد وجود الناصر والمعين . وقد يراد بالناصر هنا : من يخفف بلواه ، ويعينه على أمره ، ويقرب إليه حبيبه .

(١٦) التيهور ، والتهورة : ما بين أعلى الوادي والجبل وأسفلهما ، وما اطمأن من الأرض وانخفض ، وموج البحر إذا ارتفع . ويقال : وقعوا في تيهور من الرمل : وهو الذي ينهار وينهال ، ولا يتماسك . ولعل الشاعر يشير بالتهورة هنا إلى منفاه ومحجسه البغيض الممقوت .
 وسئم الشيء ، وسئم منه : مله ، وضجر منه . وثوى بالمكان ، وفيه : لبث فيه ، وأقام به ، واستقر .

(١٧) وافاه موافاة : أتاه . والخل : الصديق الخالص ومثله الخليل . وأوى له ، وإليه : رق له ، ورحمه ، وأشفق عليه .

(١٨) راعاه : حفظه ، ووقاه ، ولاحظه محسناً إليه . والتوى : الهلاك .

(١٩) وكل فلاناً إلى نفسه : إذا تركه ، وتخلّى عنه ، ولم يعنه . وللتى : أي إلى الحال التي
 وصادفت : وجدت ، ولاقت . وخوى النجم : هوى ، وسقط . وخوت الدار : تهدمت .

وَقَالَ يَفْتَخِرُ ، وَيُعْرَضُ (*) :

تَصَابَيْتُ بَعْدَ الْحِلْمِ وَاعْتَادَنِي شَجْوِي
فَقُمَ عَاطِنِيهَا قَبْلَ أَنْ يَحْكُمَ النَّهْيُ
فَمَا الدَّهْرُ إِلَّا نَابِلٌ ذُو مَكِيدَةٍ
فَخُذْ مَا صَفَا مِنْ وَدِّهِ قَبْلَ فَوْتِهِ
أَلَا إِنَّمَا الْأَيَّامُ دُولَابٌ خُدْعَةٌ
فَبَيْنَا تَرَى تَعْلُو عَلَى النُّجْمِ زَفْعَةٌ
وَأَصْبَحْتُ قَدْ بَدَلْتُ نُسْكَي بِاللَّهْوِ^(١)
عَلَيَّ وَيَسْتَهْوِي الزَّمَانُ عَلَيَّ زَهْوِي^(٢)
إِذَا نَزَعَتْ كَفَّاهُ فِي الْقَوْسِ لَمْ يُشْوِ^(٣)
فَلَيْسَ بَبَاقٍ فِي الْوِدَادِ عَلَيَّ الصَّفْوِ^(٤)
تَدُورُ عَلَيَّ أَنْ لَيْسَ مِنْ ظَمًا تُرْوِي^(٥)
بِمَنْ كَانَ يَهْوَاهَا إِذْ انْقَلَبَتْ تَهْوِي^(٦)

(*) عَرَضَ بفلان ، ولفلان تعريضاً : إذا قال قولاً وهو يعنيه ويريده ، ولم يصرح به ، ولم يبيته ؛
فالتعريض : خلاف التصريح .

(١) تصابي تصابياً : تكلف الصبا ، وهو الصغر والحدائث ، ومال إلى اللهو واللعب . والحلم :
الرزانة ، والوقار ، والعقل . وهو هنا يقابل التصابي . واعتادني الشيء : انتابني ، وأصابني .
والشجو : الطرب . يقال : شجاه الحديث ، إذا أطربه ، وهزّ مشاعره . والنسك : التزهّد
والعبادة . واللهو : الاستمتاع بملذات الحياة ، وهو خلاف النسك ، فاللهو واللعب كلاهما :
الاشتغال بما لا تقتضيه الحكمة ، من هوى وطرب ونحوهما .

(٢) عاطنيها : أعطني الخمر ، أي اسقنيها . والنهي : العقل ، لأنه ينهي عن القبيح . وقبل أن
يحكم النهي عليّ : أي قبل أن يرذني عن الشراب . والزهو : الكبر ، والتهيه ، والفخر . ويراد
بالزهو هنا : ما يقارن الصبا والشباب من النضرة ، والقوة ، والإعجاب بالنفس . واستهوى
الزمان زهوي : هوى به ، وأذهبه . من قولهم : استهوته الشياطين : إذا هوت به ، وأذهبتة .

(٣) النابل : الرامي بالنبال ، وهي السهام . والمكيدة : الخديعة . ونزع النابل في القوس :
مدها ، أي جذب وترها للرمي عنها . ولم يشو : لم يخطيء .

(٤) يقول : إن الدهر بالناس متقلب ، وإن وداده الصافي لا بقاء له ، ولا دوام ؛ فاغتنم الفرصة ،
وانتفع بمسالمتة الموقوتة قبل فواتها .

(٥) يقول : ليست الأيام إلا ساقية خادعة ، تدور ولكنها لا تروي غلة ، ولا تطفئ ظمأ . يريد أن
في طبيعة الزمان المخاتلة والخداع ؛ فهو يخدع الناس بالأمانى الكاذبة ، ولا يكاد يحقق لهم
شيئاً منها .

(٦) ترى : أي الأيام المشبهة بالدولاب . ويهواها : يحبها ، ويتعلق بها . وتهوي : تسقط من علو
إلى سفلى .

فَرَاقِبْ بِجِدِّ سَهْوَةِ الدَّهْرِ وَالتَّمِيسِ مُنَاكَ فَمَا يُعْطِيكَ إِلَّا عَلَى السَّهْوِ (٧)
وَلَا يَزَعْنَكَ الصَّبْرُ عَنْ نَيْلِ لَذَّةٍ فَعَمَّا قَلِيلٍ يَسْلُبُ الشَّيْبُ مَا تَحْوِي (٨)
أَلَا رَبُّ لَيْلٍ قَصَرَ اللُّهُو طَوْلَهُ بِهِيْفَاءٍ مِثْلِ الغُصْنِ بَيْنَةَ السَّرْوِ (٩)
فَتَاةُ تُرَيْكِ البَدْرِ تَحْتَ قِنَاعِهَا إِذَا سَفَرْتَ وَالعُصْنِ فِي مَلْعَبِ الحَقْوِ (١٠)
إِذَا انْفَتَلَتْ بِالكَأْسِ خِلَتْ بِنَانِهَا يُصَرِّفُ نَجْمًا زَلَّ عَنْ دَارَةِ الجَوِّ (١١)
وَإِنْ خَاطَرَتْ بَيْنَ النَّدَامَى تَأَوَّدَتْ كَأَنَّ لَيْسَ عَضْوُ فِي القَوَامِ عَلَى عَضْوِ (١٢)
وَإِنِّي مِنَ القَوْمِ الَّذِينَ إِذَا انْتَوَوْا مَهُولًا مِنَ الأَخْطَارِ بَاؤُوا عَلَى بَاؤِ (١٣)

- (٧) بجد : أي باجتهاد ويقظة . والسهوة : الغفلة . وقد سها عن الشيء : إذا غفل عنه ، ونسيه .
والتمس : أمر من الالتماس ، وهو الطلب . والمنى : جمع منية ، وهي ما يتمناه الإنسان ،
ويرغب فيه .
- (٨) لا يزعنك : لا يمنعنك . ووزعه : كفه ، ومنعه . ويراد بالصبر هنا : التواني ، والتقصير .
وسلب الشيء : أخذه عنوة وقسراً ، وانتزعه اغتصاباً وقهراً . وما تحوي : أي ما تملك .
- (٩) هيفاء : امرأة دقيقة الخصر ، ضامرة البطن . ومماثلة الهيفاء لغصن الشجرة : في المرونة
واللين ، والغضارة والنضارة . وبينة : واضحة ظاهرة . والسرو : الشرف ، والرفعة ،
والنفاسة .
- (١٠) القناع : ما تغطي به المرأة رأسها . وكنى بما تحت قناعها عن وجهها . وسفرت المرأة :
كشفت عن وجهها ، فهي سافر . وتريك الغصن في ملعب الحقو : أي تريك الغصن في
مكان خاصرتها ، أو في ثوبها .
- (١١) انفتلت : دارت . وخلت : ظننت . والبنان : أطراف الأصابع . ويصرف : يوجه . وزلَّ :
سقط . ودارة النجم : الفضاء السماوي الذي يقيم به ، أو يدور فيه . والجو : الفضاء بين
السما والارض ، ويراد به هنا منازل الكواكب والنجوم في السماء . وزلَّ عن دارة الجوّ : أي
زل عن دارته في السماء .
- (١٢) خطرت في مشيها : اهتزت ، وتبخترت . والندامى : جمع ندمان ، وهو من ينادمك ، أي
يجالسك على الشراب . وتأوَّدت : تشئت . وقوام الإنسان : قامته .
- (١٣) انتوى الشيء : نواه ، وعزم عليه . وهاله الأمر : أفرعه ، وأخافه . ومهول (بوزن مقول) :
تأكيد . والبأو : الفخر .

أَنَاسٌ إِذَا مَا أَجْمَعُوا الأَمْرَ أَصْبَحُوا وَمَا هُمْ بِنَظَّارِينَ لِلْغَيْمِ وَالصُّحُورِ (١٤)
 إِذَا غَضِبُوا رَدُّوا الأُمُورَ لِأَصْلِهَا كَمَا بَدَأَتْ وَاسْتَفْتَحُوا الأَرْضَ بِالْغَزْوِ (١٥)
 وَإِنْ حَارَتْ الأَبْصَارُ فِي مُدْلَهْمَةٍ مِنَ الأَمْرِ جَاؤُوا بِالإِنَارَةِ وَالضُّحُورِ (١٦)
 شَدَّدَتْ بِهِمْ أَزْرِي وَحَكَّمَتْ شِرَّتِي وَأَطْلَقْتُ مِنْ حَبْلِي وَأَبْعَدْتُ فِي شَأْوِي (١٧)
 وَأَصْبَحْتُ مَرْهُوبَ اللُّسَانِ كَأَنِّي سَعَرْتُ لَطَى بَيْنَ الحَضَارَةِ وَالبَدْوِ (١٨)
 فَيَا عَجَبًا لِلْقَوْمِ يَبْغُونَ خُطْبِي وَمَا شَأُوهُمْ شَأْوِي وَلَا عَدُوَّهُمْ عَدْوِي (١٩)
 إِذَا مَا رَأُونِي مُقْبِلًا أَوْحَدُوا لَهُمْ شَكَاةً فَلَا زَالُوا عَلَي ذَلِكِ الشُّكُورِ (٢٠)

- (١٤) الأناص : الناس ، والمراد الرجال . واجمعوا الأمر إجماعاً : عزموا عليه . ونظار : صيغة مبالغة من نظر ، بمعنى انتظر ، وارتقب .
- (١٥) يفخر بأنه وقومه أولو قوة ، وأولو بأس شديد ؛ فإذا أغضبهم مغاضب ردوا الأمر إلى نصابه ، وقطعوا أسباب الإغضاب ؛ ففتحوا بالحرب والقتال أرضه ودياره .
- (١٦) حار : تحير ، وضل سبيله . والأبصار : العيون . ومدلهمة : أمر مشكل مستبهم ، من ادلهم الليل : إذا اشتد ظلامه وسواده ، وادلهم الظلام : إذا كثف . والضحو : ضوء الشمس ، أو ارتفاع النهار وامتداده بعد طلوع الشمس .
- يفخر بسداد آرائهم ، وقوة بصائرهم ، واضطلاعهم بحل المشكلات ، وتبديد المدلهمات .
- (١٧) شد به أزره : ضاعف به قوته . والشرة : القوة ، والنشاط . والشرة أيضاً : الحدة والغضب . وتحكيم الشرة : ضبطها بين الإفراط والتفريط . والشأو : الأمد والغاية . وكنى بإبعاده في شأوه : عن انطلاقه إلى الغايات البعيدة ؛ فهو تأكيد لمعنى : « وأطلقت من حبلتي » : أي انطلقت في الحياة ، قوي العزم ، عالي الهمة .
- (١٨) مرهوب : مخيف . ولسانه مرهوب : قوي الحجة ، ناصع البيان ، يهرب بأدبه وشعره أعداءه . وسعر النار : أوقدها وألهبها . واللطي : النار . والحضارة هنا : أهل الحضرة . والبدو : أهل البادية . وتسعير اللطي بين البدو والحضر : كناية عن إثارة اهتمامهم بشعره ، وتنافسهم فيه .
- (١٩) يعجب ممن يبتغون مثل منزلته ويقول : إنه ابتغاء لغير الممكن ، وطمع في البعيد الذي لا يستطيعونه ؛ لعظم التفاوت ، واتساع المسافة بينهم وبينه .
- (٢٠) أوحدوا شكاتهم : جعلوها واحدة غير متعددة ، أي اجتمعوا كلهم حول شكوى واحدة . يقول : إذا ما رأوني مقبلاً عليهم اجتمعوا ، وأقاموا على الشكوى والتحسر والتألم . أي

يَرُومُونَ مَسْعَاتِي وَدُونَ مَنَالِهَا مَرَاقٍ تَظَلُّ الطَّيْرُ مِنْ بُعْدِهَا تَهْوِي (٢١)
وَلَا وَأَبِي مَا النُّصْلُ فِي الْفِعْلِ كَالْعَصَا وَلَا الْقَوْسُ مَلَانَ الْحَقِيَّةِ كَالْخَلْوِ (٢٢)
لَقُلْتُ وَقَالُوا فَاغْتَلَوْتُ وَخَفَّضُوا وَلَيْسَ أَخُو صِدْقٍ كَمَنْ جَاءَ بِاللُّغْوِ (٢٣)
وَمَا ذَاكَ إِلَّا أَنَّنِي بِتُّ سَاهِرًا وَنَامُوا وَمَا عُقْبَى التِّيْقُظِ كَالْغَفْوِ (٢٤)
فَأَصْبَحْتُ مَشْبُوبَ الزَّيْرِ وَأَصْبَحْتُ لَوَاطِيءَ فِيمَا بَيْنَ دَارَاتِهَا تَعْوِي (٢٥)

وَقَالَ (*):

تَصَابَيْتُ بَعْدَ الْجَلْمِ وَاعْتَادَنِي زَهْوِي وَأَبْدَلْتُ مَائُورَ النَّزَاهَةِ بِاللَّهُوِ (١)

أن عجزهم عن بلوغ شأوه ، وقصورهم عن إدراك مسعاته يربطهم بالشكوى ، وهي شكوى العجز والقصور ، والكآبة والحمران .

(٢١) رام الشيء : أراده ، وطلبه . والمسعاة : المكreme ، وجمعها المساعي . ومنالها : إدراكها .

والمراقي : جمع المرقى (بوزن المسمى) ، وهي وسيلة الرقي ، وأداته . وهوى يهوى : سقط من علو إلى سفلى . وهوى في السير : مضى ، وأسرع ، أو صعد ، وارتفع .

(٢٢) أبي : قسم بأبيه . والنصل : الحديد المسنونة تكون للسيف ، والرمح . ويراد بالحقية هنا : الكنانة ، وهي جعبة صغيرة ، يجعل فيها النبل . والخلو : الخالي الفارغ .

(٢٣) اغتلتوت : ارتفعت . والمراد : ارتفعت بقولي عن اللغو والهذر والفضول ، وتحريت به الحق والصدق والصواب . وخفّض الشيء : خفضه . أي حطه ، أو نقص منه . وهو ضد رفعه . والمراد : أن منافسيه ، أو حساده ، أو أعداءه الذين يعرض بهم انخفضوا بأقوالهم إلى مهواة الكذب ، والهذر ، والفضول . واللغو : الخطأ ، والباطل .

(٢٤) « ذاك » إشارة إلى الفوارق الكبيرة الواسعة التي تفرق بينه وبين أعدائه أو منافسيه . وعقبي الأمر : عاقبته ، وخاتمته . والغفو : النوم . ويراد بالسهر : الجهد والاجتهاد ، ويراد بالنوم : الكسل ، والتواني . وما عقبي التيقظ كالغفو : أي وليست عاقبة اليقظة والجهد مثل عاقبة الغفلة والتواني .

(٢٥) مشبوب : قوي عال . والزئير : صوت الأسد من صدره . ولواطىء : لاصقات بالأرض ، جمع لاطئة . والدارات : جمع دارة ، وهي الدار . ومشبوب الزئير : كناية عن قوته ، وشدة بأسه ، ونباهة شأنه .

(١) اعتادني الشيء : انتابني ، أو تعودته . والزهو : التيه ، والتكبر . وشيء مائور : منقول ، أو مفضل مختار . والنزاهة : البعد عن الشر والسوء .

وَمَا كُنْتُ أَخْشَى أَنْ تَعُودَ غَوَايَتِي
عَلَىٰ أَنِّي غَالِبْتُ شَوْقِي فَعَزَّنِي
وَمَاذَا عَلَيَّ مِنْ خَامَرَ الْحُبِّ قَلْبُهُ
إِذَا الْمَرْءُ لَمْ يُعْطِ الْحَيَاةَ نَصِييَهَا
وَهَلْ فِي الصَّبَا وَاللَّهُوِ عَارٌ عَلَيَّ الْفَتَى
لَعَمْرُكَ مَا قَارَفْتُ فِي الْحُبِّ زَلَّةً
وَلَكِنِّي أَهْوَى الْخَلَاعَةَ وَالصَّبَا
سَجِيَّةً نَفْسٍ أُدْرِكْتُ مَا تُرِيدُهُ
إِلَيَّ وَلَكِنْ نَظْرَةٌ حَرَكْتُ شَجْوِي (٢)
وَنَادَيْتُ جِلْمِي أَنْ يَعُودَ فَلَمْ يَلُو (٣)
إِذَا مَالٌ مَعَهُ لِلْخَلَاعَةِ وَالصَّبَوِ؟ (٤)
مِنَ اللَّهْوِ قَادَتْهُ الْهُمُومُ إِلَى الشُّكُو (٥)
إِذَا الْعُرْضُ لَمْ يَدْنَسْ بِإِثْمٍ وَلَا بَعُو؟ (٦)
وَلَا قَادَنِي مَعَهَا إِلَى سَوْءَةٍ خَطْوِي (٧)
وَأَتَّبَعُ آثَارَ الْفَضِيلَةِ وَالسَّرْوِ (٨)
مِنَ الدَّهْرِ فَأَعْتَاضَتْ عَنِ السُّكْرِ بِالصَّحْوِ (٩)

(٢) الغواية : الانهماك في الجهل ، والإمعان في الضلال . والشجو : الهم ، ويراد به هنا : شجو العشق .

(٣) غالبه مغالبة : حاول كل منهما أن يغلب الآخر . وعزني : غلبني ، وقهرني . ولم يلو : أي لم يستمع للنداء ، ولم يستجب .

(٤) الاستفهام في أول البيت معناه النفي : أي لا حرج ، ولا إثم . وخامره : خالطه ، وأثر فيه . ومال معه : أي مال مع الحب . والخلاعة : أي ترك الحياء . والصبو : جهل الفتوة ، ولهو الشباب .

(٥) يرى أن اللهو يخفف الهموم ، أو يبددها ، وأن الحياة ينبغي أن يشوبها الهزل والمجانة والصبوة ونحوها ؛ فإذا كانت كلها جداً وصرامة ، ثقلت همومها على الإنسان ؛ فتشكى ، وضجر ، وتبرم ، وتآلم ، وضاق بها ذرعه .

(٦) الاستفهام في أول البيت معناه النفي : أي لا عار ، ولا عيب في الصبا واللهو . والصبا : اللهو ، والغزل ، وجهلة الفتوة . والعرض : النفس ، والجسد ، وما يمدح المرء إذا صانه ، ويذم إذا تهاون به ، وفرط فيه . ودنس الثوب : توسخ . والإثم : الذنب والخطيئة . والبعو : الجنابة والجرم .

(٧) قارف الذنب والخطيئة : قاربها ، وخالطها ، أي كسبها وارتكبها . والزلة : السقطة ، والهفوة . والسوءة : الخلة القبيحة ، والفاحشة ، وكل عمل شائن . والخطو : المشي .

(٨) أهوى : أحب . والخلاعة : مصدر خلع ، أي ترك الحياء ، وركب هواه ؛ فهو خليع . والصبا : الشوق إلى المرأة ، وجهلة الفتوة . والسرو : الشرف ، والمروءة .

(٩) السجية : الخلق ، والطبيعة . وأدرك الإنسان المعنى بعقله : فهمه . واعتاضت : عوضت .

وَإِنِّي مِنَ الْقَوْمِ الَّذِينَ إِذَا انْتَوَوْا
 أَنَسُ إِذَا مَا أَجْمَعُوا الْأَمْرَ أَصْبَحُوا
 إِذَا غَضِبُوا رَدُّوا الْأُمُورَ لِأَصْلِهَا
 وَإِنْ حَارَتِ الْأَبْصَارُ فِي مُذْهِمَةٍ
 شَدَدْتُ بِهِمْ أَرْزِي وَأَحْكَمْتُ مِرَّتِي
 أَصْبَحْتُ مَرْهُوبَ اللِّسَانِ كَأَنِّي
 فَيَا عَجَبًا لِلْقَوْمِ يَبْغُونَ خَطِيئِي
 يَرُومُونَ مَسْعَاتِي وَدُونَ مَنَالِهَا
 فَإِنْ تَكُ سِنِّي مَا تَطَاوَلَ بَاعُهَا
 وَشَتَانَ مَا بَيْنَ أَمْرِي الْقَوْمِ الَّذِي
 لَقَلْتُ وَقَالُوا فَاعْتَلَوْتُ وَخَفَضُوا
 مَهُولًا مِنَ الْأَخْطَارِ بَأُؤَاعَلَى بَأُو(١٠)
 وَمَا هُمْ بِنَظَارِينَ لِلْغَيْمِ وَالصُّحُورِ(١١)
 كَمَا بَدَأَتْ وَاسْتَفْتَحُوا الْأَرْضَ بِالْغَزْوِ(١٢)
 مِنَ الْأَمْرِ جَاؤُوا بِالْإِنَارَةِ وَالصُّحُورِ(١٣)
 وَأَطْلَقْتُ مِنْ حَبْلِي وَأَبْعَدْتُ فِي شَأُوِي(١٤)
 سَعَرْتُ لَطَى بَيْنَ الْحَضَارَةِ وَالْبَدْوِ(١٥)
 وَمَا خَطُوهُمْ خَطُوِي وَلَا عَدُوَّهُمْ عَدُوِي(١٦)
 مَرَاقٍ تَظَلُّ الطَّيْرُ مِنْ بُعْدِهَا تَهْوِي(١٧)
 فَإِنِّي جَدِيرٌ بِالْإِصَابَةِ فِي الْأَثْوِ(١٨)
 إِذَا رَامَ أَمْرًا لَمْ يَجْزُ سَاحَةَ الْبُهْوِ(١٩)
 وَلَيْسَ أَخُو صِدْقٍ كَمَنْ جَاءَ بِاللُّغْوِ(٢٠)

(١٠-١٣) أبيات مكررة مع القصيدة السابقة .

(١٤) أحكم الشيء : أوثقه . والمرّة : القوة ، وشدة العقل . وإحكام المرّة : في معنى شدّة الأزر ، فهو تأكيد له .

(١٥) بيت مكرر مع القصيدة السابقة .

(١٦) ما خطوهم خطوي : أي ليس خطوهم مثل خطوي ؛ فالشاعر متقدّم سباق ، وخصومه ، أو منافسوه ، كلهم لاحقون متأخرون .

(١٧) بيت مكرر مع القصيدة السابقة .

(١٨) المعنى : أنه على صغر سنّه مستقيم في سيره ، واسع العطاء ، مسرع في الخير ، طويل الباع في الإحسان .

(١٩) يقول : شتان ما بيني وبين امرئ القوم . . . ورام الأمر : أراده وطلبه وابتغاه . ولم يجز : لم يتجاوز .

(٢٠) بيت مكرر مع القصيدة السابقة .

وَمَا ذَاكَ إِلَّا أَنِّي بِتُّ سَاهِرًا
فَأَصْبَحْتُ مَشْبُوبَ الزُّيْرِ وَأَصْبَحْتُ
وَنَامُوا وَمَا عُنْبِي التِّيْقُظُ كَالْغَفْوِ (٢١)
كَأَكْلِبِ حَيٍّ بَيْنَ دَارَاتِهِ تَلْوِي (٢٢)

(٢١) بيت مكرر مع القصيدة السابقة .
(٢٢) أكلب : جمع كلب . وتلوي : تقف ، وتنتظر .

قافية الياء

قَالَ فِي ذِكْرِ الشُّوقِ :

كَفَى بِالضُّنَى عَنْ سَوْرَةِ الْعَدْلِ نَاهِيَا فَأَهْوَنُ مَا أَلْقَاهُ يُرْضِي الْأَعَادِيَا^(١)
بَلَوْتُ الْهَوَى حَتَّى بَلَيْتُ وَطَالَ بِي مَرِيرُ النَّوَى حَتَّى نَسِيتُ التَّلَاقِيَا^(٢)
وَمَا كُنْتُ ذَا غِيٍّ وَلَكِنْ إِذَا الْهَوَى أَصَابَ حَلِيمَ الْقَوْمِ أَصْبَحَ غَاوِيَا^(٣)
إِلَى اللَّهِ أَشْكُو نَظْرَةً مَا تَجَاوَزَتْ جَمَى الْعَيْنِ حَتَّى أُوْرَدْتَنِي الْمَهَاوِيَا^(٤)
رَمَيْتُ بِهَا عَنْ غَيْرِ عَمْدٍ فَلَمْ تَعُدْ عَلَى النَّفْسِ إِلَّا بِالَّذِي كَانَ قَاضِيَا^(٥)

-
- (١) كفاه الشيء : إذا أغناه عن غيره . والضنى : مرض يخامر المريض ويلزمه حتى يشتد به الضعف والهزال والنحول ، ويشرف على الموت . والعذل : اللوم . وسورته : شدته ، وحدته . وأهون : أيسر ، وأقل . والأعادي : جمع الأعداء . والأعداء : جمع العدو .
(٢) بلوته : جربته ، واختبرته . وبلى الثوب ونحوه : أدركه البلى ، أي صار بالياً ، فانياً . وأبلاه : الهوى ونحوه : هزله ، وأرق جسمه وأضناه . والنوى : البعد والفراق . والتلاقي : الاجتماع .
(٣) غوى يغوي غيًّا : انهمك في الجهل ، وأمعن في الضلال ؛ فهو غاو . والحليم : صفة من الحلم ، وهو الأناة والعقل .
(٤) يراد بحمى العين هنا : العين المحمية . والمهاوي : جمع المهواة ، وهي الحفرة ، أو الوهدة العميقة .
(٥) بها : أي بالنظرة . ورمى بها : ألقاها . وقاض : قاتل .

هَجَرْتُ لَهَا أَهْلِي وَفَارَقْتُ جِيرَتِي وَعَاظَبْتُ فِي الْخُلَانِ مَنْ كَانَ رَاضِيًا^(٦)
 وَأَصْبَحْتُ مَسْلُوبَ الْجَنَانِ كَأَنِّي شَرِبْتُ بِكَأْسٍ تَتْرُكُ الْعَقْلَ سَاهِيًا^(٧)
 أَدُورُ وَلَا أَدْرِي وَإِنْ كُنْتُ حَازِمًا يَمِينِي أَدْنَى لِلْهُدَى مِنْ شِمَالِيَا^(٨)
 صَرِيحُ هَوَى لَا أذْكَرُ الْيَوْمَ بِاسْمِهِ وَلَا أَعْرِفُ الْأَشْخَاصَ إِلَّا تَمَادِيًا^(٩)
 فَيَا عَيْنُ لَا زَالَتْ يَدُ الشُّهْدِ تَمْتَرِي أَسَاكِيبَ دَمْعٍ مِنْكَ تُرْوِي الْمَاقِيَا^(١٠)
 فَأَنْتِ الَّتِي أُورِدْتِ قَلْبِي مِنَ الْهَوَى مَوَارِدَ لَمْ تَتْرُكِي مِنَ الصَّبْرِ بَاقِيَا^(١١)
 أَطْعَمْتُكَ فَاسْتَسَلَّمْتُ بَعْدَ شَكِيمَةٍ أَعْضَتْ بِأَطْرَافِ الشُّكِيمِ الْمَذَاكِيَا^(١٢)

- (٦) لها : أي للنظرة ، أي من أجل الحب وبسببه . والجيرة : الجيران . والخلان : جمع الخليل ، وهو الصديق الصادق الود .
- (٧) سلبه : انتزعه منه قهراً . وسلبت المعشوقة فؤاد عاشقها أو عقله : استهوته ، واستولت عليه . والجنان : القلب ، أو العقل . وساه : غافل ، غير صاح .
- (٨) المعنى : أنه يدور ويطوف ويهيم علي وجهه ، ولا يكاد يهتدي لطريق القصد وسبيل الرشاد ، وإن كان في الوقت نفسه حازماً بصيراً يعلم أن الإقلاع عن الهوى هدى وكمال ، وأن التمادي فيه غيٌّ وضلال .
- (٩) صريح هوى : أي قتل حبٍّ وغرام . وقد يراد بالصريح : المجنون . وتمادى به الأمر : تطاول وتأخر . والمراد أنه لا يعرف الشخص من الناس إلا بعد جهد ومشقة ، وطول تبصّر وتأمل ؛ وذلك لضعف وعيه ، وشدة تأثير الهوى في عقله وحواسه .
- (١٠) الشهد : الأرق . وتمتري : تستدرّ ، وتستخرج . والأساكيب : جمع أسكوب ، وهو المطر المنسكب .
- يدعو على عينه أن تبقى ساهرة باكية ، تقاسي الأرق والسهاد ، وتجري بالدموع مآقيها .
- (١١) أوردته المهالك : أي أوقعته فيها . والموارد : جمع مورد ، وهو المنهل ، والمشرب . وأوردت عينه قلبه موارد الهوى : أي نظر إلى الحسناء التي يتغزل بها ، فولهته ، وتعلّق بها قلبه أشدّ التعلّق . ويريد بالباقي : البقية القليلة .
- (١٢) استسلم : انقاد ، وانطاع ، وخضع . والشكيمة : قوّة القلب . ويقال فلان ذو شكيمة : إذا كان شديد النفس ، قوي البأس . وأعضه الشيء إعراضاً : جعله يعضه ، أي يستمسك به . والشكيم : جمع الشكيمة ، وهي في اللجام : الحديدية المعترضة في فم الفرس . والمذاكي من الخيل : التي تمت سنّها ، وكملت ، وعظمت قواها .

فَلَسْتُ ابْنَ أُمِّ الْمَجْدِ إِنْ عُدْتُ ثَانِيًا (١٣)	فَإِنْ أَنَا سَأَلْتُ الْهَوَى بَعْدَ هَذِهِ
وَلَوْ عَلِمُوا لِأُمُومِ الطَّبَّاءِ الْجَوَارِيَا (١٤)	يَلُومُونَ أَشْوَاقِي كَأَنِّي ابْتَدَعْتُهَا
شَدَوْتُ فَعَلَّمْتُ الْحَمَامَ الْأَغَانِيَا (١٥)	وَمَا لِي ذَنْبٌ عِنْدَهُمْ غَيْرَ أَنِّي
وَيَثْنِي عَلَى أَعْقَابِهِنَّ الْقَوَافِيَا؟ (١٦)	وَهَلْ يَكْتُمُ الْمَرْءُ الْهَوَى وَهُوَ شَاعِرٌ
تَنَسَّمْتُ أَضْرَمْتُ الْهَوَى فِي فُؤَادِيَا؟ (١٧)	فِيَا نَسَمَاتِ الْقَجْرِ مَا لَكَ كَلَمًا
(١٨)	وَيَا سَجَعَاتِ الْأَيْكِ رِفْقًا بِمُهْجَةٍ
أَخْلَايَ بِالْمِقْيَاسِ عَنِّي سَلَامِيَا (١٩)	وَيَا لَمَحَاتِ الْبَرْقِ بِاللَّهِ خَبْرِي
تَمِيلُ مَعِي شَوْقًا فَلَقَيْتَ دَاوِيَا (٢٠)	وَيَا عَذَبَاتِ الْبَانَ إِنْ كُنْتَ إِنَّمَا

- (١٣) ابن أم المجد : كناية عن أنه أصيل عريق في المجد والكرم والشرف والرفعة والعلاء .
- (١٤) ابتدع الشيء : أحدثه ، واخترعه . والطباء : جمع طبي ، وهو الغزال ، وتشبه به الحسناء من النساء . والجواري : جمع الجارية ، وهي الشابة الفتية من النساء .
- (١٥) عندهم : أي عند لائمه وعذاله . وشدا بالشعر : ترنم به وتغنى ، وطرب .
- (١٦) الاستفهام في أول البيت معناه النفي ؛ فالشاعر لا يستطيع كتمان هواه . وثناه عن كذا : صرفه عنه ، وكفه . والعقب : عظم مؤخر القدم . وثناه على عقبه : ردّه ، وصرفه .
- (١٧) النسّمات : جمع نسمة (بفتحتين) ، وهي الريح الطيبة اللطيفة ، ومثلها النسيم . وتنسّمت الريح تنسّمًا : هبت بلطف ولين واعتدال . وأضرم النار : أوقدها ، وأشعلها .
- (١٨) السجعات : جمع سجة ، اسم مرة من سجعت الحمامة (من باب قطع) : إذا هدرت ، ورددت صوتها على طريقة واحدة . والأيك : جمع أيكة ، وهي الشجر الكثير الملتف . ورفق به رفقًا : لطف به ، وعطف عليه . والمهجة : القلب ، أو الروح . والشطر الثاني غير موجود في الأصل .
- (١٩) لمحات البرق : لمعاته واثلاقاته . والأخلاء : جمع خليل ، وهو الصديق الخالص . وروضة المقياس : جزيرة كبيرة ، يحيط بها نهر النيل ، شرقي الجزيرة .
- (٢٠) العذبات : الأغصان ، جمع عذبة (بوزن قصبه) . والبان : شجر تشبه به حسان النساء في اللين ، والمرونة ، وجمال القدّ ، واحدته بانه . ولقيت : لاقيت ، ووجدت . ويراد بالداوي هنا : المرض الشديد .

عَوَائِدُ شَوْقٍ أَلْهَبَتْ لِأَعْجِ الْأَسَى
 لَعْمُرِكَ مَا فَارَقْتُ رَبْعِي عَنْ قَلِيَّ
 وَلَكِنْ عَدْتَنِي عَنْ بِلَادِي وَجِيرَتِي
 زَمَانٌ تَوَلَّى غَيْرَ أَعْقَابِ ذُكْرَةٍ
 فَيَا رَوْضَةَ الْمِقْيَاسِ جَادِكِ سَلْسَلُ
 وَلَا بَرِحَتْ تَغْشَاكِ لِلْفَجْرِ نَسْمَةٌ
 بِبِلَادٍ صَحِبْتُ الْعَيْشَ فِيهَا مُنْعَمًا
 فَكَمْ لَذَّةٌ أَدْرَكْتُ فِيهَا وَنِعْمَةً

- (٢١) عوائد : جمع عائدة ، أي راجعة . وعوائد الشوق : ما يتتاب المشوق ، ويعاوده . ولاعج
 الأسى : ألم الحزن . ومعنى الشطر الثاني : أن آماله ضلّت ، وارتدت إليه مسرعة مخففة
 خائبة ، لم يتحقق له منها شيء .
- (٢٢) العمر : الحياة . والربع : الدار ، ومحلة القوم ، ومجازاً : القوم والعشيرة . والقلبي :
 البغض والكراهية ، مصدر قلاه ، إذا أبغضه ، وكرهه . وسالياً : ناسياً .
- (٢٣) عَدَاهُ : صَرَفَهُ . والعوادي : الصوارف . وعوادي الدهر : عوائقه ونوائبه وصروفه . وتمادى
 في الأمر : أمعن فيه .
- (٢٤) تولى : أدبر وذَهَبَ . والأعقاب : جمع عقب ، وهو من كل شيء آخره . والذكرة (بضم
 فسكون) : الشيء يخطر بالقلب ، ويجري على اللسان ، ومثله الذكرى . ويراد بأعقاب
 الذكرة : بقاياها التي ما زالت تساور القلب وتخامره . وتصابى تصابياً : حنّ ، وتاق .
- (٢٥) جاد الغيث القوم : عمّ أرضهم ، وشملهم بخيره . وماء سَلْسَلُ : عذب ، صاف .
 يدعولروضة المقياس ووطنه الحبيب بالسُّقْيَا والخصب ، والبركة والنماء .
- (٢٦) لا برحت : لا زالت . وغشيه يغشاه : أتاه ، وحلّ به . والنسمة : الريح اللطيفة ، الطيبة .
 والنور : الزهر الأبيض ، واحده نورة ، وجمعه أنوار . وجبين النور : وجهه . والأزهر : كل لون
 أبيض نقى . وضاح : منير .
- (٢٧) صحبه : رافقه ، ولازمه . والعيش : الحياة والمعيشة . ونعمه تنعيماً : رفّه ترفيهاً .
 يذكر في تحسّر وتأسّف ما كان له في روضة المقياس ، ووطنه الحبيب من حياة ناعمة
 رافهة ، وعيش رغيد سعيد ، وانطلاق في مجال اللّهو والبطالة ، وضروب المتع واللذات .
- (٢٨) أدرك الشيء : لحقه ، وبلغه . والنعمة : الحالة الحسنة التي يستلذها الإنسان ، وما أنعم به

هِيَ الْوَطَنُ الْمَأْلُوفُ وَالنَّفْسُ صَبَّةٌ
 فَلَا حَبْدًا الدُّنْيَا إِذَا هِيَ أَدْبَرَتْ
 نَشَدْتُ الْمُنَى عَوْدًا وَقَدْ كُنْتُ بَدَاءَةً
 فَإِنْ لَمْ أَنْلُ مِنْهَا نَصِييًّا فَإِنِّي
 وَمَاذَا الَّذِي تُجِدِي عَلَيَّ فَضَائِلِي
 فَلَا اخْضَرَ سَاقُ الْبَقْلِ إِنْ بَتُّ طَاوِيًا
 وَقَالَ يُعَاتِبُ صَدِيقًا :

أَتَانِي أَنَّ «عَبَدَ اللَّهِ» أَصْغَى إِلَى وَاشٍ فَغَيْرُهُ عَلِيًّا (١)

عليك من رزق ومال وغيرهما . وأصببت الشيء : أدركته ، وحصلته . والأدب : جمع
 الأدب ، وهو رياضة النفس بالتعليم والتهديب على ما ينبغي . والأدب أيضاً : الجميل الممتع
 من النظم والنثر .
 (٢٩) «هي» : يريد روضة المقياس . والمألوف : المحبوب . وهي صبة : مشتاقة . ويراد
 بالمنزل الأدنى : الوطن القريب من القلب . والنائي : البعيد .
 (٣٠) أقبلت الدنيا عليه ، فكان سعيداً في وطنه ، مجتمع الشمل بأهله ؛ فاستأهلت المدح ،
 وحسن الثناء . ثم أدبرت عنه فشقي ، وأبعد عن أهله ووطنه ؛ فذمها ، وتبرم بها .
 (٣١) نشد الضالة ينشدها : طلبها ، وسأل عنها . والمنى : الأمانى والآمال . وعوداً : مصدر
 عاد ، إذا رجع . والمراد أنه نشدها في آخر أمره بعد أن ساءت حاله ، وانقلب أمره . وبدأة ،
 أو بدءاً : أي في أول الأمر . والمطاف : موضع الطواف .
 (٣٢) نال الشيء : أصابه ، وظفر به . ومنها : أي من المنى المنشودة . والنصيب : الحظ .
 واليأس : انقطاع الأمل ، وفقدان الرجاء . وكافياً : مغنياً . ويريد ببعض المطالب :
 الطلبات ، أو الحاجات الميؤوس منها .
 (٣٣) يفخر بفضائله ومحامده ، ويأسى لأنها لا تكاد تنفعه ، أو تشفع له لدى أعدائه الذين اشتدت
 عداوتهم له ، حتى رأوا حسناته سيئات .
 (٣٤) طاو : جاع . وانهلّ المطر انهلالاً : انسكب ، وانصب بشدة . والمزن : السحاب يحمل
 الماء ، جمع مزنة (بضم فسكون) . والصادي : العطشان الذي اشتد عطشه .
 (١) أتاني : جاءني ، وانتهى إلي . وأصغى إليه إصغاء : استمع له . والواشي : الذي يزور

وَمَا عَهْدِي بِهِ غِرًّا وَلَكِنْ تَوَلَّتْ أَمْرَ فِطْنَتِهِ الْحُمِيًّا (٢)
فَقُلْتُ لَهُ تَثَبْتُ تَلَقَّ رُشْدًا فَكَمْ مِنْ سُرْعَةٍ وَهَبْتِكَ غِيًّا (٣)
فَأِنَّكَ لَوْ عَرَفْتَ وَدَادَ قَلْبِي إِلَيْكَ لَجِئْتَ مُعْتَذِرًا إِلَيَّا (٤)

كلامه ، ويزخرفه بالكذب ؛ ليفسد به بين الناس . وغيره عليّ : أي غير شأنه معي ؛ فجفاني بعد توّدد . وأعرض عني بعد إقبال .

(٢) العهد : المعرفة . وبه : أي بالمعاتب . والغرّ : من ينخدع إذا خدع . وما عهدي به غرًّا : أي لست أعرف فيه غفلة أو غرارة . وتولّى الأمر : تقلّده ، وقام به . وتولّى أمره : سيطر عليه . والفتنة ، والفتانة : الحذق ، والمهارة ، وقوة الفهم . وحميًّا كل شيء : شدته ، وحدته .

والمعنى : أني أعرف المعاتب فطيناً يقظاً ، جيد الفهم ، ولكن استماعه للواشي ، وتأثره بالوشاية أفض به عليّ بلا حق ؛ فكذّرت سورة الغضب ذهنه ، وسيطرت على فطنته .
(٣) تثبّت : تأنّ . ولا تعجل . والرشد والرشاد : الهداية والصلاح . ووهبتك السرعة غيًّا : أي أغوتك ، وأضلتك ، وصرفتك عن الرشد والهدى ، والسداد والصواب .

(٤) الوداد : المودّة ، والمحبة . واعتذر إليه : طلب قبول معذرته .
نهاية قافية الياء ، وهي نهاية الديوان . والحمد لله أولاً وأخيراً .

ديوان البارودي

ولد « محمود سامي البارودي » يوم الأحد ٢٧ من رجب سنة ١٢٥٥ هـ ، الموافق ٦ من أكتوبر سنة ١٨٣٩ م . وتوفي يوم الاثنين ٦ من شوال سنة ١٣٢٢ هـ ، الموافق ١٢ من ديسمبر سنة ١٩٠٤ م . وأصل ديوانه المخطوط الذي في أيدينا يملأ ٣١٤ صفحة من الفولسكاب ، أتمّ نقله بقلمه « مصطفى عبد الخالق » يوم ١٠ من سبتمبر سنة ١٩٠٨ . والقوافي التي نظم فيها البارودي شعره هي : الهمزة ، والألف المقصورة ، والباء ، والتاء ، والثاء ، والجيم ، والحاء ، والذال ، والذال ، والراء ، والزاي ، والسين ، والشين ، والصاد ، والضاد ، والطاء ، والظاء ، والعين ، والفاء ، والقاف ، والكاف ، واللام ، والميم ، والنون ، والهاء ، والواو ، والياء . وترتيبها في أصل الديوان يطابق ترتيب حروف الهجاء . وقد استغرقت كلّ الحروف الهجائية ما عدا الخاء ، والغين . أمّا ترتيب القصائد والمقطوعات في كل قافية ، فيبدو لنا أنه من إعداد الناظم نفسه ، أو من إعداد غيره تحت إشرافه . ولا نعرف الأساس الذي بني عليه هذا الترتيب .

ويعيب هذا الأصل كثير من تصحيفات الناسخ ، وتحريفاته . وفيه إلى هذا نقص ، وزيادة ، وتكرار ، وأخطاء إملائية ، ونحوية ، ولغوية ، وأبيات مكسورة ، اختلّت أوزانها ، وفسدت معانيها ، وكلمات غامضة ، مستبهمة ، مستغلقة ، لا تنكشف للقارئ المتمرس إلا بجهد ، ومشقة ، واصطبار ، ومعاناة . . . وفيه قصائد ،

ومقطوعات ، وأبيات مطموسة ، عدتها خمسة وسبعون بيتاً ، كشفناها كلها ما عدا ستة أبيات في قافية الباء ، بولغ في طمسها ، فلم نستطع قراءتها . وبحول الله تبارك وتعالى وتوفيقه حققنا هذا الأصل ، وصححناه ، وضبطناه ، وشرحناه ، وقربناه إلى الطالب ، ويسرناه كل التيسير . . . وفي أثناء الشرح نبهنا القارئ على بعض ما صححناه وعالجناه ، من عيوب الأصل المخطوط ، ومناقضه ، وآفاته . وأغفلنا الإشارة إلى كثير منها .

وللباروديّ فوق هذا كله قصيدة ميمية مطوّلة في ٤٤٧ بيتاً ، نظمها في مدح النبيّ محمد صلى الله عليه وسلم ، وسماها : « كشف الغمّة في مدح سيّد الأمة » . وله أبيات أخرى لم تأت في ديوانه . ولا يسعنا إلا أن نقدم شكرنا لكلّ من أعان على إنجاز هذا الديوان ، وتيسير طبعه ونشره .

والحمد لله كما ينبغي لجلال وجهه ، وعظيم سلطانه .

٨ شارع المختار بالروضة بالقاهرة .

محمد شفيق معروف

الفهرس

٥	تقديم ديوان البارودي
٣٣	مقدمة الديوان
٣٨	قافية الهمزة
٥١	قافية الألف المقصورة
٥٥	قافية الباء
٩١	قافية التاء
٩٧	قافية الثاء
٩٩	قافية الجيم
١٠٣	قافية الحاء
١١٨	قافية الدال
١٩٣	قافية الذال
١٩٥	قافية الراء
٢٨٠	قافية الزاي
٢٨٢	قافية السين
٢٩٢	قافية الشين
٢٩٤	قافية الصاد
٣٠٠	قافية الضاد
٣٠٦	قافية الطاء
٣١٢	قافية الظاء
٣١٥	قافية العين
٢٤٣	قافية الفاء

٣٥٨	قافية القاف
٣٩٢	قافية الكاف
٣٩٦	قافية اللام
	ذم الحكام وحض الناس على طلب العدل في الأحكام
٥١١	قافية الميم
٥٣٧	رواية ثانية للقصيدة
٦٢٥	قافية النون
٦٩٩	قافية الهاء
٧٠٩	قافية الواو
٧٢٤	قافية الياء
٧٣٠	ديوان البارودي